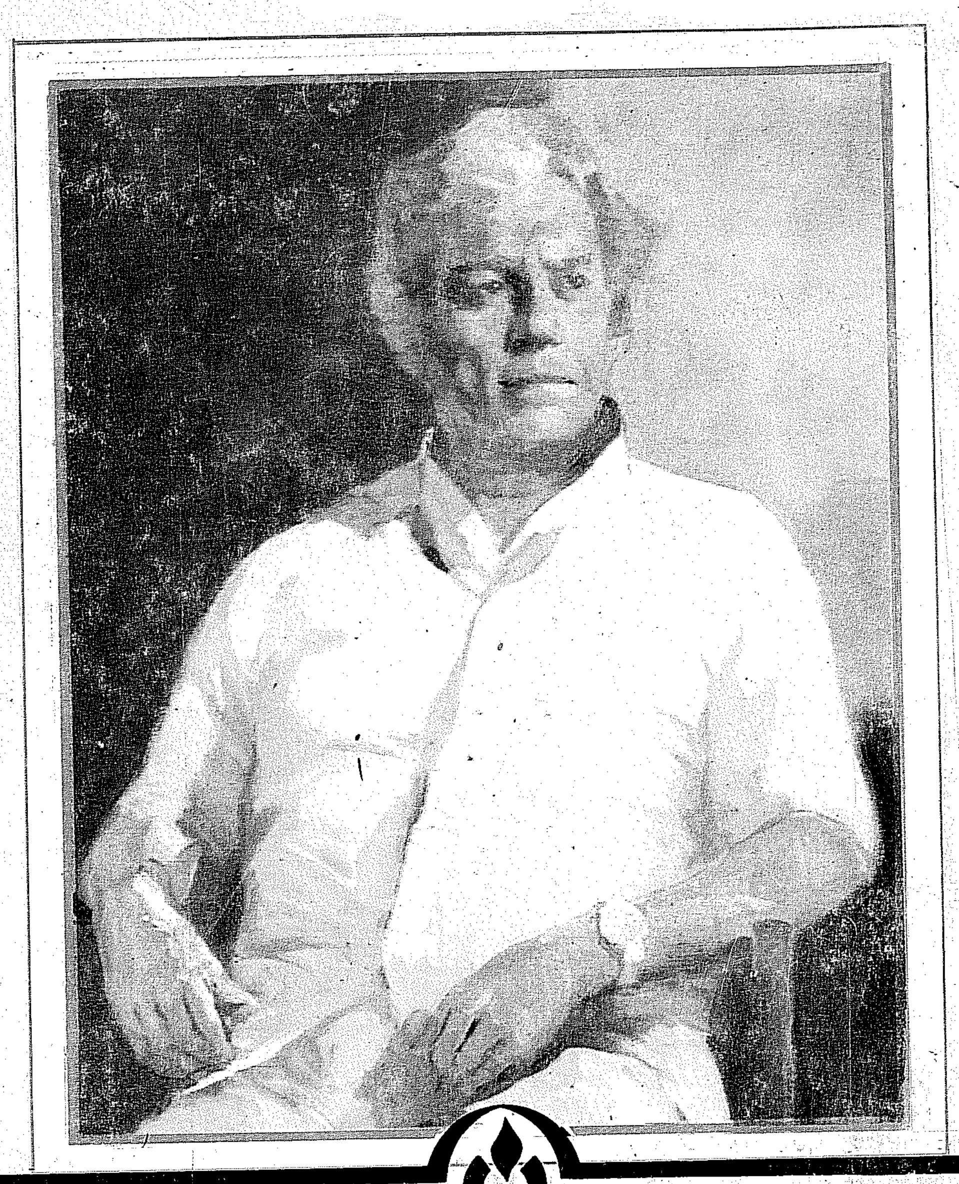
عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

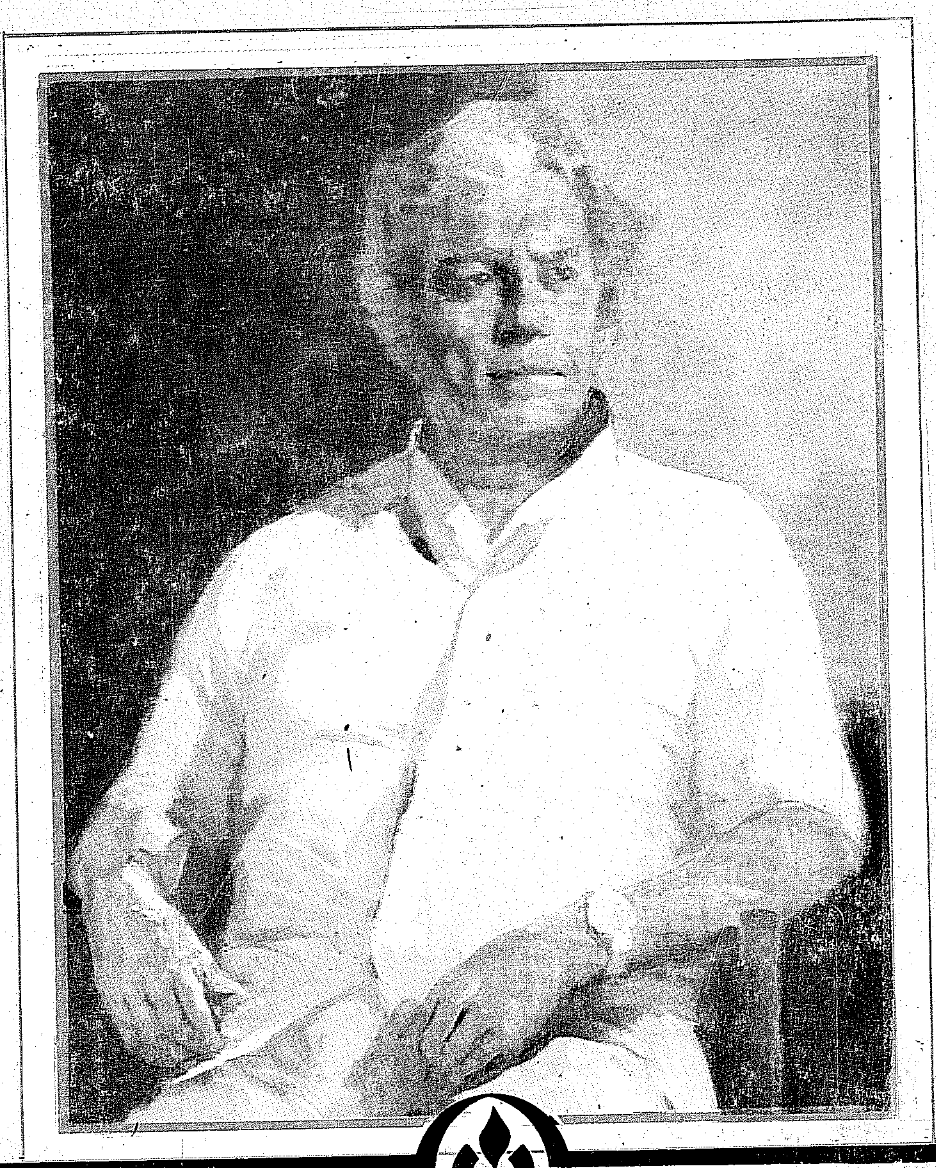


دار الشؤون الثقافية العامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

المجلد الاول

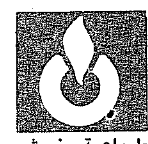


دار الشؤون الثقافية العامة

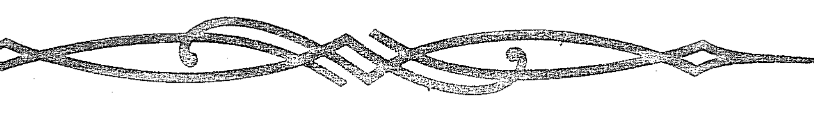
عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
حقوق الطبع محفوظة
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



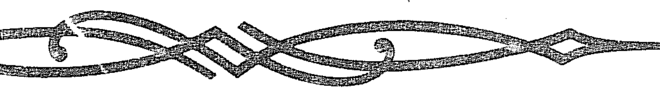
عبد الرزاق عبد الواحد

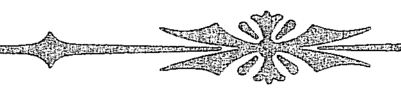
جائزة صدام للآداب ١٩٨٧

الأعمال الشعرية

المجلد الأول

الطبعة الثانية ـ بغداد ـ ٢٠٠٠





لعنة الشيطان

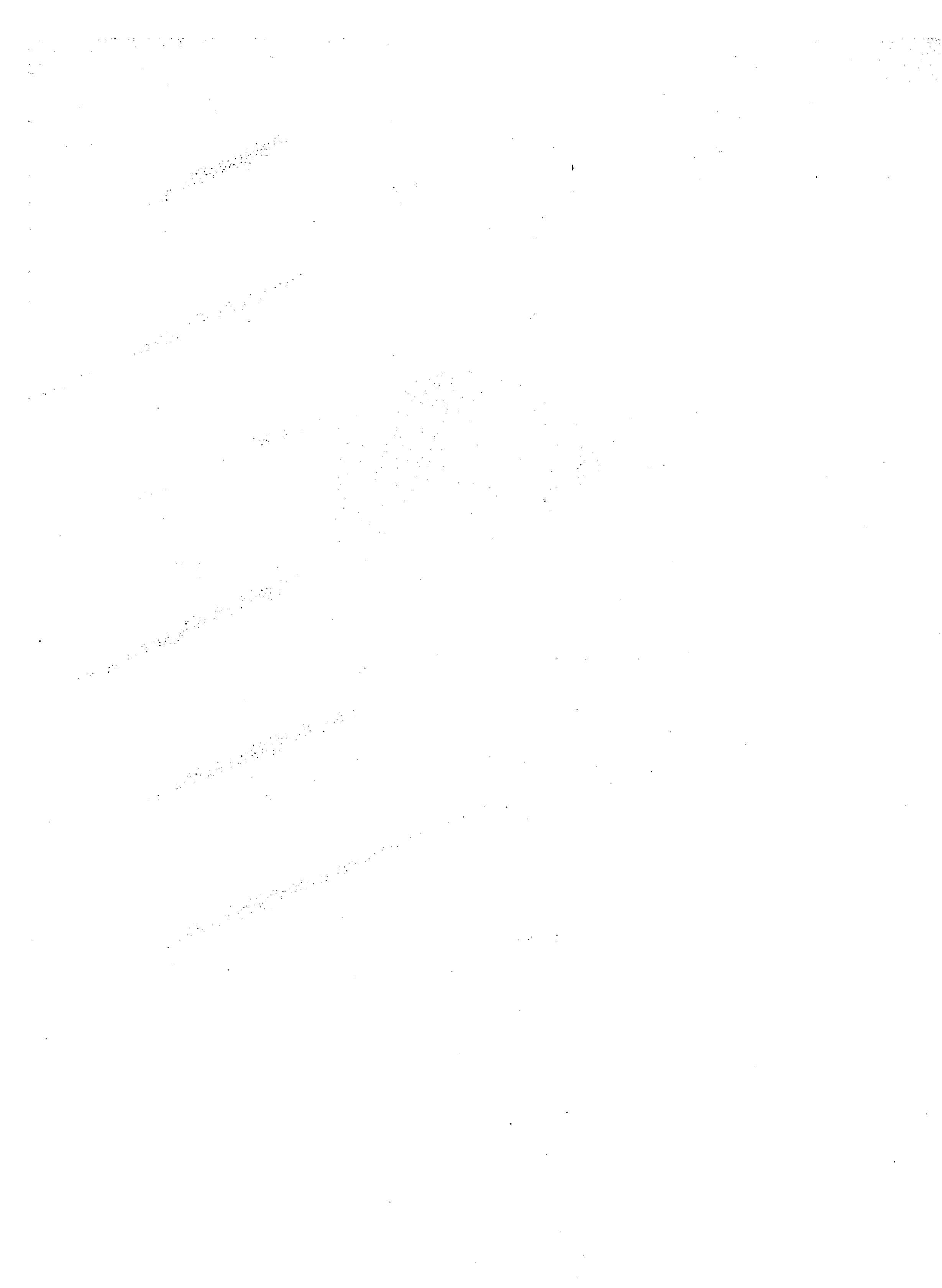
القصة الشعرية التي فازت بالجائزة الأولى
في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري
لسنة ١٩٥٠





الشاعر سنة ١٩٥٠

بريشة الفنان المبدع يحيى جواد



وكانت الأصوات تترامى من بعيد ،
كأنها منبعثة من جوف كهف عميق . . .

. . وعناقُ الأمواجِ في هدأة الليلِ ، وهمسُ النسيمِ فوقَ الضفافِ.
والمصابيحُ باهتاتٌ على الشطّينِ ، تنسلُّ بالضياء الغافي
من حنايا البيوت ، يُرجفهُ الموجُ فيخبو ، في رعشةٍ ، في ارتجافِ
بين أحضانِهِ ، يُكفّنهُ الليلُ بظلِّ النخيلِ ، والصّفصافِ . . !

❊

وبقايا الغيومِ في الأفقِ الشاحبِ تنسابُ في ذهولٍ خطاها
يومضُ البرقُ بينها ثمَّ يخبو ، ويهيمُ الظلامُ في منتهاها
برهةً تنطوي ، وينسربُ البدرُ هزيلاً ، يُضيءُ من مسراها
حيثُ تمضي فلا تعود ، وتبقى شاحباتُ الأضواءِ تقفو سُراها . . !

❊

وارتجافُ الأوراقِ يبعثُ في الصمتِ اختلاجاً ، ورعشةً في الظلالِ
وحفيفاً كأنَّ في شفةِ الليلِ سؤالاً . . . وتنثني بالسؤالِ
ثم ترتدُّ كي تبرحَ فلا تقوى ، فتبقى في حيرةٍ ، وابتهالِ
كلما هَمَّ صوتُها شَلَّهُ الصمتُ ، فأغفى على غصونِ الدّوالي . . !

❊

هكــذا كـانتِ المــدينــةُ يــطويهــا ظـــلامٌ داجٍ ، وصمتٌ مُــريبُ
ذلكَ البيت ، كان في كلّ سقفٍ منـهُ عينٌ ، وكــلُّ بــابٍ رقيبُ
حينمـا انســلَّ منهُ طيفـان يقفـو . . وقـعَ خــطوَيهما مصيــرٌ رهيبُ
ثمَّ غـابا في حلكةِ الليـلِ كـالـطُّهرِ بصـدرٍ تعـجُّ فيـهِ الـذنـوبُ . . !

*

ذلــكَ البيت . . كــوَّةٌ جَحـفظتْ فيهـا عيــونٌ تلظى بـهـا الآثـامُ
جـمعتْ كــلَّ مجـرمٍ نــاذرٍ للشــرِّ نفســاً عفـافُهـا إجـرامُ !
من أبٍ ميِّتِ الضميـرِ ، وأمٍّ ألـهبتْ نــارَ حقـدِهـا الآلامُ
وأخٍ كــانَ بـؤرةَ الإثـمِ في البـيت ، تُــذكّيـهِ شهــوةٌ وعــرامُ

*

بينَ تلكَ الشرور . . في منبعِ الإثمِ ، وفي معـركِ الريـاحِ السَّوافي
فــاحَ عـطرٌ ، وأينعت زهــرةٌ سكــرىٰ بفيضٍ من الغــرامِ الصــافي
مَــزَجَ الحبُّ عـطرهــا بندىٰ الــطُّهر ، ورَوَّاهُ بــالتقى ، والعفـافِ
فـزَهتْ رغمَ ثورة السـافيات الهـوج ، رغمَ الهجيـر ، رغمَ الجفـافِ

*

حلوةٌ كالهُيام ، نشوىٰ كثغرٍ ذابَ في قُبلةِ الغرام الأولى !
كخيالاتِ شاعرٍ في ذهولِ الوحي ، ما زال جفنُهُ مسبولا !
طفلةَ المقلتَين ، يندىٰ حياءً كلُّ عضوٍ منها ، تقياً ، خجولا
كمحبٍّ يودُّ لو قالَ : أهواكِ .. ولكنْ يأبى التُقى أنْ يقولا !

❋

أينعتْ والأسى يُكفِّنُ مأواها ، ويقسو جورُ الليالي عليها
كلَّما لاحَ للأماني وميضٌ أطْفأتهُ الأيامُ في مُقلتيها !
كلَّما أترعتْ ، مع البؤسِ ، كأساً « حُطِّمتْ كأسُها على شفتيها » !
وحنانُ الآباء، يا ليتها تعرفُ معنى الحنانِ من أبويها

❋

ما لتلكَ النفوسِ قد ثملتْ بالإثمِ في كأسِ شهوةٍ مجنونهْ
ما لتلكَ الأبصار ليستْ ترى البؤسَ المسجّى في النظرةِ المسكينهْ
ما لتلكَ الأسماعِ سُدَّتْ عن الآهاتِ ، عن صرخةِ القلوب الطَعينهْ
أعينٌ لا ترى سوى لمعةِ التِّبرِ ، وسمعٌ لمْ يهوَ إلّا رنينهْ !

❋

أجمعوا كلُّهم على دفنِ ذاكَ النُّبلِ حياً ، في مَيعةٍ من صباهُ
ذاتَ ليلٍ تواطأوا أن يَبيعُوها لشيخٍ فانٍ ، يُزكّيهِ جاهُ
أطفأَ التِّبرُ ضوءَ عينيهِ حتى لم تعدْ تُبصرُ الثرى عيناهُ !
وتداعت عظامُهُ ، وكأنَّ الموتَ فيها تمشي حثيثاً خُطاهُ !

❋

كانَ ليلٌ ، ورهبةُ الصمتِ تسري في دروبِ المدينةِ الخرساءِ
الظلامُ الكئيبُ يرقبُ في يأسٍ طلوعَ النهارِ بالأضواءِ
وصفاءُ السَّماء يعكسُ دنياً من نجومٍ يرجفنَ فوقَ الماءِ !
وإذا بالظلامِ ينشقُّ عن طَيفَينِ في ذلكَ الطريقِ النائي

❋

مَنْ يكونان ؟ .. همسةٌ أرجفَت الليلَ صداها ، وانسابَ في الظلماءِ
فترامتْ من كلِّ فجٍّ تهاويلُ سؤالٍ ، مبحوحةُ الأصداءِ
مَنْ يكونان ؟ مَنْ يكونان ؟ .. واصطكَّتْ شفاهٌ على بقايا النداءِ
ثُمّ دَوّتْ في الليلِ قهقهةٌ عظمى ، وصوتٌ يقولُ باستهزاءِ :

❋

أيها الهاربانِ من قدسِ إبليس ، ومن هيكلِ اللظى ، والدُّخانِ
إضربا حيثما تشاءانِ في الأقطارِ بَحثاً عن رأفةِ الرَّحمنِ
سوفَ لنْ تُبصرا على الأرضِ إلّا نارَ إبليس ، في دمِ الإنسانِ !
أيها الخارجانِ عن طاعةِ الشيطان ، بُوءا بلعنةِ الشيطانِ !

❊

أيُّ ليلٍ كأنَهُ شهوةُ المجرمِ يلظى فيها سعيرُ الشرورِ
قاتمٍ لا يكادُ يومضُ في آفاقِهِ السُّود بارقٌ من نورِ !
وفَحيحُ الرياحِ بينَ الوريقات ، كأنفاسِ مُجهَدٍ ، مَصدورِ !
وخُطى العابرينَ في كلِّ دربٍ كدبيبِ الفناءِ بين القبورِ !

❊

النجومُ المضناةُ تَتّسعُ الأضواءُ فيها ، كأنَّها أحداقُ
جاحظاتٌ تدنو رويداً رويداً في اتّساعٍ يشيعُ فيهِ احتراقُ
ثمَّ تغدو كُوىً من النارِ للصَّمتِ عليها ، وللدُّجى إطباقُ
أينما أوغلا أطلّتْ وفيها مثلَ لون الدّماءِ فَيضٌ يراقُ !

❊

وحفيفُ الأوراقِ يعبثُ بـالصَّمت . . وتشتـدُّ فيـهِ هـوجُ الـريـاحِ
فتحيـلُ الـدُّجى عـويـلاً مخيفـاً . كـجحيـمٍ يـضـجُّ بـالأرواحِ
وظِـلالُ الأغصانِ تُلوي بهـا الرّيـحُ ، فتبـدو في الضـوءِ كـالأشبـاحِ
كلَّمـا اشتـدَّتِ الـرّيـاحُ تلوَّتْ في أنينٍ كمثخَنٍ بـالجـراحِ !

*

كـلُّ شيءٍ يـوحي بلونِ الـدّمـاءِ بالمُدى ، بالجراحِ ، بـالأشلاءِ
كـلُّ مـا في الـدُّجى كهـوفٌ يُـطلُّ المـوتُ منهـا ، بضحكـةٍ صفـراءِ
المصـابيحُ ، والنجـومُ الدَّوامي وعـويـلُ الـرّيـاحِ في الـظلمـاءِ
حيثمـا وَجَّهـا العيـونَ تـردّى شَـبـحٌ إثـرَ طعنـةٍ نجـلاءِ !

*

الصبـاحُ الـوليـد ينشـرُ في الأفقِ جنـاحينِ مثـلَ لـونِ الـذُّبـالِ
ثمَّ يمتـدُّ ضـوؤهُ ، يغمـرُ الآكـامَ ، والنهـر ، والـرُّبى ، والـدّوالي
فتـدبُّ الحيـاةُ بين المـويجـات ، وفـوق الغصـون ، فـوقَ التـلالِ
وتفيـقُ الـدّروب تـدفن بُـقيَـا حُلُم الأمسِ في مَطاوي الليَالي !

*

ثمَّ هاما لا يلويان على شيءٍ ، غريبَينِ في ديارٍ قصيّه
وأطلّا على قُرىً آنسَا فيها خُلوّاً من العيونِ الخفيَّه
فاستقرّا وملءُ نفسَيهما من فَزَعِ الأمسِ ما تزالُ بقيّه
بين تلكَ الأكواخِ كوخٌ صغيرٌ ضَمَّ جسمين في فراشٍ سويّه !

*

وأفاقَ الصباحُ ينسجُ حولَ الكوخِ ثوباً مموَّجَ الأضواءِ
فتعالىْ صوتُ العصافيرِ في الكوخِ يُبشِّرنَهُ بعطفِ السّماءِ
وأطلّتْ من الثقوبِ على الزّوجينِ بُقيا أشعةٍ نعساءِ
فاستفاقا وفي العيونِ انكسارٌ وعلى الوجنتَينِ لونُ الحياءِ !

*

خُطواتُ الزمانِ تطوي الليالي وتجوبُ النهارَ إثرَ النهارِ
الشهورُ العجلىْ تمرُّ كطيفٍ عابرٍ من ثُوَينياتٍ قصارِ
وعلى الكوخِ بسمةٌ ما طَوَتها عادياتُ الأيامِ والأقدارِ
وصفاءٌ في مقلتَيْ كلِّ مَنْ فيهِ ، وعطفٌ من كلِّ خلٍّ وجارِ

*

ذاتَ فَجْرٍ ، والأُفْقُ ما زالَ لم يلفظْ من الشمسِ غيرَ قوسٍ هزيلِ !
وسَـــوادُ الـدُّجىٰ على حُمـرةِ الضـوءِ دخـانٌ على بقـايـا فَتيـلِ !
والسكونُ العميقُ غافٍ على الأمواجِ ، والدَّوحُ في انتظارِ الهَديلِ !
وإذا صَـرخـةٌ يُهـدهـدُهـا الكـوخُ بشيـراً بفجـرِ عهـدٍ جميـلِ

❊

كـانَ طفـلاً كـأنَّـهُ بَسْمـةُ الـوَرد ، وطهـرُ النـدىٰ ، وقلبُ العـذارىٰ
كـأماني العشّـاقِ ، كالحُلُمِ المعبـود ، كالشّـوقِ في قلوبِ الغيـارىٰ
كالهوىٰ المستبدِّ ، كالوحي ، كالإيمـانِ ينسابُ في نفـوسِ الحَيارىٰ
رَفـرَفَتْ حـولَـهُ سعـادةُ قلبَينِ يهيمـانِ حَـولَـهُ حيثُ سـارا !

❊

وتمـرُّ الأيـامُ تحتضِنُ الـطفـلَ ، كـأبهىٰ مـا تحضنُ الأيـامُ
أمـلاً تبسـمُ الـطفـولـةُ فيـهِ عن رؤىً مـلءُ طيفِهِنَّ ابتسـامُ
شاعَ في الكـوخِ غنـوةً تَنعسُ النجـوىٰ عليهـا ، ويحلمُ الإلهامُ !
فـإذا الكـوخُ بسمـةٌ ليسَ تفنىٰ وحيـاةٌ كـأنَّـهـا أحـلامُ

❊

في غروبٍ ، والشمسُ تنزعُ في الأفقِ كما ينْزعُ السِّراجُ الخابي !
كانتِ الأمُّ في انتظارِ إيابِ الزَّوجِ تلهو بالطفلِ عندَ البابِ
ما الذي عاقَ زوجَها ؟ هوَ ما عوَّدَها قبلَ ذاكَ طولَ الغيابِ
ويعودُ الصوتُ الصغيرُ يناديها لتُرضي فضولَهُ بجوابِ

❊

قالَ : أمّاهُ ، كيفَ جئتُ الى الدُّنيا ؟ وفي بيتِ مَنْ عثرتمْ عَليّا ؟
فأجابتْهُ وهي تضحكُ : يا طفلي ! أما قلتُ لستَ تفهمُ شيّا ؟
قالَ أمّاهُ لِمْ ؟ لقد قلتِ لي بالأمسِ : أصبحتَ كالرجالِ فتيا
ثمَّ أخبرتِني بأنّيَ أذكى من أبي حين كانَ مثلي صبيًا !

❊

يا لها حجّةً ، وضمَّتْهُ في عنفٍ إلى صدرِها ، وذابتْ عليهِ
قُبلاً تُدركُ الأمومةُ معناها ، على ثغرِهِ ، على مُقلتيهِ
ولدي ، يا خيالَ أمسي ، ويا رؤيا غدٍ لنْ أكفَّ أصبو إليهِ
إسألِ الكوخَ ، لو يُحسُّ جمادٌ لروى كَمْ حواكَ في جانحيهِ

❊

سَلْهُ كَمْ لـيلةً سَـهـرتُ أناجيـكَ وأنتَ انفـلاتَـةٌ فـي خيـالـي
عن أغانٍ بالأمسِ ساءلتُ عنكَ الليـلَ فيهـا ، وقـد أجـابَ سؤالي
فتململتَ في دمي ، فـاسأل الأعـراقَ ، سَلْهـا عن حيـرتي وابتهـالي
سَلْ شعورَ الأنثى إذا مـا أحسَّتْ   أنْ ستغـدو أُمـاً بُعَيـدَ ليـالٍ !

❊

كـانَ قلبي يكـادُ يَغـرقُ فـي فَيضٍ مـن الأمنيـاتِ بيـن ضلوعـي
كمْ تَبَسّمتُ والبُكـا مـلءَ عينيَّ ، وغنَّيتُ والأسىٰ فـي دمـوعي ! :
إعصفي بي كمـا تشائينَ يـا أقدار ، لَنْ تُـطْفئي سنىً من شمـوعي !
أمـلٌ بينَ أضلعي أتحـدّاكِ بـأنْ تُـطفئيـه ... لَنْ تستـطيعي .. !

❊

ثمَّ أشرقتَ ملءَ ظُلمةِ كـوخي   وتململتَ خلجـةً في سكـونِـهْ
كـانَ فيـهِ الحنينُ والعـطفُ لكنْ   أنتَ ذكَّيتَ مـا خَبـا من حنينِـهْ
كنتَ في وحدتي سميري ، وسلوىً   لأبيكَ الواهي القوى في شجونِهْ
كَمْ لـوتْهُ الأيـامُ فـانفَلتَ الـدَّمـعُ ، فكفكفتَ دمْعَـهُ من عيونِـهْ !

❊

ولـدي أنتَ ، لم تكنْ قبلَ هـذا الكـوخ فتَّحتَ للسَّنى نـاظرَيكـا
لـم يُنبِّهـكَ قبلهُ قبَسُ الفجـرِ ، ولا أطبقَ الكـرى جفنَيكـا
وتنفَّستَ ، لم يكنْ لـكَ من أهـلٍ سـوانـا . . سَمَّيتَنـا والـدَيكـا !
كـلُّ حيٍّ يـا ابني لَـهُ مثلنا أهـلٌ ، يـراهم كمـا تـرى أبـوَيكـا

*

قـالَ : أمَّاه ، إن يكنْ مثلمـا صَـوَّرتِ ، كـلُّ امرىءٍ لَـهُ والـدانِ
ليسَ يحيـا بفـقـدِ عَـطفِهمـا إلاَّ حيـاةً فـي ذِلَّـةٍ وهَـوانِ
أيـنَ أمـاهُ والـداكِ ؟ لـمـاذا لـم يـكـنْ لـي أبٌ كـبيـرٌ ثـانِ ؟!
لَروى لي في الليلِ أقصوصةَ السُّعلاةِ ، والذئب ، وابنـةِ السلطانِ !

*

يا لَذكـرى الماضي ، سؤالٌ بـريءُ القصدِ لم تـدرِ ما حَـواهُ الطفـولَهْ
غيرَ شوقِ الـطفلِ المُلحِّ إلى التَّسـآلِ عن كـلِّ ما يُـرَوِّي فضـولَـهْ
وتـراءى طيفٌ من الأمسِ ، الآلام ، والبؤس ، والأمـاني الـذَّليلَهْ
والغـا في دمـائِهـا شبـحُ الإجـرام يحيـا على رمـامِ الفضيلَهْ !

*

لحظةً لم يُطقْ ، فهَمَّ بأنْ يسألَ لكنْ ، كانتْ يَدٌ فوقَ ثَغْرِهْ
لم تُطِقْ للسؤالِ صبراً فقد ساءَلَ حتى ضاقَتْ بهِ وبهَذْرِهْ
وأشاحتْ بوجهِها هَرَباً من نظرةٍ كانت السؤالَ بأسرِهْ !
فإذا عينُها تَسَمَّرُ في جسمٍ مخيفٍ سَدَّ الفضاءَ بصدرِهْ

❊

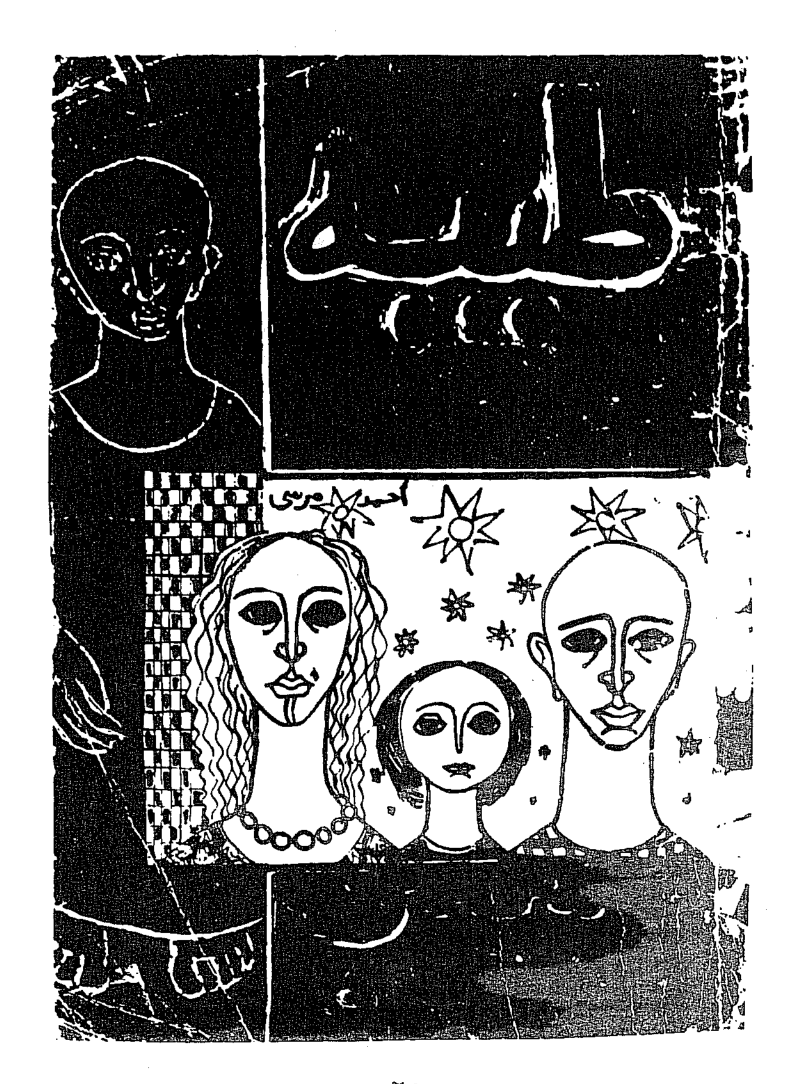
لمعةٌ أبرقتْ ، وأُطلِقَ صوتٌ وتوارى نصلٌ خلالَ ضلوعِ
ثمَّ عادَ البريقُ أحمرَ تنسابُ عليهِ دماءُ قلبٍ صريعِ
ويفيضُ النَّجيعُ من طعنةِ النَّصلِ على وجهِ طفلِها المفجوعِ
فإذا صرخةٌ يُقطِّعها الرُّعبُ تلاشَتْ بينَ الدِّما والدُّموعِ

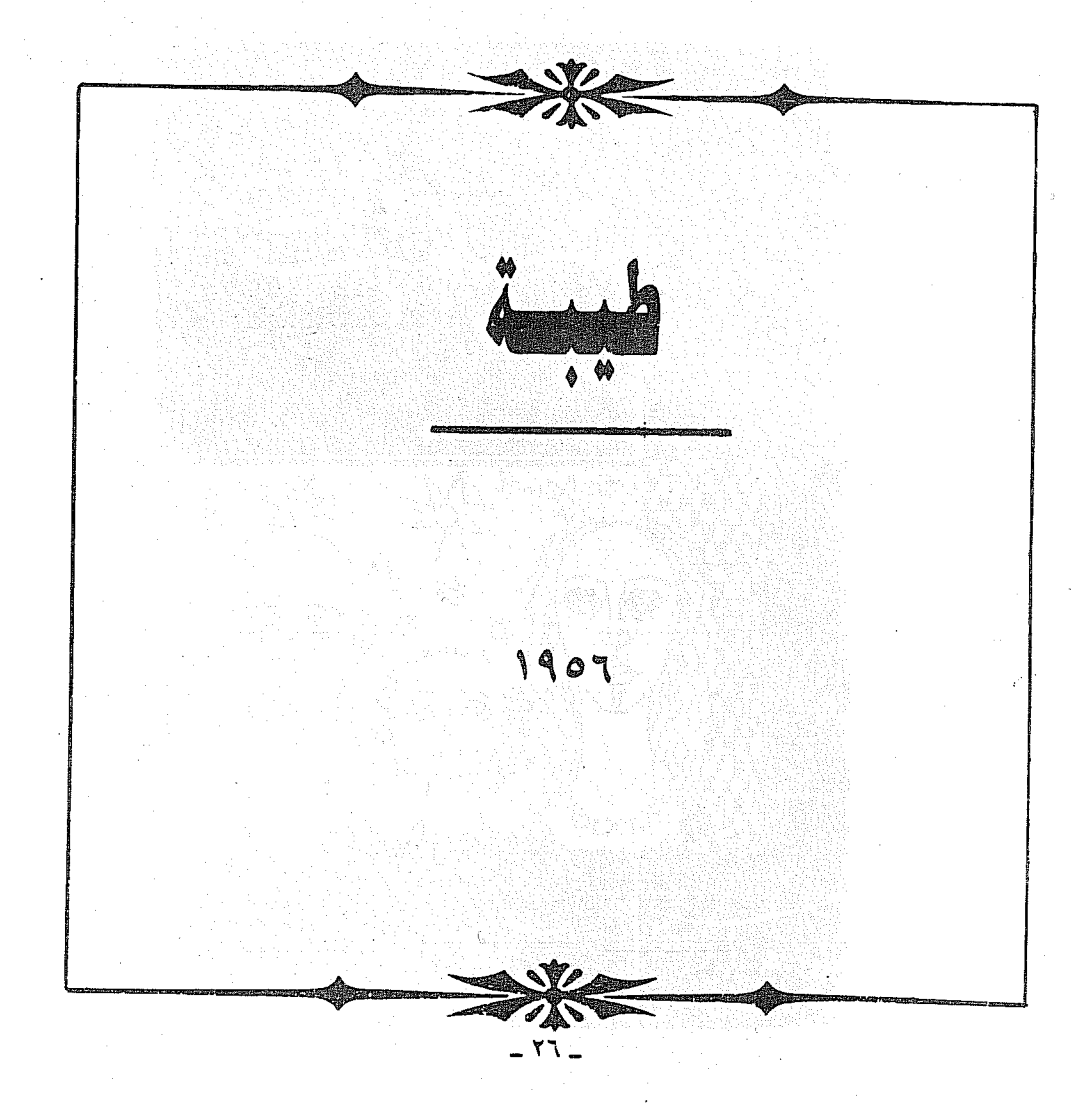
❊

لا تَخَفْ ، لا تخفْ بُنيَّ فذا جَدُّكَ يرعاكَ مثلما قد رَعاني
سوفَ يروي لكَ الأقاصيصَ في الليلِ عن الذئبِ ، وابنةِ السلطانِ
وانطفَتْ روحُها . . . إذا برجالٍ فوقَ أكتافِهِم قتيلٌ ثاني !
ثمَّ دَوَّتْ في الليلِ قهقهةٌ عظمى ، وصوتٌ يَموجُ كالطوفانِ :

❊

أيُّها الهاربانِ من قُدسِ إبليس ، ومن هيكلِ اللظى والدُّخانِ
هذهِ شِرْعةُ العفافِ ،خُذاها واخرُجا من هياكلِ الشيطانِ
أرضُ إبليس لا يُدنِّسْ ثَراها بعد هذا الهوىٰ عفافٌ ثانَ !
سوفَ يبقى الشرُّ العظيمُ عليها ما ثوى الإثمُ في دَمِ الإنسانِ . . !


أحمد مرسي



طيبة

١٩٥٦

مقدمة

غمرتني ـ وأنا أكتب هذه المقدمة لديوان صديقي الشاعر الموهوب عبدالرزاق عبدالواحد ـ طيبة ـ ذكريات عزيزة على نفسي ، ذكريات أيامنا في دار المعلمين العالية عام ١٩٤٩ يوم كان عبدالرزاق يقرأ لي أكثر قصائده التي كان يكتبها ، فكنت أرضى كل الرضا عن بعضها وأسخط بعض السخط على بعضها الآخر ، وكنت أتوسم في شاعرها منذ ذلك الحين الموهبة !

ودارت بنا الأيام وتخرجت من دار المعلمين وتركت صديقي وهو يواجه مصيره وحده أمام : الزمن والنقد والنضال (من أجل الحرف الملون والقافية الشرود) وكنت أتتبع أخباره بشوق وأنا ألعن الليل وأغني لمصباحي ولمصابيح أخواني الشعراء في وحشة انتظاري وأعماق أرقي وحبي . ولكن الشيء الذي حدث ان أخبار صديقي الشاعر قد انقطعت أو كادت بعد تخرجه .

نحن الآن في عام ١٩٥٦ وما كان عام ١٩٤٩ وما تلاه من سنوات إلا حلماً أخضر بالنسبة لي ولاخواني الشعراء ، حلماً أخضر بالشمس والسنابل والحصاد . . . .

فأين هو مكان عبدالرزاق في قصائده هذه بين كثيرٍ من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة.

لأجل الحقيقة والتاريخ أقرر هنا ان أكثر هؤلاء الشعراء لم يكونوا بل لم نسمع بأسمائهم أو انهم كانوا في بداية الطريق يوم بدأ شاعرنا في نظم الشعر. فما هي أسباب عدم ذيوع اسمه وانتشار شعره على نطاق واسع مثلما ذاع وانتشر شعر الآخرين إذن ؟؟. . .

أعتقد ان شاعرنا ــ هنا ــ مسؤول بعض المسؤولية أولاً فقد كان باستطاعته أن يدرك ان الشاعر قد كُتِبَ عليه أن يناضل من أجل مكان تحت الشمس وان يصنع مصيره هو بنفسه. ويقع اللوم على مجلاتنا ثانياً ، التي لم تفسح لشعره حيزاً وهي التي اعتادت أن تنشر الكثير من تافه الشعر في أكثر الأحيان. وعلى أيامنا البشعة هذه التي لا تتيح للموهوبين منّا حياة كريمة يستطيعون فيها أن ينتجوا في جوٍ من الأمن والطمأنينة ، متحررين من العوز والفاقة التي كثيراً ما أخمدت مواهبهم.

إن ما استطاع أن يحققه عبدالرزاق في مجموعته هذه : انه استطاع أن يعبّر بشيء من الطلاقة واليسر عن هموم البسطاء من الناس ، وعن مخاوفهم وأعيادهم الأرضية وحبهم لكل ما هو جميل ومقتهم لكل ما هو هو قذر وبشع وكريه. . .

وبعبارة أخرى انه استطاع (أن يعبّر عن المضمون الذي يزهر على شفاه البسطاء).

« الحياة أغنية جميلة » رغم ما في كلماتها من لوعة وضياع ودموع هذا ما أوحته لي مجموعة (طيبة).

المجد لشعرائنا الذين يضيئون الدرب من أجل ثقافة عربية إنسانية.

١٩٥٦/٤/١٦ عبدالوهاب البياتي



اهـداء

لا أُومنُ بشيء إيماني بالإنسان.
والى أنبل ما في كل إنسان
الى الطيبة فيه
أهدي هذه القصائد.

عبدالرزاق عبدالواحد



طيبة

في قـريتي ، حيثُ تموتُ البـذورْ
وحـيـثُ لا يُـزرَعُ إلّا الـقـبـورْ
وحيثُ تـلهـو بـرؤوسِ الـورىٰ
كلُّ الخرافـاتِ ، وكـلُّ الشـرورْ
حيثُ يعيشُ الـنـاسُ من دونِ دورْ
أقـواتُهُم مـا في الثَّرىٰ من جُـذورْ
وحيثُ يَقسـو ، ويجفُّ الشّعـورْ
وتَـجـأرُ الأنـفُسُ حـتى تـثـورْ

في قـريـتي ، وكلُّهـا تَـجْـهَـلُ
بُحيرةٌ يـؤنـسُـهـا جـدولُ
تَسقي الـوريْـداتِ التي تُهـمَـلُ
والـطـيرَ ، والـوحشَ ، ولا تبخَلُ
لـم يَتَمـوَّجْ حـولَـهـا سُـنبـلُ
ولـم يـبـارِكْ أرضَـهـا مِـنْـجَـلُ
لكنَّهـا في صَمْتهـا تَعـمَـلُ . . .

مندلي ١٩٥١

وأتى المساءْ

كان الصغارُ يُعربدونْ

يتراكضون ويضحكونْ

فَتَفَجَّرتْ يدُ أُمِهِم وهَوَتْ عليهم في جنونْ

ويُتمتمُ الأبُ وهو يَرقُبُهم وهم يَتصايحونْ :

يا أشقياءْ

حتى على الضَّحِكِ الرَّخيصِ تُحاسَبون وتُضرَبونْ ؟

أَفَذنبُكُم أنّا نجوعُ وأنَّكُم لا تَفْهَمونْ ؟!

مندلي

١٩٥١

أقرباء

مـا دامَ مَـن حـولَنـا
لـم يُبقِ شيئـاً لَنـا
فـإنْ رأيـتَ الـسّـنا
يـشـعُّ رِفقـاً بِـنـا
فـلا تَقُـلْ : لي أنـا
يُنيـرُ هـذا الضِّيـاءْ
فـكـلُّنـا أقـرِبـاءْ

إنْ لـم يكـنْ لي وِقـاءْ
يـدفـعُ عني الشتـاءْ
ثـمَّ رأيـتَ الـسّمـاءْ

يمــوجُ فيـهــا السنىٰ
فـيحـضـنُ الأشـقـيــاءْ
فــلا تـقــلْ : لي أنــا
فــكــلُّنــا أقــربــاءْ

إن هَمَّ لَفْــحُ الهَجيــرْ
وأنــتَ مـثـلي فـقـيــرْ
وكــانَ ظــلٌّ صـغـيــرْ
يـلوحُ فـي مُـنـحــنـى
فــلا تـقــلْ : لي أنــا
لأنّــنــا كــلّنــا
فـي فقــرِنــا أقــربــاءْ

رأيـتُ أُمِّي تـجـوعْ
حتى تجولَ الـدمـوعْ
في عيـنِهـا الـوادعـهْ
فلم أجـدْ في الضلوعْ
غيـرَ أنينِ الجـمـوعْ*
فـكـلُّهـا جـائـعـهْ

أرى أبـي في الـخيـالْ
يكـدَحُ بين الـرِّمـالْ
كـأنَّـهُ فـي قـتـالْ
أراهُ فـي كـلِّ حيـنْ
فـأذكـرُ الـبـائسيـنْ
الـمُجـهَـدينَ الـذيـنْ

(*) البيتان محذوفان من قبل الرقابة بالأصل.

يُقَطِّرونَ الدِّماءْ
في غُربةٍ، في انزواءْ
أذكرُ أنّا سَواءْ
وأنَّنا أقرباءْ!

مثلُكَ، مثلُ الجَميعْ
أنا شقيٌّ صَريعْ
فإن رأيتَ النَّجيعْ
غداً على المطلعِ
فلا تقلْ:
مصرَعي
لونَ هذا الضياءْ
فكلُّنا في الدماءْ
أقرباء

بغداد

١٩٥٠

(*) المقطع بمجموعه حذفته الرقابة في الأصل.

لا بدّ أن نعيش

إن اظلَمَ الطَّريقْ
فلا تَخَفْ ، فكلُّ خطوةٍ لمنتهاهْ
أضاءَها صديقْ
أنظرْ إليهم . . دَمُهُم ما زال في ثراهْ*

سمعتُ مَنْ يقولْ
« إنَّ فلاناً مُثقَلٌ بسبعةٍ صغارْ
فما لَـهُ يَسيرْ ؟ . . . »

---

*) حذفته الرقابة في الأصل.

ما برِحَتْ تجولْ
ملءَ حياتي كلَّما أُسقِطَ في يدي
عَينا أخي الصغيرْ
يضجُّ فيهما سؤالٌ يسحقُ الضَّميرْ :
« أَمَّنتَ لي غَدي ؟؟ »
فأنثني ، تكادُ كفِّي تَحطِمُ القَلَمْ
لا بدَّ أنْ يَعيشْ
لا بدَّ أن لا يَلتوي مثلي من الألَـمْ
وأقطعُ الطريقْ
ولا أعي أنَّ دمي في دربيَ انتشَرْ
لا بدَّ أنْ يعيش كالبَشرْ
مبتسماً طليقْ
لا يعرفُ الحرمانَ والعذابَ والأَنينْ
فما تُريدُ من أبي سبعةِ سائلينْ . . ؟؟

ما زلتُ حينَ أمسِكُ القلَـمْ
أُبصرُ أُمّي وأُخيّاتيَ في قَلَقْ
يَنْظُرْنَ للورَقْ
وربَّما يقطعُ هَمسُ أُمّيَ الكئيبْ
سكوتَنا المُريبْ
أسمعُها تقولُ للصِّغارِ في حَذَرْ
كأنَّها تخافُ أنْ أسمعَ ما تقولْ :
« قالَ لَـهُ الطَّبيبْ
ما زلتَ في خطَـرْ
لا بدَّ أن تَهْدأَ أو يستفحلَ المرَضْ . . »
وإذْ تَراني ساكتاً يعصرُني الألَـمْ
وقبضَتي تَشدُّ في عُنفٍ على القَلَمْ
تَخرجُ بانكسارْ
وتُخرِجُ الصِّغارْ

أفهمُ ما يجولْ
في قلب أُمّي عندَما يخيِّمُ الذّبولْ
في وجهها وهي تراني يأكل المرضْ
جسمي ولا تَقوى على شيءٍ سوى الدموعْ
أفهمُ ما يَروعْ
صغارَها ، ثمَّ يخطُّ الحبرُ في ثَباتْ :
مَـنْ استكانَ ماتْ
ومَـنْ أرادَ أن يعيشَ أعجَزَ الجحيمْ
عن سَلْبِهِ الحياة . . !

بغداد

١٩٥٦

دم الآخرين وحق الحياة

«الى المناضلين الأحرار في المغرب العربي»

فرنسا اذكُري ، لمْ يزلْ للطُّغاةْ
طغاتكِ بالأمسِ ، ظلٌّ ثقيلْ
عليكِ ، وما بَرِحَ الباستيل
رُكاماً يذرُّ بوجهِ الحياةْ
ووجهِكِ ، من أمسِكِ المُظلمِ
رمالاً مشبَّعةً بالدمِ
دمِ الأبرياءْ . . .

فرنسا اذكُري ، كلُّنا أقرباءْ
وهذي الدماءُ كتلكَ الدِّماءْ
وما هَـدَّ ذاكَ الجدارَ الرَّهيبْ
من الدّمِ فيكِ ، وما زَلزَلَـهْ
وما أنزَلَ المِقْصَلَـهْ

على عُنُقِ الجَورِ فيكِ وما حوَّلَ المهزَلَـهْ
الى ثورةٍ وانتصارْ
فرنسا اذكُري الشَّعبُ ثارُ
وشعبٌ لشعبٍ قريبْ
وفي كلِّ شعبٍ لهيبْ
إذا جُنَّ شَـدَّ العُرىٰ
وهَـزَّ أذَلَّ العبيدْ

فرنسا اذكُري قيصرا
وطغيانَ عبدالحميدْ
وما زالَ وَسْمٌ لهتلرَ في أرضِـكِ المُـثْـقَـلَـهْ
تُرىٰ ما الذي حَـوَّلَـهْ
الى منعةٍ واعتداءْ ؟

تَـعوَّدتِ أنْ تَغْرَقي بالدماءْ
فرنسا ، إذا كانَ هذا الفِداءْ
وقَـصَّـرَ شعبٌ فما أَبْـخَـلَـهْ !

سيفهَمُ جُندُكِ مَعنى الكفاحْ
ويفهَمُ أنَّ ارتزاقَ السِّلاحْ
جبانٌ أمامَ الدَّمِ
أبيدي ، اسجنِي ، هَـدِّمي
فجيشُكِ ليسَ كجيشِ التَّتَرْ
ولا فيكِ نيرونُ يهوي البَـشَـرْ
على قدميهِ . . هو ابنُ الإلَـهْ
ولكنْ ، ولكنَّ شيئاً سواهْ
إلهاً سواهْ
أطاحَ بهِ في حضيضٍ مهينْ .
فرنسا اسمَعيها مِنَ الآخرينْ
دمُ الآخرينْ
وحقُّ الحياهْ . . .

بغداد ــ ١٩٥٦

بشير [1]

بشيرْ
يا مَلجأي الأخيرْ
مِنْ تعبِ العيشِ ومن كفاحِـهِ المَريرْ
يا طفليَ الصَّغيرْ
إنَّ أخاكَ مُتعَبٌ مبلبلُ المصيرْ
فاضحَكْ فقد تُريحُـهُ طفولةُ الضَّميرْ . . .

أتَفْهَمُ الجهادْ ؟!
إنَّكَ ما زلتَ صغيراً دونَ ما أرادْ
يُريدُ إفهامَـكَ شيئاً قبلَ أنْ يَزولْ
لو كنتَ تَنمو مسرعاً . . حتّامَ لا تَطولْ ؟ !

(١) أخو الشاعر وهو طفل في الثالثة من عمره.

لو كنتَ . . لا ، لا وقتَ يا طفلي . . أرى السّيولْ
سَتَجرفُ الدُنيا جميعاً قبلَما يقولْ . . .

الحلة ــ ١٩٥٤

ردّ على رسالة

إنْ كانتْ الحياهْ
أن نُطلِقَ الزَّفيرَ كي نستقبلَ الشَّهيقْ
وأن ننامَ مُثْقَلينَ ثمَّ نستفيقْ
لنجرَعَ الطَّعامْ
ونكدَحَ النَّهارَ كلَّه لكي نَنامْ
في الليلِ صامتينْ
فلا يَندُّ عن شفاهِنا سوى الأَنينْ
فإنَّنا نعيشْ . . .

إنْ كانتْ الحياهْ
أن نُفهِمَ الصِّغارَ أنَّهم إذا شَكَوا
لأنَّهم جياعْ

أو أنَّهم بَكَوا
لِلُعبةٍ لا يُدرِكُونَ أنَّها تُباعْ
بغيرِ ما لأهلِهم مِن طيبةِ القلوبْ
نُفهمُهُم بأنَّ هذي كلّها ذنوبْ
وأنَّ في الليلِ سَعالىٰ تأكُلُ الصِّغارْ
إذا بَكَوا . . وأنَّهم قد أغضَبُوا الإلَـهْ
إن كانتْ الحياه
كهذِهِ فاننا يا سيدي نعيشْ . . !

بغداد ـــ ١٩٥٦

الطفولة الخائفة

لا تَخْشَ يا طفلي الصَّغيرْ ، إنَّها السَّماءْ
ألا تَرى المطرْ ؟
أنظرْ الى الصغارِ يَلعبُونَ في العَراءْ
شِفاهُهُم زَهَرْ
يستقبلُ الرَّذاذْ
أَنظُرْ إليهم لا يخافونَ من البَريقْ
ولا مِن الرّعودْ
يَجرون في الطريقْ
وتَعلَقُ المياهُ بالثيابِ والشّعورْ
فَيَنسِلونَ كالعصافيرِ ويَركضونْ
وهم يُزقزقونْ
ألا تراهُم يَملأونَ الدَّربَ بالحبورْ

مثلُكَ هُم صِغارْ
يَنمونَ كالورودِ بالضياءِ والمطَرْ
وطيبةِ البشَرْ
مثلُكَ هُم صغارْ
فَفيمَ تخشى أنتَ بينَما يُصَفِّقونْ
للضوءِ والمياهْ

يا طفليَ الصَّغيرْ
لو كانَ هذا البرقُ ناراً تأكلُ الشِّفاهْ
وتحفرُ العيونْ
لو كانت الرّعودْ
قنابلاً تهوي فيهوي ذلك الجدارْ
فوق رؤوس هؤلاءِ الصِّبيةِ الصِّغارْ
لو قَطَراتُ الغَيثِ كانت كلُّها رَصاصْ
وغَصَّتْ الدّروبْ

بالنارِ ، بالأشلاءِ ، بالحجارِ والدِّماءْ
بالناسِ لا تَدري لأيٍّ وِجهةٍ تَلوبْ
فما الذي تفعلُ يا طفلي . . بِمَنْ تَلوذْ ؟
يحميكَ هذا الدَّمع ؟؟ ما أضعَفَهُ مَلاذْ
إنْ أُضرِمَتْ حولَكَ حتى اللُّعَبُ الصِّغارْ
يا طفليَ المَروعَ من تَساقُطِ الرَّذاذْ . . .

الحلة ــ ١٩٥٤

سطوح

. . . وَوَشَىٰ عَويلُ بناتِ آوى بالظلامِ وبالسّكونْ
فَتجاوَبَتْ مِن كلِّ بابْ
أصواتُ آلافِ الكلابْ
وَتَغلغَلَتْ تُلقي السَّلامَ على المَسامعِ والعيونْ

وعلى السطوحِ الواطياتْ
فوقَ الوَسائِدِ والمَفارِشِ ، تحتَ مروَحةِ القَمَرْ
كانتْ أحاديثُ السَّمَرْ
تَجْتَرُّ آلافَ المشاكلِ ، والمَشاهِدِ ، والصُّوَرْ . . .

ـ بالأمسِ ماتَ أبو فلانْ
إسمَعْ الى نَقْرِ الدَّرابكِ . . إبنُهُ عقَدَ القرانْ
أبناءُ هذا الوَقْتِ . . هه . . سُحقاً لهذا مِن زَمانْ !

ـ أَرأيتَ مَدرَسةَ البَناتْ ؟
رَوَت ابنتي أنَّ المديرةَ والحَريمَ الباقياتْ
يَسْأَلْنَهُنَّ : أَيمكثُ الجيلُ الجديدُ مُحَجَّباتْ ؟
سَتَمُوتُ في بيتي الفَتاةْ
لم يَبْقَ إلّا عِرضُنا ، حتى كلامُ اللهِ ماتْ . . !

وتثاءَبَ الأطفالُ ، ثمَّ هَوَتْ رؤوسُهُم الصِّغارْ
فوقَ الوَسائِدِ واستَراحوا
وعَلا نُباحُ
فانحازَتْ الصُّغْرىٰ ودَسَّتْ رأسَها بينَ الكِبارْ . .

وَعَلَتْ زَغاريدُ النِّساءْ
وتَتابَعَتْ أصداءُ إطلاقِ البنادقِ في الفَضَاءْ

وَهُنا ، على سطحٍ قريبْ
وعلى بَقايا كالأسِرَّةِ ، كانَ تَعليلُ غريبْ
لأُمورِ هذي الكائناتْ . . .

ـ نحنُ الشَّبابْ
لا بدَّ أنْ نَمْضي لِنُثْبتَ أنَّ تيَّارَ الحياةْ
أقوىٰ من المُتَعفِّنينْ
أقوىٰ من الخوفِ الحقيرِ ومِن دموعِ اليائسينْ
لا بدَّ أن نَمْضي ولوْ فوقَ الأسِنَّةِ والحِرابْ(*)
لا بدَّ مِن أن لا نَهابْ
شيءٌ عظيمٌ أنْ تُحاوِلَ . . أن ترى شيئاً عظيمْ
أن تستحيلَ الى دمٍ يغلي وقلبٍ مِن جحيمْ
شيءٌ عظيمْ
أن تُبْصِرَ الخَيرَ المُقدَّسَ في الطريقِ ، وفي البيوتْ
الّا ترى طفلاً يموتْ !
أو غادةً مثلَ الغُرابِ تَكَفَّنتْ جسماً وَرُوحْ
فكأنَّ ظاهِرَها على ما في سَريرِتها يَنوحْ !

(*) حذفته الرقابة في الأصل.

وتتابعَ الإطلاقُ ، وارتفعَتْ زَغاريدُ النِّساءْ
وتمَلْمَلَتْ أوصالُ إنسانٍ يُغَمْغمُ في استياءْ :
ـ لِـمَ لا . . دَعيهم يَضْحَكُونْ
أفليسَتْ الدُّنيا لهم يتخيَّرون ويَتركونْ ؟
مَـنْ أنتِ ؟ نامي دونَ ثرثرةٍ . . غداً يَتَذَكَّرونْ
هذي الحُثالةَ . .
ـ لا تُعربِدْ . . لستُ أجْهَلُ مَـنْ ان أكونْ
إنّي أحاولُ دُونَ جَدْوى أن أقرَّ وأَنْ أنامْ
ـ لِـمَ تَهْرفينَ إذَنْ ؟؟
ـ ألا تُلقي على هذي العِظامْ
شَيْئاً لِتَستُرَها ؟ أيُبقي شَكْلُها في مُقْلَتَيكْ
نوماً ؟ ألا حاوَلْتَ يوماً أنْ تُحِسَّ بما علَيكْ ؟
تَتزوَّجُونَ وتُنْجِبونْ
وَتُطالبونَ بأنْ نَزيد ، ويأكلونَ فتغْضَبونْ
مَـنْ لي بأنْ أُهديكَ أولاداً وليسَ لهم بطونْ !
ـ نامي وإلاّ نمتِ مُكْرَهةً . . غداً يَتَدَلَّلونْ

سيوزّعونَ اللحمَ ، سوفَ نذوقُ مِمّا يأكلونْ
سَنذُوقُ لحماً تَفْهَمينْ ؟
ـ أَجَلْ سَيَفْتَحُ ألفَ بابْ
عظمٌ غداً يُلقى إلينا . . سوفَ لا يَبْقى عَذابْ
عظمٌ سيَجْعلنا نهزُّ ذيولَنا مثلَ الكلابْ !
يَتَصدَّقونَ عليك . .
ـ ماذا ؟ إخْرَسي . . يَتصدَّقونْ ؟؟
أأنا ؟ عليٌّ أنا ؟ أنا « علوان » ، هم يَتَصدَّقونْ ؟؟
أنا يا بليدةُ مَـنْ يكدُّ . . أنا أكدُّ ويأكلونْ

وجرى عتابْ
وَتَسترَ القَمَرُ البريءُ كأنَّـهُ اسْتَحيى فغابْ
وسرى على كلِّ السطوحْ
طيفُ النُّعاسِ فأغْفَت النَّجوىٰ ، ونامَتْ كلُّ روحْ
وَبَناتُ آوىٰ في السُّكونْ
يُلقينَ أمواجَ السَّلام على المسامعِ والعيونْ . . .
مندلي ــ ١٩٥١

ســلّ

لِـمَ لا يَقُونْ
أجسامَهُم هذا العَناء ، أَما تراهم يَلْهَثُونْ ؟
عشرونَ يوماً ، لم يَحيدُوا ، كلَّ يومٍ يُقبِلُونْ
يَتَجَمَّعون هناكَ ثمَّ يُحَدِّبونَ ويَحفرونْ
عشرونَ يوماً ، يَحْفُرونَ ، ويلْهَثُون ويَسْعلُونْ
تلكَ الجنَازةُ . . قبلَ يومٍ كانَ صاحبُها هنا
كانوا كما هُم ، يَحْفُرونَ ويَلْهَثُونَ ويَسْعلُونْ
ورَأيْتُهُ لمّا دَنا
مِنْ فجوةِ القبرِ الصَّغيرةِ قبلَ أن يُحثىٰ التُّرابْ
فيها وتمتمَ . . إيهِ . . انَّ أباكَ يقرَعُ كلَّ بابْ
ويدورُ يَسْأَلُ كلَّ مَـنْ يَلْقى ، ويَنْتظِرُ الجَوابْ
لا تَكتئِبْ . . سَيجيءُ بعْدَكَ فَهوَ يَسعلُ في جنونْ

بل هُم جميعاً يَسْعلُونْ . .
وَحَثا التُراب . . وها هَوَ الأبُ في جموعِ الآخرينْ
يَحْثو التراب على الجنازةِ . . إنّه رجلٌ أمينْ
فلقدْ وَفىٰ دَينَ ابنِهِ . . وَلَهُ ، لَهُ أيضاً ديونْ
حَسناً . . سَيُوفي بعدَ حينْ
فهُمو جميعاً يَسْعلُونْ . . . !

مندلي ــ ١٩٥١

من حياتنا

أَدْري بأنَّكِ رغمَ هَوْلِ الدَّاءِ لا تَتكلَّمينْ
أَدْري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
وتُغالِطينَ المَوتَ خِشيةَ أن أراكِ . . أنا المريضْ
تَتَأَلَّمينْ . . .
أَدْري بأَنَّكِ تَنْزَعينْ
ويكادُ يَقْتُلُني ، أنا الخاوي اليَدَيْن ، أنا المَهيضْ
مَرْآكِ قُربي تَضْحَكِينْ
كَيْلا تُعَذِّبَني شَكاتُكِ . . ليتَ أَنَّكِ تَشْتَكينْ . .

ماذا بوسْعِكِ أنتِ يا أُمّاً لسبعةِ أشقياءْ
طَوَّفْتِ حتى بالحليبِ ، أعزَّ أيامِ الشتاءْ
تَتَخَبَّطينَ مع الشّروقْ

فوقَ الوحولِ ، وَنَعْلُكِ المَهروءُ يَوسِعُ مِنْ شُقوقْ
قَدَمَيْكِ . . . لَنْ أنسى رجوعَكِ ذاتَ يومٍ تَلْهثينْ
كُنّا جميعاً نائمينْ
فَقَبعتِ ، كي لا تُوقظِينا ، في سكونٍ تَنْشِجينْ
ونَهَضْتُ فانْقَطَعَ البكاءْ
فرأيْتُ بينَ الطينِ في قَدَميكِ آثارَ الدّماءْ . . .

ما زلتُ أذكُرُ كيْفَ قُلْتِ وأنت تُخْفينَ الدّموعْ :
لم أستطِعْ إخراجَ رِجلي والنِّعال من الوحولْ
وَخَشيْتُ أُبطىءُ في الوصولْ
قد يَغْضبونْ
إنْ أرجَعوا بيَدي الحليبَ فما عَساني أنْ أقولْ
لأولئكَ الأطفالِ إن أخفقْتُ . . ماذا يأْكُلونْ
فَتَرَكْتهُ ومضَيْتُ حافيةً فخانَتْني قوايْ
ووَقَعتُ . . فانْسَكَبَ الحليبْ
شُلَّتْ يَداي

ما خَانتاني قبلَ هذا اليوم . . أقدامي تَهونْ
لكنْ صِغاري ، والدروسُ تَطولُ ، ماذا يأكُلونْ؟

ما زلتُ أذكرُ كلَّ شيءٍ . . كيفَ كُنتِ تُردِّدينْ
الدَمعُ في عيْنَيكِ ، والنَّعلُ العَتيقُ دمٌ وطينْ
وتُرَدِّدينْ :
« لا لَنْ أبيعْ
طَوقي فما زالَ المُلَقِّحُ فَوقَ أعناقِ النَّخيلْ
تسعونَ يوماً والبَشيرُ يَلوح . . »[1]
والدَّرْبُ الطَّويلْ
تَنْسابُ مِنْ قَدَميْكِ في أطيانِهِ بُقَعُ النَّجيعْ

أدْري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
أدْري . . وأَدْري أنَّ أُختي ما تَزال على الحَصيرْ
تَرْنُو إلى كلِّ الوجوهِ ، ولا تَئِنُّ ، ولا تَقولْ

(١) من أغنية جنوبية باكية :
ما بيع طوكي والملكح بالنخل تسعين ليلة والبشير يلوح

وَتوقَّدُ الحُمَّى بأعظُمِها الصَّغيرةِ . . والذّبولْ
والضَّعف . . الضَّعفُ المخيفُ يَروعُ مَضْجَعَها الصَّغيرْ
لِفَراغِهِ وذبولِها . . لكنَّها لا تَسْتَجيرْ
تَتَوقَّدُ الحمّى بجبْهَتِها وَيَعْصرُها اللهيبْ
وتَجفُّ في صَمْتٍ كئيبْ
كورَيْقَةٍ سَقَطَتْ وجَفَّتْ مِنْ ورَيْقاتِ الخَريفْ . .
« الطفْلُ لا يَتحمَّلُ التّيفو فما بالُ الضَّعيفْ ؟ »
كُنّا نُردِّدُها وتَسْمَعُنا وتنظرُ في ذهولْ
نحوَ العيونِ المُحدِقاتِ ، ولا تئِنُّ ، ولا تَقولْ

أدْري بأنَّكِ تَنْزعينْ
وبأنَّ طفلَتَكِ الصَّغيرةَ ملءَ عينِكِ تَسْتَحيلْ
شَبَحاً يُلَوِّحُ بالرَّحيلْ
وأخي يُقطِّعُهُ السُّعالْ
سنتانِ . . عمرُ ليسَ يَدْفَعُ عَنْهُ آلاماً ثِقالْ
وأراكِ قُرْبي تَسْكُتينْ
أدْري بأنَّكِ تَنْزَعينَ وإنْ تكوني تَضْحَكِينْ

ماذا بوسْعِكِ أنتِ . . حتى الشَّيخ . . العَوْنُ الأَخيرْ
غامَتْ على عَيْنيهِ أهوالُ الحياةِ ، وما يَزالْ
يَسْتَنْزِفُ الضَّوءَ الأخيرَ بِمُقْلَتيهِ على الرِّمالْ
لِيَمُدَّ شيئاً في حياةِ المُبْصِرينَ . . هوَ الضَّريرْ

ما زلتُ أذكُرُ كلَّ شيءٍ رغمَ إيغالِ السِّنينْ
وأكادُ أُبْصِرُهُ ، وأُبصِرُ صَرْخَةَ الأمَلِ القَتيلْ
أملٍ قَطَعْتِ بِهِ السِّنينَ تُكافحينَ وَتَرقبينْ
شَبَحَ المُلقّحِ في النَّخيلْ
إني أكادُ أراهُ . . أبصرُ ذلكَ القلبَ الطَّعينْ
في مُقْلَتيكِ وأنتِ قربي رغمَ دائِكِ تَضْحَكينْ

أدري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
أدْري بأنَّكِ رُغمَ هَوْلِ الدّاءِ لا تَتَكَلَّمينْ . . .

السعدية ـــ ١٩٥٥

ميلاد في الموت

تَمُرُّ بي ثَوانْ
أُحسُّ فيها بفراغٍ يُشْبهُ الضَّياعْ
ها نحنُ لا أمانْ
لا قوتَ ، لا مصيرَ غيرَ الموتِ والسُّكونْ
أخي ، أُخَيّاتيَ ، أُمّي ، كُلُّهم جِياعْ
أُحِسُّ بينَهم جميعاً أنَّني مُهانْ
مُكَبَّلٌ ، جَبانْ
لُقمَتُهم سَلَبْتُها وقُلْتُ تَسعَدونْ
غداً سَتَسْعَدُونْ
غداً ، غداً . . يَلوحُ حتى غَدُنا خِداعْ
وَيُجْفِلُ الضَّميرْ

لستُ أعي شيئاً ولكنْ ، أشعرُ الدّموعْ
تجولُ في عَيْنَيَّ حتى تهدأ الضّلوعْ
فلا يعودُ غيرُ شيءٍ مُبْهَمٍ صَغيرْ

وبينما أسيرْ
ومُقْلتايَ تَرْقُبانِ النّاسَ في الطّريقْ
أُحسُّ بالحياهْ
أُحِسُّ أنّي أُحِبُّ كلَّ مَنْ أراهْ

أكادُ أسْتَوقِفُ إنساناً على الطّريقْ
لكي أُحَيّيهِ . . يكادُ دونَ أنْ أعي
يَنِدُّ مِن فمي نِداءٌ : أيُّها الصّديقْ
يا أصدقائي . . إنّكم . . إنّي . . ولا أقولْ
شيئاً ، وأمشي بينَهم وأدمعي تَجولْ
أُحسُّها تَجولُ في عينيَّ مِن جديدْ
لكنّني سَعيدْ . . .

بغداد ــ ١٩٥٦

في مندلي

« من ايام المرض »

وتثاءَبَ المقهى ، وأغلَقَ بابَهُ الخَرِبَ العَتيقْ
وخَلا الطريقْ
إلاّ مِن الكاوي يُثَبِّتُ قُفْلَ دكانٍ صَغيرْ
وصديقُهُ الحلاّقُ يَرْمقُهُ .. وشَحّاذٌ ضَريرْ
يَسعى كعادَتِهِ الى المقهى ، بقايا مِن عِظامْ
تَتسلّقُ التَّخْتَ العتيقَ وتَسْتَقِرُّ لكي تَنامْ ..

وَ أخَذْتُ دَرْبي في شرودْ
عيناي غارقتانِ في ذاتي ، وذاكِرَتي تَعودْ
بي للوراءْ ..
لي أصدقاءْ
ماذا تُراهُم يَفْعَلُونَ الآن ؟؟ ها هوَ ذا المساءْ
مَعْبودُ دنيانا هناكْ

كم شَدَّ أهواءً إليهِ وكم تَنَفَّسَ عن رَجاءْ
وكم التقَتْ فيهِ رَغائبُنا . . وكَمْ كنّا نَشاءْ

لي أصدقاءْ
لي جَنَّةٌ ضاعَتْ هناكْ . .

وانسَدَّ بابْ
وتَدحرَجَتْ كُرَتان خَلْفَهما أَبٌ وسَوادَتانْ
تَتَراطَنانِ وتَبْعُدانْ
وانْسَلَّ صوتُهُما رويداً ثم أبعَدَ . . ثم غابْ

لي أصدقاءْ
ما زالَ ملءَ دمي خيالُهُمُو ، وما زالَتْ هُناكْ
عينانِ تَلْتقيانِ سهواً بالعيونِ وتَهميانْ
فاتَ الأوانْ
انَّ الذي خِفناهُ كانْ
وارْبَدَّ صوتٌ : « لا أُريدْ

خُذْ طفلَكَ الملعونَ واترُكْني أَفِرُّ فلا أراكْ
لا أنتَ ، لا ابنَكَ ، لا أَباكْ . . »
عُودي . . فصاحَتْ : لا أُريدْ
ما دُمْتَ تُقْسِمُ كلَّ يومٍ ثمَّ تَسْكَرُ مِن جَديدْ . . ! »

وانْسَدَّ بابْ
وتسابَقَتْ جُثَثٌ وَأَيْدٍ ، والتَقَتْ ، وَعَلا سُبابْ
وَتَهافَتَ الأَعْوالُ شيئاً بعدَ شيءٍ ثمَّ غابْ . .

سُحْقاً لهم . . لِـمَ يَشْرَبُونْ
ما دَامَ هذا الكأسُ يَشْرَبُهُم ويشربُ ما يَعُونْ !

وَمَشَيْتُ في ضَجرٍ وَضِيقْ
رجلٌ صَفيقْ
أدمىٰ رُؤايَ وما أزالُ أسيرُ في بَدْءِ الطَّريقْ

ومضيتُ ألْعَنُ كلَّ شيءْ
قد كِدْتُ أُبصِرُ مُقْلَتيها
سُحقاً لها مِن بلدةً ولكلِّ مَن يحيا عليها !

وَتَصايَحَتْ بعضُ الكِلابْ
وأطلَّ وجهٌ ثمَّ غابْ
وَتَساقطَتْ « أهلاً وَسَهْلاً » مِن فَمي مثلَ السُّبابْ . . !

تَبّاً لَهُ ، ما زالَ نَفْسَ الشَّكل . . الطُّولُ البَغيضْ
والنَّظْرَةُ الصَّفْراء ، والأَنْفُ المُقوَّسُ ، والشِّفاهْ
كالقَرْحَةِ الزَّرقاءِ تَدْفعُ للتَّقزُّزِ مَـنْ رآهْ
وَيلُمَّ مَـنْ وَلَدَتْهُ هَل وَجَدَتْ بِمَذْأبةٍ أباهْ ؟!

حَقاً مَريضْ
منذُ الصَّباحِ شَعَرْتُ بالحمّى فَلَمْ أعبأْ . . مَريضْ
عَيْشي بِرمَّتِهِ هُنا مَرَضٌ . . حياةٌ في حَضيضْ

« پيك لاخ تَعالْ »
وعَلا سُعالْ
وتَحشْرَجَ الفَمُ بالشَّهيقْ
ثمَّ استقَرَّتْ بَصْقَةٌ كُبرى بقارعةِ الطَّريقْ

ما زال « جورجُ » هنا . . عجيبٌ أمرُهُ ، لِـمَ لا يَنامْ
أفَلَمْ يَزَلْ يَرْجو زبائنَ . . أيُّ زِنديقٍ كبيرْ
يأتيهِ في هذا الظَّلامْ ؟؟
ـ « تَفَضَّلْ . . ولو فَدْ پيك . . » وراسِكَ لا . . أُفَضِّلُ أنْ أسيرْ

ما أضيعَ الإنسانَ في هذي الخرائبِ والقبورْ
حتى الرِّفاق ، مِن المدارسِ ، للمقاهي ، للخمورْ
يستنزفونَ بها الضَّميرَ ويَقْتُلونَ بها الشُّعورْ . .

وأنا ؟ أَلَـمْ أَقْبَعْ هناكْ
كالآخرين ؟ أَلَـمْ أُحدِّثْ بالتَّوافِهِ ذا وذاكْ ؟
هيهات . . عَينُكَ أنتَ تُبْصِرُ كلَّ شيءٍ ما عداكْ !

أهلاً « سَعيدْ »
أيُّ امتحانٍ ؟؟. . لا . . غداً سيكونُ موضوعٌ جَديدْ

عِندي غداً دَرْسانِ . . إيهْ
النَّحوُ قبلَ النَّوم ما أشهى نعاسَ العينِ فيهْ . . !

سُحْقاً لَها من مُعمياتْ
ماذا جنى هذا المراهِقُ . . هؤلاءِ اليافعونْ
الصَّاعِدُونَ الى الحياةْ
لِيُكَفِّنوا أسمى عَواطِفِهم بما لا يفقَهونْ ؟

« قَعَدا وقامَ العاقلانْ »
ما ضَرَّ هذا لو تَنازَعَ معمَلٌ لا عاملانْ !
أفهذهِ لُغةٌ على هذا المراهِقِ أنْ يَعيها ؟
وَمَـنْ البَليغُ مَـنْ الذي آخى ولو حَرْفَين فيها ؟
لكأنَّ درسَ النَّحوِ يُرجى منهُ إفسادُ اللسانْ !

عندي غداً درْسان . . وَيْحي ، أيُّ أخْيِلَةٍ تَجوسْ
في جانحيَّ ؟ أما كفاني أنْ سَأُفني في الدّروسْ
عمري ، وأنّي سوف يَجذبُني ويَدفعُ كلَّ يومْ
جَرَسٌ كناقوسِ الوَفاةْ
الوَقتُ فاتْ
وأكادُ أركُضُ ، ما يزالُ بمقلتيَّ لُهاثُ نَوْمْ
الوَقتُ فاتْ
ويظلُّ يَقرَعُ ، ثمَّ يُعلِنُ أنَّ نِصْفَ اليومِ ماتْ . .

وَتَلفَّتَتْ عيناي . . . ذلكَ ضوءُ مُنْعَطفِ الطَّريقْ
ثمَّ اسْتَدَرْتُ وعُدْتُ أدْراجي أنامُ وأسْتَفيقْ . . .

مندلي ـ ١٩٥٢

صانع الأسلحة

« بعض اجواء المصنع في القصيدة مستمد من كتابات غوركي »

١

. . . والتفَّ ثُعبانُ البُخارْ
وَعَلا الصَّفيرُ الثاقِبُ الوَحشيُّ يَفتحُ النَّهارْ
فَأحسَّ وهوَ على الفطورْ
يَرنو الى طِفْلَيهِ وابنتِهِ ، بسكينٍ تَغورْ
في بَطْنِهِ كالثَّلج . . فارتَدَّتْ يَداهُ عن الطعامْ
وَتَلَعْثَمَتْ شَفَتاهُ عن شيءٍ ، فَتَمْتَمَ . . ثمَّ قامْ

كانَ الصَّباحُ كأنَّهُ كَفَنٌ يُلَفِّعُ كلَّ بابْ
وَجَحافلُ العُمّالِ تَزْحَفُ في وُجومٍ واكْتئابْ
كَمَسارِبِ الدّيدانِ ، تَنأى ، ثمَّ تغرَقُ في الضُّبابْ
وَصَفيرُ ثعبانِ البخارْ
ما زالَ يَثْقُبُ كلَّ شيءٍ ، كلَّ سمعٍ ، كلَّ دارْ

فَتَرْمجرُ الأَعصابُ في حَنَقٍ ، وَتحتدِمُ الصّدورْ
وتَكادُ تَنْفجرُ الرؤوسُ ، تَكادُ عاصفةٌ تثورْ
والمصنعُ المجنونُ يَفْغَرُ فاهُ كالوَحشِ المُريعْ
فَتَغيبُ في أحشائِهِ السّوداءِ أفواجُ القَطيعْ . .

وَتَمَلْمَلَ الوَحشُ الكَبيرْ
وتَحرّكَتْ في جوفِهِ الآلاتُ تَمضغُ في هَديرْ
اللحمَ والدّمَ والضّميرْ !

وَكَمِثْلِ أجْنحةِ الذُّبابْ
كَرَفيفِ حَشْدٍ مِن ذبابٍ تافهٍ قذرٍ يَموتْ
في كَهْفِ أفظَعِ عنْكبوتْ
تَهتزُّ آلافُ السّواعدِ في هياجٍ واضطرابْ !

وهناكَ في القَعْرِ البَعيدْ
وَبقيّةُ الإنسانِ تَصفعُها عَمالقةُ الحديدْ

بهدِيرِها المجْنونِ ، بالصَّخَبِ المُدَمْدِمِ ، بالصَّفيرْ
في ذلكَ الغَورِ المُزَمْجِرِ حيثُ يُحْتَضَرُ الضَّميرْ
كانتْ حُشاشةُ آدميٍّ تدفعُ النَّزعَ الأخيرْ . .

مثلَ العَصافيرِ الصِّغارْ
لا يَبْرَحونَ العُشَّ حتى يَضْمَحِلَّ بهِ النَّهارْ
فَيُفتِّحونَ لأهلِهِم أفواهَهُم ويُزَقزقونْ
مِن حسنِ حظِّي أنَّهم لم يَبْرحُوا لا يَفْهَمونْ
لا يَفْهمُون مِن الأَنينْ
إلاَّ أنينَ المُترَفِينْ
لا يَفْهمونَ بأنَّ لُقمَتَهم دماءُ الآخرينْ !

وأثارَ عملاقَ الحديدْ
فاخْتَصَّ في خَنَقٍ وزمْجَرَ وهوَ يلْفُظُ مِن جديدْ
قِطَعاً مِن المِسْخِ الوَليدْ . .

لا بُدَّ مِن إحكامِ مِفْتاحِ الرَّصاصِ لكي نَعيشْ
فالموتُ في طَلْقٍ يَطيشْ
الموتُ . . مَوتُ الجوعِ ، أبشَعُ ما يموتُ المَيِّتونْ
ذاكَ التَّغَوُّرُ في العيونْ
والنَّظْرَةُ الوَحشيَّةُ الزَّرقاءُ تَفْغرُ في جنونْ
فَمَها لتأكلَ كلَّ شيءٍ ، كلَّ شيءٍ ، والبطونْ
تَتَخشَّبُ الأيْدي عليها ، والصُّراخُ ، والانتحابْ
وَتَكالُبُ الغَرثى على القِطَطِ المَروعةِ والكلابْ
وفِرارُها مِن كلِّ بابْ
والخوفُ ، والهَلَعُ المدمِّرُ ، والتَّنازعُ ، والنِّساءْ
يَنْهَشْنَ مِن أطْفالِهِنَّ ويَرتَجفْنَ مِن الدّماءْ
لا ، لَنْ يَموتُوا ، لَنْ أُسَلِّمَهُم الى هذا المصيرْ
لا بدَّ مِن إحكامِ مفتاحِ الرَّصاصِ . . سَنَسْتَجيرْ
بالقَتْلِ مِن هذا السَّعيرْ . . .

بالقَتْلِ ، ما دامَتْ حَياةُ الآخرينَ بأنْ نَموتْ
وتحرَّكَتْ يَدُهُ فأمْسَكَ بعضَ أشلاءِ الحَديدْ
بالقَتْلِ . . لنْ تَجِدَ البيوتْ
كلباً يعيشُ بها ولحمُ ابنَيَّ في فَكَّيْهِ قُوتْ !

وَبِمِثْلِ آلامِ الذَّبيحْ
كانتْ يَداهُ بكلِّ أشلاءِ البَنادقِ تعثُرانْ
وَتُرَكِّبان . . وكانَ يَشْهقُ ثمَّ يزفرُ في فَحيحْ
وكأنَّهُ يَسعى ليصنَعَ كلَّ شيءٍ في ثَوانْ . . .

٢

ها أنتِ جاهزةٌ رَهيبَهْ
تَتطلَّعينَ إلى يدٍ أخرى تَمُدُّكِ بالرَّصاصْ
لِتُسدّديهِ الى صدورٍ تكتبينَ لها الخَلاصْ
مِن هذهِ الدُّنيا المُريبَهْ

لصدورِ أوغادٍ محاجرُهُم بألفِ دَمٍ خَضيبهْ

وَتشَنَّجتْ يَدُهُ بعنفٍ فوقَ مِقبضِها الصَّقيلْ
فَتراعَشَتْ وكأنَّ فيضَ دم .. بحارَ دمٍ تَسيلْ
مِن لَوْنِهِ ، وتكادُ تَثْقُبُ رأَسَهُ عَيْنا قَتيلْ !

لصدورِ أَطفالٍ يَتامى لَم يَرَوا في الأرضِ طيبه !
لصدورِ آباءٍ عيونُ صغارِهِم أبداً كئيبه
يَتطلَّعونَ الى الفمِ المملوءِ في دعَةٍ مُذيبه !

ورأى خيالَ ابْنَيْهِ يَبْتَسِمانِ ، وابنتِهِ الوَديعَهْ
فاختَضَّ في هَلَعٍ وَغَطَّى فتحةَ النارِ المُريعَه

لِتُسدِّديهِ الى الصُّدورْ
لصدورِ مَنْ لَم يَعرفوا لونَ السَّعادةِ والسّرورْ
لصدورِ كلِّ الأبرياءْ
لصدورِ كلِّ المُتْعَبينَ من الصَّباحِ الى المساءْ

لصدورِ أطفالٍ كأطفالي هُنالكَ آمنينْ
يَتَراكَضُونَ ويضْحَكون لكلِّ شيءٍ في حَنينْ
حتى إليكِ وأنتِ نَحوَ قلوبِهِم تَتوجَّهينْ !

وتَلاحقَتْ أنفاسُهُ رُعباً ، ولاحَ لهُ صِغارُهُ
دَمُهُم يَسيلُ على يَدَيْهْ
يَتَخَبَّطونَ على الثَّرى وَيُحدِّقُونَ بمُقْلَتَيْه !

يا مُجرمونْ
الموتُ يا متوحّشونْ
يا قاتلونَ دماءُ أولادي هنا .. يا قاتلونْ

وجرى الى عَرْضِ الطَّريقْ
يهذي ويَصرخُ وهو يركضُ في الشَّوارعِ في جنونْ
حتى تَقَحَّمَ بابَ منزِلِهِ ..
رآهُم يَلْعَبُونْ
فتراكَضُوا ليضُمَّ أسْبَقَهم الى الصَّدرِ الحَنونْ ..!

وَبِمدخَلِ الوَحْشِ الصَّفيقْ
كانَ الرجالُ يُهمهِمونَ ويأسَفونَ على صَديقْ ..

وخلالَ ساعاتٍ عَديده
كانتْ ظلالُ سحابةٍ سوداءَ مُوحشةٍ تَحومْ
فَتُميثُ كلَّ صدىً ، وتغمرُ كلَّ شيءٍ بالوجومْ
حتى خُطى الماشي وَدَمدمةَ العماليق البليده

وخلالَ أيامٍ عَديده
كانت جماعاتُ الرِّجالِ الخارجينَ من البيوتْ
في الصُّبحِ تَصفُرُ، ثمَّ يُسْمَعُ أنَّ أوصالًا جديده
في الوحشِ توشِكُ أن تموتْ ..

٣

والتَفَّ ثعبانُ البُخارْ
وَعَلا الصَّفيرُ الثاقبُ الوَحشيُّ يفتتحُ النَّهارْ

فأحسَّ وهوَ على الفطورْ
يَرنو الى طفْلَيْهِ وابنتِهِ ويضحكُ في حبورْ
بسعادةٍ عُظمى ، فَقَبَّلَهُم وتَمْتَمَ في انتِشاءْ :
هيّا كُلُوا .. سَتَرونَ هذا اليومَ كلَّ الأصدقاءْ
ـ وجَميعُكُم تتحدَّثونْ ؟
ـ لا بأسَ يا طفلي ، وَقَبَّلَهُ .. قريباً تكبرونْ
وسَتَفْهمون ..
وكانَ ثُعبانُ البُخارِ بلا انتهاءْ
يلتفُّ في حَنَقٍ ، ويَصْفِرُ غاضباً ، والأصدقاءْ
يَتَجمَّعُونَ ببيتِ صاحِبِهم ..
ويبتَسمُ الصِّغارْ
زهواً لكثرة ما يُداعبُهُم رفاقُهُم الكبارْ ... !

بغداد ـ ١٩٥٢

الحصاد

. . . وكنتَ ترى فوقَ ذاكَ الحجارْ
ألوفَ المحاريثِ والحارثينْ
تُقَصِّدُ أعراقَها في القفارْ
لِتَجْني السَّعادةَ للآخرينْ
وَمرَّتْ شهورٌ . . وهَلَّ المَطَرْ
ولم تَخُنِ الأرضُ جُهْدَ البَشَرْ . .

وكانت حقولٌ . . وجاءَ الربيعْ
يَشعُّ بِأدفأِ ما يَستطيعْ
عليها بأضواءِ آذارِهِ
فَتزهو كأنفاسِ أزهارِهِ

وَمَرَّتْ شهورْ
وَوَدَّعَت الأرضُ لونَ الزّهورْ
وظلَّ اخضرارُ المراعي يَمورْ . .

وَمَــدَّ حُــزَيْــرانُ نــيــرانَــهُ
إلــيــهِ فَــغَــيَّــرَ ألْــوانَــهُ !
وكــانَ جفــافٌ . . جفــافٌ شَــديــدْ
وكــانَ اصفــرارُ المــراعي يَــزيــدْ

وفي كلِّ حينْ
يَحومُ المُرابي على الزَّارعينْ
وفي مُقْلَتَيــهِ سَمــاحٌ وَلِيــنْ
فيــرتعــدُ السُّنْبــلُ المُسْتَكينْ

لقــد كــانَ ثَمَّــةَ سِــرٌّ مُــريــعْ
يَشــدُّ الــذئــابَ لِحفْظِ القَــطيــعْ !

وذاتَ مساءْ
وبينــا غَفــا يحــلُمُ السُّنْبــلُ

سَرَتْ هَمْسَةٌ في رحابِ الفَضاءْ
تَنـاقَلَها الكـوخُ والجـدْوَلُ
وبـاتَ يُـردّدُهـا المنجَـلُ
غنـاءً على سَحْبةِ انمبـرَدِ :

« هم المؤمنـونَ بـخيـرِ الـغَـدِ
هم الزارِعونْ
غـداً يحصِدُونْ
ومَـنْ جَحَـدَ الأرْضَ لم يَحصِدِ !»

وكـانَ ضـيـاءُ الـقَـمَـرْ
يـمـوجُ عـلى الـسُّـنْـبـلِ
عـلى الـكـوخِ والـجـدوَلِ
عـلى الـكـائـنـاتِ الأُخَـرْ
وأروَعُ مـا يَـنْـجـلي
عــلى هــؤلاءِ الـبَـشَـرْ !

وكــانــوا نِيــامــاً بمــلءِ العُيــونْ
بِمَحْصُــولِهم في غـدٍ يَحْلَمُــونْ

هُنا قبلَ عامْ . . . :
وفي ليلةٍ مثل هذي تموجْ
بآمالها في اصفرارِ المروجْ
وفي مثلِ ، في مثلِ هذا الظلامْ
يُفضضهُ نَفْسُ هذا القَمَرْ
وَنفْسُ الحُقولِ ، وَنَفْسُ البَشَرْ
هُنا قبلَ عامْ
تَغَنّى لهم مِنْجلٌ بالحصادْ
تَغَنّى وسادْ
وراءَ أغانيهِ صَمْتٌ رَهيبْ . .

وفي فَجْـرِ يــومِ الـحصــادْ
وفي فَجْـرِ ذاكَ النهـارِ المُــريبْ

وَبَيْنا المناجِلُ تَهوي
وتلـــكَ السَّواعِـدُ تَطـوي
وَبَينـــا تَكَوَّرَ ذاكَ الأمَــلْ
تِــلالًا تلاقَتْ عليهـا المُقَلْ

وَبَينا الأهازيـجُ والهازجـونْ
وأفـواهُهُم وهمـو يُنشِـــدونْ
تَكــادُ تُقَبِّلُ مـا يَحْصِـدونْ

وَبَينا يكادُ الغِناءْ
يَسدُّ رِحابَ الفَضاءْ
سَرَتْ فيهِ وَهْوَهةٌ كالفَحيحْ ..

رُويداً عَلَتْ ، كَشَخيرِ الذَّبيحْ ..
وَفي البُعدِ ، لاحَتْ رُؤوسُ النَّخيلُ
بِعُنْفٍ تميلْ ..

ومَـرَّتْ ثَوانٍ .. ثَـوانٍ رَهيبـه
تَلَـوَّتْ عَذابـاً وَخوفـاً ورِيبـه

وكنتَ تَـرى أعْيُنـاً تلتقي
ويـومضُ فيهـا بَـريقٌ شَقي

وكانَ صَدى الرّيحِ يَعلو رويدا
فيشتَـدُّ هَـوْلًا ويَـزْدادُ كَيْـدا

وكالقاتلينْ
محاجِرُهُم لم تَعُدْ تَسْتَكينْ ..

وراحَتْ ثيـابُهُم الخـائِفـهْ
يُـداعِبُهـا مَطْلَـعُ العـاصفـهْ !

وَمَرَّتْ ثَوانْ
ولاحَتْ تـوَشْـوِشُ كـالأُفْعـوانْ
طـلائعُ ليـلٍ ثَقيـلِ الـدُّخـانْ

وضــاعَ بــريـقُ المَـنــاجِــلَ
وفــوقَ تِــلالِ الــسَّـنـابـلْ .
تَـرَامَـتْ وحــوشُ تُـنــاضِــلْ
وكانَ رجاءٌ ويأسٌ ، وحبٌّ ورعبٌ يُقاتِلْ
لقد كانَ أنبَلُ ما في الحياةِ بعنفٍ يُحاولْ . . .

ولكنَّ حُلْمَ الصَّباحْ
تَعاوَتْ عليهِ الرّياحْ . . .

وكنتَ تَرى في انتهاءِ النَّهارْ
بقايا المناجِلِ فوقَ الحجارْ
وبِـضْـعَ خُــطىً تَـرْتَـمــي فــي انكسارْ . .

ولم يَمْضِ حينْ
وقبلَ امتـدادِ يَـدِ الحـاصِـدِينْ
لِتَجْمَع مـا تَـركَتْ من منـاجِـلْ

وقبلَ جفافِ عُروقِ السَّنابلْ
أطلَّتْ على الزّارعينْ
عيونُ المُرابي الأمينْ !
وفيها سؤالٌ دَفينْ . . .

وكانَ الجوابْ
وكانَ على الأرضِ ، أرضِ الجِنانْ
وأرضِ السَّعادةِ ، أرضِ الأمانْ
يَدا بشرٍ تَخْبزانِ التّرابْ !

ومَرَّتْ شهورْ
وَجَدَّ على الأرضِ بعضُ القُبورْ
ولكنَّ شيئاً نَما في الصدورْ
ومَرَّتْ شهورْ
وكنتَ تَرى قسوةً في الشعورْ
وحقْداً على كلِّ شيءٍ يثورْ . .

وكانَ سَنا كلِّ فجْرٍ يُعيدْ
الى الأرضِ هيكلَ مَيْتٍ جديدْ

ومَرَّتْ شهورْ
وكانَ كلامٌ غريبٌ يَدورْ

رَوَوا أنَّهم آمنُوا بالنَّشورْ
فَشَقُّوا الثَّرى وأزاحُوا الصَّخورْ
ولَمْ يَدَعُوا مَيِّتاً في القبورْ

وقالَ البَنونْ
لقد أقسَمُوا أنَّهم يَزْرَعونْ
وقد جَمَعُوا كلَّ ما يَمْلِكونْ
وَأَزَّتْ محاريثُهم في جنونْ
وطَشُّوا البذورْ
ونامُوا بأطفالِهم يَحْلُمونْ !

ومَرَّ الزَّمانْ
وفي فَجْرِ يومٍ كيومِ النَّشورْ
تصاعَدَ صوتٌ عظيمُ الحَنانْ
تَغَنَّى بهِ منجلٌ في مكانْ
فماجَ الصَّدى فوقَ تلكَ القبورْ
ورَدَّدَهُ كلُّ حيٍّ جَسورْ
بصوتٍ قويٍّ حَنونٍ نَدِي :

« هم المؤمنون بخيرِ الغَدِ
هم الزّارعونْ
أتَوا يحْصدونْ
وَمَنْ جحَدَ الأرضَ لَمْ يَحصِدِ ! »

وكنتَ تَرى في الصَّباحْ
أغانيَّهم للبيادِرْ
وأفراحهم والبَشائرْ
وإيمانَهم بالكفاحْ . . .

مندلي ــ ١٩٥٢


عبد الرزاق عبد الواحد
النشيد العظيم
(٣)



عبدالرزاق عبدالواحد

الشاعر الانساني

بقلـــم
الدكتور صلاح خالص

يسرني أن أقدم هذا المجموع الشعري لشاعر فذ من شعراء الشعب . . شاعر فذ من شعراء الكفاح العنيد من أجل المُثُل الانسانية العليا . . شاعر فذ من شعراء النضال من أجل الحرية والكرامة الوطنية . . شاعر كان دائماً في طليعة الصفوف يتلقى ضربات أعداء الوطن وخصوم البشرية بصبر وعناد شاحذاً قلمه لمقارعة الظلم ومنافحة الاستبداد دون كَلَلٍ أو مَلَل .

وإذا كنا نغمط في أكثر الأحيان حقوق شعرائنا المناضلين الذين نذروا أرواحهم وعصروا نفوسهم ليصوغوا من مشاعر الشعب وآماله وأمانيه أناشيد خالدة تنقلها الأجيال للأجيال ، فإننا أكثر غمطاً لحق شاعرنا المبدع عبدالرزاق عبدالواحد . . شاعرنا الصنديد الذي لم يلق

سلاحه أبداً في المعركة الكبرى الدامية التي خاضها شعبنا الجبار ضد أعداء الانسانية وعبيد الاستعمار ودعاة الحرب والدمار . أقول إننا أكثر غمطاً لحقه لم نعطه ما يستحقه من تقدير ولم نضعه في محله الجدير به بين جنود الفكر وأبطال الثقافة .

لقد قيض لي أن أعرف هذا الشاب الأسمر النحيل ذا النظرات الطيبة الوادعة والقلب الكبير الملتهب . . قيض لي أن أعرفه مدرساً في المدارس الثانوية تتقاذفه المدن النائية وتلاحقه تقارير الشرطة السرية حتى فُصِلَ من وظيفته وقُطِعَتْ عنه موارد رزقه ، وقيض لي أن أعرفه في معسكر السعدية الذي فتحه خونة العهد البائد لأحرار الشعب من المثقفين الذين أبعدوهم عن وظائف الدولة ثم عرفته وهو يقاسي شظف العيش ويعاني مرارة الحاجة بل ويقوم بأعمال يدوية يسد منها حاجاته ويعيل أسرته الكبيرة . . عرفته وقد أطبقت عليه الحياة من كل جانب ، ولكنه بقى مع ذلك كله شامخ الرأس ، أشم الأنف ، صلب القناة ، لم تهن له عزيمة أو تخبو عنده همة . . بقى صامداً بثقة وإعتداد ، مؤمناً بالانسانية ، مؤمناً بالشعب ، بالمستقبل الوضاء الذي

كنا نلمح دائمـاً أشعته البـراقة تلوح خـلال شعره فتبـرد كلمة اليـأس التي كانت تكتنف القلوب الضعيفة وتخيم على الأنظار القصيرة.

ولعل أروع ما في عبدالرزاق عبدالواحد هي إنسانيته العميقة، إنسانيته التي تفيض على كل شيء حوله فإذا هو يشعر ويحس وينطق ويسمو في هذا الشعور والاحساس والنـطق الى أسمى درجات النبـل الانساني. إن عبدالرزاق عبدالواحد لم يستطع مطلقاً أن ينظر الى نفسه فـرداً مستقلاً لا صلة لـه بما حـوله، بـل كان دائمـاً يشعـر انـه جـزء من الانسانية، بل ان الانسانيـة كلها متمثلة فيـه، فهي تغني بلسانـه وترقص على أنغامه ويفيض شعورها وإحساسها من قلبه. فيروي شعره ويتدفق من أبياته ليجد طريقه الى نفوس بني الانسان ممتلكاً لشعورهم وإحساساتهم. ولم يكن عبدرزاق عبدالواحد متكلفاً في ذلك أو متصنّعاً له فكل شيء في حياته كان يشحذ إنسانيته وينقّي قلبه من الأدران. فهو من أبناء هذا الشعب الذي أدمت معصميه القيود وأقرحت ظهره السياط ولكنه لم يلن ولم يستكن، انه من أبنـاء هذا الشعب الـذي شاركـوه في ضرائه وسرائه، شاركوه في آلامه وآماله، شاركوه في أحلك أيام

بؤسه وأسوأ ساعات ضيقه دون أن يخطر في أذهانهم التنكّر له أو ممالأة أحداثه. . إنه من أبناء هذا الشعب الذين رفضوا تسخير أنفسهم لخدمة الاستعمار والتمسح بأذيال أذنابه ، بل آمنوا بحقهم وكافحوا من أجله واثقين بالنصر ، حتى كانت ثورة ١٤ تموز الجبارة وتناثر نظام الظلم والاستبداد الذي شيده الاستعمار وأذنابه قطعاً ممزقة تحت ضربات الشعب وفي مقدمته جيش العراق الباسل. . ولكن عبدالرزاق عبدالواحد لن يكف عن الغناء ، فهو شاعر السلام ، شاعر السعادة البشرية والرفاه الانساني ، لذا سيبقى شعره وغناؤه يردد آمال الانسانية في السلام والسعادة والرفاه.

وفي هاتين القصيدتين الرائعتين اللتين نقدمهما للقراء تتجلى إنسانية عبدالرزاق عبدالواحد بأروع مظاهرها وأجلى وجوهها ، كما تتجلى شاعريته وإحساسه الفني.

فموضوع قصيدته الأولى « الحرب » وموضوع الثانية « السلام » القصيدة الأولى حمم مستعرة وضرام ملتهب. والقصيدة الثانية سلسل رقراق ونشيد هادىء رقيق. : القصيدة الأولى غضب وحنق وسخط. .

موت ودمار وخراب. . والقصيدة الثانية حب وحياة. . آمال مشرقة وأماني باسمة. ولكن في كِلتا القصيدتين تتجلى إنسانية عبدالرزاق التي سبق الحديث عنها قبل قليل. . في كِلتيهما نرى البشرية كلها تنشد فظائع الحرب وتتغنى بنِعَم السلام. أنظر الى هذه الصورة المروعة في قصيدته الأولى من الحرب حيث تثور عوامل الشر وتزمجر شياطين الفناء والدمار !

المـوتُ ، يا حـربُ لا أبْقَيتِ مزرعـةً
إلّا وقـد هَجَـرَ المحـراثَ راعيـهـا
إلّا وقـد حَـرَّثْتهـا النـارُ وانْتَشَـرَتْ
هامُ الضحـايا بـذوراً في نـواحيهـا !
المـوتُ . . يـا جُثَثَ الأطـفـالِ ، إرتـفـعي
قـربانَ لـحـمٍ لـربِّ النـارِ تـأليهـا
ويـا مـدى مـزّقي الأرحـامَ واقتـلعي
من جـوفهـا الـطفل شحمـاً ثم ألقيهـا

وأنتِ يا نارُ ،مَن تلك التي قبعتْ
الطفلُ أرهق ثدييها . . أريحيها
يا حربة اخترقي أضلاعها وذري
دماً يقطُر في ثغْرٍ يناغيها
الموتُ . . يا نار ثوري ، يا دما انهمرى
يالحمُ كن مِزَقاً يا ريح ذريها
لقد تبرّمت الدنيا بهدأتها
فقوّضيها على أشلاءِ أهليها
يا جوع يا جوع أحرقْ كلّ سنبلةٍ
واجعل رواها دماً من قلب ساقيها
من قلبِ مَنْ نخرَ المحراثُ أيديَهم
لفرطِ نخر الثرى حتى قضى فيها
دود الأراضي اسحقيها في أراضيها
وقوّضي فوقها بالى ماويها

ألا ترى معي روعة هذه الصورة الصاخبة لعوامل الموت والفناء والدمار وهي تنقض على الانسانية بطشاً وتقتيلاً ، ألا تحس برعشة تعتري جسمك من أم رأسك الى أخمص قدميك حين تبصر شياطين الشر تنطلق من عقالها لتنكل بالانسانية أبشع تنكيل وتسحقها سحقاً دون شفقة أو رحمة . . ألا تتفق معي أن الذي ينشد هذه الأبيات ليس عبدالرزاق عبدالواحد فقط بل الانسانية كلها ، الانسانية الحريصة على مستقبلها ، والمدركة لبشاعة الحروب .

ثم أنتقل بعد ذلك الى قصيدته الثانية « النشيد العظيم » نشيد السلام يتردد من الكون كله : من الطبيعة بجبالها ووهادها وسواقيها ومروجها ، من البشر كلهم ، من الطفل الصغير والأم الرؤوم والكادح المتعب والسجين المصفد بالأغلال ، ومن كل هؤلاء البشر الذين يملأون حنايا وزوايا الطرقات ، ومن كل صورة من صور الكون وكل مظهر من مظاهر الحياة . .

مِن خَريرِ المياهْ
وهي تنسابُ فوق سفوحِ الجبالْ
في سواقي الشمالْ

مِن أغانيِ الرعاةْ
في مروجِ الجنوب
حينَ يَغْفو عليها سكون الغروب
والدجى إذ يؤوب
مِن وميضِ كواكبِهِ في الظلام
ترتمي في ارتخاء
رائعاً كالضياءْ
يا نشيد السلامْ

مِن ضياءِ القمر
في ليالي الخريف
واصفرارِ الشجر
بعد طولِ الحفيف
مِن تَساقط أوراقهِ في الألق
مِن عَزيفِ النسائمِ بين الورق

ويجيء الشتاء
مدّلَهم السماء
مِن هديرِ الرعودِ ونَقْرِ المطر
مِن عويلِ الرياح ونوح الشجر
وارتجاف الحمام
راجياً أن ينام
ترتمي في ارتخاء
رائعاً كالرجاء
يا نشيد السلام . . .

مِن عيونِ الصغار
وهي تَرنُو الى البابِ عندَ الغروب
في أنتظار أب في ديِاجي الحروب
كلَّما اهتزَّت البابُ سادَ انتظار
واشرأبَّت قلوب
ثمَّ عادت الى بعضها في انكسار

إنه لن يؤب
مِن بريقِ الرجاءِ بتلكَ العيون
مِن وميضِ الأسى في انطباق الجفون
ترتمي في ارتخاء
وادعاً كالرجاء
حينَ يومض في أعينِ الأبرياء
يا نشيد السلام

لن أقول لك شيئاً أيها القارىء الكريم إذ لا بد أن تقرأ القصيدة كلها لتحلق مع عبدالرزاق في هذا العالم الرائع ، في هذا الكون الذي ينشد من أقصاه الى أقصاه هذا النشيد العظيم ، نشيد السلام ، نشيد المحبة والإخاء وستجد نفسك تنشد مع الشاعر ومع الكون كله هذا النشيد الرائع وتجد نفسك جزءاً لا يتجزأ من هذه الانسانية العظيمة السائرة نحو النور ، الطامحة الى السعادة والرفاه ، وستحتقر أولئك الشعراء الأقزام

الذين انطووا على أنفسهم يعبثون بعُقدهم النفسية فيزيدونها تعقيداً على تعقيد ثم يحاولون أن ينظروا خلال هذه العُقد الى الانسانية فلا يبصرون منها سوى عُقدهم وأزماتهم الشاذة ، وهكذا فلا يعبّرون إلا عن كل صورة شوهاء يستنكرها الشعور الانساني ويمجها الذوق السليم.

لن أطيل عليك أيها القارىء أكثر من ذلك ، بل أتركك مع عبدالرزاق عبدالواحد تنشد معه هذه الأناشيد الرائعة وتتمتع بهذه الصورة الفنية الجميلة ، منهياً كلمتي هذه بتحية تقدير واعجاب للشاعر الانساني عبدالرزاق عبدالواحد. . تحية تقدير واعجاب لشاعر الشعب العراقي الذي لم يكل عن النضال من أجل تحقيق أهدافه وأمانيه. . تحية تقدير واعجاب لجندي الفكر العراقي الحر الذي صمد في ميدان المعركة ببسالة وعناء الى جانب إخوانه أبناء الشعب حتى تحقق النصر على أعداء الحرية والانسانية.

ولا أشك في اني لا أعبّر عن شعوري فقط ، بل عن شعور جميع الأحرار المخلصين من أبناء شعبنا الأبي.

بغداد في ١٩٥٨/١١/٢٥   صلاح خالص

نُظِمَتْ هاتان القصيدتان في عهد الارهاب السعيدي عام ١٩٥٠ ـــ ١٩٥١ وقد ضاع مع الاسف الكثير من قصيدة النشيد العظيم
الناشر



الحرب*

في قبْضَتَيْكِ اصفرارْ وَمِلءُ عَيْنَيْكِ دَمْ
ثوري فأنتِ الدَّمارْ وأنتِ أنتِ العَدَمْ

تَفَجَّري باللَّظىٰ وأطْبقي بالدُّخانْ
وَرَدِّدي : ما انقضى عهدٌ ولا جَدَّ ثانْ !

تلكَ القبورُ انظري ما مادَتْ بأهليها
وازَّلْزَلَتْ وتَشَظَّى كلُّ ما فيها

ألقَتْ هياكِلَها للنارِ وانْدَلَعَتْ
فانْهَدَّ سافِلُها وانهارَ عاليها

وقَرْقَعَتْ رِمَمُ الموتى يُدَحرِجُها
صَوتُ النُّشوزِ ، وَغِلُّ الموتِ يَلويها

* القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري عام ١٩٥١ .

فتــارةً ثــورةُ الإنـســانِ تــدفَـعُـهــا
وتــارةً صــرخــةُ الـشَّـيـطانِ تـثْـنيـهــا

تلكَ انظُري قَبْضَةُ التاريخِ ، كيفَ جَرَتْ
فيهـا الـدِّمـاءُ ، ومـا أبْقَتْ مَجـارِيها

وكيفَ لم يَتْـرُكِ الطغيانُ مِن دَمِهـا
عِـرْقـاً بـهِ دَمُ إنـســانٍ يُـنَـدِّيـهـا

لم يبقَ إلاّ أنـابيـبُ العِـظامِ سَـرَتْ
فيهـا اللَّظى حُمَمـاً حُمْـراً تُـذَكِّيهـا

سَيْــلٌ مِن النـارِ مـا يَنْفَـكُّ يـدفَعُها
الى الجحيمِ ، الى نَبْـعِ اللَّظى فيها

فَفَجِّري الأرضَ واسْتَعْدي هياكِلَها
فالموتُ هادِمُها والموتُ بانيها

الموتُ ، يا حَرْبُ لا أبْقَيْتِ مزرعةً
إلّا وقد هَجَرَ المحراثَ راعيها

إلّا وقد حرَثَتْها النارُ وانْتَثَرَتْ
هامُ الضّحايا بذوراً في نَواحيها

الموتُ.. يا جُثَثَ الأطفال ، إرتفعي
قربانَ لحمٍ لِربِّ النّارِ تأليها

ويا مُدى مَزِّقي الأرحامَ واقْتَلِعي
مِن جَوفِها الطِّفلَ شَحْماً ثمَّ ألقيها

وأنتِ يـا نـارُ ، مَنْ تلكَ التي قَبَعَتْ
الـطفلُ أرهَقَ ثَـدْيَيْهـا . . أريحِيهـا

يـا خَرْبَـةُ اختـرقِي أضـلاعَهـا وَذَرِي
دَمـاً يُـقَـطِّرُ في ثَـغْـرٍ يُنـاغيهـا !

الموتُ ، يا نارُ ثوري ، يا دِما انهمِري
يـا لحمُ كُنْ مِزَقـاً يـا ريـحُ ذَرِّيها !

لـقـد تبـرَّمَت الـدُّنيـا بِهَـذْأَتِهـا
فـقَـوِّضيهـا على أشـلاءِ أهلـيهـا

يـا جوعُ ، يـا جـوعُ أحـرِقْ كـلَّ سُنبلةٍ
واجعَـلْ رُواهـا دَمـاً مِن قلْبِ سـاقيهـا

مِن قلبِ مَنْ نَخَرَ المحراثُ أيديَهُم
لِفَرْطِ نَخْرِ الثَّرى حتى قضى فيها

دودُ الأراضي اسحَقيها في أراضيها
وَقوِّضي فوقها بالي مآويها

تَرَصَّدي باللظى أكواخَها وَذَري
شُمَّ القصورِ ، فَلِلجُدْرانِ حاميها

النارُ أدرى بأنَّ الكوخَ مِن قَصَبٍ
يُورى ، وأنَّ صخورَ القَصْرِ تُعييها

الموتُ ، يا نارُ ثوري ، يا دِما انهمِري
يا لحمُ كُنْ مِزَقاً يا ريحُ ذَرِّيها

ثُوري اعصفِي دَمِّري مـا شِئْتِ واكتَسِحِي
انقـاضَـهُ لِتَـزيـدي الأرضَ تَشْـويـهـا

يـا حربُ ، الأرضُ لَن تنفَكَّ مُجْدِبـةً
حـتـى يُـهـيَّـأُ طـوفـانٌ يُـرَوِّيـهـا

فَـمَـزِّقي كـلَّ طـفـلٍ في لَـفـائِفِـهِ
وَعَـوِّضـي أُمَّـهُ دَمـعـاً يُـعَـزِّيـهـا

وَهَشِّمي كـلَّ شيخٍ ، كـلَّ مُنْهَـدِمٍ
وشَـوِّهـي كـلَّ عـذراءٍ وأَبْـقـيـهـا

أبقِي مُسـوخـاً لأهـلِ الأرضِ مُنْتِنَـةً
فَـرُبَّـمـا تَعِظُ الـدُّنـيـا مَـرائيـهـا !

في قبضَتيـكِ اصفِرارْ ومـلءُ عَيْنَـيـكِ دَمْ
ثـوري فـأنتِ الـدَّمارْ وأنـتِ أنـتِ الـعَـدَمْ

تَـفَـجَّـري بـالـلَّظى وأطبِقـي بـالـدُّخـانْ
وَرَدِّدي : مـا انقضـى عهـدٌ ، ولا جَـدَّ ثـانْ

فَـلَمْ يَـزَلْ للحـديـدْ والـنَّـارِ مـا يُـوقَـدُ
ومـا يَـزالُ الـعَبيـدْ سُـوداً لِيُسْتَعْبَـدوا !

ميعـادُ أُسـطورةِ الألـوانِ قـد حـانـا
يا صَرْخـةَ العبدِ ، هِـزِّي الكونَ إيـذانا

وَفَجِّـري في دَمِ الـطاغـوتِ عـاصفـةً
تُـرديـهِ أو يَفهمَ الإنسـانَ إنسـانـا !

تَفَجَّري واملأي الآفاقِ موجِدَةً
حتى تَفَتَّحَ أبصاراً ، وآذانا

حتى تُحيلي سكونَ الليلِ صاعقةً
وتُضرِمي ملءَ جَوفِ الأرضِ بُركانا

لنْ يفهَمَ السيِّدُ المغرورُ فلسفةً
غيرَ اللَّظى فاملأي عينَيهِ نيرانا !

قولي لَهُ إنْ يكنْ يَعلو فأنَّ دماً
يَجري بأعراقِهِ مِن جُرحِ قَتلانا

وأنذريهِ فَفي أَعراقِهِ سِمَةٌ
منّا بأنْ سوفَ لا نَنسى ضَحايانا !

لا تَـرهبي صـرخــةَ العبـدِ الفَنــاءَ فمـا
تفنىٰ الحيـاةُ ، وإنْ خـانَتْكِ أحيـانـا !

مـا المـوتُ إلاّ بـأنْ نَحيـا ونحنُ نــرى
أنّـا العبيدُ ، وبعضَ النـاسِ مـولانـا !

مـا المـوتُ إلا بــأنْ نَعمى ونحنُ نـرى
مـا المـوتُ إلا بـأنْ نـرضى بمـا كـانــا

ثُـوري انذرِي دَمنـا ، يا طـالَمـا نـذرَوا
دمَ الشعــوبِ لِــرَبِّ النـــارِ قُــربـانــا

إنْ تحَــطِمي قيـدَ رِقٍّ عن مَعــاصِمِنــا
تُحَــطِّمي ألفَ قيــدٍ في حنــايــانــا !

ثُوري فقد جُنَّ في الأرضِ الدَّمارُ فما
يــدري أيـهــدِمُ أمْ يَبْني لــمــوتــانــا

مــا عــادَ حتى لِشلْوِ المَيْتِ حُـرْمَتُهُ
صــارَ اللَّظى جَدَثـاً ، والريـحُ أكفانـا !

يـا صرخـةَ العبدِ ، ما ناديتُ لو حضَنَتْ
روحُ السَّــلامِ وحبُّ النـاسِ دُنيـانــا

ولا تَــمَــرَّدْتُ لــولا أنَّ فــيَّ بــحــ
قِّ العيشِ لي ولكــلِّ النـاسِ إيمــانــا

فـإنْ حُـرِمْـنـا حيـاةَ النـاس ، لا خُلِقَتْ
فينـا الحيـاةُ ، ولا عــاشَتْ بَقـايــانـا !

عَبـدٌ حقيـرٌ يَثـورْ وَيـلٌ لَـهُ مِـن شَقـي
تَفَتَّحي يـا قبـورْ لِـلحـمِـهِ الأزْرَقِ !

إسفَحْ دماً يا حديدْ ودَمـدِمـي يـا نـارْ
لـم يَبـقَ إلا العبيـدْ لِيُصـبحـوا أحـرارْ

الأرضُ لـن تَسْتكيـنْ إلا الـى الـطُّوفـانْ
يـا نارُ ، بِنتَ الجنـونْ لا تَـرْحَمي الإنسـانْ !

تَسَلَّحي بـالـدِّمـا والصُّلْبِ والنـارِ
وَحَكِّمي في الـبَـرايـا كـلَّ جَـزَّارِ !

وحـارِبي كـلَّ فكـرٍ ، كـلَّ مُعْتَقَـدِ
والـويلُ ، ألـويـلُ للمُسْتَنكـرِ الضّـاري

السِّلمُ أنْ يستكينَ الناس: أنْ يَذَروا الفو
ضىٰ ، وأنْ يهدأوا أو فالـدَّمُ الجاري !

الـسِّـلمُ أنَّـكَ إنْ يَـصفَعْكَ مُـجْـتـرِمٌ
تُـدِرُ لَـهُ الخَـدَّ إغضـاءً عن الثـارِ !

السِّلمُ وَيْحَـكَ أنْ تُغضي وأنتَ تـرى
لِصَّـاً بـدارِكَ إبقـاءً عـلى الـدارِ !!

فـإنْ تَفُـهْ فَـدَويُّ النـارِ أعـظمُ مِن
لَغْطٍ تُحَشْـرِجُـهُ في صَـدْرِكَ الهـاري

النـارُ ، النـارُ قَـوْلُ الفَصـل لـلنـارِ
فَـحَـكِّـمـيـهـا تُـقَـوِّمْ كـلَّ مـنـهـارِ

وَسَــلَّطيـهــا عــلى أرضٍ بـآهــلِهــا

تُبَعْثِـر النــاسَ لحمــاً فــوقَ أحــجـارِ

أو يَفْهــمَ الأغبيــاءُ الصُّـفْــرُ أنَّــكِ لم

يُقــدِمْــكِ إلاّ حنينُ الـجــارِ للجــارِ !

أَيْ بِـدْعَةَ الـظالِمِ المُسْتأسِـدِ الضّاري

تَــقَــايضــي دمَ إنــســانٍ بــدولارِ !

أنجَــزْتِ قِصَّــةَ كــوريّــا فهــل تــركَتْ

كَفّــاكِ غيــرَ الخَنــا والخِـزيِ والعــارِ

انْجَـزْتِها فــاسألي هــل كنتِ سيّـدةً

أَمْ كــانَ جيشُــكِ عَبْــداً بين أحــرارِ !

وهل قضَيتِ على صوتِ الشّعوبِ . . بَلى
لـــو كـانَ يُـــطْفأُ وَقْــدُ النـارِ بــالنـارِ !

هـا تلكَ تـونسُ ثـارَتْ فـاسفَحي دَمَهـا
مـا دامَ سِلْمُـكِ يُملى بـالـدَّمِ الجـاري

هِذّي اسجِني شَرّدي الأحرارَ ، لن تَجِدي
إلا دويّــاً وإعــصــاراً بــأعــصــارِ

قـولي لهـا وهيَ في بُـركـانِ ثـورتهـا :
أمـامَكِ المـوتُ والأغلالُ ، فـاختـاري

لَـعلَّهـا تَـرعــوي عــن غَيِّهــا فَتـعي
انَّ السَّــلامَ خضـوعُ العبــدِ للبـاري !

أَيْ بِـدعةَ الـظالمِ المسْتأسِـدِ الضَّـاري
أيْ أَطبِقي بـاللُّظى ليـلاً على السَّــاري

هــا مصرُ والــدَّمُ لم يَبْــرَحْ يُعــانقُـهُ
مــوجُ القَنــالِ فَيُــذكي شهــوَةَ الثـارِ

لا تُخْمِــدي النـارَ عنهــا فـالقنــالُ دَمٌ
يُــرغــي وَيُــزبِــدُ تَــيّــاراً بــتــيّــارِ

لا تُخمــدي النـارَ حتى يَهــدأَ الـواري
أو يستحيـلَ كهـوفـاً صــدرُهـا العـاري

إذ ذاكَ في كــلِّ كهفٍ شَيِّــدي نَـصَبـاً
للسِّلمِ ، تــذكرةً يـا شَرَّ تَــذكـارِ !

لِلسِّلمِ تَذكرَةٌ يا شَرَّ تَذكارِ
سِلْمٌ يَرِفُّ على لَحمٍ وَأطْمارِ

وذلكَ الشَّامخُ الزَّاهي بشُعْلَتِهِ
تمثالُ حُرِّيةٍ أمْ سِجْنُ أحرارِ !

لقد جنَيْتِ على الدُّنيا فلَنْ تَجِدي
في كلِّ أرضٍ سوى جرحٍ وثوّارِ !

وما يَزالُ النِّدا مُغلغِلاً في الفَضاءْ
وما يَزالُ الصَّدى يُعيدُ دونَ انتهاءْ

لا تَسْتَثيروا الضِّرامْ ولا تُريقوا الدِّماءْ
الأرضُ بنتُ السَّلامْ ولِلشعوبِ الإخاءْ
الأرضُ بنتُ السَّلامْ ولِلشعوبِ الإخاءْ !

النشيد العظيم

مِن خَريرِ المياهْ
وهيَ تَنْسابُ فوقَ سفوحِ الجبالْ
في سَواقي الشّمالْ

مِن أغاني الرُّعاهْ
في مروجِ الجَنوبْ
حينَ يغفو عليها سكونُ الغروبْ
والدُّجى إذْ يَؤوبْ
مِن وَميضِ كواكبِهِ في الظَّلامْ
تَرتمي في ارْتِخاءْ
رائعاً كالضياءْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

حينَ يحنو على المهدِ عندَ المَنامْ
قلبُ أُمٍّ رَؤومْ
تَتَغنَّى لطفْلَتِها كي تَنامْ
كانَ كلُّ أمانيْها لو تدومْ
لوحَيدتِها يا نشيدَ السَّلامْ

في الدُّجى إذْ تَعودْ
أرجُلُ الكادحينَ بـأثْقالِهـا
بـالظهـورِ وداثِرِ أسمـالِهـا
في الدُّجى إذْ تعــودْ
النفـوسُ بـظالمِ أتعـابِهـا
والجراحُ بقاتـلِ أوصابِهـا
في الدّجى إذْ تَعودْ
ما الذي تَرتجِي غيرَ ان تَسْتريحْ

أنفُسٌ كالحِطَمْ
غيرَ أنْ تستكينَ كُلومُ الجَريـحْ
بعــدَ طـولِ الألَمْ
غيــرَ أنْ تستكـينْ
بعـدَ طولِ الأنينْ
بينَ أطفــالِهــا أنـفُسُ الكــادحـينْ

في الظلامِ العَميقْ
حين يمضي مع الصَّمتِ ظِلٌ يسيـرْ
وَحـدَهُ في الطريقْ
أيُّ شيءٍ يُحفِّزُهُ للصَّفيرْ
غيرَ هذا الشعورِ بأنَّ الحَدَقْ
تَتَــرصَّـدُهُ مِن خِــلالِ الغُصـونْ
مِن خِـلالِ الوَرَقْ

غيرَ هذا السُّكونْ
بَعْدَهُ ما يكونْ
رَهْبَةٌ أمْ سَلامْ !

مِن ضياءِ القَمرْ
في ليالي الخَريفْ
واصفرارِ الشَّجَرْ
بعدَ طولِ الحَفيفْ
مِن تَساقُطِ أوراقِهِ في الألَقْ
مِن عَزيفِ النَّسائمِ بينَ الورَقْ
وَيجيءُ الشتاءْ
مُدلَهِمَّ السَّماءْ
مِن هَديرِ الرُّعودِ وَنقْرِ المَطَرْ
مِن عَويلِ الرِّياحِ وَنَوْحِ الشَّجَرْ
وارتجافِ الحَمامْ

راجيـاً أنْ ينـامْ
تَـرتمي في ارتخاءْ
رائعـاً كـالـرَّجـاءْ
يـا نشيـدَ السَّـلامْ

من عيـونِ الصِّغارْ
وهيَ تَـرنو الى البـابِ عندَ الغروبْ
في انتظارِ أبٍ في دياجي الحـروبْ
كلَّما اهتَزَّت البابُ سادَ انتظارْ
واشْـرأبَّتْ قلوبْ
ثمَّ عـادَتْ الى بعضِهـا في انكسـارْ
إنَّـهُ لَـنْ يـؤوبْ

من بـريقِ الـرَّجـاءِ بتلكَ العيـونْ
مِـن وميضِ الأسـى في انـطبـاقِ الجفونَ

تـرتمي في ارتخاءْ
وادعـاً كـالـرَّجـاءْ
حينَ يُـومضُ في أعيُنِ الأبـريـاءْ
يا نشيدَ السَّـلامْ !

مِن حنَايا الدروبْ
حينَ يـمـلأُهـا أبـريـاءُ البَشَـرْ
الصِّغـارُ الـذّنـوبْ
الصِّغـارُ النُّهى ، ألصِّغـارُ القُلوبْ
جيلُنـا المـنـتَـظَـرْ . . !
حينمـا يمـلأونَ حنـايـا الـدّروبْ
بعدَ وقتِ الغروبْ
يَسْبَحـون بمَـوجِ ضيـاءِ القَـمَـرْ
وهُـمـو يَلعـبـونْ

يَصْرَخون وَيبكون أو يضحكَونْ

مِن صدى ضِحْكِهم وهوَ روحُ السَّلامْ
يَتفَجَّرُ حتى بقلبِ الرَّجامْ
ترتمي في الدّروبْ
ساذجاً مثلَ آمالِ تلكَ القلوبْ
لِتَقيها بشاعةَ موتِ الحروبْ
وَتُبَقِّي ملاعبَها في سَلامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

مِن جنونِ اللصوصْ
اللصوصِ الكبارْ
حينما يسمعونَ وميضاً يُنارْ
حولَ سِلْمٍ قريب بإحدى الدِّيارْ
إذْ يحومُ الكسادْ
حولَ سوقِ الرَّصاصِ بتلكَ البلادْ

مِن نِشيدِ الخَلاصْ
في فمِ الثّائرينْ
وانطفاءِ الرَّصاصْ
في دَمِ المنشدينْ

مِن تَعاظُمِ وَعيِ جميعِ الشُّعوبْ
مِن فَضائحِ كلِّ دُعاةِ الحُروبْ
وانصهارِ السِّلاحْ
في أتونِ الكِفاحْ
في أتونِ كفاحِ الرِّجالِ العِظامْ
تَرتَمي في النِّضالْ
مثلَ كلِّ الرِّجالْ
رائعاً مثلَ كلِّ الرجالِ العِظامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

واحتضارِ الشَّهيدْ
مـطمَئناً سَعيـدْ
بينَ أحضـانِ إخـوَتـهِ المُنشـدينْ
مِن دَويِّ الهتـافِ ورَجْـعِ النَّشيـدْ
وانتـظارِ الجيـاعِ لفجـرٍ جـديـدْ
لانـتصـارٍ كـبيـرْ
مِن شحـوبِ الـطغـاةِ أمـامَ الأسيـرْ
مِن سؤالِ الجَبـابـرَةِ الخـائفينْ :
أيَّ شيءٍ يُـريـدْ
هـؤلاءِ الـعَبيـدْ
مِن تهاويلِ هـذا الصّراعِ المُخيفْ
بينَ جَورِ الرَّصاصِ وَجَورِ الـرَّغيفْ
تَرتَمي في اندفـاعْ
هـائلاً كـالصِّـراعْ
يـا نشيـدَ السَّـلامْ

مِن نِشيدِ الخَلاصْ
في فمِ الثّائرينْ
وانطفاءِ الرَّصاصْ
في دَمِ المنشدينْ

مِن تَعاظُمِ وَعي جميعِ الشُّعوبْ
مِن فَضائحِ كلِّ دُعاةِ الحُروبْ
وانصهارِ السِّلاحْ
في أتونِ الكِفاحْ
في أتونِ كفاحِ الرِّجالِ العِظامْ
تَرتَمي في النِّضالْ
مثلَ كلِّ الرِّجالْ
رائعاً مثلَ كلِّ الرجالِ العِظامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

مِن جميعِ الصَّوَرْ
في حيـاةِ البَشَـرْ

فـي ارتعـاشِ الـيَـدَيْنْ
عندَمـا تَحضُنـانْ
وارتعـاشِ اليَدَينْ
عنـدما تَقْتُـلانْ

في ارتجاف الشِّفاهْ
عـنـدمـا تَلْتَقي
وارتجـاف الشِّفـاهْ
عـنـدمـا تَتَّقي

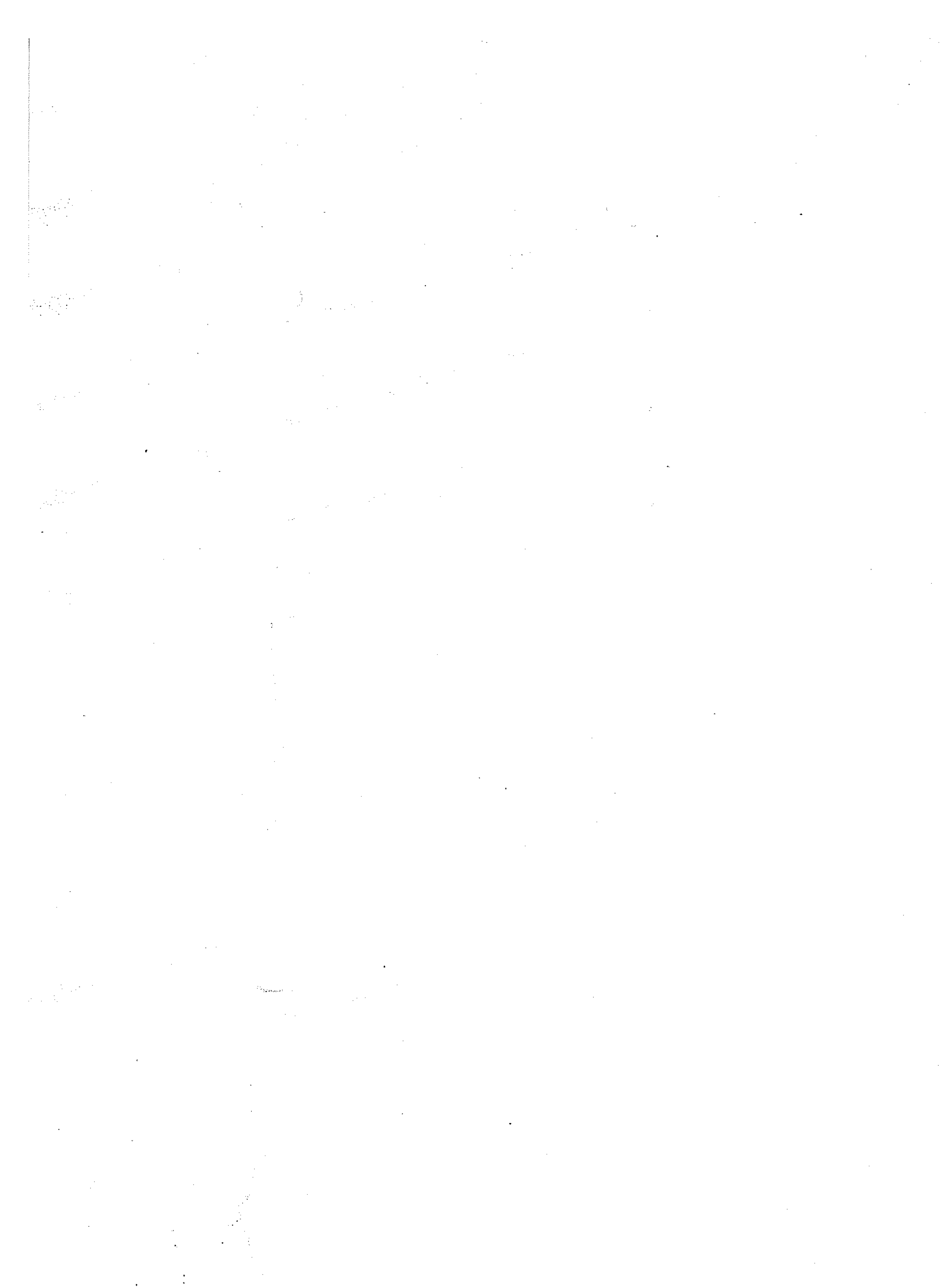
مِن جميع الصَّورْ
في حيـاةِ البشَـرْ

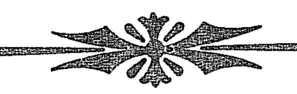
الحيـاةُ التي تستحِثُّ الـزَّمـانْ
نحـوَ يومٍ تَرى فيه وَجهَ الأمـانْ
يـومَ يَحْصدُ فـلّاحُنـا مـا بَـذَرْ
يـومَ لا يَقتُلُ العـاطلين الضَّجَـرْ
يومَ لا نُطرِقُ الرأسَ خوفَ النَّظَرْ
في العيونِ الأُخَرْ !

من جميعِ الصُّوَرْ
البَشـاعـةَ في سعيِها للجَمـالْ
الخمـولُ الذي ينتهَي بالنِّضـالْ
كلُّ ما في الحَياه
ضِحْكُها والألَمْ
ما تقولُ الشِّفاهْ
أو يَخُطُّ القَلَمْ
غيرَ لَحنٍ صغيرْ

فِي صَـداكَ الكبيرْ
في صـداك الـذي ضَمَّ كـلَّ الأنَـامْ
يـا نـشـيـدَ الـسَّـلامْ !

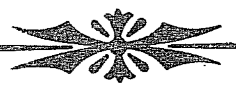
كـلُّ آهٍ تَـلَوَّى بـصـدرٍ يَـضـيـقْ
كـلُّ شِلْوٍ سَحيقْ
حـينَ يـلفظُ أنفـاسَـهُ كـي يَـنـامْ
حيثُ لا يَـستـفيـقْ
إنَّمـا يَلتـوي صـدرُهُ بـالفَحيـحْ
لا لكي يَستـريـحْ
بَـل لِيُلقي صَدىً فيـاكَ بينَ الزِّحـامْ
يـا نـشـيـدَ الـسَّـلامْ !





أوراق
على رصيف الذاكرة

١٩٧٠



حكاية عن البدء

مَرَّ زمانْ
حمَلْنا كلمتنا حجارة ، عصاً ، سكيناً . .
كانَ على كلماتِنا أن تقاتِل وفقَ ستراتيجية عصرِها

ومَرَّ الزمانْ
لبسَ بعضُنا كلمته درعاً
أثار بعضُنا كلمَتهُ ضباباً
وشَرِبَ بَعْضُنا دموعَ كلمَتِهِ حتى الدوارْ
وَظَلتْ كلماتْ
تقاتلُ دونَ صوتْ .
ووفقَ ستراتيجة عصرها ،
لمْ يكنْ يُباح لها أن تُقْتَلْ .

وَ بينما كُنّا نَنْسَحِقْ
نَتَعرّى
نَسْتَشْهِدْ
كُنّا نقمعُ كل شهقاتِ كلماتِنا القتيلةْ.
كانتْ كلماتُنا تمارِس قتالاً لا إنسانية فيه

ومَرَّ الزمانْ
الكلمةُ الدرعُ تصدَّعتْ
الكلمةُ الضبابُ تَبعْثَرَتْ
وبدَت الكلمةُ الدمعةُ قحةً واستغفالاً
وكانَ على الكلماتِ المقاتلة أن تواصل القتالْ
وفقَ ستراتيجية عصرِها
صارت رَصَاصاً
قنـــابــلْ
سبقتْنا ستراتيجيةُ العصر

فَوَقَفْنا مشدوهين
كلماتُنا تَنْطَلِق وتتهاوى على بُعد أشبارٍ من أفواهِنا
دونَ أن تَجرحْ
دونَ أن تترك أثراً لحريقْ

كانَ علينا أن نُعيدَ النظر في كلماتِنا المقاتلةْ

ظنَّ بعضُنا أنه خطأ في التكتيكْ
فَضاعَ وهو يصحِّح مواقفَ كلماته . .
غَرقَ آخرون وهم يُضَخِّمون أسلحتَهم القديمةْ
يضاعفون أحجامها
ويزيدون من قابليتها على الاندفاعِ بإطالة أعناق
وسائل اطلاقها

قلَّةٌ لجأوا الى مختبراتهم
هذهِ القِلّة آمنتْ بستراتيجية العصرْ

أنَّ على الكلمة
لكي تكون سِلاحاً عصريّاً
أنْ تملك قابلية الاندفاع الهائل إلى كلِّ
الجهاتِ في لحظةٍ واحدةْ
وإذن فعليها أن تَتَشظّى
وأن يكون تَشَظّيها ذاتياً محضاً
كالذرَّة تماماً

أنْ تكون الكلمةَ الفعل
الكلمةَ القاتلْ
الكلمةَ القتيلْ
الكلمةَ الملجأْ

تحملُ كل إنسانيتِها
تحملُ كل صراعِها معها

وحينئذٍ تَتَشَظّى
كالذرة تماماً

لستُ أدّعي لهذهِ القصائدِ شيئاً
سوى أنَّها « أنا » في يومٍ من الأيامْ
وأنَّها تلقي ضوءاً على مسيرةِ كل المعادلات
الرياضية لكلماتي
إبتداءاً من أوفرِها بداهةْ .

عبدالرزاق عبدالواحد

بغداد ١٩٧٠

شيء لم أفقده

١٩٥٧

أنا لا أزالُ فلا تَظُنّي
أنّي بغيرِكِ لا أُغنّي
فَعَلىٰ شقائي
أنا لا أزالُ كأصدقائي
للأرضِ ،
للبُسَطاءِ ،
للدُّنيا بأجمَعِها غنائي

لا تَنْدُبي ما ماتَ مِنّي
ما ماتَ إلاّ بعضُ ظنّي
أنّي حلمْتُ بطفلَةٍ تلْهو وبيتٍ مطمئنٍّ
فَلَئِن فقدتُكِ فالحياةُ بأسرِها أهلي وداري

وصغارُ إخواني صغاري
ساحبُّهُم حُبّي لأحْلامي بطفْلَتِنا الوَضيئهْ
حُبّي لِنَظْرتِكِ البريئهْ
وأظلُّ في ليلي لهم و لطيفِ طفْلتِنا أُغنّي
فإذا سَكَتُّ فلا تَظنّي
أنّي انتَهيتُ لأنَّني أشقى ،
وأنّي لن أُغنّي

مصرع انسان

١٩٥٤

وَكَنَجْمةٍ شقَّ الفضاءْ
وَمضى
وخَلَّفَ في الطريقْ
خيطاً عميقْ

وتساقَطتْ نُقَطُ المَطَرْ

كانتْ بعنُفٍ تَحْفرُ القَطَراتُ دَرْباً في الهواءْ
شيءٌ كثيفْ
شيءٌ كأسفنجٍ مخيفْ
تمْتَصُّهُ مَصّاً
وتَزْفِرُهُ الصُّدورُ بلا ارتِواءْ

وكأنَّ آلافَ الجِبالْ
تَلْتَفُّ في عُنفٍ على أعناقِ آلافِ الرِّجالْ

وعلى السّطوحْ
وعلى النّوافِذِ والدّروبْ
كانَتْ تَدُقُّ على القلُوبْ
نُقَطُ المَطَرْ . .

فقر في نيسان

١٩٥٦

هُنـــا ،
في هذِهِ الوِديانْ
على الأحراجِ ،
بينَ الصَّخرِ
يُولَـدُ
يَنْبُتُ الإنسانْ
تَوائِمُ وَرْدِ كُردستانْ
بلا عِطْرٍ
بلا ألوانْ
وفي صمتٍ وفي نسيانْ
تعيشُ حياتَها وتموتُ والأزهار
في نِيسانْ . .

وتر وليد

١٩٥٧

وَهَجرْتُ كلَّ سَنابُلي
وَهَجرْتُ أزهاري
ونأيْتُ عن داري
عن جدوَلي الجاري
حتى فَزعتُ منَ الجفافِ ،
فَزعتُ أن أظما
وتجفُّ أوتاري

وَ هُنــا ،
على هذِي الصُّخور ،
تَسمُرَتْ قَدَمي
ألفَيتُ بعضَ دمي

يا أنتَ

يا أعمى

الجرحُ إمّا جَفَّ لا يَدْمَى

بارِكْـــهُ

هذا نَبْعُكَ السَّاقي ؛

وسالَ دَمي

ومَدَدْتُ كفِّي نحوَ قيثاري

فإذا به وَتَرٌ وَليدٌ رائعُ النَّغَمِ

خطاب الى بيرمكرون

١٩٥٧

يا صديقي العظيمْ
كمْ هَفَتْ خلفَ هامَتِكَ الفارعَهْ
لِتُبارِكَ وديانَكَ الرَّائعَهْ
شمسُ يومٍ عظيمْ

كمْ تَكَسَّرتْ الرَّشَبا في ذُراكْ
واستماتَتْ هُناك
ثمَّ أغفَتْ ونامَتْ على ساعدَيْك

كَمْ على منكِبَيْكْ
دَمْدَمَ الرَّعدُ وانصَبَّ جَورُ المَطَرْ
والتَوى وانحدَرْ

جارفاً غيظَهُ المرَّ عنَّ صَخرتَيْك
لِصِغار التُّلولْ
كمْ تَشَامَخْتَ فوقَ رِحابِ السّهولْ
باسطاً جَبَروتَكَ مثلَ الأَبِ
فوقَ خُضرِ المُروجْ
عارِضاً جبهَتَكْ
للأعاصيرِ ،
للرَّشَبا ،
للثلوجْ

يا صديقي العجيبْ
كمْ رَنوتُ إلى مُرتَقاكَ المَهيبْ
قابعاً خَلفَ نافذتي الموصَدَه

كمْ شَعَرْتُ بشوقٍ مُلِحٍّ غَريبْ

يَحتويني إليكْ
فَحَنَنْتُ لو انِّيَ أُلقي عليَكْ
أضْلُعي المُجْهَدَه
وأوسِّدُ خَدّي على راحتَيكْ

يا صديقي الوَقورْ
أيُّها المُتَشرِّبُ بالثَّلْجِ حتى قرَارِ الصُّخورْ
أيُّها المُتَلَفِّعُ بالغَيمِ في الزَّمهريرْ
طافياً مثلَ حوتٍ عَجوزٍ كبيرْ
في خِضَمِّ الغيومْ

يا صديقي العَجوزْ
هل تُحِسُّ دَبيبَ الشّتاءِ الرَّهيبْ
في ضِلُوعِكَ ،
هل كانَ فيها لَهيبْ
فانطوى واندَثَرْ

هل تُحسُّ كآبةَ وَقْعِ المَطَرْ
فوقَ ظهرِكَ ،
هل يعتَريكَ الوجومْ
مثلَ كلِّ البَشَرْ

هل هَرِمْتَ ،
تَزَعْزَعْتَ ،
أمْ ما تَزالْ
شامخَ الرأسِ ،
عالي الذُّرى ،
لا تُنالْ
هائلَ الكبرياءْ
مثل عهدِكَ حينَ التَقَيْنا فَكنّا على بُعدِنا أصدقاءْ . .

بيرمكرون : جبل سامق في السليمانية

الرَّشَبا : كلمة كردية . ترجمتها العربية « الريح السوداء » وهي ريح عاتية تهب في منطقة السليمانية بشكل أعاصير محمَّلة بالثلوج .

حكاية عن البدء والمنتهى

١٩٥٦

لأهلِي أُغَنٍّي
أُغنِّي ولنْ يَسْمعَ الناسُ عني

أُغنّي لأُمّي رَؤاها الخَوالي
أُغنِّي لها وحْدَها عن صِبانا
أمانيَّها أن تَرانا
عيونَ الرجالِ

أُغنّي لها كيفَ كانَتْ تُلالي
لنا في اللّيالي
وكَيْفَ كَبِرْنا وظَلَّتْ تُلالي
على مَهْدِنا الفارغِ المُثْقَل

بآمالِها الضَّائعاتْ
بِمولُودِها الأَوَّلِ

لأُختي الصَّغيره
أُغنّي لها أُغنياتي الأثيرَه
عن الحبِّ ،
حُبّي ،
لأُختي أُغنّي
عن الناس ،
عنّي
عن الخيرِ في قلبِها المطمئنِّ
أغنّي لأُختي
أُغنّي ولنْ يَسمعَ الناسُ صَوتي

أُغنّي أخي وهو غافٍ بِحُضني

أُغنّي لهُ غَدَهُ في خيالي
وكيفَ سَألقاهُ بينَ الرجالِ
كبيرَ التَّمَنّي
كريماً حبيباً كما أشْتَهيهِ
وقد أزْهَرتْ كلُّ دنيايَ فيهِ

لأهلي أُغنّي
أُغنّي ولنْ يَسْمعَ الناسُ عنّي

أُغنّي أبي والبَياضَ الوَفيرْ
على وجهِهِ ،
والغُضونَ العَميقه
أُغنّي حياةَ كفاحٍ عَريقه
تَمَشّتْ هدوءاً وصَمْتاً كبيرْ
على مُقْلَتيهِ ،
ودُنياً سحيْقه

يعودُ لها حينَ يَخْلُو لِنَفْسِهْ
كَكنزٍ ثَمينْ
يُفْتِحُهُ بيتُ شِعرٍ حزينْ
يُذكِّره كلَّ أيامِ أُنْسِهْ
وأيّامِ بؤسِهْ
وأيامَ غَنّىٰ معَ الآخرينْ

أُغنّي لأهلي
أُغنّي كما غَنَّتْ الناسُ قبلي
ولكنْ أُغنّي
لِوَحدي ،
ولنْ تَسمعَ الناسُ عنّي

ما يحضر في الغياب

١٩٥٦

الى بشير*

حينَ لا أُبْصِرُ عَيْنيْكَ أرى حَدَّ بلادي
وأرى أني غريبْ
ممعنٌ في غُربَتي ،
أذكرُ أنائى ذِكرياتي
كلٍّ شيءٍ كان يوماً ما حبيباً في حياتي
كلِّ ما رَفَّ بِصْدرِي
السُّوَيْعاتِ التي لم يَبقَ منها غيرُ شِعْري
كلَّ ما أسْعَدَني منها ،
وما أسعَدَ غَيري
وطَواها وطَواكْ
كلُّها أذْكرُها في ساعةٍ لستُ أراك

---

* اصغر اخوان الشاعر

حينَ لا أُبصِرُ عَيْنيْكَ أرى حَدَّ عِراقي
وأرى أني غريبْ
ممعنٌ في غُربَتي ،
أجمعُ أسماءَ رِفاقي
ورؤىٰ أمسي الأثيرَه
كلُّها أجمعُها ،
حتى الحكاياتِ الصَّغيرَه
فأرى أوجُهَ أهْلي
كلِّ أهلي
أهلَ مثلي
أهلَ مَـنْ في غُربَتي ،
أوجُهَ مَـنْ قاسَوا عذابي
كلُّها تَلْتَمُّ حَوْلي
في اغترابي
وأراها
فأرى كلَّ بلادي وأساها
كلَّ آلامِ بَنيها

وأرى وجهَكَ فيها
أنتَ يا أصغرَ مِن أصغرِ شيءٍ في ثَراها
يا كبيراً في فؤادي
حينَ لا أُبصرُ عيْنَيْكَ أرى بؤسَ بلادي

الخوف والرجال

١٩٦١

يا سيِّدي لَسْنا دِقاقَ الظّهورْ
لقد تكَوَّمْنا زماناً طويلْ
تحتَ صَليب ثَقيلْ
فأرضُنا ، وأنتَ أدرىٰ ، ليسَ فيها حَطَبْ
غيرَ جذوعِ النَّخيلْ

وليسَ ضِيقُ الصّدورْ
مِن دأبِنا يا سيِّدي ،
فقد مَصَصْنا الهواءْ
لقد مَصَصْناهُ خلالَ الثُّقوبْ
خلالَ كلِّ النُّدوبْ
في جُدُرٍ مُشْبَعةٍ بالدِّماءْ

وَحَقِّ مَـنْ أوهَمَكْ
بأنَّنا قومٌ صِغارُ القلوبْ
لقد مَصَصْناهُ خِلالَ الثُّقوبْ
ولم نَمُتْ ،
لم نختَنِقْ كالسَّمَكْ

وقد تَعَلَّمْنا بتلكَ الكهوفْ
أنَّ لِثُقْبٍ صَغيرْ
ثُقبٍ دقيقٍ سِيَّما في السُّقوفْ
لَمِنَّةً تعدِلُ كنزاً كبيرْ

إنَّكَ لم تَقْبَعْ شهوراً طوالْ
في حُجْرةٍ مَليئةٍ بالسُّعالْ
مليئةٍ بالرِّجالْ
بالظلامْ
بكلِّ ما لمْ تَرَهُ من هَوامْ

في حجرةٍ توشِكُ جُدرانُها
أن تَلتقي فوقَكَ حَدَّ العِناقْ
إنَّكَ تدري أنَّ هذا شائعٌ في العِراقْ
وإن تَكُنْ لا تَعيهْ
فأنتَ لم تُلقَ فيه
لكن تَصَوَّرْ مثلَ هذا الحفيرْ
وهذهِ الظُلْمَةَ والرَّطوبةَ المُزمِنه
والعَفَنْ
وأنتَ في غَيْهَبِهِ مِن سنينْ
تَطوي خيوط الكفَنْ
حولَك في وَحدَتِك القاتِلَهْ
مِن سَعْلَةٍ ذابِلَهْ
وأنَّ ثُقْباً صَغيرْ
يَسْكُبُ قِنديلَ ضياءٍ صَغيرْ
عليكَ مِن مَكْمَنِهِ في جِدارْ
تُمَيِّزُ الليلَ بهِ والنَّهارْ
حتى لَتُحصي الشُّهورْ

بِكَمْ إضاءَةٍ لهُ وانطِفاءْ
تُحسُّ أنَّ مثلَ هذا العَزاءْ
شَيءٌ عزيزٌ ثَمينْ
أعزُّ ما تملكُ أنتَ السَّجينْ
في مثلِ هذي الحُفْرَةِ المُوحِشَهْ

تَعْلَمُ ما كانَتْ لَيالي الشِّتاءْ
وأُمسياتُ الشِّتاءْ
تَبعثُ فينا ،
أيَّ حُزنٍ غَريبْ ؟
كنّا بها نَنسى حِسابَ الزّمانْ
فلمْ يَكُنْ في وِسْعِ أيِّ النّجومْ
نجومِنا في الجدارْ
بأنْ يُرينا مَوعداً للنّهارْ

كانَتْ معاني الحياةْ
جميعُها ماثلةً في قَطْرَةٍ مِن ضياءْ

تاهَتْ خلالَ الغيومْ
ولم يَعُدْ غيرُ نُقاطِ المَطَرْ
تَنْقُرُ فوقَ السُّطوحْ
كأنَّها تَدُقُّ في كلِّ روحْ
مِسْمارَ نَعشٍ مُثْقَلٍ بالهُمومْ
وَرَغْبةً في البكاءْ

أنتَ ترى يا سيِّدي أنّا عَرَفنا الظَّلامْ
أنّا تَنفَّسْنا وعِشْنا الظلامْ
حتى حَنَنَّا في جنونٍ مُريبْ
لِرَعشةٍ مِن ضياءْ
فلا تَخَفْ أن يُذيبْ
لَهيبُ تَمّوزَ الظهورَ العِجافْ
إنْ هوَ إلّا وَفْرَةٌ مِن ضِياء !

تَعلَمُ أنّا نَخافْ ؟
وإنَّنا نُقِرُّ أنّا نَخافْ

لكنّنا لَسنا نخافُ القَليلْ
لَسنا نخافُ السُّغَبْ
لَسنا نخافُ أن يَدُقَّ التَّعَبْ
أعناقَنا تحتَ صَليبِ النَّخيلْ
لكنَّنا يا سيِّدي نُقِرُّ أنّا نَخافْ
نخافُ حتى الجنونْ
نَخافُ حتى تَقشعِرُّ العيونْ
مِن شَكْلِنا ،
نخافُ حتى يَسْتحيلَ الزَّفيرْ
في جوْفِنا مثلَ لُهاثِ السَّعيرْ
نخافُ حتى الرُّعب ،
حتى الموت ،
حتى الـ . .
نخافْ
يا سيِّدي مِن كِلْمَةٍ مِن ثَغْرِكَ الأرجوانْ
نخافُ مِن أن نُهانْ . .

الغدر

١٩٥٣

واحْتَرقَتْ بغدادُ في سُكُونْ
لم تُبْصِر العُيونْ
منها سِوى الدُّخانِ والرَّمادْ

دُخانْ
شهرانِ نَسْتَفيقْ
وكلَّ فجرٍ نَسمَعُ استغاثَةَ الحريقْ
ولا نَرى ولا وَمَيضَ نارْ
وكالعَصافيرِ على جَمْرٍ بلا أُوارْ
أطفالُنا الصِّغارْ
يُرَفْرفُونَ ،
ثمَّ يَرْسبون في القَرارْ

هــدوءْ
لا صوتَ
لا نَفَــسْ
لا قطَّةٌ تَمُوءْ
لا عينَ تَرنو ، لا فمٌ يَهْمسُ ، لا ذِراعْ
تَمْـتَـدُّ ،
لا لِقــاءَ
لا وَداعْ

دُخانْ
كلُّ الوجوهِ ، كلُّها تَنوءُ بالهَوانْ
قَنافذٌ صِغارْ
تَزحَفُ في الدُّروبْ
مُخْتَرِقاتٍ دونَ ضوءٍ ،
دونَ أن يُثارْ
شيءٌ ،

سِوى الدُخانِ والرمادْ

ضيــاعْ
بحــرٌ من الخَـدَرْ
وكلٌّ بغدادَ تموتُ دونَ أن تُراع
هذي التي تَزْحَفُ في الدُّروبِ كالبَشَرْ

القمقم

١٩٦١

الثَّلْـجُ ،
والخدَرُ البَطيءْ
الآنَ يا حَطَباتُ قَرِّي ، فالكواكبُ لا تُضيءْ
والنارُ أبعدُ ما تَكون ،
وأنتِ في هذي الرِّجامْ
من ألفِ عامْ
والثَّلْجُ
فوقَ الثَّلْجِ ،
فوقَ الثَّلْجِ يَهمرُ
والظلامْ
يلتَفُّ مثلَ الأخطَبوطْ
يوماً فيوماً حولَ أنفاسي فأرسبُ في القرارْ

يا أُغنياتي للبِحارْ
يا مَوجَ طُوفاني وأشرِعَتي الوَليداتِ الصِّغارْ
فَلْتعصِفَنَّ بكِ العَواصِفُ ، وليُحَطِّمْنَ الصَّواري
ولِتَبْتَلِعَكُنَّ الثّلوجُ ، فَلَسْتُ أملِكُ في احتضاري
نَفَساً يَرِفُّ بكُنَّ بعدَ اليومِ في عَرْضِ البِحارِ

أطفأتُ ناري
يا قُمْقمَ الدَّمِ والعِظامْ
يا أنتِ ،
يا حَطَباتُ قَرِّي
يا ضُلوعاً من رُخامْ
الماردُ الجبارُ أسْلَمْكِ انتفاضَتَهُ ونامْ
والثَّلْجُ ،
فوقَ الثَّلْجِ ،
يَهمُرُ فوقَهُ
مِن ألفِ عامْ

نداء في مقبرة

١٩٥٥

يا قبــورْ
يا هذهِ الأرضُ التي لا تَدورْ
قَتَلْتِ ضوءَ النَّهارْ
بدَورَةٍ عاتيهْ
حتى حَطْمَتِ المَدارْ
في قلبِ هذي الليلةِ الدّاجيَهْ
فغصتِ حتى القرارْ
راسخةً في بحرِ هذا الظلامْ
كجُثَّةٍ مِن رُخامْ
لا روحَ ،
لا دفءَ بها ،
لا شعورْ

يا قبـــورْ
يا هذهِ الأرضُ التي لا تَدورْ
هل أنشَبَ الموتُ مَساميرَهُ
فيكِ بأنأَىٰ ما تَمدُّ البُذورْ
جذورَها ؟
هل ضاعَ حتى الأمَلْ
في أن تعيشَ وردةٌ واحدهْ
تبعثُ بعضَ الخَجَلْ
بعضَ احمرارِ الخَجَلْ
في هذهِ الصُّفْرَةِ في رمالِكِ الراكدَهْ

يا قبـــورْ
يموتُ فيكِ كلُّ شيءٍ نبيلْ
حتى الفراشات ،
وحتى الزهورْ ،
والطيورْ

وكلُّ شيءٍ جميلْ
إلّا الخفافيش ،
وإلّا الغُرابْ
يَنْبشُ فوقَ التُرابْ
لِيأكُلَ الحَبَّ الذي لا يَعيشْ

وكلُّ نُبْلٍ صغيرْ
يُنْبتُهُ فوقَكِ ليلٌ مَطيرْ
ليلٌ طويلٌ مَطيرٌ
بكلِّ ما فيهِ مِن المُوحِشاتْ
يَدُبُّ شيءٌ صَغيرْ
شيءٌ مُميتٌ صَغيرْ
يَسْلُبُ منهُ كلَّ دفءِ الحياة

يا قبـــورْ
يا جثّةً هامِدَهْ

أَلَـمْ يَحِنْ لهذهِ المقبرَةِ الخالدَهْ
أنْ تَسْتَحِقَّ وَردةً با ئسه
تُلهي عيونَ الناسِ عن تُربَتِها اليابسَهْ

اعتذار

١٩٥٥

إنَّني إذْ أشْتَكيكِ
أشْتَكي الإنسانَ فيكِ
أنتِ ما كُنْتِ طوالَ الدَّهرِ أرْضاً مُجدِبَهْ
لستِ أنتِ المُذْنِبَهْ
نحنُ لم نَزْرَعْ ،
ولم نَسْقِ ،
ونَشْكو المَسْغَبَهْ
ونَسُبُّ العُقمَ فيكِ
كم تَحمَّلتِ جَفاءً وعقوقاً من بَنيكِ
يا بلادي الطيِّبه
يا خَرِبَــه . .

يا خال عوف

ألقيت في إتحاد الأدباء العراقيين بعد شهر
من نزوح الجواهري مكرهاً عن العراق عام ١٩٦١

مـفـازةٌ هـيَ نَـطـويـهـا وتَـطـويـنـا
جِدّي خُطى فلقد جَدَّ السُّـرى فينا

لا غـابـةُ الشَّـوكِ أثْـرَتْهـا عَـرائشُنـا
ولا الـهَجـيـرةُ أغْـنَـتْهـا سَـواقـيـنـا

ولا السُّـوافي وقـد أدْمَتْ مَحـاجِـرَنـا
ألـوى بهـا مـا لَـوَيـنـا من سَـوافيـنـا

كـأنَّـنـا لم نُـطامِـنْ مِن شَـوامِـخِـنـا
ولا أذَبْـنـا حَشـانـا فـي تَحـاشـيـنـا

ولا الـرِّجامَ حَـرَثْنـاهـا ، ولا دَمُنـا
رَوّى ، ولا زَرَعَـتْ شيئـاً أيـاديـنـا

جِـدّي خُـطى إنَّنـا حَـرَّى جـوَانِحُنا
حَـرَّى مَـواطِئُنـا ، حَـرَّى مَهـاوينـا

لقـد تَحَمَّلْتِنـا جَـرحى نَـمُـجُّ دَمـاً
تَـحَمَّلينـا غِـضـابـاً مُـسْتَفَـزِّيـنـا

تَـحَمَّلينـا وَفَـرْطُ الـغَيظِ يَـهـرُسـنـا
هَـرْسَ الرَّحى ومَهيضُ الجُـرحِ يُطغينـا

تَـحمَّلينـا فـإنَّ الـصَّـبـرَ يَـلْفُـظُنـا
وإنَّ ألـفَ دُجـىً سُـوداً تُـنـاديـنـا

وإنَّ مَـجْـمَـرةً شَـعـوا تَـرَصَّـدُنـا
وإنَّـنـا نحـوَهـا تَـسعى سَـواعيـنـا

*

جِـدّي خُطى ، إنَّ هـذا الدَّربَ أوعَـرُهُ
غُـيَـيْـمـةٌ وعُـشَـيْـبٌ يُـورِثُ اللّينـا

كم مِن خَضيلٍ تَـوسَّدْنـا ، وَمُنبَجِسٍ
مـاءً غَـشِينـاهُ حتى كـادَ يُغـوينـا

وكـم مُـظِلٍّ تَـفَـيَّـأْنـا عَـرائِـشَـهُ
لـم نَـدْرِ أنَّـا تَـفَيَّـأنـا ثـعـابـيـنـا

حتى تَـدَلَّتْ علينـا كـلُّ مُفـرِعَـةٍ
بـألفِ أرْقَطَ مـلءَ النَّـابِ يُـصْمِـيـنـا

فعــادَ يمضَــغُ مِن جَنْبَيــهِ جــائعُنــا
ويــكَتــسي دَمَــهُ الـمُهــراقَ عــاريـنــا

لقــد زَهِـدْنــا فيا أحشــاءَنـا انْخَسِفي
حـدَّ الـظهـور ، وَيـا أشبــاحَ مـاضينــا

شُــدِّي على كـلِّ عِـرْقٍ من جَـوارِحِنــا
حـتى تَـحُــزَّ الشَّــرايـينُ الـشَّــرايينـا

حــتى نَــعــودَ ولا وَهْــمٌ يــؤَرِّقُــنــا
ولا سَــرابٌ عـلى الـبـلوى يُـمَـنِّـيـنـا

*

جِــدِّي دَؤوبُ فَكَم من واحـةٍ حفَـرَتْ
لــونَ الـظلالِ على أهــدابِ سـاريـنــا

إنّا نُـذِرْنـا لهـذا الـرّمـلِ ، نمضَغُـهُ
حينـاً ، ويَمْضَـغُ من آمـاقِنـا حينـا

نُشـوَى عليـه ، فيَسقينـا على ظـمـأٍ
جَـمـراً ، وتَسـقيـهِ مـدراراً دَوامينـا

ونلتقي والـرِّيـاحَ الهـوجَ تَـصْفَـعُنـا
فمـا تُشـابِـكُ ، أهـدابـاً مـآقينـا

قـد يَقرَبُ الـظلُّ حَدَّ اللّمسِ مُجهَدُنـا
ويجـرَع المـاءَ حَـدُّ الحَلْقِ ظـامينـا

وقـد يَـمـرُّ بنـا دَهـرٌ ولـيسَ يَـرى
ظِـلاً ولـو لِـجنـاحِ الـطّيـرِ رائينـا

وَيمَّحى ظلُّنـا من فَـرْطِ مـا التَصَقتْ
بِهـامِنـا الشَّمسُ نُـدنيهـا وتُـدنينـا

*

جِدِّي حَمولُ ، فمـا أشقى أخـا سَفَـرٍ
للشَّمسِ يَمشي لهـا والـظِّلَّ والـطِّينا

لقـد بَـذَرْنـا سَنـاهـا في محـاجِـرِنـا
وقـد سَجَـرْنـا لـظاهـا في مَحـانينـا

وقـد زَحَمْنـاهـا لهـا أمضى قَـوافلنـا
فـأرقَلَتْ ، وَحَـدا بـالنـاسِ حـادينـا

ولم نَـزَلْ مـا استـوى طفـلٌ على قَـدَمٍ
إلاّ لِيـدرِجَ فـي أعـقـابِ تـالـيـنـا

*

يـا خالَ عَـوفٍ رعـاكَ اللّهُ حيثَ سَـرَتْ
بـكَ الخُـطى ، وسَقى شَـوقُ المُحبِّينـا

وَرَفَّ حـولَـكَ أنـدى مـا بـأضْلُعِنـا
إنْ كـانَ فَضْـلُ نَـدِيٍّ في مَـطاوينـا

وقـبَّـلَـتْ فـمَـكَ الـمِـعـطاءَ نـازِعَـةٌ
مِن الحنيـنِ بنـا تَـطغـى فَتَشْجِينـا

إنّـا لَيَحـظى هُنـا مَـنْ عنكَ يَسْـألنا
بِسـائـلٍ عنـكَ مـا غَصَّتْ نَـوادينـا

بِمُـرتَـجٍ نَفْـثَـةً حَـرَّى تُـسَعِّـرُنـا
وَمُـرْتَـجٍ نَـشَّـةً رَيّـا تُـهـدّيـنـا

فـلا حُـرِمْنـا هَـديـراً منكَ يُـزبِـدُنـا
ولا عَـدِمْنـا نَميـراً منـكَ يَسقينـا

ولا عَـدَتْـكَ وإن شَحَّتْ نَـسـائمُنـا
ولا جَـفَـتْـكَ وإن جَـفَّـتْ غَـواديـنـا

*

يـا خـالَ عــوفٍ وفينا منـكَ مـأثَـرَةٌ
أنّـا تَـجـاوَبُ والـبَـلوى قَـوافيــنـا

نـرى التمـاعَ المُـدى قبـلَ انفــلاتِها
ويَحضنُ الجُـرْحَ قبـلَ الـطّعنِ فـادينـا

ونسمـعُ الآهـةَ الخـرسـاءَ مـا انفـرجَتْ
عنهـا الشِّفـاهُ فَـتَشْـجينـا وَتُـورينـا

يا خـالَ عـوفٍ شـدَدنـا كـلَّ خـالجـةٍ
فينـا بِمُسْـتَقْـتِـلٍ يَـدمى ويُـدمِينـا

بِـمثخَنٍ مُسْـتَـميتٍ نـحـو قِـمَّتِـهِ
يَسْعـى فيَـهـوي قَـرابينـاً قَـرابينـا

يُـذيبُ في كـلِّ يـومٍ من حُشـاشَتِـهِ
حتى يكـاد.. ويَعلُو صَـوتُ نـاعينـا

*

يا خالَ عـوفٍ ألا أُنْبيكَ مـا خَبأتْ
لـنـا المقـاديـرُ ممّـا كـنتَ تُنْبينـا

أُنْبيـكَ أَنّـا بعَيـنٍ نِصْفِ مُغْمَضَـةٍ
نَغْفـو ، ويـالكَفُّ فـوقَ الكَفُّ تـطِمينا

ومـا بنـا رَهْبـةٌ ، لـكـنَّ أفـرُخَنـا
لا يـألـفَـونَ الأفـاعي في مـآوينـا

فنحـنُ نُسْلِمُهـم كفّـاً ، ونُـسْلِمُ لـلأ
نيـابِ كفّـاً ، فـنلويـهـا ، وَتلويـنـا

ونكتـمُ الآهَ عُمْـقَ الجُـرحِ نَـدفُنُهـا
لِنَحفَظَ الـزُّغْبَ الـغـافينَ غـافيـنـا

*

أُنْبيـكَ أنّـا وإنْ قُصَّتْ قَـوادِمُـنـا
لم نـألُ نشْهَقُ مـا اسـطاعت حـوافيـنـا

وأنَّـنـا كـيـفَـمـا هَـبَّـتْ مُـزعِـزِعـةً
هُــوجُ الـرِّيــاحِ تَهـاوَتْ عَن مَـراقينـا

فـلـمْ تَمِــلْ بِـجَنــاحٍ مِـن شَــواهِقـنـا
ولا التَـــوَتْ ومَجــاريـهــا مَجــاريـنــا

يـا خالَ عـوفٍ وما حُـزَّتْ كمـا وَهِـمُـوا
أعنــاقُنــا ، لا ولا جُــزَّتْ نَــواصينــا

إنّــا ضِخـامٌ كمــا تَهـوى ، عَمــالقـةٌ
كمــا عَهِـدْتَ ، مُخيفــاتٌ عَــوادينــا

ســودٌ تَعــاوِرُهــا البُؤسى فتَسْجُــرُهــا
كمــا تَعــاوَرَتْ الــرِّيــحُ البَــراكينــا

*

إنّــا امتُحِنّــا بــأيّــامٍ بِنــا امتُحِنَتْ
تَعــدو علَينــا وَتَشْكــو من تَغــاضينــا

لا صَيْفُهـا كـان ذا زَرعٍ فيُـطْعِمُنـا
ولا شِتـاهـا بـذي ضَـرْعٍ فيُـروينـا

ولا عَـرفنـا بهـا طَـلًّا يُبـاكِـرُنـا
ولا وَجَـدْنـا بـهـا ظِـلاً يُـغـاديـنـا

بـلى رُزِقْنـا جَـراداً فـي مَـراتِعِنـا
نَـرُبُّـهُ بـحصـادٍ مِـن مـآسينـا

وحُـرْقَـةً قَـرِحَتْ أنـدى جـوانحِنـا
مِن لَفْحِهـا ، وفَـراغـاً مـلءَ أيـدينـا

ولَهفـةً لِـقُـطَيْـراتِ النَّـدى جـمعَـتْ
لهـاثَ سَبعين جيـلاً من أضـاحينـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ وقـد ضـاقَتْ مـذاهبُنـا
وانـداحَـتْ الأرضُ أغـواراً أفـانينـا

تُطِلُّ منها ذُنابى مالَها عَدَدٌ
يُحصى ، وأنيابُ أغوالٍ ملايينا

لم نألُ نرصُدُها دَهراً وتَرصدُنا
ندنو وتَدنو ، ونُحصيها وتُحصينا

حتى تَبَيَّنَ مِنّا ما تُحاذِرُهُ
في حينِ أسفَرَ منها ما يُجَرِّينا

ولم نَزَلْ نَتَمَلاّها مُرَوَّعَةً
ولم تَزَلْ تَتَملاّنا مُريعينا

وإنّنا لو أرَدْنا أن نُطاحِنَها
دُرْنا عليها بأضراسٍ طَواحينا

لكنّنا كَرَماً مَنّا نرى سَبَباً
للخير أن يتَروّى سَهْمُ رامينا

براءة

١٩٥٤

مِن طيبتي ،
مِن كبريائي
مِن أصدقائي
مِن كلِّ ما قَدَّستُ ،
ما آمنتُ أنَّ بِهِ بقائي

مِن ذكرياتي
مِن حاضري ،
مِن كلِّ آتِ

مِن والدي وسحابةُ الستِّينِ في عينيهِ تَهمي
مِنْ إخوتي حتى الصَّغير ،
و مِن أُخَيَّاتي وأُمي

مِن كلِّ إنسانيَّتي ،
مِن كلِّ إيثاري لغيري
مِن كلِّ شعري

إني اتُّهِمتُ بكلِّ هذا
وأنا بَريءٌ منهُ حتى الموت ،
تصويرٌ ،
وطابعْ
نُسَخٌ إلى كلِّ الجرائدْ
صوَرٌ إلى /
بعضِ الجهاتِ
ملفَّةِ الموما إليهْ
بغداد ،
التأريخ مفتوحٌ إلى يومِ القيامه

وقتلت في أعماقي شيئاً

١٩٥٤

كُنْ ما تُرِيدْ
أنا لا ألومُكَ غيرَ أنّي جئتُ أسألُ أن تُعيدْ
ما كنتُ أكتبُهُ إليكْ

أنا ليسَ بي كِبْرٌ عليكْ
تدري بأنَّكَ كُنْتَ مِثلَ أخي ، وأكثرَ مِن صديقْ
إني حَبَبْتُكَ منذُ وَقْعتِكَ المُريعةِ في الطريقْ

كُنّا صغارْ
نَلهُو بتلكَ اللُّعبةِ الحمقاءِ في ذاكَ النهارْ
عينانِ في عَينين ،
مَـنْ يَجْهَدْ فيَكْسِرْ مُقْلَتيهْ
كنّا نُلقِّبهُ جبانْ

ونَغيظُهُ ضَحِكاً عليهْ

ما زلتُ أذكرُ رَفسةَ الفَرَسِ العجوزِ على قفاكْ
إني أراهْ
ذاكَ الصَّغير بظَهرِهِ المهدوم ،
لكنْ مُقْلَتاه
في مُقلتيَّ تُحدِّقانْ
لم تَطْرِفا كيْلا يقولَ رفاقُنا عَينا فلانْ
عَينا جبانْ

أنا ليس بي كِبْرٌ عليكْ
لكنْ تُكسِّرُ كلَّ أضلاعي انكسارةُ مُقْلتَيكْ

كُنْ ما تريدْ
أنا لا ألومُكَ ،
غيرَ أني جئتُ أرجو أن تُعيدْ
ما كُنتُ أكتبُهُ إليكْ

الرئة الملتهبة

١٩٥٤

يُقـاتِلُني دائي ويَعصـرُني بُؤسي
وأحلمُ أن أقسـو فـأقسـو على نفسي

وَيُفْـزِعُني ممَّـا أُعـانيـهِ أنَّـني
أجـادلُ إيمـاني لألهـوَ عن يـأسي

وتَـرتَـطمُ الأحـداثُ بي وتَـهـزُّنـي
فـأصحـو على دارٍ يمـوتُ بهـا غَـرسي

يَفـحُّ بهـا الأطفـالُ بَـرْداً وتَلتَـظي
محـاجِرُهم جـوعـاً فتَنْبتُ في رأسي

تُـزعـزعُ إنسـانيَّتي ، وتُـهـينني
وتَسحقُ إيماني ، وتَسْخَرُ من بـأسي

وَتَتْـرُكُني عـريـانَ من كـلِّ قـيمـةٍ
تُسَتِّـرُني ، حتى البقيَّـةِ مـن حِسّي

فـأخـرجُ لا أدري إلى أيـن أنتـهَي
وفي رِئتي حِقـدي وملء يـَدي فـأسي

رسالة الى صديق*

١٩٥٤

والله يـا سَعدُ مـا مَرَّتْ بيَ الكُـرَبُ
كـمـا تَمـرُّ بـغَمْـرٍ مِلْؤهُ نَـصَـبُ

ولا تـجـرَّأَ يـأْسٌ أو مـسـاومـةٌ
يـومـاً عـليَّ ولا ذُلٌّ ولا رَهَـبُ

لقـد وَقفْتُ بـوَجـهِ الحـادثـاتِ ولم
أنـظرْ إلى مَنْ حيـالي وهي تَـقْتَـربُ

لَئِنْ يكنْ في بقـائي مُـمسكـاً قَلَمي
هـذا العـذابُ فـإنَّ الميتَـةَ الهـرَبُ

واللّهِ يا سَعد لم اسفْ لذاهبةٍ
إلّا على أنَّ لي صحباً وقد ذهبوا

لي كلَّ يومٍ هنا قومٌ أخالِطُهم
لكنَّني بينَهم يا سَعدُ مُغْتَرِبُ

قد يضحكونَ فأصْغي أو أُشايعُهم
فأنتهي وكأنِّي كنتُ أنتحِبُ

قد ننْتهي من صداقاتٍ ونذكرُها
ونَنْتَهي مِن صَداقاتٍ فَنَضْطَرِبُ

(*) أهديت في وقتها الى صديقي الشاعر الراحل سعد درويش.

اعتداد

١٩٥٤

أَشُقُّ على الإعْصــارِ دَربي إلى غَــدي
فيـا قلبُ لا تَهْدأْ ، ويـا عينيَ اسهَـدي

ويــا رَغبتـي فـي كــلِّ شـيءٍ أحبُّـهُ
دَعي كـلَّ ما للنّـاسِ للنَّـاسِ وازهَـدي

فَلَنْ تقــطعي دربــاً جحيمٌ تــرابُهــا
إذا لــم تَقْــنَعْ عينــاكِ إلاّ عـلى نَــدي

ويــا نفسُ لا تَــرْضَي هَــواني فــأنَّني
بــذَلْتُ دَمي دونَ المــراقي لِتَصْعَــدي

فــإن تَجْهَـد الــدُّنيــا جميعــاً فــإنَّني
أرى حَــرَجاً في أن تهــوني وتَجهـدي

ولا والــذي أســعى إليــهِ لــو انَّنــي
شَرِبْتُ دَمي ما اهتزَّت الكأسُ في يدي!

بغداد

١٩٦٩

ألقيت في مهرجان الشعر العربي التاسع في بغداد

فَخرٌ ، وهل بِسوى دُنياكِ يُفْتَخَرُ
يا نَغْمةً لم يُلامِسْ غورَها وتَرُ

يا دارةَ الشمسِ يَبقى مِن تَوهُّجِها
على جِباهِ الدُّنا ، عُمْرَ الدُّنا ، أثَرُ

ما غامَ ليلٌ على مَسرى أشعَّتِها
إلاّ تَفَطَّرَ عن لألائِها سَحَرُ

ويا بحارَ نجومٍ من مجرّتِها
يُهدى لكلِّ دُجىً مُسْتَوحَشٍ قَمَرُ

ويـا انهـلالَ الحيـا في كـلِّ مجـدبـةٍ
أشهى وأغـزرَ مـا يُستَنـزَلُ المـطرُ

بغـدادُ يـا صَحـوةَ الـدُّنيـا ولا كَـدَرُ
ونبـعَ أحـلامِهـا النُّشـوى ولا خَـدَرُ

كمْ مـرَّ من عُصُـرٍ سَكْـرى قَيـاثِـرُهـا
بخَمْـرِ مجْـدِكِ تَسعى إثـرَهـا عُصُـرُ

مُـرَنَّحـاتٍ ، نَشـاوى ، أَبعـدَتْ وغَفـا
عـلى ذِراعيـكِ منـهـا أنـجمٌ زُهُـرُ

ألفٌ تَمَخَّضْنَ ، كـلٌّ أنجبَتْ وَهَجـاً
فـأيُّ ضـوءٍ مـدى الآفـاقِ يَنْتَشِـرُ

ألفُ تمخَّضْنَ في خمسين ، يـا بسـةً
شفـاهُهـا ، لاهثـاتٍ ، يُحـدِقُ الخـطَرُ

بـكـلِّ لحـظةِ إعسـارٍ شهَقْنَ بـهـا
فـيامَصيـرُ تَـأمَّـلْ كـيف تُـنتَـظَرُ!

*

بغـداد ، هل لجنـاحي في جِوائـكِ من
مَسـرىً ، وقد حـامَت الأنسارُ والصُّقُـرُ

خَفْقـاً بـأجنحـةٍ مَـرمى قـوادِمِهـا
نـائي النجـوم فمنهـا فـوقَهـا كِسَـرُ

مُـشعْـشِعـاتٍ تَـردُّ الـلاحـقيـنَ بهـا
طَـرْفـاً حَسيـراً ، وأنفـاسـاً بهـا بَهَـرُ

من ابن أوسٍ ، وقد غاصَتْ مَناسِرُهُ
عُمقَ البحارِ ، وعادَت تلمَعُ الدُّرَرُ

فيها ، وشَدَّ جناحيهِ فنَشَّرها
عُمقَ السَّماواتِ لم يَعلَقْ بها بَصَرُ !

وأَجْدَلُ الكوفةِ المُوفي على حَلَبٍ
وزَعْزعُ الرّيحِ عن مَتْنَيهِ يَنْحَسِرُ

كالبرقِ يَفترِعُ الدُّنيا ويَترُكُ في الـ
دُّنيا دويّاً ، بهِ كِبْرٌ ، بهِ صَعَرُ

لم يَألُ منه على بغداد ، في حَلَبٍ
في مصرَ ، غيثٌ مَهيبُ الرَّعدِ مُنهَمِرُ

تَنحــاشُ عنه بُغــاثُ الـطَّيــرِ واجفــةً
أكبـادُهـا ، كــاتماً أنفــاسَهـا الحذَرُ !

والأعمَيــانِ ، أضَــاءَ اللُّبُّ مُختــرقــاً
كُــوى المحـاجِــرِ لـولا أنصَفَ النَّـظَرُ

هــذا يَرى قلبُــهُ مــا لا يــرى بَصَرٌ
ويُــرسـلُ السَّمْــعَ عَيناً رُوحــهُ الأشِـرُ

وذا يَــرى ويُـري الــدُّنيـا بــأجمعِهـا
ولـيــلُ عينيــهِ والـجـدرانِ معتـكـرُ

يــا محبسـانِ اشــرأبَّتْ من قيـودِهمـا
وأبعــدَتْ أيَّ بُعــدٍ عنهـمــا الفِكَـرُ !

وأنتَ يـا واهبَ الأطـلالِ مُـذ خَفيَتْ
تَـلَفُّتَ الـقـلبِ ، والأطـلالُ تـنـدَثـرُ

السّـاتـرُ العينَ طَـرْفٌ مـن عَبـاءَتِـهِ
تـجـمُّـلاً ، وبـكـاءُ الأمِّ مُـغـتـفَـرُ

يـا لـلرَّضيِّ حـجـازيّـاً جـداولُـهُ
تَصفـو ، وتَـطغى حُسَينيّـاً بـهِ المِـرَرُ

والسَّلَسَـلُ السَّمحُ لا تـألـو منـابعُـهُ
دَفّـاقـةً لـم يَـشُـبْ رَقـراقَـهـا كَـدَرُ

بـحـرٌ ولـكـنَّـهُ عَـذْبٌ مَـواردُهُ
نـائي الضِّفافِ ، بَعيدُ الغورِ ، مُـزدَخرُ

مُلوَّنٌ مثـلَ قـوسِ الشَّمسِ ، منعكسٌ
عـليـهِ مـن ألـفِ أنـطاكيَّـةٍ صُـوَرُ

وثَـمَّ مَـشْـحَـبُ زِقٍّ عنـدَ دجلةَ لـم
يبـرَحْ نَـديّـاً ، لـو انَّ التُّرْبَ تُعتَصَـرُ

لَضـاءَ وَجـهُ ابنِ هـاني ، ثم عـَاوَدَهُ
نُعـاسُـه ، ثمَّ . . عـذراً إنّني سَكِـرُ !

يـا للعمـاليقِ ، لم تبْـرَحْ مـجنَّحـةً
أصـداؤهم ، تَعبرُ الـدَّربَ الذي عَبَـروا

مُـحَـوِّمـاتٍ على بـغـدادَ تـرقَـبُـهـا
مـا قـامَ للشعـرِ في بغـدادَ مؤتمـرُ

*

مـا أروعَ الأرضَ تنمـو جِــدَّ شـامخـةٍ
مـا نـال منهـا سـوى إنضـاجِهـا الكِبَـرُ !

ولا تَـلَوَّتْ غُضــونٌ فــوقَ جَـبـهَـتِـهـا
إلّا تَــفـتَّــحَ فـيـهـا مُــورِقٌ نَــضِــرُ

هي الــوَلـودُ ، فــإن جَفَّتْ مباهجُهـا
فَــمِن مَــصــائبـهــا الـجُـلَّى لها دِرَرُ !

طَــوَتْ حَشـاهــا زمـانــاً لا يَـرِفُّ بِــهِ
إلّا الـجــذور ، ولا ســاقٌ ، ولا ثَمَــرُ

حـتـى إذا ظُـنَّ أنَّ الـعُـقـمَ قــاتِـلُهـا
ولا صَـدىً غيـرَ مـا جـاشَتْ بـه السِّيَـرُ

ضجَّتْ ضَجيجاً ، وشَقَّ الجوَّ منطلقاً
منها عُقابٌ بقُرصِ الشَّمسِ يَعْتمِرُ

ذيَّالكَ الشَّامخُ الزاهي بقِمَّتِهِ
وكلَّ يومٍ لهُ عن قِمَّةٍ سَفَرُ

مُخضَّبٌ بصروفِ الدَّهرِ مِنْسَرُهُ
مُحدَودِبٌ لفراخٍ حولَهُ نُثِروا

هذا الذي يَرِدُ البحرَ الذي وَرَدوا
رَهواً ، ويَصدرُ عملاقاً كماصَدَروا !

سَلْ «دجلةَ الخير» كم مَسَّتْ قَوادِمُهُ
أمواجَها ، فَنزا رَقراقُها الخَصِرُ

علـى جَنـاحَيـهِ قَـطْراً مِـن تـأَلُقِـهِ
وشمسِ بغـداد كـانتْ هـذه السُّوَرُ !

فـتـارةً خَـصِـرٌ عَـذبٌ كـدَجـلتِـهِ
وتـارةً مـثـلَ ذوبِ الشَّـمسِ مُسْتَعِـرُ

*

المجدُ مجدُكِ ، مـوصـولٌ ومُـدَّكَرُ
مَـوَدَّعٌ مـنـهُ لألاءٌ ، ومُـنـتـظَرُ

طـوفـانَ نهـرَيـكِ أجـرى صـانعُـوهُ لَـهُ
دمـاً وفكـراً . . فمـا مَنُّـوا ، ولا جَـأروا

واحـدَودَبـوا يحـرثـون الأرضَ تـأكلُهُم
من ألفِ عـامٍ مَهـاويهـا وهـم صُبُـرُ

وكـانَ محـراثُهـم والصَّخـرُ يثلمُـهُ
حينـاً ، ويغـرز حينـاً كلّمـا عَثَـروا

مُعَـوَّداً مثلَهـم أنْ لـيسَ يَثْـلِمُـهُ
إلّا لـيَشْحَـذَ من فُـولاذهِ الـحَجَـرُ !

ألفٌ وهم يحفـرونَ الأرض لا معـنَةٌ
جباهُهم ، فـوقَهـا من طينِهـا غُـرَرُ

ومـا يَزالـون ، يُذكي من عَـزائمِهم
أنْ آذنَـتْ بـامتـلاءٍ هـذه الـحُفَـرُ !

*

بغـداد ، حَسبُكِ أنَّ الأرضَ كم شهقَتْ
لِـدَفقـةٍ من حَيـا بغـدادَ تنـهـمـرُ

هِلّي رواءً فإنَّ النّاسَ قد بَذَروا
وما سِواكِ لهم ضَوءٌ ، ولا مطرُ

ولا ، وأرضُكِ هذي الأرض ، بارَحَهم
إيمانُهُم أنَّها تَندى فتَنفطِرُ

عن ألفِ نَبتةِ خيرٍ ما يَزالُ لها
يُبارِكُ الجَدْبُ والآلامُ والسَّهَرُ!

والرِّيُّ ، بغدادُ أسبابٌ لِمُزدَهَرٍ
من الثرى ، بعضُها الأنهارُ والغُدُرُ

وخيرُها الفكر دَفّاقاً ، وأعظمُها
عِرْقٌ نَزيفٌ على ما فيهِ يَعتَذِرُ !

❊

تَبـارَكَ الفِكـرُ حَـرفـاً مُثقَـلاً ضَـرِمـاً
تـكـادُ من وَقْـدِهِ الأقـلامُ تـنْـصَـهِـرُ

طـوبى لحـرفٍ يَمُـجُّ النَّـارَ مُشْتعِـلاً
ويَسفـحُ الـدَّمَ مَـطعـونـاً ، ويَعتفِـرُ

مـا قـادَ حَـرفٌ على إبـداعِـهِ بَشَـراً
إن لم يَخُضْ في جحيمٍ خاضهُ البَشَرُ !

ومـا انـتفـاعٌ بـحـرفٍ متـرَفٍ بَـطِرٍ
في زحمـةِ المـوتِ يـزهـو أنـه عـطِرُ !

*

بغـداد . . والكـونُ كـلُّ الكـونِ يَنتـظِرُ
مَن فوقَ أرضِكِ ما قالـوا ، وما سَطَروا

هـذي النَّوابـغُ ، جيشُ الفكـر أجمعِـهِ
والفِكـرُ عنـدَ سِـوانـا صـارِمٌ ذَكَـرُ

يـنقضُّ منـهُ على واهـي دَعـائِمِـهـم
مُـقـدَّرٌ ، وعـلى أعـدائِـهِـم قَـدَرُ

ونحنُ تـدهَمُنـا الـجُلَّى فـنَـدفعُـهـا
بـالعينِ تَهمي ، وبـالأكـبـادِ تَنثِـرُ

وخيـرُنـا مَـنْ جَنى منـهـا لمـجلسِـهِ
حـرفـاً يكـادُ مِن التَّهـذيبِ ينكسِـرُ !

اللّـهَ مـن بَـطِرٍ أزرى بـه الـبَـطَرُ
ومِـن حـريـرِ حُـروفٍ ليـتَـه وَبَـرُ !

كم نَستجِثُّ من الألفاظِ أسمَنَها
لحماً ، وأوهَنَها عَظماً ، ونفتخرُ

فُرسانَ حربٍ صغاراً خيلُهم قَصَبٌ
تزهو طِوالاً وفي مضمارِها قِصَرُ

نَلهو بها تَتهادى بينَنا زُمَراً
من القَطا ، تَتأبّى ، ثم تُؤتَسَرُ

يا عِزَّنا نصطفي لفظاً ونبتكِرُ
وخصمُنا يصطفي ناراً ويبتكِرُ !

أقولُ للبَطِرِ المُرخي أعنَّتَهُ
كأنَّهُ ، وهو مَرمى الموتِ مؤتَجَرُ

يُبـدي إسـاهُ ولا يُخفي شـمـاتَتَـهُ
أنْ ادلـهمَّتْ على إخـوانِـهِ الـغُـمَـرُ

لا تَـستـهِنْ بنـذورٍ رُحـتَ تَـرقبُـهـا
تَهـوي ، فثمَّـةَ في أعـقـابِهـا نُـذُرُ

تـالـلّهِ إنَّـكَ مـأخـوذٌ بـهـنَّ غـداً
فـأيَّ عُـذرٍ لمـا قَـدَّمْتَ تـعتـذِرُ ؟!

❊

وَمُـطمئنٌّ بـأنَّ السَّيـلَ يجـرفُ مَـنْ
حـيـالَـهُ ، ويـوافيـهِ فـيَـنْـشَـطِرُ

عن مَـوطِئَيْ قَـدَمَيـهِ ، لا يُحـرِّك مِن
كَـفٍّ ، ولا شَـفَـةٍ إلاّ بـمـا أمَـروا

أوفى على زَحْمةِ المَسرى ، وفي يدِهِ
منديلُهُ ، ولهَ في دَمعةٍ وَطَرُ

وذلكَ العائقُ المَسرى به عرَجٌ
يَرقى مع الناسِ شَوطاً ، ثمَّ يَنحدِرُ

فلا يَخِفُّ كما خَفُّوا فممُتَدَحٌ
ولا يَكفُّ فمَعذورٌ ومُدَّخَرُ

لكنَّهُ ، وَمُريبُ الأمرِ غامضُهُ
مُحَيَّرُ اليَدِ لا يأتي ولا يَذرُ !

*

والرَّاقبُ الموكبَ المخضوبَ ترقبُهُ
من الجراحِ عيونٌ شُخَّصٌ شُزُرُ

أن راحَ يَــهــدي لأمــنٍ لا أمــانَ بــهِ
وَهَــداةٍ مِــلؤهــا مــن رِيــبــةٍ غِــرَرُ

مُـلَوِّحــاً بـضِـمــادٍ ، يــا لــه كـفَـنــاً
لِــرَّفــةِ الجُــرحِ يُضــويهــا فتَـفـتـقِــرُ

حتى تمــوتَ ، فـوا ضِمْــداً على تِـرَةٍ
كـمــا يَلزُّ إلـيــه الـنَّـصــلَ مُنتحِــرُ !

يـا ضـامـدَ الجُـرحِ حَيّــاً زاخـراً دمُــهُ
لا يُضمَــدُ الجُــرحُ إلاّ حين يُحـتضَــرُ

يـا ضـامــدَ الجُـرحِ مُغتــالاً مـروءَتَــهُ
مــا رَأبُـكَ السَّــطحَ والأعمـاقُ تنفجــرُ

يا ضامدَ الجرحِ نَصلُ في قَرارتهِ
فانظُرْ على أيِّ موتٍ تُحكَمُ الإبَرُ !

وَيْكَ ابتعِدْ عن جراحٍ لا يُضمِّدُها
إلّا اللظى ، فَجِراحٌ فوقَها أُخَرُ !

*

صَبراً فلسطين إنّا مَعشرٌ صُبُرٌ
نُحصي خُطانا على قَدْرٍ ، ونختَبِرُ

وَنذبَحُ الأمرَ تَميحصاً لِنُحكِمَهُ
شأنَ الحليم ، ويَستعصي ، فنأتَمِرُ

والأمرُ شورى ، ولا شورى بلا جَدَلٍ
ولا تَجادُلَ إلّا ثَمَّ مُشتَجَرُ

مـرحى فلسطين ، منّـا النّــابُ والـظُفُـرُ
ومـنـكِ مَنْشَبُ صِــدْقٍ عنـدَه الخبَــرُ

يــا جــاعلينَ مَصيــرَ النــاسِ مُتَّجَــراً
أفــادَ عَـمــروُ ، وأفتـى بَعــدَهُ عـمــرُ

دَعــوا لهــم أمــرَهــم مــا دامَ أمــرُكُـمُ
لا خيـرَ يُرجى ، ولا يُخشى لـه ضَرَرُ !

*

وأنتَ يــا مـوكبــاً للفَـدي ، مُلتـطِمـاً
والنــار ، يَـزجُــرهـا طــوراً وينـزَجــرُ

يــا حــاملِينَ لِفَــرطِ الغَـيظِ من دمِـهم
وِزراً يُـفـتِّشُ عـن مُـسْـتَـنـزِفٍ يَــزِرُ !

يـا خائضينَ جَحيمَ المـوتِ مـا التَفتـوا
حِـيــالَهـم قَـلَّتْ الأنـصــارُ أو كَـثـروا

شُدُّوا خُطاكم فلا واللّهِ اقتُحِمتْ
إلّا بمثلِ خُطاكم هذهِ الغُمَرُ

يا مُورِدينَ المنايا صَفوَ أنفُسِهِم
ما طُلَّ يوماً على أرضٍ دَمٌ هَدَرُ

لكنْ يَجرُّ الدَّمُ المسفوحُ أَلْفَ دَمٍ
وهكذا ثورةُ الإنسانِ تَنْتَصِرُ !

*

بغدادُ هذا جناحيٍ ، مثلَ عهدك بي
مُخَضَّبٌ ، بِمَهَبِّ الريحِ مؤتَزِرُ

أعلو بهِ جُهْدَ ما تقوى قوادِمُهُ
فإن أسَفَّ فَمنْ عُقبانِكِ العُذُرُ

*

منابت الضوء

١٩٥٢

يا غيومْ
تَلبَّدي ما شئتِ فوقَ البشرْ
وعندما تعتصرين المَطَرْ
فوق سطوحِ البيوتْ
تَذَّكري أنَّ السَّنا لا يموتْ
وأنَّ كلَّ النجومْ
قد نبَتَتْ فيكِ ،
وأنَّ القَمَرْ
يَشقُّ في قلبكِ مجرى حنينْ
ليبعثَ الدفءَ إلى المتعبَينْ

في اعقاب العاصفة

١٩٥٤

الضَّوء ،
والظلالْ
والناسُ يعبرونْ
الناسُ يعبرون في سكونْ
فَتَرْجفُ الظلالْ ،
والضـــوءُ
لا همسَ
ولا سؤالْ
والمأتمُ الكبيرْ
يجْثمُ في صمتٍ وفي جَلالْ
على الحوانيتِ ،
على ملامحِ الرجالْ
وهم يَمرُّونْ

بلا صوتٍ ،
بلا سؤالْ
فَتَرْجِفُ الظِلالْ
والضَّوءُ في الدروب ،
في أكثرَ من سكونْ . .

حين يأكل الملح كل شيء

١٩٥٥

يا أنيسَ الخريفِ ماذا جَنَينا
ورواءُ الشبابِ هذا ربيعُهُ

خصبَةٌ أرضُنا ، ودَفقٌ سَواقينا ،
ولكنْ بذورُنا لا تُطيعُهُ

لَكأنّا ونحنُ في وَضَحِ الفَجرِ
بليلٍ لا يُستبانُ هزيعُهْ

عُمُرٌ كلَّما تَرقرَقَ ضوءٌ
بين عينيهِ أطفأتْهُ دموعُهْ

يا أخي ، يا أخي الذي هَجَرَ المحراثَ
ثمَّ انزوى وجفَّتْ ضلوعُهْ

أيَّ شيءٍ يُهديك فلاّحُ أرضٍ
كَفَرَتْ
فانتهى
وماتَتْ زرُوعُهْ

لحظة انكسار

١٩٥٤

كَمْ نَضَحْنا من دِماءٍ
كَمْ كَتَمْنا رغابْ
كَمْ بَنَيْنا ،
كَمْ فَدَيْنا ،
كَمْ حَلُمْنا أن نُثابْ
يا بَنَينا للترابْ
يا سَقَينا من سَرابْ
يا ذَوَينا
يا تَبعثَرنا
هَوانٌ في هوانْ
كلٌ ما عشنا
وأمَّلْنا ، وأوقَدْنا . . دُخانْ

من ظلمة العراق

١٩٥٤

لو اسْتطاعَتْ أنْ تَفرَّ هذهِ السّطورْ
مِن ظُلمةِ العراقْ
فأوصِلوها ،
أوصِلُوها أيُّها الرِّفاق
لأهْلِكم ،
لأصدقائِكُم ،
لكلِّ دارْ
ليُبصِرَ الصغارْ
إخوانَهم كيفَ يجوعون ويُهْزَلونْ
وكيفَ يَذْبلونْ
في ظُلمةِ العراقْ

لِيسْمَعوا أنَّ القبورَ تَملأُ القفارْ

وكلُّها صِغارْ
وأنَّ مَن يعيشُ من أطفالِنا صُوَرْ
ليس بها إلاّ القليلُ من دِمِ البَشَرْ
وَمِسْحةِ البَشَرْ
أمّا سَنى العيونْ
أما براءةُ الصِّغارِ يضحكونْ
وحينَ يلعبونْ
فليسَ في صغارِنا منها سوى الوجومْ
والصَّمْتِ ،
والهُزالْ
وَنَظرةٍ ما انفَكَّ في انكسارِها سؤالْ

لكنَّنا نعوِّدُ الصِّغارَ في العراقْ
في ظُلمةِ العراقْ
بأنْ يُحبُّوا الوَردَ والغَمامْ
ويُطْعِمُوا الحمَامْ
بأنْ يُحبوا الشَّمسَ والقَمَرْ

نَروي عن الضِّياءِ والظلامْ
حكايةً يفْهَمُها الصِّغارُ في العراقْ

حينَ تُزَفُّ الشَّمسُ للقَمَرْ
سَيشْهدُ البَشَرْ
ميلادَ طفلٍ رائعٍ يُحبُّهُ الصِّغارْ
عَيناهُ نجمتانْ
من أُمِّهِ الشَّمسِ لهُ وَضاءةُ النهارْ
ومِن أبيهِ رَوعةُ الهدوءِ والأمانْ
وعندَما يمتَزِجُ الضِّياءُ بالظلامْ
تُرفْرِفُ الحَمائِمُ البيضُ على البَشَرْ
حامِلةً أرجوحةَ ٱبن الشَّمسِ والقَمَرْ
حِبالُها غصونْ
مِن شَجرِ الزيتون ،
والمُتكأُ الصَّغيرْ
وَردٌ وزَيزفونْ
تَحوطُها مَواكبُ الصِّغارْ

آلافُ آلافِ الأراجيحِ
تَغْرَقُ في الرِّيحِ
تطيــرْ
تَسبحُ في مَجاهلِ العبيرْ
تَتْبَعُها
تَسْبقُها
تحضنُها العيونْ

لو استطاعَتْ أنْ تفرَّ هذهِ السطورْ
من ظُلْمةِ العراقْ
فأَدْخِلوها ،
أدْخِلوها أيُّها الرِّفاقْ
بيوتَكُم ،
وَلْتقْرأوا منها لِأُمَّهاتْ
أطفالِكُم ،
ثمَّ سَلوهُنَّ عن العَذابْ

عذابِ أمٍّ طفلُها في حضنِها يموتْ
وتَقرَعُ البيوتْ
تَسأَلْ عن شيءٍ لطفلٍ بائسٍ يموتْ
فلا تَرى فيها سوى تأفُّفِ البَشر
البَشَرِ الكِبارْ
والضيق والضَّجَرْ
من فَأْلِها البغيضِ في بدايةِ النَّهارْ

قولُوا لأُمَّهاتْ
أطفالِكم ،
هل بينَهُنَّ مَنْ لَها صَغيرْ
وَدَّتْ لو انَّهُ لفرطِ قسوةِ الحياةْ
أراحَها فَماتْ !
قولوا لَهنَّ إنَّ فيَ العراقِ ،
في دُجاه
في كلِّ يومٍ ألفَ صوتٍ يُقلقُ الإلَـهْ

إنْ كُنتُ لا تقيتْ
فَفِيمَ تُعْطي
فِيمَ تُبْقي
فِيمَ لا تُميتْ ؟!

لكنَّ أمَّهاتِنا في ظُلْمةِ العراقْ
يَعبُدنَ رغمَ سُخْطِهنَّ أيُّها الرِّفاقْ
أطفالَهُنَّ حينَ يَنْطِقُونَ كالكِبارْ
حينَ يُقلِّدونْ
آباءَهُم ،
يَعْبدنَهم حينَ يحاولونْ
أنْ يُصْبحوا كِبارْ
فأمَّهاتُنا يَرَيْنَ أنَّ في الصَّغيرْ
في عَبْثِهِ الغريرِ
حيْنَ يَقتَفي أباهْ

يَرَيْنَ شيئاً من حياتِهنَّ في الكِبَرْ
تَضمَنُهُ يَداه
حين تُحاولانِ ،
تَعبثانِ باهتمامْ
لِتَصْنعا شيئاً يَلوحُ أنَّه كبيرْ
شيئاً بلا نِظام
لكنَّه كبيرْ !

وَلْيَقرأ الآباءُ منكم أيُّها الرِّفاقْ
إنْ استطاعَ أن يَجوزَ ظُلْمةَ العراقْ
شيءٌ عن العراقِ بينَ هذهِ السّطورْ

لِيَقرأ الآباءُ مِنكم حينَ يَجلسونْ
بينَ صِغارِهم بليلٍ آمنٍ سعيدْ
لِيَقرأوا ،
وإنْ يَكُنْ يُجمِّدُ السّرورْ
هُنَيهةً فوقَ الوجوهِ ما يردِّدونْ

اليوم يومُ عيدْ
في ظُلمةِ العراقِ يُدعى اليومُ يومَ عيدْ
وحيثُما تَكُنْ
واليومُ يومُ عيدْ
تُشاهد الصِّغارَ في الصباحِ يركُضونْ
لِيملأوا مداخل السّجونْ
فَيلْمَحوا آباءهم في السِّجنِ من بِعيدْ
فاليوم يومُ عيدْ
وقد تَعَوَّدْنا بأن يحتضنَ الصَّغيرْ
في العيدِ والداهْ
وأنْ يُقَبِّلاهْ
لكنَّهم في ظُلمةِ العراقِ يَكتَفونْ
أنْ تَقَعَ العيونْ
على صِغارِهم ،
ولو في الدَّربِ مِن بَعيدْ

ثِقوا جميعاً أيُّها الرِّفاقْ
بأنَّ من أنبَلِ ما في ظلمةِ العراقْ
أنبَلِ ما بينَ بيوتِ القَصَبِ الرِّخاصْ
أنبِلِ ما أستُغِلَّ ثم اغتيلَ بالرَّصاصْ
أنبلِ ما انحنى على المحراثِ من عِظامْ
أنبلِ ما حَنَّ الى السَّلامْ
هذي الشُّعورَ البِيض ،
هذا الشَّيبَ والغضونْ
وهذهِ العيونْ
عيونُ آباءِ العراقِ أيُّها الرِّفاقْ

هــلْ ،
هلْ سمعتُم أيُّها الرِّفاقْ
بطفلة تخضَبَتْ في ظُلْمةِ العراقْ
بما يُغَطّي كلَّ عامَيها من الدِّماءْ ؟

ثَغرُ أبٍ سجينْ
ثَغْرُ أبٍ ممتليءٍ الضّلوعِ بالرَّصاصْ
كانَ أعزَّ ما تمنّى قبلَ أنْ يموتْ
أنْ يُبْصِرَ ابنتَهْ
وعندَما دَنَتْ إليهِ لَحظةُ السّكوتْ
جَرَّ إلى أقربِ طِفْلةٍ بَقيَّتَهْ
فأسْلَمَتْها أمُّها إليه
قَبَّلَ فيها كلَّ ما أحَبَّ في الحياة
قَبَّلَها وماتْ
وكانَ إذْ يَزُولْ
يَرْوي لها وَكَفُّهُ في شَعْرِها تَجولْ
أنَّ الحياةَ كلَّها فَرَحْ
وأَنَّه أفْرَطَ في البُكاءِ فانْجَرَحْ
وسالَتْ الدِماءْ
مِن صَدْرِهِ ،
ولنْ يَعودَ بَعدُ للبكاءْ !

حدَّثَها عنِ بَيتِهِ الصَّغيرْ
عِنَ طِفلةٍ تَملأهُ بِعَبْثِها الغَريرْ
تُشبِهُها ،
فَشَعْرُها كَشعْرِها حَريرْ
وَوَجهُها ،
كوَجهِها مورَّدٌ خَجُولْ
إذا رأتْ كفَّ غريبٍ هكذا تجولْ
في شَعْرِها الغَزيرْ

رَوى لها أينَ يَكونُ بيتُهُ الصَّغيرْ
ناشَدَ أُمَّها بأنْ تأخذَها إليه
تَلعَبُ وابنتَهْ
ثمَّ تَراخى فَمُهُ ،
وَسَدَّ مُقْلتَيهْ
فانتزَعَتْها أمُّها مِن بينِ ساعِدَيه
وكلُّها دِماءْ . .

لو استطاعَتْ أن تَفرَّ هذهِ السّطورْ
من ظُلمةِ العراقْ
فَلْتقَرأوها ،
إقرأوها أيُّها الرِّفاقْ . .

حنين الى الأحجار المنسية

١٩٥٢

سَأعودُ لها وَحْدي
تلكَ الأحجــارُ الملتهِبــهْ
وثقوبُ الجدرانِ الخَرِبَهْ
مَــنْ يؤنِسُها بَعْدي

سأعودُ وأُحصيها
وأُريقُ دَمي فيها
سأرى قَلَمي
يمتصُّ دَمي
ويَجفُّ ويُرويها

ومَقابــرُ أهليــهــا
سأســدُّ بها سَمعي
وأُميتُ بها دَمْعي

وسأبقى ألفظُ أنفاسي

بفم قاسي

سأُحَجِّرُها نَفَساً نَفَسَا

وسأُطفئُها قَبَساً قَبَساً

وأعودُ فأَبْكيها

أبكي نفسي فيها

ساعودُ لها وَحدي

تلكَ الأحجارُ الملتَهِبَةْ

مَنْ يُؤنِسُها بَعْدي

وأخي وأُخَيَّاتي

وَبقايا مِن ذاتي

ستَظلُّ هناكَ بأوراقي

بحطامِ هَواي ، بأشواقي

في مأوانا أمسِ

نائيةً عن بؤسي

سأعودُ بَقاهُم في بُعدي
سأعودُ ولو تَدمي كَبدي
وسأحملُ تابوتي وَحدي
وسأدْفنُ وَجدي في وَجْدي
وألوبُ هنا
وأهيمُ هنا
وستُنكرني عيناي أنا . .

النار والطيبة الصامدة

نَحنُ لا نَزْرَعُ حِقداً
نَحنُ لا نَسْقي دِماءْ
نَحنُ لا نَحرثُ بالنارِ صدورَ الأبرياءْ
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

عنْدَما يُقْسِمُ كلٌّ بِبَنيهْ
أنّنا لا نَسْتِفِزُّ الشَّرَّ ،
أنّـا نَتَّقيه
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

عندَما نُبْصِرُ آلافَ البَنادِقْ
تَتَجَمَّعْ
في الدُّجى مثلَ نذيرِ الموتِ ،

يحصي بالدقائق
أهلَنا ،
أطفالَنا ،
كـمْ سَيعيشُونَ . .
وَنَقْنَعْ
انَّها لنْ تتجاسَرْ
فَلَها دُنيا ودينْ
ولها عِبْرَةُ ما كانَ مصيرُ الآخرينْ
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

غيْرَ أنّا
عنْدَما تَنْتَزِعُ النيرانُ منّا
كلَّ نُبلِ البُسَطاءْ
لَـنْ تَرانا
لَـنْ تَرانا
لَـنْ تَرانا جُبَناءْ . .

أمومة

١٩٥٥

عاني مِخاضَكِ يا غَريْبه مَحْرومةً مِن كلِّ طيبَهْ
عاني مخاضَكِ واحمِلي آلامَ وَحدتِكِ الرَّهيبَهْ
عاني مخاضَكِ واسمَعي شكواكِ وَحدَكِ يا جَديبهْ
يا طالَما طُوِيتْ على بَلْواكِ أضلُعُكِ الرَّحيبَهْ
ذوبي مِن الآلامِ وابتَسِمي لأوجُهِنا الكئيبَهْ
إنّا نُريحُ براحَةِ الموتى ضمائِرَنا المُريبَهْ

عاني مخاضَكِ وادْفني موتاكِ وحدَكِ يا فَقيْرَهْ
يا ليتَ ثَدْيَكِ ما غذّا هذي الملايينَ الغَفيرهْ

عاني مخاضَكِ فالصِّغارُ تَفَرَّقُوا في كلِّ دِيْرَهْ
كلٌّ يَئِنُّ على أسَاهْ خِلالَ أنّتِكِ الكَبيرَهْ
هُم يَسمعونَكِ ،

يُبْصِرونَكِ ،
غيرَ أجنحةٍ كسيرَه
يَتَطايرون بها إليكِ تَشدُّها هِمَمٌ صَغيره ..

موعد اللقاء

١٩٥٩

عِندَما تُنْشَرُ كالرَّاياتِ أعوادُ المَشانِقْ
فوقَها هامُ ضَحاياكِ مُطِلَّهْ
كالأهِلَّه
في نِهاياتِ البَيارِقْ

عِندَما تَشْهَقُ بالنِيرانِ أفواهُ البَنادِقْ
ويُرَوِّي دَمُكِ الدّافيءُ حِرمانَكِ كُلَّهْ

عِندَما تُوصَدُ أبوابُكِ دونَ الشَّرقِ أجمَعْ
ويَظلُّ الطَبْلُ يُقْرَعْ
في حَناياكِ مِن الأعماقِ في صَمتٍ ورَهْبَهْ
عِندَما تَلْهَثُ أنيابُ الضَّلالْ
عِندَما تُهْرَسُ في الظُلْمَةِ أضلاعُ الرِّجالْ

في سجُونِكْ

عِندَما تَلْتَمِعُ الماساتُ في تاجِكِ ،
تَعْوي
مِثلَ أحداقِ الأفاعي
فاعْلَمي أنَّ المَراعي
والعَصافيرَ الصَّغيره
وهُتافاتِ التَّلاقي
كلّها ترنو إلى تَمّوز يا أُختَ عراقي

وقفة حب للجواهري

في حفل عودته الى العراق

١٩٦٨

شَـدُّوا إليـكَ نيـاطَ القلبِ والعَصَبـا
وَوَطَّأوا خـطوَكَ الأجفـانَ والهُـدُبـا

وسَمَّـروا كـلَّ ضلعٍ من أضـالعِهم
في كـلِّ مُنْعَـطَفٍ جـاوَزْتَـهُ نُصُبـا

وفَتَّحـوا لـكَ أبـوابَ الصّـدورِ وقـد
كـانَتْ تلوحُ كـأنْ قـد أُوصِـدَتْ حِقَبـا

لـو استطاعـوا أضـاءوا مِن مَحاجِـرِهم
على طـريقِـكَ في تلكَ الـدُّجى شُهُبـا

وسَيَّروا الرِّيحَ مِن أنفاسِهِم شَرَفاً
أنْ يحْمِلُوكَ على أنفاسِهِم حُدُبا

أنْ يَلْمِسُوا مِنكَ كفّاً باللّظى غُمِسَتْ
ويَلْثِمُوا مِنكَ وَجْهاً بالسَّنى عُصِبا

ويَحْضِنوا ذلكَ الصَّدْرَ الذي حضَنَتْ
عظامُهُ الكونَ كلَّ الكونِ ما رَحُبا !

أسبابُ أهلِكَ يا أوفاهُمُ رَحِماً
أقاطِعُ أنتَ مِن أسبابِهم سَبَبا ؟!

*

أنظُرْ تَجدْ في عُيونِ النّاسِ أيَّ هوَىً
جذلانَ تَهتِكُ عنهُ النَّظرةُ الحُجُبا

يكادُ مَنْ يَشْهَدُ الأعناقَ مُتلَعَةً
إليك يُبْصِرُ منها منظراً عَجَبا

أَكُـلُّ قَلْبٍ لـهُ فيمـا شَـدَوتَ بِـهِ
شـأنٌ ، فكُلٌّ بشيءٍ مِنك قد جُـذِبـا ؟

أمْ أنَّهـا هـالـةُ المجـدِ التي سَكَبَتْ
على الجبينِ مِن الأضـواءِ مـا خَـلَبـا

وأروعُ المجـدِ مَرمىً هـامـةٍ زَحَمَتْ
ذُرىٰ السَّمـاءِ ، وخَطْوٍ لم يَـزَلْ تَـرِبـا !

*

مـا كـانَ مجـدُكَ مِـزمـاراً تُـرَنِّمُـهُ
وقَـيـنـةً تـتـلوَّى حَـولَـهُ طَـرَبـا

ولا رَنـيـنَ كـؤوسٍ كـلَّمـا امـتـلأتْ
طَـفَتْ حُـلومُ ذَويهـا فـوقَـهـا حَبَبـا

ولا حَـدَوتَ رِكـابَ الأرْذَلـيـنَ بِـمـا
يُـوحى إليـكَ ، ولم تَمسَـحْ لهم ذَنَبا

بلى ، رأيتُـك حَتفـاً والـجـاً أبـداً
بيـوتَهم ، مُكْفَهِراً ، عـاصِفـاً ، غَضِبـا

لم تَخْشَ إذْ كُنتَ صِلَّ الرَّمْـلِ مُنْتَصِباً
أنْ يَسْلبُـوكَ ، وهلْ مِن مُـرمِلٍ سُلِبـا ؟

حتى إذا عـجَمُـوا صُـلْبَ القـنَـاةِ فلم
يُلفـوا كمـا وَهِمُـوا بـانـاً ولا قَصَبـا

جَـرَتْ نُهَيْـراتُهم مِن حـولِ رَمْلَتِها
تُشَعْشِـعُ المالَ ، والألقـابَ ، والـرُّتَبـا

تَـوَهَّمُـوا هـامـةَ العِمْـلاقِ تُثْقِلُهـا
تلكَ الثمـارُ فتَحني جِـذْعَهـا الصَّلِبـا

لـكنْ أبَـتْ كـلُّ ذراتِ الـرِّمـالِ فلمْ
تَشْـربْ ، وظـلَّ مَهيبُ العـودِ مُنْتَصِبا !

وهـلْ يَـقَـرُّ جَـنـاحٌ أنـتَ ناشرُهُ
إلّا على مُـرتقىً أو يَفْـرَعُ السُّحُبـا !

*

أبـا فـراتٍ ولـنْ يَـنْـفَـكَّ مُـرْتَـقِـبـاً
شـوقُ الجُمـوعِ ، ولنْ تَنْفَكَّ مُـرتَقَبـا

خمسـونَ عـامـاً صَـواريهم يَجيشُ بِهـا
خِضَمُّ شِعْـرِكَ مـا لانَتْ ، ولا نَضَبـا

أولاءِ والـلّهِ لـو خَيـلُ الفُراتِ كَبـا
طـوفـانُهـا عَـذَروا أنَّ الفـراتَ كَبـا

إلّاكَ يـا حـاديَ الـطُّوفـان ، لا عُـذُرٌ
ولا شَفـاعـةَ إن لمْ تَنْـطَلِقْ خَبَبـا !

هـذا هـو المجـدُ سَبّـاقـاً يُقصِّرُ عن
أدنى مَـرامِيهِ سَعيُ المجـدِ مـا وَثَبـا

ذا المجدُ يا فاصِداً أعراقَهُ جَذِلاً
أن يَشْربَ الناسُ منها عَلْقماً عَذِبا !

ذا المجدُ يا مُطعِماً من لَحمِ صِبيَتِهِ
جوعَ الجياعِ وهم أشجى الوَرى سَغَبا !

تَجفُّ كلُّ بحارِ الأرض غيرَ دَمٍ
وَهبْتَ للنّاسِ يبقى دافئاً رَطِباً

وخَيرُه ، وأُحَيلاهُ ، وأَلصَقُهُ
بالرُّوحِ والفِكْرِ والخفّاقِ ما وَجبا

أَنّا إذا لُحْتَ أومأْنا بألفِ يَدٍ
مُنَبِّهينَ بها أفراخَنا الزُّغُبا !

*

أولاءِ أهلُكَ يا حادي مَواكبِهم
كمْ أُجهِدوا فحَدَوتَ الموكبَ التَّعِبا

تَـرمـي بـهِ الـوَعـرَ لا يَلْوي أعـنَّتَـهُ
وتَـزحـمُ المـوتَ لا يَـثْنـي لـهُ رُكَبـا

وأيـنَ تلقـى عـظيمـاً قـالَ قـافيـةً
فقـادَ في كـلِّ بيتٍ جحْفَـلاً لَجِبـا !

*

يـا خـالَ عـوفٍ وأكـرِمْ بـالّتي وَهَبَتْ
مُـخَلَّدَ الـشِّعْـرِ أنْـقى دُرَّةٍ وُهِـبـا

سـلْ عنِ أُهَيلِكَ هـل غَصَّتْ محافِلُهم
ولم تَـكُ القَلْبَ مِمّـا قيـلَ أو كُتِبـا

هـلْ ارتقى مِنبَـراً لـلشِّعْـرِ مُلْهَمُـهُم
إلّا وكُـنـتَ خَيـالاً دُونَـهُ انْتَـصَبَـا

حتـى لَتَـنْفَتـحَ الأَجفـانُ مُثْـقَلَةً
ويُنصِتَ السَّمْـعُ لا نَبْـعـاً ولا غَـربَـا

لقدْ قَرَعْتَ نَواقيساً مُدَوّيةً
تَركْتَ كلَّ قريضٍ بَعْدَها لَغَبا !

*

قالوا اغْتَرَبْتَ ، ألا فُضَّتْ مَقاوِلُهم
متى رأيتَ الأديبَ الفَرْدَ مُغْتَرِبا ؟

متى سَيَفْهمُ هذا الخَلْقُ أنَّ لَنا
في كلِّ آهِلَةٍ مِن شِعْرِنا نَسَبا

لقدْ رَحَلْتَ عزيزاً إذْ تَركْتَ لنا
أشقى غريبَينِ فينا الفِكْرَ والأدَبا !

سَلِ العراقَ الذي غَنَّيتَ ، ما وُصِبا
وما تَحدّى ، وما استَعدى ، وما غَضِبا

ألمْ يَكُنْ منهُ أفواهٌ مُمزَّقةٌ
تمجُّ والدَّمَ بيتاً منكَ مُلْتَهِبا ؟!

تـالـلّهِ مـا بـارَكتْ شـمسٌ مـرابِعَـهُ
ولا تَـدلّـى بـهِ غَـيمٌ ، ولا سَـكَـبـا

ولا سَـرى أيُّ سـارٍ مِـن كـواكـبِـهِ
ولا جَـرَتْ جَـرَيـانً المـاءِ فيـهِ صَبـا

على سُعَيْفةِ نَخْلٍ في الفَلاةِ ، على الـ
شَطّينِ ، والمُنْحنَى ، والجُرفِ مُضْطَرِبا

إلّا سَمِعنـا سَـلامـاً منـكَ تُـرْسِلُهُ
عَبْـرَ البحـورِ ، وتَـرجيعـاً لـهُ طَـرِبـا !

*

يـا واهبَ الشِّعـر مِن عَينَيـهِ ضَـوءَهمـا
ومِن جـراحٍ يُعـانيهـا دَمـاً سَـرِبـا

ومِـن مَـصـائِـرِ أطـفـالٍ تُـطالبُـهُ
عيـونُهُـم دونَ أن يُـدني لـهم طَـلَبـا

يُقلِّبونَ على شَعواءَ يُطعِمُها
مِن لحمِ جَنْبَيهِ تلكَ الأوجُهَ النُّجُبا

مؤمِّلاً أن تَهيضَ الرِّيحُ جَذْوَتَها
فتَسْتَحيلَ لخيرٍ دائمٍ سَبَبا

آمَنْتُ أنَّكَ أنقى الحاطِبينَ يَداً
أنْ رُحْتَ طَوعاً لنارِ هجِتَها حَطَبا !

*

يا خالَ عوفٍ وقد أضرَيْتَ جَذوتَها
واحسرَتا إنْ أحِدْ عنها وواحَرَبا !

نارٌ نَذَرنا لها الأضلاعَ مُضْطَرِباً
حتى تَضرَّتْ على أفراخِنا لَهَبا

ولم يَزَلْ نحْوَها يَسعى بنا خَبَباً
رغمَ الأذى كَونُها أُمّاً لنا وأبا !

*

يـا خـالَ عـوفٍ ولم نَفْـزَعْ لِقـافيـةٍ
مِمّـا نُعـانيـهِ سُلوانـاً ولا هَـرَبـا

وَيْـلُمِّ كَـفّـيَ مِـن حَـرفٍ أُسـطِّرُهُ
فـلا أرى بعضَ عمـري فـوقَـهُ صُلِبـا !

فـإن تَـمـزَّقتُ عـن آهٍ يُـغـالِـبُـهـا
صَبري ، فكُنْ عاذِرَ الصَّبر الذي غُلِبا !

*

يـا خـالَ عـوفٍ أأوراقٌ مُـبَـعْـثَـرةٌ
هذي القلوبُ نَأتْ عن بعضِها عُصبَا ؟

تَعَـرَّتْ الـدَّوحـةُ المِعـطاءُ مُعـوِلَـةً
وأذبـلَ الخُلْفُ ذاكَ المـرتَـعَ الأشِبـا

وقـطَّعَ الشَّـكُّ أسبـابـاً نَـلوذُ بـهـا
في عـاصِفٍ لم يَـدعْ مِن خَيمـةٍ طُنُبـا

يـا خـالَ عـوفٍ وأشجى مـا يؤرِّقُنـا
أنَّ المصـائِبَ تُـذكي بيننـا الـرِّيَبا

فـي كـلِّ يـومٍ لنـا جُـرحٌ نُـفَـتِّـقُـهُ
لِنلعَقَ الـدَّمَ يـوري الحقـدَ مـا شَخَبـا

قـد يُسْفَحُ الـدَّمُ ، جُذَّتْ كَفُّ سـافِحِـهِ
لكنْ أمـرٌّ مِن السَّفّـاحِ مَـنْ شَـربـا !

أمسَتْ ظَـلاماً قلوبٌ كـانَ يَعْمُـرُهـا
من المـحبَّـةِ نـورٌ ، لا أقـولُ خَبـا

لكنْ أرى زَمْهـريـرَ الحِقْـدِ يَصْـفَعُـهُ
ولا أرى شـاجبـاً مِن بـينِنـا شَجَبـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ أَقِلْني إنْ عَثَرْتُ فقـدْ
ينبـو الصَّقيلُ وإن لم يَنْبُ مَـنْ ضَـرَبا !

أورَيتَ أنتَ زنــادِي فــاحتــرَقْتُ بــهِ
عشرينَ عاماً صَبُوراً ، شامخاً ، شَجِبا

وإنّـني مِنــكَ فَــرْخُ النَّســرِ يحـمِلُهُ
عـلى جَنـاحَـيــهِ جبّــارَيــنِ إن تَعِبـا

باريس وجنين الثورة

١٩٥٦

الضوءُ في النّجومْ
والضَّوءُ في القَمَرْ
في الحَطَبِ اليابسِ ،
في الرَّمادِ ،
في الغيومْ
والضوءُ كلُّ الضوءِ بينَ أضْلُعِ البَشَرْ
فَلْتنتَصِبْ في قَلبِ باريسَ التي تدوسْ
معابِرَ الشموسْ
لِتَنتصِبْ في قَلبِ باريسَ التي تَرومْ
أن تُطْفيءَ النّجومْ
وتَقْتُلَ القَمَرْ
لِتَنْتَصِبْ مَشانِقٌ في عَدَدِ البَشَرْ

فالضَّوءُ في كلِّ مكانٍ يُنْبِتُ البَشَرْ

باريسُ

يا باريس . : يا مَوتي ويا ضَلالْ
يا سُبَّةً يُخْجِلُ أن تُقالْ
حُرّيةُ الرِّجالْ
كالرِّيحِ يا باريس لا تَني ولا تُنالْ
كالرِّيحِ يا باريس ، لا حَدَّ ولا مَجالْ
لا مَنبَعٌ لَها
كالرِّيحِ يا باريس ،
كالرِّيحِ لَعلَّها
تَهبُّ يَوماً في سمائِكِ التي تَموتْ
تَقْتَحِمُ البيوتْ
تبحَثُ عن جَذْوَتكَ القَتيلَهْ
تُوقِظُ روبسبير مِن رَقْدَتِهِ الطَّويلَهْ
تنثرُ عن أحطابِكِ الرَّمادْ

فَربَّما فَهمتِ شيئاً مخلصاً أرادْ
خمسةُ أنبياءْ
أن تَفْهمِيهِ قبلَ أن يَقْتُلَكِ الضِّياءْ

تِيهي على البَشَرْ
تِيهي على لِداتِكِ الأُخَـرْ
تِيهِي عليهم أنَّ كلَّ جيشِكِ العظيمْ
تَمكَّنَتْ قوّاتُهُ تَمكُّنَ اللئيمْ
مِن خمسةٍ مِن شُهُبِ الثَّورةِ فانْتَصَرْ

تِيهي على البَشَرْ
تِيهي بهذا الغَدْرِ ، والجُبنِ الذي أَسَرْ

لكنَّ لِي رَجاءْ
وأنتِ تروينَ لهذا البائسِ الكبيرْ
هذا الذي يحلُمُ بالجَنّةِ في السَّعيرِ
شَعْبُكِ يا باريسُ يا ثَكْلىٰ

وأنتِ تَروينَ له نَصْرَكِ . . لا خَجْلىٰ
ولا بكِ انكسارْ
تَروينَ عن قَرْصَنَةٍ سَمَّيتِها انتصارْ

باريسُ لي رَجاءْ
وأنتِ تَسْتَجْدِينَ مِنِ بائسِكِ الدِّماءْ
لا تُسْمِعيهِ أنَّ ساعةً من الزَّمنْ
في ذلكَ السَّعيرْ
تَنْسُجُ ما يَكفي من الكَفَنْ
تَحْفُرُ ما يكفي من القبورْ
لِيُدْفَنَ المئاتُ مِن أبنائِهِ القَتْلىٰ
باريسُ يا ثَكْلىٰ
لا تُسْمِعي الصِّغارْ
لا تُسْمِعي الأمَّ التي تَقْبَعُ في انْتِظارْ
بأنَّ مَوتاً شامِلاً يَهيمْ
في ذلكَ الجَحِيمْ

سَتُشْرِقُ الشُّموسْ
وأنتِ تَغْرَقينْ
في هذهِ المنابعِ التي تُفَجِّرينْ
سَتُشْرِقُ الشّموسْ
مُضيئةً
مضيئَةً كأنَّها النّفوسْ
نفوسُ خَمْسةٍ مِنَ البَشَرْ
نُفوسُ كلِّ مَـنْ أحَسُّوا أنَّهم بَشَرْ

ثاعور الدم

١٩٦٠

ألا أيُّ حَـرْثٍ مِـن قـبـورِكِ أوجَـعُ
وأيُّ حَـصـادٍ مِن ضَـحـايـاكِ أفْـجَـعُ

وأيُّ دَم دِيـفَـتْ بـهِ الأرضُ مـثـلَـمـا
يُـداف بِـبَـحـرٍ مـنـكِ واديـكِ أجـمَـعُ

وهـل تُـربـةٌ مُـذْ أيـنَـعَ الـزَّرْعُ غـرسُـهـا
كَـغَـرْسِـكِ أعـنـاقٌ وهَـامٌ وأضْـلُـعُ

وَلِـلـدَّمِ نـاعـورٌ تَـسُـحُّ دِلاؤهُ
ولِـلـنـارِ مِـحـراثٌ عـلـيـهـا يُـلَـعْـلِـعُ

وأيُّ الـذرى إلّا ذُراكِ سـفـوحُـهـا
جَـداوِلُ نـارٍ مِـن فـمِ الـصَّـخْـرِ تَـنْـبَـعُ

تَسيلُ جَحيمَاً يُعشِبُ الصَّخْرُ تَحْتَهُ
وتَندى الثرى مِن سَحِّهِ وهي بَلْقَعُ

فَحَبّاتُها رَيّا ، ودَيجورُ جَوفِها
يَغوصُ لهُ ضوءٌ مِن الضَّوءِ أسْطَعُ

تَغَوَّرَ حتى ضاءَ في كلِّ ذرَّةٍ
مِنَ الطِّينِ قِنديلٌ نَديٌّ مُشَعْشِعُ

يَمدُّ لجذرٍ بَلَّةً ، ولآخر
غِذاءً ، وللتاريخِ عِطْراً يُضَوِّعُ

*

ألا إنَّ زَرْعاً هائلاً فيكِ يُزْرَعُ
رَنا بَصَرُ الدُّنيا لهُ وهو يُمرِعُ

تُصلِّبُ عُوداً منهُ كلُّ ضَحيَّةٍ
ويُطْعِمُ غُصْناً كلُّ جُرحٍ فيُفْرِعُ

ويجمعُهُ جَمْعَ البَيادرِ خازنٌ
مِن الوَعي لا يَبْلىٰ ولا يَتَزَعْزَعُ

وبينَ التِحامِ الخيرِ والشَّرِّ مِديَةٌ
تحزُّ كِلا اللّحمَينِ حَزّاً وتَكْرَعُ

ولكنَّها مَهما تَظُلْ نَزْفَةُ الدِّما
على عُنُقِ الباغينَ يا أُمِّ أقْطَعُ!

*

أريقي دَماً فالنَّصْرُ ظُلمٌ فِطامُهُ
إذا كانَ في عَيْنَيهِ للمَجْدِ مَطْمَعُ

وما يَفْطِمُ النَّصْرَ المُظَفَّرَ جائعاً
إلى التَّمِّ إلّا رِيبةٌ منهُ أجوَعُ

فلا تَمْنَعي عن ثَغرِهِ الثَّديَ إنَّهُ
إلى رَيعَانٍ وارِفِ الظِّلِّ يُسْرِعُ

جـزائـرُ عـمـري مـا دَعَـوتُ إلـى دَمٍ
وإنـي أبٌ يـحـنـو ، وطِـفـلٌ يُـرَعْـرَعُ

وأمٌّ يَـكـادُ الـمَـهـدُ بـيـنَ ضـلـوعِـهـا
يُـهَـدهَـدُ .. بـيـتٌ بـيـنَ جَـنـبـيَّ مُـودَعُ

وَرُبَّ دِمـاءٍ مِـن دِمـائـي مَـسـيـلُـهـا
ورُبَّ حـيـاةٍ مِـن حـيـاتـيَ تُـقْـطَـعُ

وكـيـفَ ، وإنّـي مـا أزالُ آبـنَ مِـحْـنَـةٍ
أُغَـنّي جِـرابـاً فـوقَـهـا الـلَّـحـمُ يَـضْـرَعُ

ومـا أنـذا لا أكـتـمُ الـنّـاسَ أنّـنـي
عـلى لَـثْـغَـةٍ تـغـتـالُـهـا الـنّـارُ أهْـلَـعُ

وكَـرْكَـرةٍ تـذوي ، وتَـغـشـى خَـواثِـرٌ
مِنَ الـدَّمِ ثَـغْـراً كـانَ بـالأمـسِ يَـرْضَـعُ

لَتُرعِدُني رُعباً وما بي تَهَيُّبُ
ولكنْ دَمُ الأطفالِ يا أمِّ يُفزِعُ !

*

أُجِلُّكِ ملأى بالجِراحِ مُغيرَةً
وليسَ لجرحٍ آخرٍ فيكِ مَوضِعُ !

تَرَينَ نَثيرَ الشَّيبِ يُذرى ، وهالَةً
مِن الطُّهرِ في أغلَى عذاراكِ تُصْرَعُ

وَمَنْثَرَ لحمٍ مِن بَنيكِ عليهِ مِن
وحوشِ الفَلا ، والطيرِ ، والدُّودِ مَجْمَعُ

فَيطْفَحُ في جَنْبَيكِ أعنَفُ موجَةً
شُعورُكِ أنَّ الموتَ للنَّصْرِ مَهْيَعُ

وأنَّ الرَّدى بالثائرينَ على الرَّدى
أبرُّ مِنَ الأَغْلالِ ، والتُّربَ أشْفَعُ !

ثِقي أنَّنا يا أُمُّ لا نوقِدُ اللّظىٰ
ولكنَّنا ، إنْ أوقِدَتْ ، لا نُرَوَّعُ

عرَفْنا نضالاً دامياً راحَ وَقْدَهُ
جباهٌ تكادُ الشَّمسُ مِنهنَّ تَطْلَعُ !

عَرَفْنا محاريثَ اللّظىٰ كيفَ حَرْثُها
وبذْرَ الرَّصاصِ البِكْرِ أيّانَ يُزْرَعُ

عرَفْنا لهيباً كلَّ يومٍ وليلةٍ
يطوفُ علينا حاصِداً ثمَّ يَهْجَعُ

وتبقى ضحايانا وهامُ صغارِنا
بأيدي الخنىٰ جَمْعَ القُمامةِ تُجْمَعُ

عرَفنا ، عرَفنا بعضَ ما تعرفينَهُ
ولكنْ عرَفنا النَّصرَ والنَّصْرُ أروَعُ

وَرُبَّ حصادٍ شاملٍ نلتقي غداً
عليهِ وتموزٌ بعينيكِ يَلْمَعُ !

ما يعقد اللسان*

كـذا تَلِدُ الأرضُ التي شَهِقَتْ عُسـرا
وكـلُّ مِخاضٍ قَـدْرَ نـاتجِـهِ قَـدْرا

كـذا تَـلِدُ الأرضُ التـي تُنْبِتُ السَّنـا
ويَـدفُقُ أنهـاراً بهـا دَمُهـا المُجـرى

كـذا تَـلِدُ الـدُّنيـا وتُـتْئِمُ لـلذي
يَشـدُّ على محراثـهِ اليَـدَ والـظهـرا

ويغـرزُ في الـطّينِ المبـارَكِ أرجُـلاً
تُخلِّفُ فـي أعقـابِهـا بُقَـعاً حُمـرا

(*) كُتِبَتْ ليلة انتصار الثورة الجزائرية.

ويـمْسَـحُ بـالأجـفـانِ غُبْـرَةَ أرضِـهِ
لعـلَّ بهـا عن سـاقِ نبْـتَـتِـهِ فَـطْرا !

فـإمّـا اشرأبّتْ . . يـا أضـالـعُ سَيِّجي
ويـا دمُ فتّتْ دونَ مَنْبتِهـا الـصَّخـرا !

ويـا ضَـوءَ كـلِّ الكـونِ مُـدَّ لهـا السَّنـا
ويـا مُقْلَةَ الفـلّاحِ يقـظَتَـكِ الكبـرى !

كـذا تَلِدُ الـدُّنيـا ، ومـا زَهـوُ مَولِـدٍ
إذا لم تُـرفـرِفْ حَـولَـهُ كَبـدٌ حَـرَّى

إذا لم يُخلِّفْ قَبْلَهُ الجَـذْبُ في الحَشـا
حَريقاً ، وفي الأضْلاعِ من غُصَصٍ نَغْرا

وَضَعتِ غداً حُرّاً جزائرُ فاشمَخي
لقـد عَـظُمَتْ مَـنْ أنجَبَتْ رَجُـلاً حُـرّا

لأهلي ، لأطفالي ، ولي ولكِ البُشرى
وللنّاسِ كلِّ الناسِ فَرحتُكِ الكبرى

لكلِّ فَمٍ نادىٰ ، وكلِّ دَمٍ جرىٰ
وكلِّ يدٍ شَدَّتْ رِحالاً إلى مَسْرىٰ

وهَبْتِ انتصاراً واعتزازاً ومَنعَةً
ومفخرةُ الإنسانِ أن يَهَبَ الفخْرا

لقدْ كُنتِ للإنسانِ مَنْ كانَ ثورةً
وكانَ لها نَصْراً ، فَكُنتِ لَهُ النَصْرا

وقدْ يَلِدُ الدَهْرُ الرجالَ وإنَّما
رأيتُ رجالاً ههنا تَلِدُ الدَّهْرا !

حلم طفل

١٩٥٥

فِي وادٍ مَسحورٍ ناءٍ
في الظَّلماءِ
وُلِدَتْ نَجْمَهْ
كالماسَةِ في جوفِ الظُّلْمَهْ

كانتْ تَتَسلَّلُ كاللِّصَّه
مِن أبويَها كلَّ مساءٍ
وَتَهيمُ
تَهيمُ على القريَهْ
تَخْتالُ عليها في رِقْصَهْ
ثمَّ تعودُ مع الأضواءِ

وعلى الدُّورِ
يَتَجمَّعُ أطفالُ القريَهْ
رأسٌ ينضَمُّ إلي رأسٍ

وتَهيمُ كَعبّادِ الشمسِ
بالنَّجمِ النائي المقرورِ

وعلى سَطحٍ ناءٍ ناءِ
غافٍ في جوفِ الظَلْماءِ
كانتْ عَينانِ على الفَرقَدْ
عَينا طفلٍ يُدعى أحمدْ
تَمتَصَّانِ ليالي القريَهْ
ليلَه
ليلَه
وتَهيمانِ على اللألاءِ
والفَصُّ الماسيُّ التائي
طولَ الليلِ
يتراقَصُ في وجهِ الطِفلِ
يغْرَقْ
يَطْفو
لا يبرَحُهُ حتى يَغْفو

ليلةُ قدْرِ
وصغارُ القريَة لا تَدْري
هَبَطَ الفَرقَدْ
فِي السَّطْحِ المُنعَزِلِ النائي
فتصاعَدَ هَمْسُ اللألاءِ
أحمَدْ
أحمَدْ

رَفْرَفَ جفنُ الطِّفلِ النائمْ
فَرأى الكَوكبْ
بخيوطِ وسادَتِهِ يَلعَبْ
فَغَفا مبْتَسِماً كالحالِم !

أحمَدْ
أحمَدْ

وأحَسَّ بِدَغْدَغَةٍ حُلْوَهْ
عَبَرَتْ جِسمَهْ

فأفاقَ
أفاقَ
رأى النَّجمهْ !
فطواها في يَدِهِ الطِّفلَهْ
وغَفَا يحضنُها في نَشْوَه
ويقبّلُها
قُبلَه
قُبلَه
والضَّوءُ يُشَعْشِعُ في جَفْنِهْ
والنَّجْمَةُ تَكبرُ في حُضنِهْ
تَنْمو
تَنْمو
تَنْمو
تَنْمو
وأفاقَ لِصوتٍ يَدعوهُ
كانَ أبوهُ
فرأى كفَّيهِ على فِيهِ
وضياءَ الشَّمسِ يُغطّيهِ . . !

مقدمة قصيدة

١٩٥٦

كُتِبَتْ هذه الأبيات لتكون مقدمة
لقصيدة طويلة عن معركة بورسعيد

الأرضُ أبقىٰ ، وبــاقٍ يَنْحَــتُ البَـشَــرُ
تــأريخَهُم فـوقَهــا نَحتــاً بمــا بَــذَروا

الـخَيــرُ يُـعْشِــبُ فيـهــا فهــو مـؤتَلَفٌ
والشَّـــرُّ يلظىٰ عليهــا فـهـــوَ مُشْـتَجِـرُ

والــزَّارِعــونَ بــهــا عَــدلاً مَــزارِعُهُـم
تَـزهــو ، وينضجُ في أعــوادِهــا الثَّمَـرُ

والــزَّارِعــونَ بهــا شَــوكــاً تَــرُدُّ لَهم
شــوكــاً تجمَّــدَ في أعــراقِــهِ المـطَرُ !

والجامِعونَ قلوبَ النّاسِ آمنةً
والناثِرونَ قلوبَ النّاسِ تَسْتَعرُ

هذي تَسيلُ يَنابيعاً مُرَوِّيةً
وتلكَ تصَخبُ طوفاناً فلا تَذَرُ

والحادبون على الدُّنيا وأضلعُهُم
تكادُ من أنَّةِ المَكْلومِ تَنْفَطِرُ

والحادبون على صَرعى خناجرِهم
والحقدُ يَعْصُرُ منهم فوقَ ما عَصَروا

والأرضُ تَنمو فيَنمو فوق جَبهتِها
بعضُ الغضونِ ، وشيءٌ مورِقٌ نَضِرُ !

*

الأرضُ أبقى ، وباقٍ يَنحتُ البَشَرُ
تأريخَهُم فوقَها نَحتاً ، فتَدَّخِرُ

مِن عهدِ آدمَ تُحصىٰ كلَّ ما وَضَعوا
فيها ، وما أخذوا منها ، وما نَذَروا

ما زالَ من نارِ روما فوقَها نَصَبٌ
يذرو الرَّمادَ عليها وهوَ يَنْدَثِرُ

وما يزال زَفيرُ النّاسِ يَلْهَثُ في
مَدارجِ الطّاقِ والأهرامِ . . والحُجَرُ

باقٍ جَبابِرُها لكنْ ضَحيَّتُهُم
طالَتْ فضجَّتْ بها الدُّنيا وهم صَغُروا !

وقلبُ باريسَ ما انفكَّتْ تَدفُّ بهِ
سَحابةٌ من لُهاثِ النّاسِ تعتكِرُ

تَنْشَقُّ عن صَرْخَةٍ ثَكْلى ويَتبَعُها
عُواءُ ذِئبٍ مِن البستيلِ يَنْحَدِرُ

ومـا تَـزالُ عـلى بَغـدادَ نـائِـحـةً
تلكَ المَـواويل ، مـلأى بالـذي زَفَـروا

مِن ألفِ عـام بُكـاءً مـا تَـزالُ بـهِ
تَلْهـو ، وتَشْحَـذُ من أسيـافِهـا التَتـرُ !

وَقـادَةُ القاتِـلِ المجنونِ ، هـلْ سَطَرتْ
كَفُّ امريءٍ في أديمِ الأرضِ ماسَطَروا؟

تَـوقيـعُ هِتـلرَ يكـفي أن تَنـوحَ بـهِ
مِن مَشرقِ الأرضِ حتى المَغربِ الأُسَرُ

عَفَّى مِـدادُ التَّـواقيـعِ التي هَـدَرَتْ
تلكَ الـدِّمـاء ، ولكنْ ظلَّتْ الحُفَـرُ !

الأرضُ أبقى ، هي الأحـداثُ والـذِّكَـرُ
هيَ الأمينُ على مـا يَـصْنَـعُ البَشَـرُ

هي التي حضَنَتْ سقــراطَ حينَ هــوىٰ
والسُّمُّ في فَمِــهِ المَــزْمُــوم يعتــذِرُ !

وهي التي أمسَكَتْ جِـذعَ الصَّليبِ وقد
ألــوى بــهِ ثِقْــلُ عيسى وهــوَ يَنْهَمِــرُ

وهي التي شَهِـدَتْ جسمَ الحسين على
تُــرابِهـا شـائِهـاً من فَــرطِ مـا بَتَــروا

أقــداسُها هكــذا تَهـوي ، وصــامتَـةً
تبقى ، ولكنَّهــا هـيهــاتَ تَـغْتَـفِــرُ . .

الأرضُ لا تَذَرُ
لا تَسْتَكينُ ولا يَغْفو لها بَصَرُ

كانت مَحانيها
قِدْراً تعرَّتْ بهِ روما وما فيها
تغلي ونيرونُ يَعْوي في فَيافِيها
يَعْوي وتَعرى ،
ويَعْوي ،
وهي تَسْتَعِرُ
حتى تَشَظَّتْ ،
فألْقَتْ كلَّ مَوتاها
في وجهِ تأريخِها الدَّامي ،
فواراها
وازَّحزَحَ الحَجَرُ
وانْشَقَّ تأريخُ كلِّ الأرض ،
وابتلَعَتْ
أغوارُه قاتلي روما وقتلاها !

لكنَّهم نُشِروا
الأرضُ أخصَبُ ما ينمو بها البَشَرُ !

روما التي قَبَروا
كانتْ سَماداً لروما سوفَ تزدَهِرُ
لكنَّ مَغناها
من فرطِ ما ازدَحَمَتْ أجسادُ صَرعاها
ما عادَ يَنفَطِرُ
عن رأسِ أفعىً لها في وَردِ آذارِ
عَينانِ مِن نارِ
تَسْتَعجلانِ اصفرارَ الجدولِ الجاري
كي تَشْرَئِبّا على كُومٍ مِنَ الحَطَبِ
فَصّينِ مِن لَهبِ
لنْ يُبقيا مرَّةً أخرى على دارِ

الأرضُ والبَشَرُ
الأرضُ والنارُ
الأرضُ أقسى إذا شبَّتْ بها النارُ
تكبو وَتَخْتَنِقُ
لكنْ بأسْرَعَ ممَّا تَنهَضُ الحُرَقُ

فِي جسمِها العاري
تَقْسو ،
تُلَمْلِمُ بُقياها
وتَنْطَلِقُ . .

الأرضُ أقسى أديمـاً حيـن تَحْتَـرِقُ
يَخبـو اللّظى ، ثمَّ يَبقى فـوقَهـا الألَقُ

مُسْتَمـطِرُ النارِ فيهـا لا يَـرى حـطَباً
وصـانِـعُ اللّيـلِ يَغْشـاهـا فَيختَنِقُ

والسّـارِقـون صِغـاراً من بِـراعِمـهـا
تَنشَقُّ أضـواؤهـا عنهم ومـا سَـرَقـوا

حتى يـرى بعضُهم بَعْضـاً ، فَيُنْكِـرَهُ
من عُرْيِهِ ، وهـو أعرى ، يَلْهَث الفَـرَقُ

في عُـريٍ هذا وهـذا . . والضِّيـاءُ وَهُم
مثـلُ الخَفافيشِ تَعمى حيثُ تَنْـطَلِقُ !

*

الأرضُ أقسى أديمـاً حيـن تحْـتَـرِقُ
أقسى بها العُودُ ، أنـدى فوقَـهُ الوَرَقُ !

أقسى بهـا كـلُّ مـا ضُمَّتْ بـراعمُـهُ
عـلى حيـاةٍ ، وأنـدى حينَ تـنـفَـتِـقُ

أقسى علىَ كـلِّ مـا يُـدمى أَجِنَّتَـهـا
أنـدى لـكـلِّ جنيـنٍ عُـرْيُـهُ عَـبِـقُ

تَبقى الثَّعابينُ تُشوَى تحتَ صَخْرَتِها
حتى تُجَنَّ ، ولا خَرْمٌ ، ولا نَفَقُ

حتى إذا امتلأتْ يأساً وموجِدَةً
زَمَّتْ ملاسِعَها واستاقَها الحَنَقُ

تَنْسابُ ما انسابَ رَخوُ الأرضِ كاتمةً
أنفاسَها ، أيُّ صَدعٍ منهُ تَنْزَلِقُ

لم يَأْلُ يَلْهَثُ ألفٌ مِن مَفاوزِها
عن شَفْرَتَي سيفِ هولاكو.. فتَمَّحِقُ

طَراوةُ الطِّينِ رُعباً.. ثمَّ تَنْغَلِقُ
ويَلْمَعُ السَّيفُ ، من غِمْدَيْه يُمتَشَقُ

حتى إذا حَزَّها قامَتْ خَرائبُها
قَبراً يُمَجِّدُ ما غالوا ، وما فَسَقوا

تَسْتَنْكِرُ الأرضُ لا عاشَتْ ، ولا وَضَعَتْ
هــذا الجنين ، ويَستعــطي ، ويَلْتَصِقُ

يَمتَصُّها عَلَقاً ، يَــطغى ، فتفتَحُ في
أحشــائِهــا قَبــرَهُ الثــاني وتنــطَبِقُ !

*

تَعــالَتْ الأرضُ عَــرَّافــاً بمــا سَبَقُــوا
خَيــراً وشــرَّاً ، ووَهّــابــاً بمــا صَدَقُــوا

تُعــطي الحيــاةَ لِمَنْ يحيــا ، وَتَسْلُبُها
مِمَّنْ يمــوتُ فــلا يَبقى بهــا خَلَقُ

والخُلدُ في جَــوهَــرِ الأشيــاءِ ، ممتليءُ
ضــوءاً . . وممتليءُ ليــلاً . . ومُــختَنِقُ

هــذا يَعيشُ ، وذا يَفنــي ، وذاك بمــا
يَسعى ، ولــلأرضِ آذانٌ لما نَــطَقــوا

ومـا أضاءوا ، ومـا غـامـوا ، فتمْـلأُهم
كـلاً بمـا فيــه ، إنْ فجـرٌ وإن غَسَقُ !

*

تَعـالَت الأرضُ ، كم تَعفـو ، وكم تَثِقُ
وكم تجــودُ ومــا فـي صــدرِهــا رَمَقُ

وكـم تَـحَـمَّـلُنــا ، حـتـى إذا رُزِئَــتْ
مِنّـا بنـا ، وتــلاقَتْ فـوقهـا الحُــرَقُ

هِيضَتْ فهـاضَتْ فشبَّتْ كـلُّ جـارحـةٍ
فيهـا ، فتَـدمى وتُـدمي وهي تَنْصَعِقُ !

يا بذرَةَ الخيرِ في أهلي وفي وطني
أفْديكِ لا تَهِني
صارَعْتِ خَمسةَ أجيالٍ مِن المِحَنِ

حتى ارتوَتْ فيكِ
هذي الورَيقاتُ مِن آلامِ أهليكِ

أدري بأنَّكِ لم تَبرَحْ على فيكِ
تَهويمةُ اللَّبَنِ
وأنَّ جذرَكِ ما امتدَّتْ يَـدُ الساقي
إليهِ إلّا بشيءٍ بعضُهُ باقي
لم تَشْرَب التُّربُ

لم تَشْرَب الأرضُ إلّا بعضَ ما وَهَبوا
والشَّوكُ والحَطَبُ

يا نبلُ يا وطَني
يا طِفلَ خيرٍ نما في شَرِّ مُمتَحَنِ

تطلع في المرآة

١٩٥١

قَبَسٌ شَعَّ في دَياجي حياتي
فاضَ عنّي وسالَ في خُطُواتي

نَغَمٌ ما وَعَتْ خَفاياهُ روحي
خَفَتَتْ في سَمائِهِ نَغَماتي

حُلُمٌ فوقَ ما تُصوِّرُ أوها
مي ، وما تَسْتثيرُ بي أُمنياتي

أنتِ روحٌ عَبَدتُهُ راهبَ العَينينِ
أتلو في قُدسهِ صَلَواتي

وَتَجرّأتُ فاستَرَقْتُ إليهِ
نَظرةً لَجْلَجَتْ صَدى كلماتي

أنتِ يا مَنْ صَوَّرتُها قَبَساً أسمى
يُشيعُ الضِّياءَ فِي ظُلُماتي

أنتِ يا مَنْ توَهَّمَتْ أُذُني الصَّماءُ
فيها لَحناً سَبى أُغنياتي

أنتِ يا حُلْميَ المنوَّرَ يا طَيفَ
ابتسامي ، ويا بَقايا شَكاتي

لم تكوني إلّا خيالاتِ حِرماني
وطيشي ، سَجَدْتُ فيها لِذاتي !

أغنية حزينة

١٩٥٠

سَحَقتَني.. اللّهَ ما أظلَمَكْ !
مَنْ كانَ للأرضِ فَلَنْ يَفْهَمَكْ

يا حُبُّ ، يا أقتَلَ ما في دمي
ما أضْعَفَ القلبَ ، وما أجْرَمَكْ

أغرَيتَني بالقيدِ حتى إذا
قيَّدتَني تقولُ مَنْ أرْغَمَكْ ؟!

يا قَلبُ ، يا قلبي الذَّليلَ استَفِقْ
ويحكَ إنّي عُدتُ أُسقى دَمَكْ

رَضِيتَ حرماني ، رَضِيت الأسى
رَضِيتَ ذُلِّيَ مع مَنْ حَطَّمَك

فكيفَ ترضى بهواني مع النّاس ،
معَ الأغراب ، ما أيْتَمَك

كَرَّهْتَني نفسي فيا لَيتَ مَنْ
هَدَّمَني يا قلبُ قد هَدَّمَك !

النعاس الأبدي

١٩٤٩

يا مُنى قلبيَ المعذَّبِ ،
يا دُنيا رَجائي في وحدَتي واغترابي
يا عزائي والداءُ يعصِرُ أنفاسي ،
ويَغْتالُ ذاوياً مِن شَبابي
عَلّليني ، فقد دَجا كلُّ ما حولي ،
ورانَ النُّعاسُ في أهدابي
عَلّليني فقد يَئِستُ مِن الدُّنيا
ومالي مِن مأمَلٍ بالإيابِ
يا أَعَزَّ الآمال ،
مَنْ لي بأن أَغرَقَ في مُقْلَتيكِ قبلَ غيابي

هاجسٌ بالذَّهابِ يَهجسُ في نفسي ،
فَهلّا أراكِ قبل ذهابي
مَـنْ شَفيعي إليكِ يا كلَّ آمالي ،
إذا لم يَكنْ شَفيعاً عذابي

مَـنْ شَفيعي وقد نأى كلُّ مَـنْ حولي ،
فلا إخوَتي
ولا أصحابي . .

بعد الصحو

١٩٥٠

يَكــادُ يُقتَـل يَـاسـاً ، لا تَـزيـديـهِ
يـكـفـيـهِ أنَّ لَـهُ قـلبـاً لـتَـبـكـيـهِ !

وأنَّ وَخْــزَ ضَـمـيــرٍ فــي جَـوانـحِـهِ
مـا انفَـكَّ يـطفـو دمـوعـاً في مـآقيـهِ

مـا كانَ يَهـواكِ كي يَلْهـو ، ولا شَـرَقَتْ
عينـاهُ بـالـدَّمـعِ كي تُـروى قَـوافيـهِ

لـكنَّـهُ كـانَ يَـهـوَى فيـكِ طِـفْـلَتَـه
وبـيـتَـهُ ، وسَـرابـاً مِـن أمـانيـهِ

حُلمٌ تَلاشى ، وماتَتْ طفلةٌ ، وَصَحا
فعادَ يخبطُ في دُنيا مآسيهِ

لا تَظْلِمي حُبَّهُ ، لو شِئتِ أنتِ لَهُ
ضَحَّى لِنَيلكِ بالماضي وما فيهِ!

وعاشَ يَهفو إلى آتٍ يُقدِّسُهُ
مِن أجلِ عينيكِ لكنْ.. ضاعَ آتيهِ

أنتِ التي شِئتِ أن يهوى فكان هَوىً
وشئتِ أن ينتهي
واليوم يُنهيهِ !

الخطيئة الأولى

١٩٥٠

رَبَّاهُ غُفرانَك فالجاني أنا يا رَبِّي
إغْفِرْ لها فكلُّ ذَنْبٍ كانَ منها ذَنبي
أحبَبتُها وكانَ أوَّلَ الخَطايا حُبِّي
وقلبُها كانَ بَريءَ الخَفْقِ.. لكنْ قلبي
قلبي أنا.. رَبَّاهُ خُذْ منِّي أنا يا رَبِّي

ولكن...

١٩٥٠

قلتُ يا قَلب سوفَ ننسى هواها
فاتَّئِدْ رُبَّما عَشِقْنا سِواها

كلَّما خِلْتُ أنَّني كِدْتُ أنأى
بكَ عنها لَجَجْتَ في ذِكراها

دونَ جدوى أشقَيْتَ نفسَكَ يا قلبي
وأشقيتَني ومَنْ تَهواها

دونَ جدوى ، وكنتَ تملكُ أن تنسى
ولكنْ أبَيْتَ أنْ تَنساها !

النسغ

١٩٥٠

لقد عُدتُ أهوى فيكِ يأسي وحَيْرَتي
وأهْواكِ إعراضاً بهِ طَيفُ مُلتقى

عَشِقْتُكِ سِرّاً مُبْهَماً لو عرَفتُهُ
لما كانَ شَيءٌ بين عَينيك يُتَّقى

وما كنتُ ظمآناً فأروي بك الظَّما
ولا كنتُ أرجو فيكِ للوَحي مُرتقى

ولكنَّني قَدَّستُ فيكِ الهوَى الذي
يَمُدُّ لزرعي أيَّ نارٍ إذا سَقى !

يـومـاً مـا ..

١٩٥٢

وعَينَيـكِ يـا سَلْوى أُحِسُّ دَمي يَجـري
وأبـسِـمُ لـلدُّنـيـا كـأنـيَ لا أدري

طَـعينٌ وكفّي فـوقَ جُـرحي تَـشُـدُّهُ
وأضحَـك حتى لا يَرى ألَمي غَيـري

وأعـلَمُ يـا سَلْوى بـأنَّ هَـواجِـسـي
ثِقـالٌ على كلِّ الصُّـدورِ سوى صَدري

فـأُودِعُهـا في أضلُعي كـلَّمـا قَسَتْ
تَمَلْمَـلَ في الأوراقِ حَـرفٌ على سَـطرِ

سأضْحَكُ يا سَلْوى وإن كانَ في دَمي
سَعيرٌ أقاسي منهُ فوقَ مدى صَبْري

وماذا تَبقَّى لي لآسفَ بعدَما
رأيتُ أعزَّ النّاسِ أدنى إلى غَدْري !

على حافة الصحو

١٩٥٠

شَبابُكَ سوفَ يعصرُهُ الذُّبولُ
وَشِعرُكَ قد يَحولُ كما تَحولُ

فإن يَكُ شَعَّ في عَينَيكِ ضَوءٌ
فقد يأتي عليهِ غَداً أُفولُ

وأنتَ على الشَّبابَ تَنوحُ يأساً
فَمنْ يدري غداً ماذا تقولُ !

تُحدِّقُ في العيونِ كأنَّ سِرّاً
تُحاوِلُهُ فيُغرِقُكَ الذُّهولُ

على شفَتَيـك يَـرجُفُ صَـوتُ نـاعٍ
وفـي عَـيـنَـيـكَ فـاجـعـةُ تَـجـولُ

فــإن تَــكُ عِشْتَ فـي حُلُمٍ جـمـيـلٍ
يُـلوِّنُ لـيـلَهُ ضَـوءٌ ضَئـيـلُ

فــإنَّكَ قـد صَحـوتَ فمـاتَ ضَـوءٌ
حبـيـبٌ وانـطوى حُلُمٌ جَـمـيـلُ !

تأسية

١٩٥٢

وعَينَيـكِ مـا في الكــونِ أقلَقُ مِن قلبي
وأقتـلُ مِن صَبْـري ، وأطـوَلُ مِن دَربي

رأيـتُ مِن الأيـامِ مـا لـو شَكَـوتُـهُ
لكـانَتْ شَكـاتي منهُ أثْقَـلَ مِن كَرْبي !

ومـاذا أُرَجّي مِـن شكـاتـي وإنّـني
أرى صَفْوَ شُربِ النّاسِ أكدَرَ من شُرْبي

لن ترجعي ما كان

١٩٥٢

عينانِ تَنْطَفئانِ ، تَنزَعُ فيهما الأحلامْ
وَهَوىً تناءى ، ثمَّ غابَ . . كأنَّهُ أوهامْ
وَوَجيبُ قلبٍ نامْ
لا تَبْحَثي في مُقْلَتيهِ فليسَ ما ترجينْ
هوَ لا يُريدُكِ أنْ تَرَي في وجهِهِ مِسكينْ
أحلامُهُ مِن طينْ

لا تُتعِبي جَفْنَيكِ ، غَلَّفَ يأسُهُ جَفْنَيهْ
هوَ لن يراكِ وإن تَكُنْ عَيناكِ في عَينَيهْ !
لنْ تُرجِعي ما كانَ مِن إيمانْ
بالحُبِّ ، بالوجدانْ
لنْ تُرجِعي ما كانْ

عَيناكَ يَطفحُ فيهما أَلَقُ الهوى المَحمومْ
هوَ حبُّكِ المزعومْ
أمسِ استقَرَّ بجانحَيهِ كخِنْجَرٍ مَسمومْ
واليوم ، عُدْتِ لِتَسألي عَينيه عمّا فاتْ
هل غيرَ حُبٍّ ماتْ ؟!
يا خيبةَ الوجدانْ
لنْ تَبعثي إلّا الأسى في ذلكَ الإنسانْ
لنْ تُرجِعي ما كانْ . .

مراجعة لخطأ قديم

١٩٥٤

يا طِفلَتي لا تَعتِبي ،
أنا ما وَهَبْتُ سِواكِ شِعري
إنْ كنت قد أبصَرتِني أنأى ويَدنو مِنكِ غَيري
فلأنَّني أحسَسْتُ أنّي ما ضَمَمْتُكِ نحوَ صدري
إلّا لأني كنتُ غِرّاً ،
لستُ أعبدُ مِن حياتي
إلّايَ ،
إلّا ما يُلامُسني ،
ويوقِظُ فيَّ ذاتي

إلّا لأني كنتُ أعمى
ما كنتُ أُبْصِرُ غيرَ ما يحتَكُّ بي جِلداً وعَظمْاً

يا طِفْلَتي
أنا ما وَهَبْتُ سِواكَ نفسيَ ،
غيرَ أني
أصبَحْتُ أملِكُ أن أَراكِ وإن نَأتْ شَفَتاكِ عنّي !

رسالة حب من موسكو

١٩٥٩

حبيبتي

مِن قلبِ هذا العالمِ الكبيرْ

حيثُ الشّتاءُ يَنْثرُ القُطْنَ على البَشَرْ

ويحملُ الشَّجَرْ

شموعَهُ مثلَ الشّمعداناتِ في الدروبْ

حيثُ الزُّلاقاتُ تَجُرُّها على الثّلوجْ

أجنِحَةُ الأطفالِ ،

يا حمائِماً تَموجْ

تَنضحُ بالعبيرْ
تَكاد أن تَطيرْ
تركضُ كالكُراتِ ،
كالبلّلورِ ،
كالضّياءْ

مثلَ الأرانبَ الصغارِ
كلُّها فِراءْ
أوَدُّ لو ،
أحِنُّ لو أضمُّها إلَيّ
أملأ أنفاسيٍ ومقلَتيّ
بدفئِها ، لكنَّها تُفلِتُ من يَدَيّ
فتملأ الفَضَاءْ
بِكَركَراتِها ، وأبقى مُرهَفَ الحنينْ
أُنصِتُ للرَّنينْ
ينأى بها وهي تَجرُّ عِبأها الثَّمينْ

حبيبتي ،
أيُّ جَناحٍ سَكِرٍ مَشوقْ
أطلَقَهُ في قلبيَ الخَفوقْ
إليكِ يا حبيبتي ،
لطفْلِنا البَعيدْ
أطفالُ هذا العالم السَّعيدْ !

اللّه
لو وسَّدْتُ قلبي مَوجةً في نهرِ دَجله !

موسكو
١٩٥٩



رسالة حب من تاجيكستان

١٩٥٩

حبيبتي
مِن هذهِ الدُّنا
مِن بَلَدِ الشَّمسِ ومِن مَضارب السَّنا
حيثُ تَلاشى ضَوءُ عينيَ « رودَكي » هُنا
لِيُبْصِرَ التاجيكُ أجمَعينْ

حبيبتي
حيثُ التقي برودَكي لنين
في هذهِ الدُّنا

مِن وَهَجِ الشَّرقِ ومِن ذُراه
مِن كل وَجهٍ تُشرِقُ الحَياه
في صَوتِهِ المُرَنِّم
في ثَغْرِهِ المُبْتَسِم
في كَفِّهِ تَشُدُّ كفّي وَتُحيّي مَقدَمي

أُحسُّ أنَّ في دَمي
شيئاً إليه يَنتمي
شَيئاً هوَ الحياه !

مِن وَجهِ طفلةٍ تمنَّيتُ لها السّلامْ
حبيبتي لأنَّها شيءٌ مِن السَّلامْ

مِن هذهِ الدُّنا
وكنتُ أدري أنَّ فيها إخوةً لَنا
للنّاسِ أجمَعينْ
لكنَّني لم أَكُ أدري أنَّ للحَنينْ

عُمقاً كهذا ،
أنَّ للنَّظرَةِ في العُيونْ
دِفئاً كهذا ،
أنَّ في تَشابُكِ اليَدَيْنْ
شَيئاً يكادُ يَنْطِقُ
شيئاً يَكادُ أن ،
يَكادُ . .
يا لِساناً يَغْرَقُ !
إن كنتَ في بَحرٍ عميقٍ فَبحاري أعمَقُ
حَمَلتُ للشَرقِ سَنىً ملءَ ضلوعي يُشْرِقُ
حَمَلتُ قلبي يَخفِقُ
وكنتُ غَنَّيتُ لكلِّ هذهِ القلوبْ
كانَ فمي يَحترِقُ
وأضلُعي تَذوبْ
كان العراقُ في ليالي سُهْدِهِ الرَّهيبْ
كنتُ أُغنّي للعراقِ والظلامُ فيهْ

يكادُ ساري ليلهِ يَتيهْ :
الشَّمسُ لا تموتْ
الشَّمسُ لا تُطفأ ،
لا تُقْتَلُ ،
لا تموتْ
كنتُ أغنّي للعراقِ ،
أقرَعُ البيوتْ
أوقِظُ فيها الشَّمسْ

لها على عُيونِنا الأَنجُمُ والأَهِلَّه
وفي قلوبِنا لها
نوافِذٌ مُطِلَّهْ

الشَّمسُ في قلوبِنا
والشَّرقُ ينشرُ السَّنا
وفي غَدٍ نلقاهُ في مَرابعِ الضَّوءِ هُنا

هذا هو الشَّرقُ وهذا موعِدُ اللقاءْ
إنّا لَقيناهُ وفي عيونِنا الضِياءْ !

حبيبتي
إنَّ بقلبي هالَتيْ سَنا
مِن العراقِ هالَةً
وهالةٌ هُنا
وفي غَدٍ سَنَلْتَقي
أسْكبُ في سَلْسَلِ عَينَيكِ الذي يُراق
أسْكُبُ كلَّ ما جَمَعْتُ من ضِياءِ المَشْرِقِ
ومِن سَنا العراقْ !

المغضبة

١٩٦٩

بَلَىٰ غَضَبي نَـزْرٌ ، وإنِّي لَغـاضِـبُ
ألـوكُ حَصاةَ الصَّبْـرِ والصَّبْرُ عـازِبُ

بَلَىٰ خَـطَبٌ هذي الضّلوعُ عَـدِمتُهـا
يَصُـولُ عليها مِن لَـظى الغَيظِ حاطِبُ

بَـلَىٰ رئتي تَـنْشَـقُّ عن أيِّ جـاحِـمٍ
لـهُ ألَـقٌ مـا بيـنَ جَـفـنَـيَّ راعِـبُ

لَعِنْتُنَّ نـيـرانـاً تَشَظَّىٰ شُـواظُـهـا
يَـني لاهِـبٌ منهـا فَـيوريـهِ لاهِـبُ

لُعِنْتَ دَمـاً لَـزَّ العـروقَ ، وخـافقـاً
تَضُـجُّ بـهِ الأنيـاطُ ممّـا يـجـاذبُ

*

ثَـكَلْتُـكَ دَهـراً دارِعـاً سـاقَ خيـلَهُ
إلـيَّ ، وسـاقَتني إليـه المَعـاطِبُ

يَـطيـحُ بِـرَكبي حيثُ سِـرْتُ عِثـارُهُ
وَتَـنْشِـبُ بي أنـيـابُـهُ والـمَخـالِبُ

وأُخفي جِـراحـاتي . وأرفَـعُ هـامتي
وما غيرَ فَيضِ الجُرْحِ للجُرحِ عاصِبُ !

ثَـكَلْتُـكَ إنّـي منـذُ عِشـرينَ نـاذرٌ
دَمي ، فـأنـا ممّـا أُزَكّيـهِ شـاحبُ !

لِبيتيَ شَيءٌ منـهُ ، والنّـاسِ جُلُّهُ
ولي منـهُ خَفْقُ القلبِ والقَلبُ لاغِبُ

ولا غُـرْمَ أنّـي بـاذِلٌ مـنـهُ خَيْـرَهُ
ولـكنَّ غُـرمـاً أنَّ مـثـلَكَ شـارِبُ

وأنَّ دَبـيً جَيَّـشتَـهـا وَلِـغَـتْ بِـهِ
عنـاكبُـهـا مَسعـورَةً والعقـارِبُ

وأفـدحُ مـا يَشجي الكـريـمَ قتـالُـهُ
صِغـارَ ذُنـابى جَـرّأتهـا النَّـوائِبُ !

تَـرَّبصُ حتى يَلتقي اللَّحـمُ بـالمِـدى
فتُغـرَزَ حيثُ الجرحُ والجـرحُ شـاخِبُ

*

وقَـومٍ ذَخَرنـاهم على الـدَّهـرِ واثبـاً
سَعى بِهِمُ غُنْمٌ مـعَ الـدَّهـرِ واثِـبُ !

وكانوا الذي نهوى إذْ الجَدُّ مُقْبِلٌ
فصاروا الذي نخشى إذ الجَدُّ ذاهِبُ !

لَئِنْ أخطأتْنا الأبعَدون فلم تَزَلْ
مَقاتلُنا أدرى بِهِنَّ الأقارِبُ !

ولم نَدْرِ إذْ كانَتْ تَسحُّ دماؤنا
لهم أنَّ شأنَيْنا حَلوبٌ وحالِبُ

كَبِرْنا ، وضَاءَ الشَّيبُ في ليلِ شَعْرِنا
فهَلْ ضَوَّأَتْ لَيلَ الحياةِ التَّجارِبُ !

*

بَلَى غَضَبي نَزْرٌ ، وإنِّي لَغاضِبُ
ألوكُ حَصاةَ الصَّبْرِ والصَّبرُ عازِبُ

تَـزمَّلْتُ مَحْمـومـاً بغَيـظي فلم يَلُحْ
لِـراءٍ كَـمِـثْـلَينـا مَـنُـوبٌ ونـائِـبُ

نُـغـالِبُ بَـعـضـاً تـارةً ، ويَـفيئُـنـا
إلـى هَـدأةٍ أنَّ الـزَّمـانَ الـمُـغـالِـبُ!

وأنّـا نَـرى مِن أَمْـرِهِ كـلَّ سـاعـةٍ
عَجيبـاً. ومـا تَفنى لـديـهِ العَجـائِبُ

*

رأيْـتُ مَـوازينَ الـمـواهِبِ أُتْـخِـمَـتْ
وأنـدَرُ مـا في كفَّتَيـهـا الـمـواهِبُ !

ومُـشْـتَـجَـراً لـلفَـنِّ طـاحَ بِـسُـوحِـهِ
مِـنَ الفَـنِّ مَـخْـذولاً سَـنـامٌ وغـارِبُ

إذا جَـذَمَتْ أسيافُهُم منـهُ جـذمَـةً
أُقيمَتْ عليهـا للنّبـوغِ المـآدِبُ !

رأيْتُ معـايـيرَ الأديبِ مَـنُـوطـةً
بـأفْئِـدَةٍ مِـعـيـارُهُـنَّ الـمـآرِب !

فَـذو بِطْنـةٍ لا يُحسِنُ السَّجـعَ شاعِرٌ!
وذو لبـدَةٍ لا يَقـرأ الـسَّـطرَ كـاتِبُ !

وحـاملُ سيفَ النَّقْـدِ مَـنْ مـلءَ جَـوفِـهِ
مَعـاجِمُ ثَلْبٍ أحْكَمَتْـهُ المَكـاسِـبُ !

إذا ذادَ عـن قـومٍ لأمـرٍ فـمـانـعٌ
وإن جـالَ في قـومٍ لأمـرٍ فعـاطِبُ

فَنـاءَتْ بـهِ حَـدَّ العَيـاءِ الضَّـرائِبُ
وَحَفَّتْ بـهِ حَـدَّ اللُّصوقِ الحَبـائِبُ

فهُم حشوُ سوقٍ ، لا عكاظَ فتَحْتَمي
بنابغَةٍ فيها ، ولا مَنْ تُخاطِبُ

ولكنْ كَسوقٍ في الرّصافةِ تَلتَقي
على هَرَجٍ أوساطُها والجوانِبُ !

فإنْ كنتُ ذا قَولٍ فأينَ أقولُهُ
وإن كنتُ ذا عَتْبٍ فمَنْ ذا أعاتِبُ !

*

بَلَىْ يا جَهاماً يَمنعُ العَينَ أن تَرى
ضياءً ، فلا تَسري ، ولا أنتَ ساكِبُ

أَخِلْتَ السَّما غِيضَتْ وظهرُكَ مُلْهَبٌ
بما تَتلظَّى شمسُها والكواكِبُ

أَخِلْتَ بحاراً بين يومٍ وليلةٍ
تَجِفُّ بما أرجَفْتَ إذْ أنتَ ناضِبُ

بَعيدُ مَنالٍ عنكَ ضَوءُ حَجَبْتَهُ
وأبعَدُ منهُ شأوُهُ لا العواقِبُ !

*

عَجيبةُ أمرِ هذهِ الأرضُ لا تَني
مَراهبُها مِعيارُها والرَّغائِبُ

رأيتُ مُروءاتِ الرِّجالِ مقيسةً
بمقدارِ ما تُحصى عليها المثالِبُ !

وخيرَ عبادِ اللّهِ مَنْ لا يَشوبُهُ
لدَى النّاسِ ممَّا يَشغلُ النّاسَ شائِبُ !

فلا هوَ في عُزْمٍ يؤدُّون عازِمٌ
ولا هوَ في كَسْبٍ يُرجُّون كاسِبُ

رأيتُ جسوماً عُمِّرَتْ فهيَ فِتْنَةٌ
وهُدِّمَتْ الأرواحُ فهيَ خرائِبُ !

يُزَغرِدُ باديهِنَّ تِيهاً وبَهْجَةً
وتُسْمَعُ مِن أعماقِهِنَّ النَّوادِبُ

ولو مَضَغَتْ أنيابُها مَحضَ روحِها
إذن هَلكَتْ والشَّرُّ للشَّرِّ قاضِبُ

ولكنَّ صَيداً أتقَنَتْهُ يَرُبُّها
كما أتقَنَتْ صَيدَ الذُّبابِ العَناكِبُ

لَئِنْ كانَ صَيدٌ والتَّستُّرُ دائِبٌ
فهل ثَمَّ صَيدٌ والتَّرصُّدُ دائِبٌ ؟!

*

بَلى غضَبي نَزرٌ ، وإنّي لغاضِبُ
ومَركبُهُ وَعرٌ ، وإنّي لَراكِبُ

وأعلَمُ أنّي ليسَ لي مَنْ يُقيلُني
إذا عَثرَتْ بالرّاكبينَ الرَّكائِبُ

ولو لم يَكُنْ لي ما أَرِيشُ سِهامَهُ
سَكَتُّ وغَيظي بين جَنبَيَّ ناشِبُ

وكيفَ ، وَحَدّي في يدي قد خبرتُهُ
وموغَرُ أحشائي ، ودَهرٌ مُناصِبُ

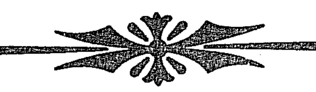
وإنْ هيَ إلاّ لَحظَةُ الحَزمِ بيننا
يُرى بعدَها منّا خَضيبٌ وخاضِبُ

تَوَقَّ شَباتي لا أبالَكَ مَضرَباً
فإني لَمُنقَضٌ ، وإنّي لَضارِبُ !

إذا لم تَكـوني يـا قَـوافيَّ عـاصِفـاً
إذا لم تَكُنْ منـكِ الـرُّجـومُ اللواهِبُ

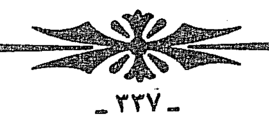
إذا لم يُجَـرَّدْ منكِ ، مِن كـلِّ لَفـظَةٍ
شِهـابٌ مـدى مـا تُبْصِـرُ العينُ ثـاقِبُ

فَفِيمَ ادِّعـائي الـشِّعـرَ أحمِـلُ وِزْرَهُ
ويحمِـلُ منّي وِزْرَ مَـنْ لا يُـحـارِبُ !



خيمة على مشارف الأربعين

١٩٧١



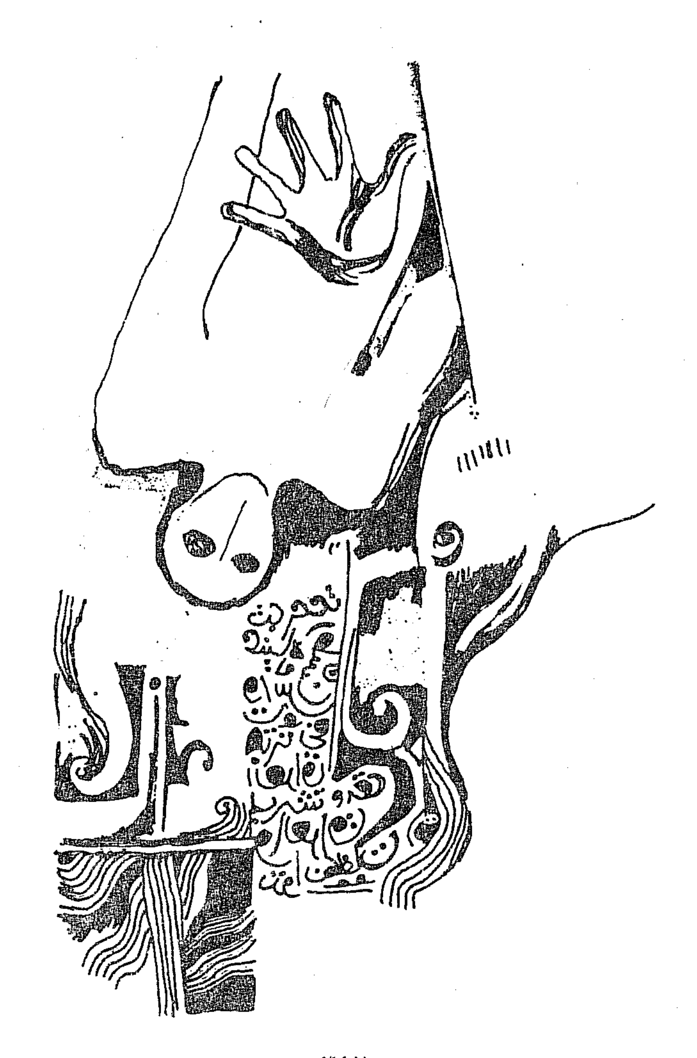
قطرة حزن

وطنٌ لمخاوِف هذا العالم قلبي
مَـنْ يعرفُ أين حدودُكَ يا عصفورَ الخوفْ ؟
يا مملكة الخوفْ
وطنٌ للآلامِ ،
ويحملني حبي
أرحَلُ منكَ
وأرحَلُ فيك
أيُّ صليبٍ يمتدُّ إلى أطرافِ الأرضِ رحيلي
يا قلبي
يا طيراً أنهكَهُ الطَّوف

ولم يبرح يسحبُ في كلٍّ جهاتِ الأرضِ جناحَيْهِ المَسْحُوقَيْنْ
يا كنزَ الخوفْ
يا قطرةَ حزنٍ
تنبضُ فوق صليبِ العالمِ
يا قلبي . .

غرق الطوفان

شهقة على جثمان العالِم العراقي الكبير
الدكتور عبدالجبار عبدالله



وانسابَ في صمتٍ وفي جلالْ
تَلَفَّتَتْ تسألُ عن مَنْبَعِهِ الجبال
أيُّ ذراها ؟
رفعتْ رؤوسَها الأهوارْ
وابتسمتْ ،
رنَتْ إليهِ في اعتزازٍ
أجهَشَتْ
وظلَّ ينسابُ مهيبَ الموج
في صمتٍ ،
وفي جلالْ
معمِّقاً مجراهْ
مغالِبَاً مجراه
متَّسِعاً فاضَ على مجراه
ثم استقرَّ حيثُ لا تضطربُ المياهْ
وحيثُ لا تختلفُ المياه

ماءً ولا جفافْ
لم تَثِبِ العيونُ عبرَهُ إلى ضفاف
الأرضُ كلُّها غذَتهُ ،
احتضَنَتْ مَسارَهْ
ترصَّدَتْ مَدارَهْ
أعطَتْهُ
لم يأخذْ ،
وأعطى كلَّ ما لديهْ
لم يَسْبِرُوا قرارَهْ
لكِنَّما روائحُ العماره. . .

حياتُـهُ. . كأنَّما ضياءْ
أنجبَهُ احتراقْ
أرضَعَهُ احتراقْ
وَهَّجَهُ احتراقْ
أطْفَأَهُ احتراقْ

أغفى
تعَرَّتْ شهقَةٌ تملأُ عينيه
تلوبُ
تطرقُ الأبوابْ
تَسْتَصْرِخُ الوجوه ،
تَسْتَشْهِدُ ،
تبكي ،
تذبحُ الأهدابْ
وأفلتَتْ مروعةً تحملُ عينيهِ ،
تكادُ تشربُ العراقْ
تطوي المسافات ،
تذودُ الموت ،
تَعْدُو
تشربُ العراقْ
وانكَفَأَتْ . .
تَدَحْرَجَتْ عيناهُ رطبتَينْ

واستقرّتا في تربةِ العراقْ . .

وطَأْطَأَتْ رؤوسَها الأهوارْ
وأجْهَشَتْ على ضِفافِها حناجِرُ القصبْ

تأمَّلَتهُ وهو ينسابُ بلا شطآنْ
يدفُّ حولَهُ ضبابٌ هائلُ الأكفانْ
وتابَعتْـهُ . .
غامَ في أحداقِها الأمس ،
خيوطُ الضوءِ تنسابُ ،
تَناءىٰ
تابَعَتْ أحداقُها المجرىٰ
همى الأمسُ رذاذاً . .
عينُها مشدودةٌ عبرَ رذاذ الأمس
ألمجرى ضبابٌ هائلُ الأكفانِ ينأى
انهمَـرَ الغيثُ عنيفاً

غرِقَتْ أحداقُها في الأمس ،
غامتْ
تابعَتْهُ
تابَعَتْهُ
تابَعَتْـ . . . ـهُ

جدولٌ صغير
يَشوشُ الأمواجَ في شواطيءِ العماره
مستَوحداً نحيلْ
منسَرِباً بين جذورِ العشبِ والنخيل
يؤنِسهُ خريرهُ
وتابعَتْهُ
تابعَتْهُ
تابَعَتْ . . .

تذكرتْ طفلاً يتيماً حافيَ الأقدامْ
على يدَيها نام
يرتعشُ الشتاءُ كلهُ بركْبَتَيهْ
يندَسُّ في عظامِهِ
يجمدُ في يديه
فينحني عوداً على كتابِهِ الصغيرْ

وزَخَّتْ الأمطار

تذكَّرَتْهُ يافِعاً صامتةً خطاهْ
واسعةً خطاه
تذكرتْ كم شربَتْ عيونُها خطاهُ
حتى غابَ في الضياءْ
وحولها حناجرُ القصَبْ
تشهَقُ بالدعاء

وانسابَ نحوَها ينابيعَ من الضياءْ

عادَ إلى وِدْيانِها سماء
عادَ إلى شطْآنِها سماء

عادَ إلى أحضانِها بحراً من الضياء
وادعةً خطاهْ
ثابتةً خطاه
هائلةً خطاه



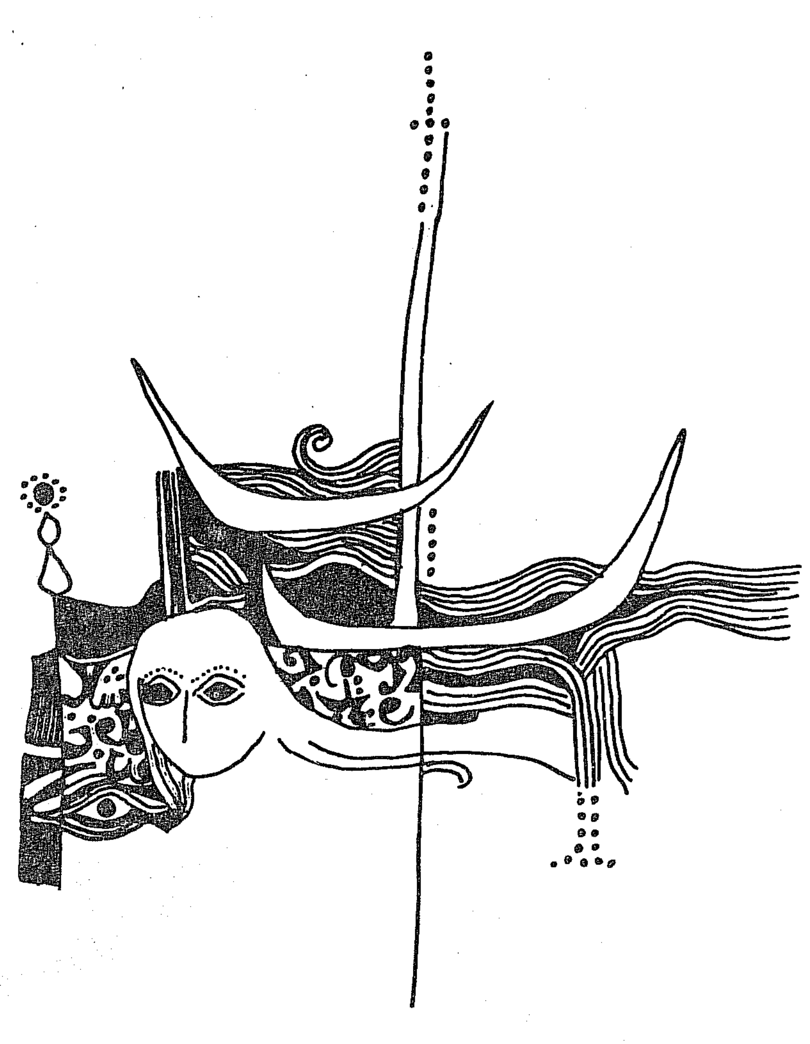
فزغردتْ كلُّ شفاهِ القصبْ
واحتضَنَتْهُ ،
قَبَّلَتْ خطاه

وَزَخَّتْ الأمطار
عنيفةً
ثم تلاشى الغيمُ
شَفَّ
اغرَورَقَتْ أحداقُها بالضوء
ذابَ الأمسُ
شفَّ
ابتلَعَتْ دموعَها الأهوارْ
ثم أفاقتْ . .
كان ينسابُ بلا شطآنْ
يَدفُّ حوله ضبابُ هائلُ الأكفان
أمواجُهُ تعثرُ بالضبابْ
أضواؤه يشربُها الضباب

ينسابُ في الضبابْ
ينسابُ . .
لا شيء سوى الضبابْ .

حينَ تمرُّ الريحُ في شواطيءِ العماره
يصعدُ من حناجِرِ القَصَبْ
ينثالُ من ذوائِبِ النخيلْ
صوتُ نداءٍ يشبهُ العويل :

أوَحَشْتَ عبدَالله
صوَّحتَ عبدَالله
يا والدَ الطوفانْ
قد غَرق الطوفان
لا نِمْتَ عيناً غرقَ الطوفان
لا نمتَ عبدالله
لا نمتَ عبدالله
لا نمتْ . . .



المشاحيف

تعرّت الأهوارْ
صَعدتُ من أحضانِها غَيمَهْ
أرعَدتُ ،
أبرَقتُ ،
تبَعثَرتُ كما أشاءْ
وكلّما لَمْلَمَ أطرافيَ بردُ الشتاء
عدتُ رذاذاً
مَطَراً
حالُوبْ
أنقُرُ في السقوفِ والأبوابْ

أركُضُ في الدروبْ

ألصقُ بالأوجهِ

بالشفاهِ

بالـ . . . .

اللّـهْ

يا دفـءَ أحضانِ المَشاحيفِ!

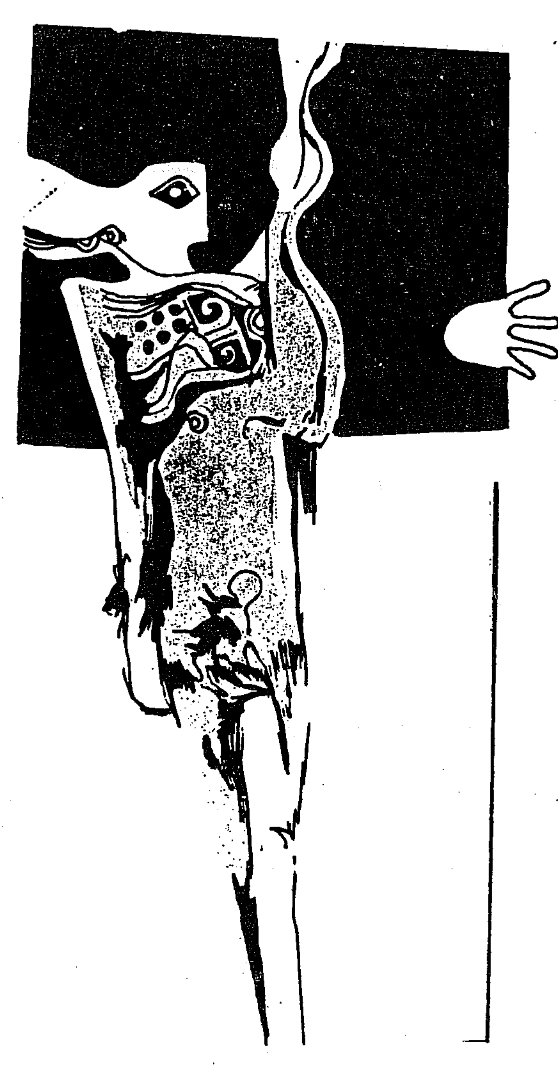
فروسية في عصر صغير

لابساً جلدَ « أخيلْ »

لنْ أقاتِلْ

إنني أفرشُ من لَحْمي مَشاتِلْ

لنبالٍ مزَّقتْ جسمَ الحسينْ



لحاق

أبْحَرْتُ في عيونِكُم شراعْ
لُهاثُكُم يعدو ورائي ،
يَسْحَبُ الجراحْ
سَحْباً .
يكادُ . .
ثمَّ تطغَى ثورةُ الرياحْ

سَفَحْتُ صدري لزَّني الموجُ تشظَّيتُ صراخاً
صوتيَ استبسلَ في العبورْ
أدرَكتُكُم بكلِّ عُنفي ،
رئتي تُراقْ
قلبيَ يشرَئِبُّ

عيناي تُقاتلانِ
صوتي يثقِبُ الإعصارْ
يَداي
أيديكم
يدي . .
يا خيبةَ اللِّحاقْ
جراحُكم تعلَّقُ بالصخورْ
أقدامُكم تغوصُ في الموج ،
وأنايَ رايةَ انتصار
ما مسَّ من لهاثِكُم صاريَتي في صَخَبِ الريح
سوى الوداعْ
يا رُغوةَ الضياع

عَبْرَ دُجاكم انجرَدتُ شفْرَتَيْ شعاعْ
غطستُ في قلوبِكُم نصلاً إلى القرارْ
فَجّرتُ فيكم دُمَّلَ الحسرةِ والدوار

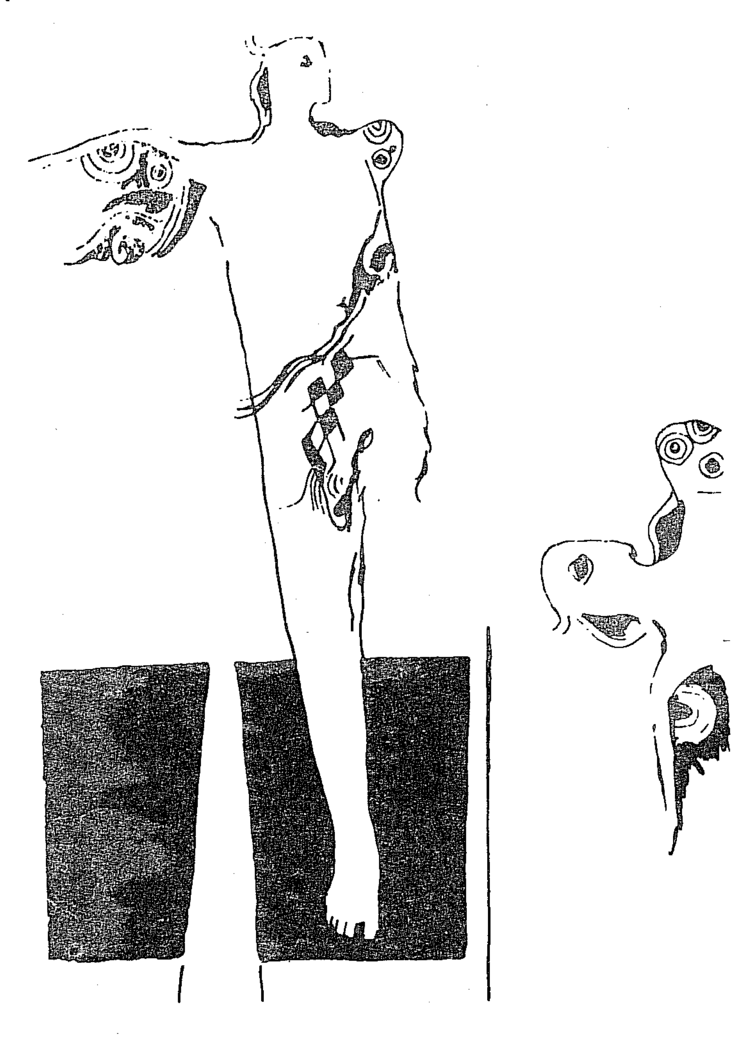
ها أنذا أصعدُ من قبورِكُم ذراعْ
أُكوِّرُ السماءْ
أعتصرُ الغيمَ على ترابِكُم دماءْ
يا أيُّها العطاشُ حدَّ الموتِ تَهلكونْ
يا أيُّها العطاشُ لا ماءَ تَشربونْ
في هذهِ المفازةِ الجرداءْ
الشمسُ فيها ماء
قبورُكم ينبعُ منها الماء
طوبىٰ لِمنْ فجّرَ بئرَ الشمسِ فاحترقْ
طوبىٰ لِمنْ شقَّ وريدَ الأرض ،
مَنْ أحسنَ في ترابِها الغرَقْ
طوبىٰ لِمنْ تنبعُ من سلاحِهِ المياه . .

لعبة شطرنج مهداة الى شاعر

وكنْتَ كالملكْ
تحفُّهُ البيادقْ
باسلةً صغيره
تُقْتَلُ لكنْ أبداً تمضي إلى الأمامْ

وأنتَ كالملكْ
خطوتُكَ الصغيره
تجفلُ في كلٍّ اتجاهٍ وسَطَ الزحامْ

لو كُنْتَ يوماً قلعةً صارمةَ الوضوحْ
لو فرَساً جَموح
لو بيدَقاً يُقتَلُ في الأمامْ
يا أيُّها الباحثُ في الزِّحام



عن مَخبأٍ
ولو وراءَ بيدَقٍ صغيرْ
يا أيُّها الملكْ

باسلةً تعرَّت البيَادقْ
وأُكلتْ باسلةً أمام كلِّ الناسْ
نبيلةً كبَتْ على وجوهِها الأفراسْ
عاتيةً تهاوَتْ القلاعُ
قلعةً
قلعه
ولمْ تَزَلْ وحدَكَ في الرُّقعه
تُساقُ للمربَّعِ الأخيرْ
لكي تموتَ دونَما نأمهْ

. . . .

. . . .

كشْ أيُّها المهرِّجُ الكبيرْ

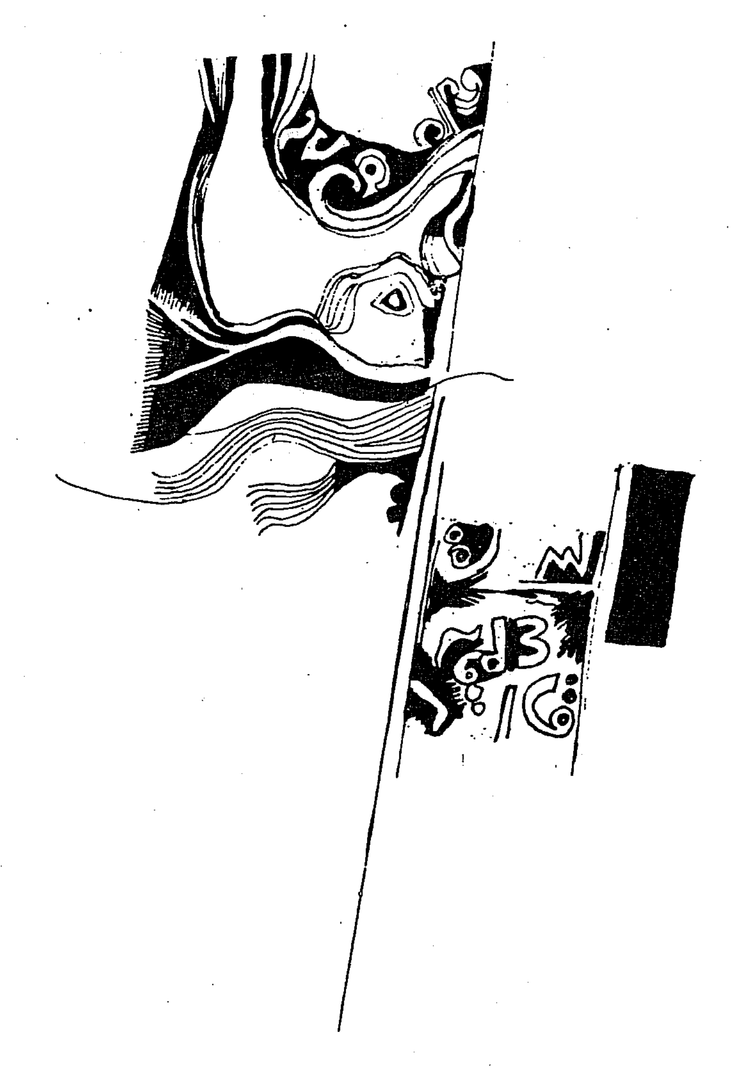
الورد القاتل

فرَشْنا تساؤلَنا لاهثاً
رفعنا الصَّلاه
إلى الغيمِ
لم تَهمِ قطره

أنَخْنا الجباه
حفَرْنا الثرى بالأنوفْ
فلمْ تَنزُ قطره
عَصَرنا جميعَ الجباه
فلمْ تَجرِ قطره

فَصَدنا العيونْ
جرَتْ ألفَ مرَّه

فأورَدَ كلُّ ضميرَهْ
وأغفى
وشمسُ الظهيره
تُشَعْشِعُ نيرانها فوقَ قبرٍ مِنَ الملحِ
نامَ التَّساؤلُ تَحْتَهْ



مسائل في الاعراب

مسالة رقم ١

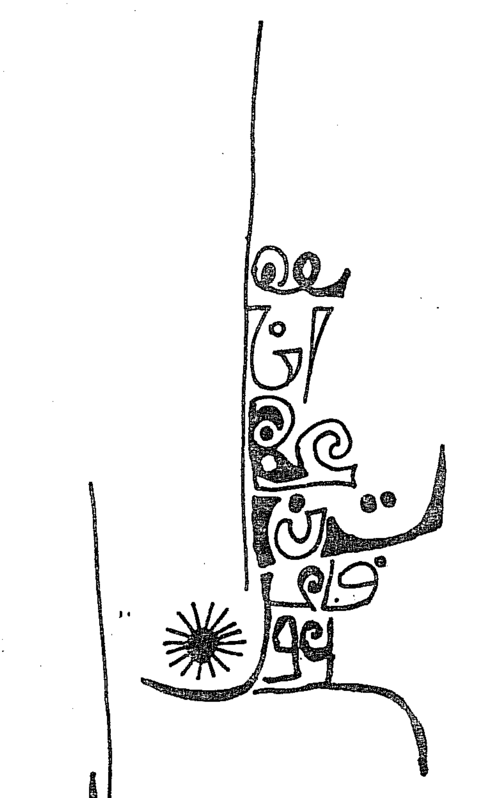
هذا عصرُ اللَّحنْ
مَنْ يَجرؤ أن يُنصَبَ نعتاً مقطوعاً لعذابِ العالَم ؟

مسالة رقم ٢

حضورُنا مبتدأْ
تجاوزُ انكسارِنا
مبتدأْ
مسألةُ انتصارِنا
مبتدأْ
وكلُها تبحثُ عن خبرْ !

مسألة رقم ٣

أنا فاعلْ
أنتَ فاعلْ
هوِ فاعلْ
كلُّنا في مهرجانِ الرَّفعِ يَزْهو في مَحلِّ
فاعلاً
مِنْ دونِ فعلِ
ولِيُمزِّقْ سيبويه
بطنَه غيظاً . .



مسالة رقم ٤

إختبأَ العصر ،
وأُوصِدَتْ الأقفالْ
بُنيَتْ للمجهولِ جميعُ الأفعال . . !



مسامير الصمت

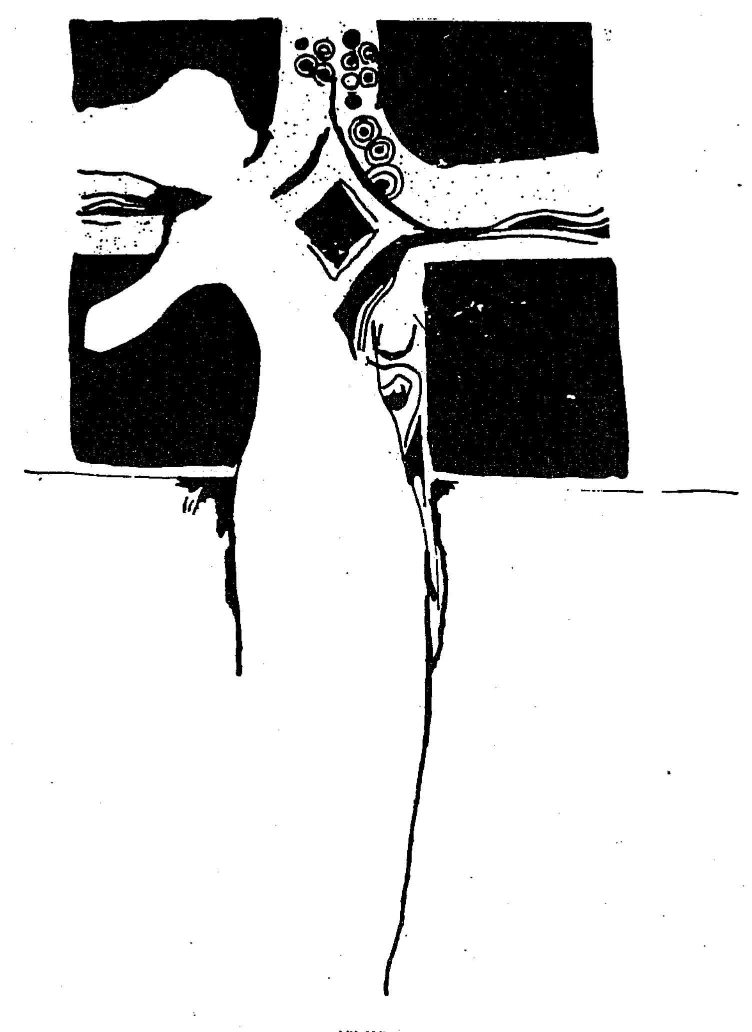
الصَّمتُ يُغلغلُ في الآذانِ مساميراً
يثْقبُها
يَنبتُ
يَندَقُّ
نُخاعُ الناسِ المُنخوبُ يَنزُّ
يَلفُّ
يَدور
يَصُكُّ الحيطانْ

الصَّمتُ يدغدغُ قَعْرَ المُخّ
يُخدِّرُهُ
يَهوي
يَهوي
يَرسبُ في قاعِ القاعْ

انتَفضِي يا أصواتُ صراخاً
لُغواً
موسيقى
سدّي مُنخَرقاتِ الدَمِ
سدّي الدَمْ

ينسابُ الدمُ
ينسابُ بطيئاً . . ينسابُ بطيئاً
تَختلطُ الألوانُ
الكونُ الدائرُ يشحَبُ
يَصفَرُّ
مساميرُ الصَّمتِ تغوص
خيوطُ الدم تَنسلُّ من الآذانِ
الكونُ يجفُّ . . يجفُّ
يموتْ

انصَبِّي يا أصواتُ رصاصاً
هَولاً
قرآناً
إستَلِّي كلَّ مسامير الصَّمتِ
دَعِي الدمَ ينصَبُّ من الآذانِ الأفواهِ الأعيُنِ
موتاً
يُسْمَعْ يُبصَرُ يُستبسَلُ فيهِ
يُعاش.





المشهد الأول

تصاعَدوا بَيارقْ
تَهَندَسوا فيالق
وانطلَقوا للصَّيد
البنادقْ
مُتخَمةُ الأعناق
البيادقْ
تقدَّمَت ملوكَها
وأطلَقتْ
وأطبقَ السكونْ

المشهد الثاني

البيادقْ
مبقورةُ الأعيُنِ والبطونْ
البنادقْ
يَلعقُها الذُّبابْ
الملوكْ
مَنفوخةُ الرِّقابْ
البيارقْ
ترفسُ في الترابْ
وكلُّها حرائقْ

موقف جديد

بيرَقْ
يشقُّ في النيرانْ
درباً إلى النيران
مخضَّبَ الأجنحَه
تتبعُه غابَـهْ
قلوبُها تنبضُ في حَناجرِ الأسلحَه

بيرق فوق هامة بيره مكرون

نَزفتَ ألفَ غيمةٍ من دمْ
شهَرْتَ في ليلِكَ ألفَ شَفرةٍ من بَرقْ
أرعَدتَ حتى قلبُ كلِّ الصّخر فيكَ انشَقْ
أجنحَةً
أجنحَهْ
تساقَطتْ مِن حولِكَ النســورْ
ترفعُ موتَها إلى ذَوائبِ الصخورْ
يا بَيرقاً ظلَّ على هامةِ پيرهمگرون
منتفِضاً
ينشرُ عُنفَ الرَّشَبا جناحَهُ المطعونْ

اليوم ،
عالياً . . على ذروَتِكَ المَهيبه

يطلعُ قوسُ الشمسِ من صخورِكَ الخضيبه
أهدابُ بغدادَ تَرِفُّ اليومَ في جناحِكْ
اليوم كلُّ نخلةٍ في الفاو
تنثرُ طلْعَها على جراحِكْ
يا بيرَقاً ظلَّ على هامة پيره مگرونْ
منتفضاً
ينشرُ عنفَ الرَّشبا جناحَهُ المطعونْ
خُذْ ألَقَ العيونْ
مَحبَّةً
نُخرجُ من أعماقِنا عَرائِسَ الجمّارْ
محبةً
نصعدُ دِفءَ نَفَسِ الأهوارْ
محبةً
ونلتقي بوجْهِكَ الحبيبْ
يا بيرَقاً
يَنشرُ مِلءَ الرَّشبا جناحه المهيبْ

محاولة لاختراق الموت

جَسَدي مُلقى
مَبهوراً كنتُ أُحَملِقُ فيه .
هذا المكتظُّ حياةً عُنفاً جُبرَوتاً
مبهوراً كنتُ أحملِقُ في كَمٍّ الموتِ الهائلِ فيه .

فَمُهُ مملوءٌ بالكلماتْ
تنسابُ إلى بئرَيْ أُذُنيهِ ملايينُ الأصواتْ
تترَسَّبُ أصداءً ،
تُلغى .
تنثالُ على عينيَهِ حشودٌ من ألوانٍ أشكالٍ كُتَلٍ
تغطسُ في قاعِهما
تُلغى .



مملوءٌ بالنَّبضْ
منخرُهُ يَستنشِقُ حتى جذر الأرضْ
هذا المنفوخُ حياةً ،
يلصقُ بي لوناً
يلصقُ بي صوتاً
يلصقُ بي رائحةً
لحماً
عصَباً
يَنصَبُّ دماً فيَّ
يُكثّفني
أثقُلُ
أسحبُهُ
أدفَعُهُ
يَتعَلّقُ بي
يسحَقُني

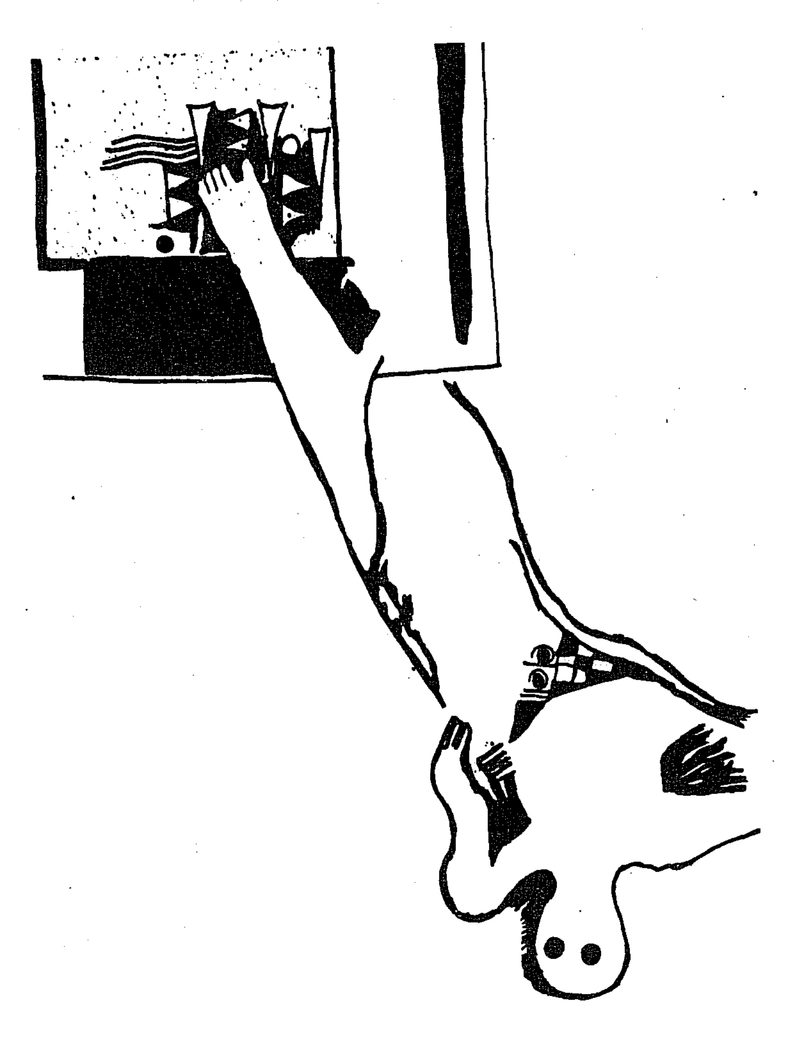
يطويني فيهِ
أموت .

هذا المُلتَفُّ عليَّ حياةً . . .

في مواسم التعب

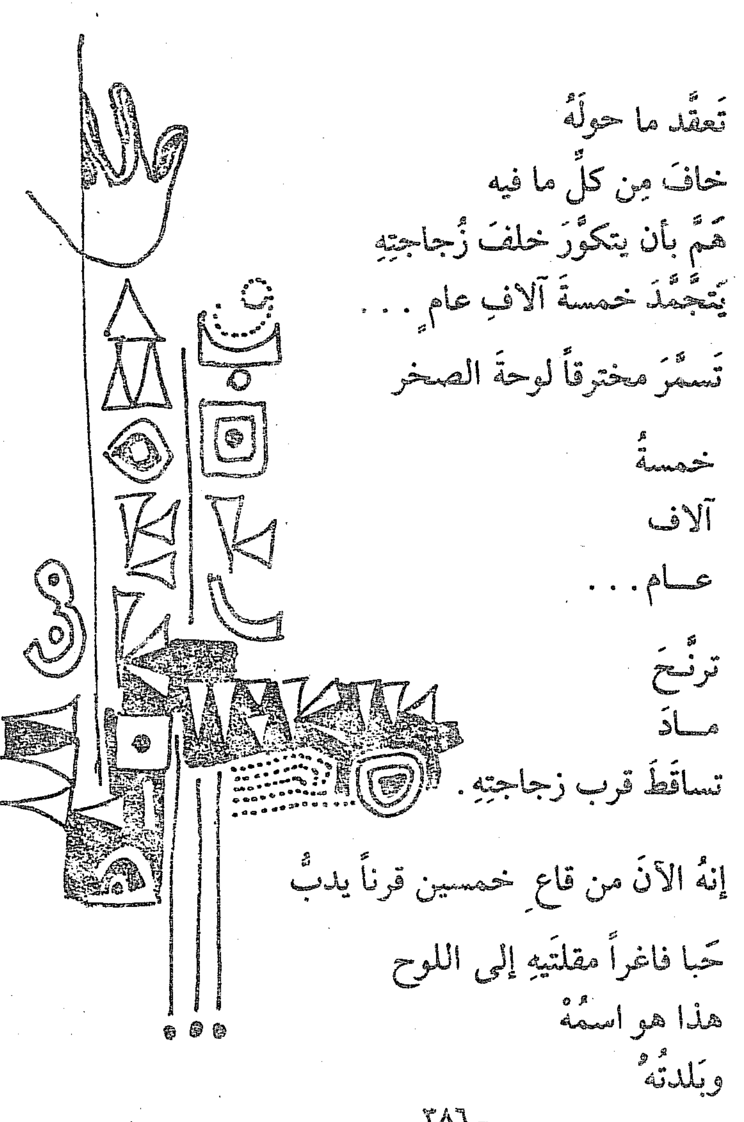
الله

لو فَصَّلتُ جِلدي مثلما أشاءْ
إذنْ تمدَّدتُ
استَظلتُ فيه
أرخَيتُ شراييني
تُورِقُ ما تشاء. . .



هارب من متحف الآثار

بِهَيْبَةِ خمسةِ آلافِ عامٍ ترابيٍّ ازَّحزَحتْ قدَماهُ
على سُلَّمِ المتحف
ارتدَّ منصعقاً
جسَّ عينَيهِ
كَفَّيهِ
صَوتَهْ
فعاوَدَ أُلْفَتَها
زالَ بعضُ غموضِ المسائلِ من حولِهِ
اصطكَّ رعباً
تذكّرَ أُذنَيه .
أنفَاسُهُ
قَلْبُهُ ذلكَ الصوت . .
أدركَ في قَلق أنهُ يخرجُ الآن من صَمْتِهِ المَرمريِّ
إلى ضَجَّةِ اللّحمِ والدَمِ
يفقدُ صَمْتَهْ .



تَعقَّد ما حولَهُ

خافَ مِن كلٍّ ما فيه

هَمَّ بأنْ يتكوَّرَ خلفَ زُجاجتِهِ

يَتجَمَّدَ خمسةَ آلافِ عامٍ . . .

تَسمَّرَ مخترقاً لوحةَ الصخر

خمسةُ

آلاف

عــام . . .

ترنَّحَ

مــادَ

تساقَطَ قرب زجاجتِهِ .

إنهُ الآنَ من قاعِ خمسين قرناً يدبُّ

حَبا فاغراً مقلتَيهِ إلى اللوح

هذا هو اسمُهْ

وبَلدتُهُ

إنهُ يَتذكّرُ . .

أولادُهُ
بيتُـهُ
كلُّ شيءٍ يلوحُ له واضحاً

وتضخَّمَ في اللوحِ تأريخُـهُ
فاقشعرَّ مِن الرُّعب

خمسةُ
آ
لا
فـ
عام . .

تحسّسَ أوصالَهُ

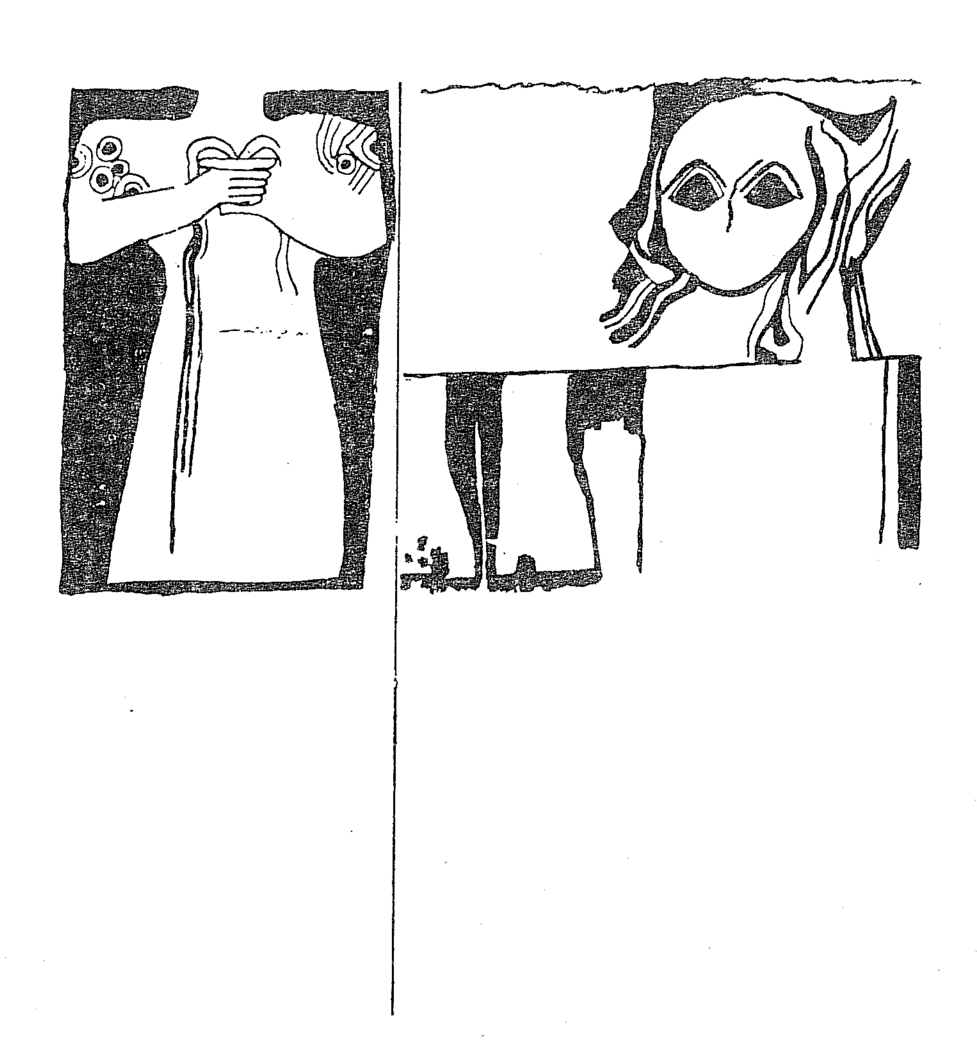
هالَهُ عُنفُها
ليس فيها طَواعيةُ الصَّخرِ
مَسْكَنةُ الصَّخر
كتمانُهُ
صَمْتُه المُعجزه.

هيَ الآنَ ريحٌ تَشظَّى
بحارٌ قراراتُ أمواجها اشتعلَتْ

مَـنْ يُعيد لِقُمْقُمِهِ الماردَ المتَفجِّرَ في جَوفِـهِ الآنِ ؟

غاصَ بعينَيهِ ملءَ زجاجتهِ

راعَهُ أنَّ خمسة آلافِ عامٍ وراءَ الزجاجةِ
تَثقبُها مُقلتاه
ولا شيءَ يمنعُ نظرَتَهُ أن تَمرّ
تُمزّقَها . .



كان درعاً إذن . .
ثَقَبَتْهُ المَحاجِرُ خمسةَ آلافِ عامْ
نَبَتتْ فيهِ خمسةُ آلافِ عام
نَبَشَتْهُ تُفتِّشُ عن نفْسِها . .

كانَ درعاً لخمسةِ آلافِ عام
تآكلَ من فرطِ ما صَدِئتْ فوقَهُ الأعْيُنْ
استنزفَتْ خوفَها
أنشَبَتْهُ بمرمرِهِ أرضةً
أنفذَتْ كلُّ عينٍ إلى عُريهِ ألفَ عينٍ تُنَقِّبُ
خمسةَ آلافِ عام . .

تشظَّى بهِ اللّحمُ والدَمُ
ضَجَّتْ قراراتُـهُ
اشتعلَ الغيظُ في قاعِها

كانَ درعاً إذن . .

سارَ نحو زجاجتِهِ
لن يُبقّيَ شيئاً
ولا أثراً منهُ فيها .

تُذكّـرَ أشياءُهُ
العريُ
والموت .
ألقى على كتْفِهِ عُريَـهُ السرمديَّ
تأبَّط موْتَهْ
تهادى بهيبةِ خمسةِ آلافِ عامٍ تُرابيٍّ
انْصَبَّ في الشارع
استيقظَتْ كلُّ أعمدة النور
دارَتْ مَصاريعُ كلِّ النوافذِ
سالَتْ عيوناً
تخطّى

الهبوط الأول*

الاشارة الأولى :

نشَرَ الخرْدَلُ الأزليُّ جناحَيه فوقي

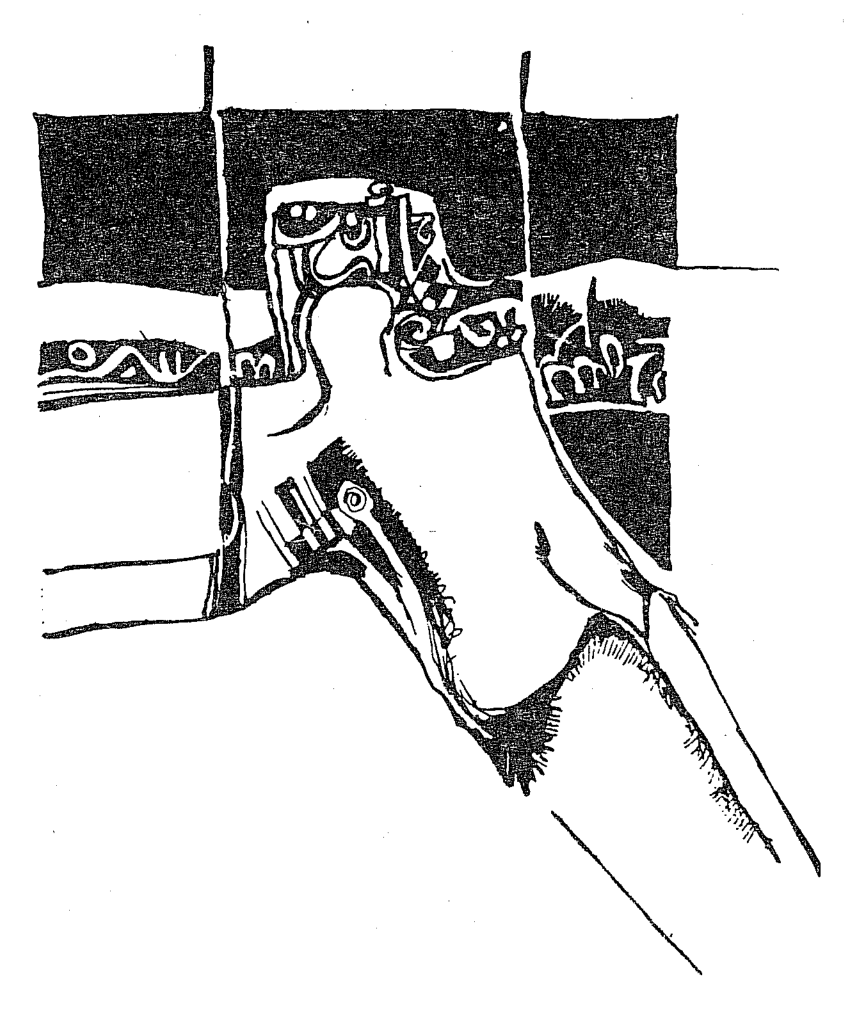
لاشارة الثانية :

نشوةٌ صاعقه
أن تُحسَّ سماءكَ أرضا

الاشارة الثالثة :

كالظنونْ
كالتوقُّعِ بحرُ السكون
موحشٌ

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة ليلة هبوط آرمنسترونغ على القمر



الاشارة الرابعة :

نتدلّى رويداً
كلُّ شيءٍ كحَدِّ القدَرْ
محكمٌ
مطمئنٌ
قدَرْ.

ـ وضعتُ على وجهِكَ المتكبِّرِ ثقلَ حذائي
أأنتَ سمائي ؟
أَما كنتَها ؟؟

ـ لم أكنْها ،
ولكنَّني صرتُها الآن
ـ كنت الضياءْ
ـ وما زِلْتُهُ
ـ حُلُمٌ نامَ في أعيُنِ الشِّعر
أغفى طويلا
فقلنا أفيقوا
فصاحبُكم محضُ أرضٍ يبابْ
ـ هل أستيقظوا ؟
ـ ما يزالون تأكلُهم رعشةُ الرَّفض
أحلامُهم فقَدَتْ صدْقَها
نهبَ الشكُّ كلَّ طمأنينةِ الحلم

لن يُصبحوا أنبياءْ

ــ وأينَ النبوَّةُ ؟

ــ الصِّدقُ

ــ والصِّدقُ ؟؟

ــ أنكَ لا ضوءَ

لا بهجةُ

محض أرضٍ يبابْ

ــ ولم تَـرَ يوماً ضياءَ التراب . . .

أدِرْ نحوَ أرضِكَ عينيك

ماذا تراها ؟

ــ . . .

سرابْ

ــ بحارٌ مِن الضوءِ كنتم تدوسونها دونَ وعيٍ

ــ سرابْ

ــ فلم تبصروا ضوءكم

ــ ليس ضوءاً

سرابْ

ـ فلَنْ تحلمُوا

لنْ تَروا بئرَ أنفسِكُم تتفجَّر

لنْ تصبحُوا أنبياءْ

ـ وعُذْرَتُكَ انتُهِكَتْ

ـ كنتَ أكبرْ

ظننتُكَ تحلُم بالخصب

تطوي إليَّ مسافاتِ عُقمِكَ

تقتلُ عُقمي

ـ تثلمَّتَ

ـ روَّضْتُ صدري لوثْبَتِكَ البِكْر

بارَكتُها

ـ تَتَخطّاكِ

ـ أمنحُها قوَّتي

ـ تَتَحداك

ـ بي تتحدّى
بثُقلي سماءً
بثقليَ أرضاً
بما امتزَجتْ بي سماؤكَ
أرضُكَ
ـ أسرَفتَ يا تابعَ الأرض
ـ الأرضُ تتبعني الآن
ـ تأسرُكَ الآن
ـ يأسرُني منكم الأنبياءْ
ـ ومَنْ أنبياؤكَ
ـ مَنْ أذهلتْ كلَّ وجدانِهم نشوةُ الحُلْم
حتى تلاشَوا
فكانوا ضياءْ
ـ بدأتَ تحيّرُني
ـ لا تكُنْ شاعراً
كنتَ تهزأ من غفلةِ الشعراء . . .



مجابهة

هدمتُ أسواري
ثقبتُ عينيَّ بأظفارِي
حفرتُ لحمي كلَّهُ
مزّقتُني
خرجتُ من أغوارِ أغواري
يا ريحَ كلِّ الكونْ
يا نارَ كل الكونْ
تَسلَّقي جميعَ أشجاري
تجرَّأي
إنّي حسيرٌ
نازِفٌ
عاري
أشدُّ حدَّ الانتحار كلَّ أوتاري

بحرٌ من النيرانِ والرياحْ
صدريَ يعلو
تصعدُ النيران
يعلو
تصعدُ الرياح
ألقَيتُ سِهامي
انْشَقَّ صدري هائلَ الجناحِ
وانْسَدَّ . .
لا نارٌ
ولا رياحْ
الضوءُ يهمي منهُ
يهمي الضوء
يهمي . .

مزارع الخوف

نعامه

تركضُ خلفَها بحارُ دَمْ

تدفِنُ رأسَها إلى الأضلاعِ في الرمالْ

عشرونَ عاماً وخيولُ الدَمْ

تضربُ في الصحراءْ

حوافراً ،

تزحفُ أوردَهْ

تنخرُ في الرملِ ،

تصكُّ رأسَها الحَبيسْ

تغورُ نحوَ أمنِها القابعِ في الترابْ

تخلَعهُ خَلْعاً ،

تُريها لَمعةَ الأنيابْ

تُسمعُها قرقعةَ الرِّمامْ
تُشبعُها رعباً إلى مَنابتِ العظامْ

عشرونَ عاماً رأسُها مزروعةٌ
والدَمْ
يُخثِّر الرمالَ حولَ عُنْقِها جدارْ
ينشرُ فوقها جناحاً مرعبَ المدارْ
ينبُتُ في قرارِها قرارْ

وانْشَقَّت الصحراءْ
جذعٌ بلونِ الدَمْ
تمزَّقتْ عنهُ جلودُ الدَمْ
يصعدُ من رَملَتِها الجرداءْ
يُطلُّ هائلاً على مَنْبَتِهِ المذعورْ

يسحقهُ بثقلِهِ الرهيبِ سَحقاً
يصلبُ الرّعدةَ في حناجرِ الرملِ ،
يَمجُّ الدَمَ ،
تَشرئبُّ كلُّ ذرّةٍ من ثُقبِ خوفِها
بذور الرملِ تنمو
يَحْطمُ الغِمدَ
صخورُ الرملِ تنمو
يَشهرَ الموتَ ،
يُغطّي بالدَّمِ الدَمْ.

نبع النار

رَصاصٌ ملءَ جوفي
أيُّها النَّبعُ الجَحيميُّ انسيابُكَ شقَّ حنجرَتي
تشظّى بي نِصالاً سلسَبيلُكَ ألفُ حَدٍّ فيه
أطفأَ فيَّ إلاّ شهقةَ الملدوغ
يُلعقُ جُرْحَهُ ويصيحْ
يَحضنُ عُريَهُ ويصيحْ
يشربُ كلَّ ما في الكونِ من ماءٍ ولا يبردْ

رصاصٌ ملءَ جوفي
ألفُ كأسٍ كانَ في شفَتَيكِ إلاّ الماءْ
يا بِئْراً خرَقتُ الأرضَ أتبعُ قعرَها والماءْ
أتبعُ وعدَها بالماءْ

أمضغُ رملَها
أهوي
ويهوي قعرُها والماءْ.



استشهاد على عتبة الأربعين

كلُّ شرايينِكَ تَصفِرُ فيها الريحْ
كلُّ غصونِكَ تتَهدَّلُ بين حناياك
صوَّحَت السِّدرةُ في أعماقِكَ
زوبعةٌ جاشَتْ في كهْفِكَ فاقتلعتْ حتى اللحم الحيّ

كابِرْ بأنابيبِ عظامِكَ
إرفَعْها حتى الموتِ صَواري
أنشرْ رئتَيكَ مهلهَلتَين عليها أشرعةً
أبحِرْ في صحرائِكَ
قُـدْ شلوَ سفينِكَ للموتِ
تَعجَّلْ
إصرَخْ بالريحْ ..

يا صاعدَ نخلةِ عُمْرِكَ تُحطبُها
وصَليلُ حنينِكَ للطَّلعِ يصُكُّ عظامَكَ
شاخَتْ نخلَتُكَ العَجفاءُ
اربَدَّتْ
كُرَبٌ
كرَبٌ كلُّ ضلوعِكَ
أغمدْ فأُسَكَ
أحكِمْها
حتى تتقصَّمَ كلُّ صواريكَ رقاباً
تَـتَـقَـطَّـعَ كلُّ شراييِنكَ
تُعْولُ فيها الريحُ . .

أغمدْ فأسك
أعمَقَ
أعمقَ . .
يا دفءَ الدَمِ
فأسُكَ تُغرَزُ في اللحمِ الحيّ

الــدوار

سيّداً كنتُ

رَبّاً ثقيلَ السلاسلِ

عبــداً

إلهاً

ذبيحاً إلى الجذرِ أنزفُ كلَّ دمي

قاتــلاً

غائبــاً

حاضــراً

دارَ بي الكون

درتُ بـهِ

كنتُ أغرقُ أغرقُ في شَفَـتَيكِ

انطفأتُ

اشتعلتُ

يدايَ على كتِفَيكِ تَشدّانِ عُريَهما

مُفعَماً كنتُ

تملأُ كلَّ فمي شفتاكِ

شربتُ الجحيمَ بأجمعِهِ

دُختُ حتى قراري

تَرنَّح حتى دمي

امْتَلأتْ مقلتايَ دُخاناً

تَعثَّرت مشتعلاً

كنتِ تنأَينَ . .

تنأَين . .

زوبعةُ النارِ تأكلُني

انهمَرَتْ سُحُبي كلُّها

انطفأتْ جذوَتي

أخلدَتْ .

عُدتُ ربّاً ثقيلَ السلاسلِ
منجرداً
حاضراً
قاتلاً
درتُ بالكون
ألقَيتُ ظلّي عليه
تَعملقتُ
عُدتُ لنفسيَ
ألفيتُني حَطباً حائلَ اللون
أرنو إلى نبعِ نارِكِ
ألتمسُ الدفء
أفزعُ من بردِ أياميَ الآتيه



انكسارة جرح

في جذَلِ الطفلِ حمَلتُ جرحي
وضعتُهُ بين يديكِ غافياً
تحنو على سريرِهِ كلُّ ابتهالاتي

كانَ نقيّاً ،
كلُّ أفراحي
كلُّ كآباتي
لم تَطَلَّعْ عليهْ

شفرةُ ضوءٍ تركَتهُ منذُ ألفِ عامْ
بين ضلوعي ،
ومضَتْ . .

ومنذُ ألفِ عامْ
أحملهُ
نَسيتُـهُ جرحا
نَسيتُ أنَّ خنجراً أحدَثَـهُ يوماً من الأيامْ
عادَ سميري ،
كنزيَ الخافي عن الأبصارْ
صارَتْ لنا أسرار
أخفَيتُها حتى على حزني وأفراحي

في جذَلِ الطفلِ حَمَلْتُهُ على يدَيّ
وضعتُـهُ بين يديكِ
مثلما تُرفَعُ في كنيسةٍ صلاه
ومثلَ قاتلٍ أصيلْ
غرَزْتِ فيهِ عَطفَكِ المرهَفَ حتى الجذرْ
طَعَنْتِهِ حتى قرارِ القبر

عذراً إذا شَجاكِ
أَما أنا ،
فعلِّمِيني النَّدمْ

وعندَما أحملُ من بينِ يَدَيْكِ جرحي
منكسراً ،
لا تسألِيني أيَّ شيءٍ
إنني أنزفُ حدَّ الموتْ
لهذهِ الجثَّة في يدَيّ
هذا الذي اُستُبيحَ مرَّتينْ . .



الصور

يدي جرحُ
ختَمتُ بهِ على الأفواهْ
مَــنْ يملكْ نقاءَ الله
صوتاً ماحياً
يَمحُ

برَزتُ إليكَ من كفَني
بأوسَعَ مِنَ مَدى الصحراءِ جئتُكَ يا مَدى الصحراءْ
أنا العازرْ
أنا الموتُ المؤجَّلُ بينكم
لا بــدءْ
لا آخِــرْ

أجوبُ مزارعَ الأسماءْ

فَتحتُ يدي على مصراعِها ،

فانداحَ غارُ حِراء

جُرحاً زاخراً بالوحي والدَم ِ ،

أيُّها الغرباءْ

صوتُ اللّهِ هذا

انفَخوا في الصُورْ

شُقُّوا سُجفةَ الدَيجورْ

وانتَشِروا

فصوتُ اللّـهْ

هذا الجرح

يُغرقُكم

ويحملُ بينَكم قَتلاهْ

تساقطَ جحفلُ الأسماءْ
كومَـةَ أحرُفٍ مذعورةٍ بَكماءْ
خُتَمتُ على حروفِ الخوفِ جرحي ،
ميسَمي جرحُ
ومَـنْ يملكْ ثباتَ الله نصلاً ماحياً
يَمحُ

سمعتُ بلالاً الحَبَشيَّ في ساحاتِكُم يصدَحْ
رأيتُ سطوحَكم راياتْ
وقيلَ بشارةٌ كَيَدي على أبوابِكُم تُلمَـحْ
فتحتُ يَديَّ
ألهثُ جئتُكم يا معشَـرَ الأنصارْ
أحملُ جنَّتي والنارْ
مليئاً بالنبوءةِ جئتُ ، كلُّ ملامحي تنضَحْ
ذُهِلتُ

فلا صلاةٌ ،
لا مؤذِّنَ قام ،
لا محرابْ
رأيتُ بلالاً الحبَشيَّ منكفِئاً على الأبوابْ
سرْتُ تنوشُني الأحجارْ
مَسيحاً ، كلُّ بابٍ عندَها أُذبَـحْ
حُسَيناً كنتُ
مثلي أمس ،
مثلي كلَّ يومٍ آتْ
وكلُّ سطوحِكم راياتْ
ركضاً يا بني أسدِ
غداً تَصِلون
لكنْ ، لن ترَوا في الأرضِ من أحَدِ

لِيَذكرْ كلُّ رامٍ بينَكم حَجَرَهْ

أنا المرجوم
أحملُكم معي حتى يسيلَ السَّيلْ
ستنتشِرون أذرعةً من الأجداثِ مستعِرَهْ
فيُنكرُ كلُّكم كفَّيهْ

لِيذكُرْ كُلُّكم سَيْفَهْ
لِيذكرْ كلُكُم وتَرَهْ
أنا الطَّوّافْ
على أبوابِكُم ،
لا رأس ،
لا أطرافْ
أحملُكم معي تُهَمَهْ

سمعتُ صَلاتَكم تتوسَّل الأقفال لا تُفتَحْ
وكفِّي لم تزلْ حِرزاً على أبوابِكُم يَنضحْ

خَلعتُ يدي
ختَمتُ بها
نظرتُ فلم أجدْ رايه
شمَختُ بعُـنُقيَ المقطوع عُمقَ الجوِّ صاريةً
نَشَرْتُ مُكبِّراً كفَني
وأترككم عُراةً تطفَحون على دَمِ البَيعه
رؤوساً دونَما أعلامْ
دموعاً ما تزال تسيل ،
تَسقي تُربـةَ البَيعه
وتحني رأسَها وتنامْ
أتركُ زيفَكم لِيَنام
وختمُ يدي يظلُّ دَماً على أبوابِكُم يصحو
ومَـنْ يَملكْ صفاءَ اللّهِ صدقاً ماحياً
يَمحُ

أنا المَسجونُ في أعماقِكُم ،

الشاهدُ الأبكمْ

أنا الحَدسُ الذي تَخشَونْ

الرَّصدُ الذي قِيعانُكم بعيونـهِ تُختَمْ

أنا الزَّرقاء فيكم يا يَمامةُ فافقأوا عَينَيّ .

نشَرتُ يدي أمامي ،

مِن هنا المَعبرْ

هنا جرحي ،

هنا أَبَديَّتي تُنشَرْ

تَعرَّ الآنَ يا ثمرَ الخطايا ،

إنـــه المطهَرْ

وثبْتُ ،

سقطتُ في جرحي

عميقٌ غَورُكَ المَنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدَمَ يا ممَرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُرّةُ الينبوعْ
تجهشُ مِلأها الأرحامْ
تُعولُ ملأها الجُثثُ
لقد ماتوا وما بُعثوا
فظلوا يجأرون . .
غطَستُ فيهم عُمقَ ألفَي عامْ
وارتطمَتْ يَدي بالقاعْ

مَمَرُّكَ هَهنا يوصَدْ

أفقتُ ،
وكانت الصحراءُ
شفاهي الرملُ ،
وجهي الرمل ،
الصحراءُ في جسَدي

رفعتُ يَدي إلى عينَيَّ كانت صفحةً بيضاءْ

ودوّى ملءَ آذاني صُراخُ وليدةٍ تُوأدُ

همَتْ ياقوتةٌ في الرمل ،
وانطفأتْ . .
وجَدتُ على يدي نُدْبَهْ
هوَيتُ كنخلةٍ عجفاء

حُمِلْتُ على الرُّغاء ،
على الثُّغاء ،
على صَهيلِ الخيلِ حولي يَمضغُ الأرسانْ
رأيتُ يدَ البَسوس تَجوسُ في الأرحامْ
تشدُّ رقابَها قِرَباً

على غِلمانَ أشأمَ كلُّهم مُتكاملُ الأضراس
يأكلُ ثديَ مُرضعتِهْ . .

ضَمَمْتُ أصابعي كي أمنعَ الدَمَ أن يسيل
تَعالت الأصواتْ
بُجَيْرٌ مات
بِشِسْعٍ مِن نعالِ كلَيبٍ
انتشَروا انتشارَ الصوتْ
وقرَّبَت النَّعامةُ منكَ مربطَها فقُمْ يا موتُ قُم يا موتُ
قُمْ يا موتْ
شدَدتُ يدَيَّ . .
كانَ الجرحُ يفتحُ بابَهُ للريحْ

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا . .

تجهلُ الأصنامْ
تأكلُ خيلَنا ، ورماحَنا ،
تجترُّنا وتنام . .

سقَطتُ وراحَتي مُرخاة
على هُبلٍ تغَطّي وجهَـهُ ودماؤها تنضَحْ

طريقُكَ مِن هنا تَبدأْ
تسَلَّقْ ،
جرحُكَ المعراج ،
أنتَ الحيّ .

عميقٌ غورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدَمَ يا مَمرّ الحُزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوع
ظُلْمتُها تَشلُّ خُطاي ،
ترشَح مثلَ ذَوبِ القارْ
تلصَقُ بي فأحملها معي طَوداً من الأوزارْ
أهوي كلّما أبدأْ

تسَلَّقْ ،
جُرحُـكَ المعراج ،
لا تَعلَـقْ بثدي الموت ،
كُـنْ موتاً .

نشرتُ يَدي غريقاً



أيُّها المَذعورْ
لا تُطفيءْ مَهَبَّ النور
أنتَ الحَصدُ والحاصِدْ
المرصودُ والراصِـدْ
وأنتَ القادِمُ الموعودْ

وضاءَ بغوريَ المُطْفأُ
شعاعٌ كاندلاعِ البرق ، غاصَ بجرحيَ المنشورْ
وانطبقَتْ يدي فصعدتُ يحملني رشاءُ النورْ
كانَ محمدٌ يقرأْ

لِمحتُ أطيرُ في جُرحي
وكانَ محمدٌ والسيف
يسبقُني

وكانَ محمدُ القرآن
يلمعُ فوقنا كغمامةٍ بيضاء

ألا مَـنْ كانَ يَعبدُ . .

لا تَقلْ شيئاً.

ألا مَـنْ كانَ يَعبدُ . .

ليتَ هذا الصوتَ يسكتُ
ليتني أرتدُّ نَسياً تعصفُ الصحراءُ في جسَدي
انهمرتُ
نزفتُ
دارَ الكونُ بي

مَـنْ كانَ يَعبدُ . .

غامَتْ الأصداءُ في رأسي فأنَّ محمداً قد ماتْ
إن محمداً قد مات . .
وانكفأتْ يَدي فهَـوَيت .

أنا الشاهدْ
لقد بلَّغتَ ،
أشهدُ أنكَ الموعود
أشهدُ أنكَ الواعدْ
ولكنْ مَـنْ لهذا الليل . . ؟

تَنزّتْ تحتيَ الأعماق
سالَ السَّيلْ

أورِدَتي بلونِ القارْ
تُرضِعُني نَزيفَ القارْ
تختمُ خطوَتي بالقارْ

جَذَبتُ خُطايَ لم أُفلِتْ
نزَعتُ اللحمَ عن قَدَميَّ حتى العظم
لم أُفلتْ
نشَرتُ يَدي على لَوحي
محَوتُ
رَقَمتُ
ذا سَطري
أنا قدَري
ختَمتُ يدي
نهَضتُ بكلِّ أجنحَتي أصبُّ دَماً.

هذا أنا الصاعدُ مِن مَنابتِ الظُلمةِ في حَفيريَ القاتمْ
رقَمتُ لوحي
فأنا العارفُ غَيبي
جسَدي تأريخكُم
جُرحيَ مئذنه
أحملُ في كهوفِها أذانيَ القادمْ
فلتَفتحُوا منافذاً للصوتْ

ها أنذا أُطلُّ مِن شُرفَةِ جُرحي مَشتَلاً للموتْ
فَلْتَفتح الموتى قبورَها
لِيَعرفَ كلُّ ميتٍ موتَـهُ في جسَدي
فيحتَملْ مَوتَـهْ

أعيُنكُم ترحلُ مِن وجوهِها
فأدركوا عيونَكم

هذا أوانُ السيلْ
تبيّنوا أحجارَكم يا أيُّها الراجِمُون
تعرَّفوا على سيوفِكُم
نِبالِكُم
فقد عَادَ بها المَرجومْ

أسعى إليكم عنُقاً دونَ رأسْ
أتبعُكم جذعاً على صليبْ
أفتحُ في قيعانِكم عيناً كعينِ الله
تبقى شاهداً أبكَمْ

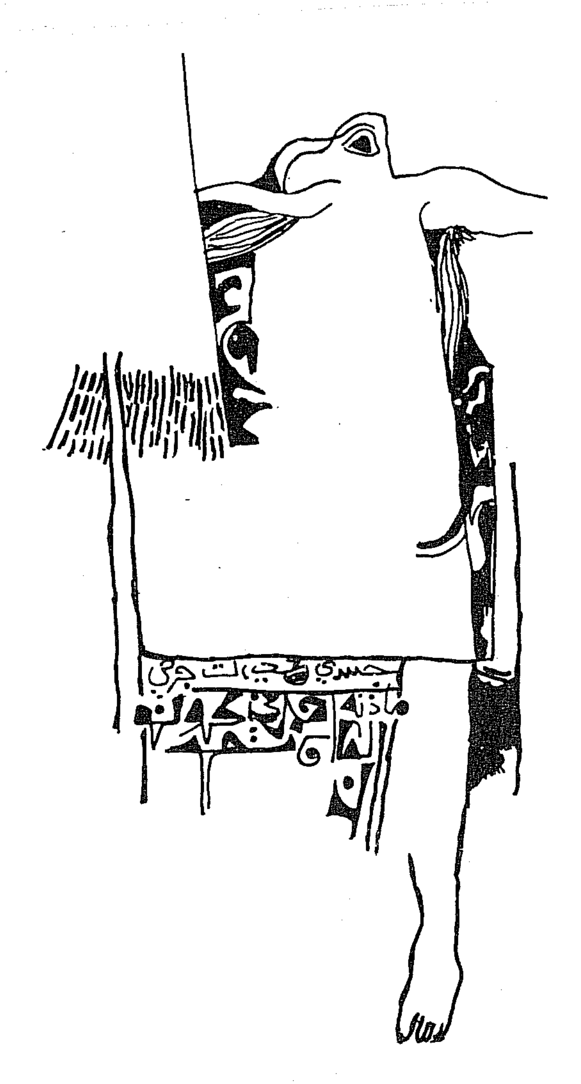
وجوهُكم وَشمٌ على جلدي
نِصالِكُم في جسَدي تحجَّرتْ
فجرِّدُوها
ليُحدّدْ كلُّكُم رُتبةَ موتِهِ

ويصعدْ موجةَ الشهاده

إليكِ أسماءكِ يا مزرعةَ الأسماءْ
تحمَّليها
أو تهاوَي أحرُفاً تبحثُ عن ثقبٍ لتختفي

أنتَ الذي تغوصُ في خاصِرتي
تفْلعُها
انجَرِدْ لهؤلاء
هل تُبصِرُ رأسَ ابنِ أبي طالبْ ؟
خاصِرتي غمدُكَ حتى تراه

مَـنْ قالَ إني مصعَبُ
فَـلْـيَـتَـقَـدَّمْ حاسراً
يَسْتلّ نَصْلاً مِن جبيني ثم يسْتَشهِد.



فِي جسَدي مزرعةٌ للموتْ
يحصدُها ذو عنقٍ مقطوعةٍ
ينثرُها بيدرَ ثورةٍ لألفِ جيلْ

لا تَلْمِسوا أعناقَكم
صاحبُها يعرفُها دونَ لمسْ.

يا حاملي شهادةَ الحلاّجْ
تَحمَّلوا حدودَكم عنّي
أنا خارطةُ الحجّاج

مَـنْ يَنتصِبْ مِنْكُم أبا ذرٍّ فَيحضنْ موتَـهُ يُقدِمْ
لكِنَّكُم لا تَرصِدونَ الموت

يا أيُّها الكُـهَّانْ

عروقُكم مرئيَّـةٌ
يَزخُّ تحتَ جِلْدِها كلُّ دَمِ الأوثانْ
ألقُوا مسوحَكُم ،
وجهِّزوا لغزوِ الله . .

يا أيُّها الحَشدُ مِنَ الأنبياءْ
لَيَنْتَفِضْ منكم نبيٌّ واحدٌ بوَحيِهِ
يُنطقْـهُ شيئاً
أيُّها المستشهدون خُرسا

مدّوا أكفَّكُم إلى جيوبِكُم
وأخرِجوا منها يَداً واحدةً بيضاءَ مِن غيرِ سوءْ

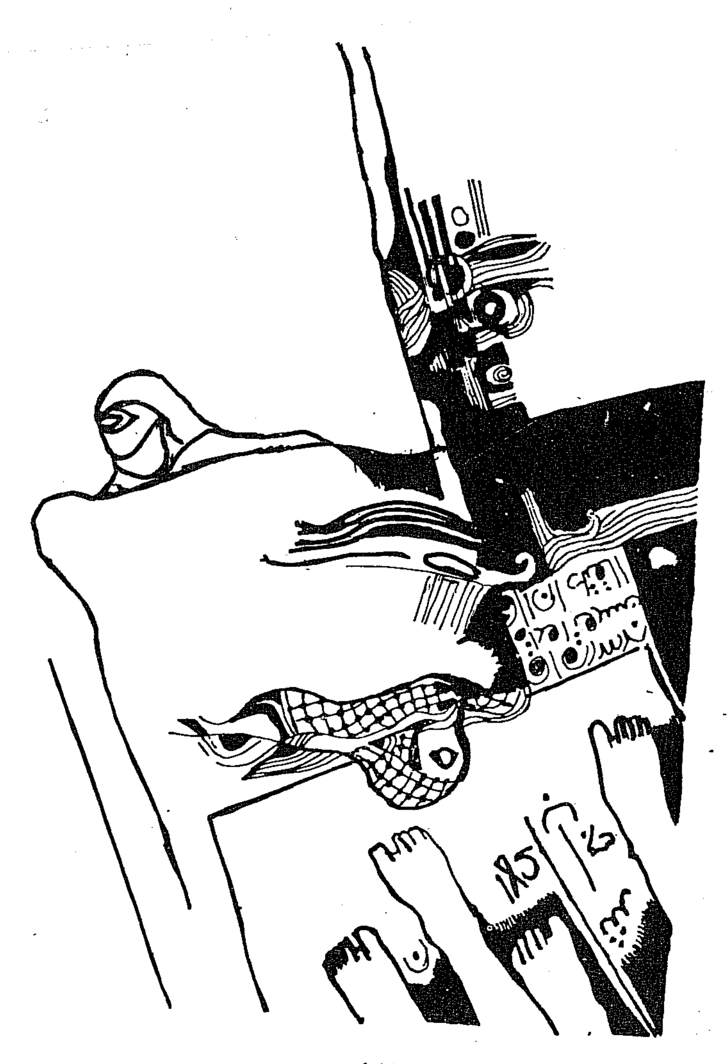
أسأتُم الموتَ كما أسأتُم الولاده

تقدموا نحوي
لكم في جَسَدي شيءُ سِوى الشهاده

أحمِلُ في الأجفانْ
بُحيرَه
شطآنُها الحشيشُ واللؤلؤ والمرجانْ
أمواجُها الغلمان والجواري
فلتُغرقوا أنفسَكم سلالةَ السلاطين

أشهدُ أنَّ موجَها مَرايا
أشهدُ أنكم ستُبصِرون فيها أوجُهَ العبيدِ والسَّبايا
أشهدُ أنكم ستغرقون فيها
تَتحطَّمْ

تَبعثرْ في شظاياها وجوهُكم
فينبُتْ موتُها في جسَدي
خارطةً جديده
أحملُها
أطوفُ في المَزارِعِ الوليده
أخْتمُ جُرحي فوق كلِّ فَـمْ
حتى يصيحَ ضائحٌ
يَكسرُ ختمَ الدَّمْ



عبور في نهر الموت

هبطَ العطَشْ
ملأَ البحرَ المّيتْ
عَلِقَتْ في أطرافِ محاجرِها الأحداقْ
سقطتْ أحداقْ
ركبَتْ أحداقٌ صَهَواتِ الريحْ
هرَبتْ كلُّ الأنهارِ وأدركَها الزئبقُ
فامتــلأتْ
وسَمعنا الشُّطآن تُزَنخرُ لا تَشربْ
واحدودَبَ ظَهرُ النخلِ وأوشكَ
لكنْ ضجَّ بشعْفَتِهِ الكبرُ فلم يهربْ

قال الأحياءُ سَننتظرُ الموتى
الموتى قالتْ
نتَظِرُ الأحياءْ
واصْفَرَّ الماء
احمَرَّ الماء
اسوَدَّ الماء
لم تعبرْ قدَمٌ نهرَ الموتْ

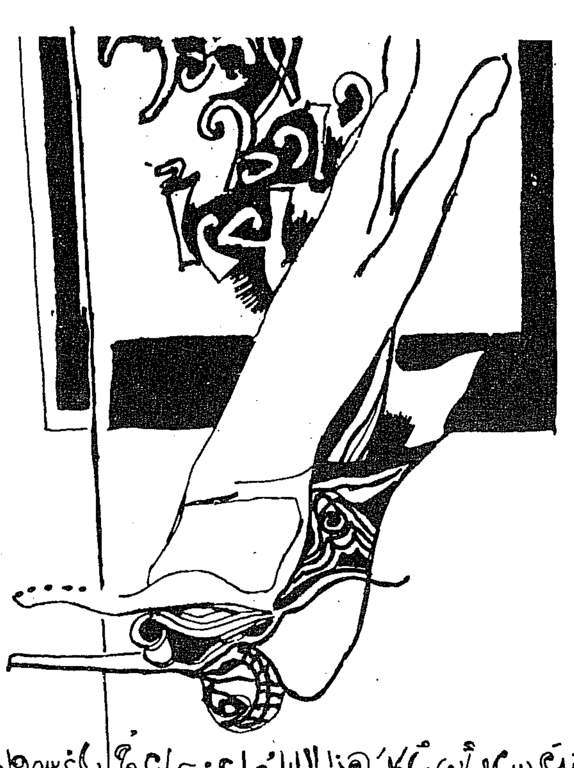
سودٌ أفواهُ الرملِ
تَفَطَّرَتْ الأرحامُ وشاخَتْ فيها كلُّ أجِنَّتِها
ويقاتلُ عن وردَتِهِ الجذرُ
يصكُّ عليهِ الرملُ بَراطمَهُ
عريانَ وحيداً
يحملُ وردتَـهُ فوق الماءِ الأسوَدْ

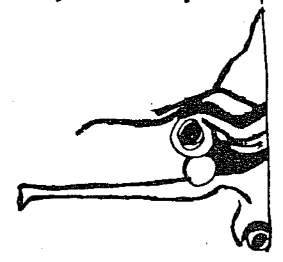
قالوا لا ترحلْ

كلُّ طريقٍ ملغومٌ هذي الساعةَ بالصمت
وآجالٍ أخرى تجهلُها
نحن هنا نضحكُ
نبكي
نقرأ شعراً
ونسافر . .
نركبُ أجنحةَ الأصواتْ

قلْ ما شِئْتَ ولكنْ لا ترحلْ
تغــرقْ
فالصمتُ حديدٌ أزرقْ
ينشقُّ عليه اللحمُ
وتنزلقُ الكلماتْ

والجذرُ يقاتلُ عن وردَتِهِ
وتَفَطَّرَتْ الأرحامُ وشاخَتْ كلُّ أجنّتِها


يأكل هذا الليل
يا غرسي وآه من ليل



مَـنْ يُمطرُ عنّي ؟

نقرأ شعراً
إزرَعْ عينَيكَ هنا
معنـــا
واقرأْ ماءً
تغسلْ عنكَ جفافَكْ

والرملُ اللاصقُ بالروحِ براطِمَهُ ؟

مَنْ يقرأ عني مطراً يغسلُ رملَ الروحِ
ويدرأ عن جذرٍ راحَ يقاتلُ عن وَرْدَتِهِ
عريانَ وحيداً في الماءِ الأسودْ ؟

أتَسلّلُ معكم ؟

نسرقُ أقدامَ القتلى ؟
ننزعُ عنهم شاراتِ الموتِ ونلبسُها ؟
نَتَبَخترُ أبطالاً في الطُرقات ؟ . .

نستجدي لقصائدِنا جُرحاً ؟
أو نسرُقهُ ؟
والنهرُ مقيمٌ
والمنتظرون على شطِّهِ الأحياءُ الموتى
ما برحوا ينتظرون . . ؟
أرحلُ

لا ترحلْ

أرحلُ

لا يأمنُ سارٍ أن يأكلَ هذا الليلُ أعزَّ براعمِهِ :



يا غَرسي
واهٍ من ليلٍ تؤكلُ فيهِ
وآهٍ من ليلٍ في نفسي
أيُّهما أقتَلُ ؟

يأكلها

وأغوصُ الى أعماقِ الماءْ
للرَّهبةِ في أعماقِ الماءْ
لأجنحَةِ الخوفِ الرَّحبةِ

يـأكـلُـها

ينبتُ للآن على جِلْدِي زَغَبُ الخوفِ ويصْطَكُّ حنيني
تَدمى

آهٍ لو يَرْشَحُ خوفي
تدمى

مَنْ يَفقأُ عينيَّ ويعطيني ضوءاً ؟

تَشربُـهُ ؟

أشربهُ
أستلقي فيهِ
أُمرّغُ وجهي
أُقتادُ بـهِ أعمى

أرحلُ

أيَّ طريقٍ تسلكُ

أوجهَكُم . .

أوراقَ دفاترِ أطفالي التَّذْبُـلُ
أتبعُ جذراً راحَ يقاتلُ عن وردَتِهِ عريانَ وحيداً
أعبرُ نهرَ الموتْ
أعبرُ نهرَ الموتْ
أعبرُ نهرَ الموتْ

أصابع الخوف

موحِشٌ أيُّها الجِلْدُ ، مَنْ ذا يُبرّيء لَوْنَكْ ؟
! مَـنْ يُصدِّق لَوْنَكْ ؟
إنه عالمٌ رسَّمَ الصِّدقَ أبيضْ
رسَّمَ الحقَّ أبيضْ
رسَّم العفَّة البِكْرَ بيضاءَ والطُّهرَ أبيضَ والحُبَّ أبيضَ والله أبـ . .
مَـنْ يُبرّيءُ دعواكَ مِن لونها ؟ ؟
أنتَ أسوَدُ أسودُ أسودْ
مثلَ لونِ الخيانةِ أسود
كالخوفِ أسودْ . .

مَـنْ رأى الخوف ؟

إني تنشَّقتُ حتى قراري
رأيتُ أصابعَـهُ فانتفضتْ جميعي عيوناً

وقد كانَ أبيضَ أبيضَ كالثلجِ
أبيضّ كالثلجِ
أبيضْ

أيَّـتُها الأمّ أيتها الأمُّ لا تهجرُ الطَّيرُ أعشاشَها
كيفَ أخلَيتِ عشَّكِ ؟

مَـنْ أبصرَ الخوف ؟

إني تفَرَّستُ في قاعِ عينَيهِ حَدَّ التَّيبُّسِ
عيناي وحدَهما ضجَّتا بالصراخِ
ولم تُحسني الخوفَ أيَّـتُها الأمُّ
كلُّ صَغائرِ بيـتِكِ أحسَنتِها
دونَ أن تُحْسني الخوف . .

عامَين أرقبهُ
لم يَزل صامتاً
قلتُ لا تهجرُ الطيرُ أولادَها
غيرَ أنكِ أسرَفتِ أيَّتُها الأمُّ
أسرَفتِ أيَّتُها الأمُّ
أسرَفتِ

أسمعُ أصواتَهم عندَ مدخلِ بيتي

أنتِ أيَّتُها الأمُّ لم تُخْطئي فَهمَ عينيَّ يوماً
وطفلُكِ غافٍ فلا توقظيهِ لهم . .

كُسِرَ الباب . .

أبتهِلُ الآن
أضرَعُ



لا تصرَخي بسوى مقلتَيكِ
صغيرٌ إذا استيقَظَ الآنَ
تنهضُ فيـهِ الجريمةُ مبهَمةَ الرُّعب
إياكِ أن . .

دخلَ الخوف

قَلَّبَ عينَيهِ فيَّ
سمعتُ صَليلَ ارتطامِ عظامي بنَظرتِهِ
فنضَحتُ مِنَ البردَ

لا
أتوسَّـلُ لا
وتجَمَّعتُ كلِّي بعينَيَّ

أجنحَتي كلُّها عندَ صدركِ
كلُّ طُمأنينَتي عندَ صدركِ ترقدُ

أبتهلُ الآنَ أن تَصمتي لحظةً
لحظــةً
كلُّ شيءٍ سَينـ . . .

صرَختْ .

كفَناً أبيَضاً أبيَضاً صارَ جِلْدِي مِنَ الخَوف

مَــنْ عرفَ الخَوف ؟

عامانِ أيَّــتُها الأمُّ . .
أمسح عن وجهيَ الدَمَ
أسمَــعُ صرخَتهُ
ثمَّ أبصِرُ عينَيكِ . .
أوّاه
كمْ أَحسنَتْ عينُكِ الخوف . !

عــامــانِ
أسمعُهم يضحكون لأنّ حليبَكِ أبيض .
عــامــانِ
أبصِرُ لونَ أصابعِهم تتناهَبُ صدرَكِ
تعصِرُ منهُ الحليبَ على وجهِ الطفلِ كي يضحكو

إنهُ صامتٌ منذُ عامَين يلعبُ قربي .
يُخيَّلُ أيَّتُها الأمُّ لي أنه اختصرَ القول
جمَّعَ في صرخةٍ كلَّ أصواتِهِ ،
ثمَّ أخلَدَ للصَمْت . .

أيَّتُها الأمُّ أيتها الأمُّ لا تَهجر الطيرُ أعشاشَها
غيرَ أنكِ لم تُحسني الخوف
للمرةِ الثانيهْ . .

٨١١,٩٢
ع ٤٥٢ عبدالرزاق عبدالواحد
الاعمال الشعرية / عبدالرزاق عبد
الواحد ط ٢ .. بغداد : دار الشؤون الثقافية
العامة ، ٢٠٠٠
٤٦٠ ص مج ١ ؛ ٢٣ سم
١ ــ الشعر العربي ــ العراق أ ــ العنوان
م . و
٢٠٠٠/١٣٩

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٣٩)
لسنة ٢٠٠٠



طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ (شركة عامة)

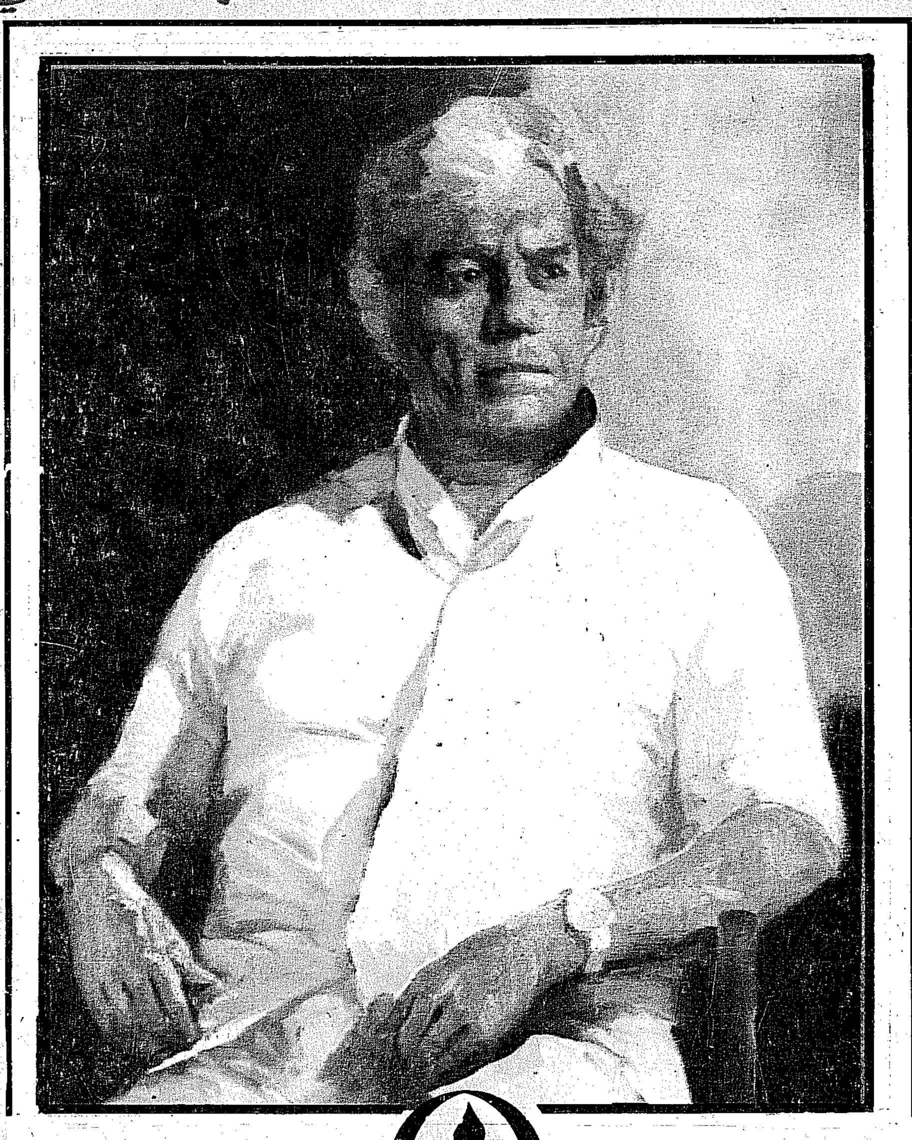


فهرست المجلد الأول

عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

المجلد الثاني



دار الشؤون الثقافية العامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ٢٠٠٠



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

عبد الرزاق عبد الواحد

جائزة صدام للآداب ١٩٨٧

الاعمال الشعرية

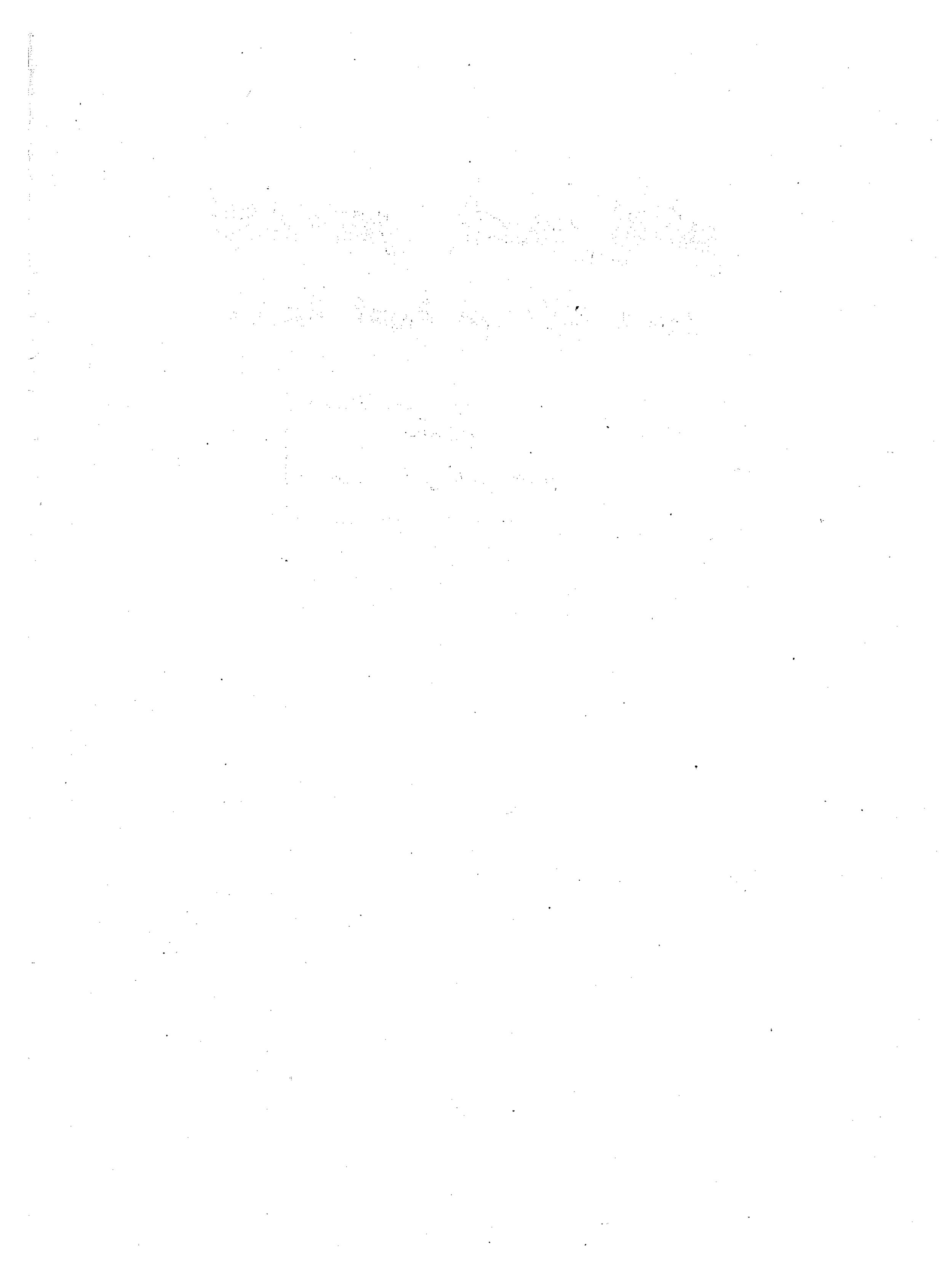
المجلد الثاني

الطبعة الثانية - بغداد - ٢٠٠٠

الحرّ الرياحي

مسرحية شعرية في ثلاثة فصول

تقديم
جبرا ابراهيم جبرا



جدلية المأساة في الحر الرياحي

ضمن المآسي الكبرى ، كمأساة الحسين ، تقع أنواع شتى من مآسي الإنسان : في جو القيظ ، والعطش ، والقسوة ، والقتل الجماعي ، وحز الرؤوس ، هناك مأساة الجنون البشري ، ومأساة الخيانة ، ومأساة القتل المجاني ـ وكذلك مأساة المروءة والفضيلة . نحن في عالم فقد العقل ، والضمير ، من ناحية ، وعالم ما زال يؤمن بعقل الإنسان وضميره ، من ناحية أخرى . من ناحية : إطاعة الأوامر ، العمى النفسي ، والحقد الشرس الماحق . ومن ناحية أخرى : المنطق ، كرامة الإنسان ، والتشبث بالحق . وفي مقابلة الخير بالشر ، يزداد حسُّنا بالفجيعة ، وباللاجدوى . كيف يمكن للحياة أن تكون هكذا ؟ الحسين وأهله ضحايا ، والآخرون جلادون . ولكن أليس من معنى آخر ينقذ هذه الحلكة القاتلة ، يستخرج منها بصيصاً من أمل في جدوى الإنسان ؟

الحسين أكبر من الحياة . ولعله ، لكبره وعلوه ، خارج الدائرة التي يمكن للمرء ضمنها ان يتوحد مع البطل ، رغم تطلعه اليه . ولذا يكون التعبير الفني عنه قاصراً عن مداه الفاعل . غير ان المأساة تغدو قابلة للتعبير فنياً ، عندما يكون فيها مَنْ يمكن أن نوحِّد أنفسنا معه . ومن هنا أهمية الحُـرّ . وكذلك أهمية الشمر . كلاهما يقع ضمن القياس الإنساني الذي نستطيع أن ندركه : نستشبهه أو نرتعب منه . الحُـرّ ، هنا ، إذ يضع نفسه بين ما يتطلبه الواقع والظرف المفروض عليه ، وبين ما يتطلبه الحس بالحق والتوحد مع ما هو إنساني ، هو في وضع مأساوي صرف . فهو مجابه بالخيار بين إنسانيته . وبين انسجامه مع ظرفه وواقعه . وهو يعلم انه باختياره إنسانيته

ووضع نفسه بجانب الضعيف يجابه الموت المحقق ، ومع ذلك يختار تحقيق إنسانيته بمعانقته الموت .

تحت إمرة الحُـرّ بن يزيد الرياحي ألف فارس يمنع بهم عودة الحسين وأهله الى المدينة ، بعد ان استجاب الحسين لدعوة أهل الكوفة الذين استقدموه الى العراق لمبايعته ، ويكرههم الحُـرّ بهؤلاء الفرسان على التقدم في اتجاه الكمين الذي سيُذبحون فيه . والحُـرّ في البدء غريب عن الصراع بين الحسين ويزيد ـ أو الحسين وعبيدالله بن زياد . ففي الإشارات القليلة التي لدينا عن هذا الفارس الفذ ، يبدو أشبه برجل مستقل يرفض أن يكون مذعناً أو تابعاً لأحد . وهو مسيحي ، لا تعنيه البيعة والخلافة . انه رجل وضع نفسه خارج الصراعات السياسية . وإذا تحرك ، ووجد نفسه في وضع تتناقض فيه الإدعاءات والإلتزامات ، فانه لن يناصر إلا ما يمليه عليه عقله انه الحق . انه أقرب الناس الى « الغريب » ، اللامنتمي ، الذي يستدرج الى قضية يكون فيها أول الأمر محايداً ، لا يهمه أيٌّ من الطرفين فيها ، ولن يقلقه مَنْ يكون الغانم فيها . ولكنه فارس ، بأجمل معاني الفروسية العربية . انه ، إذا اكتشف فجأة انه أُقحم في التزامٍ يناقض حسه بالعدالة رفض هذا الإلتزام : فهو لن يلتزم إلا حسَّه هو ، ضميره هو ، وسيرفع السيف حينئذٍ في وجه مَنْ يناقض هذا الحس وهذا الضمير .

ولذا ، فإن الحُـرّ حالما يدرك انه مطالَب من إنسانيته بالعدالة ، وذلك بمناصرة الحسين الذي أوكل إليه إسقاطه في الكمين ، يجمد لحظة في تلك المنطقة الزَّلِقَة الرهيبة بين ان يستمر فيما هو فيه ، وهو الأسهل ، وبين أن ينقلب على ما هو فيه ، وهو الأصعب . لحظة « الانقلاب » هذه هي اللحظة التي تعطي هذه المسرحية معانيها الأساسية :

انها لحظة الصمت :

فلتختصر كلماتُك أنفسَها -

تتراجع ؟

أم تقتل الآن

وهي اللحظة التي ستستمر عبر التساؤل والبحث في أعماق الذات وامتحان المروءة ، وهي التي ستنتهي الى حسم يقرر بطولة الرياحي ، ويقرر أيضاً مصرعه ، في آنٍ معاً .

على نقيض الحُـرّ الرياحي يجيء الشمر بن ذي الجوشن : انه يمثل تلك الناحية المظلمة من النفس التي يكون الشر وحده مبرر بقائها . وهي باقية ما دام ثمة نقاء يجب تدميره في هذه الأرض . هذه الحلكة المكثفة من نزعة بشرية تمتص نسغها من الشيطان الكامن في أعماق الإنسان ، يجب أن نراها هنا دون الاعتماد بالضرورة على الصورة التقليدية التي تفننت أجيال من البكاة على الحسين في تسويدها . وقد استطاع الشاعر أن يرفع شخصيته هذه الى مرتبة الشرير التراجيدي الذي نلقاه في الدراما الاليزابيثية مثلًا : انه ضرب من مكبث آخر ، لأن إقدامه على الجريمة الوحشية لا يخلو من طموح شخصي ، وهو في الوقت نفسه لا يخلو من خيال يقظ يبقي على حسه برعب ما اقترف . وهنا تكمن قيمتُه الإنسانية . لأن الشرير إذا كان شيطاناً صرفاً وحسب ، فانه يفقد أثره المأساوي في أنفسنا ، بالضبط كما يفقد الخيِّر الذي هو ملاك صرف أثره الدرامي فينا . فهو ليس مجرد أمثولة مسطحة : انه إنسان حقيقي يهدد الحياة كل يوم ، وينكفىء على ذاته ممزَّقاً بضميره - غير ان تدميره للقيم التي نعيش بها ومن أجلها متواصل مستمر - منذ الحسين الى يومنا هذا .

الشمر ، من ناحية ، لا يخاف ـ بالمعنى البشري المألوف ـ بالضبط كما كان مكبث لا يخاف ، وقد كانت جرأته يوماً مضرب المثل :

ضع قِبَلي الموتَ أفعى لها ألفُ رأس
أقاتلها الآن
جيشاً بعدِّ الحصى
أتقحّمــه

ولكن واقع الأمر هو ان الخوف بالذات هو الذي ينهشه من الداخل ، ذلك الخوف العميق ، الخوف الضميري :

أن تقاتل شيئاً تراه
شيئاً تجرؤ يا مالك أن تضربه
أن ترهبه
لكن ،
أن تصبح تضحي ، تمسي
منهوياً
مأخوذاً
بعيون دون محاجر
أصواتٍ أغلقُ أذني فتصرخ
من داخل جمجمتي ...
وهذي الكفُّ
هذي الاصبع البيضاء يا مالك ...

الرعب النفسي ، الداخلي ، يتجسَّد في هلوسات لا يستطيع الخلاص منها . وهو ليس رعب الندم : انه العقاب الذي يحس بأنه ينزل به في ساعات يقظته ، وعليه أن يقتله كل يوم مجدداً ، لأنه كل يوم يتفجر حقداً على ذلك النقاء الذي لا يستطيع عليه صبراً :

قلت (للحسين) :
انك عبء من الطُّهر
تكْرهُك الأرضُ
إذ أنت تفضحها .
إنما محنتي بك أضعاف محنتك الآن بي :
أنا مَنْ شاء لي سوء حظي
أن أُبتلى بإزالة كل المروءة عن كاهل الأرض ...

وعليه أن يتذكر كل يوم خوفه وهو يجابه ضحيته التي لا يخاف إلاها ، ويشيح بوجهه ليضرب بالسيف ، لأن الخوف قد سكنه ولن يفارقه :

أشحت بوجهي عن وجهه
وبكلتا يديّ شددت على السيف .
كان خوفي يكبر ... يكبر
حتى غدا ضعف حجم توجعه ،
فتمكنت
أنهيتُ آلامه
واحتفظت بخوفي يكبر من يومها ،

ثم رافقني رأسه ،
رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم
وشعورُ النساءِ وأصواتُهنَّ ،
الصراخُ العويل ...

ليس الشمر ، في هذه المسرحية ، مجرد قاتل أتت يداه جريمة من أبشع جرائم التاريخ ، وكان له أن يتوقع مَنْ سينتقم منه أو لا ينتقم ـ إنه في حدود الزمن المتاح له ذلك الطاغية الذي ، بعد ان أوغل في الجريمة ، لا يستطيع ذهنه الكف عنها ، وينتهي به طغيانه الى ذلك الجحيم الحقيقي الذي سيرى نفسه معذباً فيه أبداً وهو في هذه الأرض : جحيم الوحدة في حياته ـ حيث تتقطع أسباب الصلة بينه وبين الآخرين ، حيث يبقى الرعب في الداخل تجربة متجددة لا تنهيها الجريمة ، ولا يأخذ منها مرُّ الزمن . ومهما يكن محاطاً بالذين يزيّنون له مصارع الآخرين انتصاراً ، فانه ، سيبقى يردد :

تعالي إملأي وحدتي يا عيونَ الذين
تمرَّغتُ في دمهم
يا شخير حناجرهم
يا بكاء الصغار
ويا صرخات الثكالى
بدّدي وحشة الصمت حولي
فاني وحيد ، وحيد ، وحيد .

انه مهزوم في انتصاره ، كما كان الحُـرّ على النقيض بالضبط ، منتصراً بهزيمته .

لقد استخلص الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد من قضية تاريخية كبرى بعضاً من إشكالاتها النفسية الباقية في كل عصر : انه يرى المأساة في ان الضمير يحدو بالمرء الى ذرى من البطولة تلهب فينا جذوة الأمل في ان العدالة مهما تُنتهك سيكون لها مَنْ هو مستعد للتضحية بحياته من أجلها ، ولكن هذا الموت محتوم ولا مردَّ له ، إذ ان ثمة خوفاً ينهش قلوباً تدفع أصحابَها الى قتل العدالة نفسها كل يوم . هذه هي الجدلية التراجيدية في مسرحية « الحُـرّ الرياحي » ، وهي منسوجة نسجاً مع خيوط التجربة الإنسانية والحدث التاريخي .

ومن الطبيعي جداً ان قطع رأس الحسين يذكِّر الشاعر بقطع رأس يوحنا المعمدان . ويراه عبر جرائم التاريخ وتوالي الجلادين فيه ما زال يبحث عن رأسه بين البشر ـ ولكن الجثث مرمية في كل مكان . لأن الشمر قائم في كل مكان ، مصلت السيف ، مصرّاً على « إزالة كل المروءة عن كاهل الأرض » ، لئلا يدمّره خوفه . وإذا هو يتحطم ، ولكنه لا ينتهي . وفي خضمّ هذا الخوف العصابي المدمّر في عصرنا الراهن كما في العصور السالفة ، يقول المعمدان أخيراً لدليله :

أحياناً يا ولدي
أسأل نفسي :
ما جدوى أن تبحث عن رأسك يا يحيى ؟
كَل عامٍ يمرّ
يزيد يقيني بأني إذا عاد رأسي الى عنقي
فسأفقده بين يوم وليلة :

الدليل : مَنْ سيجرأ يا سيدي ؟
المعمدان : الزمان

الزمان سريع هنا يا بُنيّ
يومها
كل شيء هنا كان يأتي بطيئا
لكي يصل الموت يحتاج وقتا
لكي يصل الخوف ذروته حدَّ أن يستوي قاتلا
كان يحتاج وقتا
ولكن
تغيَّرت الآن كلُّ الأمور :
يأتي الفرح ويمضي في طرفة عين
يأتي الحزن ويمضي في طرفة عين
أما الخوف
فانه لحظةَ يبتدي يكون قاتلا .

فما جدوى إستعادة المعمدان رأسه ، وضرب العنق الآن أسرع مما كان فيما مضى ؟ والفرح والحزن اللذان يتعلَّق المرء بالحياة من أجلهما ليسا الآن بأكثر من لحظة خاطفة .

هذا كله ، بالطبع ، جزء من جدلية المأساة نفسها ـ حيث المرء مجابَه بوضع بشري عليه أن يطلب فيه الفرح والحزن ولو لطرفة عين ، قبل ان تهوي المقصلة مرة أخرى . ولذا فان المعمدان يتساءل عن الجدوى ، ولكنه يستمر في البحث عن رأسه .والخوف ـ الذي هو هنا خوف الجلاد . لا خوف الضحية ـ احتمال قائم أبداً ، واصبعه دوماً على الزناد .

هذا الخوف الماحق يتخلله في هذه المسرحية حس طاغٍ أبدع الشاعر في ملء

الأجواء به : حس العطش . لقد منع الشمر وأصحابه الماء عن الحسين وأهله ـ وإذ فتك بهم وهم عطاش يطلبون الماء ، فقد قتل الماء . لقد قتل الفرات . (ومكبث ، إذ قتل الملك دنكن وهو نائم ، سمع صوتاً يصيح به : « مكبث قد قتل النوم ! مكبث لن ينام بعد اليوم ! ») .

فالشاعر يضعنا في موضع ذلك الشيخ الظمآن الذي جاء يطلب الماء عند الشمر ، فلما عرف بفعلته ، امتنعت شفتاه عن قبول الماء . اننا نحيا عقابيل الجريمة التي فرضت عطشاً أبدياً على كل ضمير .

يخيّل إليّ ان الشاعر في تصديه لشخصية الشمر ، بعد ان جعلتها أجيال من الحسينيات في العراق شيئاً أسود اكتنز بالحقد والقسوة والوحشية ، وتخيلتها هذه الأجيال وقد أنزل بها في العالم الآخر أنواع مذهلة من العقاب الآلهي الفظيع والمهين ، لم يجد من السهل أن يستعيد الشمر ذلك الوجه « الإنساني » الذي لا بد منه إذا أراد له أن يحقق عملاً تراجيدياً يحمل معنى جدلياً لا يدفع المشاهد الى التأمل فحسب ، بل الى الرهبة والشفقة أيضاً . وكان للشاعر عندما استطاع تقديم الشمر في أربع صيغ متزامنة : فهناك الشمر الحقيقي ، وهناك هاجسه ، وهناك صوته ، وهناك أخيراً حضوره المعاصر . هذه الصيغ التي تتباعد وتتقارب ، تتناءى وتتحد ، لا يمكن أن توجد على المسرح إلا إذا تخيلناه مسرحاً مطلقاً ، لا مكان محدداً له إلا في الذهن . ومن هنا كانت المسرحية عملاً يكاد يستحيل تجسيده على خشبة . إنها مسرحية أصوات منذ البداية . حتى الحُـرّ الرياحي نجده في صيغتين اثنتين على الأقل ـ هو وصوته . والمعمدان ـ وهو الشخص الثالث المهمّ في المسرحية ـ صوت فقط ، لأن رأساً بلا جسم قد نتصوره « مجسَّداً » وناطقاً . ولكننا لا نستطيع إلا بأقصى الصعوبة أن نتصور جسماً هائماً بلا رأس . وهو ينطق . وقد

اقترن هذا كله بآنعدام الفعل : فنحن هنا إما قبل وقوع الحدث ، أو بعده . وما مِن مجابهة ، إلا بالتذكّر ، لأن المسرحية لا تستعيد الفعل التاريخي ، بل تنزع منه معناه ، فتكون المجابهة الوحيدة هي بين الحُـرّ وضميره ، بين الشمر وضميره . وهذه المجابهة هي النابض الحقيقي الذي تتحرك به المسرحية ، ويتوثب به شعرها .

لعل الطريقة الوحيدة لتمثيل هذا الضرب من المجابهة ، التي هي مجابهة أصوات وأخيلة ، هي الطريقة السينمائية ، حيث يمكن تقطيع الصور وتركيبها (مَـنْـتَـجَـتُـهـا) وتركيب الأصوات وخلق الأخيلة ، التي تتقدم وتتراجع ، تهدر وتستكين : فالمسرحية هنا هي سيناريو ، وإذا قرئت كذلك ، بانت تصاعداتها الدرامية وهي تتحقق في أعماق النفس بين طبقات الشخصية المتصارعة مع ذاتها ، فترفعها الى الرضا المطلق ، كما في الحُـرّ ، وتمزّقها لكي يعاد تمزيقها من جديد ، كما في الشمر .

وما يجعل هذا كله ممكناً هو اللغة المائجة ، الخافقة ، في شعر عبدالرزاق عبدالواحد ، وحركية الصور الراعبة التي تملأه . انه شاعر غضب وشفقة ، وكلمات أشخاصه تنبع كلها من هذا الحس المتوتر أبداً بالغضب والشفقة . وحتى التحدّي الأخير في نهاية المسرحية ، حيث يضع الشاعر نفسه على جانب المؤمن بانتصار الإنسان وهو يتحدّى الشمر « بقطع رؤوس النخل كلها في العراق » تملأه شفقة الشاعر التي يجعلها على لسان المعمدان ، وهو يلتقط رأساً له لكيما يصيح :

« أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان »

ونبقى ونحن في قبضة المأساة في تساؤل : هل سيكون ذلك طوفاناً لغسل آثام البشر ، أم طوفاناً لاهلاكهم على ما اقترفوه من آثام ؟

جبرا ابراهيم جبرا

شخصيات المسرحية

الحُـرّ بن يزيد الرياحي	قائد أموي
أبو حفص	
عمرو	قادة في جيشه
زياد	
حارث	ابن الحُـرّ
يوحنا المعمدان	
الدليل	دليل يوحنا
شمر بن ذي الجوشن	قاتل الحسين (ع)
سهيل	من رجاله
مالك	
هاجس الحُـرّ	
هاجس الشمر	
عمار	
حارث	من أنصار الحسين (ع)
ياسر	
عائشة	زوج ياسر

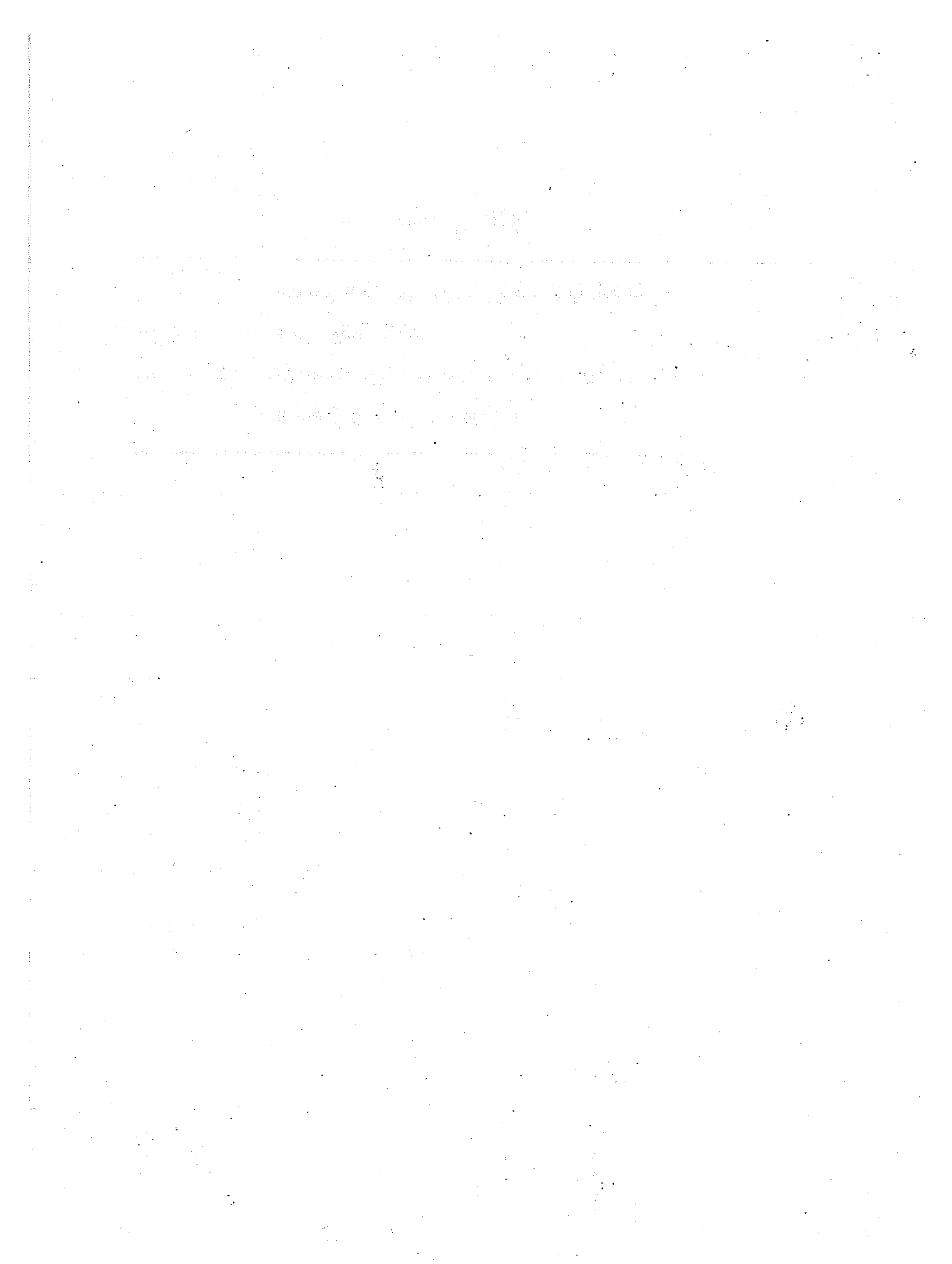
سليم	ابنه
رشيد	صاحب شرطة عبيدالله بن زياد
كورس أطفال	
كورس رجال	
جنود	
آخرون	

الفصل الأول

المكان : معسكر الحُرّ بن يزيد الرياحي قرب الكوفة

الزمان : فجر موقعة الطف

«يلاحظ هنا: ان صوت الهاجس يسمعه الحُـرّ الرياحي وحده »
« الحُـرّ وحيداً فيٰ خيمته » .



الهاجس : إنَّها لحظةُ الصَّمت

فلتَخْتصِرْ كلماتُكَ أنفسَها

تَتراجعُ ؟

أن تقتلَ الآن ؟

أيُّ طريقَيكَ أوضَحْ ؟

عقربٌ تضرب الليلَ بين ضلوعكَ

مأكولةَ الظَهر

إنْ تنتشرْ

تفتقدْ خيلُك الآن حتى حوافرَها

السيوفْ

لا تفلسفُ في رَهَجِ الموتِ أفعالَها

« صهيل »

كِلْمةً لانتظار الرجال

تُحدِّدْ مواقعَها

« صهيل وجلبة »

الحُـرّ : ها هي الشمسُ تنهضُ

والناسُ تنهضُ

والكلماتُ القليلُة تنهضُ

تنهضُ أحرفُها كالعماليقِ عمياءَ مجنونةً

تتخبُّط بين حناياك

أيُّ الطريقين أوضَحْ ؟

الهاجس : كان لسيفك رأيٌ هو الحَدُّ

حَدٌّ هو الرأيُ

أصبح رأيكَ والسيف خدَّين

رطوبةُ أدناهُما تلمسُ الآن رأسَكَ يا حرُّ

الحُرّ : « لنفسه » وي ..!

لو انَّ هواجسَكَ الآنَ مسموعةٌ

(يدخل الربيئة)

الحُرّ : ماذا وراءكَ ؟

الربيئة : ابشِرْ

الحُرّ : (بفرح مفاجيء)

هل أفلتوا ؟

الربيئة : حاشا

وهل إفلاتهم بشارةٌ أزفُّها إليك ؟

الهاجس : البشارةُ الوحيده !

من أين للطاردِ أن يرى صراخَ اللّه

بين عينَيْ الطَّريده ..؟

الحُرّ أوجزْ إذنْ
الربيئة : رأيتُ مواقدَهم
الحُرّ : خمدَتْ ؟
الربيئة : ما يزال الرمادُ بها دافئاً
الحُرّ : وتَتَّبعتَهم
الربيئة : قد فعلتُ
الحُرّ فَصِفْهم
الربيئة : قليلٌ حوافرُهُم
قليلٌ مواطيءُ أقدامِهم
جُلُّهم صبيةٌ
خِلْتُهم موَّهوا الدَّرب ..
الحُرّ : هل فعلوا ؟
الربيئة : لا ،
ولكنني أوهَمتْنيَ أقدامُ أطفالِهم
فرطَ ما تتشعَّبُ
الحُرّ : هم .. م ..
الربيئة : « وهو يضحك »
أمنوا الموت ،
فأنتشروا يلعبون
الحُرّ : « غاضباً »

أأوجزْتَ ؟

الربيئة : عفوَكَ أيُّها الأمير

الحُرّ : لا تزدْ .

أدركتَهم ؟

الربيئة : أجل

الحُرّ : أين هم الآن ؟

الربيئة : مسارَ فرسخَينِ في الطريق للكوفه

الحُرّ : قُلْ للرِجال يُسرجوا خيولهم

الربيئة : أمركَ أيُّها الأميرْ

« يخرج ويبقى الحُرّ وحيداً »

الحُرّ : « لنفسه »

أمنوا الموتَ فآنتشروا ..

وأمنتُم ،

فَجلُّهُمو صبيةٌ

أصغرُ الجرحِ أكبرُ منهم !

وأمنتم .. فهم نَفَـرٌ

يصرخُ الحقُّ بينهُمو صرخةً

ثمَّ يهوي على وجهِـهِ

الهاجس : ويْكَ يا حُرُّ

تأمرُ أن تُسرَجَ الخيلُ
صافَيتَ نفسَك ؟
ها أنتَ
لا سرجَ فوق حصانِكَ غيرُ الهواجس
لا نصلَ في غمدِ سيفِكَ .
غير الهواجس

الحُرّ : أعلَمُ أنّ لسيفي جواباً إذا سُئِل الآن
أعلمُ أنّ حصانيَ يعرفُ كلَّ مهمَّتهِ
وأنا ..

الهاجس : أنتَ تخدعُ نفسَكَ يا حُـرُّ
تمتلكُ السيفَ
لكنَّ مقبضَـهُ في يدٍ لستَ صاحبَها !
ها أعنَّةُ ألفٍ من الخيلِ تُمسكها الآن كفُّك
تملكُ كلَّ مَهَبَّاتِها
وليس عنانُ حصانِكَ من بينها

(شعاع من ضوء الشمس يسقط على يد الحر وهو يذرو الرمل) .

الحُرّ : « مع نفسه »
إنَّها الشمسُ

ها كلُّ ذرَّةِ رملٍ تَميَّزُ عن أختِها
هل لظُلمةِ روحِكَ من كوكبٍ ؟
هل لهذا الخليطِ شعاعٌ يميِّزُهُ ؟؟
لو تَعِدُ المياهْ
فتَحتُ بالخنجر درباً نحو هذا العَطَشْ !
« منادياً »
مَسعده

الربيئة : « وهو داخل »
لبيكَ أيُّها الأمير

الحُرّ : قُلْ لأبي حفصٍ وعمروٍ وزيادٍ
يقدموا إليّ

الربيئة : أفعلُ الساعه
« يخرج »

الهاجس : ثمَّ ماذا ؟
جيشُكَ الآن استوى فوقَ ظهورِ الخيل
قُوَّادُكَ آتون
وما زالَ نزيفُ الليل
لم يَنبتْ ولا خيطُ ضياءٍ بين أضلاعِكَ
ما زالَ نزيفُ الليل

ما زالَ نزيفُ الليل

« القواد يدخلون »

أبو حفص : عِمْ صباحاً يا حُرّ

الحُرّ عمتُمْ صباحاً

اجلسوا

زياد : والرجالُ فوق ظهورِ الخيلْ ؟

الحُرّ لا بأس ..

فما بينكم والحسينْ

غيرَ أنْ تمضغَ الخيلُ أرسانَها مضغةً

« وهم يجلسون »

الهاجس : ها أنت ذا تهربُ من نفسكَ

ما جدوى الذي أخبرتَهم عن المدى بينهم

الساعةَ والحسين

ما دام المدى بينك أنت والحسينْ

لا تعرفُه ؟

الحُرّ : كيف تركتُم الرجال ؟

زياد : يكبَحون خيلَهم

لكنْ ترى الصهيلَ في عيونِهمْ

الحُرّ : وأنتمو ؟

عمرو : « ينهض مجرداً سيفه »

سلْ هذه السيوف

مَنْ أظمأ للدماءِ : نحنُ أم نصالُها ؟

الهاجس : أرأيتَ ؟..

لو انكَ تملكُ من نفسِكَ الآن ما يملكون

أكنتَ تردَّدت في أن تجرِّد سيفك ؟

الحُرّ : « وكأنه يخاطب أحداً »

لو كنْتُ أملكُ بيِّنةً

الهاجس : أيُّ بيِّنةٍ مثل ان يتشرَّخ في غمدِهِ السَّيف ؟

الحُرّ : ثم يقولون :

أقعى الرياحيُّ يلعقُ قيحَ وساوِسِه

أبو حفص : هل .. قلتَ شيئاً أيها الأمير ؟

الحُرّ : « منتبهاً الى وجوههم »

كنتُ أقولُ ...

الهاجس : قلْ لُعِنتَ

أنزِلْ كلَّهم من نفسِه منزَلكَ الساعةَ

من نفسِكَ
ثمَّ أنظرْ الى سيوفِهم مِن بَعد
الحُرّ : كنتُ أودُّ أن ..
الهاجس : تودُّ ماذا ؟
إنَّ كلَّ كلْمةَ تنطقُها في هذه اللحظةِ
سيفُ
أنْ تجسَّ الوتَر اللَّينَ من نفسِكَ
مثل امرأةٍ تبكي ؟؟
تبيَّنْ قدراً تصنعُه أنتَ بهذا الخوف
كنْ سيدَهم وقلْ
أو عبدهم وعبدَ طغيانِكَ
واسكتْ
الحُرّ « غارقاً مع نفسه »
بل أقولُ
أبو حفص : إننا مصغون أيُها الأميرْ

الحُرّ : « منتبهاً اليهم مرة أخرى »

تعلمون لماذا دعوتُكم الآن ؟
أبو حفص : مِن أين نعلمُ

إنْ كان شيئاً سوى الأمرِ بالحرب ؟

الهاجس : من أين يعلم غيرُك

من أين يعلم ..؟

« القواد يطيلون النظر الى بعضهم »

أبو حفص : مذ أمسِ وشيءٌ ما يشغلُ بالكَ يا حُرّ

الحُرّ : أجلْ

زياد : مُـرْ ، أقطعْ عنقَ الصحراءِ الساعةَ

ما تنزفُ هاجسةً !

الحُرّ : مَـهْ ..

قد احتاجُ لسيفكَ في ضربٍ أقسى

عمرو : تمتحنُ اليومَ سيوفَك ..

أبوحفص : « مقاطعاً »

يا عمرو ..

عمرو : « مواصلًا »

فترضى

أبو حفص : يا عمرو اهدأ

ليخيَّل لي أنَّ سيوفَ الأرضِ جميعاً

تعجزُ أن تقطعَ ما يشغلُ بالَ أميرِكَ

عمرو : لكنْ ..

أبو حفص : لكنْ ماذا ..؟

إنَّ علينا أن نسمعَ

ثمَّ علينا الطاعه

الحُرّ : مهلًا أبا حفصٍ

لو انني أمرتُ أمراً الساعةَ

هل أنتم مخالفوه ؟

أبو حفص : حاشا

الحُرّ فأنا

لم أدعُكم لكي تُطيعوا

بل دعوتُكم

لكي تَروا معي

عمرو : فهاتِ ما عندكَ أيها الأمير

الحُرّ : يا عمرو

عمرو : لبيك

الحُرّ : لو انني خُضتُ بكم جيشاً من الجنِّ

يقاتلونكم

ولا ترونَ واحداً منهم

أخائضوهُ أنتمو ورائي ؟

عمرو : أنت تدري أننا نفعلُ

الحُرّ : أدري ...!

« يطيل النظر اليهم »

هَبوني حملتُ بسيفيَ هذا
ورمحيَ هذا
على صِبْيةٍ
يهرعون أمامي وينكفئون
فتحملهم أمَّهاتُهمو حاسراتٍ من الرُّعبِ
يركضْنَ في كل مُتَّجهٍ
ثم قلتُ : أغيروا عليهم معي ...
تفعلون ؟؟

زياد : أتفعلُه أنتَ يا حُرّ ؟

الهاجس تفعلُه أنتَ يا حُرّ ؟
تفعلُه أنتَ ؟؟

الحُرّ : جِدْ لي جوابَ سؤالِكَ هذا زياد
فمن أجلِ هذا دعوتُكم الآن

الهاجس : تكذبُ !
تكذبُ أنتَ
وجُبُنك ما زال سيِّدَ موقفِه
منذُ أمسِ

وأنتَ تقاتلُ نفسَك
ما كنتَ تعرفُ من أمرِ جيشِ الحسينِ
فتيلًا
أتصطنعُ العطفَ ،
تستُر من كبريائِكَ مذبوحةً
ثمَّ تُلْبِسُهُ للحسينْ ؟
إنَّه يتقبَّل سيفَك قدْر تقبُّلك الذلَّة الآن
إذ أنتَ تكذبُ
تكذبُ يا حُرّ
تكذبْ

زياد : أيأذنُ الأميرُ أن أسألَ ...؟
الحُرّ : مَنْ ...؟ ... زياد ؟؟
زياد : أجل .
الحُرّ : وهل وضعتُ بيننا حجاباً قبلْ ؟
زياد : كلا أيها الأمير
الحُرّ : ففيمَ تستأذنْ ؟؟

الهاجس : أمغالطةً نفسَك ؟
أم تسألُ كي تتبيَّنَ مقدارَ الشكِّ بأنفسِهم ؟
إنَّهم يتَّقونَكْ

يتّقون يدَ الخائفِ المتحفِّزةَ الآن فيك
ولو شعروا انها قبضةُ الواثِق المطمئنِّ
الى نفسِه الآن
ما استأذنوا
أنتَ تعلمُ أنَّ يدَ الخوفِ بطّاشةٌ
وتلحُّ ليزدادَ خوفُك
ها أوّلُ الغيث
أصبحتَ تبصرُ في أيِّما كِلْمةٍ نطقوا
غمـزةً
فتضاعفُ جِملاق عينيكَ فيهم

أبو حفص : يا حُـرُّ ،
لقد كنّا ندخلُ من نفسكَ باباً مشرعةً
لا يستأذنُ داخلُها
الحُرّ : والآن ؟
أبو حفص : الآن يُخيَّل لي أنَّ عليها أقفالًا
وعليها حَرساً

الهاجس : باسلٌ
لغةٌ ملكتْ صدقَها فآستقرّتْ
تجرّدْ وضوحاً كهذا

وقلْ كِلْمةً

تقف الشمسُ في مُستقرٍّ تُعيِّنُه أنتَ

لولا أضأتَ مسافةَ ما بين قلبِك والشفَتين ..

الحُرّ : يا أبا حفص

أبو حفص : لبَّيك

الحُرّ : لو خلعتْ نفسُ صاحبِكَ الآن

أقفالَها ؟

أبو حفص : عُنوةً ؟

الحُرّ : بل رضىً واختياراً

أبو حفص : دخلَ الناسُ

لا خوفَ منها

ولا خوفَ منهم عليها

الحُر : « ملتفتاً الى زياد »

فسَلْ إذن زياد

زياد : ما شئتُ ؟

أم الذي تشاءُ أنتَ تُسأل ؟

الحُر : بل ما شئتَ

زياد : هل أوجزُ ؟

الحُر : ما استطعتَ

زياد : « بشيء من التردد »

يا حُـرُّ

الحُر : قُـلْ

زياد : مع الحسين نحنُ أم عليه ؟

عمرو : « مباغَتاً »

زياد

الحُرّ : مهلًا عمرو

فلْنحتمِل الكيَّ

إذا استفحلَ فينا الدّاء

« الى زياد »

يا زياد

زياد : لبيك

الحُرّ : قبيلَ برهةٍ كنتَ مع الجيش

زياد : أجل

الحُرّ : تركتَهم يلتمعُ الصَّهيلُ في عيونِهم

زياد : حقٌّ

الحُرّ : فهم في عدَّةِ الحرْبِ إذنْ

« يلتفت الى عمرو »

وأنتَ يا عمرو بنَ عبدِالله

عمرو : لبَّيكَ
الحُرّ : ترى نفسَك أظما للدماءِ الآن من سيفِك
عمرو : بل زدتُ اليها عطشاً .
الحُرّ : جميعُ أُهْبةِ القتالِ فيك
« يلتفت الى أبي حفص »
يا أبا حفصٍ
أبو حفص : مُطيعاً كلَّ ما تأمرُ
الحُرّ : هذا عسكرٌ يمطر نصراً

« يتخذ بينهم هيأة الخطيب »

فنحنُ أمامَ عدوٍ أتى يُهلكُ الحرثَ والنَّسل
يُخرج من يدِنا أمرنا
يدَّعيه له ظالماً ..
زياد : « مقاطعاً » .
يُهلِك الحرثَ والنَّسل ؟
عمرو : لكنَّنا ما رَمينا الحسينَ بما قلتَهُ
الحُرّ :
« مواصلًا وكأنه لم يسمع اعتراضهم »

فتَن الناسَ

ألَّبهم حولَهُ
صدَّقوا أنَّه ابنُ النبيِّ
وأنَّ على وجهِه صفحةً للرسالةِ ما قُرئتْ
فهو قارئُها
يدَّعي أنهُ جاءَ يحملها منقذاً ..
صدَّقوا أنهُ كلُّ ذلك ..

أبوحفص : « مقاطعاً »

لكنَّهُ كلُّ ذلك يا حُرّ

الحُرّ : ها ؟
أبو حفص : أنَّهُ كلُّ ذلك
الحُرّ : أعلمُ
أبو حفص : تعلمُ ثم تقول الذي قلتَ فيه ؟؟

الحُرّ : تُريدونني ان أقودَ رجالي لقتلِ الحسين
سأفعلُ
لكنْ ..
لكي يقتلوه
فلا بدَّ أن يؤمنوا انَّ هذا الذي تَطأُ الخيلُ
جبهتَـهُ
الذي يجرأون عليه

فتنشبُ فيه الأسنَّـةُ
ليس الحسين
ولكنَّه رجلٌ
يدَّعي باطلًا
يخدعُ الناس
يُهلكهم في غدٍ
بل سأجعلهم يؤمنون بغربتِهِ عن محمَّدْ

أبو حفص : وتعلمُ انَّ جميعَ الذي قلتَه كذبٌ !
الحُرّ بعدَ ان نربحَ الحربَ
يُصبح لا صدقَ إلّاه !
أبو حفص : لكنَّه كذبٌ
إنَّه كذبٌ يتصبَّب سامعُه عَرقاً

الحُرّ : الويلُ لكم
قُبيلَ لحظةٍ بدتْ كبيرةً كلُّ دعاواكُم
وها أنتم أولاءِ
لو أشرتُ نحو أيٍّ من سيوفِكم
بأنَّه الذي يبدأ
لأقشعرَّ في قرابِه
لم تقتلوا الحسينَ بعدُ

ثم ها أنتم تخافون مجرَّد اتّهامه
بأيِّ شيءٍ
أيُّكم يحمل وزرَه غداً ؟

زيادٌ : يحملُه الذين أوعزوا لنا بقتلِه
الحُرّ : وأنتم
زياد : جنودٌ تطيعُ أوامرَ قادتِها
الحُرّ : بل كلابٌ يصاد بها
أبو حفص : أنت يا حرُّ تشتُمنا دونَ حقٍّ
الحُرّ : ولكنَّني مثلكم
كلبُ صيدٍ سيلهثُ خلفَ الفريسةِ

يُنشبُ أنيابَهُ في مقاتِلها
ويعودُ بها كلبَ صيدٍ لسيدِه

« لحظة صمت »

عمرو : هل لنا أن نرى منبتَ السَّهمِ في رأيكَ الآن ؟
الحُرّ : لو كُنت أبصرُه
أبو حفص : إنما يومضُ البرقُ في الغيمةِ المدلهمَّةِ يا حُرّ
الحُرّ : فالتمسوه إذنْ
أمسكوا أيُّما اصبعٍ من أصابعه

ودعوني أرى جوفَ نفسي يضيء
لكُم أنْ أُفقىء عينيَّ بالضَّوءِ
لكنْ أرونيهِ

أبو حفص : يا حرُّ
برقُك أمسكتَ أنتَ جميعَ أصابعِه

الحُرّ : هل فعلتُ ؟

أبو حفص : فعلتَ

الحُرّ : فدلَّني أنتَ أبا حفصٍ عليها

أبو حفص : آمناً ؟؟

الحُرّ وَيْ ....
كيف لا تنبتُ للسماءِ ألفُ مخلبٍ
تُغرز كلُّها بعينيَّ

عمرو : لماذا أيُّها الأميرْ ؟

الحُرّ : هَبوني سوى الشكِّ عيناً أراكم بها
قبضةً أتحسَّسُكم
تزرعونَ الظنونَ بكلِّ مسامات جلديْ
ثمَّ تخشونَها
كيف آمنُ في عطشي بينكم
وأنا كلَّما امتدَّ دلوي الى قاعِ آباركم
هربَ الماء ؟

أبو خفص : هلَّا تفحَّصت دلوكَ يا حُرّ ؟

الحُرّ : « يطيل النظر إليه »
ماذا عنيتَ أبا حفص ؟
أبوحفص : ما كنتَ تحذرهُ
الحُرّ : فأبِنْ
أبو حفص : أنتَ ترسلُ دلواً الى الماءِ
تعلمُ من قبل إرسالها أنها ستعودُ
وما علقتْ قطرةٌ في جوانبها ..
إنَّ دلوكَ مخلوعةُ القاعِ يا حُرّ
الحُرّ : أنتَ تحاولُ أن ...
أبو حفص : « مقاطعاً »
أن أقولَ بأنَّكَ تعلمُ ذلكَ
بل تتقصَّدهُ
ثمَّ تشتُم آبارَنا

الحُرّ : يا نهارَ العواصفِ والرُّجمِ المستحيلةِ
أيُّ نبوءاتِكَ اليُطمأنُّ الى صدقِها الآن ؟
أبو حفص :
أقسمُ لو أني صيَّرتُ الصحراءَ بأجمعها ماءً
وطغى الموجُ فغطّاكَ الى الأذنين
لأطبقْتَ شفاهَك في جوفِ اللُّجَّةِ
حتى تقضي عطشاً

الحُرّ : ويعد

أبو حفص : أن تقولَ :

لن نقاتلَ الحسين

ثم لا تضيف كِلْمةً

الحُرّ : « بعد ان يطرق لحظة »

وأنتَ يا عمرو ؟

وأنتَ يا زياد ؟

زياد : في الذي قال أبو حفصٍ كفاءٌ أيُّها الأميرْ

الحُرّ : « مع نفسه »

أيُّ خصمُ بليتَ بهِ اليوم ؟

عُمرَك أسرجْتَ للريح كلَّ مهبّاتِها

كلُّ أرسانِها تتقاطعُ تحتكَ

ما انكفأتْ صهوةٌ أنتَ فارسُها

ثمَّ ها أنت ...

« الى عمرو »

يا عمرو

عمرو : لبّيك

الحُرّ : قلْ لي وأصدقنيَ القولَ يا عمرو

إنْ لم أكنْ خصماً لهذا الرجلِ الواقفِ في انتظاريَ

الساعةَ بين قبرِه وشفرةِ السيفِ الذي أحملهُ

فما أنا ؟

وأيُّ شيءٍ جاء بي إليه ؟

عمرو : حين يُطلقُ صقرٌ وراءَ فريستِه
أتراهُ يسائلُ صاحبَهُ فيمَ أطلقهُ خلفَها ؟

الحُرّ : فأنا مثلما قلتُ
كلبٌ يُصادُ به

عمرو : بل ..

الحُرّ : « مقاطعاً »
رويدَك يا عمرو
لو كنتُ صقراً لأنشبتُ منقاريَ الآنَ
في جؤجؤي غَضباً
أو لأنشبتُـهُ ..

أبو حفص : « مقاطعاً »
أينَ يا حُرُّ..؟

الحُرّ : في أيِّما صخرةٍ يتحطَّم من فوقها يا أبا حفص
في أيِّما صخرةٍ يتحطَّم من فوقها

أبو حفص : أنتَ يا حرُّ تملُك سيفَك

الحُرّ : أملكُه الآن حتى قرارتِـهِ
حدَّ أني أحسُّ بهِ يتقوَّسُ ضلعاً على القلب
« ينهض »
ملأتُم وعائي

فعودوا الى جندكم راشدينْ
وبيني وبينكُمُ لحظةٌ
أرِدُ الماءَ أو أتهيَّبهُ

زياد : طوعَ أمرك

« يخرجون .. ويبقى وحيداً »

الهاجس : هيهات
أنتَ المكابرُ لن تشربَ الماء يصّدِّقون عليكَ بهِ
أنتَ تبحثُ عن مائِكَ الآن
لا شيءَ يصدَع لهذا الظما غير مائك

الحُرّ : لولا اهتديتُ لمنبعِه ..!

« يدخل عليه ابنه حارث »

حارث : أنعِمْ صباحاً يا أبي
الحُرّ : حارثُ ؟
ما أتى بك الساعةَ يا بُنيّ ؟

حارث : رؤيا أفزعْتني أيها الأميرْ

الحُرّ : يا مرحبا يا مرحبا !

أبطالُنا تُفزعُهم في غَبشِ الحرب الرؤى !

حارث : تعلمُ يا أبي بأني لستُ هيَّاب وغى
لكنني أسمعُ ما يدور حولي ... وأرى

الحُرّ : وماذا رأيت ؟

حارث : رأيتُكَ تُسلِمُ عينيكِ للريح
كفَّيك للريح
حتى لقد عقَدتْ ساعدَيك ببعضهما عَقدةً
تخلعُ اليدُ جارتَها لو هَممْتَ بها !.

الحُرّ : هم ... م ..
وماذا سمعت ؟

حارث : سمعتُ الذي أنتَ تسمعُ من نفسِكَ الآن

الحُرّ « يطرق »

حارث : يا أبتي ... إنني مشفقٌ

الحُرّ : ويْـكَ ..
تشفقُ أنتَ على مَنْ ؟

حارث : على امرأةٍ زارني طيفُها أمسِ يبكي

الحُرّ : عليكَ بكى ؟

حارث : بل علينا معاً يا أبي

الحُرّ : فهيَ أمّكَ

هل قالَ شيئاً لكَ الطَّيف ؟

حارث : كنتُ مستلقياً يقظاً بعدُ

حين سمعت نشيجاً توهَّمتُه الريح

أصغيتُ ..

كان الصَّدى يدَّني

يمكن أن أخطىء وجهي

لكنني لا أخطىء هذا الصوت

وسرَتْ بي قشعريرةُ حينما انحسر الليلُ عنها

قطُّ لم أرَ في وجهِها هلعَاً كالذي لاحَ فيه

« خلال ذلك يلوح وجه الأم تدريجياً في أفق المسرح ، حتى يظهر جلياً »

الأم : أي ولدي

أي ولدي

أي ولدي

أعلمُ أني بعدَ هذا الليلِ لن أراك

ولن أرى أباك

أعلمُ أني سأكونُ أثكلَ الثَّواكلْ

وأفجعَ النساءِ يُتماً

وأقلَّهنَّ بارقاً

أذلَّهنَّ طارقاً
لكنَّني جئتُ إليكَ أحتمي من هَلعٍ
أكبر من فَجيعتي الموشِكه
أي ولدي
إنْ كان لا بدَّ لكلِّ الماءِ أن يَغيضْ
إن كان لا بدَّ لهذا الدمِ أن يَفيضْ
فلا تكونا أنتما السيفَ الذي يضربُهُ
ولا تكونا أنتما الرَّملَ الذي يشربُهُ
إني سمعتُ هاتفاً

الهاتف : « صوت مليء بالرهبة يُسمع من عمق المسرح وكأنه آتٍ من المجهول »

سيُقتَل الحسينْ
وسوفَ تبقى هذهِ العلامهْ
كلُّ السيوفِ الوالغاتِ في دمِهْ
كلُّ الرِّمالِ الشارباتِ من دمِهْ
قانيةً تبقى الى القيامهْ
قانيةً تبقى الى القيامهْ

« ينتهي الصوت ويختفي وجه الأم من المسرح »

حارث : وبعد ذاك يا أبي سمعتُهم يبكون

الحُرّ : مَنْ ويحكَ ؟

حارث : كلُّ الفقراءِ يا أبي

كلُّ اليتامى ..

كانت السماءْ

تنشقُّ عن عويلهم وينهمرُ البكاءْ

طولَ الليلْ

ينهمرُ البكاء

كورس اطفال : « صوت من خلف المسرح »

حسين

يا حسين

يا موثَقَ اليدَينْ

يا مطلَقَ اليدَيْنْ

بعْدَكَ سوفَ تُطفأُ الشموعْ

وتكثرُ الدموعْ

وكلُّنا نعرى

وكلُّنا نجوعْ

يا حسين

يا حسين

يا حسين

« المسيح يظهر مصلوباً في أفق المسرح »

صوت المسيح: لأنيَ فرّقتُ في الناسِ لحمي
لأني حملتُ عذاباتِهم
لأني تَسميَّتُ بآسمي

« يختفي المسيح .. يظهر تشي جيفارا قتيلًا في أفق المسرح »

صوت جيفارا لأنَّ المسافةَ بين الرصاصةِ والقلبِ ضيّقةٌ
لأنَّ الذي يقطعُ الدَّربَ بين القتيلِ وقاتلِهِ
شاهدٌ وقتيلْ .
صرتُ في زمني الشاهدَ المستحيلْ

« يختفي جيفارا . يظهر المعمدان مقطوع الرأس في المسرح »

يوحنا : ملعونٌ مَنْ يُمسكُ للقاتلِ جذعَ المقتولْ
ملعونٌ مَنْ يخدعُ إنساناً عن عينيه
أو عن كفَّيه
ملعونٌ مَنْ يأمنُ ذئباً في مرعى
يا أولادَ الأفعى
ألفَي عامٍ أبحثُ عن رأسي بين الأكتافِ
وبين الأرؤس .
كم جسداً مثلي يسعى ؟

طفل :　　يا يوحنا خُذْ مني شفةً

طفلة :　　يا يوحنا خُذْ مني عيناً

رجل مقطوع　　يا يوحنا ..

الرأس :　　ارشدْ كتفيَّ الى رأسي

يوحنا :　　كم جسداً مثلي يسعى

كم جسداً مثلي يسعى

كورس :　　« الصوت يُسمع من وراء المسرح »

يا حسينْ

يا حسينْ

عهدُ علينا يا حسين　　يومَ الظما أن نتبعَكْ

بينَ بينْ

بينَ بينْ

ويلٌ لمَنْ هم بينَ بينْ　　ليسوا عليك أو معك

صوت[1] :　　يا بلادَ الظما

والشجيراتُ خلفَ الظما تستريحُ

لم أعدْ سُلَّما

حاصرتْني العيونُ بأوجاعها

والزمانُ الجريحُ

(١) الأبيات للشاعر فوزي كريم .

الحُرّ : لا ، لن تكونَ سُلَّماً يا حُرُّ

لن تقطعَ رأسَ المعمدانِ مرةً أخرى

ولن تُعلَّقَ المسيحْ

« منادياً »

يا مَسعَدةْ

« يدخل الربيئة »

الربيئة : لبَّيكَ

الحُرّ : أرشِدْني الى مَرابِض الحسينْ

«الى حارث »

وأنتَ يا حارثَ

أسرعْ لزياد وأبي حفصٍ وعمروٍ

يتبعوني

« لنفسه »

لم أعدْ سُلَّما

حاصرتْني العيونُ بأوجاعها

والزمانُ الجريحُ

والآن يا حسينْ

هامةُ هذي الشمسْ

أدنى الى سيفيَ من رأسِكْ !

« ستار »

الفصل الثاني

الوقت : مساء ، بعد شهر واحد من مقتل الحسين

المكان : بيت الشمر بن ذي الجوشن

الأشخاص : الشمر : مالك وسهيل : من رجاله

الهاجس : الصوت الداخلي للشمر.

الصوت : صوت الشمر في أحداث الطف .

ملاحظة :

المسرح جزءان :

- الحاضر : حيث الشمر وجماعته
- الماضي حيث صوت الشمر وجماعته وأحداث الطف .
- كل الأصوات ، وكل الأشباح ، يراها ويسمعها الشمر وحده .
- في الفصل صوتان : هاجس الشمر ، وصوته .

سنميز الصوتين عن بعضهما بتسيمة صوت الشمر « الصوت » ، والآخر « الهاجس »



الهاجس : لِماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

الصوت : كفٌّ بلونِ القار

فيها اصبعُ بيضاء

لو كانت يدي لأفزعتْني

صوت طفل : عطشانٌ ..

الصوت : « مواصلًا »

هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ

هذي النظرةُ النبيَّةُ العينينْ

أكرهُها

صوت طويل : آه ...

أصوات اطفال : النار

النار

النار

صوت امرأة : واحسيناه

الشمر : « منتفضاً من شروده »

مَنْ التي تندبْ ؟

مالك : هل .. سمعتَ شيئاً ؟

سهيل : وَيْ ..

أسبوعُ وهذي الريحُ لا تهدأ

الشمر : « متلفتاً اليه بغضب »

كلُّكم صُمٌّ إذنْ

أرسلوا رجلًا يتحرّى

مالك : يا شمرُ ،

تدري أننا مُذْ قُتِلَ الـ . .

الشمر : « مقاطعاً بهياج »

مَنْ ؟؟

مالك : « مستدركاً »

مذ رجعتَ منذُ شهرٍ

وكما أمرتَ

أنفذْنا العيونَ بين كلِّ الناسْ

سهيل : أوصينا ألّا تندبَ ثاكلةٌ

أو يعلو صوتُ بكاءٍ

أو ..

الشمر : « مقاطعاً »

يكفي

صوت طفل : عطشانْ ..

« بكاء طفل »

صوت طفل : عطشان يا حسين

عطشان يا حسين

صوت ١ : أسكِتْ هذا الصوت

صوت ٢ : سأسكتُهُ

ناولْني يا حنظلةُ الماءَ

لأغمسَ هذا السَّهمَ بهِ

صوت طفل : عطشان ..

صوت ٢ : لا تَعْجَلْ ،

هذا السهمُ المبتَلُّ سيملأ أحشاءكَ ماءً

والآن ،

هاكَ اشربْ

« صرخة طفل »

الهاجس : لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا لماذا ؟

الصوت : أئمَّهْ

جميعُهم أئمَّهْ

بعدَ غدٍ سيُثقلونَ الأرضَ بالتَّقوى

الهاجس : لكنَّهم أطفالْ

ما ذنبُهم ؟

لصوت : ما ذنبُهم ؟؟

أتراني أقطِّرُ هذي المرارةَ

أعصرُها من حناجرِهم

بَـطَـرَاً ؟

لا ،

وخَسِئْتُ إذا كنتُ أفعلها .

إنَّني بدماءِ حناجرِهم

سأكدِّرُ هذا البياضْ

أرغمُ هذي الاصبعَ المُريبهْ
أن ترتدي لونَ اليدِ التي عليها نبتَتْ
أجعلها سوداءَ حتى العظم
سوداءَ حتى العظم
سوداءَ حتى الـ...

« يختفي الصوت بينما تظهر في أفق المسرح كف سوداء سبابتها بيضاء .. السبابة تشير الى الشمر »

الشمر : « ينتفض من مكانه مفزعاً ، ويتجه الى الكف »
ها أنت ذي
بيضاء حتى العظم
تخترقين البابَ والجدارْ
وتملأين الدارْ
تروّعينَ يقظتي
تروّعينَ نومي
ستنبتينَ بين عينيَّ الى القيامهْ
بيضاءَ حتى العظم

سهيل : « وهو يهم بالنهوض اليه »
يا شمر ..
مالك « يمسك بسهيل مقاطعاً »

دَعْهُ يا سهيلُ حتى تنجلي النَّوبَهْ

الشمر :

« وهو يحملق في الكف مرتعباً »

أفزُّ جميعي عيوناً
ولكنني مُكْرَهُ
لو انَّ اختفاءكِ مرتهنٌ بالعمى
لأنشبتُ هذي الأظافرَ في محجريَّ
الى ان يسيلَ بياضُـهُما كلُّه في يدي
ولكنني مُكْرَهُ
مُكرَهٌ
وأحملقُ فيكِ
مُكرَهٌ
وألاحقُ لونَكِ
لا ..
إنَّهُ هوَ
حتى دمي فرَّ
لكنَّ لونَكِ ظلَّ يلاحقني

« وكأنه يخاطب أناساً يراهم »

كلُّ أصواتِكم
كلُّ آهاتِكم

كلُّ أعينكم تتجمَّعُ حولي
تحاصرني
أريني وجوهَكِ أيتُها الأعينُ اللستُ أبصرُ
إلا محاجرَها
أفأحملُ أوزاركم كلَّها
وأنا لستُ أعرفُ حتى ملامحَكم ؟
« وهو يلتفت في كل اتجاه »
مَنْ أنتما ؟
مَنْ أنتما ؟
مَنْ أنتَ ؟
أنتِ ؟
أنتَ
مَنْ ؟؟
قتلتُكم أنا جميعاً ؟؟
أم تطالبونني بواحدٍ منكم ؟
ألستُم تملكونَ غيرَ أن تُحملقوا فيَّ ؟؟
إذنْ فآنفجروا غيظاً
لقد قتلتُـهُ
قتلتُـهُ
قتلتُـهُ
مالك : « ينهض اليه ويمسك به »

يا شمر ..

الشمر : « مواصلاً »

قتلتُـهُ

قتلتُـهُ

مالك : « وهو ممسك به بعنف »

يا شمرُ اهدأ

أجُننتَ تطاردُ أشباحاً ؟

الشمر : أطاردُها ؟!

أنا محضُ فريستِها يا مالك

مالك : بل صانعُها يا شمرُ

ومُكسبُها حولًا لا تملكُه

ها نحنُ من حولك لا نرى ولا نسمعْ

الشمر : وهل رأيتَ أو سمعتَ أنت شيئاً قبلُ

يا مالكْ ؟

إن شئتَ أن تسمعَ يا مالكُ فآبحثْ عن حسينٍ آخرٍ

واذْبحْـهُ

ثم انظرْ الى يديكْ

مالك : أنتَ الكائنْ ترتعدُ الخيلُ إذا صاحَ بها

تتصبَّبُ عَـرَقاً من خوفكْ ؟

الشمر : يا مالكُ يا مالكُ يا مالكْ

تُعيِّر مثلي بالخوف ؟!
ضَـعْ قِبَلي الموتَ أفعىً لها ألفُ رأسٍ
أقاتلُها الآنْ
جيشاً بِعَـدِّ الحصى
أتقحَّـمُـهُ
أنْ تقاتلَ شيئاً تراهْ
شيئاً تجرؤ يا مالكُ أن تضربَـهُ
أن تُرهِـبَـهُ
لكنْ ،
أن تصبحَ تُضحي ، تُمسي
منهوباً
مأخوذاً بعيونٍ دون محاجر
أصواتٍ أُغلقُ أذنيَّ فتصرخُ
مِن داخلِ جمجمتي
وهذي الكفُّ ،
هذي الاصبعُ البيضاءُ يا مالك

مالك : هَوناً .. هَوناً
لا تُسلِمْ نفسَكَ للوهمِ
فلستَ صغيراً .. يا شمرُ على أن تقطعَ
رأساً

الشمر : ولكنْ
أيّ رأسٍ !
أيّ رأسٍ !

مالك افرخ من روعِك
افرخ من روعك
« وهو يجذبه الى حيث كان يجلس »
تعالَ معي ،
إنَّ عندي حديثاً يغيُّر ما نحنُ فيه

الشمر : « وهما يجلسان »
أتعلَـمُ ما قال لي حينَ ..

سهيل : « مقاطعاً »
دَعْ عنكَ هذا التَذَكُّر يا شمر
أبعِدْهُ عنكَ ولو لحظةً ريثما تتنفَّس

الشمر : لكنهُ حاضرٌ يا سهيل
إنهُ حاضرٌ
إنني وأنَا أتحدَّثُ عنهُ لكم
أتشاغلُ عنهُ بهِ
أَفتفهُم هذا سهيل ؟
أتفهمُـهُ ؟

أنْ تتحدَّثَ عن موتِكَ حتى تألفَـهُ ؟! ..
أنْ توهمَ نفسَـكَ أنَّكَ لستَ وحيداً ؟
تُودعَ خوفَـكَ عندَ صديقٍ .. جارٍ
إنسانٍ تعرفُـهُ ؟
تَفهمُ معنى هذا ؟؟

سهيل : أفهمُـهُ
مالك : إنَّا أكثرُ مِن إنسانٍ تعرفُـهُ يا شمرُ
فأودِعْنا وتخَفَّـفْ

الشمر : تنفضُ الغيمةُ المدلهمَّـةُ أمطارَها
وأنا مثلما البِير
البراكينُ تُفرغُ أجوافَها ثم تهدأْ
وأنا مثلما البيرْ
كلَّما أخرجوا منهُ يزدادُ عمقاً
كلَّما أخرجوا منهُ يطفحُ بالماءْ
كلُّ شيءٍ سَـيَبردْ
وأنا تتناسلُ في جوفي النار
أزفرُها ثمَّ تنهض
أزفرُها ثم تنهض
أزفرُها ..

« طرق على الباب »

سهيل : مَنْ بالباب ؟

صوت من الخارج : شيخٌ يسألُ معروفاً

الشمر : أدخلْـهُ يا سهيل
أدخله يا سهيل
عَـجِّـلْ

سهيل : « ينهض متجهاً الى الباب ليفتحه »

الشمر : « مواصلًا »
شهرٌ ولا يقربُنا أحدْ
شهرٌ وهذي الباب لا تطرقُها إلَّا أكُـفُّ
الريح

« يدخل شيخ بادي الاعياء »

الشيخ : السلامُ عليكم

الحضور : وعليك السلام

مالك : استرحْ

« الشيخ يجلس »

مالك : حيَّاكَ الله

الشيخ : وحيَّا هذي الدار وصاحبَها

الشمر : لو يسمعُ منكَ اللّهُ دعاءكَ هذا

الشيخ : « بشيء من الاستغراب »
إنَّ اللّهَ سميعٌ يا ولدي

الشمر : ومجيب ؟

الشيخ :

« باستغراب أشد »

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

الشمر :

« مع نفسه وهو مطرق »

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

« منادياً »

يا وهب

يا وهب

وهب :

« وهو يدخل »

لبيك

الشمر : أحضرِ الطعام

وأصلحوا للشيخِ موضعاً ينامُ فيه

الشيخ : لو شربَـةُ ماءٍ عافاكَ الله

إني عطشانْ

عطشانْ

« أصداء كلمة « عطشان » تتردد في جميع جوانب المسرح ،

وتتضخم تدريجياً بينما وهب يخرج »

« الشمر يبدو مأخوذاً »

صوت طفل : عطشانْ

« بكاء طفل »

صوت طفل : عطشان يا حسين
عطشان يا حسين

صرخة طويلة : آه . . . .

الشمر : « مع نفسه »
أيُّ داعٍ أحرُّ وأوجعُ منكَ دعاءً ؟
أيُّ داعٍ به بعضُ ما بِكَ من حاجةٍ
لطمأنينةِ الروحْ ؟
تتمرَّغ مثلَ اللديغ يضجُّ بهِ السُّم
مثلَ اللديغ يضجُّ بهِ السُّم
يا حرقةً ليس تهدأ
يا هلعاً ينتهي ثمَّ يبدأ
ينتهي ثم يبدأ
ينتهي ...

سهيل : « مقاطعاً »
أتّق اللّهَ في نفسِكَ الآن
عندكَ ضيفٌ ، تشاغلْ بهِ

الشمر : كنتُ أحوجَ أن أتقي الله في هذه النفسِ
ساعتَها يا سهيل

كنتُ أحوجَ أن أتّقي اللّهَ ساعتَها
غيرَ أنيَ كابرتُ ..
لا ..
لم يكُ الكِبْرَ
أذكرُه
كنتُ أنضحُ بالخوف
حتى لقد كانَ في وسع خوفي أن
يذبحَ الأرضَ أجمعَها
« يلتفت الى مالك »
ويلٌ لك مِن خصمِكَ يا مالكُ حينَ
يُـجرِّؤُه الخوفُ !

مالك : لكنَّك كنتَ الأقوى

الشمر : هيهاتْ ..!
أنا أيضاً أُخِذتُ بهذا التَّوهُّم
كان ورائي ثلاثون ألفاً
أتحسبُني كنتُ أقوى من الجيشِ أجمعِـهِ ؟
كنتُ أشجعَ منهُ جميعاً ؟
كلُّهم أحجموا
وهو فردٌ يجودُ بأنفاسِهِ
وتقدَّمتُ ..

كنتُ ضحيَّتَهم
وضحيَّةَ خِسَّتِهم كلِّها .

الآن يا مالكُ أدري فيمَ تلدغُ العقربُ نفسَها
إذا ما حُوصِرَتْ !
كنتُ محاصرَاً بهم
كانوا جميعاً يندبونني لقتلِ خوفِهم

« يحضر وهب حاملًا جرة ماء وقدحاً ... يصب للشيخ ماء »

الشمر: « مواصلًا »
وحملْتُ مخاوفَهم كلَّها
كنتُ فرداً تحمَّل خوفَ ثلاثينَ ألفاً
وتحمَّل جُبنَ ثلاثين ألفاً
وبهذا قَتلت

الشيخ : « وهو يردُّ الماء مجفلًا »
أنت آبنُ ذي الجوشَنْ ؟

الشمر : « ملتفتاً اليه »
أجل ،
فهل أدخلَ شكلي الرَّوعَ في قلبِكْ ؟

الشيخ : كلا !

الشمر : إذن فيمَ ردَّدتَ الماءَ ؟

الشيخ : كان غيريَ أولى به

الشمر : فإذا فاتَ غيرَك ،

ترفـضُـهُ أنت ؟

الشيخ : لي أسوةٌ

الشمر : « بعد اطراقة قصيرة »

لو أحسنتَ إلينا والى نفسِكَ في هذا الماءْ

الشيخ : « متعجباً »

أأُصدِّقُ أنك تُلحِفُ كي تسقيَ عطشاناً ؟!

الشمر : اشربْ لِتُصدِّقَ

الشيخ : يا عجباً !

الشمر : ماذا على مثليَ أن يفعلْ ؟

أأحملُ الفراتَ فوقَ ظهري ؟

أطوفُ في الناسِ ،

أنادي :

أيُّها الناسُ اصنعَوا بالشمرِ معروفاً

فقد جاء وفوقَ ظهرِهِ الفراتْ ؟

الشيخ : أتكابرُ ؟

أم تتندَّرُ ؟

سهيل : ويلَك

الشمر : صَه يا سهيل

الشيخ : « مواصلًا »

وهَبْك فعلتَ الذي قلتَـهُ صادقاً ..

مَنْ سيقربُ ماءك ؟

إنَّها ريبةٌ في مروءةِ مائكَ يا شمر

ريبةٌ صار حتى الفراتُ بها موحِشاً

الشمر : أَوَ أفسدتُ حتى مروءةَ ماء الفرات ؟

الشيخ : أنت سوَّغت للناس أن يلعنوا الماء

سهيل : « بغضب » وَي ..

أصبحَ السكوتُ عنكَ غصَّةً

الشمر تسكتُ يا سهيل

أريد أن أسمعَ هذا الشيخ

شهرٌ وجسمي كلُّه يضجُّ بالورمْ

شهرٌ وجرحي تضمدونَـهُ على الصَّديدْ

أريدُ أن أسمعَ صوتاً واحداً يفتُح هذا

الجرحْ

ولْيكُ ما يكونُ يا سهيلُ

ولْيكُ ما يكونْ

الشيخ : لا تَلُـمْ صاحبيكْ
فهما أكثرُ الناسِ علماً بما أنتَ فيه
وأما أنا فلستُ بمُغنيكَ شيئاً

الشمر : أنتَ تُسمعُني صوتَ نفسي
الشيخ : فنفسُك تُغنيك
« وهو ينهض »
معذرةً
أتّقي اللّهَ فيكَ وفي نفسيَ الآنْ

الشمر : يا هذا
بِتْ ليلَك لا تطعمْ إنْ شئتَ ولا تشربْ
شيئاً
الشيخ : أَطعمُ إنْ بتُّ هنا ندماً يا شمرْ
فأعتِقْني من إحسانِكَ هذا
أنا لم أرَ وجهَ قتيلِك
لكنّي أحسْستُ الساعةَ اني أُبصرُه
« يخطو نحو الباب »

الشمر : وكيف إحساسُك يا شيخُ به ؟

الشيخ : « يتوقف ويلتفت اليهم »

كأنّني ممتلىءُ بالماءْ

كأنّني ممتلىءُ بالماء

« يرين وجوم على الحضور. الشيخ يبلغ الباب ثم يلتفت »

الشيخ : تعلمُ ماذا حلَّ بالفراتِ يآبنَ ذي الجوشنْ ؟

مالك : « متهكماً »

هل جفَّ ؟

الشيخ : لا .

لكنّني سمعتُ أنَّ صائحاً ينهضُ من مياهِـهِ

في الليلْ

الشمر : منذُ متى ؟

الشيخ : مُـذْ قُتِلِ الحسينْ

وهو ينادي كلَّ ليلةٍ بهذا الصَّوتْ :

« يسمع صوت تلاطم أمواج »

صوت : يا أيُّها النيامْ

هذا أنا الفراتْ

مَفازةُ العَطشْ

رواسبي دماءْ

ورغوَتي دماءْ

وأنتَ كلُّ الماءْ

« صوت تلاطم أمواج »

واصغَري لديكَ يا حسينْ

واعطشي اليكَ يا حسينْ

كلُّ مياهي لا تُنَدِّي شفةً ظمأى

وسوف تسقي بكَ آلاف من السنين

عطشاها

فآجعلْ لمائي حصَّةً في مائكَ القادمْ

اجعلْ لمائي حصةً في مائكَ القادمْ

لعلَّني أبرأُ يا حسينْ

لعلَّني أبرأُ يا حسينْ

« ينقطع الصوت ويكون الشيخ قد اختفى . . يبقى صوت تلاطم الأمواج الذي يهدأ تدريجياً حتى يتلاشى »

الشمر : «مذهولًا »

هل ذهب الشيخ ؟

سهيل : أجلْ

الشمر : كأنَّما جاءَ به الليلُ نذيراً عاجلًا وابتَلَعَهْ

« يطرق .. ثم ، وكأنه يحدِّث نفسه »

سوف يجيء ماؤهُ القادمْ
ليُبْرىءَ الفراتْ

.

مالك : تُسرفُ حتى في تأويلِ كلامٍ ليس لهُ معنى
الشمر : ليس له معنى يا مالكْ ؟
مالك : ستُرينا الأيامْ
الشمر : أَوَ أكثرَ مما أرتْنا ؟
صرتُ أشحذُ حتى الشَّتيمةَ
حتى الشتيمة أشحذُها
مالك : لا أصدِّقُ أُذْنيَّ
مَنْ كان يجرؤ ان يتكلَّمَ حين تكونُ مهيضاً
أنتَ جرَّأتَ حتى الصعاليك أمثال هذا عليك
الشمر : أتسمِّي هذا صعلوكاً يا مالكْ ؟
أنتَ لم تَشهد الحُـرَّ حين انبرى وحدَهُ
ليقاتلَنا
« مشهد جانبي تسمع خلاله أصوات المعركة »
« الحُرّ ، أبو حفص ، آخرون »

أبو حفص : أما كفاكَ أنَّكَ اعتزلتَها يا حُرّ ؟
أنتَ ما أرقتَ للحسين أو لصحبِه دماً
فما الذي تُنكرُ مِن نفسِكْ ؟

الحُـرّ :
أتجَهَـدُ في ان تُـبَرِّأني يا أبا حفص ؟
مَنْ قادَهُ للهلاكِ إذنْ ؟
مَنْ أصرَّ على منعِهِ ان يعودَ الى أهلِـهِ
في المدينه ؟
أوَلستُ أنا ؟؟
مَنْ حالَ بينَـهُ وبين الناس في الكوفه ؟
مَنْ الذي أسلَـمَـهُ لهؤلاء ؟؟
بَـرِّئْني أبا حفصٍ إذا استطعتْ

أبو حفص : كان سيُقتَلُ في كلِّ الأحوالْ
الحُرّ : حتى ولو قوتِلَ دونَـهُ بألفِ سيفْ ؟
أبو حفص : ماذا تعني يا حُـرّ ؟
الحُرّ : فاتَ الأوانُ يا أبا حفصٍ
تأخرنا كثيراً
لم أعُدْصاحبَ هذه السيوفِ الألفْ
كنتُ بها أملكُ أن أسحبَ أيَّ غيمةٍ أشاءُ

من شَعْفَتها
أُنزلها للأرضِ قَسراً
وأقولُ : أمطري !
كنتُ بها أملكُ أن أقصمَ ظهرَ الريح
أو تجري كما أريد
لكنَّني أحجَمْتُ ساعتين !
تَعلمُ ما معيارُ ساعتينْ ؟!

« يناول أبا حفص درعه »

خُذْ درعي إليكَ لا أريدُها

أبو حفص : يا حُرّ

الحُرّ : « الى قومه »

أنتم جميعاً أبرياءُ من دمي

« يلتفت الى الآخرين »

وأنتم أيُّها الـ ...
كيف أنعَتُكم ؟
أيُّ مفرَدَةٍ سألوّثُها بكم الآن
تبقى ملوَّثةً للقيامهْ
لا سقى اللّهُ عطشانكم

فيمَ بايَعتُموه ؟
فيمَ أرسلتُم الرُسُلَ تدعونَـهُ
ثمَّ أعطَشتُموه ؟
ثم أسلَمتُموه وأطفالَـهُ للأسنَّه ؟

صوت من
عسكر الشمر : أنادماً يا حُرّ ؟
صوت آخر : أنتَ الذي أسلمَهُ
ونِعْمَ ما فَعلتْ

الحُرّ : أمّا نَـدَمي
فلأنّي كنتُ صباحاً أعطَش خلق اللّهِ
وأبصرتُ الماءَ فلم أشربْ
ولأني كنتُ صباحاً أملكُ كلَّ نَواصيكم
لو كنتُ غضبتُ ،
ولكنّي استسلمتُ الى الحزنِ ولم
أغضبْ
يا أولادَ العقربْ
يوماً ما ينجابُ الليلْ
ويجيء السَّيلْ
ستحاسبكم حتى أطرافُ أصابِـعِكُم

وسيلعنُ آخركُم أوَّلكَم

ستقولون خُدِعنا

وتقولونَ جَزعنا

وتقولونَ تقولون

ولكن جرّأتم أنفسكُم حتى أطفأتم

ضوءاً من أضواء اللّه

الويلُ لكم

كنتُ عدواً وتهيَّيتُ إراقةَ هذا الدَّمْ

صوت

من العسكر : والآن غدوتَ صديقاً ؟!

« ضحك »

آخر : يا قوم

الحُرُّ فاءَ تائباً للحسينْ

الحر : بل إنَّـهُ لَدَينْ

صوت : عَـجِّـلْ إذنْ

الحُرّ : « وهو يشهر سيفه »

ها أنذا !

هـــا أنـــذا والمـــوتُ نُصْبَ عيني

يغْلقُ بـــالأرجـــلِ واليَـــدينِ

في عُـنـقـي دَيـنٌ وأيُّ دَيـنِ

« يهم بالخروج »

أبو حفص : « منادياً »

يا حُـرّ

قِف لحظةً

لقد أردتَ ماءْ

الحُرّ : « وهو يغادر المسرح »

هيهات

إنَّ الحسينَ ماءْ .. إنَّ الحسين ماءْ

إنَّ الحسينَ الماءْ

« يختفي المشهد »

الشمر : أكرهُـهُ

مالك : لماذا ؟

الشمر : رأيتُـهُ ممزَّقاً

مُلقىً على الرمالْ

وكانَ في مفازةِ العَـطَـشْ

كأنَّ في عينيهِ غيمَتَينِ تُمطرانْ !

أكرهُـهُ

أكرهُـهُ

مالك : « الى سهيل »

أأبصرتَ مقتله يا سهيلْ ؟

سهيل : شهدْتُ مقاتلَهم كلَّها

مالك : كيف ألفيتَهم ؟

سهيل : لم يكونوا سوى نَـفَرٍ

أنفقوا موتَ جيشٍ بأكملِـهِ

مالك : والحسينْ ؟

سهيل : « مباغتاً »

مالك !

الشمر : ما خطبُكَ يا سهيلْ ؟

تخافُ أن تسمعَ هذا الاسم ؟

أم تُشفقُ أن أسمعَـهُ أنا ؟

إنّي أنا قاتلُـهُ يا سهيلْ

قاطعُ رأسِـهِ أنا يا سهيلْ

فما الذي تخافُـهُ عليّ ؟

شهرٌ وما أزالْ

أرى بعيني جسداً لا رأسَ لَـهْ

ينهضُ كلَّ ليلةٍ

يطوفُ في الشوارعْ
أبصرُ كلَّ ليلةٍ رأساً عظيماً يتدلَّى
يعبرُ السطوحْ
يلصقُ بالأبوابِ والنَّوافذْ
يبحثُ عن أكتافِـهِ
أراهما يقتربان حدَّ أنْ يلتقيا
حتى إذا كادا
يموجُ الدَّمُ في الأرجاءْ
ثم أرى سيفي وكفَّيّ وقد علتْـهُما الدماءْ
فما الذي تخافُـهُ عليَّ يا سهيلْ ؟

« يلتفت الى مالك »

سأشفي غليلَـكَ مالك
شهرٌ وأنتَ تحاولُ أن تَتقرَّى
أحسُّ بعينيكَ ، كفَّيكَ
شكلِ اختلاجةِ وجهك
أسمعُ صوتَ لُهاثِـكَ يركضُ خَلْفَ التفاصيل
أعلمُ أنكَ تبحثُ عن لحظةٍ

مالك : « مقاطعاً »

إنَّني لستُ

الشمر : « مقاطعاً »

لا تعتذرْ

أنا أيضاً أحاولُ أن أتحرَّرَ مِن هذه

اللحظةِ الآن

شهرٌ وأنا أحفظُها يا مالكُ سرّاً

أملكُ منها ما لا يملكُه أحدٌ

مالك : ماذا يا شمر ؟

الشمر : أسئلةً

مالك : أسئلةً ؟!

الشمر : لا يُسألُها إلا مَنْ يقطعُ رأسَ حسينٍ آخر

مالك : ما أوّلها يا شمر ؟

الشمر : « يحملق في وجه مالك مأخوذاً ، بينما صدى السؤال التالي يأخذ بالتضخم طالعاً من جميع جوانب المسرح »

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

« يخفت الصوت تدريجياً »

الشمر : « شارداً »

لماذا ؟

لماذا ؟

مالك : لماذا ؟!

الشمر : كلَّ يومٍ أُجزّىءُ نفسي

أقول :

إذا كان لا بدَّ من موتك الآن يا شمر ،

فاْعرفْ على أيِّما قِبلةٍ ستموت

ثم أمسكُ هذا السؤال

أُثبّتُه نُصْب عيني

واجمع نفسي جميعاً

أواجهُهُ

كي أردَّ عليه

ولكنَّه يتَشعَّبُ مالك

يورقُ .. يورقُ

حتى يصيرَ ألوفاً من الأسئلهْ

« يطرق لحظة ثم يواصل »

كنتُ أرفعُ سيفي لأقطعَ بلعومَهُ
كان مُلقىً على الأرضِ
جرحاً كبيراً ...
توهَّمتُه ميّتاً
فجأةً
فكَّ عينيه
مالك ..!
لم أرَ قطُّ احتجاجاً كعينيه !
لحظةً .. لم نكنْ غيرَ هذين :
قاتلًا خائفاً
وقتيلًا يلاحقُهُ
محضَ عينين !

مالك : ما قال شيئاً ؟

الشمر : بلى .
كِلْمةً واحدهْ
« لماذا »
لم يكنْ خائفاً قدْر ما كانَ مُستنكِراً
للحظةٍ ،
أحسسْت أنَّ كلَّ ما في الأرضِ
مِن سيوفْ

تعجزُ أن تقطع رأسَهُ ..

نظرتُ بين عينيهِ سليباً مُفزَعاً

مالك : أجـبتَـهُ ؟؟

الشمر : بدونِ وعيٍ

هكذا ..

قلتُ لهُ :

لأنني أكرهُـكْ

هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ

هذي النظرةُ النبيَّة العينينْ

أكرهُها

قلتُ :

إنَّك عبءٌ من الطُّهرِ

تكرهُك الأرض

إذْ أنتَ تفضحُها

إنما محنتي بكَ أضعافُ محنتكَ الآن بي

أنا مَنْ شاءَ لي سوءُ حظيَ

أن أُبتلى بإزالةِ كلِّ المروءةِ

عن كاهلِ الأرض

« لحظة صمت »

مالك : ثمَّ ؟؟

الشمر : أشحتُ بوجهيَ عن وجهِهِ

وبكلتا يديَّ شددْتُ علِى السيف

كان خوفيَ يكبرُ ... يكبرُ

حتى غدا ضعفَ حجمِ توجُّعِهِ

فتمكَّنتُ

أنهيتُ آلامَـهُ

واحتفظتُ بخوفيَ يكبرُ من يومها

« لحظة صمت »

ثم رافقَني رأسُـهُ

رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم

وشعورُ النساءِ وأصواتُهـنَّ

الصراخُ العويل ...

وقد كنتُ وحدي ،

غريباً عن الجيش أجمعِهِ

حاملًا رأسهُ فوقَ رمحي .

وتبيَّنتُ في أوجُهِ الجُندِ

أنيَ شيءٌ يخافونهُ

يتحاشونَهُ
وأقولُ لكَ الحقَّ مالك ؟
كنتُ أحسُّ كراهيةَ الجندِ لي

مالك : مَحضُ وهمِكَ

الشمر : لا .

« مشهد من المسيرة برأس الحسين . صراخ وعويل وبكاء ولغط »

أحد الجنود : تعالَ هنا يا حُذيفةُ
مالَك تحشرُ نفسكَ في موضعٍ
لستَ صاحبَه

الجندي الثاني : إنَّني أتأمَّل وجهَ الحسين
فما كنتُ أبصرتُه قبلَها

الأول : شامتاً يا حذيفةُ ؟؟

الثاني : لا والذي خلق الخلْق
إنّي أحسُّ له رهبةً يدخلُ الجلدُ
في اللحم مِن هَولِها

الأول : فتجنَّبْ إذنْ .

« يضع يده على كتفه ويبتعد به »

يا حذيفةُ ، أنتَ أخي
أخشى عليكَ أن تكونَ مسقطاً لظلٍّ
هذا الرأس ..
دعْ مَنْ قطعوهُ يحملون وزرَهُ
هيَّا بنا ،
وكنْ بعيداً ما استطعتَ عن ظلالِ
الشمر

« مشهد آخر من المسيرة نفسها »

جندي ١ : تعجَّلْ .. تعجَّلْ
جندي ٢ : علامَ حماسُكَ ؟
جندي ١ : نشهدُ كيف لقاءُ الخليفةِ للشمر
لا شكَّ يُثقلُه ذَهباً
جندي ٢ : ليس أثقلَ من حملِه الآن !
جندي ١ : ماذا ؟
جندي ٢ : « مستدركاً »
أقولُ : وما شأننا نحنُ ؟
نغرمُ في الغُرْم
أما إذا غَنموا

فغَنَائمهُم بينهم

جندي ١ : أراهنُ أنَّ يزيد سيُثقلُهُ ذَهباً

« يختفي المشهد »

الشمر : « وهو يضحك ضحكاً هستيرياً »

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

أثقلني يزيدُ بالذَّهبْ

« مشهد جانبي »

صوت الشمر : إملأ ركابي فضَّةً أو ذَهبا

إني قتلتُ السيدَ المُحجَّبا

وخيرَهم مَنْ يذكرون النَّسبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أُمَّاً وأبا[1]

صوت يزيد : أتزايدُ يآبَنَ اللئيمةِ ؟

إنْ كنتَ تعلمُ مِن أمره ما ذكرْت

فكيفَ قتلتَه ؟

أخرجْ ،

فما لَك عندي سوى نقمتي

إنْ رأيتُك ثانيةً

« يختفي المشهد »

---

(١) الابيات لشمر بن ذي الجوشن .

الشمر : « وهو يواصل الضحك بصورة هستيرية »

أثقلَني يزيدُ بالذَّهب

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

« تتحول ضحكته الى ما يشبه العويل »

أثقلَني يزيدُ بالفقرِ وبالجريمهْ

أثقلَني بالفقرِ والجريمهْ

بالفقرِ والجريمهْ

منبوذٌ كالجملِ الأجربْ

منبوذٌ لا يقربُني إلا مَنْ لا يعرفُني

والشامت المُشفقْ

منبوذٌ منبوذٌ منبوذٌ

سهيل : « الى مالك »

« بينما الشمر ـ وقد عاودته النوبة ـ ينهض متجهاً إلى أشباح لا يراها أحد »

لقد كنتُ أخشى مغبَّة هذا التَّمادي

وأسكتَّني حينَ حاولتُ ..

مالك : « مقاطعاً »

حاولتَ ماذا سهيل ؟

أتوهِمُ نفسَك ؟؟

مُـرْ هذه الريحَ أن تهدأ الآن

إنَّ الذي فيه هذي الرياح

فهل في يَديك أعنَّتُها ؟!

الشمر : تعالي املأي وحدتي يا عيونَ الذين

تمرَّغتُ في دمِهم

يا شَخيرَ حناجرِهم

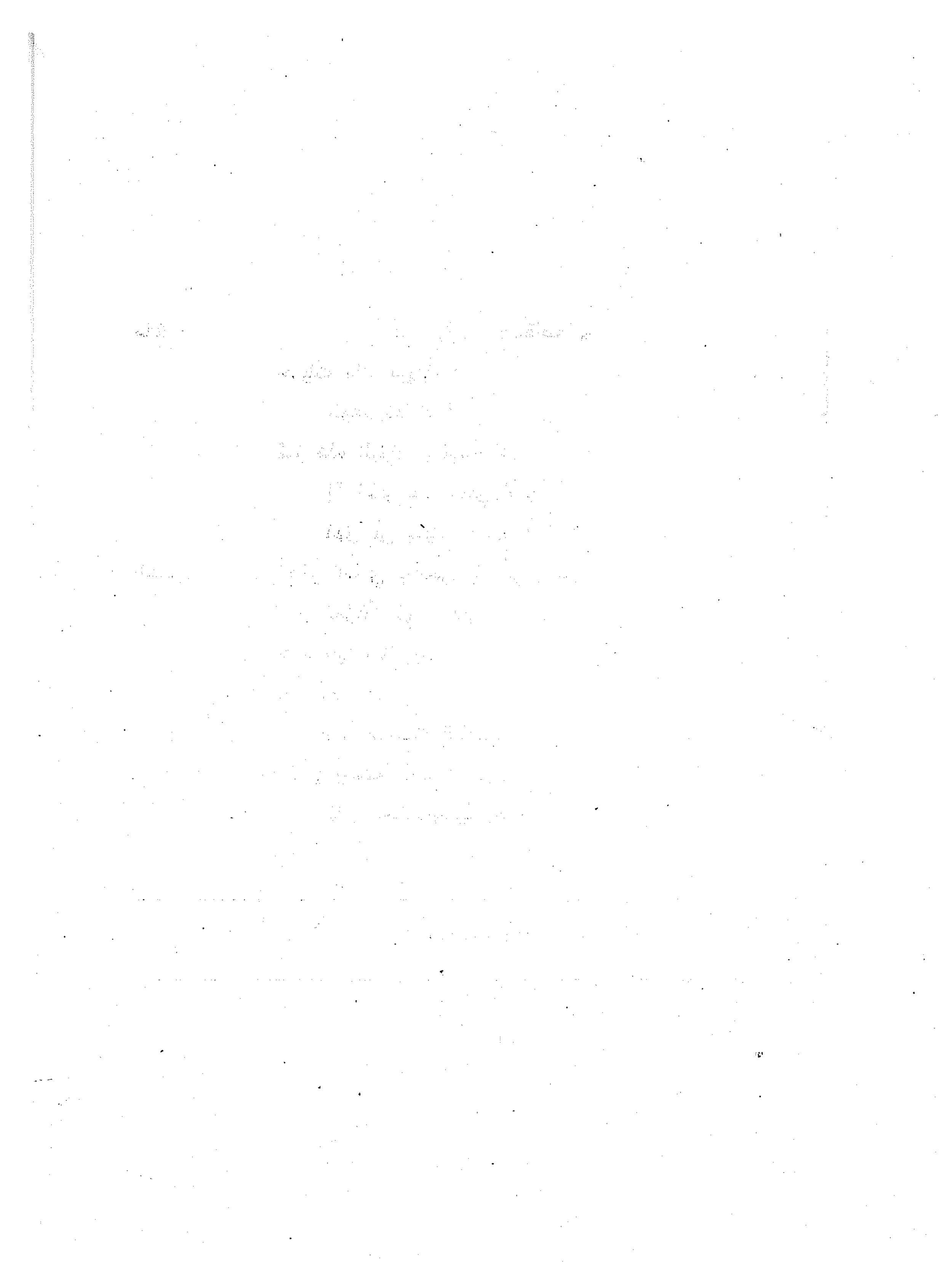
يا بكاءَ الصغار

ويا صرخاتِ الثكالى

بدّدي وحشةَ الصمتِ حولي

فاني وحيدٌ وحيدٌ وحيدْ ..

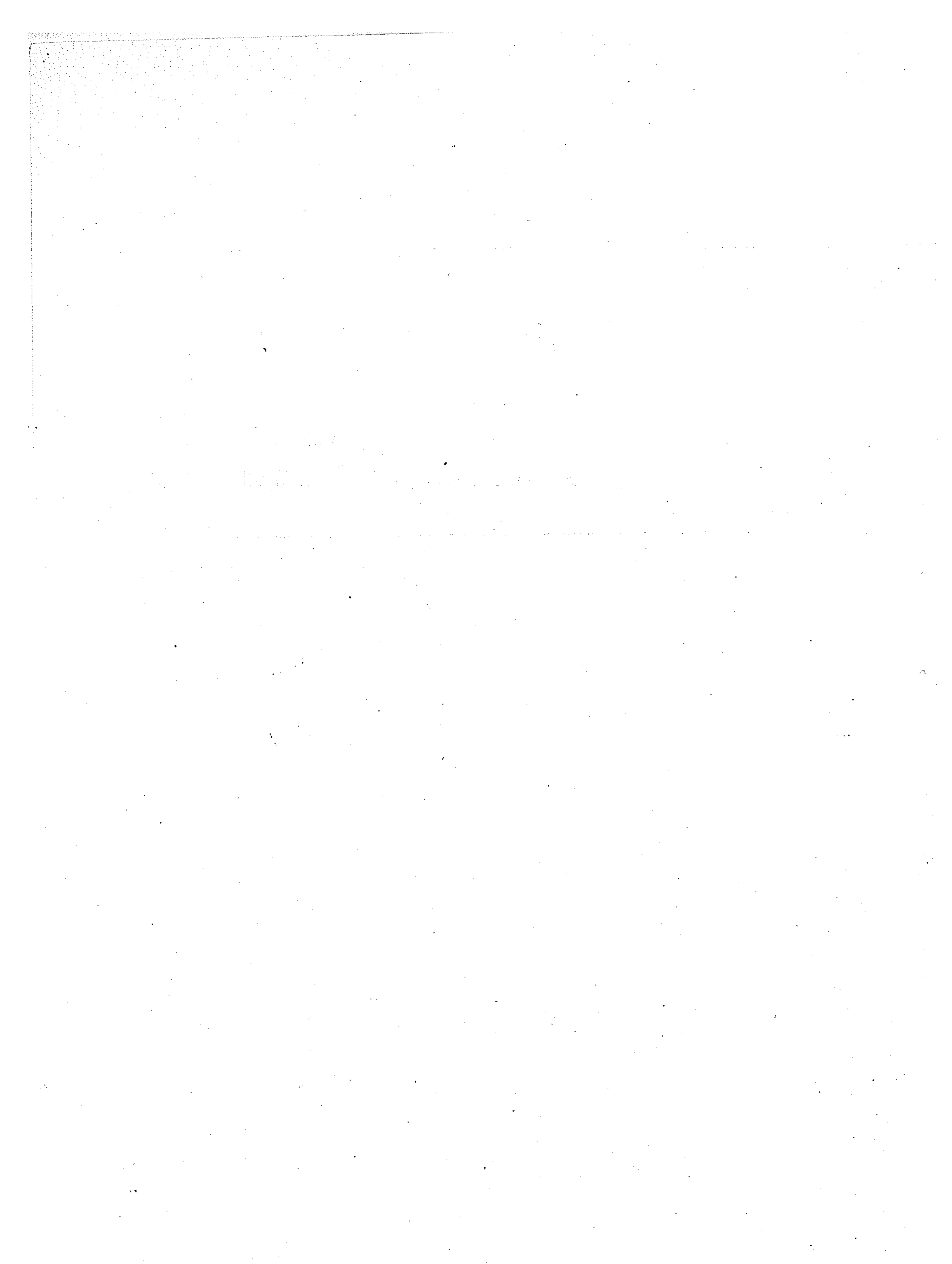
« ستار »



الفصل الثالث

الزمان :   الوقت الحاضر

المكان :   الكوفة .. أي مكان يمكن أن يجتمع فيه الرجال .



الكورس : يختلفُ الماءْ
تختلفُ الأوجهُ والأسماءْ
لكنْ مثلَ دِلاءِ الناعورْ
تتشابهُ وهيَ تدورْ
تتشابكُ وهيَ تدورْ

المسيح : « مصلوباً عرض خلفية المسرح »
لأنيَ فرَّقتُ في الناسِ لحمي
لأني حملتُ عذاباتِهم
لأني تسمَّيتُ بآسمي

المسيح : « مصلوباً أسود »
لأني فرَّقتُ في الناسِ لحمي

المسيح : « مشنوقاً »
لأني حملتُ عذاباتِهم

المسيح : « مقتولًا بالرصاص »
لأني تسمَّيتُ بآسمي

« أصوات من جميع أرجاء المسرح »

— لأني فرقتُ في النا ...

— لأني حملتُ ...

— لأني ...

— لأني ...

— لأني ...

— لأني ...

الكورس : كلُّ زمانٍ يحملُ قَتلاهْ

كلُّ مكانٍ يدفنُ قتلاهْ

والناعورُ يدورْ

يَلدُ الدَّهرُ الأزمانْ

يلدُ الموتُ الإنسانْ

لكنَّ الخوفْ

يَلدُ الطوفانْ

لكنَّ الخوفْ

يلدُ الطوفانْ

« يختفي الكورس »

عمار : « منادياً وهو يدخل على الجمع »

أيُّها الناسْ

هبطَ الغيمُ في أرضكم

هَبطَ الغيمُ في أرضكم

أيُّها الناس

— ماذا يا عمار ؟

— ماذا يا عمار ؟

عمار : غيمةٌ

غيمةٌ هبطتْ في مَداخلِ أبوابكم

وهي تسألُ

هل مسَّكم عَطشٌ

— أوضحْ يا عمار

— أوضحْ ..

عمار : يا أهل الكوفهْ

ألف عامٍ تعضُّون فوق أصابعكم ندماً

ألفَ عامٍ وعطشانكم يرفعُ الكأس

يُبصر خيطاً من الدَّمِ في الماء

ألفاً ،

وأنتم تَخـطُّون فوقَ الرؤوس

وفوقَ الظهورِ

وفوقَ الصدورِ
تواريخَ آبائكم
وتقولون يا لَيـتَنا
وتقولون لولا ...
ولو أنَّنا ..
ها هو الآنَ إنْ كنتمو صادقين

— مَنْ هو الــ...

— مَنْ ؟؟

— تكلَّـمْ

عمار : رسولُ الحسينْ

« يثب اليه جماعة من الحاضرين ، في حين يحدث الخبر هزة عنيفة فيهم جميعاً . »

— رسولُ الحسين ؟؟

عمار : على مدخل الكوفة الآنِ هل مَنْ يبايعُه ؟

« الحضور ينظرون الى وجوه بعضهم وألسنتهم معقودة في حين يتسلل بعضهم هرباً . »

عمار : قد أتاكم رسولُ الحسين
فهل مَنْ يبايعُه ؟

حارث : « وهو يثب اليه »

مهلًا

مهلًا

ما هذا يا عمار ؟

عمار : ماذا يا حارث ؟

حارث : أسؤالٌ تسألُه ؟

عمار : بل خبزٌ أحملُه

حارث : فإذنْ كنت بشيراً

لكنَّك ما أحسنْتَ البشرى

عمار : أَوَ لم أفعلْ ؟

حارث : كلّا واللّه

إنَّها فَرحةُ العُمر

كِدْتَ تحوِّلها كَدراً

وتُسائلُ :

- هل مَنْ يبايعُهُ ؟!

لَكأنَّك تدفعُ أمراً يقيناً الى الشكّ

« آخرونِ يتسللون هرباً »

عمار : « وهو ينظر اليه والى المتسللين »

هل .. برحَ الشكُّ يابنَ أبي عوف ؟

حارث : « يسحبه جانباً »

ويحكَ يا عمار

أَولم نُجمعْ أمسِ على البيعةِ ؟

عمار : بلْ أجمعْنا

حارث : فلماذا تبدو وكأنَّك تستجدي ؟

عمار : ويلك ! -

الأمرُ وصاحبُه أكبرُ من شتْمِكَ هذا

حارث : فلماذا ؟؟

عمار : إنَّك أوَّلَ مَنْ يعلمُ يابنَ أبي عوف

لماذا !

« يطيلان النظر الى بعضهما »

حارث : « يتجه الى الحاضرين »

يا أهلَ الكوفهْ

أَوَما أجمعْنا أمسِ على البيعه ؟

عمار : « بحيث يسمعه الجميع »

أتظلُّ تُعيدُ سؤالَك هذا يا حارثْ ؟

تعلمُ أنَّا أجمعنا ،

لكنْ تعلمُ أنّا لم نُجمعْ إلا سرّاً

حارث : والآن سنعلنُها

وأنا أوّلُ مَنْ يفعلُ يا عمارِ

أوّلُ مَنْ يفعلْ

عمار : « مع نفسه »

أوّلُ مَنْ يفعلْ

وستُسلمهُ قبل صياحِ الدّيكْ !

حارث : « يتجه الى مرتفع يقف فوقه ، فيقاطعه معتوق »

معتوق : كلا واللّه

لن يبدأها غيري

آخرون : « ينهضون إليهما »

بل نبدأها نحنُ

آخر : مهلًا يا حارثْ

مهلًا يا معتوقْ

ما هذا ؟

هل التبسَ الأمرُ حتى أضاعتْ جميعُ

الرجالِ مواضعَ أقدامِها ؟

« يلتفت الى الجمع »

يا أهل الكوفهْ
هذا شمرانُ الضّاري
هل فيكم مَنْ يجهلُـهُ ؟
أوسعِوا في الطريق لشيخ الفراتين
لا أحدٌ غير شمران يبدأها

عمار : « لنفسه ، بينما شمران يتجه الى المرتفع »
هكذا دائماً
ألف عامٍ وأصواتُكم هكذا
ألف عامٍ وأجسامُكم هكذا
تتزاحَـمُ حتى لتيأسَ أقدامُ كلِّ الحُفاةْ
أن ترى موضعاً بينكم دون أن تطأوها
وفي لحظةٍ
يجدُ المستغيثُ بكم نفسَـهُ عارياً
وخناجرُكم تتسابقُ نحو مُقاتلِـهِ
قبل أن يتجاسر أعداؤه

شمران : « وقد استقر على المرتفع »
ألا فليستمعْ مَنْ شاءْ
ألا فليستَمعْ مَنْ شاءْ

أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ واليَتُ
بايعْنا الحسين خليفةً
يا قومْ
أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ ...

« آخرون يتسللون هرباً »

— نحن أيضاً نُبايعُ
— هذي مواثيقُنا نحنُ
خمسون من بيتِ عبدِالعزيز

« اثنان ينسحبان الى زاوية المسرح »

الأول: أيَّ رأيٍ ترى ؟
الثاني: ما لَنا نحنُ ؟
بيعتُـهُم بينهم
لك رأسُكَ حمدأن
فانجُ به
ثم طأطِئهُ بين يدَيْ مَنْ يكونُ الخليفةَ ..
هيَّا بنا

« يخرجان »

— وعشرونَ من آل نِعمان

حارث : على رسلِكُمْ

— وثلاثونَ من آل عثمان

حارث : مهلًا

دعوني أسجّلُ أسماءَ مَنْ بايعوا

— سَجِّلْ من بيت الأنصاري عشرينْ

— مائةً من آل شهاب الدّين

« يتميز في المشهد ثلاثة حفاة بائسي المظهر يتحرك كلٌّ من ناحية »

الأول : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثاني : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثالث : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثلاثة معاً : « يجتمعون الى بعضهم »

هل مَنْ يسمعُنا ؟

— مئتا رجلٍ من بيت ضياء الدين

الثلاثة : ألا مَنْ يسمعُنا

نحنُ ثلاثةُ أشخاصٍ ...

— مائةٌ وثلاثون يداً من بيت جلالْ

كلُّ يدٍ فوق زنادْ

الثلاثة : مَنْ يكتبُ عنَّا ؟
نحن ثلاثة أشخاصٍ لا نملكُ
إلا أنفسنا .

رشيد : « وهو يدخل على الجمع »
ما هذا ؟
ماذا تفعلُ يا حارثْ ؟

« بلبلةٌ بين الحاضرين ، ثم يسود صمت مطبق »

حارث : كما ترى
نوثِّقُ البيعةَ للحسينْ

رشيد : ماذا ؟؟

حارث : أقولُ إنَّنا هنا لبيعةِ الحسينْ
ولن يمرَّ اليومُ حتى نجمعَ الرجالَ والسلاحْ

الثلاثة : مَنْ يجمعُ عنَّا هذي الأسماءَ ؟
نحن ثلاثةُ أشخاصٍ ...

رشيد : « مقاطعاً » أغلقوا فَمكُمْ
من بيتِ مَنْ أنتم ؟

الثلاثة : ليس لنا من بيتْ

رشيد : فبآسمِ مَنْ ؟؟

الثلاثة : أسمائنا

رشيد : أنتُم ؟!

حارث : رويداً يا رشيد

رشيد : بل تَـرَوَّ أنتَ يا حارثْ
ماذا تراكَ صانعاً بهذه الأسماءْ ؟

حارث : قلتُ هي البيعةُ يا رشيدْ

رشيد : حارثْ
لعلَّكَ لم تنسَ أنَّ الحسينَ سيُقتَلُ
بعد ثلاثين يوماً

أصوات من
بين الحاضرين: سيُقتَلُ بعد ثلاثينَ يوماً ؟؟

رشيد : وها أنتَ تجمعُ أسماءَ أعوانِهِ

حارث : كيف تجرأُ ..؟

رشيد : « مقاطعاً »
بل قُلْ لهم حارثَ بن أبي عوف
أنكَ قبلَ الصباحِ ستُسْلِمُ هذا الرسول

لأعدائِـهِ ثمَّ يُقتَلْ

أصوات : مكيدةٌ إذنْ

آخرون : مكيدةٌ مدبَّرةْ

« يهجمون جميعاً على حارث »

هاتِ أسماءنا

هاتِ أسماءنا

عمار : « وهو يحول بينهم وبين حارث »

يا قوم

لا تُمكِّنوا عدوَّكم منكم

يا قوم ..

المهاجمون : هاتِ أسماءنا

— سعيدْ

انتزع الأسماءَ من يَـدَيه

« يتمكنون من حارث ، فينتزعون منه الأوراق »

— هاتِها

— هاتِها

« يخرجون جميعاً »

« يبقى في المشهد عمار وحارث ورشيد والحفاة الثلاثة »

عمار : شوَّه اللّهُ أوجُهَكُم
شوَّهَ اللّهُ مَنْ يستعينُ بكم
ألفَ عامٍ تُمنّونَ أولادكم
ألفَ عامٍ يشبُّ الرَّضيعُ بأحضانِ نسوتِكُم
وهو يحلمُ أن يرتدي كفناً
ليُقاتلَ عن شرفٍ باعَهُ أهلُهُ
كيف يدخلُ داخلُـكُـم بيته الآن ؟

« يلتفت الى الحفاة الثلاثة »

وأنتمو
يا أيُّها الحفاةُ حتى ساعة القيامهْ
يا مَنْ تجيئون وتمضون ولا يعلقُ في ثيابكم
من أجرِها قُلامهْ
من ألفِ عامٍ وأنا أرقبُ
لو يسألُ منكم واحدٌ عن وجهةِ السَّلامهْ
لكنْ تجيئون وتمضون ..
ويبقى موتُكم في جبهتي علامهْ
هيَّا بنا
يا خير مَنْ تحملُ هذي الأرض

رشيد : « وهو يستوقفهم »
الى أين عمار ؟
« يقفون »
أتحسبُ أنَّكَ تنجو بهم ؟
سوف تُقطع أعناقُهم قبلَ أن يبلغوا مدخلَ السوقْ
وأنت على رأسهم

الثلاثة : اسمعْ يا هذا
نعلمُ أنَّا سنموتْ
بايعْنا في الطَّـفِّ ومتنا
بايعْناهُ بسيناء ومتنا
بايعْناهُ بتلِّ الزَّعتر أمس ومتنا
ونبايعُه في الأرض المحتلة كلَّ نهارٍ
ونموت ...
« يلتفتون الى عمار »
هيَّا بنا يا صاحب الحسينْ
« يخرجون »
« يبقى في المشهد حارث ورشيد »

رشيد : ما الذي جِدَّ حارثْ ؟

ألفَ عامٍ ونحن نمثّلُ أدوارَنا .

كنتَ تُتقنُ دورَك حدَّ العمى

فلماذا تعمَّدْتَ أن تُفسدَ المشهدَ الآن ؟

حارث : اسمعْ رشيد

لـنَـعُـدْ ألفَ عام ..

رشيد : « مستغرباً »

الى أين حارث ؟

حارث : للنهار الذي ابتدأتْ فيه هذي الروايه

رشيد : « ضاحكاً »

هكذا ...؟

كنتُ أسألُ نفسي :

لماذا يغيّر حارثُ في دوره ؟

صرْتَ تنسى إذنْ ..!

« وهو يواصل الضحك »

لا عليك ،

نعودُ لأول عرضٍ لها

سنُثبِّت كلَّ تفاصيلِ أدوارنا

حارث : سوف تبقى رشيدُ أميناً لدورِكَ هذا

الى ان تقومَ القيامه

رشيد : وأنت ...؟

ودورُكَ أنت ...؟

ألستَ أميناً عليه ؟؟

حارث : دعْ أمر دوري الآن

فلي حديثٌ موجعٌ بشأنِه معكْ ..

إني أبحثُ عن شيء آخر ..

« وكأنه يخاطب نفسه »

عن وجهٍ ،

أقسمُ أني أعرفُهُ ،

وكأني أبصرُ ختماً في جبهتِهِ

لكنَّ سنيناً ألفاً أكلتْ ذاكرتي

رشيد : لا يعنيني يا حارثُ ما تبحثُ عنهُ لنفسكْ

لكنْ يعنيني ألا تُهملَ تفصيلًا

مهما كان صغيراً

في دورك

حارث : اسمعْ يا هذا

أما ما أبحثُ عنه لنفسي

فكبيرٌ لا تدركُه أنت ..

وأما دوري

فاَعلمُ أني سأغيّر هذا الدَّورَ جميعاً

رشيد : ماذا ؟؟

حارث : « ينفجر ضاحكاً »

جاء دوري لكي أضحك الآن

رشيد : قاتَلَكَ الله ...

للحظةٍ أوشكْتَ أن تُوقِعَ بي

حارث : كيف ؟

رشيد : توهَّمتُكَ تعني ما تقولُ في الحديثِ عن دورِكْ ..

أنتَ تتقنُ أن تُلبِس الهزْل وجهاً مخيفاً من الجدّ

حارث : بل انني الآن أُلبسُ جدّيَ وجهاً مخيفاً

من الهزْل !

سأرفضُ دفعَ رسولِ الحسينِ لجندِك

رشيد : أنتَ ؟؟!

حارث : أجل

رشيد : « وهو يضحك هازئاً »

ألفَ عام وأنتَ تجيءُ به صاغراً

حارث : كنتُ أفعلُ ذلكْ

رشيد : وستفعلهُ الآن

حارث : هيهات ...
اسمعْ رشيدْ
بماذا تفسّرُ أني تخلَّيتُ عنهُ لكم وقتَها ؟
رشيد : « بتردد »
تُريدُ الصَّراحةَ ؟
حارث : طبعاً
رشيد : بخوفِكَ حارث
لا شيءَ عندي يُفسّر تسليمَهُ غير خوفِكْ
حارث : صدقتَ
رشيد : وسوف تعاودُ تسليمُه الآن
حارث : كلّا
رشيد : إذنْ فسنأخذُه عُنوةً
ثم نقتُلهُ بين عينيك
حارث : ها نحنُ نبدأ ...
هذي البدايةُ أقبلُها !
رشيد : أفتدري الى أين سوف تقودُك هذي
البدايةُ ؟
حارث : ماذا ترى أنت ؟
رشيد : كلُّ التفاصيل تبقى كما وقعتْ
غير شيءٍ صغيرْ

مصيرُك أنت ...
مصيرُك أنت الوحيدُ الذي يتغيَّـرْ ...
سوف تُقتلُ حارث

حارث : « ينفجر ضاحكاً بعنف »
يا ليتْ ..!
« وهو يواصل الضحك »
كنتُ أحسبُ انكَ أذكى
تهدّدني الآن بالموت ..؟
مَنْ لي بهِ ؟

يومَها يا رشيدْ
حين طوَّق جُندكَ بيتيَ من ألفِ عامْ
كنتُ مِن أوَّلِ الليلِ
أمسكُ ميزانَ أمري لأرفعَهُ ..
كنتَ أنتَ وبهْرجةُ العيش في كفَّةٍ
ورسول الحسين مع الموت في كفَّةٍ
ويَدُ الخوفِ ترجفُ بينكما
وهيَ ترفعُ ميزانَها !.

تعلمُ يا رشيدْ ؟

لـم أحتقرْ نفسي كما احتقرتُها لحظةَ جاءَ الموتْ ...
حملتُ ذاك النَّدم
حملتُ طولَ العمر إحساسيَ بالجُبن وبالخيانهْ
ومثلما تطرِفُ عينٌ أقبل الموت
لماذا ؟
قُلْ .. لماذا ؟
بأسمِ مَنْ إذنْ ؟؟

وتجيءُ تُهدّدني الآن بالموت !
يا ليت ..
مَنْ لي به ؟
ما الذي ستُضيفُ سوى أنْ تُقدِّم ميعادَهُ
ساعةً ؟؟

« لحظة صمت »

حارث : « مباغتاً »

هاهو ذا !

رشيد : مَنْ ؟

حارث : ذلك الوجهُ الذي أبحثُ عنه منذُ ألفِ عامْ

« مشهد »

« ياسر . عائشة زوجته . أصوات جنود عبيدالله »

« المشهد يدور في بيت ياسر والجند يطوقونه »

عائشة : ماذا تنوي أنْ تفعلَ يا ياسرْ ؟

ياسر : لا أدري ماذا أفعلُ يا أمَّ سُليمْ

عائشة : أطبقت السَّكينهْ

إنَّهم الآن يراقبون حتى الظلَّ في مسالِك المدينه

أُوصدتْ المنافذْ

أوصدتْ الأبوابْ

وبيتُنا ،

لا منفذٌ منهُ

ولا مِن منفذٍ اليه

كلُّ حجارةٍ من الجدرانْ

وراءها سيفٌ ،

وفي أعقابها عينانْ

رشيد : « الى ياسر الغريق في مشهد يراه وحده »

عسى أن تراجعَ نفسَك حارثُ

حارث : « مقاطعاً بمرارة »

صمتاً رشيدْ

أنا الآن في حضرة الحقِّ كلِّـهْ
وفي حضرة الموت كلِّـهْ
فهبني سكوتَك عني ولو لحظةً

« يصمت رشيد مستغرباً .. بينما يستمر المشهد »

صوت من الجند
خارج البيت : يا ياسرْ
بيتكَ نُصْبَ العينْ
سلِّمنا أعوانَ حسينْ
تْنجُ بنفسِكَ وبأولادكْ
أو فالويلْ
إنَّا منتظروكَ الى أن يعتكرَ الليلْ
إنَّا منتظروكَ الى أن يعتكرَ الليلْ

عائشة : « مباغتة »
واويلتَا ياسرْ
سُليمُ خارجَ الدارْ
ما عاد مُـذْ أرسلتَـهُ لعمار

ياسر : « بقلق شديد »
تأكَّدي يا عائشه

لا بدَّ ان يكونَ في إحدى زوايا البيتْ

عائشة إحدى زوايا البيت ؟؟

أرسلتَـهُ لكي يرى عمار

فكيف عاد دونَ أن يراك ؟

« منادية وهي تبحث في أنحاء البيت »

سُليم

سُليم ..

ياسر : « «منادياً هو الآخر وهو يبحث »

سُلْيم ..

يا سُلْيمْ

سليم : « من خارج الدار وقد أمسك به الجنود »

أتركوني

أتركوني

ياسر : هذا صوت سُليم

« منادياً بفزع »

سُلْيم

سليم : « منادياً من الخارج »

أبتاه

عمار يُقرِئُك السلامْ

عمارُ ماتْ

عمار يُقرئك السلامْ

عمارُ ماتْ

« الجنود يكمون فمه »

عائشة : « صارخة »

سُليم

إبني .. حبيبي

« تهمّ بالخروج فيمسكها ياسر »

دعني أرى ولدي

دعني أراه

صوتٌ

من الخارج : يا ياسرْ

هذا ابنُكَ في أيدينا

افتحْ بابَ البيتْ

أو نذبحهُ الآنْ

عائشة : « وهي تحاول التخلص من يد زوجها »

لا ..

لا ..

نفتحُها

نفتحُها

ياسر : « وهو يتشبث بها بكل قوته »

يا عائشه

يا عائشه

لسنا سوى مسلمَينْ

تذكَّري ،

بمثل هذا امتحنوا محمَّـدْ

عائشة « وهي تجاهد للتخلص من يديه »

ابني الوحيدْ

ياسر : عائشه

استغفري اللّهَ فنحنُ معشرٌ مؤمنونْ

أيَّ حياةٍ تحفظينَ لسليمٍ لو فتحت الآن

هذي البابْ ؟

عائشة حياتُـهُ رهنٌ بهذي الباب يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُ هذي البابَ يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُها

يعيشُ ..

ياسر : يعيشُ .. لا ،

لكنَّهُ ينجو من الموتِ

لكي يموتَ ألفَ مرةٍ في اليومْ
أتعلمينَ عائشةْ
إن أنتِ أبقيتِ عليهِ الآن بالخيانه
بأنْ تُبيحي هذهِ الأمانه
لأيِّما مهانه
لأيِّ عمرٍ ملؤهُ العارُ ستُسْلمينَـهْ
سوف يظلُّ عمرَهُ
خطوتُـهُ لعينه
طلعتُهُ لعينَـهُ
يُثقلُها العارُ ،
فلا يرفعُ فرطَ عارِهِ جبينَـهْ

صوت
من الخارج : يا ياسرْ
عنقُ ابنِكَ تحتَ السيفْ
إن لم تفتحْ هذي البابْ
فسنُلقي الآن إليكَ برأسِهْ
سليم : « صارخاً من الخارج »
أبي ..
عائشة : ولدي

ياسر : عائشه

لحظةٌ يتَعذَّبُها

لحظةٌ ثم يسكتْ

ثم يبقى لهُ الصوتُ حتى تقومَ القيامه

عائشة : ولدي

ياسر : عائشه

إنَّــهُ ولدي أنا أيضاً

ولأني أموتُ عليه

سأجنِّـبُـهُ أنْ يكونَ مُهاناً ذليلًا

إنْ يكنْ عمرُهُ رهنَ أن تفتحي هذه الباب

فلتعلمي

أنَّ في فتحها

فتحَ بابٍ لهُ في جهنَّـمْ

سوفَ يلعنُنا كلَّ لحظه

اننا لم نصُـنْ حرمةَ اللّهِ فيه

لم نصُـنْ حرمةَ الأبِ والأمِّ فيه

عائشه

إنَّها حكمةُ اللّهِ

فاحتسبي في سُلَيمْ

سليم : « يصرخ مذبوحاً »

« ياسر يذهل . تفلت زوجه من يديه وتصعد الى سطح الدار وهي تصرخ »

عائشة : وا ولدَاه

وا ولدَاه

ياسر : « يحاول اللحاق بها فلا يدركها »

عائشة

يا عائشة

عائشة : « وهي تلقي بنفسها من سطح البيت »

سُلَيم ...

أعوان البيعة : « يخرجون من البيت الخلفي الى ساحة الدار حيث ياسر »

— ما هذا ؟

ماذا يجري يا ياسرْ؟

ياسر : « مع نفسه باكياً »

حسبيَ اللّهُ فيكما

حسبيَ الله يا سليم

حسبيَ الله وكيلًا فيكِ يا أُم سليمْ

— ماذا ؟؟

— هل قتلوا طفلَـكَ يا ياسرْ ؟

— ولم تَقُلْ شيئاً لنا ؟

— تتركُنا مختبئينَ عن مَـهَـبِّ العاصفه

ويذبحون ابنكَ ، ثم يقتلون أمَّـهُ
ولم تقلْ ؟
— ماذا تظنُّنا ؟
نعاجاً خائفه ؟
— ماذا أقولُ الآن يا ياسرْ ؟
— استغفرُ اللّهَ لنا ؟
لا غفرَ اللّهُ لمَنْ يظلُّ حيّاً بيننا الساعةَ
يا ياسرْ
« الى صاحبه »
سيوفكَم يا إخوةَ الحسينْ

ياسر : « يعترض طريقهم مقاطعاً »
مهلًا أبا أُمامه
مهلًا أبا سُهيلْ
واللّهِ لن يُسلمكم بيتي وفيهِ عَصبٌ ينبضُ بالحياة
— نخرجُ كُـلًا
ياسر : لا ورَبِّ البيت .
هَبونيَ راحة أن أسبقَ الناسَ لابني وزوجي
وراحةَ ألَّا أرى مَنْ تكفَّلتُهم يُقتلونَ أمامي ..
ما بينَنا ،
لحظةُ أن أجتازَ هذي البابْ

ثم احملوا ورائي

« يفتح الباب ويخرج شاهراً سيفه »

لبَّيكِ يا عائشهْ
لبيكَ يا سُلَيمْ ...

« يخرجون خلفه ويختفي المشهد »

حارث : « يلتفت الى رشيد وكأنه أفاق من حلم »
كنتُ أشرفُ من سطحِ بيتي
ورأيتُ ابنَه كيف قطَّعتموه ،
وزوجتَـهُ وهيَ تلفظُ أنفاسَها
كيف عذَّبتُموها
ورأيتُ مروءَتَـهُ وهو يدفعُكم عن محارمِـهِ
وكان مثلَ الأسدِ الجريحْ
ينضحُ كلُّـهُ دماً
وما هوى ،
كأنَّـهُ كان يجولُ بينكم بألفِ سيفْ

رشيد : فإذنْ ..

كنتَ تستذكرُ الآن ياسرْ ؟

حارث : كنتُ أستجمع الآن ياسرْ ؟

وأوازنُ ما بيننا

رشيد : لكنَّهُ ماتَ

ومات كلُّ مَنْ معَهْ

حارث : كلُّنا بعد ذلك متنا رشيدْ

كلُّنا بعد ذلك متنا

فرقُ ما بيننا

أنني ألفَ عامٍ قطعتُ لأجتازَ خوفي

بينما اجتازَ ياسرُ في لحظةِ

مرَّةً في حياتي بكيتْ

حين أبصرتُ ياسرَ يهوي

ما بكيتُ عليه ،

ولكنَّني مثلما تَنشجُ امرأة ثاكله

كنتُ أبكي لنفسي التي خنتُها

رشيدْ

أعدْ إليَّ اللحظة الأولى لكي أرفضَ أن

أدفعَ ذلك الرَّسول

ثم هذي عُـنُقي
أمدُّها لتقطعوها ألفَ مرةٍ رشيد
عدَّ هذهِ السنين أرجعوا رأسيَ واقطعوه .
شرطَ أنْ أستعيدَ البدايهْ

رشيد : لا تعجَـلْ حارث
يبدو لي أنّا سنواجهُ ما لم نألـفْـهُ الليله
اذهَبْ لتستقبلَ صاحبَـكْ
وانتظرني وجُندي

عزيزٌ عليَّ وأنتَ صديقي من ألفِ عامْ
أن أطيحَ برأسكَ حارث
وبسيفيَ هذا

حارث : لا بأسَ يا رشيدْ
يأتي يومٌ تخجلُ أن تنظرَ فيه لسيفك هذا
تندى عَـرَقاً حتى من نَـظَرات الأطفالِ إليك
حينئذٍ ،
يتغيَّر في تمثيليَّتنا دورٌ آخر
رشيد : أنت تحلمُ حارث
حارث : بل أكادُ أرى ذلك اليوم ..

كم يستغرقُ ذلك ..؟

لا أدري

لكنَّني كما أراك الآن يا رشيدْ

بنفس هذا الصدقِ والوضوحْ

أراهمو ..

كل الذي مثَّلوا في هذه الروايةِ الملعونه

وهم يثورون على أدوارهم

سيدخلون نفسَ هذا المسرح الرَّهيبْ

لكنْ لكي يُغيِّروه لُوحةً لوحهْ

عندها

ستكونُ بدايةُ عصرٍ لا تعرفُه أنتَ الآن

رشيد : ما أعرفُه

أنك ما أبقيتَ ليَ الآن خياراً في رأسِكَ هذا

هيَّا بنا

« يخرجان ... »

« يدخل المعمدان مقطوع الرأس ومعه دليل يقوده »

المعمدان : ماذا ترى يا دليلْ ؟

الدليل : مدى المَدى صُلبانْ

جفَّت على أعوادِها الأذرعُ والسّيقانْ

هذا غلامٌ لم يزل يرفسُ

المعمدان : سلْـهُ

الدليل : « يذهب اليه »

أيُها الصَّبيُّ .. مَنْ ؟

الغلام : « صوت من خلف المسرح »

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن !

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن !

المعمدان : أحياناً يا ولدي

أسألُ نفسي :

ما جدوى أنْ تبحثَ عن رأسك يا يحيى

كلُّ عامٍ يمرُّ

يزيدُ يقيني بأني إذا عادَ رأسي الى عُنقي

فسأفقدُه بين يومٍ وليله

الدليل : مَنْ سيجرأُ يا سيدي ؟

المعمدان : الزَّمانْ

الزَّمانُ سريعُ هنا يا بُنيّ

يومَها

كلُّ شيءٍ هنا كان يأتي بطيئاً

لكي يصلَ الموتُ يحتاجُ وقتاً

لكي يصلَ الخوفُ ذَروتُهُ حَـدَّ أنْ يستوي قاتلًا

كان يحتاجُ وقتاً

ولكنْ ..

تغيَّرت الآن كلُّ الأمورْ

يأتي الفرحُ ويمضي في طُرفةِ عينْ

يأتي الحزن ويمضي في طُرفةِ عينْ

أما الخوفْ

فأنه لحظة يبتدَي يكونُ قاتلًا !

وهكذا يا ولدي

يبدو عبثاً أن أبحث عن رأسي

إني أعلمُ إنْ عاد الى أكتافي

كم سيثيرُ الخوفْ

الدليل : أتحاولُ يا سيدي أن تعودَ بنا دونَ أن ..

المعمدان : « مقاطعاً

لا ..

سنواصلُ يا ولدي البحث .

هيَّا بنا

« يخرجان »

الشمر : « يدخل الى المسرح بملابس معاصرة ، ويوجه كلامه الى جمهور القاعة »

يا أهلَ هذا العصرْ
أيُّكم الحسينْ ؟

شاب
من القاعة : مَنْ أنت أيُّها الغريبْ ؟

الشمر :

« مستنكراً »

مَنْ أنا ؟؟
هلَّا دنوتَ أيُّها السائلْ
الشاب : لماذا ؟
الشمر : أدنُ إليَّ كي ترى وجهيَ عن كثبْ
فربما عرفتَني
الشاب : « يخرج من صفوف المشاهدين ، ويصعد الى المسرح حيث الشمر ثم يتأمله ملياً .. »
ما زلتُ أسألُ :
مَنْ أنت ؟

الشمر : الآن صار السؤالُ يضيفُ الى الأمر بُعداً جديداً .
أأُلفيَ وجهي فما عادَ يعرفُهُ أحدٌ ؟

أم تكاثرَ في عصركم حدَّ ان لم يعدْ يتميَّز
عن غيرِهِ ؟

الشاب :
ألا تريدُ الآن أن تُخبرنا مَنْ أنت ؟

الشمر :
ما جدوى هذا ؟
إذا كان عصرُك يجهلُني
فالأوانُ إذنْ فاتني
والحسينُ استتبَّ لهُ الأمر
أما إذا كنتُ في عصركم
قد تكاثرتُ حدَّ التباسِ الوجوهِ عليكم
فقد فاتَني الأمرُ أيضاً
إنَّ شمراً سوايَ انتهى الآن من قطْعِ رأس الحسين !

شاب آخر
من القاعة : شمرُ بنُ ذي الجَوشنْ إذن ؟
الشمر : أفزعتُكم ؟؟
الشاب الأول : لا ..
لم تعُـدْ تُفزعُ يا شمرُ
فهذا العصرُ لا يحتملُ الفزعْ

الشمر : كبرتُم على أن تخافوا إذن .. ها ؟

الشاب الأول : كبرنا ..؟

نعم .. ربَّما

الشمر : نلتقي بعدَ يومين ..

آملُ أن نلتقي

وأنتَ بحجمِ ادّعائِكَ هذا

الشاب : ستَراني ..

إذا أنتَ لم تبتعدْ بطريقكَ عن حيِّنا

الشمر : لا تخفْ

لكَ عهدٌ بأني سأبحثُ عنك

الشاب : أما عناءُ البحث

فإنني أغنيكَ عنهُ يابنَ ذي الجَوشنْ

سوف تراني حيثما مضيتْ

الشمر : « متوعداً وهو يخرج »

سوف نرى

سوف نرى

الشاب : « منادياً »

يا شمر

يا شمر

الشمر : « يتوقف ويلتفت إليه »

الشاب : إذا كنتَ حقاً تحاول أن تلتقي بالحسينْ
لتقتلَه مرةً ثانيه

الشمر : « مقاطعاً »

بل لأقتلَهُ المرةَ الألف

الشاب : إسمعْ إذنْ
سأدلُّـكَ أينَ تُلاقي الحسينْ
أمامكَ كلُّ نخيلِ العراقْ
ونهرُ الفرات الذي تتذكَّرهُ
إشهرْ سيفَك
إن كان لكَ الساعةَ سيفْ
واهْـوِ به فوق رقابِ النخلْ
فإذا قُطعتْ
وتدحرجَ هامُ النخلِ جميعاً
وإذا انتشرَ الطَّلعُ على الأرض
خضيباً بالدَّم كحباتِ الياقوتْ
فـجُـزْ للفراتْ
ومُـرْهُ بأنْ يسكُنَ الموجُ فيه
وان يتراخى لسيفِكَ بلعومُـهُ
إذا قطعْتَ عنقَ الفراتْ

وأروسَ النَّخلِ جميعاً يابنَ ذي الجَوشنْ
فعدها ،
تكونُ قد قتلتَ فينا الحسينْ

الشمر : هكذا ؟!

الشاب : لا تنسَ هذا ..
أروُس النخلِ جميعاً يابنَ ذي الجوشَنْ
فنخلةٌ واحدةٌ
تُخـطُـئها ،
يطلعُ منها الحسين

الشمر : هكذا ؟؟!
ما يمنعُني الساعةَ أن أقطعَ رأسكَ هذا ؟

الشاب : أرأيتْ ؟
أنتَ تحاولُ أن تمتحنَ الساعةَ خوفكْ
صرتَ تُجرىءُ نفسك كي تقطعَ رأس فَسيلةِ نخلٍ
إذهبْ يا شمر
واجعل خوفَك حجمَ الأرض جميعاً
عندئذٍ عُـدْ ..
سترى الحسينَ في انتظاركْ
لكنْ تراهُ مفعماً بكلِّ ماءِ الفراتْ

مُسوَّراً بكلِّ هذا النخيلْ

الشمر : « وهو يخرج »

الويلُ لكْ

« يخرج الشاب من المسرح »

« المعمدان ودليله يدخلان »

المعمدان :

ماذا ترى يا دليلْ ؟

الدليل : أبصرُ أكواماً من الرؤوسْ

أبصرُ خلقاً تقشعرُّ منهم النفوسْ

رقابُهم مقطوعهْ

أرجلُهم في بِرَكٍ من دمِهِم مزروعه

تجمَّعوا حول تلول الهام

يأخذُ كلٌّ هامةً

يركزُها في عُنقِـهْ

ثم يسيرونْ ..

المعمدان : الى أين ؟

الدليل : الى أمامْ

هناك في الأفُقْ

ألمحُ رايةً على رابيةٍ مرفوعه
وكلُّهم يجتمعون حولها

المعمدان :

صِفْها

الدليل :

على ذروتها هلالْ
وحولَها تموجُ موجاً جثثُ الرِّجالْ
كأنَّما كَبَّر تحت ظلِّها بلالْ

المعمدان :

ما لونُها ؟

الدليل :

سمراءُ كالرِّمالْ
حمراءُ كالرمالْ
بيضاء كالرمالْ

المعمدان :

أسرعْ إذنْ

الدليل :

أينَ ؟

المعمدان :

التقطْ رأساً
وعدْ إليَّ

الدليل :

يا سيدي
رأسك ...

المعمدان :

هذا كلُّه رأسيَ
عجِّلْ قبلَ أن يفوتَنا الأوانْ
أدركتُها ...
أدركتُها ...
أدركتَ يا يحيى إذنْ بداية الطوفانْ !
أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان ...

« تمت »

من أين هدووك

هذي الساعة

قصائد مختارة

١٩٨٢

يا زمانَ المعجزاتْ

زمنٌ يأتي ،

يكون الصِدقُ فيه المعجزة

عبدالرزاق

الصّور

يدي جرحُ
ختمتُ به على الأفواه
مَنْ يملكْ نقاءَ الله
صوتاً ماحياً
يمحُ

برزتُ إليكَ من كفَني
بأوسعَ من مدى الصحراءِ جئتُكَ يا مدى الصحراء
أنا العازِرْ
أنا الموتُ المؤجَّـلُ بينكم
لا بدء
لا آخـرْ
أجوبُ مزارع الأسماءْ
فتحتُ يدي على مصراعها ،
فانداح غارُ حراءْ
جرحاً زاخراً بالوحي والدمِ ،
أيُّها الغرباء

صوتُ اللّهِ هذا
إنفخوا في الصُّورْ
شُقّوا سجفةَ الديجورْ
وآنتشروا
فصوتُ الله
هذا الجرح
يُفرقكم
ويحمل بينكم قتلاه

تساقط جحفلُ الأسماءْ
كومةَ أحرفٍ مذعورةٍ بكماءْ
ختمتُ على حروف الخوف جرحي ،
فيسَمي جرحُ
ومَنْ يملكُ ثباتَ الله نصلًا ماحياً
يمحُ

سمعتُ بلالًا الحبشيَّ في ساحاتكم يصدحْ
رأيتُ سطوحكم راياتْ
وقيلَ بشارةٌ كَيدي على أبوابكم تُـلمَـحْ
فتحتُ يديَّ ،

ألهثُ جئتكم يا معشر الأنصارْ
أحملُ جثّتي والنّار
مليئاً بالنبوءة جئتُ ،
كلُّ ملامحي تنضحْ
ذُهلتُ
فلا صلاةٌ
لا مؤذِّنَ قام
لا محرابْ
رأيتُ بلالًا الحبشيَّ منكفئاً على الأبوابْ
سرتُ تنوشُني الأحجارْ
مسيحاً كلُّ بابٍ عندها أُذبَحْ
حسيناً كنتُ مثلي أمس
مثلي كلَّ يومٍ آتْ
وكلُّ سطوحكم راياتْ
ركضاً يا بني أسدِ
غداً تصلون
لكن ، لن تروا في الأرض مِن أحدِ

ليذكرْ كلُّ رامٍ بينكم حَجَرَهْ
أنا المرجوم
أحملكم معي حتى يسيلَ السَّيلْ

ستنتشرون أذرعةً من الأجداث مستعره
فينكر كلُّكم كفَّيه
ليذكرْ كلُّكم سيفَـهْ
ليذكرْ كلُّكم وَتَـرَهْ
أنا الطَّـوّافْ
على أبوابكم
لا رأس ،
لا أطرافْ
أحملكم معي تُـهَـمَـه

سمعتُ صلاتَكم تتوسَّلُ الأقفال لا تُفتَـحْ
وكفِّي لم تزل حِرزاً على أبوابكم ينضحْ
خلعتُ يدي
ختمتُ بها
نظرتُ فلم أجدْ رايه
شمختُ بعنقيَ المقطوع عمقَ الجوِّ صاريةً
نشرتُ مكبِّراً كفَني
وأترككم عُراةً تطفحون على بمِ البيعَه
رؤوساً دونما أعلامْ
دموعاً ما تزال تسيل ،

تسقي تربة البيعه

وتحني رأسَها وتنامْ

أتركُ زيفَكم لينام

وختمُ يدي يظلُّ دماً على أبوابكم يصحو

ومَنْ يملكْ صفاءَ اللّهِ صدقاً ماحياً

يمحُ

أنا المسجونُ في أعماقكم ،

الشاهدُ الأبكَمْ

أنا الحدسُ الذي تخشَونْ

الرَّصدُ الذي قيعانُكم بعيونِهِ تُختَمْ

أنا الزرقاءُ فيكم يا يمامةُ فأفقأوا عينيّ

نشرتُ يدي أمامي ،

من هنا المعبَرْ

هنا جرحي

هنا أبديَّتي تُنشَرُ

تَعَرَّ الآن يا ثمرَ الخطايا ،

إنَّهُ المطهَرْ

وثبتُ ،

سقطتُ في جرحي

عميقٌ غَورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدمَ يا ممرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوعْ
تجهشُ ملأها الأرحامْ
تُعولُ ملأها الجثثُ
لقد ماتوا وما بُعثوا
فظلّوا يجأرون ..
غطستُ فيهم عمق ألفَي عامْ
وارتطمتْ يدي بالقاعْ

مَـمَـرُّكَ ههنا يوصَـدْ

أفقتُ ،
وكانتْ الصحراءْ
شفاهي الرمل ،
وجهي الرمل ،
الصحراءُ في جسَدي
رفعتُ يدي الى عينيَّ كانت صفحةً بيضاءْ

ودوّى ملء آذاني صراخُ وليدةٍ توأدْ

همَتْ يا قوتةُ في الرمل ،
وانطفأتْ
وجدتُ على يدي نُدبَـهْ
هويتُ كنخلةٍ عِجفاءْ

حُـمِـاتٌ على الرُّغاء ،
على الـثُّغاء
على صهيل الخيل حولي تمضغُ الأرسانْ
رأيتُ يد البسوس تجوسُ في الأرحامْ
تشدُّ رقابَها قِـرَبا
على غلمانَ أشأمَ كلُّهم متكامل الأضراسْ
يأكلُ ثديَ مرضعتِـهْ ..

ضـمـمْـتُ أصابعي كي أمنع الدمَ أن يسيل ..

تعالت الأصواتْ
بُجيرُ ماتْ
بشسعٍ من نعال كُليبٍ

انتشروا انتشارَ الصوتْ
وقرَّبت النُّعامـةُ منك مربطها فقمْ يا موتُ
قم يا موتُ
قم يا موتْ

شددتُ يديَّ ..
كان الجرح يفتح بابَـهُ للريـحْ

ألا لا يجهلَـنْ أحـدٌ علينا ..
تجهل الأصنامْ
تأكل خيلنا ، ورماحنا ،
تجترُّنا وتنامْ ..

سقطتُ وراحتي مُرخاةْ
على هُـبَـلٍ تغطي وجهه ودماؤها تنضحْ

طريقُـكَ مِن هنا تبدأُ
تَسـلَّـقْ ،
جرحُـكَ المعراج ،
أنت الحيّ .

عميقٌ غورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدمَ يا ممرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ اليذبوع
ظُلـمتُها تشلُّ خطاي ،
ترشحُ مثل ذوبِ القارْ
تلصقُ بي فأحملُها معي طوداً من الأوزارْ
أهوي كلَّما أبدأْ

تَـسلَّـقْ ،
جرحُـكَ المعراج ،
لا تعلَـقْ بثدي الموت ،
كُـنْ موتاً .

نشرتُ يدي غريقاً

أيُّها المذعورْ
لا تطفيءْ مهبَّ النّورْ
أنتَ الحصدُ والحاصدْ
المرصودُ والراصدْ
وأنت القادمُ الموعود

وضاءَ بغوريَ المُطفأْ
شعاعٌ كاندلاع البرق ، غاص بجرحيَ المنشورْ
وانطبقتْ يدي فصعدتُ يحملُني رشاءُ النورْ
كان محمدٌ يقرأْ

لُمحتُ أطير في جرحي
وكان محمدٌ والسيف
يسبقني
وكان محمد القرآنْ
يلمع فوقنا كغمامةٍ بيضاء

ألا مَنْ كان يعبدُ ..

لا تقلْ شيئاً .

ألا مَنْ كان يعبدُ ..

ليت هذا الصوت يسكتُ
ليتني أرتدُ نسياً تعصف الصحراءُ في جسَدي
انهمرتُ

نزفتُ

دار الكونُ بي

مَنْ كان يعبدُ ..

غامت الأصداءُ في رأسي

فإنَّ محمداً قد ماتْ

إنَّ محمداً قد ماتْ ..

وانكفأتْ يدي

فهوَيتْ

أنا الشاهدْ

لقد بلَّغتَ ،

أشهدُ أنَّكَ الموعود

أشهدُ أنَّكَ الواعدْ

ولكنْ مَنْ لهذا الليلْ ..؟

تنَزَّتْ تحتيَ الأعماق

سال السَّيلْ

أوردَتي بلون القارْ

تُرضعني نزيفَ القار
تختمُ خطوَتي بالقار
جذبتُ خطايَ لم أُفلتْ
نزعتُ اللحمَ عن قدميَّ حتى العظم
لم أفلتْ
نشرتُ يدي على لوحي
محوتُ
رقَمتُ

ذا سطري ،
أنا قدَري
ختمتُ يدي

نهضتُ بكلِّ أجنحتي أصبُّ دماً .

هذا أنا الصاعدُ من مَنابتِ الظلمةِ في حفيريَ القاتمْ
رقَمتُ لوحي
فأنا العارفُ غيبي
جسدي تأريخُكم
جرحيَ مئذنه
أحمل في كهوفها أذانيَ القادمْ
فلتفتحوا منافذاً للصوتْ

ها أنذا أُطلُّ من شُرفةِ جرحي مشتلًا للموتْ
فلتفتح الموتى قبورَها
ليعرفْ كلُّ ميتٍ موته في جسدي
فيحتملْ موتَــهْ

أعينُكم ترحِل من وجوهها
فأدركوا عيونَكم

هذا أوانُ السَّيلْ
تبيَّنوا أحجاركم يا أيُّها الراجمونْ
تعرَّفوا على سيوفِكم ،
نبالكم ،
فقد عادَ بها المرجومْ

أسعى إليكم عنقاً دون رأسْ
أتبعُكم جذعاً على صليب
أفتحُ في قيعانكم عيناً كعين الله
تبقى شاهداً أبكـمْ

وجوهُكم وَشمٌ على جلدي

نِصالُكم في جسدي تحجَّرتْ
فجرّدوها
لِيُحدِّدْ كلّكم رتبةَ موتِـهِ
ويصعدْ موجةَ الشهادةْ

إليكِ أسماءكِ يا مزرعةَ الأسماءْ
تحمَّليها
أو تهاوَيْ أحرُفاً تبحثُ عن ثقبٍ لتختفي
أنت الذي تغوص في خاصرتي
تفلَعُها
انجرِدْ لهؤلاء
هل تبصرُ رأسَ ابنِ أبي طالبْ ؟
خاصرتي غمدُكَ حتى تراه

مَنْ قال إني مصعبٌ
فليتقدَّمْ حاسراً
يستلّ نصلاً من جبيني ثم يستشهد

في جسدي مزرعةُ للموتْ
يحصدُها ذو عنقٍ مقطوعةٍ

ينثرها بيدرَ ثورةٍ لألف جيلْ

لا تلمسوا أعناقكم
صاحبُها يعرفها دونَ لمس
يا حاملي شهادة الحلّاجْ
تحمَّلوا حدودكم عني
أنا خارطة الحجاجْ

مَنْ ينتصبْ منكم أبا ذرٍّ فيحضنْ موتَـهُ يُقدمْ
لكنَّكم لا ترصدون الموت

يا أيُّها الكهانْ
عروقُكم مرئيَّـةٌ
يزخُّ تحت جلدها كلُّ دم الأوثانْ
ألقوا مسوحَكم ،
وجهِّزوا لغزو الله ..

يا أيُّها الحشدُ من الأنبياء
لينتفضْ منكم نبيٌّ واحدٌ بوحيِهِ

يُنطقْه شيئاً
أيُها المستتشهدون خُرسا

مدّوا أكفَّكم الى جيوبكم
واخرجوا منها يداً واحدةً بيضاء من غير سوءْ

أسأتم الموتَ كما أسأتم الولاده
تقدَّموا نحوي
لكم في جسدي شيءٌ سوى الشهاده

أحملُ في الأجفانْ
بُحيره
شطآنُها الحشيشُ واللؤلؤ والمرجانْ
أمواجها الغلمانِ والجواري
فلتغرقوا أنفسَكم سلالةَ السلاطين

أشهدُ أنَّ موجها مرايا
أشهدُ أنكم ستبصرون فيها أوجُهَ العبيدِ والسَّبايا
أشهدُ أنكم ستغرقون فيها
تتحطَّمْ

تتبعثرْ في شظاياها وجوهُكم
فينبثُ موتُها في جسدي
خارطةً جديده

أحملُها
أطوفُ في المزارع الوليده
أختمُ جرحي فوق كلِّ فـمْ
حتى يصيحَ صائحُ
يكسرُ ختمَ الدَّمْ

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

كلُّ مَنْ مات

أسقطَ عنّي وعن نفسِهِ عبءَ أن يشهد الآن

لي أو عليَّ

فإني أخافُ شهادةَ أمواتِكم

أرتضيكم شهودي

أنا المستباحةُ ذاكرتي

المؤجَّلُ من يوم مقتلِهِ رهنَ تحقيقكم

نُشرَ الناس

كلُّ القيامات قامتْ

وما زال منتظراً

أإذا جاء يسعى

نظرتم الى بعضكم ؟

ما الذي تُنكرون

ألـمْ تُبصروا قبلُ ميتاً يراجعكم ؟

ألفَ ميتٍ تركتُ على الباب

: بل واحدٌ يتكلَّمُ عنكم
ولحظةَ يدخلُ في بَهوِنا
يُغلقُ البابُ من خلفِهِ
ثمّ يُقتلِ

دافعتُهم
وركضتُ الى سترةٍ كنتُ خبّأتُها
ثمَّ عدتُ كما الطير
أحمل نشوةَ موتي القديم
ودافعتُهم

: أنا عندي بطاقةُ موتٍ
عنديَ سيفُ في خاصرتي
لا أملك مقبضَـهُ
لكنّي أملك خاصرةً فيها سيفْ
ورهيفٌ حدُّ النّصل
وأحضنكم حدَّ تمزُّق أحشائي
زهواً في خاصرتي أحملكم
آهِ

ويقتلني زهوي
لكنْ.. يا حيفْ !

إنَّ عندي بطاقةَ زهوي
بطاقة موتي القديمةَ
يا مَنْ جعلتم من الموتِ منعَطَفاً
وجعلتم من الموتِ مختبراً للدموعْ
وكان الشهادةَ
تُمنحُ للمتخرِّج فيكم نبيَّاً

وصغَّرتم الموت
حتى تأبطت الناسُ أكفانَها
أفإن جئت أسعى نظرتم الى بعضكم ؟
إنَّه القتلُ عمداً
أرى جسدي موثقاً بين قضبانِ أعينُكم
وتقولون : شُـيِّـعـتَ
يخذلني الحبُّ حتى أوافقكم

وللمرَّةِ الألف يقرأ أسماءَ أمواتكم
لم يجدْ اسمه بينهم

مات من دونما شاهدٍ ؟
ليكنْ
سلِّموه جنازتَــهُ
ويوقِّــعُ ألا تكون على قبرِهِ أيُّ شاهدةٍ

وتركتُ على الباب ألفاً
قرأتُ عرائضهم كلَّها
كيف كذَّبتموهم ؟
كلُّهم سمعوا هاتفاً
كلُّهم أبصروا عَـلَـماً ضربَ الماءَ فآنشقَّ
قالوا تباركَ موسى

وخاضوا
فـمَـنْ سحَبَ العلمَ المستقرَّ من الماء ؟
فرعون ؟؟
أم ساورتْ ريبةٌ قلبَ موسى ؟

وقالوا خُـذِلنا
ودارَ بنا الموج
كلُّ المرافىء كانت تضيءُ

ولكنَّ أعيُنَنا نُذرتْ لفنارٍ من القلب تصعدُ
خفقةُ مصباحِـهِ
فهي تبحـثُ

ثمَّ سمعنا بأنَّا نُعينا الى أهلنا
فرجعنـــا

ونقطَعُ من لحمنا
ونُريهم دماً تتوهَّـجُ رغوتُـهُ
فيقولون :
لكنْ دُفنتُـمْ ..

كُسِرَ النابضُ فيك إذن
فتأرجحْ في الماء كما تهوى
لا تَخضعْ إلا لشروطِ اللعبةِ تلعبُها
أما الموت
فمسألةٌ أخرى
إنْ هيَ إلا أسماءٌ

بل أنزلتم سلطانا

وحكمتم بالموت
ونفَّذتم اعلانا

وتركتُ على الباب ألفاً يلاحقني صوتُهم
: لا تَعُدْ قبلَ أن تتبيَّنَ
سَلْهم ،
متى يطلقون سراحَ جنائزِنا ؟

ها أنا الآن أسألُكم
ها أنا الآن أسألكم
ويعاتبني صدقُكم
ويعاتبُني الناسُ فيكم
ودربٌ قطعنا معاً
ويعاتبني أنكم خيرُنا رغمَ ما كان
ينكسرُ الغيظُ في راحتي غصُناً
كنتُ أشهَرُهُ لأصولَ عليكم
إذا مسَّكم
أورقتْ كلُّ أشواكِهِ
وإذا أخطأتْ
وخزَتني

ياما بحثتُ

أنا المستباحةُ ذاكرتي
عن دليلٍ لأسواقكم
لميادينكم

قلتُ أهلي
فما ولدَ الفَطْرُ في حائطٍ رجلًا .
وعرضتم ليَ اليُتْمَ حتى انكسرتُ
وأنكرُ أن أُتبَنّى على كبَري
إنني شختُ حدَّ ابيضاضِ العيونْ

ونظرتم الى بعضكم
وَي
أصرُّ على تُهمةٍ أتلبَّسُها

صرتُ فيكم لقيطاً ؟
وقد كان مائي
وكان إنائي
وكان القميصُ الذي تنشرون خضيباً
قميصي

وأذكرُ أنّي ..
ولكنني لم أعدْ أتذكَّرُ
ذنبيَ أني نسيتُ على الدَّربِ ذاكرتي
قلتُ يعرفني الناس ..

أرتضيكم شهودي وإن كنتُ أجهلُكم
كلُّكم تملكون جراحاً
كلُّكم ستُدينونَني
غير إني أُحذّر أسرعَكم للأدانةِ
أني سأسألُهُ

ولقد كنتُ أملكُ أن أتهادى برأسٍ
أعلّقهُ فوق رمحي
وقيل انتصِفْ :
عنقٌ وسَّدتْها المقاديرُ سيفَكْ
إن هو إلا كما تطرفُ العين
تومىءُ للكتفين
فينزلقُ الرأس
تعدو به بطلًا

وتأمَّـلـتُ

ألفيتُ حنجرةً جحظـتْ

واستطال من الخوفِ بلعومُها

لستُ أدري لماذا تذكَّرتُ أعناقكم فأرتعدتُ

وقيل انتصفْ

أترى ؟

إنني لم أُخـيَّـرْ

وها أنا أدخلُ وجدكَ يا حُـرُّ

لكنْ من الطرفِ الآخر المتمزِّقِ

فآغفرْ مكابرتي يا رياحيُّ

ما كنتُ أملكُ نفسيَ في حالتيَّ

لهذا أموت

وتملكُها

ولهذا تموتْ

وشتّان شتان ما بيننا

أن تطاردَ موتَكَ حتى تطـوّعَـهُ

ويطاردني الموتُ حتى يطوّعني

حين قدَّمتُ رأسي لهم
رفضـــوا
قلتُ لا أدّعي عنُقاً لستُ صاحبَها
فآمنحوني بطولَة رأسي

ضحكواْ
قيل لولا تركتم أخاكم يمارسُ حربَ الطواحين

هل كان دربي طويلًا الى عصركم ؟

-

إنني لستُ أحمل ذاكرتي
وأنا مستقرٌّ على أن أُقاضى
فليفرشْ كلٌّ منكم ذاكرةَ البطلِ القادمِ من سيناء
وليَحشُ بعينيَّ قميصاً خضَّبهُ في الأردن
وليدمَـغْ وجهي بالعار
لأنّي لم أُقتَلْ في القدس
لأني لم أُقتَل في الخرطوم
لأني لم أُقتَل في كلِّ حروب الردَّة
ولأني لم أُقتَل وكفى

جئتُ من حيثُ جئتم جميعاً
ربما كنتُ منهزماً
لستُ أدري
فعند الهزيمـةِ
لا تسألُ الخيلُ فرسانها
ركضوا
وركضنا
طريقٌ قطعناه
كلُّ اتجاهاتهِ علَّـمَـتْها الحوافرُ
مَنْ يدَّعي أنَّ حافرَهُ ملكَ الاتجاهَ الصحيحَ
الى الموت ؟

واقفاً بين أجساد قتلاكمو
أتـفـصَّـدُ خوفاً
ولم أُغمد السيف
أعلمُ أني حملتُ دليلًا عليَّ
لقد كنتُ أبحث عن شاهدٍ لمكابرتي

عندما وطأتني حوافرُكم وهي تركضُ تركضُ
في كلِّ مـتَّـجَـهٍ

أيُّها الناس ...

مَنْ يسمع الصوتَ في زحمةِ الموت ؟
الخيل تركضُ
والأرض تركضُ

يا أيُّها الناس ..
جرحاكمو
أهلَكم
جثثاً قبل يومٍ وقفتُم لها خُشَّعاً
تتقاذفها أرجل الخيل
فلـتَّـتقوا رَحِماً سوف تسألُ أعينُهم ..

كنتَ منهزماً ؟
ربَّـما
غير أنَّك لم تتحرك
أحاطت بك الخيل
نوديَ بالويل
صاحتْ بك الصائحاتُ ولم تتحرَّكْ
ثكلـتُـكَ

أيُّهما أصدقُ الآن ؟
هذي العيونُ الغريقةُ في دمها ؟؟
إنَّها جثثٌ وحَّـدَ الموتُ فيها البطولةَ والجبنَ
والصدقَ والـ ..

حَملِقي فيَّ أيَّتها الأعينُ المستباحةُ حدَّ التألُّقِ
أيُّكما أصدقُ الآن ؟
أنتِ وصمتُكِ ؟
أم كلُّ هذي الحوافرِ تضربُ أذنيّ ؟

أيُّكما أجرأُ الآن ؟
مَنْ قال إنَّـكِ لم تتفصَّـدْ جميعُ خلاياكِ من خوفها ؟
تملكين لساناً ؟؟
إذن فآسكتي
إنَّهم يملكون

ولكنَّ موتـكِ أنبل
سمعـتُ اللهاث
رأيتُ الى الـعَـرَقِ المتصبّـبِ منهم يخالطُهُ عَـرَقُ الخيل
كانوا صغاراً

صغاراً الى حـدٍّ أني بكيتُ لهم
فتشــرَّختُ

صار مداريَ شطرين
بينما برزخٌ للهزيمةِ
ثوبيَ شطرين
أُفردتُ بينهما عارياً
صار وجهيَ شطرين
شطراً لوى عنُقي لا يبارحُ أجسادَ أمواتِكم
وشطراً تطاير بين حوافركم
أأقولُ اعرضوا خيلَكم ؟
إنَّها دعوةٌ للشهادة تُعـفَونَ منها
فقد ضاعت الخيل
أو نفَـقَـتْ

وأنــــا ؟
إنَّ لي شطرَ وجهي الذي ظلَّ عند الحدود
ربَّما غـيَّـرَتْ جثثُ الميّتين معالـمَـهُ
ربـما شاهَ
لكنَّـــه الآن وجهي



حينماَ عدتُ
ألفيتُكم تولمون
وأبصرتُ نسوتَكم في الجوار
يطرّزنَ قمصانَكم
ثم يعرضنَها للصغار
انكسرْتُ على زهوِهم

وسمعتُ تفاصيل
مثلَ الأساطير
أصغيتُ
ألفيتُ نفسي وحيداً
غريباً
أضعتُ ولم ألتفتْ
بين أمواتكم
خُرجَ ذاكرتي ..

مصادرة منشور سرّي

ـــ في جوازكَ حين عبرتَ الحدود

ـــ هل عبرتُ الحدود ؟

ـــ أنت محتجَزٌ للإجابة لا للسؤال هنا .

في جوازك هذا

لا علامةَ فارقةٌ فوق وجهك

الشَّـعْـرُ أسود

عينانِ صافيتان

وعمرُكَ ..

حتى تلاوةِ هذي السطور

ثلاثون عاماً .

هل عبرتَ الحدود بهذا الجواز ؟

ـــ إذا كنتَ تعني

ـــ عبرتَ الحدود بهذا ؟؟

ـــ .. نعم

ـــ أنت متَّـهَـمٌ للقرار بتزوير وجهِكَ أجمعِـهِ

يُسمَحُ الآن أنْ تتكلَّم ما شئت

لكنَّما في حدود الدفاعِ عن النفس

ـــ أطلب مرآةً أبصرُ فيها وجهي

— مرفوضْ .
نحن نبصرُهُ عنك
— لكنكم لن تروا منهُ ..
— إنَّا نقاضيك وفقاً لأعينُنا نحنُ
— معذرةً
سأحاولُ رؤيتَـهُ وفقَ أعينكم .

كان عمري ثلاثين عاماً
فأصبح خمسين
عيناي صافيتين
فأصبحتا مثلَ لون التراب
وشعريَ أسودَ
فآبيضّ

هل .. هذه صورتي الآن ؟

— وجبينُـكَ ؟
— ماذا بهِ ؟
— لو تحسَّستَـهُ
— هل تغضَّـنْ ؟؟

لا بأس

— صوتُـكَ ..

ما كنتَ ترفعُهُ هكذا

— كان يرفعُهُ بَين قصفِ المدافعِ فأعتاد

— لا .

لم نكن نتكلم في حضرةِ النار

لكننا بعدما سكتتْ ..

— أنتَ متَّـهَـمٌ باعترافكَ للمرةِ الثانيه

— بالتَّمـرُّدِ ؟

لا بأس

أسألكم لحظةً أخلع الثوب

— تُمنَعُ كلُّ ضروبِ التعرِّي هنا .

— إنَّ لي حرمةً تحت هذا القميص الممزَّقْ

شاهداً لم يُسجَّل بهذا الجواز

دفعتُ به رئتي ثمناً

وأتتنا أوامِركُم تمنعون دخولَ الجراح

قيل يُستنطَـقُ الجرحُ حتى يعاف مُروءتَـهُ

ثمَّ يركل مثلَ النفايةِ

بعد إدانتـهِ

لوحة جانبية :

هل سلَّمتَ لمأمور المخزنِ خوذتك الحربيةَ ؟
صفَّ رصاصكَ ؟ قمصانَكَ ؟ جرحك ؟؟
ضَعْ جرحَك فوق الأمتعة الأخرى
وتسلَّـمْ إيصالًا .

تعمَّدتُ تهريبَـهُ تحت ثوبي
ما كان لي أن تروه فيؤخذَ متَّهماً
غير أني سأكشف عن وجهه الآن
ها هو ذا
تستيطعون إيداعَهُ السجن
لستُ أخاف عليه
فقد رسم ابني هويَّـتَـهُ في دفاتِـرِهِ كلِّها

فأنا الآن متَّـهَـمٌ بشهادة جرحي
للمرة الثالثة

في أُذنيَّ ملايين الأصوات
مَنْ منكم يقدر أن يفرزَ صرخةَ محمودٍ جاري

عن صليةٍ عشر رصاصاتٍ غاصت فيه من
البلعوم الى منتصف السُّــرَّةْ ؟

وحدي أملك هذين الصوتين معاً
أملك لحظة لا يبقى من صوت القاتلِ
إلا صوتُ المقتولْ
لحظة صار غيابُـكَ يا محمودُ حضوراً في كلِّ الساحات
وفي كل الأوجه
وحدي أملكُ صوتكما أنت وعشر رصاصاتٍ
في أذنيَّ مزيجاً .. غَـبَشــاً لا ينفصل الفجرُ عن الليل
ولا الموت عن الميلادِ ولا الثورةُ في جسدٍ
عن عشر رصاصاتٍ فيه يَشعشعُ منها الدم .

مَنْ يحمل عني هذي الأصوات ؟
مَنْ يخلعُ من أذنيَّ زعيقَ الجرحى وصفيرَ الرشاشاتْ ؟

ألقوا القبضَ على هذا الشاهد غيرِ المرئيّ إذن
وليُـستَنطَـقْ أطفالُكَ يا وطني

ولدي

يا ولدي الحاملَ عنِّي زهوَ دفاتِـرِهِ

كنتُ أدفع دبابتي في وجوهِ التماسيح
ملغومةً بالهلاهلِ
ملغومةً بالأهازيجِ
بالشِّـعـرِ
ملغومةً بالتي طَـوَّحتْ بعباءتها وهي تردسُ
« هَزّيت ولوليت لهذا »

كنتُ « هذا » الذي زاحَمتْ فِيه كلُّ الشماتةِ والموت
أدفع دبابتي في الجحيم
وفي أُذنيَّ عراضةُ أمّي تطوّح عبرَ المدى
بعبـــاءتهـــا
حجمَ موتيَ هذا أريدكِ أن تهزجي لي
أن تزرعي رايةً حجمَ موتي على سطح بيتكِ
ترفع للموتِ قامتَها

سجِّلوا أُذُنَيَّ شهوداً عليّ

أين دبابتي ؟

ـــ لا سؤال .
ـــ ذهبتْ هي أيضاً تدافعُ عن نفسها ؟
ـــ لا سؤال .
ـــ ولكنها شاهدٌ في دفاعي
ـــ قيد التَّرميم
إذا شئتَ أتيناك بها عامرةً
ـــ هاتوها
أدخلوها هنا أتأمَّلُها
أتقرَّى مكانَ أُصيبَتْ لأجلي
أمرِّغُ وجهي على درعها
وسأسألــهُ
سوف ينطق مجرى دمي فوق قُـبَّـعَـةِ الدِّرع
ينهض محمود من قاعها
إنَّ محمود فاض على سعةِ القاعِ فيها
أنتِ أيتُها الأخت
يا شاهدي وشريكي
أعلمُ حين تجيئين
أنكَ لا تنكرين معالِمَ وجهي
كما يفعل الما رأوا كيف يتَّسعُ الكونُ في لحظةٍ
ثم يجمع إطرافَـهُ كلَّها في رصاصه

ما رأوا كيف تُلغي الوجوهُ معالمَها لحظةَ الموت
يلتبس الوجهُ بالوجه
حتى لَتُصبحَ دبابةُ رجلًا

ما رأوا كم يُغيّرناالموتُ أيتها الأخت
لكنهم غيَّروا وجهةَ الموت ..
هلم غيَّروا وجهة الموت
حتى لـيُنكرَ واحدُنا دربَ صاحبِـهِ

أيَّ شيءٍ تُرانا نقول إذا ما التقينا
فأبصِرتِ شعري قد ابيضَّ
عينيَّ لون التراب
وأبصرتُ وجهكِ يلمع مثل بنات الهوى ؟
أيَّ ذاكرةٍ سوف نوقظها بيننا
دون أن تتسلقَّ غربتُنا فوق كلِّ الحروف
وتلتفَّ حدَّ اختناق أعزِّ الحكايات ؟

أرفضُهــــا .
تزوّرون شاهدي عليّ
ثم تسألونني أن أرتضيهِ هكذا

مزوّراً
وتعلمون بعد ان أدخلتموها مصنعَ النسيان
أنكم سلبتموها كلَّ كبريائها

أُقسمُ أنها إذا رأتنيَ الآن
أشاحَتْ خجلًا بوجهها
أو أطلقت نيرانها عليّ

— فأنت أسأتَ لها
— قد فعلتُ
عبرتُ بها كلَّ نار الجحيم
وكنا معاً بآسم كلِّ الحضارات نضرب
كنا معاً بآسم كلِّ الذين سيأتون
نعبرُ نهرَ الجراح القديمةِ
نصنع معجزةً قدر ما يستطيع عريفٌ ودبابةٌ
أتقنا لعبةَ الموت

ويومَ أُصيبتْ
دفعتُ لها رئتي
مدَّ محمود من صدرهِ مَعبراً للرصاص على درعها

إنها تتذكَّر كيف قضينا نهاراً بأكملِهِ ننزف الدمَ
نحن الثلاثة
كنا ثلاثتنا لحظةَ الموت
نشعرُ أنَّا نخطُّ لبعض الذين سيأتون
أســـماءهم

بآسمِ كلِّ الحضارات
ألغيَ محمود
لم يبقَ منه سوى دفترٍ

يتدافعُ أطفالُهُ كلَّ شهرٍ بأبوابكم
بصَموا فوقَهُ عَـدَّ أرغفة الخبز
حتى ملامحهُم وُشمتْ بتواقيكم

بآسم كلِّ الحضارات أُفرغَ صَدريَ من رئةٍ
وأقرُّ بلا ندمٍ أنني لست أحتاجها الآن
في مثل هذا الهواء

بآسم كلِّ الحضارات رمَّمتم الآن دبابتي

بعد سَحبِ هوَّيتها

فهي خاويةٌ تستعدُ لكلِّ الهزائم

لستُ أعلم أيتُها الأخت إن كنتِ .. عذراً

ولو مـــرَّةً

تحسنين البكاء

وتقولون لي شَـعْـرُكَ ابيضَّ

أتَّهم الآن مائة مليون مستمعٍ لخطاباتكم

أنَّ أروسَهم لم تَشِبْ

أنَّ أعينُهَم لم تثبْ من محاجرها

أيها السادةُ الكانَ في وسعِهم كلُّ شيء

لو انَّ صواريخهم لم تقفْ في مدارِ الخيانةِ

أو انّهم ..

ــ هل سمَّيتَ مداراً للدوله ؟

ــ لا

ــ إيَّاك وأنصافَ الكلماتِ إذن

ــ مَنْ منَّا يتعمَّد أن يُخطىءَ فهمَ الآخر ؟

— لا سؤالْ .
وليكنْ ما تفوهُ به واضحاً
في حدود الدفاع عن النفس .
سنصحّح بعض السَّهوِ الواردِ في أقوالك
— أرفضْ .
إنهما مساحتان للضياء والظُّلمةِ لن ندخلَ
فيهمـــا معـــاً
أنا أعرفُ دربي الى البقعةِ السَّوف أدخلُها
لن تكونوا دليلي

أتَرون . لو انكم الآن تدعونني من جديدٍ
الى الحرب ،
أرفضُ ؟؟

هيهـــــات
سأحارب حتى أقايضَكم كلَّ هذي الملامح
يهتف بي هاتفٌ :
لا تـَمُـتْ
وأموت
أفضِّـضُ أرؤسَكم شعرةً شعرةً

كنت أحمل محمود ، والدم ينهلُّ من عشر شتلا نارٍ
بأضـبـلـعـهِ

أتوسَّـلُ في وجهِه

لا تَـمُـتْ

سوف تسألني عنك كلُّ عيون صغارك محمود ...

لكنَّه مات في لحظةٍ

كنتُ أخلع جسمي وأسحبُ محمود
والنار تأكلُ دبابتي
أتخبَّطُ مستوحَداً بين موتيهما
غير أنيَ كابَرتُ
كنَّا ثلاثتنا طَرفَ الدولةِ الما يزالُ يكابر

في المستشفى
قالوا ألغى الطرفُ الآخرُ للدولةِ كلَّ القتلى
ومحا أسماء الآتين جميعاً
لم أصدّق ،
لقد كنتُ أحسبُنا دولةً حين كنا نخطُّ على

بقعة الضوء أسماءهم

ثم صدَّقتُ ..

حين نظرتُ لأطفال محمود

صدَّقت

حين رأيت عيونَ رفاقيَ

صدَّقت

وحين وصفتُم معالمَ وجهيَ

آمنت

أني هنا طرفٌ

أننا حين كنّا هناك نقاتلهم

طـــــرَفٌ

أنَّ أطفال محمود

دفتـــــرهُ

طـــــرفٌ

فأنا ما سميَّتُ مداراً للدولةِ

لم أخطىء فهمَ الطرف الآخر للدولة .

إنهما مساحتان للضياء والظلمة لن ندخلَ فيهما

معــــاً

— من أجلك أيضاً ...

— أرفضُ

أو .. لا أرفضُ

ماذا يعني أن أُسألَ عن هذا ؟

لو سُئلتُ غداة خرجتُ الى الموت

— هل كنت تختار ؟؟

— لا .

كنتُ أختاركم هدفي أوّلا

— أنت تقتل نفسك

— إني أُسهِّلُ فيَّ مهمَّتكم

أيها السادةُ التتبدَّلُ حتى عناوين أطفالهم

وحدودُ مدارسِ أطفالهم

دون أن تتبدَّل يوماً ملامحهم

إنني أتساءلُ

ما كان ليَ وأنا بين موتين

موتٍ تراقبني فيه أعينُ كلِّ الذين أخاف عليهم

شماتةَ مَنْ يشمتون

وموتٍ أُضافُ بهِ رقَماً في حساباتكم للهزيمة ؟

كنتُ أراقبكم تخلطون دمي بين ماءين
هذا نذرتُ له عطشَ العمر
جمَّعت أسماء أهلي على شفتيَّ
وهذا أحاذرُهُ
وأشـمُّ الخيانةَ
رائحة ابني ذبيحاً
وأوصال أهلي ممـوَّهـةً فيه

صار دمي خائناً وشهيدْ
كوثراً وصديد
وأنا أتساءلُ :
هل أردُ الماء
أم أتـجـنَّـبُـهُ ؟

حيرةٌ .. حيرةٌ .. حيرةُ العمر
بآسم الحضارة قدَّمتموني لمذبحها

إنكم أيُّها السادةُ الما تَبدَّلُ يوماً ملامحهم
قد بذلتم كثيراً لأجل الحضارةِ

أسماؤكم لن يمرَّ عليها الذين سيأتون
دون الوقوف على كلِّ أحرفها
يومَــــها ،
سيسير بدبابتي كلُّ تأريخها نحوكم
يومها ستدور بمدفعها حولها دورةً كامله
قبل أن تدخل المعبرَ السهلَ خلف الحدود

ستكون البدايةُ أفضلَ ممَّا بدأنا
تكون البدايةُ أفضلَ مما ..
— نصُّ قرار التجريم
— تكون البدايةُ ..
— بأسم الدوله
صادرنا هذا المنشورَ السريّ
وأمرنا باحالةِ أذنيه وهذا الجرحَ المزعوم الى التحقيقِ
وإلقاء القبض على كلِّ الكلمات وكلِّ الأفكار المنقولةِ
عنه وغير المنقوله .

. . . . . .

— سيدي
إنَّ في الباب عشرين ألفاً
وجوههمو كلُّها وجهُ هذا !

من أين هدوؤك

هذي الساعة

صوت :

لأنيَ فرَّقتُ في الناس لحمي
لأني حملتُ عذاباتهم
لأني تسمَّيتُ باسمي

صوت :

لأنَّ المسافة بين الرصاصة والقلب ضيّقةُ
لأن الذي يقطع الدرب بين القتل وقاتلهِ
شاهدٌ وقتيلْ
صرتُ في زمني الشاهد المستحيل

صوت :

ملعونٌ مَن يمسك للقاتلِ جذعَ المقتولْ
ملعونٌ مَن يخدع إنساناً عن عينيهْ
أو عن كفَّيه
ملعونٌ مَن يأمن ذئباً في مرعىً
يا أولاد الأفعى
ألفَي عام أبحث عن رأسي بين الأكتاف وبين الأرؤسْ
كم جسداً مثلي يسعىٰ

طفلة :

يا يوحنّا خذ منّي شفةً

طفل :

يا يوحنّا خذ منّي عيناً

صوت :

يا يوحنّا ..

أرشدْ كتفيَّ الى رأسي

كم جسداً مثلي يسعى

كم جسداً مثلي يسعى ..

منذورٌ هذي الليلةَ للأحزانْ

منذورٌ أفتح أبوابي لطيور الغربه

أمنح أهدابي لنعاس لا أعرف آخرهُ

موحَشَةٌ روحي

موحَشةٌ كلُّ جروحي

موحَشةٌ حتى الأرض التحضُنني الليلةَ

آهٍ من لحظاتٍ تسبق صحوتك الكبرى ..

منذورٌ هذي الليلةَ للقلق الأكبرْ

منذورٌ أن أختليَ الليلةَ بالموت
ويختليَ الموتُ الليلةَ بي
وأنا المبتورُ القدمين أعالج نقطةَ مرتكزي هذي الليلةَ
منفرداً

ممتليءُ بالصمت ، وممتليءُ بالمجهول
وممتليءُ بجميع الأشياءِ اللاممكنة الليلهْ

وحسبتَ بأنك تعرف
أبصرتَ الناس يموتون فأنت إذن تعرف
ماذا تعرف عن لغةٍ لا يتكلَّمها إلا موتك في هذا
الليل ؟
لو تملكُ يا مجذوم القدمين وقوفاً لحظتَها
لا تتأرجح أو تنكبُّ على وجهك
مَن يدري ؟
سيقولون من الخوف
يقولون من اليأس
وتعلمُ أنك منذورٌ وقبلتَ بنذركَ
والناس يقولون يقولون ..

لو تملك أن تركضَ للموت فتختصرَ الدربَ وتختصر الخذلانْ

منذورٌ هذي الليلةَ للأحزانْ
منذورٌ أُذبح هذي الليلة
فأنا أبحث عن قبلتيَ السأموتْ عليها
وعزيزٌ أن أُقتل بين الشكِّ وبين الأيمانْ

قيل انشرْ عينيكَ على الأفقِ الغربيّ
وترصَّدْ نجماً
إن صدق العرّافون نبوءتهم
يظهرْ هذي الليلةَ فوق الأفق الغربيّ

إذا انتصفتْ هذي الليلةُ فانظرْ
فإذا انحاشَ النجمُ الى زاويةٍ في الأفقِ
وأخلدَ مرتعشاً

وإذا الليلُ اصفرَّ فأبصرتَ سماءً من كبريتٍ
مغلقةً كالمعدن
تتصعَّدُ فيها أنفاسُ النَّومِ مثل دخانٍ أبيضْ
وإذا رانَ على كلِّ الأشياء نعاسٌ كالموتِ
فلا نأمةَ إلا خفقانُ النجم المذعورِ على الأفق

وإلا خبطُ جُذاذةِ ساقيكَ على الأرض
فوجِّهْ وجهكَ شطرَ الأفق الغربيّ
فقد صدقَ العرّافون نبوءتَهم
وسيظهر فصٌّ أسودُ
يسبح في وهجٍ أسودْ
فإذا أنشبَ عينيه بعينيك
فحدِّدْ حجمَ الموت المقبل
وتبيَّنْ قبلةَ ذبحكَ لا تُخطئْها
وتثبَّتْ أن تصبح سيّدَ موتكَ لا يسبقْكَ
فتُقتل مقهورا

أمّا إن مرَّ ولم يتلفَّتْ
فستستجدي عمراً آخر كي تلقاهُ
ولن تُمنحَهُ
تتوسَّلُ أن تُقتلَ
لا تُقتَلُ
أن تحيا
لا تحيا
فالويلُ
لك الويلُ

إذا أغفيتَ
إذا موَّهكَ الخوفُ
ودافعْ أن تتحدّى باليأسِ
صغيرٌ حجمُ الموتِ اليلعبُ لعبتَهُ حينئذٍ فيك

ولعلَّكَ إن تبصرْهُ تجدْ ليقينكَ مرسى
ولعلَّكَ لا تأسىٰ
أو تجد السَّلوىٰ
ولعلَّ ..
لعلَّ ..
لعلَّ ..
خدرتُ ،
وغُيِّبتُ عن قلقي ..
حين ينتصف الليل ..

بيني وبين انتصافكَ شوطٌ أموتُ به ألف موتٍ
وأحيا
وبيني وبين انتصافك صحوٌ
إذا عادني
فمن الضّامني أنَّ كفّيَ لن تتراعش بالكأسِ

حتى لأرتاب أني سأشربها

هلَعٌ تتحدث عنه عجائزُنا بالهمس ، وبالأيماء
وإذ يُسألنَ
ييسملْنَ ويطرقْنَ الأعينْ

ضحكتْ منكنَّ صبايانا
ورأيتُ بأعينكنَّ سياطاً
ورأيتُ الى البسمات تفرُّ الى الأطرافِ
فتغدو حركاتٍ متشنِّجةً خجلىٰ
وقرأتنَّ دعاءً ،
واستغفرتُنَّ لنا نحن الأغرارْ
نحن الما أبصرنا النجم الدمويَّ فما نعلم ما يعني نجمٌ
دمويٌّ يظهر في الأفق الغربيّ

من أين هدوؤك هذي الساعه ؟

لو كنتَ تمدَّدتَ مع الزمن المتبقي من عمركَ طولا
لترهَّلتَ إذن واتَّسعت كلُّ خلاياك
فما أحسستَ بما ينفذ في لحمك

ترفض أن تقطع عمرك إلا عمقاً
ليكنْ
وتأمَّلْ سكّينَكَ كيف تقطّع كلَّ شرايينك وهي
تغوص الى آخر لحظات العمر

من أين هدوؤك هذي الساعةَ
أنت المترصّد موتكَ
أو سبباً يجعل موتك أنضج في عينيك

ـ أيُّها الرجلُ المبتلى
نذر الناسُ نجماً
وأنت نذرت لنجم
وبينكما ليلةٌ .. أنت تعلمُ

ـ أعلمْ ..

ـ عقدوا الخيطَ سبعاً
وإذا رفعوا عنه أيديَهم
حلَّتْ العُقَد الستُّ أنفسَها
أنت تعلمُ

- أعلمُ
- فانظرْ ، فبينكما ليلةٌ
- هي كلُّ المدى
وما بيننا عقدةٌ
هي كلُّ المدى

بالنَّواجذِ حاولتُها
قلقُ العمر جمَّعتُهُ في أظافرِ كفَّيَّ ..
- ندري
- وكنتُ بصمتي أدافعُ
ندري ،
ولكنَّها ليلةٌ

- آهِ ..
من يملك الصَّبرَ لوزنُهُ جحظت حولها عقدةٌ ؟
آهِ من يملك الصمتَ منذبحاً بين نجمينِ
كلٍّ يُمنّيه موتاً ؟

وفي كلِّ يومٍ
أصوّرُ نفسي ميتاً على هيأةٍ

ثمَّ أرفضها

أفأحمل قبري
أطوف بهِ
أسأل الناس
يا من يفصِّلُ لي ميتةً ؟

أيُّها الجسدُ الربُّ
هذي يدٌ أنكرتها جميعُ النبوءات
تضرعُ أن تتقبَّلَها

إنني أتلمَّسُ أطرافَ كلِّ المسامير في لحمكَ الحيّ
فامنح يدي جرأةً أتلمَّسُ نفسَ المواضعِ في جسدي

أنا أعلم أنَّ المسامير في جسدي سوف تصدأ
أعلمُ أنّي أرفرفُ ثانيةً ثمَّ أهدأ
لا لحمَ يبقى
ولا رسمَ يبقى
وأنت هنا منذ ألفين يا سيّدي
كلَّ ليلٍ يُظلِّلكَ اللحم

حتى إذا أصبح الصبحُ تعرىٰ
منذ ألفَين تؤكلُ يا سيدي صامتاً
أفما آنَ أن تغضب الآن ؟
أن تصرخ الآن ؟
أنِ تتغيَّر هذي الرسومُ التي أسلمتكَ الى
الصمت أن ...

ـ أيُّها المتأرجح في مَدْرج الموت ،

هل أنت وحدك ؟
ـ مَن سائلي ؟
ـ إن يكن معك الآن من شاهدٍ
فليقوّمكَ

ـ ليس معي غير نفسي
ـ تجنَّبْ إذن .
يتقدم من جاء يسعى بشاهدهِ

ـ أيها الصوت
يا لغةً شابَ رأسي عليها
يا نداء الدروب التي ضيَّعتني
يا لغةً قتلْتني

كنت أنت لي شاهداً

أنت ترفض أدري

وما كان لي أن أرى عنقي تلتوي هكذا

جئت أحمل جلدي

لقد وشمَ الموتُ حتى منابتَ أظفارهِ

أفتغني شهادتُه ؟

جئتُ أحمل عينيّ

تعلمُ أنهما ابيضّتا فرط ما حملق الموتُ فيَّ

وحملقتُ فيه

أيغني حضورهما ؟

ومعي جعبةٌ ،

منذ قالت ليَ امّي بأن الأظافر تشهدُ يومَ القيامةِ

جمّعتُها إظفراً إظفراً

أفتغني شهادتُها ؟

أيُها الصوت

يا أيُّها الـ ...
هكذا ؟؟
فأنا لستُ أملك حتى بأن أدَّعي حقَّ موتي ؟

كان لي عَدَّ نبضي شهودٌ
وما أثبتوا أنني كنتُ أحيا
مَن يُعير الذي يبحث الآن عن موتهِ شاهداً ؟

يا يحيى
تملكُ عَدَّ مَنابتِ شعر الرأس شهوداً
فاتركْ رأسكَ لا تبحثْ عنهُ
فلو عاد الى أكتافكَ
تنكرهُ الساعةَ
تَسأل أن يُقطعَ
تُسأل أن تُحضر شاهدَ موتٍ
يا يحيى دعْ رأسكَ
يا يحيى دعْ رأسكَ
يا يحيى دع

ها هي الكأس تهمي

وما زلتُ في أوّل الليل

أيَّ الدروب سلكتَ فلم تُعطِ موتكَ فرصةَ أنْ
يتخيَّر يا سيدي ؟
أنت أترعتَ كأسك
لم تنهمر قطرةُ
وأنا ،
نصفُ كأسٍ وفي أوّل الليل تهمي
والمسافةُ يا سيدي جدُّ شاسعةٍ
هي مرتكزي
وهي منتصف الليل
والكوكب الدمويُّ الذي
والذي ربَّما ..
والهواجسُ يا سيّدي
كلُّ هاجسةٍ أمدٌ
كلُّ هاجسةٍ عِدْلَ دهرٍ من الموت
أيَّ الدروب تخيَّرت فاختصرتْ لغةُ الموتِ
فيك تفاصيلَها ؟

يَتُها الكأس

محكومةٌ أنتِ أن تُشربي للقرار
فلا ترجفي

يَتُّها العين لا تطرفي

ندفع الخوفَ بالموتِ
أو ندفع الموتَ بالخوفِ
تلك قضيَّتُنا نحنُ
كلُّ النبوءات عاجزةٌ أن تسمّي ميتاً بلا شاهدٍ
فأنا مُرجأٌ
مرجأٌ أن أعيشْ
مرجأٌ أن أموتْ
مرجأٌ
مرجأٌ
مرجأٌ

أيُّها الميتون بلا شاهدٍ
تُرفضُ الآن ميتتكم
فاحملوا فضلَ أكفانكم
واتبعوني لمنتصف الليل هذا
ثم موتوا شهوداً على بعضكم

أيها الميتون بلا شاهدٍ
إتبعوني لمنتصف الليل هذا
إتبعوني لمنتصف الليل هذا ..

في نهاية الأربعين

مضى ما مضى منكَ خيراً وشَرْ
وظلَّ الذي ظلَّ طيَّ القِدَرْ
وأنتَ على كلِّ ما يزدهيك
كثيرُ التَّشكيّ ، كثيرُ الضَّجَرْ
كأنَّكَ في خيمة الأربعين
تُخَلِّعُ أوتادَها للسَّفَرْ
وتجمعُ للدَّربِ زادَ المُقِلِّ
كفافَ المنىٰ ، وطويلَ السَّهَرْ
على أنَّ في قلبكَ المستَفَزّ
جناحاً يغالبُ أن يؤتَسَرْ
وفيكَ وإن لم تَفُهْ صيحةٌ
يطول مداها ولا يُختَصَرْ

●

مضى ما مضى منكَ والقادمات
تضيء قناديلَها للكِبَرْ

رويـــــداً تُثَقِّـــــلُ تلـــــك الخطى
وتثـــلمُ شِـــرَّةَ ذاك البَصَـــــرْ
وشيئـــــاً فشيئـــــاً تحـــول الحيـــاة
شـــريطـــاً بـــدأناه عنـــد الصِّغَـــرْ
حيـــــاديَّـــــةٌ غيـــــر بعض الهمـــوم
رمـــــاديَّـــــةٌ غيـــــر بعض الصـــوَرْ
وأنت تُعـــــــاصي وغيمُ السنين
عليـــــك لأمطـــــارهِ مُنهمَـــــرْ
وكم ذا تكـــــابـــــرُ والأربعـــــون
ذرىً كـــلٌّ مـــا بعـــدَهـــا مُنحـــــدَرْ؟
أأوجـــــعُ من أن يضـــــجَّ الحنين
بقلبـــــكَ حتى لبـــــؤسٍ غبَـــــرْ؟
وأنـــــكَ يـــــا أقلقَ المتعَبين
تُـــرىٰ خـــاليَ البـــال حـــدَّ البطَـــرْ
وأنـــــكَ تضحـــــك للمبكيـــــات
وأنـــك تصفـــو بـــرغم الكـــدَرْ
ومـــاذا ســـوى هـــذه البـــارقـــات
يـــرىٰ منـــكَ إذ يلتقيـــكَ البَشَـــرْ؟
على أنَّ أوجـــعَ كـــلٍّ الهمـــوم
أن نـــألفَ الهمَّ حـــدَّ الخـــدَرْ

وذروةُ مـــــــأســــاتنــــــا أنَّنــــــا
نَســـــــرٌ ولكنَّنـــــــا لا نُسَـــــــرْ
وليس لفضــــــلٍ لنــــــا مَحْمَـــــدُ
وليس لــــــذنبٍ لنــــــا مغتفَـــــرْ

●

مضى مـــــا مضى ، غيـــــر أنَّ الحيـــــاة
لهـــــا فيـــــكَ رأيٌ بعيـــــدُ النظَـــــرْ
فـــــإنْ بـــــذَّرْتـــــك سنـــــونٌ مضتْ
فـــــأنت لمـــــا بعـــــدهـــــا مُـــــدَّخَـــــرْ
وإنْ جـــــرَّحَتْ منـــــكَ مـــــا لا يُـــــرى
صـــــروفُ زمـــــانٍ كثيـــــرِ الغيَـــــرْ
فيـــــا طـــــالمـــــا جـــــرَّدْتـــــك الهمـــــوم
فكنتَ على المـــــوت مـــــوتـــــاً ذَكَـــــرْ
ويـــــا طـــــالمـــــا دقَّ مـــــرمى خطـــــاك
على هـــــدأةِ الليـــــل حتى اقشعَـــــرْ
وإذ كنتَ تعبـــــرُ كـــــان الغُفـــــاة
يـــــرونـــــكَ جـــــرحـــــاً كبيـــــراً عَبَـــــرْ
كـــــأنْ حُلُمٌ مـــــرَّ ، لـــــولا الصبـــــاح
تُشعشـــــعُ أضـــــواؤه في الخُثَـــــرْ

وينتصر الفجر، تطوي الجناح
على نازف في الضلوع انتصَرْ
كذا أنتَ مستشهَدٌ مهمَلٌ
ولكنَّهُ عمرهُ ما كفَرْ!

مضى ما مضى، لا نهتْكَ النُّهاة
ولا آمرٌ حيث تسعى أمَرْ
مروءتُكَ العلَّمَتْ وحدَها
مسارَكَ، والأمَّنَتْ مِن عَثَرْ
يكحِّلُكَ الفجرُ حيث انفطَرْ
وتعتمرُ الليلَ حيثُ اعتكَرْ
وتبدو أنيساً لكلِّ الحتوف
وتبدو أليفاً لكلِّ الغِرَرْ
وتسعى الى الحيفِ إنّى أناخ
وتحتمل الوزرَ أنّى وزرْ
ويشتجر الغيظُ في جانحيك
بلى كلُّ غيظٍ له مشتجَرْ
ولكنَّ غيظَكَ صعبُ المراس
له بين كلِّ الخلايا شرَرْ

وتعلمْ أنــــكَ جئتَ الحيــــــاة

كثيــــرَ التحـــدّي ، قليـــلَ الحـــذَرْ

وأنـــكَ والـــدهـــرُ حـــربٌ عليـــك

جـــررتَ على النفسِ مـــا لا يُجَـــرْ

أجَـــزْتَ الـــذي عمـــرهُ لم يُجَـــزْ

وأهـــدرتَ مـــا عمـــرهُ مـــا انهـــدَرْ

وشـــــابكْتَ حتى دَميتَ وحتى

تـــركتَ على كـــلِّ وجـــهِ أثَـــرْ

ويـــا طـــالمـــا لعقَتْ مُـــرَّةً

دمـــاكَ فـــألْفَتْـــكَ منهـــا أمَـــرْ

بلى عِبـــرةً كنتَ ، حتى الجنـــــون

تنـــاهى ، ولا مـــا نهتْـــكَ العِبَـــرْ

نـــــذرْتَ لكـــلِّ زمـــانٍ دمـــاك

فقـــلْ لي زمـــانُـــكَ مـــاذا نـــذَرْ؟

وهـــل ســـألَ المـــاءُ في راحتَيـــك

عُمَيـــر الـــذي يستقي أم عمَـــرْ؟

وهـــل كنتَ يـــومـــاً سوى مـــا تشـــاء؟

وهـــل شئتَ إلّا الـــذي لا يُقَـــرّ؟

مفـــــارقـــــةُ أيُّهـــــا المبتلى

بـــأن لا يُفـــادَ وأن لا يُضَـــرّ

مفـــــارقـــــةُ أن تكـــون الطـــــويـــــل
وكـــــلُّ أيــــاديـــــكَ تشكـــــو القِصَـــــرْ
مفـــــارقـــــةُ أنَّـــــكَ المبتـــــدا
وأنَّ جميـــــع الـــــرزايـــــا خَبَـــــرْ

●

بلحمـــــكَ دَثَّـــــرتَ عـــــريَ العُـــــراة
وتعـــــرىٰ فتبقىٰ بـــــلا مُـــــدَّثَـــــرْ
وتسقي دمـــــاً ، أيَّ جـــــدبٍ ألَمَّ
وجـــــرحُـــــكَ من نخـــــوةٍ مـــــا زَخَـــــرْ ؟
وتظمـــــا فتستـــــافُ كـــــلَّ الـــــرِّمـــــال
ولا وِرْدَ ، حتى ظمـــــاكَ اعتـــــذَرْ
مكـــــابـــــرَةً تفعـــــلُ الـــــلايُطـــــاق
ولستَ على فعلـــــهِ مـــــؤتجَـــــرْ
مكـــــابـــــرةً صنتَ مـــــا لا يُصـــــان
وبـــــذَّرت مـــــا لم يبـــــذِّرْ بشَـــــرْ
مكـــــابـــــرةً أيُّهـــــا المقتفي
رَداهُ كـــــأنَّ المنـــــايـــــا وطَـــــرْ
وهـــــا أنت أتعبتَ كـــــلَّ الـــــدروب
وهـــــا أنت ألهبتَ كـــــلَّ الغُمَـــــرْ

وهـــا أنت صـــاحتْ بـــك الصـــائحـات
وشـــدّتْ علىٰ كـــلّ قـــوسٍ وتَـــرْ
تحَيَّـــرتَ في رَهَـــجِ الحـــادثـــات
مـــاذا تُبقّي ، ومـــاذا تَـــذَرْ
وهَبْـــكَ اتَّقيتَ جميـــعَ السِّهـــام
فمن سهمِ نفسِـــكَ أين المَفَـــرْ؟
وتبقىٰ ونفسُـــكَ نفسُ الكـــريم
لهـــا حين تـــزجـــرهـــا مـــزدَجَـــرْ

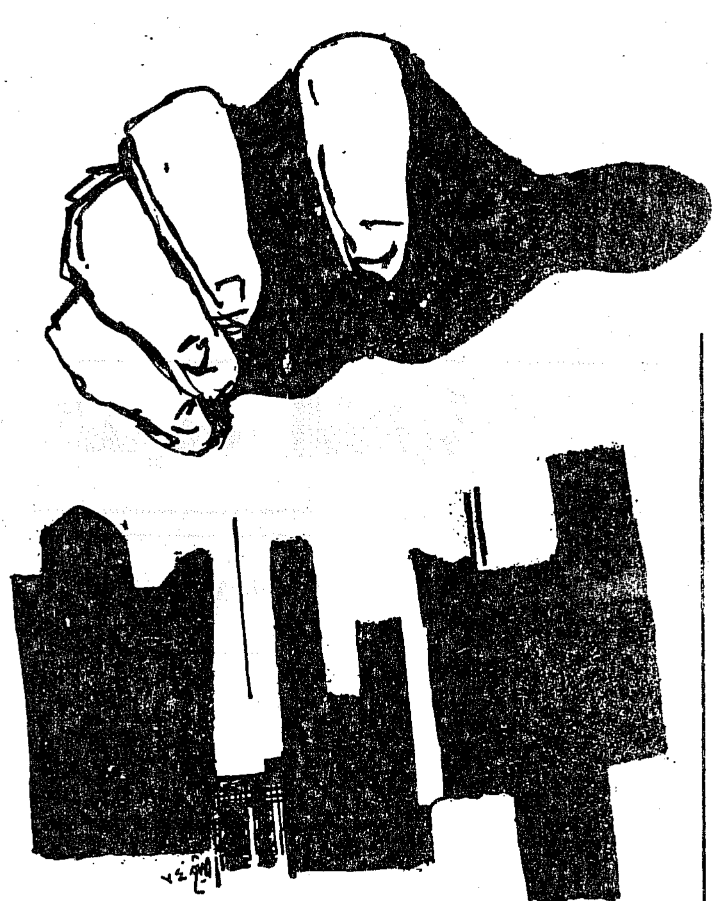
●

بلىٰ ، كـــلُّ مـــا تُنـــزل النـــازلات
تحمّلُـــهُ الأرضُ بـــرداً وَحَـــرّ
وفي المـــوت صبـــرٌ ، وأمّـــا على
ســـواهُ فمستضعَفٌ مَن صَبَـــرْ
ومـــا كـــلُّ بـــرقٍ تجلّى أصـــاب
ولا كـــلُّ غيمٍ تَـــدلّى مَطَـــرْ
فيـــا حـــرقـــةً مـــا لهـــا منتهى
ويـــا قلقـــاً مـــا لـــهُ مستقَـــرّ
بـــذَرْنـــا وهـــذا أوان الحصـــاد
وكـــلُّ امـــريءٍ حـــاصـــدُ مـــا بـــذَرْ

وليس لنـــــا مَطمـــــعُ بـــــاليجيء
ولا نـــــادمين على مـــــا بـــــدَرْ
ولا قـــــائلين لمـــــا فـــــاتنـــــا
تمهَّـــــلْ .. ولا نـــــادبين القـــــدَرْ
ولكنَّنـــــا نـــــرقبُ الـــــذاهبـــــات
وألفُ ادِّكـــــارٍ لنـــــا يحتضَـــــرْ
فيـــــا دوحـــــةً صـــــوَّحَتْهـــــا الـــــرياح
فـــــلاحت كمـــــا لا يلـــــوح الشَّجَـــــرْ
خـــــرافيـــــةً ، هـــــائـــــلًا جـــــذعُهـــــا
ولا غصنَ ، لا ورقٌ ، لا ثَمَـــــرْ
ولكنْ تَبَـــــزَّلَ فيهـــــا اللِّحـــــاء
وأطلـــــعَ من كـــــلِّ شـــــرخٍ قمَـــــرْ
لـــــكِ الله ، كم تمنحين الحيـــــاة
ويـــــرميـــــكِ بـــــالعقـــــم أعمـــــى بَصَـــــرْ !

الخيمة الثانية

١٩٧٥



ويا وطناً له غنَّيت
كالعصفور
أرجفُ في الصَّباحات الشتائية
وأنشدُ تحتَ رايتهِ

عبدالرزاق

مواسم

جِئْتُ في موسِمِ الطَّلعِ
أسألُكُم حبّةً تَصْدقُ الوعدَ
أحملُها مهرجاناً لعُقمِ النخيلْ
عَرضَتْ لي سِباخُكمو كلَّ أملاحِها
وحَلفتُم
عدتُ منكسراً ،
واعتذرتُ لَكُم عند أهلي

جِئْتُكُم موسِمَ الملح
قلتُ الصغارُ يَشبّون
تطحنُ أضراسُهم كلَّ شيءٍ
وأخشى عليهم طعاماً قليلًا مروءتُهُ

فامنحونيَ مِلْحاً
ملأتُم جيوبيَ بالطَلْع !

أعلمُ أنَّ الدماءَ مواسِمُ في أرضِكُم
ربَّما صارَ طلْعُ النخيل دَماً
واستحال الدَمُ المرُّ طَلْعَاً
وما أثْمَرَ الطَلْعُ فينا
ولا أثمرَ الدَمُ فينا
وظلَّ اتفاقُ مواسِمنا مبهَماً

لا تقولوا طريقُكَ يُفضي الى الموت
أعرفهُ
وأعرفُ أنكمو
تُفسدون عليَّ مروءةَ موتي

النذيـــر

كلَّما احترقَتْ عُشبةٌ

رَجَفَتْ كلُّ أروقَةِ الأرض

أنَّ مسامةَ حبٍّ ستغلقُ في لحظةٍ بابَها

أنَّ قطرةَ ماءٍ تدورُ على نفسِها الآن مهمَلةً

وتعودُ لتقبعَ في مخزنِ الموت

يا عصرَ كلِّ الحرائقِ

والأنهُرِ التائهاتْ

هيّء الفُلك

واضمَنْ لِنوحْ

مَنْ يُصدّقهُ

إنَّ طوفانَكَ الغدَ آتْ

إنَّ طوفانكَ الغدَ آتْ

تنهض بين الحقائق

متعَباتٌ خطاكَ الى الموتِ
مَهمومةٌ
يا حسينَ بنَ مردان
لكنْ تُكابرُ

أيقظْتَ كلَّ الملاجيء
فانهزمَتْ
مَنْ يشاركُ مَيْتاً منيَّتُه يا بنَ مردان ؟

مُنجرداً وحدَك الآن
يُحشَرُ هيكَلُكَ الضَّخْمُ في ضَنْكَةِ الموتِ حشراً
، وأنت تكابرُ

كلُّ المياهِ تعثَّرتَ فيها لتُطفىءَ خوفَكَ
فاشتعلَتْ

موحَشاً كنتَ
مستوحَداً
تتنازلُ عن كلِّ أرقامِكَ المُستباحةِ
تُسْقِطُها
واحداً
واحداً

الطريقُ الى الصِفْرِ مَعجزةٌ يا بنَ مردان
أنْ تملكَ الدربَ وحدَك
تمتلك النَّدمَ المتَفرّدَ وحدَك
أنْ تلتقي والذي خِفْتَهُ العُمر
تدخلُ دهليزَهُ

إنها لحظةُ الكشف
وحدَكَ تملكُ أن تسمعَ الآن
وحدَكَ تملكُ أن تَتقرّى
ووحدَكَ تُبصر

تَعلَم وحدَك إن كان للخَطوِ مُرتَكزٌ
حين يفتقدُ المرءُ أقدامَهُ
حين يفتقدُ الأرض

تلك خصوصيّةُ الموت
تملكُها الآنَ وحدَك

تحبو إليكَ المَجاهيل
تَنهضُ بين الحقائقِ
عُريان
مُنْخَلِعاً عنكَ كلُّ ادِّعائِكَ

إنَّ الطريقَ الى الصِّفْرِ معجزةٌ
إنّهُ الخوف
عمرَكَ وطّنتَ نفسَكَ أن تألَفَ الخوف
لكنَّ حجمَ الذي أنتَ فيهِ
يُحطّم كلَّ القياسات
يُسْقطُ كلَّ المَعابرِ حيثُ التَفتَّ
سوى مَعْبَرٍ يَشْرَئِبُّ الى يومَ كنتَ صغيراً

تلوحُ به حافيَ القَدَمَين
مُهدَّلةً ياقةُ الثوبِ منكَ
تَمرُّ عليهِ الوجوهُ التي
والسنينُ التي
والنساءُ اللواتي

وتأتي حسينَ بنَ مردان مُنسَدلَ الشعرِ لِلكَتِفَيْنِ
عَصاكَ الغليظةُ تضربُ بين ديالى وبغداد
تصعدُ مِعراجَ قوسِكْ
كانت عموديةَ المُرتقى كلُّ أقواسِنا يا بنَ مردان
تَذكُرُ كيفَ تقبَّلَنا الموت ؟

أسماؤنا كلُّها ذاتَ يومٍ عَقَدنا على شجرِ الموتِ أجراسَها
وانتظرْنا الرياح
وكانت تهبُّ الرياح
تهبُّ

أكُنّا نبالغُ ؟
أمْ أنَّها سنواتُ البطولةِ
ينكسرُ المرءُ مِنْ بَعْدِها سُلَّماً
ثم يزحفُ للخوف ؟

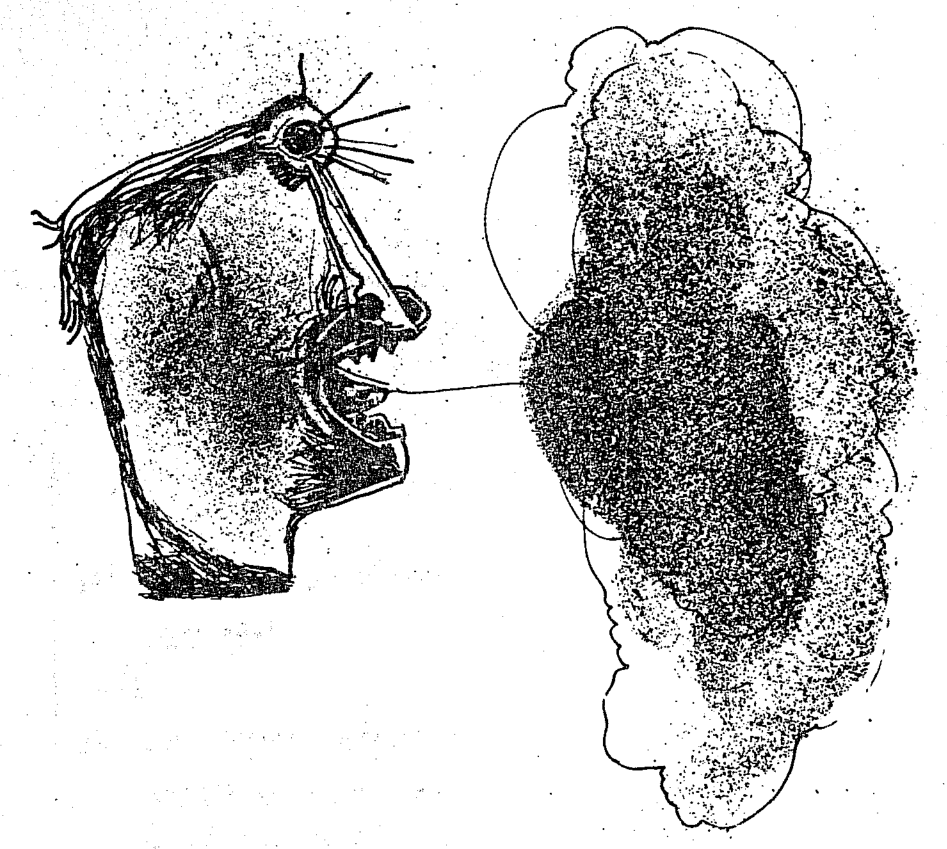
تذكرُ كيفَ تَقَبَّلَنا الموت ؟
ما تَصفِرُ الريح
إلّا ويَسمعُ واحدُنا رنَّةً باسمِهِ
ثمَّ يمضي
ولكنَّها سنَواتُ الرِّضا يا بنَ مردان
البَشرُ الماءُ يعقدُ أجراسَه في مَهبّاتِ كلِّ الرياح

ويَختبيءُ الجَرسُ الموت
أصغرُ أجراسهِ الجرَسُ الموت

أفنَيتَ عُمرَك تُحكِمُ تعليقَهُ
وتُوَسِّعُهُ
ثمَّ تُوسِعُ حِملاقَ عينَيك فيه
فتَفزع

ماذا جنَيتَ ابنَ مردان ؟

طفلًا لَهَوتَ بدُميةِ عُمْرِكَ
طفلًا سَئِمْتَ تحَطّمتَها
حلُماً عِشْتَ أن صرتَ مستوظفاً
حلُماً كانَ أن تشتري بدلةً
حلُماً أن غدَوتَ
ولو مرّةً
دائناً لا مَديناً
ولكنّهُ يا بنَ مردان دقَّ
ولم تتَّسِخْ بعدُ أكمامُ بَدْلَتِكَ الحُلْم
دَقَّ ،
وما زال دَينُكَ ما حانَ مَوعدُ إيفائِهِ



دقَّ ناقوسُ موتِكَ

يا أيُّها الامبراطور

يا أيُّهذا الموظفُ من قبلِ شهرَين

(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً « امبراطور الأدب » .

الطــــارق

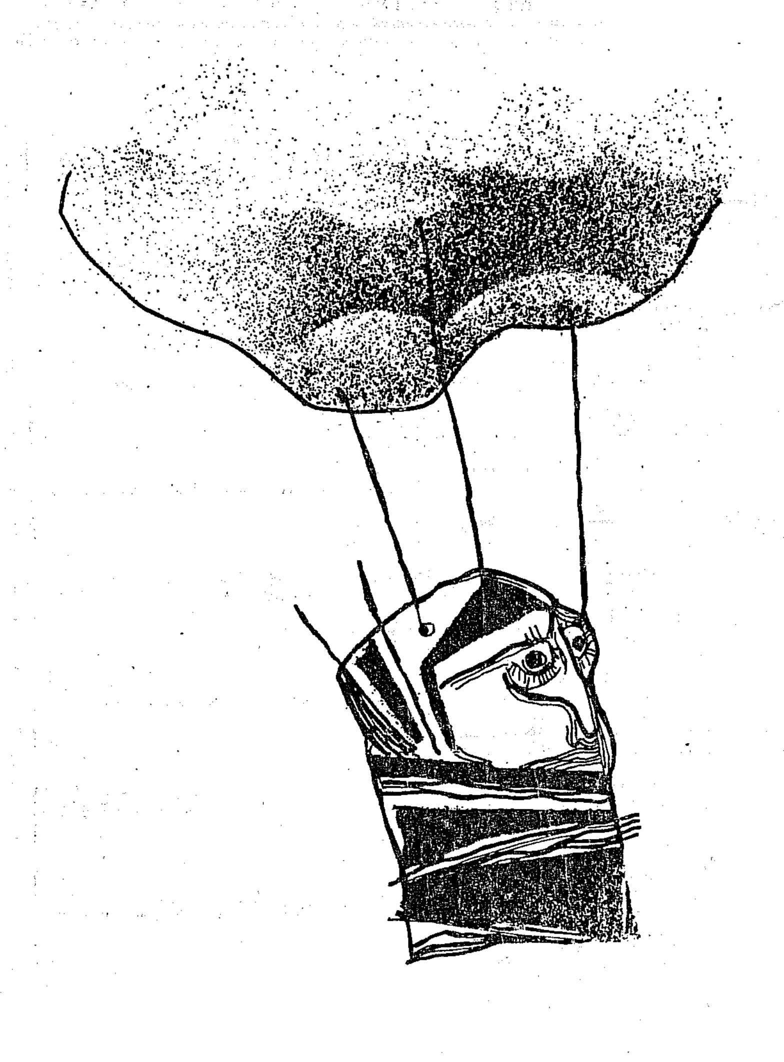
وهَا أنتَ تجتازُ خوفَ المُحبّين
تَمنحُ وعداً
أُصدّقُ
إني رأيتُ العصافيرَ تَنقرُ بعضاً
وتسقط في ساحةِ الدار
أبصرتُ كفَّ ابنتي ذاتِ عامَين
تحملُ مكنَسةً
فتوقَّعتُ ..
مَنْ طارقي ؟
المُحبّون غلَّقَ أبوابَهم خوفُ أن يَصدقَ الشكُّ
منْ طارقي وأنا محضُ نفسي ؟

علامةَ أني يَئستُ
تَحدَّيت
أني أخافُ
تَصدَّيت
قلتُ امنَحوني ولو كَذِباً أيَّ وعدٍ
فلم يطرق الوَعدُ بابي
وها كفُّ بنتي تُقلّب مكنسةً
والعصافيرُ تَنقرُ بعضاً
وتسقطُ في وَسْطِ بيتي
ومُستأذنٌ وَعدُكَ الضَّيفُ في عَتْبَةِ الباب
يا مَرحباً
لستُ طاوي ثلاثٍ ،
فعنديَ نفسي
ونَذْراً لمَقدَمِكَ اليوم أذبحُ في عتبة البابِ يأسي
ومنّي مروءةُ أن أفرشَ ألعين ،
أن نتبادلَ حتىَ مخاوفَنا
وليكُنْ
أنَّ وعَدكَ مفتاحُ كلِّ القلوبِ التي أحكمَ الشكُّ أقفالَها

النــذور

نذرٌ عليَّ لأسْرِجَنَّ الشمعَ في كَرَبِ النخيلْ
وأزفُّهُ لمياهِ دجله

نذرٌ عليَّ ،
أخضِّبُ الأبوابَ بالحنّاء
أزرعُ رايةً في سطحِ بيتي
نذرٌ عليّ
إذا سمعتُ الخيلَ تصهلُ ،
والهلاهلْ
وأهلَّة الأعلامِ تسبحُ فوق هاماتِ الرجال
نذرٌ إذا ماجَتْ يَشاميغُ الرجال
بين الأهازيجِ السَّخيَّه
سأشدُّ خصلةَ شَعرِ أختي في زنادِ البندقيه



وشرقت حتى كنت شمسا

وأصغَيْتَ حــدَّ الغَيظ .. قالــوا ، وأطنَبــوا
وخَفُّــوا .. وغـالَـوا فـاستخَفُّـوا ، وأرهَبــوا

وأصْغَيتَ .. كـانَ الحقُّ يُمسِـكُ نفسَـهُ
حليمـاً .. وكـانَ البـاطـلُ المحضُ يغضَبُ

وأصغَيت .. كـانَ الشعبُ يُحصي صمـودَهُ
يَـوَقِّتُـهُ .. والغَيظُ ينمـو ، فيُعشِبُ

دمـاً فَـدَمـاً .. صـوتـاً فصـوتـاً تسلَّقَتْ
منـابـرَهم ، والكـونُ يقظـانُ يـرقبُ

وأصغَيتَ .. جـاشُـوا ، واستَجـاشـوا وألَّبـوا
ومـاجـوا ، وكـادَ السَّيـلُ بـالكَيـلِ يـذهَبُ

فـأوجَـزتَ .. أبقَيتَ العيـونَ شَـواخِصَـاً
وراحتْ وجـوهُ المَستفِـزِّيـك تَشحَبُ

وأوجـزتَ .. لم تُعْطَ الحـروفُ تـألُّقَـاً
ولا ألهبَتْ يـومـاً بمـا كنتَ تُلْهِبُ

وأوجـزتَ .. أعطيتَ المَـدى ضِعْفَـهُ مـدىً
وشَـرَّقتَ حتى كنتَ شَمْسَـاً ، وغـرّبُـوا

*

تـــأمَّـلْ جمـوحَ الشعبِ ، تُبصـرْ لـه رَحىً
علي محـــوَرٍ مِنْ صَـــوتِـــكَ الفَـــذّ تُعصَبُ

تـــأمَّـــلْ جمـوحَ الشعبِ ، يُـزجي شبـابَـهُ
الى سَبَحـــاتِ المـــوتِ غضبـــانُ أشيَبُ

تـــأمَّـلْ جَمـوحَ الشعبِ يَنـدى مِنْ الهـوى
بـــأعيُنـــــهِ طَيفٌ لتمُـــوز مُلهَبُ

هـــوَ الشعبُ ، مِن خمسينَ غالُـوا ، وأرعَبـوا
وجَـــذّوا جـذوراً ، واستَبـاحـوا ، وصَلَّبـوا

ومـــا زالَ مِن خمسين غــابـــةَ جنـدَلٍ
تفـــورُ بهـــا الأغصـــانُ أيّـــانَ تُحْطَبُ

هـــو الشعبُ .. أدْمَـوا منـذُ خمسينَ صَبـرَهُ
وقـــد تَعِبـوا ، والشعبُ هيهـــات يتعبُ

لقـــدْ حُـــزَّ حتى لم يعُـــدْ فيــهِ مَبْضَـعُ
وقـــد شُـــجَّ حتى لم يعُـدْ فيــهِ مَضْـرَبُ

فـــأرغى خضيبَ النَّحــــرِ يَنفثُ غيظـــه
وتعلمُ مــا يـــأتيـــهِ شعبٌ مُخَضَّبُ

هـــو الشعبُ .. فانظـرْ حينَ تدعـوهُ بـاسمِهِ
وتُســرجُ أفــراسَ الــرَّدى ، كيف يــركبُ

*

لقــد جهــلَ البـاغــون أنَّ مــروءةً
يفجِّــر مِن ينبــوعِهــا الثَّــرّ مِخْلَبُ
وقــد حفَــروا حفــرَ اللئيمِ ، ومــا دَرَوا
بعُقبىٰ ذِمــاءٍ في السّــوَيــداءِ تُثْقَبُ
ومــا علِمُــوا أنَّ الطَّعينَ تَــذودُهُ
عن المــاءِ يَفــري جــرحَــهُ ثمَّ يَشْــرَبُ
ومــا عَلِمُــوا أنَّ الحليمَ إذا انْتظَى
سِــلاحــاً يُــزَكّي حِلمَــهُ حينَ يَضْــرِبُ
ومــا عَلِمُــوا .. تــاللّــهِ حتى حســابُنــا
دقيقــاً ، ونحنُ الشعب » والشعبُ يحسبُ
عَــراهُ ذهــولٌ لحظــةً ، ثمَّ أجهَشتْ
تقتبِلُــكَ الأرقــام إذْ أنتَ أصــوَبُ

*

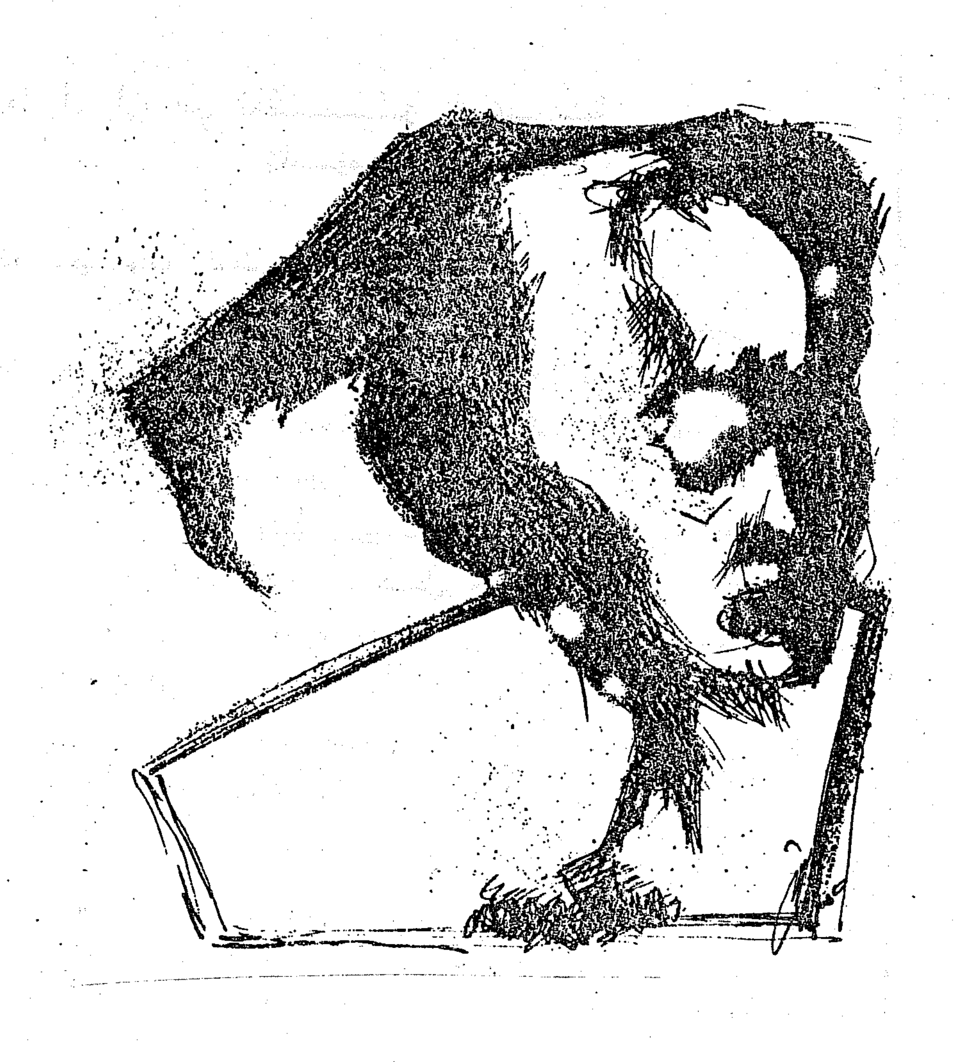
وهَيّــأتَنــا للمــوت ، مِنَّــةَ مُحسنٍ
فَسَلْنــا يُجبْــكَ الآنَ أهــلٌ ومــرْحَبُ
وسَلْنــا ، وقــد كُنّــا نحــاذرُ ظِلَّنــا
من الشــكّ ، نُعْطِ الآنَ مــا ليسَ يُــوهَبُ
أوَيْــلادَنــا ، نسعى ، ويسعَــون خلفَنــا
الى المــوتِ ، كــلٌّ قَــدْرَ مـا فيــهِ يَــدْأبُ

وَثِقْ أنَّ أيَّ ابنٍ تَعثَّرَ رهبةً
يُقَوِّمُهُ للموتِ مُستنْكِزاً أبُ

*

إقِمْ صَهَواتِ الموتِ ، فالسَّيلُ مُقْبلُ
وليسَ لهُ إلّا الدَّمُ الحرّ مُركَبُ
أقِمْ صهَواتِ الموتِ ، أحْكِمْ سروجَها
عليها ، وعلِّمْ قانطاً كيف يَغْضَبُ
وعلِّمْ سلاحَ الجورِ أنّ رصاصَهُ
يشقُّ دُرُوباً للسَّنا حيثُ يُنْشَبُ
وأنَّ حِراباً لزَّها ، كلُّ حُريةٍ
يضيءُ لها في حِندسِ الجُرحِ كوكَبُ
وأنّا جمعنا الكفَّ عزماً وأهبةً
فلنْ يعتلي متنَيهِ سيفٌ مُشَعَّبُ
ولكنْ رهيفُ الحدّ ، ذو مِرَّةٍ إذا
أصابَ فمَهوى نَصْلِهِ لا يُطَبَّبُ

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة ليلة اعلان قرار التأميم المجيد .



في معرض الرسم

حينَ صافَحتُها

نبضَ الماءُ في راحَتِي

قلَّ أن ينبضَ الماءُ في وقتِنا

مُقلَتي تتسلَّقُ

أسمعُ نَظرتَها وهي تهبطُ

قاطَعْتُها

أورَقَ الماءُ في لحْظَةٍ

سحَبتْ يدَها

الرسومْ
تتداخلُ ألوانُها
ثمَّ تَبهَتُ
هل تَرشحُ النارُ ماءً ؟
تَغلفتُ في وجهِها

العيونْ
تتقاطعُ مِن حولِنا
ثمَّ تَبْهَتُ
يلتبسُ الوجهُ بالوجهِ
تصبحُ كلُّ الوجوهِ رسوماً مُضبَّبةً
ــ تَرسمين ؟
تصبَّبَ نَهرا ضياءٍ بعينيَّ
ــ أكتبُ
ها أنت تغرقُ
ها أنتَ
حوَّلت الماء
يختلطُ الصوتُ بالصوت
تصبحُ كلُّ الأحاديثِ لغطاً

وتبهَتُ

ـ لم تَنشري ؟

خلتُها تتعمَّدُ إخفاءَ ضِحْكتِها في مَسافةِ ما بيننا
فتخدَّرتُ
أصواتُنا تَتخصَّصُ شيئاً فشيئاً
تخدَّرتُ

ها أنت تفقدُ كلَّ نقاطِ ارتكازِكَ في لحظةٍ
أيُّما امرأةٍ تسلبُ الأرضَ مِن تحتِ أقدامِكَ الآن

كانَ المدى بيننا يَتوتَّرُ مِمَّا نُضيّقهُ
يترك النَفَسُ المتردِّدُ ذبذبةً فوق أسلاكِهِ
كنتُ أغرَقُ في بِركتَينِ مِنَ الضوء

تفتَقِدُ الأرضُ أجمعُها الآنَ مُرتكزاً مثلَ عينيكِ
أغــرقُ

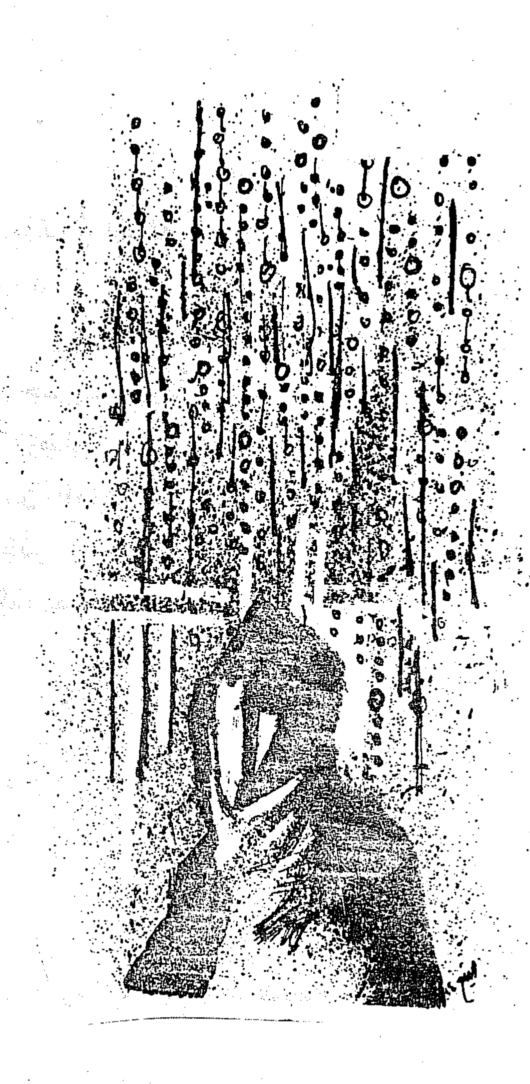
ظلَّ المدى يَدِّني حدَّ أن تَتَلامسَ أطرافُ كلِّ المفاتيح
أغــرقُ

ـ ها هوَ زوجي .. تَعارَفْتُما قَبْلُ ؟
أرخَتْ جميعُ المفاتيحِ أوتارَها

الغــــابة

تَتَعرّى العيونْ
تَتَعرّى الشفاه
تَفتحُ العُنقُ المخمَليَّةُ درباً
فتَنزلقُ العَين
كلُّ العصافيرِ أجنحةٌ
يَهجرُ العمرُ كلَّ مَواسِمِهِ
أيُّها الرجلُ الطفلُ
تَعلمُ إذْ تعبثُ الآنَ أيّ الدُّنا تَتَفَتَّحُ ؟
يورِقُ بينَ أصابِعكَ الشجرُ الحلو
والشجرُ المُرُّ
تَفجرُ كلَّ المَنابعِ
تَحفظُ دَيمومةَ الكون
تمنحُكَ الأرضُ ميزانَها
أيُّها الرجلُ الطفلُ
مَنْ لِلحياةِ لو أنَّ الطفولةَ تفقدُ سلطانَها

يَنهضُ الجَسَدُ الربُّ غابةَ أسئِلةٍ
وأنا المطرُ الرَّعدُ
والمطرُ الوّعدُ
عندي لكلِّ جذورِكَ أجوبَةُ
لا تَسدّي مَساماتِ أرضِكِ
تَقتلْ شعوبٌ من الماءِ أنفُسَها
ثمَّ يحترقُ الجَذْر
أرجعُ مُنخلِعاً مِنْ يَقيني
فيا غابةَ الشَّوق
يا غابةَ التَّوق
يا غابةً تستَبيني
ويا غابةً كلُّ أغصانِها تعتريني
أنَّ عنديَ أجوبةً
يهجرُ العمرُ كلَّ مواسِمِهِ
كي يُغلغلَ في أرْضِكِ البكْرِ أمطارَها



أجنحة الطير

حينَ قَبَّلتُ عينَيكِ
أيقَظْتُ سربَ العصافيرِ مِن نَومِهِ
أكلَتْ وجهيَ الزَّقزَقات
على شفتي دغدغاتُ المَناقير
طَعمُ المناقير
صارَ دَمي خمرةً
وإذْ كُنْتُ كالطفْلِ
والكونُ مُرتَسمٌ في شفاهِكِ حُلمةَ نهدٍ
علمتُ بأنَّ طريقَ فِطامي طويل ...
وأسرفتُ
مَنْ قالَ إنَّ الهوى يرتَوي ؟

حينَ فتَّحْتُ عينيَّ
أبصرْتُ سربَ العصافيرِ يغفو
وكانَ وريدٌ على العُنُقِ الغَضِّ يَنبضُ

يا كُلَّ أجنحةِ الطير لا ترجِفي
أنَّ قلبيَ نذرٌ لنومِكِ

قبَّلتُهُ
ثمَّ أغفَيت
كان الصباحُ يُراقبُني

المرقص الشرقي وعينان خضراوان

بحرٌ بلا قرارْ
وتعبرُ المَرقصَ أمواجٌ مِن الألحانْ
حقلٌ مِنَ الخُطى
اللّهَ يا مَزارعَ البلغار!

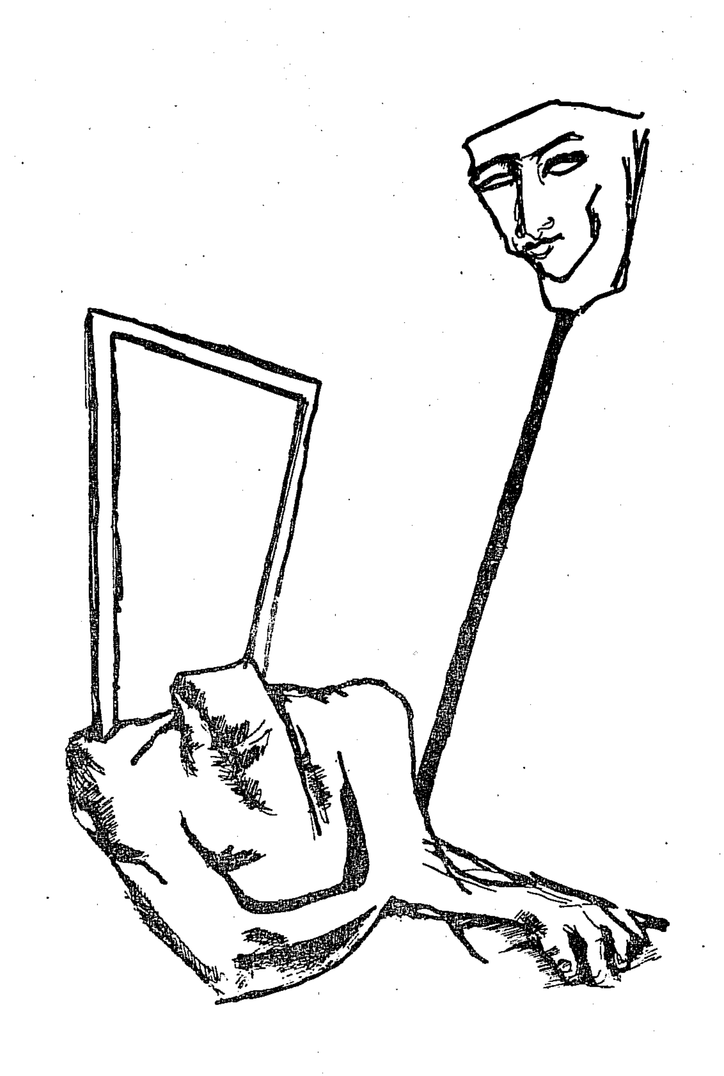
وأنتِ يا رائعةَ العينَيْنْ
وأنتِ منّي أين؟
أغرقُ في عينَيكِ،
في ضياعي
أحلمُ بالسهولِ والمَراعي
يَحملني شراعي
ما بين أهدابكِ في بحرٍ بلا شُطآنْ
يا سندباداً تاهَ في مَجاهِلِ البحارْ
مِنْ أينَ أقبَلتَ الى مَعابدِ البُلغار؟

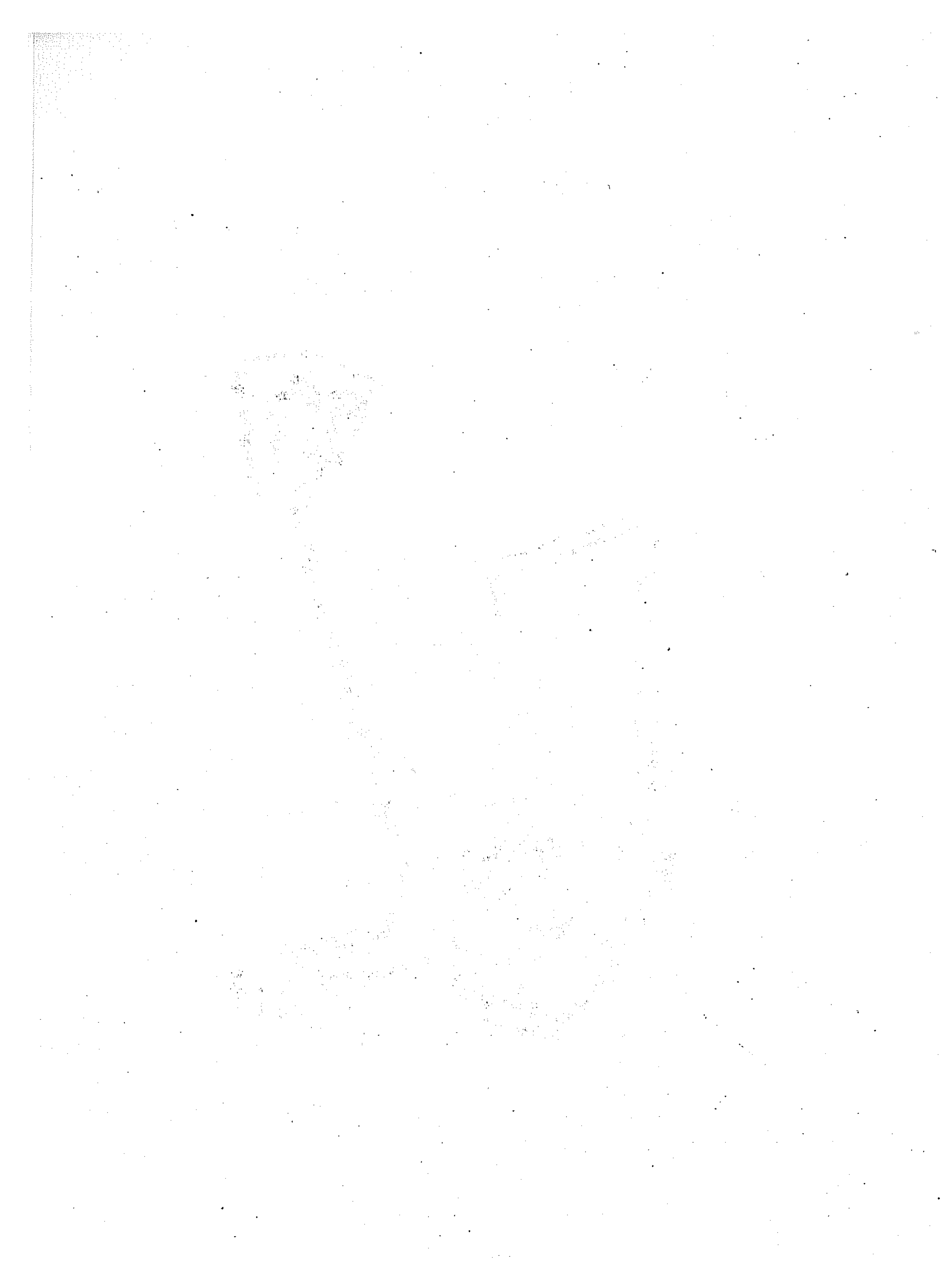
المَرقصُ الشرقيُّ والألحانْ

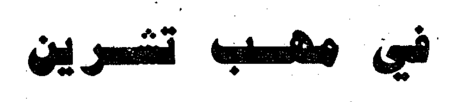
والمرقصُ الشرقيُّ والكؤوسُ والدُخان
تعصف بي
يأخذُني الدُّوار
يَلتفُّ حولي البحر
يَنهبُني
أتيهُ فيهِ ، أسْلِمُ القيادْ
أحلمُ في بغداد
وتَصعدُ المَوجةُ
تدبكُ الخُطى
تُهلهِلُ الألحانْ

فأسْتَفيقُ
وإذا المكانْ
المَرقَصُ الشرقيّ
وإذْ بعينَيكِ هُما البحرُ الذي
ليس لهُ شُطآن ..

صوفيا ١٩٧١







في مهب تشرين

احتجـاج

اخلَعُوا عنِّيَ كلَّ الأوسِمَه
ارفَعُوا عن جبهَتي كلَّ أكاليلِ المديحْ
إنَّني أرفضُ جرحَ الكَلِمَه

أنا لنْ أسألَكُم أن تَمنَحوني أيَّ شيء
أمضَغُ الآنَ بأسناني فمي
اتركوني لسلاحي
واتركوني لِدَمي
اتركوني لترابٍ لم يَخُنّي
لمْ يُزعْزِع قَدَمي

لنْ أعود
أنا وَسَّدتُ هنا أجسادَ أوفىٰ أصدقائي بيَدَيّ
دَمُهم فاضَ على وجهي ، وغطّى راحَتَيّ

لنْ أعود

وإذا عُدتُ

وأبصَرتُ صغاري
وإذا زوجةُ جاري
سألتْني
عن أخيها
عن أبيها
عن أبي أطفالها
أأقولْ
إنَّني وَسَّدتُهم في تُربةٍ أجْهلُ في حصَّةِ مَنْ سوفَ تؤول ؟

أأقولْ
هكذا .. ماتوا ؟
ذهبنا كي يموتوا ؟؟
ثمَّ عُدنا بالمَدافعْ
صامتاتْ
بسيولِ العرَباتْ
وبدباباتِنا مَخذولةً ،
ترنو إليها في الشوارعِ
والميادينِ عيونُ الأمَّهات
ووجوه الصِّبْيَةِ المنتظِرينْ

دونَ أن تُرفَعَ كفٌ ؟
دونَ أن يَعلو جبينْ ؟

زائفُ كلُّ رَنينِ الكلماتْ
زائفُ كلُّ نشيدْ
باطلاتٌ كلُّ تلكَ الخُطَبِ المُلتَهبه
ليسَ إلا ثِقَلُ الأرض ، وإصرارُ الحديد
ليسَ إلّا الصَّرخةُ المُحتَرِبه
كلَّما يَهوي شهيد

لن أعود

اخلَعوا عنِّيَ كلَّ الأوسمَه
أنا لنْ أسألَكم شيئاً
ولكنْ
في مَصيري
أنا رَبُّ الكَلِمَه

يوميات مقاتل عربي

« الـى محمـد الماغــوط »

١٢ تشرين ١٩٧٣

وكنتَ على فمِ الرَّشاشِ أغنيةً جنوبيَّه
وكُنتَ على فمِ الرشاشْ
عَراضةَ أمٍّ مقتولٍ لواحدِها الذي هَزَّتْ ولولَتْ(*)
كنتَ يا وطني
هَلاهلَ في فمِ الرشاشْ
تصعدُ واندلاع النارِ
تصعدُ من فمِ الأهوازْ
مِن قدَمَين حافيتَين
شَعرٍ مُرسَلٍ في الريحْ
وصوتٍ في العراءِ يَصيح
« أنا اخْتَكْ »
كنتَ يا وطني المُنادىَ والمُنادي النّاخيَ المَنخيّ
وما زلنا نقاتلُ
ما يزالُ الحبُّ يا وطنِي يُقاتل

(*) اشارة الى اهزوجة ثورة العشرين المشهورة في العراق : « هَزّيت ولوَلليت لهذا » .

١٥ تشرين ١٩٧٣

ويا وطناً لهُ غنَّيت
كالعصفور
أرجفُ في الصَّباحاتِ الشتائية
وأُنشدُ تحت رايَتِهِ
وَياما كنتُ أقرأُ تَحتَها
«عشْ هكذا »(*)
وأطولُ
أصعدُ في فمِ الكلمات
صرتُ بطولِ ساريةِ العلَمْ
ياما

(*) اشارة الى قصيدة الزهاوي الشهيرة : « عش هكذا في علوٍّ أيُّها العَلَمُ » .

ويومَ دُعيتُ مِن صَفّي لأرفعَهُ
وقفتُ أمامَهُ
وبَكَيْت

وها أنا أملُأ الرَّشَّاشْ
بتلكَ الدمعةِ المُجدِ النبيَّة أملأ الرشاش
يا وطني
وباسمِكَ أُطلقُ النيران

٢٠ تشرين ١٩٧٣

إمنَحْني يا وطني
شَرَفَ الموتِ لأجلِكَ في خطِ النار
هَبْني الإصرار

٢٣ تشرين الثاني
وقف اطلاق النار

يا كلَّ أثوابِ النساءِ في عَواصمِ العرَبْ
انحَسِري تحتَ الصدور
انحسِري فوق الرُّكَبْ
قد جَلبَ الرجالْ
مِن حَومةِ القتالْ
سلاحَهم وعادوا
المجدُ للصدورِ والأفخاذْ
والكأسِ والحشيش
يسقطُ يا يسقطُ يا يَعيش ..!

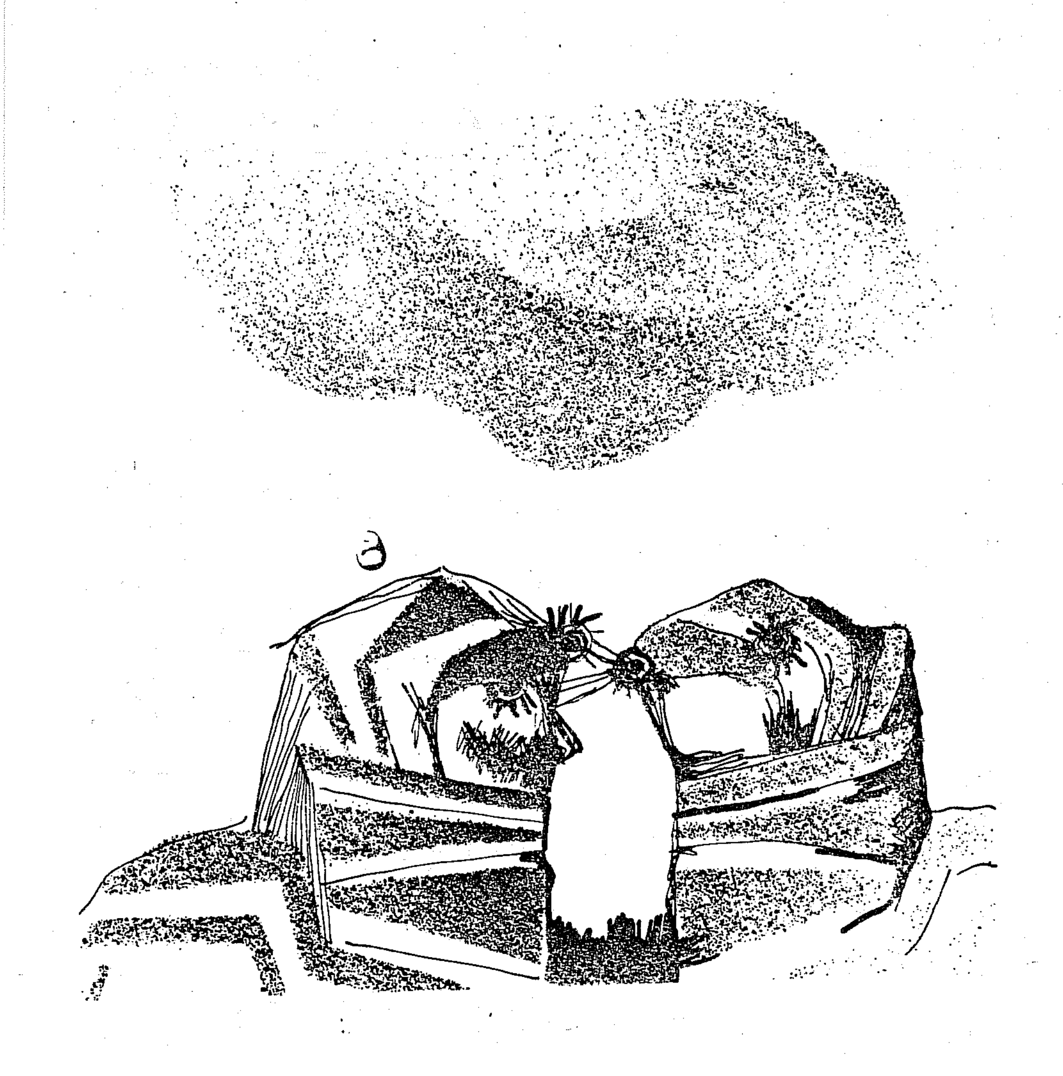
أسألكُم لحظةَ غفرانٍ كي أبكي
عندي صرخةُ مجنونٍ بالثورةِ
لكن كي أصرخَ
أسألكم لحظةَ غُفرانٍ أبكي فيها

بعد شهر واحد
في حديث مع بعض الأصدقاء

صدِّقوا
أنَّ دبَّابةً أُمِرَتْ أن تعودْ
رفضَتْ
عندما أُنْذِرتْ
أوغَلتْ في الحدودْ
قَتَلَتْ نفسَها

ملاحظة :

عُثِرَ على شيءٍ مثل هذا
لدى كثير من الجنود العائدين
فاعتُبِرَتْ وجوهُهم
في عِدادِ المنشوراتِ السريَّة الممنوعه



أيها الغضب الحنظل

كُتِبَتْ إثر عودة قطعات الجيش العراقي من المعركة

ارفَعوا الآنَ أوجُهَكم
وَلْتَقِسْ كلُّ عينٍ مسافةَ ما بينَها والحديدِ المُزَمجر
ما بينهَا والدم المتخثّر
فوق الدروعِ
وأغطيةِ العرَبات
لِتَقِسْ كلُّ عينٍ مَسافةَ ما بينها والرجوله
أيُّها الموصِدون على الخَوفِ أبوابكم
إفتَحوها
أيُّها المُوصِدون على الحُزْنِ أبوابَكم
افتَحوها
كلُّ قطرةِ ضوءٍ تُلامسُ هذا الحديدَ المُضَمَّخَ بالدَم
ثمَّ تلامسُكم
يَتَفتّحُ مَسْقَطُها فوق أجسادِكم عن وَريدٍ
يُمزقُ مِن فوقِهِ اللحمَ
يَسألُ :
لِمَ رَجَعوا ؟

كلُّ قطرةِ ضوءٍ تُلامِسُ هذا الدَمَ المُتخَثّرَ فوق الدّروع
وتسقطُ في دُورِكُم
يَتفجَّر مَسْقَطُها الآنَ عن رايةٍ

كلَّما هبّت الريح
رَشَّتْ دَمَاً فوق أوجْهِكم
وهي تصرخ :
لِمْ رَجَعوا ؟

إنّهُ الغضَبُ القادِمُ الآن كالحنْظَلِ المُرّ
يَحملُ أوسِمَةَ الموت
يَحملُ إصرارَهُ في صَريفِ الدّروعِ على الأرض
يَحملُ إصرارَهُ في جراحِ المَدافعِ ترفعُ أعناقَها
كبرياءً
ورَفْضاً لأحزانِكم

افتَحوا لمَهَبِّ البطولةِ والغضبِ الحنظلِ المُرِّ أبوابَكم
إنَّهُ الشَّرفُ المُرتدي دَمَهُ
المُتوَّجُ بالموت
تُلوَى رقابُ مَدافعهِ عُنوَةً عن مَيادينِها
عُنوَةً تتشبَّثُ بالسُّرفةِ الأرض
تجأرُ من غيظِها وهي ترفُسها
عُنوَةً تحملُ الطُّرُقُ الآنَ وَطأةَ هذا الحديد
ووَطأةَ رفضِ الجراحِ العظيمةِ
أن تغتدي مَحضَ أوسِمةٍ

لا ادّعاءَ

ولكنّهُ العلَمُ المُستقِرُّ على قمَّةِ النصر

يُخلَعُ من جذرهِ

ثمَّ يُلقى لأحذيةِ المعتَدينْ

فتَدوسُ الهزيمةُ شامتةً فوقَهُ

لا ادّعاءَ

ولكنّهُ الشَّرفُ العربيُّ المُصوِّتُ عبرَ الجزيرةِ

مِن عُمقِ آسيا

ومِن عُمقِ أفريقيا

في حَناجرِ هذي المَدافعِ

أخرَسَهُ الأمرُ بالصَمت

توشِكُ أفواهُ كلِّ المَدافعِ أن تَستديرَ على نفسِها

ثمَّ تُطلق نيرانَها !

لا ادّعاءَ

مَهيضٌ هوَ الجرحُ

يَنضحُ بالغضبِ الحَنظلِ المُرّ

فَلتَفْتَحوا كلَّ أبوابِكم

إنّهُ الصَّادقُ الوعد

القادِمُ الآنَ مِن حَومةِ النار
يحملُ أمجادَهُ حدَّ أن تقْشَعِرَّ الشوارعْ
يَحملُ أمجادَهُ حدَّ أن لا مجالَ لأن يُسألَ الدَمُ والموت

مَنْ يَجرؤ الآن أن يسألَ الدَمَ والموت ؟

ها هو ذا

السؤالُ الكبيرُ يَمرُّ أمامَ مَحاجِرِكُم
يتطلَّعُ مِن فوّهاتِ المَدافع
مِن قبّعاتِ الدروعِ
مِن الشُرَفِ التَّمضغُ الأرضَ حدَّ الوَعيدْ
ومِن نَظَراتِ الأسودِ الجريحة
المُتكبّرةِ المُستفَزَّةِ فوق الحديد

يا أكُفَّ الصِّغارِ التي لَوَّحتْ في الليالي
يا أناشيدَهم للقتالِ
يا هَلاهِلَ نسوَتِنا
يا وجوهاً همىٰ الدمعُ والفرحُ الحُبُ مِن فوقِها
وهي تركضُ حافيةً في الليالي على صوتِ قطعاتِهم
تتدفَّقُ ملءَ الشوارعِ للموت
يا فرحَ الشعب
يا غضبَ الشعب

يا حُبَّهُ
قفْ خشوعاً
فكلُّ الدروبْ
خاشعاتٌ لِثقْلِ الذي فوقَها
خاشعاتٌ لإحساسِها
أنَّ هذا الدمَ الحنظَلَ المُرّ
لا بدَّ يوماً يَؤوبْ
إنَّ هذا الدمَ الحنْظَلَ المُرّ
لا بُدَّ يوماً يؤوبْ

قضية- الشهيد الرقم ١٠٠٠

ارفَعُوا عنّي غطاءَ القبر

إنّي سأقاتِلْ

مَرّةً أُخرى أقاتِلْ

بالرَّصاصِ المُسْتَقِرِّ الآن في صَدرِي

أقاتِلْ

بِشرايِيني التي أفرغَها النَّزْفُ

أقاتِلْ

وبمَوتي ، كلِّ مَوْتي ، سأقاتِلْ

إنّكم لمْ تَتْرُكوا لي غيرَ قَبْرٍ ، وبقايا شاهِده

كانَ مَوْتي وَحدَهُ المُثْبت فيها :

الشهيد الرَّقَم ١٠٠٠

ماتَ .. مجهولَ الولاده

ورَحَلْتُم

قلتُ مجدٌ أنَّ لِي مِنْ وطني قَبْراً ، وتأريخَ شهاده
قلتُ باسمِ الوطَن المَشْغولِ عنّي بانتصارِهْ
الذي تَسْبَحُ دباباتُهُ الآنَ بِنارِهْ
أَرْتَضي أنّي أموتُ الآنَ رقماً
عارِياً حتّى مِن اسمي
زَوْجَتي تعرفُ ميلادي ،
وأطفاليَ أيضاً يَعْرِفُون
ولتكُنْ يا وَطَني إسماً ، وتأريخَ ولاده
وليكنْ قبري وطنْ

كنتُ أزْهو
أنّني أسمَعُ صوتَ الريحِ إذْ تَعْبرُ قَبري
تَتَهجّا كلُّ حَرفٍ مِن حُروفِ الشاهِده

كنتُ أزْهو
وأنا أسْمَعُ دباباْتِكُم تُرعدُ حَولي
أنَّ قَبْري سَعةَ الأرضِ
وأنَّ النّارَ باسمي الآنَ تُطلَقْ
أنا مَنْ لا اسمَ له

كُنْتُ أزْهو

أنّنيَ جزءٌ مِنَ الأرْضِ التي تحمِلُكم
أرفعُ صدْري كي أمسَّ الثُّربَةَ الكنتُم عليها تَعْبُرون
ورَحَلْتُم

أيُّها المُنْهَزِمون
إنّني أسمَعُ صوتَ الشاهِدَه
تسْتَغِيث
تحتَ دباباتِكم ..
أسْمَعْ أقدامَهمو تَحتلُّ قَبري
وأنا يُمْسِكني الموت
فلا أملكُ حتى أن أصيح :
« هَلي
يا مَنْ ضَيّعوني »

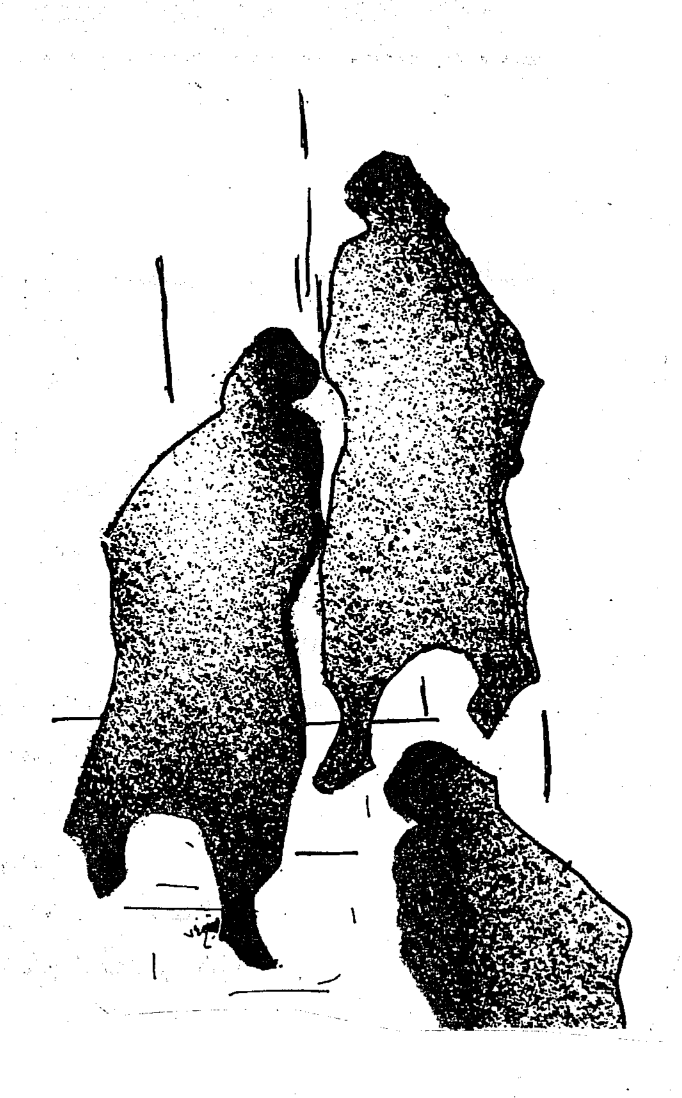
إنّها لوعَةُ مَنْ لا قَبْرَ له
إنّها لوعَةُ مجهولِ الهويّه
الذي حارَبَ مَزهوّاً
ولمّا مات
ألفىٰ أنّه حارَبَ مِنْ دونِ قضيّه
لا تَقُولوا لِصغاري

لا تقولوا لاخيّاتي ،
لأهلي اليملأون الآنَ داري
انّني متُّ شهيد
إنَّ مَنْ يُحْتَلّ حتّى قَبرُهُ ليسَ شهيد

سأُقاتِلْ
لِيكونَ القَبْرُ لي
سَوفَ أقاتِلْ
أنا عن قَبري أقاتِلْ

إنَّها خمسُ رصاصاتٍ بِجِسْمي شامتاتْ
ملءَ قَبري يتهامَسْنَ عليَّ :
الآنَ مات

أيُّها المُنهَزِمونْ
أنا ما عُدت شهيداً لقضيَّه
صِرتُ مَيْتاً بائِسَاً ،
صِرْتُ خَطيّه
ولكي أُقتَلَ مِنْ أجلِ قضيَّه
سأُقاتِلْ
ولِيَكُن قَبْري قضيَّه



أغنية حب للجبهة الوطنية

ها أنتَ يا وَطنَ الشهادةِ تمنحُ الخُطُواتِ فجرَ الدرب
للقَدَم التي قُطِعَتْ
مكاناً تَسْتَقِرُّ الساق
لِلماتُوا
شهادةَ أنّهم وُلِدُوا
لِمَنْ يأتون
أوراقَ انتماءٍ أنّهم أولادُكَ الآتون
وللشُّهداءِ إيصالَ اعترافٍ أنّهم ماتوا لأجلِكَ
أنتَ يا وطنَ الذينَ قضَوا لِشحِّ الماء
ثمَّ قضَوا لفَرطِ الماءِ
يا وطَنَ الحرائقِ
والبيارقِ
والأخاديدِ الكبيرةِ
تَمنحُ الخُطواتِ فَجْرَ الدرب

تُسرجُ صَهوةً للموت
تُسرجُ صهوةً للعابِرِينَ إليكَ نهرَ الموت
تمنحُ كلَّ مُعجزةٍ مداها

أقسِمُ يا وَطَني أنك تَشفي الأعمى والأكمَهَ والأبرَصْ
أقسِمُ أنكَ إن شِئْتَ تَقُلْ للشمس قِفي في سَمْتِ الرأسِ تَقِفْ
حتّى تَحْتَرِقَ الظُلمَةُ في كُلِّ حناياك
أقسِمُ بالنَهْرَينِ اجتَمعا في شَطّكَ
أنكَ صِرتَ الأبهى
أن مياهَكَ أنقى
أن الزَّبَدُ سيذهَبُ عنك جفاءً
أمّا ما يَنْفَعُ هذِي الأرض
فَيبْقَى

دَورُكَ أن تُقسمَ لي يا وطني
نتعادَلْ في العهدِ ونقتسم العُقبى
عهداً
أنْ تَمْنحَني عيشاً لا جِزيةَ فيه
أنْ تمنحَني موضِعَ قَدمٍ أحميه
عَهْداً يا وَطَنِي أنْ تمنحَني موتاً لا شُبْهَةَ فيه

اسماً

يُكتبُ إنْ متُّ على شاهدةِ القَبْر

يَقولوا أبحَرَ في شَطٍّ مِن نَهرَينِ امتزَجَا

لم يُثمرْ شجرُ يسقيهِ بلونَين

ولا طعمَين

فلم يتمَزَّقْ هذا الميّتُ بينَ الحامضِ والمالح

بينَ الحُلوِ وبينَ المُرّ

ولكنْ ماتَ وفي فَمِهِ طَعمُ الوَطَنِ البِكْرِ المتَوحِّدِ والمتفرّد

طعمُ الأرضِ ورائحةُ الأرض

وكانَ على شَفَتَيْهِ هتافٌ للجَبْهه

انه الفجر ينهض

حينَ يَرْتطِمُ الغَيمُ بالغَيم
يُخطىءُ مَنْ يحسبُ البَرْقَ مُعجزَةً
يَنْهَضُ الفَجْرُ في الليل
أو يَنْهَضُ الليلُ في الفَجْر
قدْ يُخطىءُ الظَنُّ
لكِنّمَا الرَّصَدُ الحَدْسُ
يَحْتَضِنُ الرَّعدَ قبل اندلاعِ البرُوق

النجومْ
رحَلَتْ عن مَدارَاتِها
أخْلَت الدَّربَ
إنَّ شِهاباً توسَّطَ في وَتَرِ القوس
يَجمعُ أطرافَها

ثاقِبُ ضوءُ سَهْمِكَ تموز
يُخطىءُ مَنْ يحسبُ البرقَ معجزةً

إنّهُ الفجرُ ينهض
يرتَطِمُ الغيمُ بالغَيم

أسقَطَ كلَّ حساباتِهم أنَّ بَرقَكَ أسرع
إنّهم حسبوا للرعودْ
حسبواْ للغيومِ التي تتجمعُ ألفَ حسابٍ
وما حسبوا لالتحامِ الغيومِ حساباً

وأعلنَ عن نَفْسِهِ البرقُ
أعلنَ عن نَفسِهِ هاجسٌ يتنفَّسُ في رئةِ الشعب
يعرفُ أنَّ النجومْ
رحَلتْ عن مُداراتِها
أخلَت الدربَ عن كوكبٍ يتوسَّطُ في القوس
يجمعُ أطرافَها

ويجيءَ القدَرْ
ثاقباً
يتَخطّى حساباتِهم
مُفْعَماً بالمَطَرْ

كُتِبَتْ في الذكرى الرابعة عشرة لثورة تموز ١٩٥٨ .

أمنية لعام جديد

« مهداة الى م . س . »

تسألُني أن أتَمنَّى ،
ما الذي أُريدْ
لوْ أنّني وُلِدتُ مِنْ جَديدْ
آنسَتي
إنِّيَ كلَّ يومْ
أولَدُ مِنْ جَديدْ
أموتُ مِنْ جَديدْ
وبعدَ كلِّ موتْ
أفزَعُ مِن ولادتي الأخرى
أودُّ لوْ .
لكنّني أُولَدُ رغمَ الخوف
لكي تَتمُّ اللعبةُ الكبرى

آنستي

ما بينَ ميلادي وموتي كلَّ يومِ
أشتهي مَرَّه
لو أنّني كمثلٍ ما يُولَدُ كلُّ النّاس
أُولدُ طفلًا مرةً
ومرَّةً أخرى
أموتُ طفلًا
دونَ أنْ أفهمَ هذِي اللُّعبةُ الكبرى

الخطيئــــة

أيُّنا قَدَرُ الآخر الآن ؟
عيناكِ ، والشمعةُ المستقِرَّةُ في كَأسِها
تَقْطرانِ
وتَقطرُ
لكنْ
أنا الذائِبُ المتكبّرُ في صَمْتِهِ

أيُّنا قَدَرُ الآخر الآن ؟

ــ ما كُنْتُ أحلمُ أنكَ
ــ ماذا ؟
ــ ... تُفكّرُ بي

طفلةٌ
كيف أُفهِمُها أنَّ في كأسِها الآن خَمْراً

وانيّ اهيمُ بها هكذا
طفلةً
أتأمَّلُها مثلما يتأمَّلُ رَبٌّ خطيئَتهُ

كيف أُفهمُها أنّها الآن أصغرُ مِنْ أنْ أُغازلَها
أنّها الآن
أكبرُ مِنْ أنْ أغازلَها

لحظة عري

تقاطَعَتْ أعينُنا
تَدنو الوجوهُ ثمَّ تنأى
أعينُ الطلابْ
تَرمُقنا
أبحثُ في بحارِ عينَيها عن الشُّطْآن
عن ساريةٍ أضَعتُها

ــ نسيتَني ؟
أربَكَنِي السؤال
أبدو عارياً أمامَ عينَيْ طفلةٍ نسيتُها

ــ ألَسْتِ ؟ ..
ــ لنْ تَذكر
ــ أنتِ .. ؟
ــ لا ..
سنَنْسىٰ
تكثرُ الوجوهُ
نَنْسىٰ

تعْبرُ السنين
نَنْسىٰ
أعيُن الطلابِ كَم تُرْبِكُ .
ــ هل ذكرتَ .. ؟

يا كُلَّ السَّماوات التي تغفو بعينَيها
شراعُ تاه
لكنْ أين ؟
نجمُ تاه
منذُ متى ؟
ولكنْ .. أعيُنُ الطُّلابِ
وهي تُلحُّ
ــ تَذكرُ ليلةَ الميلاد .. ؟
ــ ها .. ؟!
وأضاءَ نجمُ بين عينَيها
شراعُ عادَ مِنْ سَفَرٍ بعيدٍ بين عينَيها
وكانت أعيُن الطلابِ تطفو
ثمَّ ترسبُ
ثمَّ تطفو بيننا
ــ هيّا الى القاعه

احتراق يومي

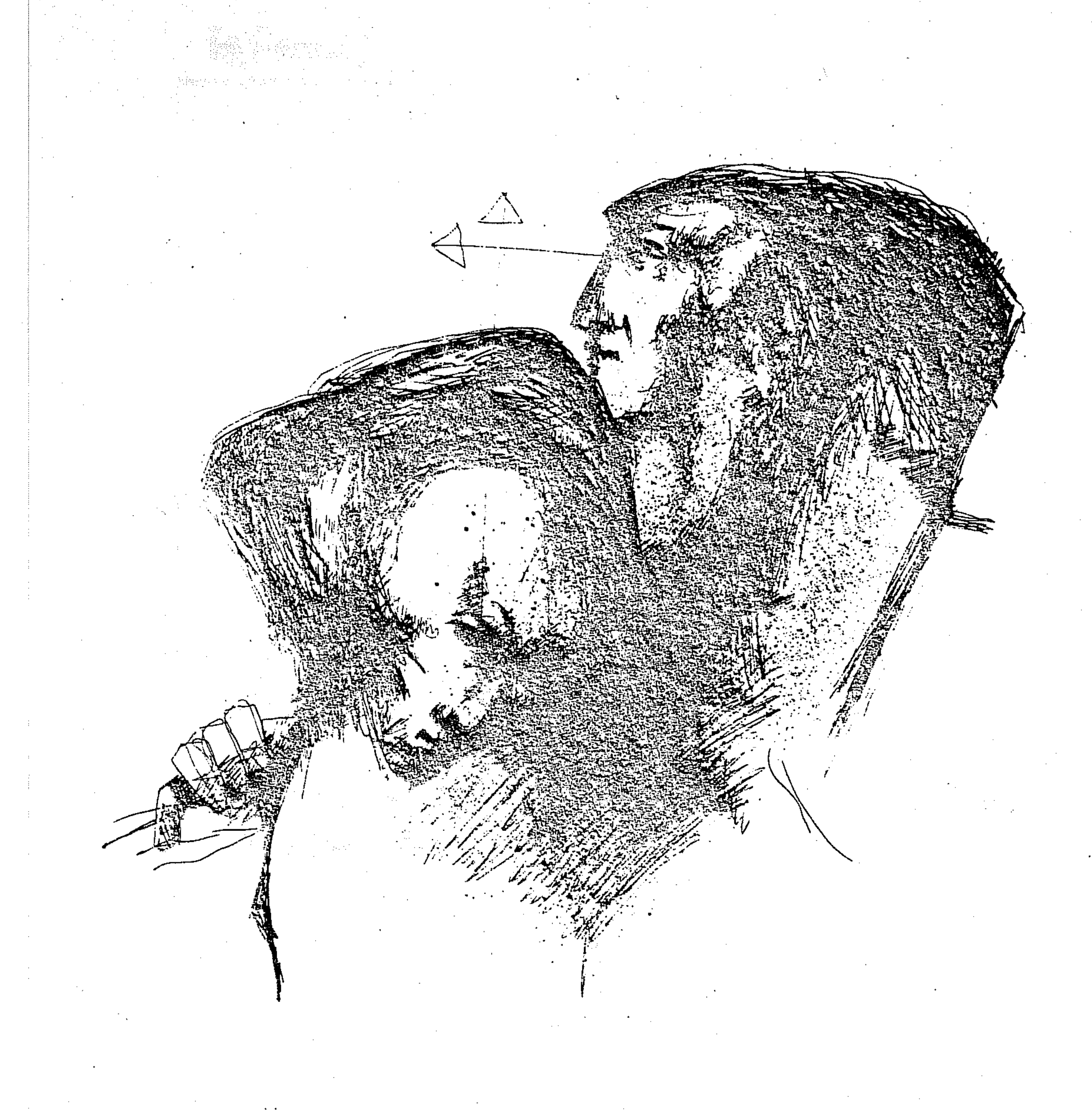
وكأنَّما أوهَمْتِ وَهما
وكأنَّما لَمْ تَرسمي عينَيك في عينَيهِ رَسما
وكأنَّما ..
عبَثٌ ونأسفُ ألفَ مرَّه
ونعودُ نعبثُ ،
ثمَّ يذبحُنا التَمَزُّقُ كلَّ مَرَّه

ولأنَّ حبَّكِ لمْ يكنْ إلّا ظُنونْ
قُلْنا يكونُ
ولا يكونْ
قُلْنا
ومثلَ الأُخْرَيات
سَتَمُرّ
نذكرُها كَوجهٍ مِن وجوهِ الأُخريات
يومان
أُسبوعان
عفْوَكِ ،

نحن أصبَحنا نكونْ

وكأنَّما أوهَمتِ وَهْما
وكأنَّما لمْ تزْرَعي شفَتَيكِ في شَفَتَيهِ وَشْما
وكأنَّما كانَ انتظارُكِ والطريقُ على مَداه
محضَ انتظارْ
كانت مُراقَبةُ الطريقِ على مَداه
محضَ ابتكار
ولَبِسْتِ ما كَان اشْتَهاه
لأنّهُ كانَ اشْتَهاه
وأرَيتِهِ لونَ الأظافر مثلَما كانَ اشْتَهاه
وكقطةٍ مقرورةٍ بيضاء كُنْتِ تُمرّغين
في صدرِهِ المُتَهدّلِ الأزرارِ وجهَكِ
تَرجفين
وتُغَمْغمين

ومضَيتِ
لا كَانَ الطريق
ولا خُطاكِ على الطريق
ولا ابتسامَتُكِ الصغيرةُ
لا التَّنَهُّدة الغَريرَهْ
إلّا ابتكارْ
محضَ ابتكار



توقيــــع

« الى ل . ب . »

عِنْدَما تدخُلِينَ الى خيمَتِي
يُعشِبُ الرملُ فيها
يَنْبتُ الورَقُ النَّضْرُ بين فطورِ الحطَبْ
تهرَعُ الكلماتُ إليكِ
تُفتّتُ أنفسَها أحرُفاً
تتسابقُ كي تقرأيها
عندما تدخلين الى خيمتي
ما الذي يعترِيها ؟!

توقيــع

« الى س »

أأنقُ مِنْ نَحلَه
أعزُّ مِنْ سُنْبلةٍ ريّانةٍ طفلَه
أعذبُ مِن قُبْله

كلُّ بَهار الهندْ
كلُّ مياه السِندْ
مزرعةٌ مِن قَصَبِ السُكّرْ
تقطَّرَتْ في غُصنِ سنديان
يلتفُّ بالماكسي
يا غُصُناً أسمرْ
يا كَرْمةً تكاد مِن عُنقُودِها تَسْكَر
يا ثرَّةَ المياه
تفطَّرَتْ كلُّ شفاهِ الكلمات
احترقَتْ
على ضِفافِ نهركِ الإله

توقيع ثالث

كَسَرَ الموجُ كلَّ ضلوعِ السَفينَه
عبَثَ البحرُ بالسندباد
ولما أضاءَ له مَرفأٌ
فَقَدَ البحرُ ساحِلَهُ

أنتِ
يا مَرْفَأً فَرَّ لحظةَ أومَأَ لي
أمهِلي
يا بِحارَ العيونْ
أمْهِلِينا
فإنّا غداً راحِلُون

سلسلة الذهب

سلْسِلةُ الذَهَبْ
تعبَثُ بالأصابعِ البَلُّورْ
يَعب فيها قَلَقُ الأصابعِ البلّور
تصعدُ للشفاه
تسكنُ في مَواطِنِ اللَّهبْ
تُقلِتُها ،
فتهبطُ السلسلةُ الذَهَبْ
تدخلُ في منعَطَفاتِ النورْ
وتلتقي العيون
يَبتَسمان ،
تهبطُ العيون
تنكَسِرُ النظرةُ
تلتَقِي الهواجسُ التَّوقّعُ الظنون
يَلتَقِي المجهولُ كلُّهُ
على سلسلةِ الذَهَبْ

دعوة الى كل شيء

مَعبَرٌ في حرائقِ عينَيكِ
يوميءُ لي
الشواطيءُ مَرْفوضةٌ حين يشتعلُ الماء
كلُّ المحيطاتِ أسفَحُها للنداءِ المُلوّحِ
ما بينَ عينَيكِ
هل تَفتحُ الجُزُرُ المُستحيلةُ مَرفأها ؟

ان صاريةً تتألّقُ في الموج
ينْشَطِرُ الماءُ شَطْرَين عنها
ستأتيكِ عريانةً
حَدَّ أن تُبصِري بين أنساغِها النَفَسَ المُتردّدَ
عريانةً
حدَّ أن يخجلَ الماءُ من عُرِيها

أيُّها المَعْبَرُ المُتوثّبُ بين الحرائقِ
هل تفتحُ الجُزُرُ المُستَحيلةُ مَرفأها ؟
إنَّها شارةُ للتَّصدّي !

ممر الى قلق متوقع

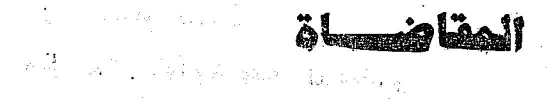
هكذا ؟

مثلَ سُنبلةٍ كُسِرَتْ
مثل عشٍ تُهاجِرُ منه العصافير
تعرى ؟

هكذا فجأةً يهبطُ الفقر ؟
تقبعُ وحدَك
لا صَوْتَ
لا ضِحكةٌ
لا شِجار
وبين السجارةِ والثانيهْ
تنطوي مثلَ عود الثقابْ
وتَشيخْ

هكذا تتساقطُ كلُّ المعابِرِ
بينكَ والحُبّ ؟
بينك والخوف ؟
بينك ..

وا مَعبَراً قلقُ العمرِ مِن دونِهِ



المقاضـــاة

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

كُلُّ مَنْ مات
أسقَطَ عنّي وعن نَفْسِهِ عبءَ أن يشهَدَ الآن
لِي أو عَليّ
فأنّي أخافُ شهادةَ أمواتِكُم
أرتَضِيكُم شُهودِي
أنا المُسْتباحةُ ذاكرتي
المؤجَّلُ مِنْ يومِ مقْتَلِهِ رَهنَ تحْقِيقِكُم
نُشِرَ النّاس
كلُّ القياماتِ قامَتْ
وما زالَ منتظِراً
أإذا جاءَ يَسْعَى
نظَرْتُم إلى بعْضِكُم
ما الذي تُنْكِرون ؟
ألمْ تُبْصِرُوا قَبْلُ مَيْتاً يُراجِعكُم ؟
ألفَ ميتٍ تَركتُ على الباب

: بل واحدٌ يتكَلَّمُ عَنْكم
ولحظةَ يدخلُ في بَهوِنا
يُغلَقُ البابُ مِن خَلْفِهِ
ثمَّ يُقتَل
دافعْتُهُم
وركضتُ الى سِترةٍ كنْتُ خبّأتُها
ثمَّ عدتُ كَما الطير
أحملُ نشوةَ موتي القديم
ودافعتُهُم

: أنا عندي بطاقةُ موتٍ

عندي سيفٌ في خاصرَتي
لا أملكُ مقبضَهُ
لكنّي أملكُ خاصرةً فيها سَيفْ

ورهيفٌ حَدُّ النُّصلِ
وأحضنُكم حَدَّ تَمَزُّقِ أحشائي
زَهواً في خاصرَتي أحملُكم
آهِ
ويقتلُني زَهوي
لكنْ .. يا حيفْ !

إنَّ عندي بطاقةَ زَهوي

بطاقةَ موتي القديمةَ

يا مَنْ جَعَلْتُم مِن الموتِ مُنعطَفاً

وجَعَلْتُم مِنْ الموتِ مُخْتَبَراً للدِموعْ

وكانَ الشهادةَ

تُمنحُ للمتَخَرِجِ فيكُم نبيّاً

وصَغَّرْتمُ الموت

حتّى تأبَّطَت الناسُ أكفانَها

أفإن جئتُ أسعى نظرتمُ الى بعضِكُم ؟

إنّه القتلُ عَمْداً

أرى جَسَدِي موثَقاً بينَ قُضبانِ أعيُنِكم

وتقولون : شُيِّعتَ

يخذلُني الحُبُّ حتّى أوافِقَكُم

وللمرّةِ الألف يقرأ أسماءَ أمواتِكُم

لم يجدْ إسمَهُ بينهُم

ماتَ مِن دونِما شاهدٍ؟

لِيَكُنْ

سلِّمُوه جنازتَهُ

ويُوقِّعَ ألّا تكونَ على قَبْرِهِ أيُّ شاهدةٍ

وتركتُ على البابِ ألفاً
قرأتُ عرائضَهم كلَّها
كيفَ كذَّبْتُموهم ؟
كلُّهم سَمعوا هاتفاً
كلُّهم أبْصَروا علَمَاً ضَرَبَ الماءَ فانْشَقَّ
قالوا تبارَكَ موسىٰ
وخاضوا
فَمَنْ سَحَبَ العَلَمَ المُسْتَقِرَّ مِنَ الماء ؟
فِرعَون ؟؟
أمْ ساوَرَتْ رِيبةٌ قَلْبَ موسىٰ ؟
وقالوا خُذِلنا
ودَارَ بِنا الموج
كلُّ المَرافيءِ كانَتْ تُضيءُ
ولَكِنَّ أعيُنَنا نُذرَت لفنارٍ من القَلْبِ تَصْعدُ
خفْقَةُ مِصباحهِ
فهي تَبحثُ ..

ثمَّ سَمِعْنا بأنّا نُعِينا الى أهلِنا
فَرَجِعْنا
ونقطَعُ مِنْ لَحْمِنا

ونُريهِم دَمَاً تَتوهَّجُ رَغوَتُهُ
فيقولون :
لكنْ دُفِنْتُم ..

كُسِرَ النابِضُ فيكَ إذن
فَتَأرْجَحْ في الماءِ كما تَهوى
لا تَخضعْ إلّا لشروطِ اللعبةِ تلعبُها
أمّا الموت
فمسألةٌ أخرى
إنْ هيَ إلّا أسماءٌ

بل أنزلتُم سلطانا
وحَكمتُم بالموت
ونَفّذتُم إعلانا

وتَركتُ على البابِ ألفاً يلاحقُني صوتُهم
: لا تَعُدْ قبلَ أن تَتَبَيّنَ
سَلْهُم ،
متى يُطلقون سراحَ جَنائزِنا ؟

ها أنا الآنَ أسألُكم
ها أنا الآن أسألُكم

ويُعاتبُني صِدْقُكُم
ويُعاتبني النّاسُ فيكُم
ودَربٌ قطَعْنا معاً
ويُعاتبُني أنّكم خَيْرُنا رغمَ ما كان
يَنْكَسِرُ الغيظُ في راحتي غُصُناً
كنتُ أشهرُهُ لأصولَ عليكم
إذا مسَّكُم
أورَقَتْ كلُّ أشواكهِ
وإذا أخطأتْ
وَخَزَتْني

يا ما بَحثْتُ
أنا المُستباحةُ ذاكرتي
عن دليلٍ لأسواقِكُم
لمَيادِينِكُم
قلتُ أهلي
فما ولدَ الفَطْرُ في حائطٍ رجُلًا

وعَرَضْتُم ليَ اليُتمَ حتى انكسَرتُ
وأنْكِرُ أن أتَبَنَّى على كِبَري
إنّني شِختُ حَدَّ ابيضاضِ العيونْ

ونظرتُم الى بعضِكُم ..

وَيْ

أصِرُّ على تُهمةٍ أتَلبَّسُها

صِرتُ فيكُم لَقيطاً ؟

وقدْ كانَ مائي

وكانَ إنائي

وكانَ القميصُ الذي تَنشرونَ خَضيباً قميصي

وأذكرُ أنّي ..

ولكنّني لم أعُدْ أتَذكَّرُ

ذنبيَ أنّي نَسيتُ على الدربِ ذاكرتي

قلتُ يعرفُني النّاس

أرتَضيكُم شهودي وإنْ كُنْتُ أجهَلكُم

كُلُكُم تَمْلِكُون جِراحاً

كُلُكُم ستُدينونني

غيرَ أنّي أُحذّرُ أسرعَكم للإدانةِ

أنّي سأسألهُ

ولقدْ كنْتُ أملكُ أن أتهادى برأسٍ أعلّقهُ

فوقَ رُمحي

وقيلَ انتَصِفْ :

عنُقٌ وسَّدَتها المَقاديرُ سيفَك
إنْ هوَ إلّا كما تَطْرِفُ العَين
توميء لِلكَتفَين
فينزَلِقُ الرأس
تَعدو به بَطلًا

وتأمَّلْتُ
ألفيتُ حنجَرةً جحَظَتْ
واستطالَ مِن الخوفِ بلعُومُها
لستُ أدري لماذا تذكرتُ أعناقَكم فارتَعدتُ

وقيلَ انتصِفْ
أترى ؟
إنّني لم أُخَيَّرْ
وها أنا أدخلُ وَجْدَك يا حُرُّ
لكنْ مِن الطَّرَفِ الآخرِ المُتمَزّقِ
فاغفِرْ مُكابرَتي يا رياحيُّ
ما كُنْتُ أملِكُ نفسيَ في حالَتيَّ
لهذا أموت

وتملكُها
ولهذا تَموت
وشتَّانَ شتّان ما بيننا

أنْ تُطارِد موتَكَ حتّى تُطَوِّعَهُ
ويُطارِدُني الموتُ حتّى يطوّعني

حينَ قدَّمْتُ رأسي لهم
رفَضُوا
قلتُ لا أدّعي عُنُقاً لستُ صاحبَها
فامنَحوني بُطولةَ رأسي
ضَحِكُوا
قيلَ لوْلا تَرَكْتُم أخاكَم يُمارِسُ حربَ الطَّواحين
هلْ كانَ دَرْبي طَويلًا إلى عَصْرِكُم ؟
إنّني لستُ أحملُ ذاكرَتي
وأنا مُستَقِرٌ على أن أقاضىَ
فَلْيَفْرِشْ كلٌّ منكُم ذاكرةَ البَطَلِ القادِمِ مِن سيناءْ
وَلْيَحشُ بعينَيَّ قميصاً خَضَّبَهُ في الأردُن
وَلْيَدْمغْ وَجهي بالعار
لأنّي لم أُقْتَلْ في القُدس
لأنّي لم أُقْتَل في الخرطوم
لأنّي لم أُقْتَل في كلِّ حروبِ الرِّدَّه
ولأنّي لم أُقْتَل وكفى

جِئْتُ مِن حيثُ جِئْتُم جميعاً
ربَّما كُنتُ منهَزِماً
لستُ أدْرِي
فعندَ الهَزيمةِ
لا تسأل الخيلُ فرسانُهَا

ركضوا
وركَضْنا
طريقٌ قَطَعناه
كلُّ اتِّجاهاتِه علَّمَتْها الحَوافِرُ
مَنْ يدَّعي أنَّ حافِرَهُ ملكَ الاتِّجاهِ الصَّحيحَ الى الموت ؟

واقِفَاً بينَ أجسادِ قَتْلاكُمو أتفَصَّدُ خوفاً
ولم أُغْمد السَّيف
أعلمُ أنّي حمَلتُ دليلًا عليَّ
لقد كُنتُ أبحثُ عن شاهدٍ لمُكابرَتي
عندما وطأتْني حَوافرُكُم وهي تركضُ تركضُ
في كلِّ متَّجَهٍ

أيُّها النّاس ...
مَنْ يَسْمَعُ الصوتَ في زحمةِ الموت ؟

الخيلُ تركضُ
والأرضُ تركضُ
يا أيُّها النّاس
جَرْحاكُمو
أهلَكُم
جُثَثاً قبلَ يومٍ وقَفْتُم لها خُشَّعاً
تتقاذفُها أرجلُ الخيل
فَلْتَتَّقوا رَجِماً سوف تسألُ أعينُهم ..
كُنْتَ منهَزِماً ؟
ربَّما
غيرَ أنكَ لم تَتحرَّك
أحاطتْ بكَ الخيل
نُوديَ بالوَيل
صاحتْ بكَ الصائحاتُ ولم تَتحرَّك
تكَلْتُكَ
أيُّهما أصدَقُ الآن ؟
هذي العيونُ الغريقةُ في دَمِها ؟؟
انَّها جثثٌ وحَدَّ الموتُ فيها البطولةَ والجُبنَ والصدقَ والـ
حَمْلِقي فيَّ أيَّتها الأعيُنُ المُستباحةُ حدَّ التألُّقِ

أيُّكما أصدَقُ الآن ؟

أنتِ وصمتُكِ ؟

أمْ كلُّ هذي الحوافر تضربُ أُذْنَيَّ ؟

أيُّكما أجرأ الآن ؟

مَنْ قالَ إنكِ لم تَتَفَصَّد جميعُ خَلاياك مِن خوفِها ؟

تَملكينَ لساناً ؟

إذن فاسكُتي

إنّهم يَملكون

ولكنَّ موتَكِ أنبل

سمعتُ اللُّهاث

رأيتُ الى العرَق المُتَصبِّبِ منهم يخالطهُ عَرقُ الخيل

كانوا صِغاراً

صِغاراً الى حدِّ أنّي بكيتُ لهم

فتشَرَّختُ

صارَ مداريَ شَطْرَين

بينهُما بَرزَخٌ للهزيمةِ

ثوبيَ شَطْرَيْن

أُفردْتُ بينهما عارياً

صارَ وجهيَ شَطْرَيْن

شَطْراً لَوى عُنُقي لا يبارحُ أجسادَ أمواتِكُم
وَشَطْراً تطايرَ بينَ حوافِرِكُم
أأقولُ اعرضوا خيلَكم ؟
إنّها دعوةٌ للشهادةِ تُعفَون منها
فقدْ ضاعَتْ الخيل
أو نَفَقَتْ
وأنا ؟
أنَّ لي شَطْرَ وَجْهي الذي ظلَّ عندَ الحدود
ربَّما غيَّرتْ جثثُ المَيِّتين معالِمَهُ
ربَّما شاهَ
لكنَّه الآنَ وجهي

حينما عدتُ
ألفَيتُكم تُولِمون
وأبصَرتُ نِسوَتكُم في الجِوار
يُطرّزْنَ قمصانَكُم
ثمَّ يَعرضْنَها للصغار
انْكَسرتُ على زهوِهِم

وسمعتُ تَفاصيل
مثلَ الأساطير



أصغَيتُ
ألفَيتُ نفسي وحيداً
غريباً
أضَعتُ ولم ألتَفتْ
بينَ أمواتِكُم
خُرجَ ذاكرتي ..

شتى كواكبها

شَتَّى ، كـــواكبُهـــا نِثــارُ شتى وأنتَ لهـــا مَـــدارُ
شَتّى كـــأنَّ وجـــودَهُنّ مَعـــاً وجـــودٌ مُسْتعـــارُ
شتّى ، وتـــأمَـــلُ كـــلَّ يـــومٍ أن يُـــوحِّـــدَهـــا شِعـــارُ
ألا يُـــرى للضـــوءِ في مَـــوشـــورِ فُـــرقَتِهـــا انكســـارُ
شتّى ، وتحسبُ كـــلَّ يـــومٍ أنَّ نَخْـــوَتَهـــا تُثـــارُ
أنْ يَشـــرئِبَّ لهـــا من الأضـــلاعِ مـــوجَعـــةً منـــارُ
من ألفِ نصـــلٍ يَستثيـــرُ ، وألفِ جـــرحٍ يُستثـــارُ
مـــا زلتَ تـــأمـــلُ أن يُفَضِّضَ ليـــلَ محنتِهـــا نهـــارُ
أن تمـــلأ الأُطـــرَ الكبـــارَ كمثلِهـــا صـــوَرٌ كبـــارُ
ألّا تَـــرى كِبَـــرَ الجســـومِ تقـــودُه هِمَمٌ صِغـــارُ

* * *

شـــابَتْ ذَوائبُنـــا ومـــا زال الـــدُّوار هـــو الـــدوارُ
شـــابتْ ذوائِبُنـــا ونحنُ بـــألفِ مضطـــرَبٍ نُـــدارُ
شـــابتْ ذوائِبُنـــا وَحِيـــرَ بنـــا لكثـــرةِ مـــا نَحـــارُ

* * *

هـــذي الصَّـــواري المـــوقَـــراتُ بكـــلِّ مـــا شَكَتْ البحـارُ
الســـائبـــاتُ فَـــلا يـــدٌ التّـــائهـــاتُ فـــلا فنـــارُ
نَشـــرَتْ رَبـــابنُهـــا القُلـــوعَ لـــريـــحِ شَهـــوَتِهم وســـاروا
شتّـى كـــواكبُهـــا نثـــارُ شتّـى ويجمعُهـــا اضطـــرارُ
شتّـى ، وتطمـــعُ كـــلَّ يـــومٍ أن يُخـــاضَ بهـــا غِمـــارُ
أن يَنْبَـــري منهـــا مَعَـــدٌّ أو قُصيٌّ ، أو نـــزارُ
أنْ تَـــزدهي تلـــك السِّمـــات ، ويُنتَظى ذاك النِّجـــارُ
وتـــروحُ تَقـــدحُ من وَريـــدِكَ والعيـــونُ لهـــا ازورارُ
حتى إذا اشتعـــلَ الـــرمـــادُ ، ودبَّ في الجَمَـــدِ الأوارُ
وتلَمْلَمـــوا عُصَبـــاً ، وطـــوَّقَهنَّ من لهَبٍ ســـوارُ
ألفِيتَ وحـــدَكَ فـــوقَـــهُ حطَبـــاً ، وصِيـــحَ بهم فطـــاروا

* * *

هيهـــاتَ تَشهَـــرُ سيفَهم مِن غِمـــدِهِ وبـــهِ انشطـــارُ
أن تستطيـــلَ بهم لصُنـــعِ المعجـــزاتِ وهُم قصـــارُ
ولقـــد أضَـــأتَ وأطفـــأوا ولقـــد أجَـــرْتَ ومـــا أجـــاروا
ورفعتَ بـــالـــدَمِ حينَ كـــانَ دفـــاعَ خَيْـــرِهم الفـــرارُ

* * *

مـــاذا تُـــرَجّي أنت من نُصُبٍ سيـــاسَتُهـــا تِجـــارُ
مِن مُـــدَّعين لهم الى الشُّبُهـــاتِ حـــجٌّ واعتِمـــارُ
الكـــاشفين وجـــوهَهم وعلى دَخيلتِهم ستـــارُ

البـــــــوادعينَ فَخصمُهم في كــــلِّ أمــرٍ يُستشـــارُ
المبـــــدعين ، فكـــلُّ تَخـــريـــجٍ لهم فيــــه ابتكـــارُ
السَّـــابقين الى الهـــزيمـــةِ لا يُشَقُّ لهم غبـــارُ
الــــلاعنين العـــــار ، مَحضُ حـــديثِهم في ذاك عـــارُ
العـــاملين بِمـــا يَضيـــرُ الشَّـــامتين بِمنْ يُضـــارُ
مـــاذا تُـــرَجّي أنت مِن هِمَمٍ عـــزيمتُهـــا انهيـــارُ
مِن كـــلِّ مُنخَلِـــعِ الفـــؤاد أشـــدُّ غضبتِـــه اعتـــذارُ
النـــائمين عن العـــدوِّ، وعنـــكَ نـــومهمـــو غِـــرارُ
في كـــلِّ مـــؤتمَـــرٍ لهم بمَهَبّ ثـــورتِـــك ائتِمـــارُ
وتَـــرَصَّـــدوك ، فكـــلُّ زاويـــةٍ لهم فيهـــا وِجـــارُ
حيثُ التَفَتَّ فثَمَّ مَغـــرَزُ مِـــديـــةٍ ، ودَمٌ جُبـــارُ
حتى إذا خُـــوصِـــروا نَشَـــروا قميصَـــك ثمَّ ساروا
شتّى وأنتَ بِجَـــوفِ ظُلمَتِهـــا شهـــابٌ مُستثـــارُ
غَضبـــانُ في فَلَـــكِ السَّمـــاءِ لَـــهُ صعـــودٌ وانحـــدارُ
مُستَـــوفَـــزٌ ، قَلِقٌ ، مَهيضٌ لا يقـــرُّ لـــه قـــرارُ
وكـــأنْ أُنيطَ بـــهِ المَجَـــرَّةُ لا يُـــلاتُ لهـــا مَســـارُ
فـــارفَضَّ أطـــواقـــاً من الـــدَمِ حـــولَ شَعْفَتِهـــا تُـــدارُ
حتى إذا شَطَّت أعـــادَ صَـــوابَهـــا دَمُـــه المُمـــارُ

* * *

أوقِـــدْ فليسَ سِـــواكَ يُســـرجُ والظـــلامُ لـــهُ اعتكـــارُ

أوقِـــدْ ، فلن يُـرجـى بغيـر يـدَيـك للكَسْـرِ انجبـــــارُ
سيُجـــاذبـــون الـــدَّربَ أطـــولَــــهُ ، وَلَلـــدَّربُ اختصــارُ
في كـــــلِّ شِعْبٍ وقفـــــةٌ ويكــــــلِّ منعطفٍ حـــــوارُ
ويكـــــلِّ مفتـــــرَقٍ لمَجمَعهم خـــــلافٌ وانتشــــارُ
بينَ انتظـــارٍ وانتظـــــارٍ ثَمَّ مسعىً وانتظــــارُ
سيـــــلٌ من العَـــرَبـــاتِ من خمسين يسحبُهـــا قطـــارُ
يغفـــو بهـــا رُكّـــابهـــا ويَنـــودُ فيهـــا الانتصـــارُ
لكنْ سَيعصفُ كـــلَّ يـــوم منـــكَ في الأفقِ انفجـــارُ
ستُمـــزِّقُ الآذانَ صـــرخـــةُ ثـــائـــريـــكَ فـــلا قـــرارُ
ستَـــريهمـــو قُـــربَ المَـــزارِ غـــداً وانْ شَطَّ المـــزارُ

* * *

هـــا أفْقُـــكَ الـــدَّامي يَشقُّ عُبـــابَ ظُلمَتـــهِ نهـــارُ
نَـــديـــان ، للـــدَمِ والمـــروءةِ في أشعَّتِـــهِ انضِفـــارُ
شَعبٌ من الـــوَثَبـــاتِ أنت لهُنَّ والغضبِ انصهـــارُ
ولأنتَ وحـــدَكَ لـــلأولى ادَّخـــروكَ نِعمَ الإدِّخـــارُ
الصَّـــامـــدين لهم وكـــلِّ خـــرائقِ الأرضِ استِعـــارُ
غَضِبَ الـــرِّجـــالُ وأخْلَـــدوا مَجْـــدُ لِمَنْ غَضِبـــوا فَثـــاروا
مجـــدٌ لِمنْ في كـــلِّ يـــومٍ تُسْتَفَـــزُّ لهم ذِمـــارُ
مـــا صُـــوِّبَتْ نـــارٌ الى جبهَـــاتِهم إلّا أغـــاروا

لم يُتقِنـــوا لُغـــةً ســـوى   أنَّ اللُّغـــاتِ دمٌ ونـــارُ
متفـــرِّقين ، فكـــلُّ أرضٍ حـــولَ صـــورتِهم إطـــارُ
متَشـــابهين بحيث تلتبسُ الـــوجـــوهُ إذا يُشـــارُ
مَجـــدٌ لهم من مُفـــرَدين وهُم بقلَّتِهم كِثـــارُ
مَـــلأوا الجِـــوارَ دَمَـــاً كـــأنَّهمـــوا لـــوَحـــدِهِم الجـــوارُ
مجـــدٌ لهم فيمـــا رَمـــوا   مجـــدٌ لهم فيمـــا أثـــاروا
مجـــدٌ لهم ، ليس البطـــولـــةُ محضَ أرديـــةٍ تُعـــارُ
لكنْ هيَ الـــدَمُ ، والضَّحـــايـــا ، وهي يـــومَ الثـــأرِ ثـــارُ

* * *

المصادرة

مصادرة منشور سري

— في جَوازِكَ حينَ عبَرتَ الحدود
— هلْ عبَرتُ الحدود ؟
— أنتَ محْتَجَزٌ للإجابةِ لا للسؤالِ هنا .

في جوازِكَ هذا
لا علامةَ فارقةٌ فوقَ وجهِكَ
الشَّعرُ أسوَدُ
عيْنانِ صافيَتان
وعمرُكَ ..
حتى تلاوةِ هذي السطور
ثلاثون عاماً

هلْ عَبرْتَ الحدودَ بهذا الجَواز؟
— إذا كنتَ تَعني
— عبَرتَ الحدودَ بهذا ؟
— ... نعم
— أنتَ مُتَّهَمٌ للفَرارِ بتَزويرِ وجهِكَ أجمعهِ .
يُسْمَحُ الآن أن تتكَلَّم ما شِئْتَ ،

لكنَّما في حدودِ الدفاعِ عن النفس

ــ أطلبُ مرآةً أبصرُ فيها وجهي

ــ مرفوض .

نحن نُبصرُهُ عنك

ــ لكنَّكُم لنْ ترَوا منهُ ..

ــ إنّا نُقاضيكَ وِفْقاً لأعيُنِنا نحنُ

ــ مَعذرَةً

سأحاولُ رؤيتَه وفقَ أعيُنِكم .

كان عُمَري ثلاثين عاماً

فأصبحَ خمسين

عيناي صافيتَين

فأصبَحَتا مثلَ لونِ التُّراب

وشَعريَ أسوَدَ

فابيَضّ

هل هذهِ صورتي الآن ؟؟

ــ وجَبينُكَ ؟

ــ ماذا بهِ ؟

ــ لو تَحسَّستَهُ

ـ هل تَغضَّنَ ؟؟

لا بأس

ـ صوتُكَ ..

ما كُنْتَ ترفعُه هكذا

ـ كان يرفعُه بين قَصفِ المَدافعِ فاعتادَ

ـ لا .

لم نَكُنْ نتكَلَّمُ في حَضرةِ النّار

لكنّنا بعدما سَكتَتْ ..

ـ أنتَ متَّهَمُ باعترافِكَ للمرةِ الثانيه

ـ بالتَّمرُّدِ ؟

لا بأس

أسألُكُم لَحظةً أخلعُ الثَّوب

ـ تُمنَعُ كلُّ ضروبِ التَّعَرّي هنا .

ـ إنَّ لي حُرمَةً تحتَ هذا القميصِ المُمَزَّق

شاهداً لم يُسجَّلْ بهذا الجواز

دفعتُ به رئَتيَّ ثمَناً

وأتَتْنا أوامرُكم تَمنعون دخولَ الجراحْ

قيلَ يُسْتَنطَقُ الجرحُ حتى يَعافَ مروءتَهُ

ثمَّ يُركَلُ مثلَ النِّفايةِ بعدَ إدانتِهِ

لوحةٌ جانبيّه

هل سلَّمْتَ لمأمورِ المخزَنِ خوذَتَكَ الحَربيَّةَ ؟
صَفَّ رصاصِكَ ؟ قمصانَكَ ؟ جرحَكْ ؟؟
ضَعْ جرحَكَ فوق الأمتعةِ الأخرى
وتَسلَّمْ إيصالًا .

تعمَّدتُ تهريبَهُ تحتَ ثوبي

ما كانَ لي أن تَرَوهُ فيؤخَذَ متَّهَماً
غيرَ أنّي سأكشفُ عن وجههِ الآن
ها هوَ ذا

تستطيعونَ إيداعهُ السِّجن
لستُ أخافُ عليه
فقد رسَمَ ابني هويّتَهُ في دفاترِهِ كلِّها

فأنا الآنَ متهَمٌ بشهادِة جرحيَ
للمرةِ الثالثة

في أُذُنيَّ ملايينُ الأصوات
مَنْ منكُم يقدرُ أن يَفرزَ صرخةَ محمودٍ جاري
عن صَلْيَةِ عَشرِ رصاصاتٍ غاصَتْ فيهِ من البلعوم
الى منتصَفِ السُّرَّه ؟

وَحدي أملكُ هذين الصَّوتين معاً
أملكُ لحظةَ لا يبقى من صوتِ القاتلِ
إلّا صوتُ المقتول
لحظةَ صارَ غيابُكَ يا محمودُ حضوراً في كلِّ الساحات
وفي كلِّ الأوجُه
وحدي أملكُ صوتَكما أنت وعَشرِ رصاصاتٍ في أُذُنيَّ
مَزيجاً .. غَبَشاً لا ينفصلُ الفجرُ عن الليلِ ولا الموتُ
عن الميلادِ ولا الثورةُ في جسَدٍ عن عشرِ رصاصاتٍ فيهِ
يُشَعشعُ منها الدَّمْ

مَنْ يحملُ عني هذي الأصواتْ ؟
مَنْ يخلعُ من أُذنيَّ زعيقَ الجَرحى وصفيرَ الرشاشات ؟
ألقُوا القبضَ على هذا الشاهدِ غيرِ المَرئيِّ إذن
وليُستَنطَقْ أطفالُكَ يا وطني

وَلدي
يا ولدي الحاملَ عنّي زهوَ دفاترِهِ

كنتُ أدفعُ دبابتي في وجوهِ التماسيح
مَلغومةً بالهلاهِلِ
ملغومةً بالأهازيجِ
بالشِعرِ

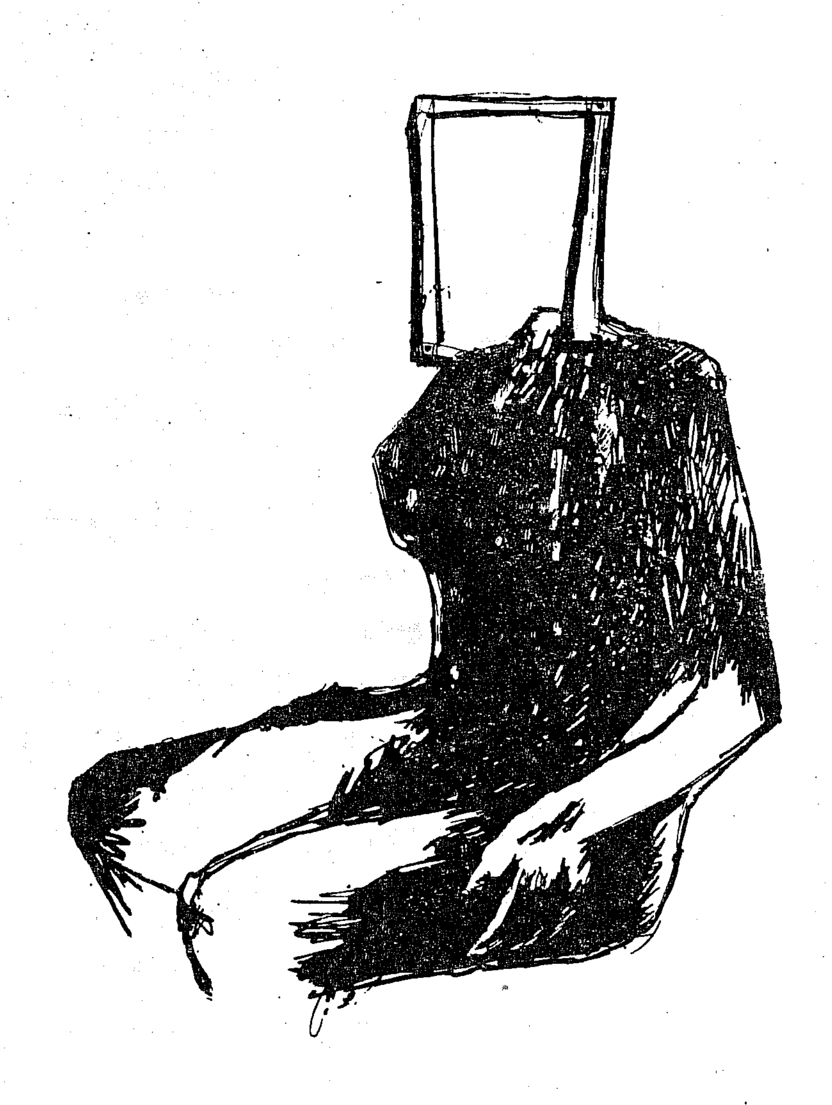
ملغومةً بالتي طوَّحَتْ بعباءتِها وهي تَرْدسُ
« هزّيت ولوليت لهذا »

كنتُ « هذا » الذي زاحمَتْ فيه كلَّ الشَّماتةِ والموت
أدفعُ دبابتي في الجحيم
وفي أُذُنيَّ عَراضةُ أمِّي تَطوّحُ عبرَ المَدى
بعباءَتِها

حجمَ موتيَ هذا أريدُكِ أن تَهزجي لي
أنْ تزرَعي رايةً حجمَ موتي على سطحِ بيتكِ
ترفعُ للموتِ قامتَها

سجِّلوا أُذُنيَّ شهوداً عليّ

أين دبَّابتي ؟
ــ لا سؤال .
ــ ذَهَبتْ هيَ أيضاً تدافعُ عن نفسِها ؟
ــ لا سؤال .
ــ ولكنَّها شاهدُ في دفاعي
ــ قيدَ التَّرميم
إذا شئتَ أتَيناكَ بها عامرةً
ــ هاتُوها



أدخِلوها هنا أتأمَّلُها
أتقرّى مكانَ أُصيبتُ لأجلي
أُمرّغُ وجهي على درعِها
وسَأسألهُ
سوفَ ينطقُ مَجرى دمي فوق قُبَّعهِ الدِّرع
ينهضُ محمود من قاعِها
إنَّ محمود فاضَ على سَعةِ القاعِ فيها

أنتِ أيَّتُها الأختُ
يا شاهدي وشريكي
أعلمُ حينَ تَجيئين
أنكِ لا تُنكرينَ مَعالِمَ وجهي
كما يفعلُ الما رأوا كيف يتسعُ الكونُ في لحظةٍ
ثمَّ يجمعُ أطرافَهُ كلَّها في رصاصَه
ما رأوا كيف تُلغي الوجوهُ مَعالِمَها لحظةَ الموت
يلتبسُ الوجهُ بالوجهِ
حتى لَتُصبحَ دبابةٌ رجُلًا

ما رأوا كَم يُغيّرُنا الموتُ أيَّتُها الأخت
لكنَّهم غيَّروا وجهةَ الموت
هم غيَّروا وجهةَ الموت

حتى-لَينكرَ واحدُنا دربَ صاحبهِ

أيَّ شيءٍ ترانا نقول إذا ما التقَينا
فأبصرتِ شَعْري قد ابيضَّ
عينَيَّ لونَ التراب
وأبصرتُ وجهَكِ يلمعُ مثلَ بناتِ الهوى ؟

أيّ ذاكرةٍ سوف نوقظُها بينَنا
دون أن تتسلَّقَ غُربَتُنا فوق كلِّ الحروف
وتَلْتفّ حدَّ اختناقِ أعزِّ الحكايات ؟

أرفضُها .
تُزَوِّرون شاهدي علَيّ
ثمَّ تسألونَني أن أرتضيهِ هكذا
مُزَوَّراً
وتَعلمون بعد أن أدخلتمُوها مصنعَ النِّسيان
أنَّكم سلَبتمُوها كلَّ كبريائها
أُقسمُ أنَّها إذا رأتنيَ الآن
أشاحَتْ خجلًا بوجهِها
أو أطلقَتْ نيرانَها علَيّ

ــ فأنتَ أسَأتَ لها
ــ قد فعَلتُ

عبَرتُ بها كلَّ نارِ الجحيم
وكنّا معاً باسمِ كلِّ الحضاراتِ نَضربُ
كنّا معاً باسمِ كلِّ الذين سيأتونْ
نعبرُ نهرَ الجراحِ القديمةِ
نصنعُ معجزةً قَدْرَ ما يستطيعُ عَريفٌ ودبابةٌ
أتْقَنا لُعبةَ الموت
ويومَ أُصيبَتْ
دفعتُ لها رئتي
مدَّ محمود من صدرِهِ مَعبَراً للرصاصِ على درعِها
إنَّها تَتذكّر كيف قضَينا نهاراً بأكمَلِهِ ننزفُ الدَمَ
نحنُ الثلاثة
كنّا ثلاثَتنا لحظة الموت
نشعرُ انّا نخُطُّ لبعضِ الذين سَيأتون
أسماءهم

باسمِ كلِّ الحضارات
أُلغيَ محمود
لم يَبقَ منه سوى دفترٍ
يَتدافعُ أطفالُهُ كلَّ شهرٍ بأبوابِكُم
بصَموا فوقَه عدَّ أرغفةِ الخبز

حتى مَلامحُهم وُشِمَتْ بتواقيعِكُم

باسمِ كلِّ الحضاراتِ أُفرِغُ صدريَ من رئةٍ
وأُقِرُّ بلا ندمٍ أنّني لستُ احتاجُها الآن
في مثْلِ هذا الهواء

باسمِ كلِّ الحضاراتِ رمَّمْتُم الآنَ دبابتي
بعد سحبِ هويَّتِها
فهيَ خاويةٌ تستعدُّ لكلِّ الهَزائم

لستُ أعلمُ أيَّتها الأختُ إن كنتِ .. عذراً
ولو مرَّةً
تُحسنينَ البكاء

وتقولون لي شَعرُكَ ابيَضُّ
أتّهمُ الآنَ مائةَ مليون مُستمِعٍ لخطاباتِكم
أنَّ أروُسَهم لم تَشِبْ
أنَّ أعيُنَهم لم تَثِبْ من محاجرِها
أيُّها السادةُ الكانَ في وسْعِهم كلُّ شيءٍ
لو انَّ صَواريخَهم لم تقفْ في مدار الخيانةِ

أو أنَّهم ..

ـــ هل سمَّيتَ مداراً للدولة ؟

ـــ لا

ـــ إيّاكَ وأَنصافَ الكَلماتِ إذن

ـــ مَنْ مِنّا يتعمَّدُ أن يُخطْىء فهمَ الآخرْ؟

ـــ لا سؤال

وليَكُنْ ما تَفوهُ بهِ واضحاً

في حدودِ الدفاعِ عن النفس .

سنُصَحِحُ بعضَ السَهْوِ الواردِ في أقوالِك

ـــ أرفض .

انَّهما مساحتانِ للضياءِ والظُّلمةِ لن نَدخلَ

فيهما معاً

أنا أعرفُ دَربي الى البُقعةِ السَّوف أدخلها

لن تكونوا دليلي

أتَرونَ ، لو انكمُ الآنَ تدعونَني مِن جديدٍ

الى الحرب

أرفض ؟؟

هيهات

سأحاربُ حتى أقايضَكم كلَّ هذي الملامح

يَهتفُ بي هاتفُ :

لا تَمُتْ

وأموت

أُفَضّضُ أروُسَكم شَعرةً شعرةً

كنت أحملُ محمود ، والدمُ ينهَلُّ من عَشرِ شتلاتِ نارٍ

بأضلعِهِ

أتوسَّلُ في وجهِهِ

لا تمُتْ

سوف تَسألُني عنكَ كلُّ عيونِ صغارِكَ محمود ..

لكنَّه ماتَ في لحظةٍ

كنتُ أخلعُ جسمي وأسحبُ محمود

والنارُ تأكلُ دبابتي

أتخبَّطُ مستوحَداً بين مَوتَيْهِما

غيرَ أنيَ كابَرتُ

كنّا ثلاثَتنا طَرَفَ الدولةِ الما يزالُ يُكابر

في المستشفى

قالوا ألغى الطرَفُ الآخرُ للدولةِ كلّ القَتلى

ومَحا أسماءَ الآتينَ جميعاً

لم أصدّقْ

لقد كنتُ أحسَبُنا دولةً حينَ كنّا نخطُّ على

بُقعةِ الضوءِ أسماءهم
ثمَّ صدَّقْتُ ..
حين نظرتُ لأطفالِ محمود
صدَّقتُ
حين رأيتُ عيونَ رفاقيَ
صدَّقت
وحينَ وصفْتُم معالِمَ وجهيَ
آمَنْتُ
أنّي هنا طرَفٌ
أنّنا حينَ كنّا هناكَ نقاتِلُهم
طرَفٌ
أنَّ أطفالَ محمود
دفترَهُ
طَرفٌ
فأنا سمَّيتُ مَداراً للدولةِ
لم أُخْطيءْ فَهمَ الطرَفِ الآخرِ للدوله .
انَّهما مساحتان للضياءِ والظُلمةِ لن ندخل فيهما
معاً

ــ من أجلِكَ أيضاً ..
ــ أرفضُ

أو .. لا أرفضُ
ماذا يَعني أن أُسألَ عن هذا ؟
لو سُئلتُ غداةَ خرجتُ الى الموت
ـــ هل كنتَ تختار؟
ـــ لا
كنتُ أختاركُم هدَفي أوّلًا
ـــ أنتَ تقتلُ نفسَكَ
إنّي أُسَهِّلُ فيَّ مهمَّتَكم
أيُّها السادةُ التتبَدَّلُ حتى عَناوينُ أطفالِهم
وحدودُ مَدارس أطفالِهم
دونَ أن تتبدَّلَ يوماً ملامحُهم

أنّني أتساءلُ
ما كانَ لي وأنا بينَ موتَيْن
موتٍ تُراقبُني فيه أعيُنُ كلِّ الذينَ أخافُ عليهم
شَماتةَ مَنْ يشمتُون
وموتٍ أُضافُ بهِ رَقمَاً في حساباتِكُم للهزيمة ؟
كنتُ أرقَبُكُم تخلطُون دَمي بين ماءيْن
هذا نَذرتُ له عَطشُ العمر
جَمَعتُ أسماءَ أهلي على شفَتَيّ
وهذا أحاذِرُهُ

وأشمُّ الخيانة
رائحةَ ابني ذبيحاً
وأوصالَ أهلي مُموَّهةً فيه

صار دَمِي خائناً وشهيدْ
كوثَراً وصديد
وأنا أتساءَلُ :
هل أرِدُ الماء
أمْ أتجَنّبهُ ؟

حيرةٌ .. حيرةٌ .. حيرةُ العمر
باسمِ الحضارة قدّمتُموني لمَذبَحِها

إنّكم أيُّها السادة الما تَبَدَّلُ يوماً ملامِحُهم
قدْ بذلْتُم كثيراً لأجلِ الحضارةِ
أسماؤكُم لنْ يَمرّ عليها الذينَ سيأتون
دونَ الوقوفِ على كلِّ أحرُفِها
يومَها ،
سيسيرُ بدبابتي كلُّ تأريخِها نحوَكم
يومَها ستدورُ بمدفعِها حولها دورةً كامله
قبل أن تدخلَ المَعبرَ السَّهلَ خلفَ الحدودْ

ستكونُ البدايةُ أفضلَ مِمَّا بدأنا
تكونُ البدايةُ أفضلَ مِمَّا ..

ــ نصُّ قرارِ التَّجريم
ــ تكونُ البدايةُ ..
ــ باسمِ الدوله
صادرْنا هذا المنشورَ السّريّ
وأمْرنا بأحالةِ أذنيهِ وهذا الجرحِ المَزعوم الى التَّحقيقِ
وإلقاءِ القبضِ على كلِّ الكلماتِ وكلِّ الأفكارِ المنقولةِ عنهُ
وَغيرِ المنقوله .
....
....
ـ سيِّدي
إنَّ في البابِ عشرين ألفاً
وجوهُهمو كلُّها وجهُ هذا !

الغيمة الحبشية

ألقيت في مهرجان بوشكين في لينينغراد
بمناسبة مرور ٧٥ سنة على ميلاده

عرب بطرس الكبير

مثلما يهبطُ الغَبَشُ المُتَكبِرُ
حيثُ البداياتُ مبهَمةٌ
الضُّحى لا ضُحى
والدُّجى لا دُجى
والبراءةُ سيّدةُ

مثلما يَنْحَني كوكبٌ في السماء
فيَحكمها لصْقَ دورَتهِ
ثمَّ ينفضُها نابتاً في المجَاهيل
تبقى المسافاتُ مهمَلةً بَعدهُ

كان قوسُكَ يَنهضُ مِن بين غاباتِ أفريقيا
من حرائقِ أفريقيا
ثمَّ يُكْملُ دورَتَهُ
يزرعُ الطرَفَ الآخرَ المتوَتِّرَ في ثلجِ روسيا

ابراهيم هانيبال
أيُّها المَعْبَرُ الأبنوسيُّ بين الهَواجسِ والصَّوت
بين النُّبـــــوءَةِ والموت
قوسُكَ مفتوحةٌ
يتوسَّطُها قدَرٌ أنتَ تَجهَلُهُ
سوفَ يَنبتُ حتى نهاياتِ روسيا
زنابقَ سوداء
في كلِّ فجْرٍ تميلُ فينسَكِبُ الضوءُ منها
وفي كلِّ ليل تميل فينْسَكِبُ الدَمُ منها
وتَعْلَقُ من كلِّ كأسٍ بأجنحةِ الريحِ أغنيةٌ

إبراهيم هانيبال
إسحَب الوَتَر الآنْ
تَلتقي قارتان
ويَشتَبكُ الضوءُ بالليل
والنارُ بالسَّيل
والمُبتَدا
بالنهاياتِ أجمعِها
انَّ غيمتَكَ الحبشيَّةَ تبدأُ أمطارَها ..

بطاقة حب شخصية

لو كانَ لكلِّ الفرسانِ القوزاقْ
أنْ ينطَلِقُوا ثانيةً في منتصفِ الليلْ
تحتَ سماء الدَّون الفضِّيّه
لَرأيتَ لكلِّ عذارىٰ الدون شبابيكاً مفتوحه
تَترقرقُ مِن كلٍّ منها
أغنيّةُ حبٍّ عشتَ لها
تكتبُها في وسَطِ الأحزانْ

بوشكين
يا لؤلؤةَ الرّوسِ السوداءْ
يا أغنيةَ الحبِّ الأولى
يا أغنيةَ الغضبِ الأولى
ملعونٌ صوتي إنْ لم يَبْلُغْكَ الى مَخبأِ جرحكْ
مسكينٌ فرَحي إن لم تستقبلْه بنفسِكَ عند المَدخلْ
الزمنُ الكنتَ تَتوقُ أليه أتى
ورفاقُكَ من أطرافِ الأرضِ يُعيدونَ إليكَ سيوفُكْ

الخطوة المستحيلة

إبراهيم هانيبال
أشعِلْ النارَ في كلِّ غاباتِ أفريقيا
دعْ طبولَ الفجيعةِ تُقرعُ في صمتِ أفريقيا
وأقِمْ بطرسَ الأكبرَ الآنَ من نَومِهِ
فحفيدُكَ يخطو الى الموتِ خطوتَهُ الخامسه

بوشكين
إنَّ دانتيس لنْ يقطعَ الخطوةَ المستحيله
أنتَ وحدَكَ تَعبرُها
أيُّها الوهَجُ الأسوَدُ المُتَدَفِّقُ بالحُبّ
يا زهوَ روسيا وفجرَ ينابيعِها
سوفَ تعبرُها أنتَ وحدَك

كلُّ هذي الثلوج ستبقى مخضَّبةً بدمائك
كلُّ هذا الهواءِ سيحملُ ، ما هبَّ ، صرختَكَ المتكبِّرَة الفاجعه
بينما قوسُكَ المُتكسِّرُ من نِصْفِهِ

ينحني في جلالٍ على الثلج
يترُكُ كلَّ المسافاتِ مهمَلةً بعدَهُ

بوشكين
إنهَض الآن
واعبُرْ الى الموتِ خطوتَكَ الخامسه
قُلْ لدانتيس يقطعُها أربعاً
أو ثلاثاً
ويُطلقْ
كلُّ روسيا ستنهضُ سَدّاً بوجهِ الرَّصاصه !

فهرست المجلد الأول

الفهرست

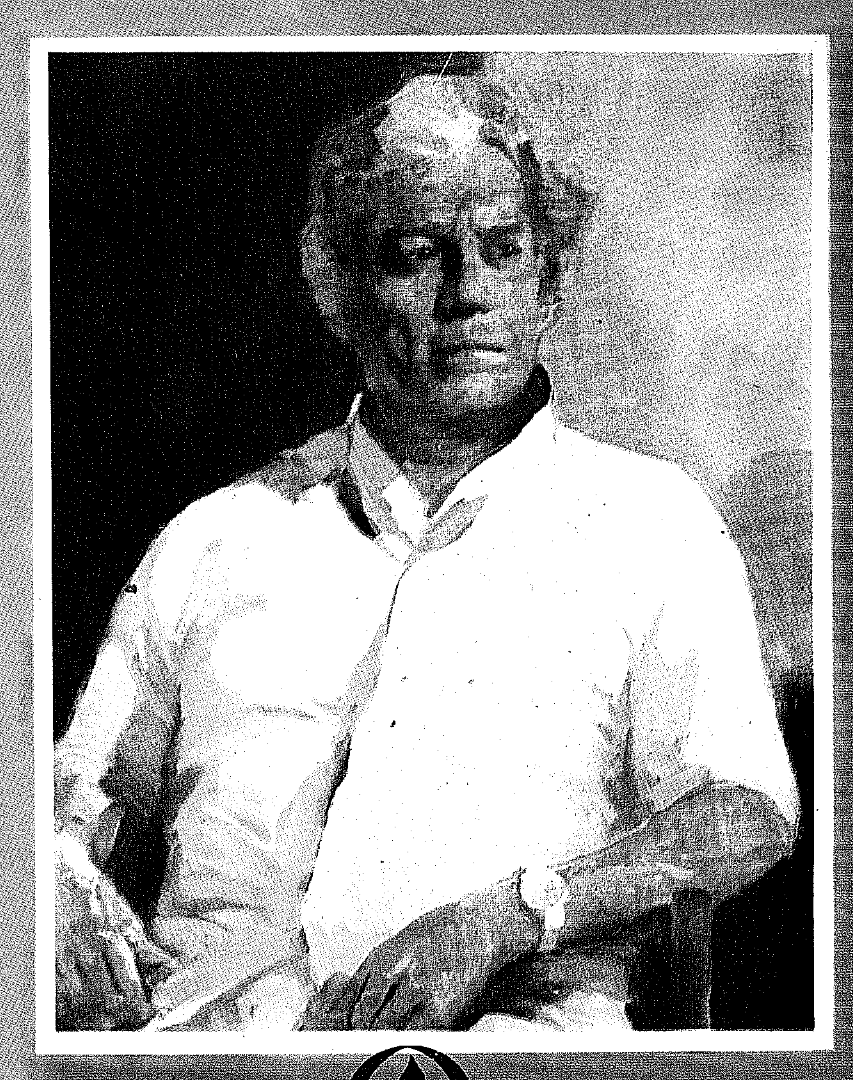
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٨) لسنة ٢٠٠٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

المجلد الثالث



دار الشؤون الثقافية العامة

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة

دار الشؤون الثقافية العامة

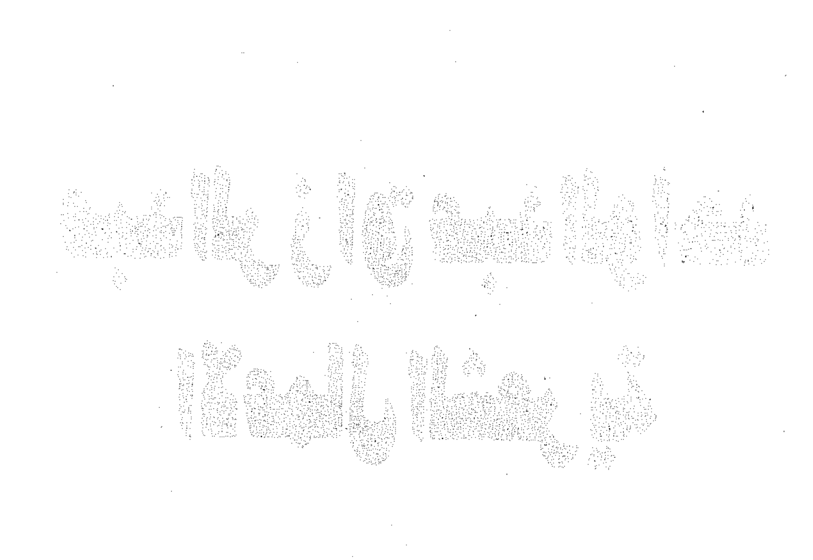
بغداد - ٢٠٠١



دار الشـؤون الثقافيـة العامـة « آفـاق عربيـة » ـ شـركة عامـة
حـقوق الطبـع محفوظـــة
تعنـون جميـع المراسـلات الـى :
رئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة : عادل ابراهيم
العنـوان :
العـراق ـ بغـداد ـ اعظميـة
ص . ب . ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar@uruklink.net
الموقع على شبكة الانترنيت www.uruklink.net/iraqinfo/dar-info.htm

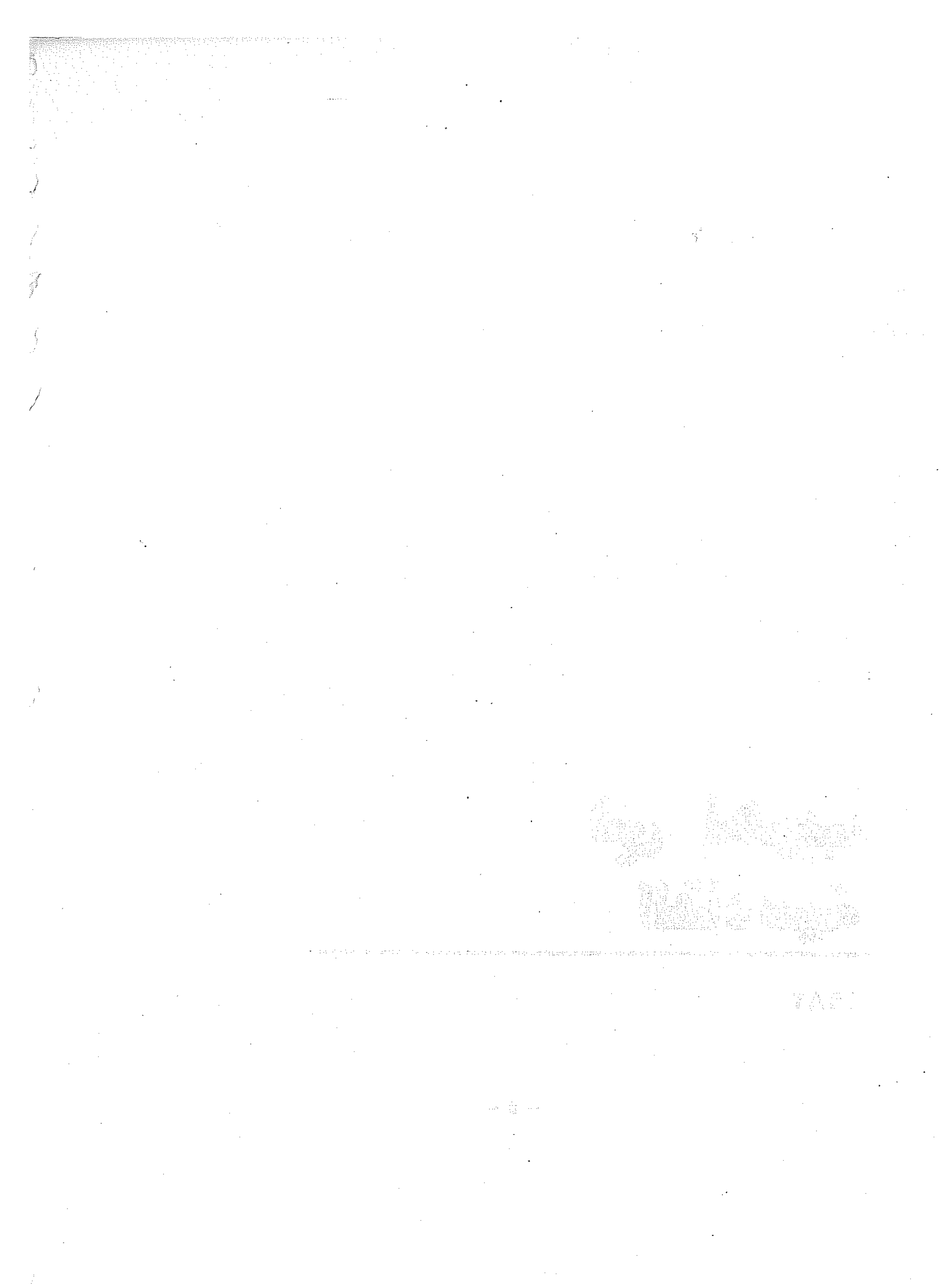
عبدالرزاق عبدالواحد
الاعمال الشعرية

الطبعة الاولى ـ بغداد ـ ٢٠٠١



في لهيب القادسية

١٩٨٢



أيها الرجل الذي تزهو كل كلمةٍ من كلمات هذا الديوان
أنَّ فيها نبضاً من رجولته ومن كبريائه ..

الى بطولتك وبطولة جندك
الى مروءة شعبك العظيم
وهو يدفع بدمه
عن حرمات العرب جميعاً ..
أرفع بخشوع
هذه القصائد المخضبة بالدم

عبدالرزاق عبدالواحد

كفؤها يا عراق

شرف هذه القصيدة انها أول صوت شعري ارتفع في القادسية

دمُـــــكَ الحــــرُّ علقمٌ لا يـــــذاقُ
فَـــــارِ الفُــــرس طعمَـــــهُ يـــا عـــراقُ
منـــــذُ ألفٍ ونيِّفٍ شَبَــــحُ القعقـــاعِ
غـــــولٌ ، وظلُّـــــــهُ عمــــــلاقُ
منــــــذ ألفٍ ونيِّفٍ وهـــــــو سيفٌ
مُصلَتٌ في سَمــــــائهم ، بــــــرّاقُ
منــــــــذُ ألفٍ ورأسُ رستمَ يحكي
مقشعـــــزّاً مـــــا لاقت الأعنـــــاقُ
منــــذ ألفٍ والقـــــادسيَّـــــةُ خـــوفٌ
شـــــاخصٌ في قلــــوبهم لا يُطـــاقُ
دمُـــــكَ الحـــــرُّ علقمٌ لَا يُـــــذاقُ
يقشعــــــرُّ التـــــرابُ حيثُ يُـــــراق

ألفُ أغــواثَ خــاضَهــا منــذُ سعــدٍ
وهـــو سيـــلٌ كعهـــدِهِ دَفّــاقُ
قــلْ لجيش المجــوس تبقى وزينُ الـ
قــوس تُقصيــكَ عنــهُ سَبْــعُ طِبــاقُ
لاورثنـــا دمـــاءَ أولئـــك الصِّيـــد
إذا لم نُـــذقْكمـــو مـــا أذاقـــوا

عِبـــرةٌ للعـــراق يـــابنَ أبي وَقّـــاص
أنَّ اسمَـــكَ الـ عليـــهِ الشُّقـــاقُ
أن يُحيقـــوا بسيفِ سعـــدٍ ونـــرضى
فبتـــأريخنـــا جميعـــا أحـــاقـــوا
يـــالقَـــومي ، وكـــلُّ ليـــلٍ لـــهُ شمسٌ
تُـــرَجّى ، وكـــلُّ عصـــرٍ خَـــلاقُ
يـــالقَـــومي ، وكـــلُّ مجـــدٍ لـــهُ نـــذرٌ
يُـــوفّى ، وكـــلُّ شـــوطٍ سبـــاقُ
يـــومَهـــا كـــان كـلُّ قـــومي عـــراقـــاً
أصبـــحَ العُـــرْبَ أجمعين العـــراقُ !

كفـــؤهـا يـــا عــراق .. وَيُلِمِّ عـــرسِ الـ
مجــدِ إن لم يكنْ دمـــانـــا الصَّـــداقُ
كفــؤهــا يــا عــراق .. ويَلُمِّ كــل الـ
نخــلِ إن لم تقـــاتــــل الأعـــذاقُ
كفـؤهـا أنت .. عُمْرَ هـامتِــكَ الشمَّـاء
لم يَحْنِ جــــذعهَــــا إرهـــاقُ
إن تُقصِّـــرْ فكـــلُّ طفـــلٍ على أرضي
يتيمٌ، وكـــــلُّ عـــــرسٍ طــــلاقُ !

يـــا أبـا محجنٍ وفـــاءً كمــا وَفَّيتَ
أن لا ينــــالَ منَّـــا وثـــاقُ
انَّهـــا قـــادسيـــةٌ مـــرَّةً اخـــرى
بهـــا الفيـــلُ يلتقي والبُـــراقُ
فتـــأمَّـــلْ جيش النبـــوَّةِ، وانظـــرْ
كيف تسعى لحتفهـــا الفُسَّـــاقُ
يـــا وريثَ القعقـــاع، هـــذا أوانُ الـ
سَّيـــلِ .. ذلَّ الإرعـــادُ والإبـــراقُ

نحنُ قـــومٌ على مَهَبِّ الليــــالي
دمُنـــا عِـــذلَ غيمِنـــا مُهـــراقُ
نـــامَ كهّـــانُ معبــدِ النـــارِ شـوطـــاً
واستجـــدَّتْ أحقـــادُهم فـــاستفـــاقـــوا
انَّهـــا الـــرَّدَّةُ التي امتُحِنَ الصِّـــدِّيقُ
فيهـــــا ، وجَفَّت الأرمـــــاقُ
ثمَّ كـــان النصـــرُ العظيمُ فلِلَّيـــل
همـــودٌ ، وللنهـــار ائتـــلاقُ

يـــا رفيقَ العـــراق ، زهـــوُ بـــلادي
أنَّهـــا وابنَهـــا العظيمَ رفـــاقُ
أنت إنســـانُ عينِهـــا ، فتـــأمَّـــلْ
كيف تـــرعى إنســـانَهـــا الأحـــداقُ !
يـــا وريثَ القعقـــاع ، إنّـــا ورثنـــا
أهلَـــهُ .. خيـــرُ إرثِنـــا الأخـــلاقُ
انَّهـــا دوحـــةُ الشهـــامـــة .. هـــذا الـ
فـــرع تغـــذوه هـــذه الأعـــراقُ

فلنــــا منهمـــــو مــــروءةُ قيسٍ
كلّمــــا أطبقَتْ وضـــاقَ الخنـــاقُ
ولنــــا منهمـــو رجـــولـــةُ شيبانَ
إذا حـــانَ للسيـــوفِ اعتنـــاقُ
ولنـــا جـــودُ حـــاتمٍ، وانتفـــاضـاتُ
عليٍّ، وسيفُـــــــهُ السَّبَّـــــاقُ
فـــانتَـــدبْنـــا لهـــا، فـــأنّـــا نَـــلاقي
فعسى جنـــدُ رستمٍ أن يـــلاقـــوا!

يـــا جنـــودَ العـــراق، يـــا عـــزَّ أهلي
يـــا شمـــوســاً على شمـــوسٍ تُســاق!
يـــا نســـور الحـــديـــد، أعـــلامُ سعـدٍ
أبـــداً جنـــحُ نســـرهـــا خفّـــاقُ!
يـــا جبـــالَ الحـــديـــد، من ألفِ عـــامٍ
وجبـــالُ الحـــديـــد فينـــا عتـــاقُ!
يـــا صلاح الـــدين الـــذي مِن حِمـــانـــا
فَـــرَّ حتى ضجَّتْ بـــهِ الآفـــاقُ

يا فراتَ العشرين، يا دجلةَ الخيرِ

آدلَهِمَا ، وأطبقي يا رِقاقُ

إنَّهُ مجدُكم جميعاً فَهبُّوا

إنَّهُ الخالدُ العظيمُ العراقُ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٠

لبيك يا غضب

في ١٨ / ٩ كان الشاعر في دعوة الى فنلندا ، وقطع زيارته عائداً الى الوطن في ١٠ / ١٠ / ١٩٨٠ وفي طريق عودته كتب هذه القصيدة .

لبَّيكَ يا غَضَبْ
لبَّيكَ يا غَضَبْ
لبَّيـــكِ يـــا نـــارَ الـــوغى   فكلُّنـــــــا حطَبْ
لبَّيـــكَ يـــا عـــراقُ يـــا   دَريئـــــةَ العَـــــرَبْ
لبَّيـــكَ كلُّنـــا دمٌ   بــــــهِ ستُختَضَبْ
لبَّيكَ يا غَضَبْ

يـــا قـــادسيَّـــةُ اشهـــدي   بـــــأنّنــــا عَطَبْ
وأنَّ رأسَ رستـــم   بنـــــا سَيُحتَطَبْ
وأنَّ شـــريـــانَ المثنّى   قَطُّ مــــا نضَبْ
يا سعدُ، يا قعقاعُ يـــا   صـــدامُ واحَـــرَبْ
اليـــوم يـــومُكم جميعـــاً   أيُّهـــا العَـــرَبْ
واقـــدسُ، وابغـــدادُ وا   عمّـــانُ واحَلَبْ
هـــذي جيـــوشُ المـــؤمنين   يـــا أبـــا لَهَبْ

اليــــوم يــــوم الحقُّ لا أفلـــــحَ مَن كــــذب
اليـــوم يــــوم لا يَقي جـــــــاهٌ ولا لَقَبْ
إلّا الــدِّمــاء القــانيــاتُ سَيلُهــــــا لَجَبْ
تَبَّتْ يَــــدا كـــلِّ دَعيٍّ كــــــاذبٍ وَتَبْ
ينقلبُ المنـــــافقـــونَ أيَّ مُنقَلَـــــبْ

سيـــــوفُنـــا تعـــرفُهُنَّ يـــــا أبـــــا لَهَبْ
عُمْـــرَ سيـــوفِ المــؤمنينَ لم تكنْ خشـــبْ
عُمْرَ دمـــــائِهـــــم نَقــاءَ اللّه لم تُشَـــبْ
قـــامـــاتُهم مَنــائــرٌ وهـــــامُهُم قُبَبْ
وأنت مَن أنت ، أرأسٌ أنــتَ أم ذَنَــبْ ؟
من ألفِ عـــــامٍ لم تكُنْ نبعـــــاً ولا غَــــرَبْ
من ألــف عــامٍ تجمـعُ الثـــارات والأهَــبْ
ومــــا فَتئتَ تبتغي لفتنــــــةٍ سبَبْ
يـــاتِــرةَ القعقـــاعِ تبقى أبَــــــدَ الحقَبْ !
هـــذا العـــراقُ المستَفَــزُّ يـــا أبـــــا لَهَبْ
سمعتَ يـــومـــاً بـــالعـــراق خــــافَ أو هَـــرَب ؟

وهــــل رأيتَ سيفَـــــهُ ينبـــــو إذا ضَــــرَبْ ؟
وهـــل رأيتَـــهُ كَبــا أو فــــاتَــــهُ طَلَبْ
ســـمعتَ يـــومـاً بــالعــــراقيّــاتِ تُســتَلَبْ ؟
سمعتَ عن أبنـــــائهنَّ أنَّهــم سَــلَبْ ؟
ينـــالْ من أعـــراضهم مَن جـــاء أو ذَهَبْ ؟!

سمعتَ بـالعشـرين يـومـاً يــــا أبـــا لهَبْ ؟
سمعتَ بــالعــراقِ كيف مـــاجَ واضطـــرَبْ ؟
كــوَثبــةِ الليثِ العــراقُ كلُّــــهُ وَثَــبْ
بــالمــوتِ شَــدَّ ظهــرَهُ وبـــالــدَّمِ اعتصَبْ
مجـرى الفُــــراتَيـنِ عـلى الهـــلاهـلِ احتَـرَبْ
فــاضطـربَتْ بـهِ البَـوادي أيَّ مُضـطَـــــرَبْ

هــذا العــراقُ المُستَفَـزُّ يـــا أبـــا لَهَبْ
هـــذا عــراقُ الثـائـرينَ قَـــطُّ لــم يَهَــبْ
هـــذا عــراقُ القــادسيّينَ مَــــدى الحِقَبْ
إنَّ لَـــدَينـا حُـرمَـــةً وعنـــدَنـــا أدَبْ

ونحنُ عُـزبٌ جـارُنـا   جيـرَتُـهُ نَسَبْ
لكنْ إذا مَـدَّ الى   أعـراضِنـا سَبَبْ
أو مَسَّ من نخيلنـا   حتى لـو الكَـرَبْ
أو من خيـال حُـرَّةٍ   في أرضنـا اقتَـربْ
فـانَّـهُ هيهـاتَ ينجـو   يـا أبـا لَهَبْ

صـدامُ يـا صـدامُ يـا   مـروءةَ العَـرَبْ
يـا زاحمَ المـوتَ وَيـا   مُفَـرِّجَ الكُـرَبْ
لبَّيـكَ قبـلَ أن تقـولَ   سَيلُنـا اصطخَبْ
لبَّيـكَ لا رَيْثَ ولا   مَيْـلَ ولا تَعَبْ
سَـلْ فَبكُـلِّ مـا لـدَينـا   مـن دمٍ تُجَـبْ
نَمُ العـراقييّنَ من   ألفين يُـرتَقَبْ
يـا حيف .. في الأرض رعـاديـدُ اسمُهُم عَـرَبْ
هـذي الـدِّمـاءُ مـا لَهـا   عنـدَهُمـو نَسَبْ
مُشَّـمتينَ يـرقبـون النـار مـن كَثَـبْ
نـذرٌ لعينيـكَ نُـريهم   هُـولـةً عَجَبْ
سيـوفُنـا مشهـورةٌ   وخيلُنـا خَبَبْ

نحنُ لهـــا إنْ صُعُـــداً تـــــأتي وإنْ صَبَبْ
نحنُ لهـــا ، نحــرثُ بـــالمـــدَافــع التُّـــرَبْ
نحن لهـــا صــدامُ يــا رجـــولـــةَ العَـــرَبْ
دمـــاؤنـــا كَتِيعـــرِنـــا أبلـــــغُ مَن خطَبْ
واللّـــهِ يـــا صـــدامُ لا ذلٌّ ولا رَهَـــبْ
واللّـــهِ يـــا صـــدامُ لا عِـــيٌّ ولا نَصَـــبْ
أرجلُنـــا نـــزرعُهـــا في الأرض للـــــرُّكَبْ
مـــلاحمـــاً نُبقي لمن حَـــدَّثَ أو كَتَـــبْ !

أشـــاعـــرٌ مغتـــربٌ ؟ وانلٌّ مُغتَـــــــرَبْ !
ومـــوطنـــي يَســـبَـــحُ بـــالـــدمـــاء واللهـــبْ
أســـألُ عن أخبـــارِهِ مَن جـــــاء أو ذَهَبْ
جئتـــك يـــا عـــراقُ يـــا كـــرامـــةَ العَـــرَبْ
جئتـــك يـــا كـــرامـــةَ الأديبِ والأدَبْ
جئتـــك يـــا أمـــاً وأختـــاً وأخـــاً وأبْ
يـــا كـــلَّ أولادي ويـــا أعـــزَّ مَن وَهَبْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٨٠

قلبي عليك

أنـــــا يـــــا دمشق .. أنـــــا العـــراقُ
بيــــديـــــكِ أنتِ دمي يُـــــراقُ ؟!
أنـــــا مَن دَفَعْتُ على حـــــدودكِ
بـــــالـــــدروع لهـــــا سبـــــاقُ
أنـــــا مَن صفـــــاري كلُّهم
نـــــامـــوا على الـــدَّم واستفـــاقـــوا
وتَحشَّـــــدوا مـــــلءَ الشـــــوارع
والـــــدمـــوعُ لهـــــا ائتـــلاق
وسلمتِ أنتِ ومن بِمـــــا
آبـــــائهم كـــــان الصَّـــــداقُ

أنـــــا لا ألـــومـــكِ .. أنتِ أسمى
أألـــومُ جُـــرحي وهـــوَ يَـــدمى ؟!

لكنَّـــــــهُ أسَفٌ يُســـــــائلُني

هـــل التـــأريـــخُ أعمى ؟؟

أرمى ، نَعَم .. لكنْ عـــــزيـــزٌ

أنَّني بـــــكِ أنتِ أُرمى

إني منيـــــعٌ يـــــا دمشقُ

وإنْ يكنْ راميـــــكِ أصمى

يَظمــــا الفتى ، لكنْ لِـــدَمٌ

أخيـــهِ ويَحَـــكِ كيف يَظمــا ؟!

قلبي عليـــــك وأنتِ دائي !

يـــا بضعـــةً من كبـــريـــائي

يــــا صـــاريـــاً مـــا كـــان أروعَ

لـــو شـــددْتُ بـــه لـــوائي !

وأنـــا أقـــاتـــلُ حـــاســـرا

عـــريـــان إلّا من دمـــائي

كـــــلُّ انتصـــــارٍ عشتُـــــــهُ
لــــكِ منــــــهُ سَهمُ الأوفيــــاء

أختـــــي وشــــعبي أنـــتِ لا
ســـلمَتْ أكُــــفُ الأدعيـــاءِ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

هـــذا أوانُ السَّيــل والسَّيــلُ اشتَــدّ
وجــاوزَ الجَــورُ بــأهليــهِ الحَــدّ
والله انّـــا معشـــرٌ أولـــو جَـــدّ
عُمـــرَ العـــراقِ مـــا كَبـــا أو ارتَـــدّ
فينـــا دمٌ كـــالبحـــر إبّـــانَ المَـــدّ
واللّـــهِ لا حصنَ يقي ولا سَـــدّ
نـــأتيكمـــو بكـــلٍّ نســـرٍ مُعتَـــدّ
ينقضُّ كـــالمـــوتِ إذا المـــوتُ احتَـــدّ
وَيلَكُم اليـــومَ ولا ويـــل الغَـــدْ
لا حصـــرَ للهَـــولِ غـــداً ولا عَـــدّ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٧ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

اليوم يومُ الحقِّ، يومُ الإقدامْ
يومُ عليِّ الفتى وصَدامْ
يا ذا الفقارِ يا مُفَلِّقَ الهامْ
يا شعلةَ الحقِّ وسيفَ الإسلامْ
كُنْ غضَباً فوق رؤوس الأصنامْ
واللّهِ إنَّ سيفنا لَقَحّامْ
واللّه إنّا معشَرُ لا نُستامْ
نأتيكمو بكلِّ ليثٍ ضرغام
من خالدٍ لطارقٍ لصَدامْ
اليوم يومُ لا كَكُلِّ الايّامْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

نحن بقـــايـــا خـــالـــدٍ وطـــارقْ
نحن الـــذين جيَّشـــوا البيـــارقْ
وخضَّبـــوا الأعنـــاقَ والمَفـــارِقْ
مَغـــاربـــاً نـــزحفُ أو مَشـــارقْ
واللّـــهِ إنَّ خيلَنـــا خَـــوارقْ
واللّـــهِ إنَّ سيلَنـــا لَحـــارِقْ
لا نُغمـــدُ السيفَ ولا نُفـــارِقْ
إلا وللمـــوت سنـــانٌ بـــارِقْ
وللـــردى في كـــلِّ بـــابٍ طـــارِقْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

اليـــوم يـــومُ عـــاصمٍ والقعقــاعْ
وكـــلُّ سيفٍ وسنـــانٍ لَمَّـــاعْ
واللّـــهِ انَّ حُـــرَّنـــا لَمَنّـــاعْ
واللّـــهِ إنَّ سيفَنـــا لَقَطّـــاعْ
نجعلُـــهُ يَـــومـــاً يصـــكُّ الأسمـــاعْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٨٠

هذا مَسيلُ دم العراق

أوقِـــدْ فقــد دَجَتْ الليــالي وتَعثَّـــرَتْ هِمَمُ الــرِّجَـالِ
أوقِـــدْ فــإنَّ نــذيــرَ عــا صفـــةٍ يهمهمُ في الـدَّوالي
أوقــدْ فــانَّ يــدَ الخيــا نــةِ تَستَقِرُّ على الـذُّبــالِ
إن يُطفئـــوا هـــذا السِّــراج فكــلُّ شيءٍ للــزَّوالِ !

أوقِـــدْ فــلا واللّـــهِ مــا هجَعتْ كــريمـاتُ الخصــالِ
أوقِـــدْ فمــا أحــدٌ ســواكَ يقـــول للجُلَّى نَــزالِ !
أوقِـــدْ فــإنَّ الأرضَ غــا ليــةٌ ، وإنَّ العِــرضَ غــالي
أوقِـــدْ فــإنَّ الأمَّهــات لمثلِهــا كــانتْ تُــلالي !
أوقـــدْ فمــا عــرفَتْ بطــو لاتُ الــرُّميَثــةِ أن تُبــالي
بــل كــلُّ بيتٍ في العــراق يظـــلُّ مُنكَفيءَ الــدِّلالِ
أنْ أنتَ لم تُطعم مـــوا قــدَهــا عظــامَ أبي رُغَالِ !

أوقــــدْ فهــذا يـــومُ يَنفصـــلُ الحــــرامُ عن الحـــلالِ
أوقِـــدْ فهـــذا يـــومُ تَبـــرأُ من أسِنَّتهـــا العَـــوالي
إن لم تَـــدَعْ في كـــلِّ صـــدرٍ غُـــرَّةً دَمُهـــا يُـــلالي !

أوقِـــدْ فـــلا واللّـــهِ مـــا نَغَـــرَ العـــراقُ إلى ضَـــلالِ
عُمْـــرَ العـــراق إذا يُضـــام يَجيشُ من حـــالٍ لحـــالِ
عُمْـــرَ العـــراقِ إذا استُفِـــزَّ يهبُّ مُشتَجَـــر النِّصـــالِ
أوقِـــدْ فَـــزَينُ القـــوس ليسَ ســـوى بـــنايـــاتِ النِّضـــالِ
أوقِـــدْ فـــأنت بـــدايـــةُ الــ مســـرى ، وخـــاتمـــةُ المِطـــالِ
أوقِـــدْ فـــإنَّ أذانَ كـــلِّ الأرض يبـــدأُ من بِـــلالِ !
أعـــلامُنـــا أبَـــداً أوائلُهُنَّ تـــومِيءُ للتُّـــوالي !

هـــذا مَسيـــلُ دمِ العـــراقيّين يـــا عَطَشَ الـــرِّمـــالِ !
هـــذا مَسيـــلُ دمِ العـــراقِ يظـــلُّ مشـــدودَ الـــرِّحـــالِ
أبَـــداً لـــهُ مجـــرى يجيشُ عليـــه مـــرهـــوبَ الجـــلالِ
أبـــداً لـــه نبـــعٌ يُحَـــدِّرُ منـــهُ كـــالطـــوَّفـــانِ عـــالي
هـــذا مَسيـــلُ دمِ العـــراق فـــأينَ سَيلُـــكِ يـــا مَـــوالي ؟!

نــــزلَتْ جميــــعُ النَــــازلاتِ وأنتِ في بــــردِ الظِّـــلالِ
نــــزلَتْ جميــــعُ النَــــازلاتِ وأنتِ في قيــــلٍ وقــــالِ
لم تبــــرح الجُبَنــــاءُ تَنــــدبُ فِعْــــلَ رَبّــــاتِ الحِجــــالِ
لم تبــــرح الجُبَنــــاءُ تُنــــذرُ بــــالتَّصَــــدّي في الخيــــالِ !
حتى إذا نَفَــــرَ الــــرِّجــــالُ وآذنَ الــــدَّمُ بــــاشتعــــالِ
وتفتَّحَتْ بــــابُ المــــروءة عن بــــواكيــــرِ النِّــــزالِ
صــــاروا مطــــايــــا للــــدَّخيــــلِ تُعينُ جنــــدَ الإحتــــلالِ

يــــا مرحبــــاً بسهــــام عَمّي ! مــــرحبــــاً بسهــــامِ خــــالي !
يــــا مرحبــــاً بكِ تــــزرعين ظهــــورَ أهلــــكِ بــــالنِّبــــالِ
لا بــــأس .. لا شكــــوى ، فَلستِ على الخيــــانــــةِ والسَّفــــالِ
ممَّن نُبــــالي .. لا وأيمُ اللّه لستم مَن نبــــالي !
واللّــــهِ مــــا خطَــــرَتْ أعنَّــــةُ خيلِكم يــــومــــاً ببــــالِ !
واللّــــهِ مــــا كنتم ولا صــــرتم سوى محضِ اتِّكــــالِ !
لم تعــــرفوا يــــوماً من الــ مسعى ســــوى ذلِّ السُّؤالِ !
لم تعــــرفــــوا في ذروةِ الامجــــادِ غيــــرَ الانخــــذالِ
واللّه أنتم في حســــابِ الحــــرب من بعض العيــــالِ

مهمـــا يَطُـلْ بكم الحســاب فـــأنتمــو فَـرطُ اختــزالِ !

يـــا عثـــرةً بـــالمـــوتِ نعثـــرُهـــا .. أَجُلُـكِ أن تُقــالي !
يـــا جولــةَ الغــدِ للــرَّدى نـــذرٌ لعينِــكِ أن تُجــالي !
خـالٍ وفـاضُ المـوتِ .. لن يبقى وفـاضُ الموتِ خـالي !
يَتُهـــا الجبــاهُ الفــارعــات أُجِــلُّ كِبْـرَكِ أن تُـذالي !
يتُهـــا الـدِّمــاءُ الــزاكيـات لقـــد نَــذْرنــا أن تُســالي
يتُهـــا الصــدورُ المــوغَــرات وللجـــراحــاتِ النُّجــالِ
فيهـــا ينـــابيـــعٌ تسيـــل سَلمتِ مُـــرخَصَـــةٌ غــوالي !

صبـــراً عـــراقُ وهـــل ســوى صبراً .. على الحرب السِّجالِ ؟
صبـــراً على الجُلّى فـإنــكَ أنت ميـــزانُ القتـــالِ
صبـــراً وأنت أخــو الــرَّدى صبـراً وأنت أخـو المعـــالي
صبـــراً وأدري ليس غيـــرُكَ للمُهمَـــــاتِ الثُّقـــالِ
إنْ أنت لم تصبـــز فقـــد مـــالتْ مـــوازينُ الــرِّجـالِ !
وازَّعـــزَعَتْ كـــلُّ الـــذُّرى وتَصـــدَّعَتْ كـــلُّ الجبـــالِ !

صبــراً عـــراقَ النَّخـــلِ والـ نهـرَينِ والشُّـــرَفِ العَـوالي

صبــراً عـــراقَ القـادسيَّـةِ والبطـــــولاتِ الخَـــوالي

وعـــراقَ صـــدّامٍ وكـــلُّ يـــدٍ بصــــدامٍ تُغـــالي !

صبــراً عـــراقَ الثـــابتين الآن لـــلأمـــرِ العُضـــالِ

الـــواقفينَ شَـــوامخـــاً والموت في ضَنْكِ المجالِ

المقبلينَ عليـــهِ اقبـــالَ الـــوَيـــالِ على الـــوَيـــالِ !

صبــراً عـــراقُ .. وهلهلي يـــا أختَ محمـــودِ الفعـــالِ

فهـو ابنُ هـاتيك الجـديلةِ وابنُ ذَيَّـــاكَ العِقـــالِ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

إنْ شئتَ أن تعـــرفَنا فَسَلْنــا
تُنبيــكَ زينُ القـــوسِ خيـــراً عنّـا
واللّـــهِ لم نحمـــلْ بهـــا مِجَنّـا
محضَ سيـــوفِ مـــرهَفـــاتٍ كنّــا
وأنفُســـاً بمـــوتهـــا تَغَنّى
فنحنُ أحفـــادُكَ يــــا مثنّي!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

كــأســاً بكــأسٍ .. هكــذا نُســاقي
نَلتَفُّ ســاقــاً والــرَّدى بســاقِ
واللّـــهِ لا نُبطيءُ في التَّــلاقي
فــالمــوتُ حقٌّ ليسَ منــهُ واقي
وليس غيـــر اللّـــهِ شيءٌ بـــاقي
نبقى ويبقى شَـــرَفُ العـــراقِ
دَينــاً كَـدَينِ اللّــهِ في الأعنــاقِ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٠

سيدي أيها الجنديّ العراقي

(١)

إذا كنتُ شيئاً لديكْ
إذا كان صوتي قريباً إليكْ
إذا كان للشعر حقٌّ عليكْ
فباسم أخي ، باسم أختي وأميّ
وباسم صغاري ،
وكلِّ الصغار الذين سيأتون
دعني أقبِّلْ يديكْ !

(٢)

أدري بـــــــأنَّ الشعـــــــر أصغَـــــــز
أدري بـــــــأن الصَّـــــوت أصغَـــــز
تتَجمَّـــــع الــــدُّنيـــــا أنــــاشيـــداً
وتبقـــــى أنـــــت أكبَـــــــــــــز !

(٣)

خمسين عاماً أيُّها الصَّديقْ
خمسين عاماً وأنا القاكَ في الطريقْ
في كلِّ يومٍ ..
ثمَّ أمضي دون أن أراكْ
خمسين عاماً وأنا أبحثُ في الوجوهْ
عن مُنقذٍ ، خمسين عاماً وأنا أرجوهْ
وفجاةً تومىءُ من هناكْ
أنت الذي خمسين عاماً ،
كلَّ يومٍ تلتقي بي دون أن أراكْ !

(٤)

أدري بأنَّ الشِّعر لا يعلـــو كما تعلـو البنادقْ
أدري بأن الشعر، كلَّ الشعر، مَهما كان صادقْ
يـــأتيكَ مُـرتبكَ الخُطى، متعثـراً بين الخنادقْ
يا أيُّها الشَــرَفُ المُتَوَّجُ بـالدِّمـاء وبالحـرائقْ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

لتَشهـــدِ الأحـــوازُ والمُحَمَّـــره

أنّـــا أحَلناهـــا بلَيـــلٍ مِجْمَـــره

حتى غَـــدَتْ شـــواخصـــاً مُـــدَمَّـــره

والله إنّـــا أمَّـــةٌ مُستَنْفَـــرَه

آمـــرةٌ على الـــردى مـــؤمَّـــرَه

أردانُهـــا عن غضبٍ مُشَـــمّرة

وسَـــاقُهـــا في مـــوتِهـــا مُسَمَّـــرَه

فلينتـــدبْ كُـــلُّ دَعيٍّ مَعشَـــرَه

ولَيَستَثِـــزْ رمـــاحَـــهُ وضُمَّـــرَه

ولا يَلُمْ جحيمَهـــا إن دَمَّـــرَه

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

نجيئكم .. صدورنا حواسِرْ
مثلَ الصُّقور حُوَّماً كواسِرْ
مُشرَعَةَ الأظفارِ والمناسِرْ
نأخذُكُم أخْذَ عزيزٍ آسِرْ
بكلِّ ليثٍ مُستَفِزٍّ جاسِرْ
واللَّهِ إنَّ اللَّهَ للمَعاسِرْ
وإنَّهُ لأهلِهِ لَياسِرْ
وإنَّما الزِّنديقُ فينا الخاسِرْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

شـــدُّوا عنـانَ الصَّبـــرِ فـــالصَّبـــرُ ظَفَـــرْ

مـــا صَنَـــعَ الأمجـــادَ إلّا مَن صَبَـــرْ

واللّـــهِ لن يقـــولَ عنّـــا ذو بَطَـــرْ

بـــأنَّنـــا قـــومٌ خِفـــافُ المُـــدَّخَـــرْ

وأنّنـــا نيـــرانُنـــا مَحضُ شَـــرَرْ

وأنّنـــا نـــركضُ عنـــد المُنْحَـــدَرْ

واللّـــهِ لا .. إنَّ لنـــا فيهـــا أثَـــرْ

أقـــدامُنـــا تُبقي على الأرض حُفَـــرْ

من ثُقْـــلِ مـــا نَـــركـــزُهـــا كَـــرّاً وَفَـــرّ

ليَعلمِ المـــوتُ إذا المـــوتُ اشتَجَـــرْ

أنَّ لنـــا مَهـــابَـــةً لا تُختَصَـــرْ

وأنّنـــا أثقـــلُ مِن كـــلِّ البَشَـــرْ

إبّـــان لا يُبقي الـــرَّدى ولا يَـــذَرْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

الصَّبـــر، ثمَّ الصبـــر، ثمَّ الصَّـــبرُ
إنَّ الكـــريمَ الصَّـــابـــرُ الأبَـــرُّ
لِتَعلم الخطـــــوبُ حينَ تَعـــــرو
بـــأنَّنـــا هَـــذا المَـــذاقُ المُـــرُّ
وأنَّنـــا في المـــوتِ لا نَصْفَـــرُّ
نـــدري بـــأنَّ الحـــرب دربٌ وَعْـــرُ
نـــدري بـــأنَّ الأمـــرَ فيهـــا أمـــرُّ
وعنـــدَمـــا تشتَـــدُّ لا نَـــزْوَرُّ
لأنَّنـــا نعـــرفُ مـــاذا تَـــذرو
يـــا جبنـــاءَ رستمٍ أصِـــرُّوا
وكلَّمـــا طـــالَ مَـــداهـــا فـــرُّوا
يبقى الـــرِّجـــالُ الصـــامـــدونَ الغُـــرُّ
الثـــابتـــونَ والـــردَى يَكـــرُّ
بهم .. بعـــزمهم يجيءُ النَّصـــرُ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٠

رمز في المعركة

طــالَ مــداهــا ومَــداهــا ذو مَــدّ
من والــدٍ نعــرفُــهُ ومن جَــدّ
شــدّي فــإنّــا أهــلُ ذيّــاك الشّــدّ
نثيــرُ فيــهِ النَّقْــعَ حتى يَــرِبَــدّ
لقــد نَــذَرْنــا العُمْــرَ ألّا نــرتَــدّ
ألّا وللبــاطــلِ ثــوبٌ مُنْقَــدّ
والحقُّ عــالي المنكبين معتَــدّ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٩٨٠

سيدي أيها الجنديّ العراقي

أنت لا تشكـــو الصـــواريـــخ ،
ولا تشـــكـــو القنـــابـــلْ
تتلقـــاهـــا كـــريمَ النفس ، شهمـــاً ،
وتقاتـــلْ
وتمـــوتْ
دونَ أن تَسأل شيئاً ،
يا عظيـمَ النفـــس ،
يا أنبَلَ ما في المَلكوتْ !

يا شرَفَ العراق في الخنادقْ
يا سيِّدي ..
يا مُشرَعَ الصّدورِ للبنادقْ
يا حاملًا عنّي وعن أولاديَ المَنايا

يا أشرَفَ الضحايا
باسمِكَ ، نحنُ أهلكَ الأوفياءْ
نعلنُ من موقعنا أنّا نريق الدِّماءْ
يا سيّدي ..
موقعُنا ليس بهِ حرائقْ
ليس به فناءْ
لكنَّ فيهِ منكَ يا سيّدي
هذا التحدّي ..
هذه العزَّةُ والكبرياءْ

يا سيّدي

أهلُكَ نحنُ

بينَنا زوجتُكْ

وبيننا إخوتُكْ

وبيننا أمُّكَ يا سيّدي

وبيننا أطفالُكَ الأبرياءْ

وما أذلّنا

وما أبخلَنا

إن لم نُشاطرك وأنتَ تنزفُ الدِّماءْ

بأن نقولَ ساعةَ العَطشْ

بكبرياءٍ :

لا

لكـأسِ المـــاءْ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

نحن بَنَينـــا بــــابــــلًا وبغـــداذْ
نحنْ وَرِثْنـــا كــــلَّ ميـــراثِ الضّـــاذْ
بـــاسمِ الحضـــاراتِ وبـــاسمِ الأمجـــاذْ
نــدفــعُ عنــكَ يـــا تـــرابَ الأجـــداذْ
والله لن يقـــولَ عنّـــا الأحفـــاذْ
بـــــأنَّنـــــا لم نَفِ حقَّ الميـــــلاذْ
وقـــد تَـــركْنـــا الضّـــادَ نَهْبَ الأحقـــاذْ
تسعى بـــــوادٍ وسَعينـــــا في واذْ
حتى تـــألَّبَتْ عليهـــــا الأوغـــــاذْ
والله لا .. نحنُ لهـــا بـــالمـــرصـــاذْ
نعلنُهـــــا على رؤوسِ الأشهـــــاذْ
بـــأنَّهـــا خَيمتُنـــا ، أرضُ الضّـــاذْ
عمـــودَهـــا مُـــرتكـــزٌ في بغـــداذْ

وفي الخليـــــج والمحيطِ الأوتـــــاذ

وفي جِمـــانـا كـــلُّ تلـــكَ الأبعـــاذ

سيـــــوفُنـــــا تلمـــعُ دونَ أغمــــاذ

وخيلُنـــــا تصهــــلُ حَـــدَّ الإرعـــاذ

ونحن واللّه كمــــــــبـاةٌ أسيــــــاد

ونحن واللّه عطـــــــــــــاشٌ وزّاد

نـــركضُ نحـــو مـــوتِنـــا بـــلا زاذ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٠

رجز في المعركة

يا شرَفَ الأمَّـةِ يا أبطـالَها يـا صائنينَ عـرضَها ومـالَها
وحـامِلينَ في الـرَّدى أثقـالَهـا
عهداً لكلِّ قطـرةٍ أسالَهـا شهيدُكم يا مُثُلاً نسعى لَها
أنّـا نـريقُ ههُنـا أمثـالَهـا
تاللّهِ لن تُلقي يدٌ أحمالَهـا ولن تُنيمُ أمُّنـا أطفـالَهـا
إلّا وقـد خـاضتْ بهم أهـوالَهـا
وعَلَّمتهُم أنّهـا مَجـامـرٌ سيُصبحـونَ في غدٍ رجالَها

يا شرَفَ الأُمَّـةِ يا أبطـالها واللّـهِ لم تُخَيِّبوا مَن قـالَها
لَبـوَةٌ أهلي أرضَعَتْ أشبـالَهـا !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٠

نسجنا لهم درع الفراتَين

بلى هــذه أرضي، وهــذا مسَــارُهــا
وهــذي ســرايــاهــا، وهــذا مغــارُهــا
وهذا الــذي مــاجَتْ بــهِ الأرضُ سَيلُهــا
وتلــك التي لالا بهــا الأفقُ نــارُهــا
وأصــواتُهــا هــذي، وتَصهــالُ خَيلِهــا
وهــذي البــروقُ الخــاطفــاتُ شِفــارُهــا
بلى هــذه أرضي فَمــا بنتُ لَبــوَةٍ
ســواهــا مــدى التــاريخ هــذا مَــدارُهــا!

الا أيُّهــا المستَنفَــرون الى الــرَّدى
جبــالَ حَــديــدٍ لا يُصَــدُّ انحــدارُهــا
وأنتم عليهــا أنفُسٌ قــد تــلاحَمَتْ
مع النّــار حتى جَــلَّ فيهــا انصهــارُهــا

فَما عـادَ يـدري خصمُكُم أينَ جمرُهـــا
جحيمُكمـــو هـــذي ، وأين شـــرارُهـــا
ومـا عـادَ يـــدري ، والـدّروع ، ومَن بهـــا
مزيـــجٌ من الفـــولاذ ، كيفَ انشطـارُهـا !

ألا أيُهـــا المُستَنفَـــرون الى الـــرّدى
وحسبُ المنـــايـــا أنَّ أهلي مَـــزارُهـا !
وأنّـــا مدى التـاريـخ كُنّـا وَقـــودَهـا
وأنّـــا على كَـــرِّ الليـــالي مَنـــارُهـــا
وحسبُ المنـــايـا كلَّمـا الأرضُ أعسَـرَت
فَلَم تَلِـــدْ الفـــادين ، أنّـــا يَســارُهـا !
وأنّـــا إذا قيسَتْ مَـــوازينُ أمَّـــةٍ
على الموتِ قال النـــاس : أنتم عيارُهـا !
ومـــا خفَّ لا واللّه ميـــزانُ بـــأسِنـــا
ولا كَبُـــرَتْ يـــومـــاً علينـــا كبـــارُهـا
تظـــلُّ حلـــوم الأرضِ مـــوصـــولـــةً بنـــا
بلى جَهلُهـــا فينـــا ، وفينـــا وَقـــارُهـا

إذا الأرضُ مـادَتْ ، والمـروءات زُلـزِلَتْ

وحَطَّتْ دجىً لا يُستَبـانُ اعتكـارُهـا

رَكَـزْنا بصـدرِ الأرض هَـوْلَ حضـورِنا

فتَنـدَكُّ أو ينجـابَ عنهـا دُوارُهـا

بلى نحن أهـلُ الأرض مـوصـولـةٌ بنـا

مَـلاحمُها ، مُـذْ كُـوِّرَتْ ، وانتصـارُهـا

وهَـا هم وألفٌ قـد مَضينَ كـأنَّهم

الى الآن معقـودٌ عليهم غبـارُهـا !

ألا أيُّهـا المُستَنفَـرون الى الـرَّدى

وكُـلُّ دمـاءِ النـاس جَفَّتْ بحـارهـا

حَمَلتُم دِيـاتِ الأرضِ طـراً وإنَّمـا

كبـارُ الـدَّواهي بـالكبـار انـزجـارُهـا

يقـول لنا الـزّاهونَ في الـذلِّ : صَبـرَكم !

ونفسُ الكـريم الحُـرِّ كيفَ اصطبـارُهـا

وكيف تنـــامُ العينُ والحَيفُ حيفُهـــا
وأعـــداؤهـــا الأعـــداء ، والثـــأرُ ثـــارهـــا

فَقُـــلْ لبني ســـاســـان ألفُ تَصَـــرَّمَتْ
وفرســانُ سعدٍ مــا تَــــراخَتْ ضمــارُهــا

وقـــلْ لبني ســـاســـان ألفُ تَصَـــرَّمَتْ
وتبقى مَـــواضينـــا نَـــديّـــاً غـــرارُهـــا

وقـــل لبني ســـاســـان ألفُ تَصَـــرَّمَت
وميـــراثُكُم منهـــا شَجـــاهـــا وعـــارُهـــا

وهـــاهُم أولاءِ الآن أحفـــــادُ رستمٍ
وأحفـــادُ سعدٍ فـــانظـروا مـــا بـــدارُهـــا

ألَم تستقم كـــالأمسِ فينـــا شمـــوسُهـــا ؟
ألَم يَنتَتـــز كـــالأمسِ منكم نثـــارُهـــا ؟

أمـــا كـــان فينـــا عـــزمُهـــا واقتـــدارهـــا ؟
أمـــا كـــان فيكم ذعـــرُهـــا وفـــرارُهـــا ؟

يجـــوسُ ببيتي مَن لبيتيَ حُـــرمَـــةٌ
عليـــه ، وأدنى حـــرمـــةِ النـــاسِ جـــارُهـــا

حَمَلنــــاكمـو حَمْـلَ اللــديــغِ سمــومَــهُ

وقلنـــا تخـــومُ الأرض يبقى جـــوارُهـــا

أفي كـــــلِّ ألفٍ تحبَلــــونَ بعقـــربٍ

ويلفظُهـــــا لَفظـــاً إلينـــا وِجـــارُهـــا !

وقـــــد غَبَـــرَتْ ألفٌ وألفٌ ولم تَـــزَلْ

نفـــوسُكُمـــو بـــالحقــدِ يغلي صَغـــارُهـــا

بلى نحنُ كُفءُ الغيظ والحقـــدِ واللظى

وَخَيـــلُ أنـــوشـــروان فينـــا عِثـــارُهـــا

صَـــــدَغْنا ذُراهـــا يـــومَ مـــولـــدِ أحمَـــدٍ

وفي وَهَـــجِ الفـــاروق كـــان انهيـــارُهـــا

بلى، وانظـــروا وجـــهَ المُحَمَّـــرةِ التي

جَلَـــونـــا، وعَبَّـــادان كيفَ حِصـــارُهـــا

ووالله لـــــو شِئنـــا بيـــومٍ وليلـــةٍ

وأسهَـــلُ من عصـــرِ الهَشيمِ اعتصـــارُها

لَخُضنـــا بخيـــلٍ من حـــديـــدٍ دروبَهـــا

وأصبــــحَ من بيتٍ لبيتٍ جِـــوارُهـــا !

ألا أيُّهـــا المستَنفَــرون الى الـــرَّدى

نفـــوساً لهـذا اليومِ كـانَ ادِّخارُهـا

تبـــارَكَت الأرض التي تحـــرثـــونهـــا

لقـــد فَـــزَّ حتى رملُهـــا وحجـــارُهـــا

ولانَتْ بكم ، كــــلُّ الـــدُّروع تَشَبَّثتْ

بهـــا فـرطَ مــا عـانَتْ وطـالَ انتظـارُهـا

وأقحمتُمـــو فيهـــا على المـــوتِ زهـــوَكم

وفي لحظـــةٍ أضحى خضيباً عِـــذارُهـــا

محـــاريثُهـــا نـــارٌ ، وأمطـــارُهـــا دَمٌ

وأجســـادُ أغلى الـــواهبين بـــذارهـــا

لهـــا الله بعـد الجَـدبِ والهَجـرِ والظَّمـــا

بـأيِّ الضَّحـايـا سـوف تـزهـو ثمـارُهـا !

لـــكَ المجـــدُ من ألفٍ وأعـــلامُ أمَّتي

تـــرفُّ بـــأرضٍ مُستبـــاحٍ ذِمـــارُهـــا

إذا شهقَتْ دارَت عليهـــا رحى الـــرَّدى

فنـــامَتْ شَـــواطيهـــا ، وأغفى فَنـــارُهـــا

الى أن حسبنـــا أنَّ قحطـــانَ لم يكنْ
سـوى قصَّـةٍ يُـرضي هَـوانا ادِّكـارُهـــا !
الى أن حسبنــا بـــابـلًا مَحضَ قلعــةٍ
عَلَتْ زمنــاً ، لكنْ تَهــاوى جــدارُهـا !
وصـــرنا إذا مـــا قيـل : أينَ عظيمُكُم ؟
نُقَلِّبُ أوراقـــاً تَنــاهى اصفـــرارُهـا !
وأيـــأسَنـــا أعـــداؤنـــا من نواتِنـــا
الى أن تنـاهى في النفـوسِ انكسـارُهـا
فمـــا عـادَ يدري سائـــرٌ ما طـريقُهُ
ولا فـــرقـةٌ من أهلِنـا مـــا شعـارُهـا
وكـــان ضميـــرُ الأرضِ يلظى بجـوفهـا
وكـــانت قـدورُ المجـد يعلـو بخـارُهـا
ومـــا هي إلّا صـرخــةٌ : واعـــروبَتا
وكفٌّ من الأحـــواز يـدمى سـوارُهـا !
و « لبَّيـكِ » .. دَوَّى مـلءَ بغــداد رَجعُهـا
وزَلْـــزَلَ كـــلَّ المَشــرقَينِ انفجـارُهـا !

بلى ، من هنا يا أمَّتي يَبدأ العَنا

فإنَّ خيولَ المجدِ صعبٌ مُغارُها !

بلى من هنا يا أمَّتي يَبدأ الرِّضا

رضا أنفُسٍ ما قرَّ يوماً قرارُها !

رأيتُ إليهم يزحفون بِسَيلِهم

وتشرينُ مأساةٌ يكادُ احتضارُها

وكانت عروسُ الشامِ تَنزو مَروعةً

يدافعُ أيدي الأرذلين خمارُها

وهم يَنهبونَ البيدَ نهباً ، دروعُهُم

يكادُ يهزُّ الرّاسياتِ جُؤارُها

يُسائلُهم إذ يمضغُ الأرضَ درعُهُم :

طريقُ دمشق الشام كيف اختصارُها !

وما بلَغوا مرمى دمشق ، وأشرفوا

على السّاح حتى صار ليلًا نهارُها !

فكانوا حضورَ اللهِ والحقِّ والرّدى

وجلَّقُ موفورٌ نقيٌّ إزارُها !

وهم هم ، مــدى ستّينَ عــامــاً تقلَّبَتْ
على النــاسِ .. شتّى ، دامياتٍ جِـرارُها !
فكــانوا بهـا سيفـاً ، وكـانـوا بهـا سَنىً
وصــورةَ عــزٍّ كــلُّ قلبٍ إطــارُهـا !

بلى يــا لهيبَ القــادسيّــاتِ كلِّهــا
ويــا سُحُباً للمجـد جَـلَّ انهمــارُهـا
ويــا جُنـدَ مَن حتى المَقــاديرُ جُنـدُهُ
ففي يــدِهِ إقبــالُهــا وانحســارُهــا
تصــولُ بنــو شَيبــان للمجـدِ كلُّهــا
ولكنَّ زهــوَ الخيــلِ يبقى ضــرارُهــا !
ونــذكــرُ كــلَّ العُــربِ زهــواً وإنَّمــا
كنــايتُهــا قحطــانُهــا أو نــزارُهــا !
فـإن قلتُ : يـا صـدام .. نـادَيتُ أمَّــةً
لأنَّ المنــادى زهــوُهــا وفخــارُهــا !

ألا يـــا مَهَبَّ المجـــدِ من حيثُ أقبلَتْ
نَســـائمُ أهلي ، شِيحُها وَعَـــرارُهـــا
روائـــحُ ذاكَ العِـــزِّ فيـــكَ طيـــوبُهـــا
وتلك الـرِّمـــالُ السُّمر فيـــكَ نِجـارُهـــا
ويـــا وارثـــاً عن خيـــر أهلي خَـــلاقَهم
وأعظَمُهـــا أنَّ دارَةَ العِـــزِّ دارُهـــا
وأنَّـــكَ نفسٌ نـــاصـــعٌ جَيَشـــانُهـــا
صـــريحٌ تَـــدانيها ، صـــريحٌ نِفـارُهـــا
قليـــلٌ على كـــلِّ الخطـــوب شكـــاتُهـــا
عـــزيـــزٌ رضـــاهـــا ، والأعَـــزُّ ازورارُهـــا
وأنت وأيمُ اللّـــهِ نَبْـــعٌ ومَعقـــلٌ
لكـــلِّ عُـــرى أهلي فكيفَ انهـــدارُهـــا ؟

بلى يـــا مَهيبَ السَّيف والـرأيِ والخطى
ويـا جـابـــراً ما يَستحيـــلُ انجبـارُهـــا
ويـــا واسـعَ الآفـاقِ والـرأيِ والهـوى
ويـــا غـافـراً مـــا لا يُطـاقُ اغتفـارُهـــا

ووالله لو كانت لدى الفرسِ فطنةٌ
لَرَنَّكَ عنها أنْ أتاكَ اعتذارُها

وأنْ أسلَمَتْ بالحَقِّ للحَقِّ أمرَها
وَرِثَتْ جَهالاتِ الصِّغارِ كبارُها

ولكنَّها صالَتْ وجالَتْ وأرعدَتْ
وكَشَّرَ عن ظفْرٍ ونابٍ سُعارُها

فَيا عاليَ الرّاياتِ آنَ انتشارُها
ويا فارسَ الأهوالِ حانَ اتِّزارُها

ويا زاهداً بالشَّرِّ رِفقاً ومنعَةً
أتَتْكَ بهِ تسعى حَثيثاً صغارُها

أتاكَ به مَن لو درى من خَصيمُهُ
لَوَدَّ لو انَّ الأرض حانَ انفطارُها !

وَمَن لو درى أنَّ المَطافَ سَيبتَدي
بصدام لاستعصى عليهِ ابتدارُها !

نَسَجنا لهم درعَ الفُراتَين : زَرْدَةً
فصدام ، فالاخرى .. كذاكَ انضفارُها !

يقـول لنا الـزّاهُـونَ في الـذُلِّ : صَبـرَكُم
ونفسُ الكـريم الحُـرِّ كيف اصطبـــارُهـا ؟

أتَينـــا لهـــا كُــرهـــاً على عُنفــوانِنــا
ومـــا ســـاقَنـــا واللهِ إلّا اضطــرارُهـــا

ويبقى أخـــو الامجـــاد مَن يَستَثيــرُهـــا
وليسَ الـــذي يحني قَفـــاهُ انتظـــارهـــا !

فَيـــا جُنْـــدَ صـــدامٍ ، وصَـــدامُ هـــالـــةٌ
من المجـــد يُزهي الخـافقَينِ اعتمـارُها !

ويـــا جُنْـــدَ صـــدامٍ ، وصـــدامُ أُمّـــةٌ
وتـــاريـــخُ أرضٍ يُستَعـــادُ ازدهـــارُهـــا

لقـــد جُلتمـــو واللّـــهِ للحقِّ جـــولـــةً
سَيبقى مـــدى التـــاريـــخ حيّاً أوارُهـــا !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٧ / ١ / ١٩٨١

يا عزيز العراق

أن نبالي سيّان أو لا نُبالي
عَثْرةَ الموتُ أكبِري أنْ تُقالي !

ما يكنْ فيكِ من صنوفِ الرّزايا
حَسبُنا أنّنا لها يا ليالي !

منذُ ألفينِ والمروءاتُ حُبلى
والدّياجي موعودةٌ باشتعالِ

منذُ ألفين والمَقاديرُ تسعى
مُخْبِقاتٌ بها عيونُ الرجالِ

منذُ ألفين والشرايينُ تَغلي
وَيْكِ يا قاسيَةَ الأجيالِ

طاشَ سهمُ التاريخ انْ لم تكوني
ساعةَ الصِّفرِ للوعودِ الطوالِ !

قـــرِّبي صَهْـــوةَ المَنـــايـــا إلينـــا

يــــرفضُ اللّـــهُ والعُلى أن تـــذالي

قَـــرِّبي صَهْـــوةَ المَنـــايـــا اليـنـــا

لن تَـــرَيْ مثـــل هَـــامِنـــا للمَعـــالي

قَـــرِّبي صَهْـــوةَ المَنـــايـــا اليـنـــا

لم نَـــزَلْ هُـــولـــةً ولَمّـــا تـــزالي

عُمْـــرَنـــا طفلُنـــا يَـــرى حَبْلَـــهُ السُّـــرِّيَّ

مُلقىً في لُبّـــنـــةِ الأهـــــوالِ

عُمْـــرَنـــا لا يُـــذامُ فينـــا رضيـــعٌ

أنّـــهُ عَـــلٌّ من حليبٍ رُذالِ

عُمْـــرَنـــا لا تشـــابـــكَ العينُ فينـــا

هُـــدْبَهـــا والحتـــوفُ رَشْقَ النِّبـــالِ

نحنُ قـــومٌ إذا رَكِبْنـــا حَمَلْنـــا

مـــوتَنـــا قَبـــل زادِنـــا في الـــرِّحـــالِ !

قَـــرِّبي صهـــوةَ المَنـــايـــا إلينـــا

كـــلُّ حَيٍّ بهنَّ لا بُـــدَّ صـــالي

قـــرِّبي هـــذه الكــؤوسَ فـــإنَّ الـ
مـــوتَ فيهنَّ كـــالـــزُّلالِ الـــزُّلالِ

وأديـــري زهـــوَ الفَنـــاجينِ فينـــا
إنَّ مجـــدَ العـــراقِ مـــلءَ الـــدَّلالِ !

بـــل عـــراقيَّـــةٌ جبـــاهُ المَعـــالي
وعـــراقيَّـــةٌ سِمـــاتُ الجَمـــالِ

وعـــراقيـــةٌ ، إذا شبّت الحـــربُ
لظـــاهـــا ، أصـــابـــعُ الآجـــالِ !

نحن والمجـــدُ وَخْـــدَنـــا والمنـــايـــا
في مجـــالٍ ، وغيـــرُنـــا في مَجـــالِ

نحن والمجـــدُ والمَنـــايـــا بضَنْـــكٍ
جـــاحمٍ لا تُشـــالُ فيـــه العَـــوالي

فَـــرَطَ مـــالَـــزُّ بعضَـــهُ المـــوتُ لَـــزّاً
فـــانظـــري أيُّنـــا كـــريمُ الفعـــالِ !

قـــرِّبي قـــرِّبي رَدانـــا إلينـــا
لا قتـــالٌ إلّا كهـــذا القتـــالِ !

قبلَ أنفِ أبو رُغالٍ زَمانا

ما الذي ترتَجينَهُ من رُغالٍ ؟!

قرِّبي صهوةَ الرَّدى إنَّ أهلي

عَدَدَ النَّجمِ والحَصى والرِّمالِ

إن يُهانوا وهم أولو ذلكَ العزِّ

ثَكِلْنا مآلَنا مِن مَآلِ !

صولةَ الحقِّ والمروءةِ نَذرٌ

لِمآقي أطفالِنا أن تُصالي

قسَمٌ، مِن دمائهم وهي تجري

زاكياتٍ على الدروبِ الوِجالِ

قَسَمٌ، من عيونهم وهيَ ترنو

حولَها في تَساؤلٍ وانذهالِ

قَسَمٌ، من ثيابهم لاهباتٍ

وعيونُ الجراحِ فيها تُلالي

شَبَّ حتى اقشعرَّت الأرضُ منهُ

وتشظّى وجهُ السَّماءِ العالي

لم تكنْ ذروةَ الشَّهـــادةِ فــريـــال

ولا بَــدؤهــا بِمــا فــريــالِ

انَّمــا كــانت النُّبــوءَةَ حَقــاً

وسُــؤالاَ قيــلَ ابتــداءِ السّــؤالِ :

عــرسُ مَن هــذه الــدِّمــاء ؟ .. ومــاذا

يُــرتَجى من مَــذابــحِ الأطفــالِ ؟

عــرسُ مَن هــذهِ الــدِّمــاء ؟ .. ومــاذا

خلفَ هــذا النَّسيــج من أنــوالِ ؟

عــرسُ مَن هــذهِ الــدِّمــاء ؟ .. ومــاذا

تَــرثُ الأرضُ من هبــوب الشمــالِ ؟

ثمَّ جَّــاءَ الــرَّجْــعُ الكبيــرُ المُــدَوّي

قَسَمــاً صــادعــاً رهيبَ الجَــلالِ :

يــا ضَحــايــا أطفــالِنــا ، قسمــاً أنَّ

بِمــاكُم أثمــانُهنَّ غــوالي

يــا ضحــايــا أطفــالنــا ، قَسَمــاً أنْ

تَمــلأي كــلَّ أرضِنــا بــالغِــلالِ

يــا ضحــايــا أطفــالِنــا لَنْ تضيعي

كــلُّ جــرحٍ لــهُ حســابٌ تــالي !

أفكــــانتْ تكبيـــــرَةٌ من بِـــلالِ ؟!

أبَشيـــرٌ أم منـــذرٌ بـــالـــوَبـــالِ ؟

خـــاشعـــاتٍ ظلَّتْ قلـــوبُ المَـــلايين

ولكنْ رصينـــــةً كـــــالجبـــــالِ

ذاكَ أنَّ الصَّـــوتَ الذي مَـــلأ الـــدُّنيـــا

وأوفى على حـــــدودِ المُحـــــالِ

كـــان جـــرحَ العـــراقِ من ألفِ جيـــلٍ

جَمَّعتْـــهُ صـــوتـــاً عصـــورُ النِّضـــالِ !

ألفُ لَبَّيـــكَ يـــا كـــريمَ الخِـــلالِ

يـــا مُـــزيـــلًا بـــالهَـــدْيِ كـــلَّ الضَّـــلالِ

ألف لبَّيـــك ، لا اتِّقـــاءً ، ولا نُهـــزَةً

عيشٍ ، وليسَ مَحْضَ ابتهـــــــالِ

إنَّ هـــذا هـــديــرُ كـلّ العـــراقيينَ

من أبعَـــــدِ السِّنين الخَــــوالي

جـــاء يسعى عَبْرَ الأسى، عَبْرَ كلِّ الـ

قَهـــرِ، عَبْـرَ السُّجـونِ حتى بَـدا لي

فتَقمَّصْتُـــــهُ .. أنــــا الصـــوتُ لكنْ

غَيظُ كـــلِّ العـــراق في أوصـــالي!

هكـــذا كـــانت البَـــداةُ اغتيـــالًا

فـــالتفـــاتـــاً الى يـــد المُغتـــالِ

فـــانتفـــاضـــاً، فَلَمحَـــةً عَبْـرَ كـلِّ الـ

أرضِ جـــاسَتْ في ظُلمَـــةِ الآزالِ

فتَعـــثَّرتْ على النِّصـــالِ أيـــاديهم

وأجفَلْنَ أيّمـــــا إجفـــــالِ

أنّ بـــرقـــاً أضـــاءَ عَـرْضَ السَّمـاوات

وصَـــوتـــاً يَـــرْفَضُّ كـــالـــزلـــزالِ

يـــا بَني يعـــربٍ أرى طـــاقَ كســرى

يتهـــاوى .. أرى دبيبَ النّمـــالِ

فـــوق أنقـــاضِـــهِ .. أرى سيفَ سعـدٍ
وخيــــولَ القعقـــــاع فـــوقَ التِّـــلالِ
يــــا بني يعـــرب أرى مَـــرّةً اخـــرى
دبيبَ الحــــــديـــــــد والأفيــــــالِ
انّهــــا قــــادسيَّـــــةٌ يشهــــدُ اللّه
فنفسُ القَنــــــا ، ونفسُ النِّبـــــالِ !

وانتفضنــــــا .. وعـاد سيـرتَـهُ التـاريـخ
يــــا للحـــربِ الضَّـــروسِ السِّجـــالِ
يــــا عــــراقَ المُــــدَجَّجين الأوالي
يــــا عــــراقَ الفـــروضِ والأنفــــالِ
يــــا عـــراق التــاريـخ .. إنّــكَ أبقى
كــــــلُّ شيءٍ إلّاكَ رهنُ الـــــزّوالِ !

هكـــــذا نفَّضَ العـــراقُ جنــاحَيــهِ
صُقــــوراً تحــــومُ فـــوقَ صِـــلالِ

هكــــذا كـان جنـدُ صــدامَ مِن صـــدامَ

فيهم أرومَــــــــــةُ الأشبـــــــــالِ

هكــــذا نحن يــــا عــــراقُ اعتــــدادُ

وخيـــــالٌ يفــــوقُ حَــــدَّ الخيـــالِ

أفـــأمضى ، ونحن في شهـرهـا الثـامنِ

مِن جنـــدِنـــا على الإقبـــالِ ؟

أفـــارهى ، ونحن في شهـرهـا الثـامن

مِن صَبـــرنـــا على الإحتمـــالِ ؟

أفـــاوفى مِن أهلنـا ؟ .. يـا عـراقَ الـ

عـــارضيّـــات ، يـــا بعيـــدَ المَنـــالِ

لم تـــزلْ أمُنـــا تَهـــزُ ليـــومِ

مثـــلِ هـــذا أولادَهـــا وتُـــلالي !

لم نـــزلْ يُقبـــلُ الشَهيـــدُ علينـــا

بين طَلْقِ الـــرصـــاصِ والأزجـــالِ !

هلهلي .. هلهلي فـــإنَّ المَنـــايـــا

مقبـــلاتٌ يـــا أمَ زاهي العِقـــالِ !

هلهلي، إنَّـــهُ كبيــرٌ كمــا رَئيت

سَبْـــغُ في زحمــةِ الآجــالِ

هلهلي، إنَّـــهُ عـــراقُ الـزكيّـات

حَمـولاتِ أكــرمِ الاحمـــالِ!

يا عـزيزَ العراق، لــو يملكُ الشِّعـرُ

انفـلاتـاً من الحـروفِ الثِّقـالِ

لَتَبيَّنتَ حـولـكَ الآنَ غـابـاً

من قلـوبٍ يخفقْنَ مثـلَ الـدَّوالي

لتبيَّنتَ حـولـكَ الآنَ كـالطـوفـانِ

جيشـاً يَمـوجُ بـالأبطـالِ

كـلُّ جِـزسٍ يكـادُ يصبـحُ سيفـاً

ودمــاءٌ تَهمُّ بـالانهمـالِ

كـلُّ جِـزسٍ يكـاد يخفقُ طيـراً

ويـلَ هـذي الحـروف من أغـلالِ!

يـا مَهيبَ الفعـالِ والـرأي والأمجـادِ

والقـــولِ والنُّهى والخصــالِ

يـا كبيـراً على صـروفِ الليـالي

وحسيـراً على اشتبـاكِ النِّصـالِ

يـا فتى كـلُّ هَيْعَـةٍ، مـا تَحَـدَّثْهُ

المَنـايـا إلّا دعـاهـا : نَـزالِ !

يـابنَ هذا النَّخيل، يـا صِنْـوَهُ في الـ

زَّهـو .. يـا عِـذْلَ أرضِـهِ في الكمـالِ !

يـا أعَـزَّ الـورى، ووالله قـدِ اتعبتَنـا

فيـك .. ! .. أم تُـرانـا نغـالي ؟!

أفـأحبَبْتُ فيـكَ نفسي ؟ .. لعلّي !

ولعـلَّ العـراق محضُ انفعـالِ !

لا وعينيـك ! .. أنت أدرى بـأنّـا

أهـلُ زهـوٍ لكنْ طـوالُ الحبـالِ !

لا وعينيـك .. أنتَ أدرى بـأنّـا

نصطفيـكَ الهـوى لأنَّـكَ غـالي !

ولأنَّ الهُيـامَ قَـدْرَ المَعـالي
ولأنّا نـراكَ مثـلَ الهـلالِ
ولأنَّ الضـوءَ الـذي فيـكَ يسـري
مـلءَ بيتي ، وفي عيـونِ عيـالي
فـإذا قلتُ أفتَـديـك فـإنّي
أفتَـدي صِبيَتي وعِـرضي ومـالي
وإذا قلتُ أفتـديـك فـإنّي
أفتـدي فيـك كـلَّ نُبـلِ الـرِّجالِ !

وقفـةً يا عـراق .. لي فيـك صَـوتٌ
يشهـدُ اللّـهُ أنّـهُ لا يُمـالي
أنـا عُمـري مـا قلتُ والنّـارُ تلظى
حـول أهلي : مـا للـرّزايـا ومـالي !
جمَـرةٌ أصطليـك .. مـوتـاً أُعـانيك
جـراحـاً تفـوقُ حَـدَّ احتمـالي
أفـأرضـاكَ يـا عـراقُ وِقـاءً
عن يميني ، ومـرتعـاً عن شمـالي

فـــإذا ســـالَ نحـــوكَ السَّيـــلُ حَنَّبتُ

صغيـــــــــراً ألمٌّ من أذيــــــــالي ؟!

لا وعينيـــكَ يـــا عـــراقَ السَّـــرايـــا

والضَّحـــايـــا ، ويـــا عـــراقَ المعـــالي

لن أمـــــالي فيـــكَ الحتـــوفَ لأنّي

رغمَ كِبْـــري أخـــافُ من أطفـــالي !

وأخـــاف التـاريـخ .. أفـزعُ لـو مـالأتْ

من عينِ طفلـــــــةٍ في خيـــــالي !

يعلمُ اللّـــــــــهُ أنّني أتَشهّى

منـــكَ مـــا لا يـــدورُ يـــومـــاً ببـــالِ !

يعلمُ اللّـــهُ أنني يـــا عـــراقَ الـ

زُهـــوِ أزهـــو عليـــكَ حَـــدَّ الـــدَّلالِ !

غيـــرَ أني واللّـــهِ أعطي حيـــاتي

دونَ جـــذعٍ لنخلـــةٍ فيـــك بـــالي !

هكـــذا نحن يـــا عـــراقُ احتَمِلْنـــا

هكـــذا كـــان فيـــك عمّي وخـــالي

وأبي .. نحن يـــا عـــراقُ عـــراقيّـــون

في مـــا نحبُّ حَـــدَّ النَّكـــالِ !

وسيبقى يُميتني ألفَ جيـــــلٍ

قـــولُهم إنَّ قشَّـــةً في عقـــالي !!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ

٨ / ٤ / ١٩٨١ بعنوان « الملحمة »

رؤيا نبوخذنصّر

إن لم يقم من بين ذُرّيتي
إن لم يقم من بين أولادي
مَنْ يستطيعُ حملَ هذا التاج والصَّولجانْ
مَنْ يستطيع أن يقولَ للنجوم والأقمارْ
للغيومِ والأمطارْ
للعاصفِ أيّاً كانْ

قف ذلك المكانْ

إن لم يجيء من بين أحفادي
من يملكَ الصوتَ الذي تبيضُّ منه العيونْ
فهؤلاء سوف يحكمونْ

للصدقِ أو للرّيبْ
مختومةً أتركها ألواحُ هذا الغيبْ

ـ يا أيُّهذا النَّذيرْ
يا أيُّها الصوتُ الذي يرجفُ منه الضَّميرْ
مَن أنت ؟
مِن أينَ تجيء ؟
ـ أيُّها المُدَّثِّرْ
هذا أوانُ السَّيل
قُمْ فانذِرْ
وهذهِ ثيابُكَ
الأرضُ التي أنت عليها .. دُنِّسَتْ
فَطهِّرْ

نيفٌ وألفا عامْ
تسألني من أين آتي ..
مَن أنا ..
والظـــلامْ
بيني وبين مقلتيــكَ معبَــرْ
بيني وبين قدميـــكَ معبَــرْ

لكنَّك اتخذتَهُ دريئةً للنَّوم والأحلامْ

نيفٌ وألفا عامْ
أرقبُكــم
متى يقوم بينكم من يحملُ الرايةَ عني ساعةً
كــي أنــامْ

ــ أوَ لم نفعلْ ؟
يا هذا الصَّوت اللاندري
في بَهْوِكَ : نَسألُ أم نُسألْ
أو ما كنا سيفاً يُشهَرْ
ووجوداً حياً لا يُقهَرْ
أو ما كنَّا بذراً للأرض بكلِّ مَواسمها يُبذَرْ
أوَ لم نفعل ؟

أوَ لم يُمطرْ فينا الغَيمْ
أوَ لم يُزهرْ فينا الضَّيمْ
شمساً ونجوماً لا تأفلْ

أوَلم نحملْ ما لا يُحمَلْ
أوَلم نفعلْ؟

أوَلم نوقِدْ يا هذا الصَّوتْ
قنديلًا في دَيجورِ الموتْ
أوَلم نَقرأْ
أوما عَصَفتْ كلُّ الدُّنيا ريحاً
وسنانا لم يُطفأ
أوَلم نفعل؟

ــ ألفاً حملتوه
ثمَّ تعثَّرتم بهِ
ثمَّ هجرتموه
ثمَّ تنابزتم فاطفأتموه

وانشقَّت السماءُ
أضاءهُ الذي يضيء دون أن يُضاءُ
وكان مثلَ غيمةٍ في صيف

حَمَلتموه رايةً
حملتموهُ سيف
تم تَبرَّمتُم بهِ
كأنَّهُ لم يَكُ منكم
كان فيكم ضيفْ
ثمَّ انكفاتم ألفَ عامٍ مرَّةً اخرى
ضقتم بهِ حتى رجمتموه

ــ أمقاضاةً ؟
ــ لا ..
لكني أبحثُ عن سيفي المقهوز
أبحث عن جَسَدي المطموز
أبحث عمَّن يحملُ عني غَضَبي في هذا الدَّيجوز

ــ أيُّها الصوت ..
لا تبتعدْ
باسمِ كلِّ بنيكَ اتَّئِدْ

ما تزال ثلاثةَ آلافِ عامٍ تحذِّرُنا
وتُبشِّرنا
ثمَّ تنذرُنا أنَّهم يحكمونْ
مَن تكونْ ؟
أنت من أهلنا
ليس في ذاكَ رَيبْ
كوكبٌ هائلٌ من كواكبنا
ليس رجماً بغيبْ
أيُّهم أنت يا سيدي .. ؟

أولائكَ الذين تنتظرْ
مَــن ؟
أعداؤك الذين منهم غضباً تستعرْ
مَــن ؟؟
يا سيّد الهيبةِ والمروءه
مِن أيِّ فجٍّ ..
باسم مَنْ

وجِذْرَ مَن —— — ——
تحمل فينا هذه النبوءه ؟

ــ يا أيُّهذا القلقُ الكبيرْ
يا قلقَ المصيرْ
ها نحن في الممتَحَن العسيرْ

يا أيُّها القلقْ
يا كلَّ قطرة من العَرَقْ
نَزفتُها مقوَّسَ الظهر، يصبُّ الدَّمُ من كتفَيَّ
مِمّا تأكلُ الحجاره
وكنتُ أرقى نحوَ أبراجكِ بالبشاره
يا بابلَ البشاره
وكنتُ أستنطقُ في معبدكِ المقدَّسْ
كلَّ حجارةٍ عليها من دمي وعرَقي،
كلَّ يقيني الأخرسْ
أحملُهُ بكلِّ قدرتي على البنيانْ
أحمله بكلِّ إيمانيَ بالانسانْ

وكلَّما يرتفع البناءْ
أزهو لأنَّ رؤيتي تمتدُّ في الأرجاءْ
أزهو لأنني أرى جيلًا جديداً قادماً نحوي
من الأبناءْ

الآن فلنختصِرْ
يا أيُّهذا القلقُ المنتصِرْ *
آليتُ أن أطلقَ من صدريَ هذا الجَناحْ

أيتُها الرياحْ
لتُسرجي خيلَكِ في كلِّ المَهبّاتْ
فإنّي سأُعرّي هذه الألواحْ

لتنتصِبْ كلُّ الدُّنى آذانْ
وليبلُغَنَّ الصوتُ أنأى ما نأى إنسانْ

يا قلقُ العالمِ لا تهدأْ
إنَّ نبوخذ نصَّرٍ يقرأْ

إلى الذين يولَدونْ
إلى الذين وُعِدوا ،
أو سوف يوعَدونْ
إلى بَنيَّ وبنيهِم آخرَ الزَّمانْ
الى الذين يحملون من يدي حمائلَ الميزان
أتركُ هذي النُّذُرَ المرقومه
نبوءةً موسومه
أصابعي العشرُ على ألواحِها مختومه

أيَّتُها الرّجومْ
أيتها النجوم
أيتُها الكواكبُ القُصَّرْ
إني نبوخذ نصَّرْ
الحاكمُ الحكيمْ
إبنُ شامشَ العظيم
ربُّ السيفِ والسلطانْ
رأيتُ رؤيا ...

أيُّهذا الغيبْ
إنَّ نبوخذ نصَّرَ المدَجَّجَ الفاتِكْ
يضطربُ الساعةَ كـي يعرف حرفاً من قراراتِك

رأيت أرضاً بُورْ
تبزَّلَتْ ..
قامَ على سِباخِها ناعوزْ
دار عليها دورةً ، أغرقَها بالماءْ
فازدهرَ الحصادْ
دار عليها دورةً أخرى فجاشَتْ نَمْ
دار عليها دورةً ثالثه
فامتلأت جراد

فَسَّرَها اليهودُ أنَّهم سيحكمونْ
فسَّرها كُهّانَ كورَشْ أنهم سيحكمونْ
فسَّرَها فرعونُ أنَّ هذه البلادْ
يحكمُها أولادُهُ

من بعد ما يأكلُها الجرادْ

هل صَدَقوا ؟؟

هل صَدقتْ نجومُكَ الكُذَّبُ يا فرعونْ ؟

لِتنطفيءْ إذن إذا صدَقْتَ كلُّ نجمةٍ في الكون !

كنتَ لهم رغمَ التحامِ أسرَتَينا عونْ

فخنتَني ..

هل صدقوا .. ؟

تكذبُ يا دانيالْ

لو كان منّي نَفَسٌ في هذه الرّمالْ

فلن يقوم لليهودِ فوقها عرزالْ

أمّا أحفائكَ يا كورَشْ

فلهم يومْ

ولأولادي فيهم يوم

وَسَنبلو سَيفَينا كورَشْ

إذ ننهضُ من هذا النومْ

تُحفَظ سرّاً هذه الالواحُ
بعيدةً حتى عن الجِنَّةِ والأرواحْ

يجيءُ من نزيتي مَن صوتُهُ كصوتي
هو الذي يُعلنُ تفسيريَ بعدَ موتي

وَيْ أيُّها الحِجابْ
كيف تَعرَّتْ كلُّ أسرارِكَ في لحظةٍ
حتى بدا السؤالُ نفسَ الجوابْ

وَيْ أيُّها الحجابْ
كانما كنا معاً نقرأ نفسَ الكتابْ

يختلف الماءْ
تختلف الأوجهُ والاسماء
لكنْ مثلَ دِلاء الناعوز
تتشابهُ وهي تدوز
تتشابكُ وهي تدور

أرميـــا ....

ما بين الامسِ وبين اليومْ
أسمعُ صوتَكَ حتى في النوم
وأنت في دروبِ أورشليم
تحثو على هامتكَ الترابَ
فَرَطَ حقدِكَ العظيمْ
كالذئب تعوي وَسَطَ الدروبِ والمنازِلْ
وَيْ بابــــلْ
وَيْ بابــــلْ
متى تحومُ حولَها الرّزايا
متى أرى نساءها سَبايا
منتثراتِ الشعورْ
عاريةً للخصور
تنهشُ من أثدائِهنّ البومُ والخَطايا

وي بابــــلْ
وي بابــــل

متى تَحولُ هذه المنازلْ
خرائباً مهجوره
متى أرى أبراجَكِ المغروره
تخرُّ من عليائها ذليلةً منهاره
حجارةً حجاره
ساجدةً لليهود
كما تَنبّأتْ لكِ التوراة والتلمودْ
وي بابـــل
وي بابـــل
وي بابـــل

أرميـــا
ألم يكن صوتُكَ هذا .. ؟
ــ .. لم أقل ،
ولا تنبّأتُ
ولم أفسِّرْ
ــ كورَش ..
ــ ولا أنا فسَّرتُ

ــ فرعون ..

ــ   ولا أنا

جميعُنا لم نَقُلْ

ــ تكذبون

بل قلتم وستستمعون

الرؤيا كانت لأبينا

والتفسيرُ لنا سيكون

من بعد نيّفٍ وألفَي عامْ

نكسرُ نحن الوارثينَ هذه الأختامْ

ونعلنُ الرؤيا

فلتستمعْ أنت وأصحابُكَ يا أرميا

الأرضُ كانت يَبابْ

دارتْ عليها الحياة

دورتَها الأولى ،

فكنّا بين كلِّ البشَرْ

أوّلَ قطرةٍ من المطرْ
أنزلَها السّحابْ
أوّلَ عود سنبلٍ أطلعَهُ الترابْ
أوّلَ ضوءٍ شعَّ في غَياهبِ الخرابْ

ودارَ ناعورُ الحياةِ دورةً ثانيه
أسلمَها للعدمْ
إذ جاء أحفادُكَ يا كورَشُ ناراً ودَمْ

ثمّ غزاها الجرادْ
وباسمِ أرض المعاد
تطايرَتْ أسرابُ أحفادِكَ يا أرميا
فأفسدوا كلَّ زرعْ
وأهلكوا كلَّ ضرع
ولم يُبَقّوا غير ظلِّ الموتِ في كلِّ واد

أرميـــا

هل قالت الرؤيا بأنَّ دورة الحياة
توقَّفتْ .. ؟
هل اختفى ناعورها فلم يَعُدْ في الكونْ
ظلٌّ لهُ .. ؟
هل حطمتْ مدارَهُ يداكَ يا فرعونْ ؟؟

انظري الآن أيتُها الأعينُ الجازعه
إنَّها الدورةُ الرابعه
إنه صوتهُ ..
سيفهُ ..
شمسُهُ ..
هذه الغُرَّةُ الطالعه

من بابلٍ أو بغدادْ
نفسُ نبوخذ نصَّرْ
هذا الذي يصعد مثل الكوكب الوقَّادْ

كورَش

لن تُسأل الساعةَ ..
كلُّ السؤالْ
جوابُهُ عند بنيكَ الآنِ
في جبهات القتالْ

أرميـــا

إنتظر الناعورَ حتى يبلغَ السماءْ
وعندما يفيضُ كلُّ الماءْ
تعلمْ يا أرميا
إن كان هذا السَّيلُ في بغدادْ
يعجز أن يطهّرَ الأرضَ من الجَراد

أمّا فرعونْ
فكالعنكبوثْ
وحيــداً سَــيَحيا
وحيــداً يمــوثْ

يا سيّدي ..

يا حاملَ الحجاره

يا بانيَ الحضاره

يا سيّدَ العزّةِ والكبرياءْ

إنَّ زمانَ صاحبِ الصوتِ جاء

فأخرجَ الرؤيا من الغيوبْ

ودقَّها حرفاً فحرفاً فوق كلِّ القلوبْ

أما الذي لم نَرَهُ من سِرِّكَ العظيم

فإننا نبصرُهُ الساعةَ يا سيّدي

في مقلتَي وريثِكَ العظيم

يُرفعُ هذا الكتابْ

وعندما نُسألُ في غدٍ

نقولُ إنّا قد زَرَعنا في بطونِ الأرضِ

كلَّ الجوابْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨١

رجز في المعركة

تَفَجَّـرِي في كـلِّ شبـرٍ يـا نَـار
من الخَفَـاجِيَّـةِ حتى سـومـاز
نَبقَى هُنـا مِـلءَ مَهَبِّ الإعْصَـار
مـا بَقِيَتْ هـذي الـذُّرَى والأغْـوَاز
والقَصَبُ النَّـابِتُ مِـلءَ الأهـواز
فَنَحْنُ والمـوتُ هنـا في مِضْمَـار

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨١

رجز في المعركة

نحن العـــــراق والعـــــراقُ ذو شَمَمْ

ينشـــــرُ في قلب المُلمّــــاتِ العَلَمْ

لن يجـــدَ السَّيـــلُ بنـــا إذا ألَمّ

إلّا أســـوداً خـــــادراتٍ وأجَمْ

فيـــا مـــروءاتُ اثبتي.. ويـــا قَـــدَمْ

تَسَمَّـــري في الأرض حَـــدَّ المُحتَـــزَمْ

شـــدّي تخـــومَ الأرضِ شَـــدّاً يـــا رِمَمْ

كيـــلا يَميدَ الصَّخـــرُ من هَـولِ العَـــدَمْ

هـــذا أوانُ السَّيـــل، يـــا كـــلَّ الهِمَمْ

لِتَـــدلهمّي فـــالـــرَّدى قـــد ادلَهَمّ

نـــاراً بنـــارٍ ودمـــاً حـــرّاً بِـــدَمْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٩٨١

رجز في المعركة

أيَّ مَجالٍ شئتمو فَجولوا
واستَعجلوا انَّ الرَّدى عَجولُ
تبقى تكرُّ بيننا الفصولُ
وكلها غائلة تغولُ
واللّهِ إنّا معشرٌ فُحولُ
نفعلُ في الحربِ ولا نقولُ
ولا نُبالي والرَّدى يصولُ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٦ / ١٢ / ١٩٨١

سيدي أيها الجنديّ العراقي

الى شهدائنا في القادسيات جميعا

ــ هل أعطينا ؟

ــ أعطيتم ، وترابي يشهدْ

ــ هل وفَّينا ؟

ــ وفيتم بدمٍ لا يبردْ

وفَّيتم للماضينْ

وفَّيتم للآتينْ

ودفعتم عن كلّ حليبٍ في أثداء امرأةٍ حرَّه

أن يُستَعبَدْ

ــ أبي وفَّى

حملتُ إليه خوذتهُ

شددتُ نطاقهُ بيدي

فقبَّلني وغادرَ

لم يقل حرفا
ولكنّي سمعتُ إليه وهو يجوز باب البيث
يقول لأمّيَ اللهفى:
كرامةُ .. أبلغي ولدي
بأنَّ نطاقيَ العَقَدتْهُ كفّاهُ
سيبقى رهنَ عَقدتِهِ
فلا يرخيهِ لا والله غيرُ يديه عن جسدي

ويوم تدافعوا في البيت
سمعتُ هلاهلَ أمّي
أيقظتْني
جئتُ أركضُ
صوَّتَتْ ... محمودْ
أمسكَ بي رفاقُ أبي
فصاحت : لا
دعوةُ فاتُهُ موعودْ

دعوهُ يفكُّ مزهوّاً نطاق أبيهِ عن جَسدِهْ
وصيَّتهُ إلى وَلَدِهْ ..
وحين دنوتُ مرتجفَ الجوانحِ ، دامعَ العينينْ
خجلتُ لصوت أمّي وهي تصرخ بي :
أخوفاً من أبيك ؟ -
إذن أعِنْهُ يابن هذا الليثْ
وَفِّ أباك يا محمودْ
وحلَّ نطاقَهُ المشدودْ
فقد وفّى

وها هو ذا نطاقُ أبي
وخوذتُهُ بصدرِ البيتْ

ـــ ستكبر ثم تلبسهنَّ
قلتُ لها بكلِّ جوارحي :
يا ليـــتْ

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢١ / ١٢ / ١٩٨١

سيدي أيها الجنديّ العراقيّ

ولدي وفّى ..

يومَ أتى للدّار
علّقْتُ إبريقاً على الجدار
يومَ حَبا ،
زرعتُ رايةً بسطح البيت
وعندما صَبا
أيقظتُ أناى جاز
لفرط ما أسأل عن بناتهم ..
وقيلَ يا أمَّ حميدٍ لم يزل حميدْ
طفلًا ، ولا يعلم ما يريد
لو انتظرتِ ريثما يعتدل العِقالْ
يبلغُ فوق عارضيهِ مبلغ الرجالْ !
يا ولدي الوحيدْ

أرنو إلى البناتْ

يزرنني ..

تعلمُ يا حميدْ ؟

كم بينهنَّ مَن عيونُها تكاد لولا الكِبْرُ والحياءْ

ومنعةُ النساءْ

أن تختلي بي لتقول عنكَ أيَّ شيءْ

يخصُّها .. ؟

أفهمُ هذا الآن يا حميدْ

أفهمُ أنَّ ابني الذي كان صغيراً أمسْ

أصبح زهواً في عيون الناسْ

ورَفعةً للراسْ

يا رجلًا كما تمنَّيتُ

كما كلُّ عروسٍ تشتهي ،

وكلُّ أمٍّ حرَّةٍ تريد

يا حميد

حزينةٌ أنا

حزينةٌ منتظره
لم أعلن الحدادْ
لم ألبس السوادْ
لأنني منكسره
لكنني لبستُهُ ..
تعلمُ يا حميد
ماذا الذي يعنيه
لامرأةٍ في هذه الأيام
أن يعلموا بأنَّها أمُّ فتىً شهيدْ ؟!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨١

روّعتم الموت

يمضي الزمان ، وتبقى هذه العِبَرُ
يبقى التحدّي ، ويبقى الله والبشرُ
والحبُّ ، والبغضُ ، والأوجاعُ بينهما
والضوءُ ، والظلُّ ، والأنواء ، والمطرُ
والأرض ، ما أخرجوا منها ، وما بذروا
والخالدان عليها الشمسُ والقمرُ
يمضي الزمان ، وتبقى بعد موكبهِ :
هنا أقاموا ، هنا سادوا ، هنا عثروا !

يمضي الزمان ، وتبقى بعده الذِّكَرُ
ما هدَّموا ، ما بنَوا ، ما قالت السِّيَرُ
ومجدُنا أنَّنا نمضي ومن دمنا
يبقى على كلِّ شبرٍ في الثرى أثَرُ

وأننـــا عمـرَ هــذي الأرض نتــركُ في
أديمهـــا ميسمـــاً لا تَملــكُ الغِيَــرُ
ولا العـــوادي لـــه محـــواً ، وأنَّ لنـــا
مجـــداً تشيبُ الليالي وهـــو يــزدهــرُ !

يـــا واهبين مَســـارَ الأرضِ قِبلتَـــهُ
كـــأنَّهم في ديـــاجي ليلهـــا غُـــرَرُ
يـــا مالئين يــدَ الـدنيـا فمـا قَبضَتْ
إلا عليهم إذا مـــا نـــابَهـا قَـــدَرُ !
كـــأنَّمـــا هم عنـانُ الـــدهـــر يشكمُـــهُ
متى يشـــاء ، ويــــرخيــــهِ فينتشـــرُ !
كـــأنَّمـــا النَّـوءُ منهم ، والـــريـــاحُ لهم
تجـــري ، وبـــاسمهمِ الأمطـــارُ تنهمـــرُ !
كـأنَّمـا الضـوءُ كـلُّ الضـــوء في يـدهم
والليـــل ، مـــا أذِنــوا للَّيــل ، يعتكــرُ !
مـــا أعسَرَتْ يـومـاً الـدنيـا وهِيضَ بهـا
إلَّا رأيتَهمـــو في عســـرهـــا يَسِـــروا !

أولاء مَن وهبــوا الــدنيــا حضــارتَهــا
ومن بــأوّلِ حـــرفٍ فـــوقهــا سَطَــروا
أولاء أهلي ، ومِن أبيـــــــاتهم شهقَتْ
كــلُّ النبـوّات ، فــانظــرْ كيف نفتخــرُ !

وهـــــؤلاء الـــذين استنفـــروا دمَهم
كـــأنّمـــا هم إلى أعـــراسِهم نفَــروا
السّـــابقـون هبـوبَ النــار مــا عصفَتْ
والـــراكضـــون إليهـــا حيثُ تنفجـرُ
الـــواقفـــون عمـــاليقـــاً تحيطُ بهم
خيـــلُ المنـــايـــا ، ولا وِردٌ ، ولا صَــدَرُ
إلّا مخـــاضُ الــرّدى ، ألقَــوا مكــارمَهم
معـــابـــراً للمنـــايـــا فـوقهـــا عَبَــروا !
أولاء أهلي ، وإخـــــواني ، ومن ورثـــوا
أن يـــركبــوا نحـــو آلافٍ وهم نَفَـــرُ !

يــا واهبين معــاييــر الــرجــالِ دمــاً

تحيا به بعدَ ما ألوى بها الصَّغَرُ

ألفــاً تَعــرَّتْ فلم تُستَــرْ مــروءتُهــا

وهــا بكم كــلُّ ذاك العُــري يــأتــزرُ

يا خيرَ مــا أنبتتْ أرضٌ ، وما وهبَتْ

أمٌّ ، ومــا نُــزِّلَتْ في وصفــهِ السُّــوَرُ

لمّــا يــزلْ زحفكم تــزهــو بيــارقُــهُ

مــا قــادَهُ حيــدرٌ أو قــادَهُ عُمَــرُ

مقــاتــلًا في سبيــل الله منتصــراً

ولم يــزل في سبيــل الله ينتصــرُ

سَــل الخفاجيّــةَ الجُنَّ الجنــونُ بهــا

كيف انبــرَيتُم لهــا والمــوت ينتظــرُ

وقــلْ لگيلان كيف المــوتُ صالَ بهــا

حتى كــأنَّ الــذي يغشــاهُ ينتحــرُ

وكيف أقحمَ كســرى في مجــامــرِهــا

حتى الصِّغــار ، ولم يُــذعَــرْ بما ذُعِــروا

مَن لم يـزلْ أثَـرُ الأثـداءِ في فمـهِ
يبكي الحليبُ عليهـا وهـو يختمـرُ
مـا هَـزَّةٌ وحـروفُ اللّـهِ في فمـهِ
أنَّ الصغـارَ لغيرِ المـوت قد ذُخِـروا
مـا هـزَّةٌ أنَّهم لحمُ أضـالعُهم
وأنَّهم لجحيمٍ غيـرِهـا نُـذِروا
ألقى بهم وقلـوبُ المـوت واجفـةٌ
والـرّاجمـاتُ كَلَمـعِ البـرقِ تشتجـرُ
سيـلٌ من النـارِ في سيـلٍ يسابقـهُ
من الحـديـد، تعـرّى بينَـهُ البَشَـرُ
حتى وقَفتُم لـهُ، كـانت صـدوركمـو
سِتْـرَ الحديـد عليها المـوتُ ينكسـرُ
صَفًـا جبـالٍ، فـأنتم، ثمَّ خلفكمـو
تلـك الشَّـواهقُ لـولا أنَّهـا حَجـرُ
قـاتلتمـو وعيـونُ اللّـهِ شـاخصـةٌ
إليكمـو، وقلـوبُ النـاسِ تنفطـرُ

ويشهد الله لا خوفاً ولا جزعاً
فنحن منكم بمجد اللّهِ نعتمرُ
لكنَّ مرأى عراقِ الكِبْرِ أجمعِهِ
يشابكُ النار يُدمي صبرَ مَن صبَروا
قاتلتمو مثلما قاتلتمو أبداً
كأنَّ أجدادكم في يومكم حضروا
وكان صدام يسعى بينكم أسداً
عن عارضَيهِ مَهبُّ النار ينحسرُ
كِبْرُ العراقِ جميعاً كان بينكمو
تكاد عن برقهِ النِّيرانُ تنشطرُ
كأنَّ كلَّ العراق اختار موضعَهُ
حيثُ استقمتُم ، وحيثُ استفحلَ الخطرُ
ولوَّحَتْ زُمرٌ بالوَيلِ وانقلبتْ
عقارباً ، وانزوَتْ مذعورةً زُمَرُ
وقيلَ سوف ، ومن يدري ، ورُبَّتَما
وقد يكون .. وزاغَ السَّمعُ والبَصَرُ

وأنتمـــو ، وَمَهيــلُ النـــارِ حــولكمــو
تكــاد منـــه الجبـــالُ الصُمُّ تنصهــرُ
مــا زُعــزِعَتْ قــدمٌ منكم ، ولا رجفَتْ
على بنـــادقهـــا كفٌّ ولا ظُفُــــرُ
رَوَّعتم المـــوتَ حتى لم يــدَعْ دمُكم
منـــافـــذاً يَلِـــجُ الـــدخَـــانُ والشَّـــرَرُ
منهـا ، وضـاقتْ رئـاتُ المـوت ، واختنقتْ
لفــرطِ مـا كــان عُنُقُ المـوت يُعتَصَـرُ
قَلَبتُم الأرض عـــاليهـــا أســافِلَهـــا
وقلتمـــو لمـــواليــد الغــدِ انتظِـــروا
إنّـــا نمهِّـــدُ هـــذي الأرض ، رُبَّتَمـــا
يغفـــو هنـــا واحـــدٌ منكم ويَـــدَّثـــرُ !
يـــا رايـــةً في مَهَبِّ المجـد عـــاليـــةً
قـــولي لهم : هكـــذا الأبطـــال تنتصـــرُ !

وأنت يـــا عنفـوانَ المجــد ، يـا رجــلًا
في كــلِّ يــومٍ إلى هَــولٍ لـــه سَفَــرُ

لا ضـــاق صـدراً ، ولا غضَّتْ عـــزائمـهُ
جفنـــاً ، ولا نـال من إقــدامـهِ السَّهَـرُ
يضيفُ صبـــراً لصبـــر النـــاسِ كلِّهِم
ولستُ أدري بـــأيِّ الصَّبـــرِ يـــأتـــزرُ!
يـــا واحــداً مـــا رأينـــا واحــداً أبــداً
همـــومُ خمسين جيـــلًا فيـــه تُختَصَـــرُ!
مـــا بين رؤيتـــهِ كـــالصَّقـــر منتفضـــاً
في ســـاحـة المـــوت والنيـــرانُ تستعـــرُ
وبين رؤيتـــــهِ عينـــــاهُ من دَعَـــــةٍ
نهـــرٌ على أوجـــه الأطفـــالِ ينتثـــرُ
مـــا بين رؤيتـــهِ في الحـــالتين معـــاً
إلا مســـافـــةُ مـــا يستـــوعبُ البصَـــرُ!

يـــا أيُّهـا الـــلاأسمّي .. كـــلُّ مكــرمـــةٍ
بـاسمٍ ، فمـاذا يُسمَّى جمعُهـــا الفَضِـرُ؟
إلّا إذا قلتُ : يـــا صـــدام .. عنـــدئـــذٍ
أكـــون سمَّيتُهـــا جمعـــاً ، وأعتـــذرُ!!

تبقى مـــروءتُنـــا صـــدام راضيـــةً
أنّـــا يُســـاءُ إلينـــا ثمّ نغتفـــرُ
حتى تضيقَ بنـــا الـــدنيا فنفجـأها
أنّـــا على الهـــول لا نُبقي ولا نـــذرُ!
في كـــلِّ ألفٍ نُـذِرْنـــا أن نقـاتـــلَ عن
حضـــارة الأرض لا يغتـــالهـــا التّتـــرُ
كـــأنّمـــا حمّلتْنـــا الأرضُ ديْتَهـــا
أنّـــا نصـــونُ الـــذي آبـــاؤنـــا ابتكـــروا

يمضي الـــزمـــان، وتبقى هـــذه العِبَـــرُ
تبقى المعـــالمُ، والأخبـــار، والصـــوَرُ
تبقى شـــواهـــدُ مَن خطّتْ دمـــاؤهمـــو
مجـــدَ العـــراق عليهـــا المـــوتُ يعتـــذرُ!
بَينـــا تظـــلُّ وجـــوهُ فـــوق سحنتِهـــا
حتى الـــوقاحـــةُ فرطَ الـــذلّ تُحتَضَـــرُ!

ونلتقي بعـــدَ عمــرٍ طــال أو قَصــرَتْ
أيــامُــهُ ، وتســاوي بيننــا الحُفَــرُ
لكنْ تظـــلُّ على أولادنـــا أبـــداً
علامةُ ابنِ الذي .. فالصَّمت .. فالخَبَرُ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٨١

الـــى ولــدي ماجــد

وهبْني منعتُكَ ..

هبْكَ امتثلتَ لأمري

فماذا سأبقي لديكْ ؟

غير أن تنزوي عن رفاقك في المدرسه

مغضياً مقلتيكْ

أنت المكابرُ ،

أنت الذي كلُّ حُبّيكَ

أنَّ المذلَّةَ لم تَعدُ يوماً عليكْ

من ثلاثين عام

كنتُ مثلك ..

يا ما نهتني من الخوف أمّي

يا ما بكتْ

ثمّ غافلتُها

وانسللتُ من البيت

حيث رفاقي

وحيث الرصاص السعيديّ

لكنني رغم كلِّ مدامعها

رغم ذاك القلقْ

كنتُ أبصر في مقلتيها بريقاً من الزُّهو

وهي تقول لجاراتها :

ولدي قال

أفهمُ هذا بُنيَّ

فقد عشتُهُ

ما الذي تتوقع منّيَ أن أنصحَكْ؟

حين تدمع عيناك بين الرفاقْ

حين يملأ أذنيك صوتُ العراقْ

تطوَّعْ

واحدٌ أنت من هؤلاء

كلُّ شيءٍ يهون

سوى هذه الكبرياء

هل أخبروكم متى ..؟

ــ لم يقولوا لنا أيَّ شيء

ولكنَّهم سألوا أن نراجع آباءنا

ــ فامتحانٌ إذن ..

أنت تعلم أني أبٌ جاوز الآن خمسين عاماً

أنني عشتُ عمراً كثيراً فواجعُهُ

أنت تعلم ..

ــ أعلــم

ــ تعلمُ أنك من بين إخوتك الآخرين

لصيقٌ بكل الدموع

بكل الشموع

بكل النذور التي نذر الحب والخوف

والقلق المرُّ في بيتنا

أنت تعلم ..

ـ أعلـم

ـ وأنك أرحمهم

وأبَرُّهمو بأبيك وأمكْ

وأكثرهم نخوةً

ما الذي تتوقّع أن أنصحكْ ؟

أتراني إذا قلتُ : لا ،

ستطاوعني ؟

لست أدري

ومن لي بـ « لا » هذهِ ؟

أيَّ ضلعٍ سأكسره من ضلوعي ؟

أيَّ زهوٍ سأكسره فيك لو قلتُ : لا ؟

أفأحسِن أن أكتب الشعر

أستنجد الناس طرّاً

أنادي بأسمائهم واحداً واحداً

وأسقط من بينهم إسم إبني ؟

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٣ / ١ / ١٩٨٢

أناشيد عراقية

كنتَ جرحَيْ طفولتي وشبابي

كنتَ حزني، وعبرتي، واكتئابي

كنتَ لي يا عراقُ مُذْ شعشعَ الضوءُ

بعيني، وفزَّ في أهدابي

لثغةً، ثمَّ دمعةً، ثمَّ حباً

ظالماً في دفاتري وكتابي

كنتُ أتلوكَ كلَّ يومٍ نشيداً

يعتلي بي على متون السحابِ

كلُّ «عش هكذا» ترفرفُ بي طيراً

على النخل، والذُّرى، والزوابي

وكبرنا، فصار حبُّكَ جرحاً

ودماً ظلَّ عالقاً في ثيابي!

زمنٌ يــا عــراق، كـــان لنـــا منـــهُ
صغـــاراً مــرارةُ الارتيـــابِ
ألَنـا هـذه الــذُّرى؟.. هـذه الشطـآن؟
هـــذي السمـــاءُ ذاتُ القِبـــابِ؟
هـــذه الأرض .. ملكُنـــا نحنُ؟.. هـــذا
النَّخـــلُ يــ الله لــو سـألتُ صِحـابي!
غيـــرَ أنّي غنَّيت .. كنّـــا نغنّي
كـــان زهـــوُ العـــراق مــلءَ الإهـــابِ
مـــوطني .. مـــوطني .. وكـــان ســؤالٌ
في الحنـــايـــا يلـــوبُ دونَـــه جـــوابِ
ونغنّي حـــدَّ الـــدمـــوع ازدهـــاءاً
ثمَّ نـــأوي إلى بيـــوتٍ خـــرابِ!

وكبـــرنـــا عـــراق .. لاحتْ مـــع الأيـــام
في أفقنـــا رؤوسُ الحــــرابِ
وعـــرفنـــا بـــأنَّ كـــلَّ «بـــلادي»
ردَّدتهـــا الأفـــواه محضُ اغتـــرابِ

«لحصـــاهـــا فضـــلٌ» ولكنْ على من
يـــا ترابــاً مـاكــان يــومــاً تــرابي!
واستحـــال النشيـــدُ دمعـــاً، فصمتـــاً
ثمّ كفّـــاً تـــدقُّ في كـــلِّ بـــابِ!

هكـــذا كـــان يـــا عـــراقُ سُـــرانـــا
الـــدَّيـــاجيـــر، والنجـــومُ الكَـــوابي
وعـويلُ الـريـاح .. والضحكـةُ الـزُّرقـــاءُ
نصـــلٌ يـــدبُّ في الأعقـــابِ
صِبْيـــةٌ نمـــلأ الـــدروبَ ارتعـــاشـــاً
مثلمـــا هجّتْ طـــائـــراً في ضبـــابِ
وكبـــرنـــا .. بكـــلِّ جـــرحٍ كبـــرنـــا
بين كـــلِّ الأظفـــار والأنيـــابِ
وأنـــاشيـــدُنـــا، ومـــوجُ دمـــانـــا
رحلتْ بـــالنَّفيـــر مـــلءَ الشِّعـــابِ

أنـــــا علّمتُ صِبيَتي أن يغنّـــــوا

كـــلُّ صـــوتٍ في الليـل عـودُ ثقـابِ

لن يحسُّــــوا بغُبنهم مثلمـــا أحسستُ

عـــذراً يـــا لـــوعـــةَ السَّيّـــابِ

لن أنـــادي من الخليـــج سليبـــاً

يـــا أخي، يـــا ضحيّـــةَ الاستـــلابِ

إنَّ «نحن الشبـاب» في صوتِ أولادي

عـــزاءٌ لمـــا مضى من شبـــابي

هم يغنّـــــون والعـــراقُ انتـــلاقٌ

كـــلُّ صـــوتٍ عليـــهِ مَـــرمى شهـــابِ

هم يغنّـــون والعـــراقُ من الـــزَّهـــوِ

شـــراعٌ يشقُّ صـــدرَ العبـــابِ

هم يغنّـــون والعـــراقُ يعـــاصي الـ

ريـــح .. يفتَضُّهـــا جنـــاحَيْ عُقـــابِ

فـــإذا طـــاح طـــائـــحٌ فكنجمٍ

ثـــاقبٍ خـــرَّ، لا ســـراجٍ خـــابي

لا تهـــابي، فبعــدَ خمسين عـــامــاً

يَتُهــا النفسُ مـــوحشٌ أن تَهـــابي

لا تهـــابي .. أولادنـــا لم يهـــابـــوا

أســـرَجوا كــلَّ صهــوةٍ في الــرِّحـــابِ

أفَخـــوفــاً أن تـــؤسَـــري ؟ .. لن تُنــالي

أفَحبّـــاً أن تـــؤجَـــري ؟ .. لن تُثـــابي !

أحنينـــاً إلى الـــذي واللـــواتي .. ؟

وَخَطَ الشَّيبُ كـــلَّ تلـــك الـــرِّغـــابِ

لا تهـــابي، عمـــراً عطشنـــا وكنّـــا

نتـــأسّى حتى بلمـــعِ السَّـــرابِ

نحن لم نســـأل الحيـــاةَ، وكنّـــا

مِـــلأهـــا، أين بَـــذْرُنـــا في التـــرابِ !

لا عتـــابـــاً .. مضى زمـــانُ العتـــابِ

وســـرى جُـــلُّ عمـــرِنـــا في الـــرِّكـــابِ

لا، ولا حُبَّ أن يُشـــارَ إلينـــا

إنَّ أنقى حضـــورِنـــا في الغيـــابِ !

قـــد صغـرنــا بـأســاً على أن تُحـابي

وكبــرنـــا عمــراً على أن نحــابي!

لا تهـــابي، لم تُبقِ شيئـــاً سنيُّ الـ

قهـــرِ حتى من هــــذه الأعصـــابِ

لن تُصـــابي، فمـا الـذي ظـلَّ فينـا

يَتُهـا النفسُ سـالمــاً كي تُصـابي!

لم تعــدْ هــذه الضلـــوعُ مجــالاً

لحـــريقٍ، أو ملجـــأً لاضطـــرابِ

غيـــرَ أنّـــا نبقى إذا نـــالَنـا القهـرُ

نُعـــاصي أعمــارَنـــا في الـــوِثـــابِ

غيـــرَ أنّـــا نبقى وقـــوسُ الـــرَّزايـــا

مـــا لَهـا غيـرُ سهمِنـا في الجعـابِ!

عـــذرَ بغـــداد أنَّ صـــوتي شجيٌّ

وليـــاليـــكِ متـــرَعـــاتُ الخـــوابي

عـــذرَ بغـــداد أنني لستُ أنسى

مـــا بهـا من أسى الليـالي ومـا بي

عــــذرَ بغـــداد أنَّنــــا جيـــلُ حبٍّ
كـــلُّ أغصـــانـــهِ نَمَتْ في العـــذابِ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٨٢

سلاماً عراق القادسيات

كَبُرنا فصار الموتُ لعبتَنا الكُبرى
فلا تَعذلينا ، إنَّها لغةٌ أخرى
ولا تعذلينا ، كلُّ حيٍّ له مدىً
وأمّا مدانا فالرصاصُ بهِ أدرى
سَلَكْنا دروبَ الهولِ يلظى جحيمُها
فكنّا بها من كلِّ ضاريةٍ أضرى
وحاقَتْ بنا الجُلّى ، فلا سيفُنا نَبا
ولا خيلُنا زمَّتْ قوائمَها ذعرا
ولم نتخيَّز مركباً ليِّنَ السُّرى
ولكنَّنا نختارُهُ مركباً وعرا
نفاجيءُ فيه الموت في عنفوانهِ
وفي عُقْرِ دار الموت نزجُرُهُ زجرا

اذا المـوتُ عن أبصارنـا غـاب ليلـةً
قَلَبْنـا الـدُنـا حتى نـلاقيَـهُ فَجـرا
ومـا حبُّ أن نفنى ، ولكنْ لِخبـرةٍ
رأينـا أليفَ الهـولِ أطـولَنـا عمـرا

يقـولـون هـل بعـد المنيَّـةِ غـايـةٌ ؟
أجـل بعـدهـا الّا تجوعَ ، ولا تعـرى
وألا تـرى للشـرِّ وجهـاً ولا يـداً
وأنَّـكَ تُمسي لا تُـراعُ ولا تُغـرى
أجل بعـدَها معيارُهـا .. أن تجيئَها
مهيبـاً ، وأن تختـارَهـا مِيتَـةً بِكـرا
وأن تتـركَ الـدنيـا وذكـراك ملـؤهـا
تكلتُك إنَّ الموتَ موتُـكَ في الـذكرى
ولـو كـانَ بعـدَ الموتِ مـوتٌ لعـوَّضتْ
بـهِ النفسُ مـا عـانتْـهُ من ميتـةٍ نكـرا
ولكنَّـهُ المـوتُ الـذي ليسَ غيـرهُ
وإرثُـكَ مِنـهُ لا يُبـاع ولا يُشـرى

فـــلا تَعذلينـــا أنْ حَســرْنَـــا صــدورَنـــا
وأنّـــا سَـرينـــا للـرّدى حيثمــا أســرى

ولا تعــــذلينـــــا أننـــا نستفـــزُهُ
فكــلُ أخي سيفٍ بمَضـــربِـــهِ أدرى !

ولا تعـــذلينـــا أنْ غَـدَونـــا وصبــرُنـــا
على الموتِ حتى الموت ضاق بهِ صبرا !

ســـلامـاً عــراقَ القـادسيـات ، لـم يـزلْ
نخيلُـــكَ تـذرو الـريــحُ شعفتَــهُ كِبْــرا

ومـــا زال في شطّيـكَ للمـوَج سَــوْرَةٌ
اذا استُنفِرَتْ ينحاشُ عن غيظِها المجرى

ومـــا بَــرحتْ أيـــامُنـــا بنتَ أمْسِهـــا
فلمّـا يـزلْ سعـــدٌ ، ولمّـا يــزلْ كســرى

ولم يبـــرح القعقـــاع يطـــوي مُـرلْـزِلًا
جمـوعَ ابنِ ســاســـانِ وينشـرُهـــا نشــرا

يسيـلُ اليهـــا كـــالفـــراتَين مُــزبِــداً
وينقضُ من عليـــاء قمّتِـــهِ صقـــرا

تَخَطَّفُ من بين الجحـــافـلِ كفُّـهُ

فـــوارسَهم ، والمـــوتُ يخـــزرُهُ خـــزرا

يشقُّ اليهم لبَّـــةَ الجيش صـــاعقـــاً

كـــأنَّ غيمـــةٌ والبـــرقُ يفـــززها فـــزرا

وفي لحظـــةٍ يبـــدو ويُمنـــاهُ بگـــززةٌ

وفـــارسُهم يختضُّ في يـــدهِ اليســرى !

سلاماً عـــراقَ القـادسيـات ، لم تـزل

كـــواكبُ أهلي فيـــك لامعـــةً زُهـــرا

ولمـــا تـــزلْ للعـــارضَيـــات نكهـــةٌ

تجيشُ بنـــا مـــا أزبدَ الدمُ واستشـــرى

يـــذكّـــرُنـــا زهـــوُ الـــرُميثـــةِ أننـــا

حَشَرنـــا بشـدقِ المـوتِ قـامتَنـا حَشـرا

فغصَّ بنـــا حتى كتَمْنـــا شهيقَـــهُ

وحتى امتنعْنـــا وهـــو يـــزفـــرنـــا زَفـــرا

الى اليـــوم من ستِّين عـــامـاً تصـرَّمَتْ

تجيش بنـــا تلـك الأهـــازيج والـــذكرى

وعـــادةُ أنّ الأمَّ تلقى شهيـــدَهـــا
هـــلاهلُها تطغى على عينهـا العَبـرى !

سـلامـــاً عـــراقَ القـادسيـات ، إنَّنـا
ورثنـــا دم المـاضي وجحفلَـهُ المجـرا
ولم نــكُ يــومــاً مــا عيـالًا اذِلَّـةً
عليــه ، وحـاشـا ، إنَّ أنفُسَنـا أثـرى
لنـــا دمُنـــا نسقي بـــه ، وضلـوعُنـا
نمـــدُّ بهـــا حتى نــلاقيَـــهُ جســـرا
نشــــدُّ بـــهِ أزراً وَواللّـهِ إنَّنـــا
نَمنُّ عليـــهِ أن يشـــدَّ بنـــا أزرا !
فنحن لـــه ضـــوءٌ ، ونحن لـــه نـدىً
ونحن لــه سهمٌ على مَهَـــلٍ يُيـــرى
يشـــدُّ بنا قــوسُ الـزمــانِ احتـدامَـهُ
ويطلقنـــا في كـــلِّ مُعســـرةٍ يُســـرا
ألم تـــرَ أنّـــا حيثمـــا أطبقَ الـدُّجى
نَبَثْنـــا على ديجـــورهِ شهبـــاً غُـــرّا

وأنّـــا اذا مـــا ألجَمَ العيُّ أهلَــهُ

قـــرأنا على اسم الله خطبتَنــا البَتــرا

ولم ننتظــز حتى يقــال لنــا ثِبــوا

ولكنَّنـــا نجتــاحهــا غُصَبــاً تتــرى

نشقّ الـــوغى شطـرين ، شطــراً نحيلُـهُ

جحيمـاً ، ونبقي تحت أخمصنـا شطــرا

وليس لنـا منهـا سـوى مـوضـع الخُطى

اذا مـــا انتقلنـا عنـه نتـركُـهُ جمــرا

ولا نتَّقي والنـــاسُ في الحـــرب تتَّقي

ولكنَّنـــا نـــأبى مـــداخلَهـــا الصُّغـــرى

طـــوَينـــا بهـــا عـــامـــاً وستـــةَ أشهـــرٍ

نصـولُ بهـا شهـــراً ونـرصـدهـا شهـــرا

وكنّـــا أعفّ الطّـــاعنين بهـــا يـــداً

وكنّـــا أشـدَّ المـــاكـرين بهـــا مكـــرا

فـــلا أخِـــذتْ منّـــا حتـــوفٌ بغـــرَّةٍ

ولا طَعَنتْ فينـــا يـــدٌ طعنـــةً غـــدرا

ولكنّنـــــا واللّـــــهِ نـــأتي الى الـــوغى
مســـالكُهـــا بـــالنـــار مضفـــورةً ضفـــرا
فنجتـــــاحهـــــا والأرضُ تحتَ دروعنـــا
تَشَظّى ، وعينُ المـــوتِ زائغـــةٌ حَيـرى
ومـــا هـــو إلّا أنْ تَـــذكّـــرَ نفسَنـــا
بـــأنَّ العـــراقَ الآنَ مقلتُـــهُ سهـــرى
وأنَّ العـــراق الآن يـــرقبنـــا دمـــاً
وانَّ العــــراقَ الآن منتفضٌ كِبـــــرا
فنُقـــدمُ لا نلـــوي عن المـــوتِ وجهَنـــا
ونمنعُـــــهُ أن ينتحي وجهـــةً أخـــرى
وأكبـــرُ من هـــولِ المنـــايـــا ووقعِهـــا
علينـــا جميعـــاً أن نقـــولَ لـــه : عـــذرا

ألم تـــــرَ «البسيتين» كيف عبـــورُنـــا
اليهـــا وغيمُ المـــوت يمطـــرهـــا مطْـــرا
وكيف احطنـــاهـــا ســـواراً من اللظى
وكيف جعلنـــاهـــا لأحـــلامِهم قبـــرا

وكيف وفيهـــا حصّنَ المـــوتُ نفسَــهُ
ركبنـــا اليهـــا الجـــوَّ والبـــرَّ والنهـــرا
فلم يـــدرِ مَنْ في جـــوفهـــا يكف يتُّقي
ومـــا يتُّقي ، والأرض أجمعهـــا تَعـــرى
كـــأنَّ السَّمـــا ألقت جميـــعَ رجـــومهـــا
فخلَّفت الأجبـــال منخـــورةً نخـــرا
كـــأنَّ فجـــاج الأرض طـــرّاً تفجَّـــرتْ
فليس بهـــا شبـــرٌ تلـــوذُ بـــهِ ستـــرا
وكـــان عـــراقُ الكِبْـــرِ يُقحمُ غيظَـــهُ
وعينُ الـــرَّدى تـــرنـــو لجـــرأتِـــهِ شَـــزْرا
فمـــا زاغَ عنهـــا لحظـــةً بـــل سعى لهـــا
وحـــاصـرَهـــا كي لا تـــراوغَـــهُ حصـــرا
ثـــلاثـــةَ أيـــامٍ ، ويـــومـــاً ، وخـــامسـاً
وأنشبَ في عين الـــرَّدى دمَـــهُ نصـــرا

ســـلامـاً عـــراقَ القـــادسيـــات مـــا علَتْ
بـــآفـاقِنـــا شمسٌ ، ومـــا قمـــرٌ أســـرى

وما هبَّ من زهو الرجولةِ فاغمٌ
يمرُّ على الدنيا فيملؤها عِطرا
ويا رجلًا لم يعقد الدهرُ رايةً
على مثلِهِ مُذ أيقظَ القلقُ الدهرا !
ولا قيل للمسرى : مُلِئْتَ بفارسٍ؟
فأومأ يوماً ما الى غيرهِ المسرى
سلامٌ على مسرى خطاك فلم تزلَ
بخطوكَ أنّى سرْتَ تنعقدُ البُشرى

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٩٨٢

بطـل مـن بــلادي

ونظرتَ للدِّرعِ المُسَجَّى
وتفجَّرَتْ كلُّ المروءةِ فيكَ إيماناً ونَهجا
شمّاءَ ترفضُ أن يكون لها بهذا الدِّرعِ مَنجى
وهزَزْتَ رأسَكَ
لا
وضجَّتْ كلُّ أوردةِ البطوله
لا
ليس من شيَم الرجال ،
وليس من شيَم الرجوله
أنّي أقاتلُ دارعاً وبلحمهِ جيشي يقاتلْ
العدلُ إن زَخَّ اللظى
صدري ككلِّ صدورهم
يغدو لزَخَّتِهِ مَشاتِلْ

وأدرتَ وجهكَ
لم يكنْ شيءٌ سوى « لا » كي تقولَهْ
وجمعتَ في « لا » هذهِ
كلَّ الذي كنا نُغَنّيهِ ، ونُنشدُهُ ،
ونكتبُه صغاراً في دفاترِ زهوِنا
منذُ الطفوله !

أدري بهذي الكبرياءْ
أدري بهذا الزُّهو
هذي النَّخوةِ اللاتنحني
هذا الإبــاءْ
أدري بــهِ
يا أيُّها الرَّجلُ المليءُ بزهوه حدَّ الفداءْ

لم يَرْوِ راوٍ عن جدودكَ أنَّهم يتدرَّعونْ
كانوا بهذا الزّهو ، تَشتجرُ الرماحُ ويهرعونْ
لا يسترُ الأجسادَ غيرُ قميصِهم ،

وسوى العَوالي

ويقاتلون عن المعالي

عمرَ الليالي

لم ترو عن أعدائهم غيرَ التَّباهي بالدّروعْ

والبَيضِ فوقَ الهام ، والافيالِ تزحفُ ، والجموعْ

بذَبيبها يتسترّونْ

حتى يجيءَ الحاسرونْ

باللحمِ والدّمِ والسيوفْ

لا درعَ غير الحقِّ والايمان يلمعُ في العيونْ

حتى إذا انكشفَ الغبارْ

ألفَيْتَ قطبَ الأرضِ أجمعِها بأيديهم يُدارْ !

يا وارثاً عن هؤلاءْ

هذي المروءةَ والرجولةَ والتُّقى والكبرياءْ

لو أنَّ للدِّرعِ الذي رفضَتْهُ نخوتُكَ الكريمه

شفةً لَتَمْتَمَ وهو في صندوقهِ :

لا تُخـــرجوني

هذا الذي في قلبهِ ميراثُ أمَّتهِ العظيمه
لن يرتديني !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ٣ / ١٩٨٢

ويا عـراق التّحـدي

سَكينـــةَ الـروح .. بـرءٌ أنتِ أمْ سَقَمُ ؟
أواقــعٌ يـرتجيــهِ النــاسُ أم حلُمُ ؟
هــل الـرِّضـا أملٌ يحيـا الأنامُ بـهِ
أم الـرِّضا منتهى مــا يبلـغ السَّـأمُ ؟
وهــل قنـاعـةُ أهــلِ العلمِ معــرفـةٌ ؟
إذن فيـا ليتَ أهــلَ العلم مـا علمـوا !
خمسين عــامـاً بحثنـا في مَـواجعِنـا
لعــلَّ جرحَ الـرِّضـا في الـروح يلتئمُ
فـــزادَنـــا كـــلُّ بحثٍ مَـوجعـاً ودمـاً
مضـاعفـاً .. ثمَّ يـأتي بعـدهُ النَّـدمُ
وذاك أنّـــا كهــذي الأرضِ ، محنتُنـا
أنّـــا إلى خفَقَــــانِ القلبِ نَحتكِمُ
وأننـــا حين يُستَعــدى على دمنـا
لَسْنـا بغيــر حبـالِ المـوتِ نعتصمُ !

سكينـــــةَ الــروح .. طــوبى للـــذين غَفَتْ
أجفـانُهم ، مـا شَكَـوا شيئـاً ، ولا بَـرِمـوا
إنّـــــا على رَهَق نغفـــــو وأعيُنُنـــــا
أجفـــانُهنّ طـــوالَ الليـــل تَختصمُ !
من أربعينَ عــرفنـا الشِّعــر .. قيـلَ لنـا
سعـــــادةٌ غُـــــرمُهـــــا الأوراقُ والقلمُ
حتى إذا مـــا غـرِقنـا في مَخـاضَتـهِ
وجـــدتنـــا قـــد نَسِينـــا كيف نبتسمُ
يـــا بـــاسطينَ جـــراحَ الشعـــر مُتَّكـأً
لهم من الحـــرفِ ظــلُّ الحــرف والنَّغَمُ
أمّـــا نـــوازفُهـــا .. أمّـــا مخـــاوفُهـا
أمّـــا البطـــولـــةُ إذ تستشهـــدُ الكَلِمُ
وإذ تـــلاقي مهبُّ المـــوت عـــاريـــةً
من الـــزُّخـارفِ .. تَستشـــري ، وتضطـرمُ
فـــذاك مـــا لا يُـــريـــهِ الظـلُّ أعينَهم
وفي المســـامـــعِ عن أصـــواتهـــا صَمَمُ

أيَّ امتحــانٍ نخــوضُ اليــوم يــالغــةً
عــوَّدتُهــا أنَّ تخــريجــاتهــا حــرمُ
عــوَّدتُهــا أن تظــلَّ العمــرَ واضحــةً
فكــلُّ حــرفٍ بهــا من صــدقِــهِ قَسَمُ
عــوَّدتُهــا جَيَشــانـي كيف تبــدؤهُ
ولم أعــوِّدْ نــداهــا كيف يختتِمُ
خيــلٌ زحمتُ بهــا عمــري أكــابــرُهُ
ولا ركــابٌ ، ولا سَــرجٌ ، ولا لُجُــمُ
أطلقْتُهــا حــرّةً بيضــاً ضمــائــرُهــا
ليسَتْ بغيــر قضــاء الله تَنشَكِمُ
فــإن نطقتُ بهــا لم أنطِقَنْ هــذراً
وإن سَكَتُ فقــد تُستَلْبَــدُ الأجَمُ !

إليــك عنّي ففي جنبيَّ منتفضٌ
دامي الجنــاحين حتى نبضُــهُ ألمُ

إليـــك عنّي فبي غيظٌ أحسُّ بـــهِ

مِمّـــا نَـــزا بجـــدار القلبِ يـــرتطمُ

لا أمّتي هـــالَهـــا مـــا يُستبـــاح بهـــا

ولا بَنـــــــــو أمّتي ريعَتْ لهم ذِمَمُ

كـــأنَّ لبنـــان ليسَتْ من مَحـــارمهم

ولا لقتلى بنيهـــــا عنـــــدهم رَحِمُ

ولا فلسطين فيهم غيـــر كبشٍ فِـــدىً

بـــهِ السيـاســةُ عنـد الجــوع تـأتـدمُ

ولا العـــــراقُ قـــريبٌ من أرُومتهم

بلى أرومتهم صهيـــــــــون والعجمُ !

إليـــك عنّـا فقـد أزرى الخـلافُ بنـا

حتى غـدونـا وجــوهـاً كلُّهـا تُهَمُ

عُـــدنـــا وأكـــرمُنـــا مَن ليس يشتمنـا

إن كـان في مثـلِ هـذا يَجمـلُ الكـرمُ !

واهـــاً لأهليَ كيف استنبَحـــوا دمَهم

يبغي على بعضـــهِ بغيـــاً ويـــأتمّمُ

إنْ سَلَّ قومي على أعناق بعضهمو
سيوفَهم فلِمَنْ تُستَصرَخُ الأممُ ؟

لبنان يا بهجةَ الدُّنيا ورونقَها
ويا صلاةً بوجهِ اللّهِ تلتئمُ

يا مرتقى ملكوتِ الله، يا قمماً
إلى مدارجِ عرشِ الله تنتظمُ

ويا صفاءَ سلامٍ فوقه انفرطَتْ
زهرُ النجوم، وتاهتْ حولَهُ السُّدُمُ

يا ملجأً كلَّما ضاق الزمانُ بنا
طوى علينا جناحاً وهو يبتسمُ

لبنان .. من قال في لبنان مذبحةٌ
إنَّ الذي فيه عارُ العربِ كلُّهمو!

كلُّ الخياناتِ في لبنان قد ولَغَتْ
وكلُّها من أسى لبنان تنتقمُ

والمدّعون التَّصدّي، فوق محنتها
تعاوَروها، وجدَّ الجدُّ فانهزموا

واهـاً للبنان .. مـا أبقى الصّمود ومـا
أبقى اليهـود ومـا أبقث بهـا النُّظُمُ
نيفٌ وعشـرون عنـوانـاً وليس لهـا
منهم عـدا الضُّـرّ إلّا الأسمُ والـرّقَمُ
ونحن لبنـان نستشـري دمـاً ولنـا
حـربٌ لأمـرٍ تـلاقتْ عنـدَهـا الأزَمُ
تشـاغَـلُ الـدولُ الكبـرى مفلسفـةً
معنى السـلام وظهـرُ السِّلمِ ينقصمُ!
لقطـرةٍ من دمـاءٍ بينهم فـزعـوا
ولم تـروّعْ ضميـراً هـذه الـدِّيَمُ
حتى أُطَيفـالُنا من هـول مـا رُزِئـوا
شابوا وهم بعـدُ قيدَ الثدي ما فُطموا
نـرى ونسمـعُ كفـراً لا خَـلاقَ لـهُ
لكنّـهُ بِسِمـاتِ العقـل يَتَّسمُ
وأفـدحُ الكَـربُ أن تـأتيـك مـوعظـةٌ
من مجـرمٍ هـوَ فيـك الخصمُ والحكمُ!

شَـــرُّ الحياةِ وشَـرُّ المـوتِ مـا يَصِمُ
وأفـــدحُ الشَّـــرِّ أن تُستَنـــزَفَ الشيَمُ
وأن يـــؤولَ الى عطفٍ ومسكنـــةٍ
كبـــرُ النفـــوس، وأن تستـامَـكَ الحِكَمُ
أنَّ القنـــاعـــةَ كنـــزٌ، والهـوى سَفَـهٌ
والغيظ جهـــلٌ، ولُقيـــاكَ الأذى شَمَمُ
حتى نُتلِّمَ شـــوكَ العِـــزِّ أجمعَـــهُ
ونستكين فـــلا همٌ، ولا بَـــرَمُ
ونـــرتضي هَمَـجَ الـــدُّنيا تشاركنا
بيـــوتَنـــا .. ونُـــراضيهـــا فنقتسمُ !
فكـــلُّ بيتٍ بـــه لصٌّ نجـــاملُـــهُ
وكـــلُّ خـــدٍّ كـــريمٍ فـــوقَـــهُ قـــدَمُ
كفـــرتُ بـــالحِكمِ التُّـــردي مـــروءتنـــا
وتـــوكلُ المـــرءَ مظلـــومـــاً لمن ظَلَمـــوا
إنّي لأدعـــو إلى مـــوتٍ ألـــوذُ بـــهِ
من المـــذلَّـــةِ لا ألـــوي ولا أجِمُ

فيـــا عـراقَ التَّحَـدي ، تلـك فـورتُنـا
لا جِـدَّةٌ أبــرَدَتْ منهــا ولا قِــدَمُ
ويـــا عـراقَ التَّحَـدي ، تلك عـزمتُنـا
شابَ الـزمـــانُ ومـا أزرى بهــا الهَـرَمُ
ويـــا عـــراقَ التحـدّي ، كـلُّ نـازلـةٍ
تهــونُ إلّا التي تضــوى بهــا القيَمُ
ويـــا عـراقَ التحـدّي ، مـا تــزال لنا
مجـــامــرُ للتَّحـــدّي بَـــردُهـــا ضَــرَمُ
لقـــد لَـــوَينـــا على كِبْـــرٍ أعنَتَّنـــا
حتى لكـــادتْ رقـــابُ الخيـــلِ تنفصمُ !
كِبْـــراً منَعْنـــا عن الطـــوفـــان أنفُسَنـــا
لعـــلَّ حقـــدَ بني ســـاســـان ينفطمُ
ان كـان عـذرُ بني ســـاســان أرضهمـو
فلتَشهـدِ الناس ليس الـزُّعمُ مـا زعمـوا
ونحن أدرى ، وللتـــاريـــخ اروقـــةٌ
تـــأرّثَ الحقـدُ فيهـا فـرطَ مـا كظَمـوا

أدرى بـأنَّ بني عيـلام من تِـرَةٍ

حتى مقـابـرُهم تلظى بهـا الـرِّمَمُ

هـا هم كما هم، ذئابُ هاج هائجها

يستنكـر اللّـهُ مـا تـأتيه والشّيَمُ

ها هم كما هم .. وجوهٌ لا حياءَ بهـا

من لـؤمهـا، ونفـوسٌ كلُّهـا ورَمُ

هـا هم وقد صحَّ فيهم قولُ قـائلهم

ما عندَ ساسان لا حِـلٌّ ولا حـرَمُ!

ويـا عـراقَ التحـدّي، لم يـزل دمُنـا

على منـافـذِ خَـرْقِ النـار يـزدحمُ

ولم تـزل للعـراقيين هيبتُهم

ولم يـزل في اليـد العمـلاقـةِ العَلَمُ

واللّـهِ لـو مـاج فينا المـوتُ أجمعُـهُ

فلن تكـدّرَ وجـهَ البصـرةِ الظُّلَمُ

وأنت يابنَ العـراقيـات .. ما هـزَجَتْ

أمٌّ عـراقيـةٌ والمـوتُ يلتطمُ

إلّا وفـــاضَ على مجـــرى هـــلاهلهـــا
مجـــرى رصـــاصٍ يـــلاقي صـــوتَهـــا ودمُ
يـــابنَ الـــذي ثـــورةُ العشـــرين أشعلَهـــا
أمجـــادُ أهلـــكَ فيهـــا كيف تنثلمُ ؟
ومـــا تقـــول التي زفَّتْ عبـــاءتُهـــا
« هـزَّتْ ولـولَتْ » لمن إن كنتَ تنعجمُ ؟!
ولا ، وحـــاشـــاك .. أنت السجـــدُ أجمعُـهُ
وأنت من قـــولهم « يـــا حيف » تحتشمُ !
من أين يأتيك أنت اللـــوم .. لا سلمتْ
كفُّ الـــذين أرادوهـــا ، ولا سلمـــوا
لقـــد طغتْ آلُ ســـاســـانٍ بكثـــرتهـــا
كمـــا طغتْ فـــأبـــادت نفسَهـــا إرَمُ !

ويـــا كبيـــرَ التحـــدّي إذ تُعلِّمُـــهُ
أطفـــالَ أرضي ، وإذ أعـــداؤهم علمـــوا
فهـــالَهم أنَّ عَشـــراً يكبـــرون بهـــا
على رضـــاعٍ كهـــذا سَيلُهـــا عَـــرِمُ

إذ ذاك ينشـــأ جيـلٌ جـلٌ صــانعُــهُ
من العمــــــاليق أنـــــــاى وِزْرِهِ أَمَمُ
إذ ذاك نطلقُ يـــا صـــدام صيحتَنــــا
وعنـــدهـــا كـــلُّ همِّ الشـــرق ينحسمُ !

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٣ / ٧ / ١٩٨٢

وما هي إلا وقفة نحن أهلها

ألا كم لنا من قولةٍ لا نقولُها
وكم صولةٍ فرطَ التُّقى لا نصولُها
وكم فورةٍ للغيظ جُزنا شواظَها
فمنّا مُهَدّيها ، ومنّا خَمولُها
وكم عثرةٍ للأرذلين ترفَّعتْ
مكارمُنا عنها وقالت نُقيلُها
وندري بأنَّ الحقدَ إرثٌ مدمِّرٌ
وأنَّ التواءَ النفسِ غولٌ يغولُها
وأنَّ سمومَ اللؤم تأكل أهلَها
كذلك فرخُ العقرباء أكولُها
فكنّا نجيء الشرَّ شوطاً ونثني
ونترك للأيّام حالاً تحولُها

نقــول عسى حمّــالــةُ الحقــدِ غيمــةٌ
يخفّفُ بعضَ الغِــلُّ عنهــا هطــولُهــا
ولكنَّهـــا أســـرابُ مـــوتٍ وبيلـــةٌ
إذا مـــا عــوى ذئبٌ تعــاوتْ فلــولُهــا
يُهيّجُهـــا جـــرحٌ بنـــا طـــالَ نـزْفُــهُ
وقـــافلـــةٌ فينـــا سفينـــهُ دليلُهـــا
وأفـــدحُ مـــا يلقى امـــرؤٌ انَّ دارَهُ
تجـــاورهـــا أفعىً وأفعىً نَـــزيلُهـــا !

الا كم لنـــا من قـــولـةٍ لا نقـــولُهـــا
بعيـــدُ مَـــراميهـــا ، قـــريبٌ سبيلُهـــا
ولـــو شـــاءَ أدنـــانـــا لأورى زنـــادهـــا
ففجَّـــرَ لُغمَ الأرضِ طـــرّاً فتيلُهـــا
ولكنّنـــا قـــومٌ إذا عُـــزّيَتْ لنـــا
مَقـــاتـــلُ قـــومٍ عَـــزَّ فينـــا قَتـــولُهـــا

نحـــاول بـــالأهـــدابِ دفعـــاً وإنّمـــا
وســـائلُ بعضِ النـاسِ صعبٌ قبـولُهـــا
وكيف ، وأنّى قبلَهـــا عُـــزّيَتْ بنـــا
مَحـــارمُ يـــدري اللهُ أنّـــا كفيلُهـــا
أعنـــدَ الـــذين استنفـــروا كـــلَّ زهـــوِهم
فضـــاق بهم عـــرضُ الفيـــافي وطـــولُهـــا
وخـــاضـوا دمـــاً والخيـــلُ يَـــرُقْنَ تحتهم
إلى أن تَحنَّتْ من دمـــاهم حجـــولُهـــا
تُبـــاحُ بيـــوتٌ ، أهلُهم وبنـــاتُهم
وأطفـــالهم فيهـــا ، ويعلـــو عـــويلُهـــا ؟
إذن فَلْتَقُمْ كـــلُّ القيـــامـــات عنـــدهـــا
فمـــا بعـــدَ هـــذا الهـــول شيءٌ يَهـــولُهـــا !

وإنَّ لنـــا أبنـــاءَ عمٍّ كمـــا الـــورى
إذا ذُكـــرَتْ أعمـــامُهـــا وخـــؤولُهـــا
عَفـــا اللّـــهُ عنهم ، لا غطـــاءٌ بقـــارسٍ
ولا ظِلـــةٌ يُـــرجى بقيظٍ ظَليلُهـــا

بلى، بعد أن يمضي الزمانُ بأهلهِ
تَصدَّرُ كي تُفتي الفَتاوى فحولُها!

وإنَّ لنا غِيلانَ عمٍّ تَنزَّهَتْ
أرومتُنا عن أنَّ هذا سليلُها

إذا ما لَديغٌ صاحَ منّا ونَفَّضَتْ
يدٌ ثوبَهُ نَشَّتْ نَسيساً ذيولُها

عفا اللّهُ عنها عمَرها لا قبيحُها
بخافٍ، ولا بادٍ لعينٍ جميلُها!

ألا كم لنا من قولةٍ لا نقولُها
وكم صولةٍ فرطَ التُّقى لا نصولُها

ولكنَّنا إمّا تعالى صَريخُها
وهيضَتْ ضواريها، ورغّى فصيلُها

وفكَّتْ مغاليقُ السماءِ جحيمَها
فشَبَّ بجذعِ الأرضِ طرّاً شعيلُها

وخـــالطت الأرضُ السَّمـــاء لفــرطِ مــا
تَشظَّتْ وغطّى كـــلَّ شيءٍ مَهيلُهـــا
وهيـــجَ فلم يـــدرِ امـــرؤٌ مَن خصيمُـهُ
ولم تتبيَّنْ طعنـــــةٌ من قتيلُهـــا !
وضـاقت شعـابُ الأرضِ رعبـــاً بـأهلهـا
فلـــو سقطتْ عينُ امـريءٍ لا يَشيلُهـا !
وصيـــحَ بلا صـوتٍ ، وفُـرَّ بـلا خطىً
*وجُنَّ إلى كـــلِّ اتّجـــاهٍ رحيلُهـــا
ركـــزنا سـرايانـا ، وقلنـا لـزهـونـا
إلى حَـــدِّنـــا هـــذا ويعيى مَسيلُهـا !
ولا والـــذي أعطى العـــراقيَّ جَفلـــةً
إذا ضِيمَ لا يعتـــامُ حيّـــاً مثيلُهـــا
لـو انَّ الرَّدى أضحى قَبيلاً من الـرّدى
لمـــا عـــدمَتْ أفـواهُـــهُ مَن يُغيلُهـا
وفينـــا دمٌ لا يجهـــلُ الحقُّ لـونَـــهُ
وأسيـافُ عـــزٍّ لا يُـــدانى صـــليلُها

ونحن وأيمُ اللّه وُرّادُ غمـــرةٍ
يطيـــرُ بلبِّ الأكثـــرين قليلُهـــا
إذا ضـــاقت الأرضُ الفضـــاءُ بـــأهلها
من الهـــول قـال النـاس: أنتم قبيلُها
فنـــأتي يكـاد المـوتُ يطـوي جنـاحَـهُ
على الأرض، والـرايـاتُ يهـوي خَضيلُها
وتـــوشكُ عينٌ لا تـــرى غيرَ خـــوفِها
وأيـــدي أشَـدُّ النـاس ينبـو صقيلُهـا
ومـــا هيَ إلّا وقفـــةٌ نحنُ أهلُهـــا
وســـاعـــةُ صبـــرٍ للمنـــايـــا نطيلُهـــا
ونخـــرج منهـــا عـــاليـــاتٍ جبـاهُنـا
وللمـــوتِ فينـــا عينُ خـــوفٍ يُجيلُهـــا !

بلى هكـــذا نـــأتي الـــرّزايـا ولم نـــزلْ
لنـــا هبـــوةٌ ينحـــاشُ عنهـــا جليلُهـــا !
ونعلم أنَّ الارض تبقى منيعـــــــــةً
إذا الخيـــلُ فـــوق الأرض بـــاقٍ صهيلُهـــا !

وأنَّ بــلادَ الــرافــدين كــريمــةٌ
بمقدار ما عــاصى الليالي نخيلُهــا !
وأنَّ فــراتَ الأكــرمين مُعَبَّــأً
لــه سَيلــةٌ في كــلِّ ألفٍ يَسيلُهــا !
وأنَّ عــراقَ الكِبْــرِ زاهٍ بــأهلــهِ
مهيبُ الخطى ، عــالي الرَّواسي ثقيلُهــا
وأنَّ العــراقيين مــا نــال أُختَهم
بخيــلٌ ، ولا شُقَّتْ عليهــا ســدولُهــا
ونحسِبُ لــلأيــام عــامــاً تُــديلنا
ويــومــاً بعمــر الدَّهــرِ طــرّاً نــديلُهــا !
فقُــلْ للّتي عَيَّتْ عيــاءً بحقــدهــا
فجــاشتْ سرايــاهــا ، ودُقَّتْ طبــولُهــا
بــأنّــا بنــو أرضٍ إذا عــزَّ مــاؤهــا
سفَحْنــا دمــاً حتى يُــروّى محيلُهــا
وأنّــا بنــو أرضٍ إذا مــالَ نخلُهــا
عَطــا فــأظــلَّ الأرضَ طــرّاً فسيلُهــا

وأنّـــا بنـــو تلـك السيــوف التي دَرَوا

يمـــوتُ قُبَيلَ المـــوت رعبـاً جــديلُهـا !

ولا والـــذي اعطى لســاســان فُــزعــةً

إلى الشـــرِّ لا يُشفى بشيءٍ غليلُهـــا

لـــو انَّ بني ســاســان كــانت رؤوسُهم

جبـــالًا فمـــا حيٌّ ســوانـا يــزيلُهـــا !

ولم نـــألُ يا ســاسان نعطفُ خيلنـــا

إلى مَيلَــــةٍ للحقّ طـــوعـــاً نَميلُهـــا

نقـــول عسى الأيـــام يطفئنَ جـــذوةً

تـــأرّثَ في ســـاســـان دهـــراً وَبيلُهـــا

ولكنَّ ســـاســـانـــاً تمـــوتُ بـــأرضهـــا

جميـــعُ خَـــلاقِ النـــاس إلا نحـــولُهـــا !

ونحن لهـــا ، إن كـــان مَغـــدى رؤوسِهـــا

بـــأسيـــاف أهلينـــا ففينـــا مَقيلُهـــا !

وهـــا هيَ يا ســـاسان أبيـــاتُ أهلِنـا

وهـــا هـــو عـــالي المنكبين وكيلُهـــا

قــريبٌ إلى راميــكِ أنــأى بيــوتنــا
بعيــدٌ كبُعــدِ النجم عنــكِ وصــولُهــا

ولا والــذي أعلى بصــدام صــرحَهــا
فــآخى بــهِ جيــلَ النبيّين جيلُهــا

لَتغــدو حــدودُ الــرافــدين مقــابــراً
لكــلِّ أخي بغيٍ بشــرٍّ يطــولُهــا

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٧ / ٩ / ١٩٨٢

الزفـــاف

تمثيلية شعرية للتلفزيون

مثلت لاول مرة في الربع الاخير من عام ١٩٨٠ وفي المساحة الساخنة من قاطع كيلان غرب تحت القصف الحي للغارات الجوية والمدافع

دراما الشعر وشعر الدراما

أثار انتباهي صديق أحبه وأثق بدقة رصده ، بسؤاله بعد أن شاهد هذا العمل في التلفزيون : أكنت تكتب قصيدة ؟ .

لم أجب صديقي لحظتها ..

ربما كان سؤاله صدمة لي . لقد كان نقداً بشكل ما .. وكان عليَّ أن أتأمل ما فعلت .

صحيح انني دفعت بعمل شعري الى التلفزيون .. وان كفاءات عربية وعراقية عالية شاركت في اخراجه الى حيز الوجود ..

ولكن .. الى أي مدى كان ما كتبته تمثيلية شعرية ؟ ..

ما الذي دفع صديقي ـ وهو سياسي مثقف ـ الى الاحساس بأن ما رآه وسمعه كان قصيدة ؟

ربما أتاحت لي هذه المقدمة فرصة للمراجعة .. حين فكرت بالكتابة كانت تملأني حد التفجر صورة بطولة هائلة ضرب الجيش العراقي لها أروع النماذج وهو يخوض معركة قادسية صدام المجيدة .

كنت أواكب المعركة يوماً بيوم . لقد منحتني بطولة الجندي العراقي منابع للشعر تتفجر كلما أمسكت بالقلم : رجزاً في المعركة .. قصائد أقرب الى الملاحم .. أناشيد وطنية .. قصائد وأغاني للأطفال ..

كان الزهو بالنصر يحيل كل شيء في حياتي شعراً .. ولكن الصوت استمر غنائياً منفرداً .

حين بدأت بكتابة « الزفاف » ، أحسست منذ البداية باكثر من هاجس واحد ينهض عبر الاسطر . ثم ما لبثت الهواجس أن اشتبكت وتداخلت .. ثم تصارعت حد أن امتلك كل منها صوتاً .

صحيح انني بدأت وفي ذهني صورة واحدة ، هي صورة « محمود » .. وصوت واحد هو صوته . ولكن صورة محمود لم تلبث أن استدعت صوراً اخرى عزيزة عليه ، كانت ـ بتداخلها مع صورته ـ تغذي عنصر البطولة فيه ..

صوت محمود .. لم يلبث أن تداعت له ـ عبر منلوجات داخلية في البداية ـ أصوات أولاده ، وأخته ، وأمه ، وزوجته ، ورفاقه في المعركة .. لتكمل صورة الحضور الكامل للعراق في المعركة .. وما لبثت أخيراً أن تداعت صور التأريخ وأصواته ، لتمنح صورة محمود وصوته عمقهما التأريخي ، وانتماءهما .. وأخيراً لتصعد بالشهادة الى ذروتها القصوى .

وتميزت هذه الاصوات والصور .. وتجسدت أشخاصاً ..

واعود فاسال نفسي :

الى أي مدى لم تكن هذه الصور جميعاً تفاصيل لصورة واحدة هي صورة محمود ؟!.

والى أي مدى لم تكن تلك الاصوات جميعاً أصداء صوت واحد هو صوته ؟ .

وانن .. فالى أي مدى لم يكن رصد صديقي السياسي المثقف دقيقاً وعلى حق ؟!

ربما كان ما كتبته قصيدة درامية متعددة الاصوات فعلًا .. منحت كل صوت منها وجهاً ، ولكنني لم استطع أن أمنحه شخصية مستقلة بعيدة عن محور محمود ، أو مختصمة معه .

ربما كنت يا صديقي ، السياسي المثقف الذي أحبه ، دقيقاً كل الدقة في تشخيصك العفوي ذاك .. ولكني أقسم لك ان حبّاً عظيماً لم يتح لي الجرأة على أي تصور لشخصية متعارضة والبطولة بحيث تشكل طرفاً في صراع درامي حقيقي على مستوى الحوار والحدث ..

حتى الزوجة .. حين حملتها بعض التساؤلات السلبية المشروعة .. عز عليَّ أن تستمر في تعميقها لانني لم أستطع أن أتبنى ـ ولو فنياً ـ موقفاً سلبياً ولو يسيراً من هذه البطولة وهذا الاستشهاد الفذ .. وهبني تبنيته .. فمن لي بتقمصه لحظتها ، ومن لي بالتعبير عنه ؟! .

ربما كنت مقصراً أيها الأخ .. أنا الذي جعل همّه أن ينصرف للمسرح الشعري .. !

أتسمع مني ؟! :

ربما أوفق مسرحياً حين أعالج قضية فلسفية أملك أن أكون فيها محايداً الى حد ما بحيث أستطيع أن أعطي المواقف المختلفة زخماً متقارباً من الانحياز ..

ربما أوفق ـ مسرحياً أيضاً ـ حين يبتعد الحدث زمنياً بعض الشيء بحيث تقل سطوته الآسرة عليّ ـ ولو نسبياً ـ فأملك أن أناقش وأن أناقش فيه ..

أما الآن .. وفي هذه القضية .. فلا ! .

ولأكن أيها الصديق شاعراً دراميا لا شاعراً مسرحياً في هذا العمل .

ولك محبتي واعجابي .

عبدالرزاق عبدالواحد

٢٥ / ١ / ١٩٨١

شخصيات التمثيلية

محمود : جندي في الدروع

كاظم :

وجواد : رفيقاه في الدبابة

الاخت : أخت محمود

الام : أمه

سليمة : زوجته

اربعة اطفال : أولاده

ضابط

جنود

أطباء

ممرضون

جرحى

(المشهد الاول)

« معركة .. محمود يقاتل جريحاً على دبابته ومعه كاظم وجواد »

محمود :

لبَّيكَ يا عراقْ

لبَّيكَ يا عراقْ

نذرٌ لعينيكَ دمي يُراقْ

كاظم :

محمود

أنت جريحْ

دعني أرى جرحكَ يا محمودْ

محمود :

« مواصلًا »

هذي الدماء .. إنها ملكك يا عراقْ

دَينُك في الأعناقْ

نردُّهُ إليك

كاظم :

« بشدة وهو يمسك بهِ »

قف لحظةً ،

دعني أرى جرحك يا محمود

محمود :

« بينما كاظم يتناول ضماداً من داخلِ الدبابة »

« محاولًا الامساك بذراع محمود النازفة »

من الذي يملك أيَّ منَّةٍ عليك ؟

أنت الذي أعطيتْ

أنت الذي أغنيتْ

كاظم :

محمود

لِنقفْ لحظةً

أنت تسمعني ؟؟

لحظةً واحده

ريثما نتاكد من عمق جرحكْ

محمود :

أنت الذي أعطيت يا عراق

أنت الذي أغنيت يا عراق

جواد :

كاظم

النَّزفُ في ذراعهِ شديدْ

ليس المقرُّ من هنا بعيدْ

راقبْهُ حتى أعود

« يسرع متجهاً الى مقر القيادة »

(المشهد الثاني)

محمود :

« مخاطباً دبابته »

وَيْلكِ أيَّتُها المهرةُ الجامحه

أنتِ عمرَكِ لم تجفلي

كنتِ لي

طوعَ كفيّ

فلماذا غَدَرتِ بيَ البارحه ؟

لولا أنيَ أرخيتُ لجامكِ لاشتعلَ الدرعُ بنا
تدرينَ بأنّ علينا ألّا نغفَلْ
تدرين بأنّ علينا أن نتمهّلْ
ثمّ نمرُقُ كالطلقةِ الخاطفه
فلماذا وقفتِ أمام المدافعِ كالقطةِ الخائفه ؟

لا بأس
تتعلّمينْ !
أنا لا ألومكِ أن تخافي
إنْ لم نَخَفْ يا أختُ نفقدْ كلَّ معنىً للبطوله
لكنْ علينا أن نميّزَ رعشةَ الجبناء
عن خوف الرجوله !

(المشهد الثالث)

جواد :
« يدخل على الآمر »
سيّدي
دبّابتُنا ،

قائدُها الآنَ جريحٌ

ويقاتل كالمجنونْ

الآمر :

لِمَ لم تنقله إلى الوحدات الطبيّه ؟

جواد :

يرفض يا سيدي

الآمر :

يرفضْ ؟؟

أيستطيعُ السّيرْ ؟

جواد :

الجرحُ في ذراعهِ

أظنُّهُ يستطيعْ

الآمر :

انهب سريعاً ، ثم عد به اليّ

جواد :

حالًا

« يخرج »

(المشهد الرابع)

« لحظة انتقال الى المعركة وهي تتصاعد بضراوة »

(المشهد الخامس)

« مقر الآمر مرة اخرى . يدخل محمود وكاظم . يؤديان التحية »

الآمر :

مَنْ ؟

محمود ؟؟

محمود :

سيدي

الآمر :

إنسحب الآن إلى خطوطنا الخلفيّه

محمود :

سيدي ؟!

الآمر :

إسمع يا محمود

أنت جريح

قُدْ دبابتكَ الآنَ إلى الخط الخلفي
أبعدْها عن مُتَناولِ نارِ الأعداءْ
وانتظر الأوامرْ

محمود :

ولكننا سيدي ..

الآمر :

« مقاطعاً »

هذا أمرٌ يا محمودْ

« إلى كاظم »

كاظم

كاظم :

سيدي

الآمر :

أوصِلْهُ إلى وحدتنا الطبيّه
إذا رأى الطبيبُ أن يستريحْ
فاتركْهُ وارجعْ أنت للدبابه

محمود :

واللّهِ سيدي أموتْ

إذا أعدتَني أموتْ

« يكشف عن ذراعه المصابة »

أنظرْ ..

جرحُ طفيفْ

ضمَّده كاظمُ لي وانقطعَ النزيفْ

أرجوك يا سيدي

الآمر :

محمودْ ..

منذ متى تخالف الأوامر؟

محمود :

سيدي

أنت أخي من قبلِ أن تكونَ آمري

أخاطبُ الآنَ أخي

تقتلُني الآنَ إذا أعدتَني

أعود ؟؟

كيف .. ؟ .. لماذا ؟ ..

وَخْزَةُ الأبرةِ هذهِ
من أجلها أغادرُ المعركة ؟!
وأتركُ دبابتي ؟؟
هي أيضاً تموتُ !
نموت معاً لو خرجنا من الساحة الآن
أرجوك يا سيدي ..
أتوسّلُ
أنظرْ ذراعي
« يحرك يده المصابة بعنف في جميع الاتجاهات »
أترى أنَّها فقدتْ ذرّةً من لياقتِها ؟
والله لولا هذه البقعةُ في قميصي
لما عرفتَ أنني مصابٌ
كاظم :
عفوَكَ سيّدي
أنا أعرفُ محمودْ ..
محمود فعلًا يموت اذا أُخرِجَ الآن
من ساحةِ المعركه
الشظيَّةُ في يدهِ غيرُ نافذةٍ

وأنا معَهُ حينَ يحتاج
أرجوكَ يا سيدي

الآمر :

« بعد إطراقة قصيرة »

هكذا ؟!
حسناً
إذهبا للقتالْ
ولكنْ ..
اذا ساء وضعُ رفيقِكَ
حالًا تعودُ بهِ

محمد وكاظم :

« يؤديان التحية بفرح غامر »

سيّدي !

الآمر :

إذهبا ،

« مع نفسه بينما يخرجان »

معكما الله
معكما الله

« يلتفت إلى مساعده »
سَيفهَمُ العالمُ يا علاءْ
بأننا نواجه الكون بأسْرِهِ بهؤلاءْ

(المشهد السادس)

[معارك ضارية متصاعدة ..
إنفجار قرب دبابة محمود]

(المشهد السابع)

[محمود جريح في المستشفى .. غيبوبة وهذيان]
« أخت محمود ممرضة متطوعة .. هي تتعرف »
« عليه ، ولكنه ـ لخطورة اصابته ـ لا يرى »
« بوضوح ، فلا يتعرف عليها . تعامله خلال »
« المشهد كاي جريح آخر ، مغالبةً عواطفها ، »
« دون أن تترك الآخرين يعرفون بانها أخته . »

محمود :
لبَّيكَ يا عراقْ

لبّيكَ يا عراقْ

لبيكَ يا ..

« يصحو .. ينظر الى الوجوه حوله »

أين أنا ؟

الاخت :

« مع نفسها »

الحمد لله .. قد استفاقْ

محمود :

من أنتمو ؟

أين أنا ؟

الطبيب :

أنت هنا ..

في أرضك العراق

محمود :

أنا هنا .. ؟

في أرضيَ العراقْ ؟؟

كيف ؟ ..

لماذا .. ؟ .. كيف .. ؟

في العراقْ ؟

عراقْ ..

عراقْ ..

« يعود الى الغيبوبة »

الطبيب :

هذي هي الاصابة الثانيه

آخر :

وهل أُصيبَ قبلَها ؟

الاول :

أجل

ذراعُهُ كما ترى

لكنه لم يلتجيء للوحدة الطبيّه

ضَمَّدها رفيقُهُ ، وواصل القتالْ

محمود :

« غيبوبة وهذيانْ »

من أجلِ أولاديَ يا عراقْ

من أجلِ أولادي
من أجل أولادي

(المشهد الثامن)

[فلاش باك .. اطفال يلوّحون على الرصيف]

ــ هذا أبي
ــ هذا أبي
ــ ماما انظري .. ذاك أبي
ــ بابا ..

(المشهد التاسع)

[فلاش باك]
[حديث مع رفاقه الجنود في ساحة المعركة]

محمود :
ما برحوا أطفالْ
لكنهم بصبرهم
بكبرهم .. رجالْ

لمّا مررتُ أمام داري
كانت خيوط الضوء توشك أن تُشعشعَ بالنهارِ
قلتُ الصغارُ الآن في نومٍ عميقْ
لا بأسَ يا محمود ..
دعهمْ نائمينْ

(المشهد العاشر)

[فلاش باك]

« حوار مباشر مع الأطفال النائمين »

محمود :

من أجلكم أنتم ساعبر كلَّ غابات المدافعْ
من أجلكم أنتم أدافع
عن كلِّ شبرٍ في بلادي
هي مِلكُكم أنتم ،
فكيف يدوسُ تربتَها الاعادي ؟
خسِئوا إذا هم يجرؤونْ
ما دام فيّ دمٌ وعرقٌ نابضٌ
لا يجرؤونْ

(المشهد الحادي عشر)

[عودة الى المستشفى .. غيبوبة وهذيان]

محمود :

خسئوا إذا هم يجرؤونْ

خسئوا إذا هم

« يحاول النهوض من الفراش »

الأخت :

« تسرع اليه »

هَوناً .. هَوناً

إهدأ لا تَنكأ جرحَكْ

محمود :

جرحي ؟

الأخت :

أجلْ ..

أنت هنا جريحْ

ليس خطيراً ،

إنّما لا بدَّ أن تستريحْ

فقد نزفتَ من دِماك الكثيز

محمود :

نَزَفت .. ؟

الطبيب :

لا بأسَ عليكَ الآن

أعطيناك دمْ

محمود :

أعطيتموني دمْ ؟

الطبيب :

« مشيراً إلى أخت محمود »

الفضلُ للآنسه

هي التي أعطتكَ من دمائها

أختُكَ في الدماء

محمود :

أختيَ في الدماء ..

أختيَ في الدماء ..

[ينظر اليها نظرة غائمة .. يبدو له الوجه

كالحلم .. لا يتعرف عليه ، ولكنه يذكّره
بشيء بعيد ..]

(المشهد الثاني عشر)

[فلاش باك]
[في حديث مع رفاقه الجنود في الجبهة]

محمود :
مرّةً ،
قطعتْ يدُ أختي جدائلَها
يومَ ماتَ أبي
كنتُ طفلًا ،
ولم يُبْكِني موتُهُ
غيرَ أنيَ لمّا نظرتُ إلى شَعرِ أختي المكوَّمِ في الأرض
أجهشتُ
كانت جدائلُها تتجاوز ركبتَها
وكانت تُباهي بها بين كلِّ بناتِ عشيرتِنا
وفي لحظةٍ
خلَفتْ تاجَها

ونظرتُ إلى وجهها
قطُّ لم أرَ نفسي فقيراً كما كنت لحظَتَها
فبكيتُ
وها شَعرُ أختي يتوّجُ مدفعَ دبابتي

الاخت :

[يتراءى وجهها في المشهد وهي تهزج]

أختك أبد ما كصّتْ شَعَرها
ولا گالتْ على المايل شعرها
أحّا يحجاية انكصروا شَعَرْها
موش ابن اميّ ان ردّيت وراسك بيه لوله

(المشهد الثالث عشرْ)

[عودة إلى المستشفى]

« محمود يحدق بشبه غيبوية في وجه الاخت
بينما يرنُّ في أذنه صوتها »

صوت الاخت :

موش ابن امي ان رديت وراسك بيه لوله

موش ابن امي ان رديتْ وراسك بيه لوله

« يعود الى الغيبوبة »

الطبيب :

دَعوهُ يستريحْ

لكنَّه لا بدَّ أن يُراقَبْ

خشيةَ أن يدفعَ نفسَهُ من السَّريرْ

فجرحُهُ خطيرْ

الاخت :

سأبقى بجانبه قدْرَ ما أستطيعْ

الطبيب :

إفعلي لو سمحتِ

إنه يستحقُّ العنايه

الاخت :

« مع نفسها وهي تخفي دموعها »

يستحقُّ العنايةَ محمود،

أدري بِهِ .

(المشهد الرابع عشر)

[فلاش باك]

« بيت محمود .. أمه .. اخته .. زوجته وأولاده »

الاخت :

أخي لن يهابْ

لقد كان منذُ طفولتهِ بطلًا

تذكرين طفولةَ محمود يا أمّ ؟

الام :

أنا ربّيتُهُ يا ابنتي

الاخت :

كان يحمي صغارَ المحَلّةِ أجمعها

كلُّهم ينتخون بمحمود ،

. يفتخرون بهِ ، ويهابونَهُ

رجلًا كان وهو ابنُ عشرِ سنينْ

الزّوجة :

أولادُهُ ما برحوا أطفالْ

أربعةٌ ..

صغيرُهم في المهدِ ما يزالْ

الاخت :

ولهذا يقاتلْ

مَن إنن غيرهُ يدفعَ الخوفَ عنهم ؟

مَن إنن غيرهُ يدفعُ الموتَ عنهم ؟

من يقول لهذي الوحوشِ الضّواري

هذهِ الدارُ داري

والذين بداخلها هم صغاري

حتى الأرانبُ يا سليمه

لو مدَّ إنسانٌ يداً لصغارها ،

حتى الارانبْ

تغدو بأجمعها مخالبْ

الزوجة :

[بتردد]

الشرُّ لم .. يدخل عليه

الشرُّ خارج بيتهِ

وهو الذي يسعى اليه

الاخت :

ويلكِ يا سليمه

واللّهِ أنتِ ابنةُ أمٍّ حرّةٍ أعرفُها ،

ووالدٍ تربتُهُ كريمه

تقولين محمود يسعى إلى الشر .. ؟

لا ...

بل يلاقيه خارجَ حرمَةِ أولادِهِ

أتريدين محمود يقبع في بيتهِ

ناظراً بين أوجهِ أطفالهِ

وهو يرقبُهُم كيف يقتلُهم قاتلوهم ؟

الزوجة :

[مذعورة]

أموتُ أنا قبلَهم

الاخت :

أرأيتِ ؟

الام :

الشرُّ يا ابنتي وراء البابْ

وسوف لا يدقُّها مستأذناً منّا ،

ولا ينتظرُ الجوابْ

الاخت :

أمس قيل امكثوا خلف أبوابكم

فمكثنا

وفي لحظةٍ دخل الخوف

الام :

والد محمود ماتَ شهيداً

دخلوا بيتَهُ

قتلوه على أرضهِ وهو يدفعُهم عن محارمه

الاخت :

ثمَّ ماذا ..؟

مضى من مضى ..

سجَّلوهُ شهيدْ

وأما البقايا فصاروا عبيدْ

أمَّا اليوم فلا

لن نسمحَ للشرِّ بان يدخلَ ثانيةً هذا البيتْ

بل نخرجُ نحنُ لهُ

إسمعي يا سليمه

كلُّ حيٍّ له أجلٌ
إن يكنْ بعدَ عامْ
فالشجاع سيركضُ خلفَ منيَّتِهِ
والجبان سيركض
تجري منيَّتُهُ خلفَهُ
ثم يلتقيانْ
لا تُفرِّقُ بينهما ساعةٌ واحدة

اليوم ما عادَ لنا أنْ نخافْ
على الذين يأكلونَ لحمَنا
أن يمضغوهُ جيّداً
إذا استطاعوا !
لحمُنا ما عادَ يا سليمه
لكلِّ مَن هبَّ ودبَّ في الثرى غنيمه
واللّهِ إنّا أنفسٌ كريمه
واللّه إنّا أمّةٌ عظيمه
وليَفهم الشرُّ إذا همَّ بنا
أنَّ له عاقبةً وخيمه

الام :

هلهلي يا ابنتي

إنَّ زوجكِ منذُ طفولتهِ يستحقُّ الهلاهلْ

هلهلي يا ابنتي

تتلقّاهمو هكذا

ونودّعهم هكذا

هلهلي يا سليمه

(المشهد الخامس عشر)

[المستشفى .. محمود ما زال في غيبوبته]

الطبيب :

[وهو يرنو مستغرباً الى الاخت]

أراك سرحتِ بعيداً

الاخت :

[منتبهة اليه]

لمحاتٌ تذكرتها

[تنظر إلى وجه محمود]

محضُ ذكرى ..

الطبيب :

أتعرفينَهُ ؟

الاخت :

أعرفهُ .. ؟

ربّما .. !

الطبيب :

[الى زميله بعد أن ينظر الى الأخت نظرة طويلة

دعنا نرى رفيقه

الثاني :

رفيقه ؟

الأول :

هذا الذي هناك

الثاني الى اليمين

كانا في نفس الدبابة

الثاني :

عرفتُهُ ،

جراحةُ بسيطة

الاول :

هيّا بنا إليه

[الاطباء .. كاظم جريح ولكنه في حالة وعي كامل]

الطبيب :

كيف تحسُّ الآن ؟

كاظم :

في أحسن الاحوالْ

لو تسمحون لي لعدتُ اليوم للقتال

الطبيب :

قريباً تعود

كاظم :

قريباً ؟؟

الطبيب :

أجل ..

حالما تستعيد مرونةَ ساقِكْ

كاظم :

ولكنني بيدي لا بساقي !

الثاني :

عراقي !

[يضحكون جميعاً]

كاظم :

عراقي .. أجل !

شرفي أيها الأخ هذا

الطبيب :

شرفنا جميعاً

وأنتم الذين جسّدتموه

بكم نحسُّ الآن أنَّ العراقَ

زهوٌ ،

وأنَّ كلَّ واحدٍ من شعبنا عملاق !

كاظم :

حمداً لله

كيف تركتم محمود ؟

الطبيب :

نسأل الله أن يتحسَّن

كاظم :
بطلٌ
ما رأيت قتالًا كما كان يفعل

الثاني :
كلُّكم هكذا

[جريح الى جانب كاظم ، قطعت يده اليمنى ،
يتحدث إلى زواره]

الجريح :
[بانفعال]
الكلابْ
قطعوا لي يدي

الطبيب :
[وهو يلتفت إليه]
لا بأس أيُّها الصديقْ
تعتادها غداً ،
فلا تحزنْ

الجريح :
أحزنْ ؟؟

من قال إنني حزينٌ ؟
بل غاضبٌ أنا ..
ذراعي اليمينْ
كنتُ أريدها لكي ألقى بها الصهاينه
لا بأس !
أعلّمُ اليسرى
ومرّةً أخرى
أريهمو ..
أنا الذي أملك كفّاً واحده
كيف يكون القتال
أذيقهم كلَّ صنوف العذابْ
الكلابْ
يا حَيْف !
لو قطعوا اليسرى ؟
كنتُ أريد اليمينْ
ألقى بها اولئك الاراذل الآخرينْ
يا حيفْ !

الطبيب :

[إلى كاظم]

أرأيث ؟
كلُّكم هكذا

كاظم :

كلُّنا ..
غير أنَّ الذي كان يفعل محمود
شيءٌ يفوق التصوّر
يدُهُ ،
عينُهُ
صوتُهُ
كلُّ ما فيه كان يقاتلْ
بكل ما في جسمهِ الثائر من خلايا
كان يُجنُّ غيظاً
حين تمسُّ درعَ دبابته الشظايا
يحادثها وكأنهما يفهمان عواطف بعضهما

(المشهد السادس عشر)

« فلاش باك »

[المعركة .. محمود ودبابته]

محمود :

أنت أيتُها الاخت لا تحسنينَ تفادي المدافع
أنظري
إنَّ نيرانهم تتفجَّر حولكِ ،
ها هي تُنبتُ في الدّرع أسنانَها
أرأيتِ ؟؟
الشجاعةُ لا وحدَها الواجبه
الشجاعةُ والعقلُ أيتُها الاخت
الشجاعةُ والعقل
الآنَ هيّا
من هنا سوف نمرقُ كالسَّهم حتى نمزِّقهم
أنشبي كلَّ سُرفتك الآن في الارض
واستمطري غضبَ الكونِ أجمعَهُ
إنَّ مدفعكِ الآنَ مَن يحكمُ العاصفه
أرعدي الآن أيتُها الهُولةُ القاصفه !

(المشهد السابع عشر)

[المستشفى .. كاظم .. الاطباء]

كاظم :

هذي التي كِجبل الحديدْ
هذي التي كأنّها مئاتُ أطنانٍ من الوعيدْ
كانت لها مرونةُ اللعبةِ في يديه
كنتُ أحسُّ كلما حدثها
كأنها جميعها آذانْ
مصغيةُ اليه !

الطبيب :

انّهُ زوجةُ

كاظم :

وصفاز .. وأختُ وأمّ
غالباً ما يحدّثُ عن بيته
وخلالَ المعاركِ كان يخاطبُهم
وهو يدفعُ مهرتَهُ في وجوهِ المدافع
هكذا كان يحلو له أن يسمّيها

(المشهد الثامن عشر)

[فلاش باك]

[محمود يتجه إلى دبابته . خلال حركة محمود وحواره تبدأ تداعيات ذكرى زواجه .. هدير المدافع يتداخل معه نقر الدفوف والدرابك .. يمد يده الى غطاء المدفع ليرفعه فتتداعى له صورة زوجته وهو يرفع البرقع عن وجهها .. يمد يده ليلمس دبابته .. صورة زوجته وهو يرفع يده ممسكاً بيدها .

بين الهلاهل ونقر الدفوف وهدير المدافع

تتوحد صورة الزوجة بالدبابة .. إنه في هذا المشهد يُزَفُّ إلى المعركة .

كل ذلك يتم من خلال الانتقال بين وجه محمود المحتضر في المستشفى وتذكراته ، ومعدات المستشفى ، ووجوه من حوله .]

محمود :

[وهو يتجه الى دبابته]

أزفتْ يا دمي الآزفه

لم أجمّعْكَ إلّا لها

[دقات القلب .. موسيقى هادئة تنذر بالفوران]

أزفتْ يا دمي الآزفه

لن تصادف أمثالها

[الزوجة .. يد محمود تلامس يدها]

فرصةً فاغتنمها

مرّةً يا دمي في الحياة نواجهُ ميتتَنا !

[يتصاعد نبض القلب مع الموسيقى]

مرّةً واحده

ويقولون مات عزيزاً

أو نليلًا

وتخجل من قبرك الشاهده !

لصغاريَ كي يرفعوا في المدارس أروُسَهم

[مشهد أطفال]

ـ بابا ..

ـ بابا ..

ـ هذا أبي

ـ هذا أبي

ـ ماما أنظري ..

ذاك أبي

ـ با .. با ..

ونقول لتلك العجوز وفَينا

[صورة الام وهي تهزج]
أبوك العانبه عكاله ولا مالْ
نحن أولاد مَن دمُهُ ظلُّ دينَا
[صورة الأم]
وابوك الما نخر لا دم ولا مال
قد وفَينا
[صورة الأم]
ردناك الرّجة لهذي والامال
خل اولادك يين الآفة تزامط بيك

لتظلَّ عباءتها رايةً فوق داري
وأهازيجها في شفاه صغاري

أزفت يا دمي الآزفة
[صورة الام]
خل اولادك يين الآفه تزامط بيك
أزفت يا دمي الآزفة
[صورة الأم]
خل اولادك يين الآفه تزامط بيك

« ضربَات القلب تعلو .. تمتزج باطلاقات المدافع ..
بهدير المعركة »
[محمود وهو يحتضر .. هذيان ..]

محمود :
أيتُها العلامه
يا رايتي في رَهَج القيامه
أيتُها السيوف ..
يا سوفَ اهلي
يا خيل ..
يا رماح ..
يا بيارقْ
أيتها البنادقْ
ياه ..
يا لكَ من ..
من موكبٍ عظيمْ
الشمسُ تستقيمْ
الشمسُ تستقيم
أيتها السماء

أيتها الفيالق البيضاء
اليوم يوم عيدْ
اليوم يوم عيدْ
كلُّ الغيوم أمطرَتْ يا سيدي الرَّشيد !
الشمسُ تستقيم
من أنتَ يا .. ؟
لكنَّها دبابتي
جئتَ تعيدُها إليّ ؟
شكراً جزيلًا أيُّها الصديقْ
من أنتْ ؟
خالد ؟
خالدُ بنُ الوليد ؟؟
ياه ..
الشمس تستقيم
الشمس تستقيم
الـ شـ مـ س تـ .. سـ .. تـ .. قـ .. يـ ..

الاخت :

محمود

كلُّ الذي تراه
كلُّ الذي حلمتَ أن تلقاه
لقيتَهُ
كان حقيقةً كهذا الدم يا محمود
صار حقيقةً بهذا الدم يا محمود
ولم يكن أحلام
الضوء
الظلام
المجد .. المواكب الأعلام
أجدادك العظام
رأيتَهم أنت بهذا الدم
ولم تكن أحلام
محمود
خالد لا يموت
طارق لا يموت
وأنت لا تموت يا محمود
لأنكم رموز هذا الوطن العظيم
الشمس تستقيم

الشمس تستقيم

محـ .. مـ .. ـو .. د ..

(المشهد التاسع عشر)

[بيت محمود .. أمه .. أخته .. زوجته وأطفاله]

« تدخل الكاميرا .. واضح من طريقة دخولها ان السيد الرئيس يدخل البيت »، كل الترتيبات تجري على هذا الأساس . »

الاخت :

بطلًا مات يا سيدي

بطلًا

شامخاً كالنخيل

هادراً كالفرات

مفعماً بالغضبْ

مفعماً بالحياة

بطلًا كان يا سيدي حين مات

أنا ضَمَّدتُهُ

دمُهُ كان فوق يَديَّ يسيلْ

دمُهُ المستحيل

بين أحضانِ أختهْ
فوق أردانِ أخته
كلُّ وجهي تخضّبَ من دم محمود
كنتُ أشعرُ يا سيدي
أنَّهُ دمُ كلِّ العراق
دمُ كلِّ العربْ
كلُّهم يعلمونْ
كلُّهم في غدٍ يُسالونْ
نحن ثُرنا لِمَنْ ؟
وانتصرنا لِمَنْ ؟
والذي راح منّا شهيداً
لمن ؟

الأم :

هم جنودُكَ يا ولدي
أنت تعرفهم

تتكسرُ النخلةُ يا صدام
لكنّها لا تنحني

أنت الذي علّمتهم هذا

الزوجة :

كنتُ خائفةً يوم سافر محمود

وانتهى بعد يومينِ خوفي

أمّا الآنْ

فإنني أُعِدُّ هولاء

كي يقفوا في البقعةِ التي خَلَتْ

من قَدَمَيْ أبيهم

هذا أكبرُهُم

أهديه إليك من الآن

ليل نهار

يهتفُ باسمكَ عالي الصوتْ

ولهذا .. لن يخشى الموت !

الاخت :

ألف معذرةٍ سيدي

أنّ أختاً أمامكَ لم تمتلكْ نفسَها

فَزَهَتْ باخيها

إنْ يكنْ للبطولةِ أن تزدهيْ

فأمامَكْ

إنْ يكن للشهادةِ أن تزدهي

فأمامكْ

وليكنْ كلُّ زهوي أمامكْ

أنت يا سيد الزُّهو أجمعِهِ

[يتضح من حركة الكاميرا هنا أن السيد الرئيس
تهيأ للمغادرة .]

الأخت :

شرَفٌ قدومُك سيدي

شرفٌ لهذا البيت أنك زرتَهُ

ويه شهيد

لا دموع

لا والله

لا انكسارَ في الضلوع

لا والله

أنتَ تُعطي للجراح كلِّها معنى التَّحدي

أنت تعطي الميْتَ .. حتى الميْت .. قوّه

للتصدّي
فكيف أمامك ينكسر الزّهو يا سيدي

لا كدّرتْ يوماً محيّاك الكآبه
والله يا جمّ المهابه
كلُّ الدماء
تمضي ، وتبقى الأرض ..
يبقى الزهو ..
تبقى الكبرياء
يبقى ترابُ الأنبياء
حرّاً طَهوراً سيدي ..
كلُّ الدماء
عهدٌ علينا أننا نلدُ الدماء
تلوَ الدماء
ونريقُها يا سيدي
لتظّلَ هذي الكبرياء

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

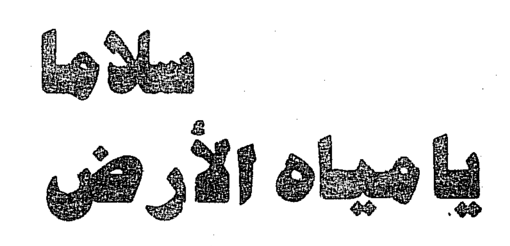
[illegible]

[illegible]

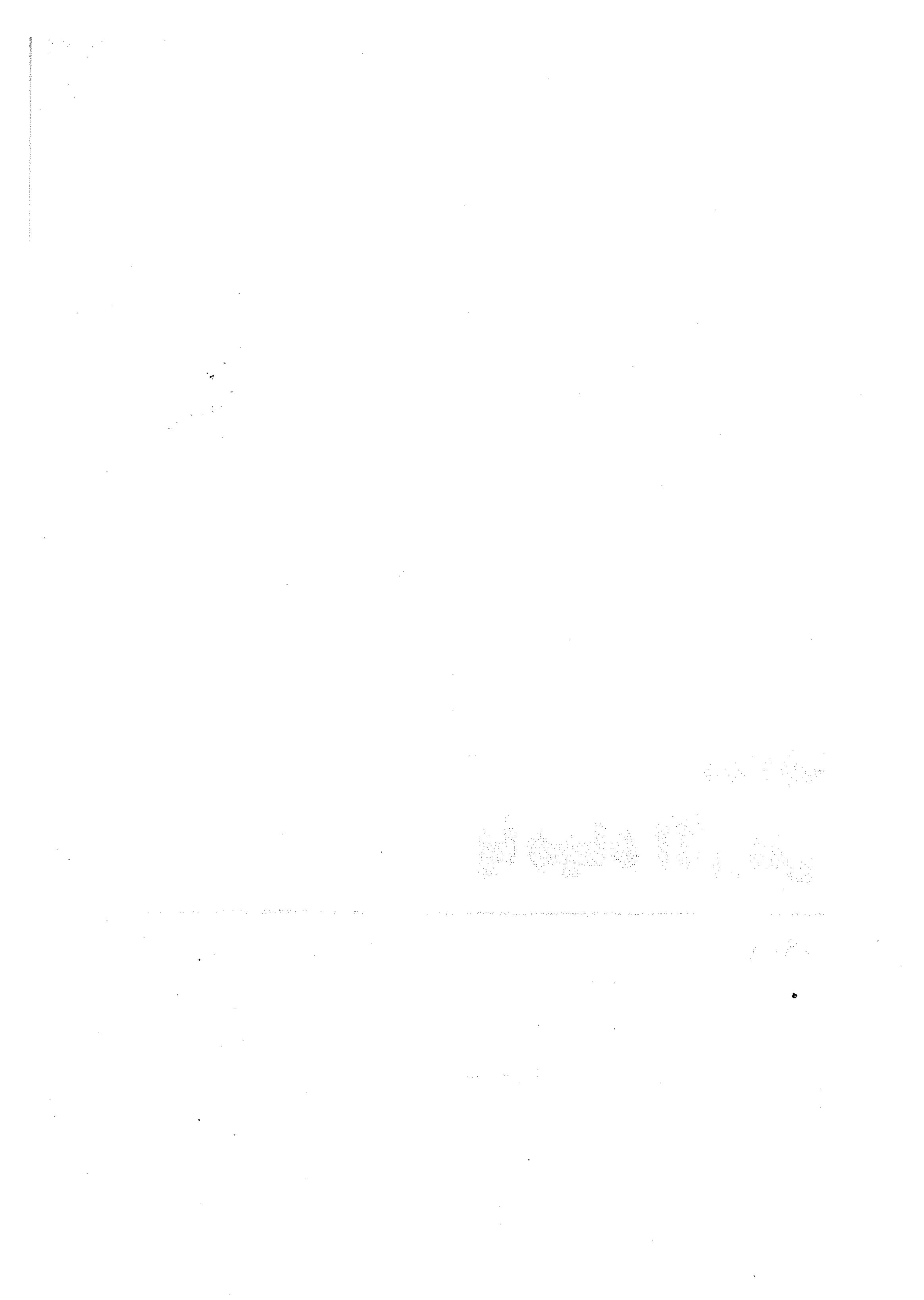
[illegible]

[illegible]

[illegible]



١٩٨٦



تهجّد

يا إلٰهي
قادر أنت أن تجعلَ الماءَ ناراً
وأن تجعلَ النارَ ماءْ
قادرٌ أن تُحيل الهواء
مطراً في الصدورْ
يا إلٰهي
دَعْ صواريخهم في فراغ تدورْ
إنَّ بغداد غافيةٌ
فلتكن أنت سورْ
إنَّ بغداد غافية
فلتكن أنت سورْ ...

تهجد

عفوك يا عراقْ
ها هو ضوءُ الفجر ينسلُّ الى مكتبتي،
يلوّنُ الاوراقْ ..
يوم جديد
والعراقيّون في الهور يقاتلونْ
اللهُ يدري ما الذي يمكن أن يكونْ ..

وأنتَ طولَ الليلْ
دماك تجري في شرايينك مثل الخيلْ
ترجفُ فرطَ الغيظِ والأرقْ
ولم تضعْ حرفاً على الورقْ

عفوك يا سيّد شعري ..
أيّها الأميرْ
يا أيها العاشقُ والمقاتلُ الكبيرْ

يا الصابرُ الكبير، والمثابرُ الكبيرْ
عفوكَ إني اليوم خاوٍ،
معدم،
فقيرْ
أفقرُ ما أكونْ
أوّل مرّةٍ بعمري أغمضُ العيونْ
من خجلٍ،
أنّيَ لا أملك ما أعطيك
والناس يقاتلونْ ...

تهَجد

لأنك العراقْ
لأنك المنشيءُ والمبدعُ والخلّاقْ
لأنَّ دمع الله في الدم الذي يُراقْ
من جرحك الشاخبْ
لأنك الواهبْ
لأنك الغيوزْ
لأنَّ كلَّ نبضةٍ من قلبك الجسوزْ
تدقُّ منذ أقدم العصور
معارج السماء كي تفتح باب النّوز
أكتب لك
حتى يضيء الله في السطوزْ
وتُرفع الأوراق
يا عراق ..

لُغتــــان

حين أنطقُ بالعربية

يُنصتُ ملتفتاً جهة الصَّوتِ

ثمَّ يصوِّبُ

أدعوك للسلمِ ،

لِلحلْمِ ،

لِلـ ...

تستقرُّ رصاصتُهُ في فمي

لُغتي غزقتْ في دمي

حين ينطق بالفارسيَّةِ

يشتمُ ،

يرجمُ ،

يرسمُ ألف طَريقٍ الى قتلهِ

تستقرُ الرَّصاصةُ في موضعِ اللؤمِ من قلبهِ
يتساقطُ
أسمعهُ خلفَ ساترهِ وهو يشتمني
مستفزاً مهانْ ..

لبنادقنا لغة واحده
ولنا لغتانْ

أيها الوطنُ المتكبر

بين دفءِ التوحُّد بالموت ،
والأنملِ الراجفة
بين صوتكَ والعاصفه
طلقة خاطفه
إن تجاوزتُها
إن فتحتُ لها معبراً في دمي
زمني كلُّه ينتمي
وأنا واقف
كلُّ أزمنتي واقفه !

أيُّها الوطن المستبدّ بما يهب الحبُّ حدَّ الشَّهاده
ألِلى الموت أم للولادة
هذه اللحظةُ النازفه ؟

لغتي خائفة

قلتَ إنَّ زنادكَ قلبك ،
ضع فوقه إصبَعَكْ
ثمَّ أطلقْ وقلبي معك
وأنا واقف
كلُّ أزمنتي واقفهْ

قلتَ إنَّ الذي يمنح الحبَّ قد يمنح الموت
في لحظة النشوة الجارفهْ
والشهادةُ كلُّ الهوى
عندما تأزف الآزفهْ

أيُّها الوطنُ المتكبِّر، يا أيها الوطن المتكبر
إنيّ عشقتُكَ درباً الى الحبِّ
درباً إلى الربِّ
درباً إلى لغة القلبِ
في اللحظة الكاشفهْ

غير أنك لم تعطني لحظة من حياتي
لم تكن أنت فيها
بين ذاتي وذاتي
هل رأيتَ عذاباً كهذا ؟

قلت إن التوحُّدَ بالشعر صوتُ
وبالله موتُ
وبالحب فَوتُ
وأنت تجاوزت حدَّ الطفولهْ
ثم شكَّلْتَ لي لغتي مثلما تشتهي
فبلغتُ الرجولهْ
وبلغتُ الكهولهْ
وأنا لم أزل بعدُ
طعمُ المناقير في شفتي
وارتجافُ العصافير في رئتي
صرتُ الثغُ كهلًا

وأنطقُ مثل النَّبيّين طفلًا
وأقسر نفسي على أن أكون الذُّبيحةَ والسَّيف
في لحظةٍ
هل رأيتَ عذاباً كهذا ؟

كلُّ دربٍ يسيرُ بها عاشقوك
بدايتها مطهرٌ
ونهايتها مطهر
ونجيئكَ
أرواحُنا فوق راحاتنا
نتوسَّلُ ..
هل ..
هل رأيت عذاباً كهذا ؟

بين بحرين مستغلقين نُذرنا
بدايتُنا موجةٌ لا نعيها

ونهايتنا موجة لا نعيها
وكلُّ الفجيعة في برزخ العمر بينهما
أفكان لزاماً على الماء أن يلتقي عبر مأساتنا ؟!

يا ظلالَ الأسى الوارفهْ
أيّ معجزة تمنح القلب أن يتفصَّد نبعاً

ليوصل مجرى ولادتهِ
لمصَبِّ منيَّتِهِ
وهو ينبض حباً
وكل شرايينه راعفهْ

لغتي خائفهْ
أنا أعلم اني سرقتُ دقيقة خوفٍ عسيرٌ حسابي عليها
أين لي أن أخبِّئها ؟

وكتبت وثيقة خوفٍ عسير حسابي عليها
كيف لي أن أبرئها ؟!
إنه زمن كلُّ ثانيةٍ فيه تكشفُ عن صدرها
لتمرَّ به طلقةٌ
من لنفسٍ تدافع عن حزنها ؟!

الزمن العلقم

لكَ وحدكَ أملكُ أن أُرخصَ نفسي
لك وحدك أحني رأسي
لجلالك وحدَكْ
أرفعُ مخموراً كأسي
مترعةً بدمي
هذا قلمي
ممتليٌ بك حدَّ الأرهاق
مختومٌ باسمكَ حتى تُرفعَ هذي الاوراق
يا هذا الساكنَ في أحداقي
يا ذا الملكوتْ
أنت الحيُّ الباقي
باسمك نبدأُ
واسمُكَ آخرُ ما ننطق حين نموتْ

باسم العراق

أكسَرُ الأختام عن صوتي المُدمّىٰ

بي ما أنوءُ به ،

وقد سمّيتُ حتى الغيب

لكنَّ الذي بي لا يُسمّىٰ

غاضبٌ أنت ؟

من أين لي بالغضبْ ؟

خائفٌ ؟

أيَّ شيء تراني أخافْ ؟

قد وردتُ الأسى من جميع الضِّفافْ

وشربتُ من الموت حتى نضبْ

موجَعٌ ؟؟

من جميع العربْ

لكنني سأظلُّ أزرَعُ كلَّ أسئلتي مرايا

لترى وجوهَكِ يا سبايا

علَّ الجباه تنزُّ من خجلٍ فتغتسل الخطايا
أهلي ضحايا
أولادُ أولادي ضحايا
وجميع من يلدون حتى آخر الدنيا ضحايا
وأنا أهدّدُ قاتليهم أنَّ قومي يسمعونْ
فيسيل طوفانُ المنايا
ثمَّ التفتُّ ،
رأيتُ قومي يسمعون ويضحكون ..!

أيُّها الحزنُ
إنَّ المروءةَ تمنعُ أن نتلفَّتَ في ساعةِ
الموتِ
لكنه أسف لا تقاومهُ
عمرَنا لم نمنَّ على أحدٍ
أو نحمِّلْهُ وزر كرامتنا

واللّه لو إحدى يديَّ تعثَّرتْ

بثيابها ، والموتُ يقتحمُ المدى
لقطعتُها بيدي وقلتُ لأختها
الآن وحدَكِ تُقبلين على الردى !

أيها الزمن المرُّ
يا أيها الزمنُ العلقمُ المرُّ
إنّا احتملناك حتى غدا مرتقى الصَّبرِ
منزلَقاً
كل فجرٍ نفتّحُ أعيننا
فنرى كلَّ أنهارك اختلفتْ
كلُّ نهر يُطَمئنُ مجراه طول النهار
فإن خيَّم الليل
تسمعُ دبيب خُطا الماء
وهو يبارح موقَعهُ

يا زمان اللصوصْ
يا زمان الوجوه المريبةِ

والأعيُنِ الزئبقِ اللا تقرُّ محاجرُها
إنَّ أرضَ المربّين تصبح أرض المرابين
والناس
تشربُ من حوضٍ مهدومْ
تأكلُ من شجرٍ مسمومْ
وتلابَسَتْ الأصوات فما تعرف صوت الظالم
من صوت المظلومْ

شبهةٌ في الأصابعْ
شبهة في الشفاهْ
شبهة في العيونْ
والذين تحاصرهم نظراتُ الخناجر
تلمع من فرجةِ الفمِ وهو يضاحكهم
يعلمونْ
أنهم أوثِقوا بشرايينهم
أنهم حوصروا بالدماء التي أوهِموا أنها دمُهم
انهم بمقاتلهم موثَقونْ

أين ترحل زنبقةُ الأرض
محمولةً من تراب فلسطين
فوق البواخر؟
كلُّ البلاد الغريبة موحشةٌ حين تدخلُها
لاجئاً
ما الذي سوف تصبح يا وطني؟
ملصَقاً للدعاية فوق زجاج الحوانيت؟
ثرثرةً في المقاهي؟
معرضاً
يقف العابرون بساحته لحظةً
ربَّما لاتِّقاء المطر؟!
أفتَحملُ نفسَك يا وطني كلَّما ضاقت الأرض
تبحثُ عن ملجأ؟
من يلملمُ في مهجرٍ وطناً؟!
يا بلادي التي ...

كيف أحملُ شمس شتائكِ بغداد
نحو المهاجرْ
إنَّ طلْعَ النخيل له موسمُ للطفولةِ
من أين أبدؤهُ ؟
أيها الحاملون غبار حقائبكم
هل حملتم بها وطناً ؟!
إن كل المحطات حزنٌ تلوِّحُ فيه المناديل
والقاطرات تصفِّرُ راحلةً

وطني ..
أيها الفرح اللا يسافرُ
يا أيها الوجع اللا يسافرُ
قد تكسر الضلع
لكن حبّكَ يُمسكهُ أن يمزّق لي رئتي
ولهذا أموتُ لأجلك !

أيها الحاملون بنادقكم في سطوح البواخر

إن المحيطات تخشع أجمعُها إذ يمرُ خيالٌ
لساقيةٍ في فلسطين
يملؤهُ عبَقُ البرتقال
وترجيع زيتونةٍ تتأرجحُ فيها
العصافير
هل يقتلُ الناسُ أوطانهم ؟؟

من يحاكم هذا الطعينَ الذي دمُه فاض حتى طغى ؟
من يلوم الذي يتلفُّتُ في لحظة الزلزله
فيرى نفسه وحده في دجى الموت لا عونَ لهْ
من يقول له لا تكابرْ
عندما تتجرَّد وحدَك للمستحيلْ
قاتلًا أو قتيلْ
تتحمَّل وزرَ ثباتِكَ وحدَكْ
ليقُم هَولُ كل القياماتِ بعدكْ
فالمراكب تعلم أن حمولتها علقمٌ
أن متَّكأً للجريمة مهَّدَهُ أهلُنا

أن كلَّ المِدى شُحِذَتْ
والأكفُّ التي لوّحت للمراكب
قد لا تلوّحُ ثانيةً

لكاني أبصرُ تلَّ الزعتر يبكي
ألمح صبرا تقطع كلَّ جدائلها وتصيحْ
أسمع صوتَ الريحْ
يا أطفال فلسطين
إنَّ سكاكين عمومتكم قادمةٌ
مدُّوا الأعناق بصمتٍ
فقلوبُ الأعمام رقاقٌ
إن يَصرخْ أحدٌ منكم
تبكِ ..!

الويلُ لكم
يا آكلي أثداء أمُّهاتكم

يا وائدي بناتكم
لأنهنَّ لا يعرضن ثديهنَّ للدّخيلْ
من بعد ألف جيلْ
تُنشَرُ من قبورها العظامْ
وتُسألُ الرِّمامْ
من بعد ألف جيلْ
يَستنطق الآتون حتى حجرَ المقابرْ
ويومَها تُسألُ حتى الضحكةُ اللئيمهْ
مَنْ فمُها ؟!
سيدفعُ الأولاد عنكم ديّة الجريمهْ
سيدفعُ الأولاد عنكم ديّة الجريمهْ

الاختيــار

« .. أنا ذاهب لاطهر هذا الراقم من الاعداء ..
وأعلم أني سأموت أوصيكم باولادي خيراً .. »
في فجر اليوم التالي ، كان للعراق على ذلك الراقم
علمان ، أحدهما يرفرف زاهياً فوق أعلى قمةٍ
في الراقم ..
والثاني يلفّ جثمان الشهيد البطل
العقيد صدام لازم

كيف صافيتَ نفسَك ؟
ما قلتَ يوماً ساكتب إلّا تملّكك الخوفُ
كلُّ البدايات تُفضي لنفس النهاية
لكنك العمرَ
تفزعُ من مُعبر الموت بينهما
كيف صافيتَ نفسك ؟

كنت توقظ أسئلةً يقشعرُ لها القلب
حتى ليصبح جلدكَ غابة شوكٍ
وتبحث عن أيّما مأمنٍ في جوابٍ تحاولُهُ
والقصيدة تنمو
تمدُّ أصابعها في جميع الشروخ التي
فتّحتْها الهواجسُ
تورقُ
تلتفُّ أغصانها حول روحكَ
تغدو وبينك والموت نبضةُ قلب

ويغبضها !

كيف صافيتَ نفسك ؟

إنَّ الهواجسَ غافيةٌ

والمخاوف أرخيتَ جلدكَ مرّ فوقها

فهي آمنةٌ

وهل ستوقظها ؟

ـ بل سنكتبُ

ـ أدري

وأدري بأني أحاول أن أتجنَّب هذا الأسى

عبثاً

أتكابرُ ؟

جاوزتَ خمسين عاماً

وها أنت ذا

كلَّما قلتَ شعراً

تجبَّرتَ

حتى كأنَّك من حجرٍ

وتكبَّرتَ
حتى كأنَّك تلبسُ جلد أخيلٍ
ودافعت أدنى الوساوس لا ترتقي كبرياءك
رعدتُها

خائفاً كنتَ ؟
أم بطلًا ؟
إنَّ أبطال أهلكَ لا يدَّعون ألوهيَّةً
أرِقوا
قَلقوا
عاشَروا في الخنادق كلَّ تفاصيل أحزانهم
ومسرّاتهم
ثمَّ حين يجيئهم الموت
كانوا يلاقونه بشراً
ـ لا ..
من يجرؤ أن يزعم هذا ؟

إني أبصرتُ مَصارعَهم
ورأيتُ إليهم
يركض واحدهم
ومنيَّتُهُ تركض هاربةً
حتى يمسكها
فيصيح بأعلى صوتٍ :
هذا موتي
ويموت ...
من يجرؤ أن يزعمَ أنَّ بني أميّ ماتوا بشراً ؟
أفأستنطقهم؟؟
من يرضى الساعةَ منهم
أن يتخلى عن مجد شهادته
فيكلّمني ؟

غير أنيَ أبصرتُ محمود
وهو يشدُّ على موتهِ بأصابعهِ العشر

كان يحدّثني ويمجُّ دماً
وتوسّلتُ أن يستكين
ولو لحظةً ..
كان مجدُ العراق بأجمعه يتدفُّقُ من فمِهِ
كيف أملكُ إسكاتَهُ ؟

ـ ها أنت بدأت
في لحظةٍ نسيتَ ما حولكْ
أغلقتَ كلَّ منفذٍ يوصل منك أو إليكْ
في لحظةٍ تصبحُ عملاقاً وأنت الذَّبيحْ
تغدو بثقل جبلٍ
وكنت قبل لحظاتٍ ريشةً تعصف فيها الريحْ

شكَّلْتَ اللغةَ الآن فيالقْ
ونشرتَ الكلمات بيارقْ
وتحفَّزتَ لتَقتلَ أو تُقتلْ
ـ أوقفْني إن تجرؤ

لم أملكْ أن أوقفَ محمودْ
رغم كلِّ التَّوسُّل
بالموت خطَّ قصيدتهُ .
قُلْ لدفْقِ الشهادة أن يسكت الآنَ
إن تستطعْ
وهبْكَ استطعتْ .
هبكَ مزَّقتَ هذي السطور ،
وكسَّرتَ هذا القلمْ
هبكَ ألغيتَ هذا الألمْ
إنَّ محمود ما عاد جرحاً ودمْ
إنَّهُ الصوتُ في داخلي ..
كلُّ حشرجةٍ
كلُّ حرفٍ ، وكلُّ اختلاجٍ بأوصالهِ
صار بعضي
يومَ أقضي
بعضُ محمود في داخلي سوف يقضي
ولهذا سأكتبهُ

ـ وإذنْ أنت منشغلٌ
ـ سأدوّن كلَّ اختلاجاتهِ
ـ وإذن فجميع الذي قلتُهُ عبثٌ
ـ كلُّ مكرمةٍ قالها وهو ينزع
ـ صافيتَ نفسك !
ـ من أين آتي بتلك المروءةِ محمود ؟
والوجعُ المتكبِّر حدَّ التألُّق
من أين آتي بهِ ؟
ـ عَبَثٌ ..
عبثٌ ..
ـ إنني أسمعُ الآن صوتكَ
أبصرُ جَحظةَ عينيك
شكلَ انطباقة فكَّيك
والدَّمُ ينبع من مَنبتِ الضِّرس في الشَّفة المستقرَّةِ
بينهما
وأنت تواصلُ تسجيلَ موتِك حرفاً فحرفاً بذاكرتي
أفتذكرُ محمود كيف بدأت حديثك ؟

حدَّقتَ فيَّ ..
إلى الآن أجهلُ إن كنتَ أبصرتني فتحدثتَ
أم كنتَ تهذي
ولكنّني أتذكَّر حرفاً فحرفاً جميعَ الذي قلتَهُ
نظرتَ إليَّ مليّاً
كأنك تذكُرني
أو كأنَّك تُنكرني
ثمَّ قلتَ وعينك شاخصةٌ :
كنتُ أصرخ
لا أتذكر ماذا نطقتُ
ولكنَّني كنتُ كالوحش أصرخ
كانوا مئاتٍ ،
وكنّا بشقٍّ ثلاثةَ مستوحَدين
جريح يحاول أن يتخلص من يدهِ
بعد أن ظل لا شيء يمسكها غير
جلدةِ مرفقها
كان يشتم

لكنّه ظلَّ يطلقُ نيران رشاشهِ
حين حاولتُ تضميدَهُ صاح بي غاضباً :
دَعْ يدي
إن خزّان رشاشتي فارغٌ
فاعِنّي على ملئهِ

لم نكن نتبيَّن منهم سوى خَبط أقدامهم في الصخورْ
وصراخهمو بين دفقةِ نارٍ وأخرى
حين ناولتُ جسّام رشاشهُ
لم يمدَّ يداً
لم يجب حين ناديتُهُ
فصرختُ
وأطبقت كفَّيَ فوق الزنّادين
أصرخ والنار تصرخ
حتى سكتنا معاً
في ضياء الغبشْ

كنت منكفئاً غائم المقلتينْ
أتاملُ أكوام قتلىٰ أمامي
وفي خندقي جثتينْ

أتراني تجبُرتُ محمود .. ؟
هل تلتُ عنك ولو خبراً أنت **تجهلهُ ؟**
هل رسمتُ ولو صورة أنت تنكرها ؟
أفبالغتُ فيك فحمَّلتُ تلك المروءةَ وزرَ ادّعائي ؟
محنتي هذه الآن أم كبريائي ؟
انّ خمسين عاماً من الهمّ
خمسين عاماً من الدمع والدّم
خمسين عاماً تقاتل عن نفسها
أنها وجُدتْ لحظةَ الصدق
فانفجرتْ كلُّ أورامها
أتقبّلُ كلَّ نتائجها الآن
حتى ولو كان موتاً كموتِك محمود ـ

ما أسرع ما تركض للموت
تختصرُ الدَّربَ إليه
وتهيم عليه
كأنَّ الموت كذا ..
شربة ماءٍ تشربها
ثم تغفو
وتنهض من بعدها بطلًا ..
هكذا تتجبَّر
تأتي لأقسى التجارب
تمسكها من نهاياتها
أفتعرف أي المسالك يسلك من يقبلون
على الموت ؟
ـ أعرف صدام لازم
لم يأتهِ الموت في غفلةٍ
أو بطرفة عينٍ

ولا اختصرَ الدرب
إلا بمقدار ما خطَّ تلك الرسالهْ

وضع الموت في متناول جرأتهِ
ثمَّ حاصرَهُ
ـ وتوهَّمتَ أنَّ شهادته محضُ موتٍ
كأنَّ المسافة بينهما ليس فيها سوى
وقع أقدامِهِ

ـ الويلُ لكْ
ما قال ما تقول حتى الله
كأنَّما كُلِّفتَ أن تُفرغَ حتى الموت من فحواه
أيُّنا الآن متَّهمٌ بالتساهل ؟
هذي القصيدة وهي تقطِّع أوردتي
ثم تمطرها واحداً واحداً ؟
أم وميضُ اتِّهامكَ

يبرق لكنه خُلّبُ ؟

يمكنني أن أتجنَّبْ
يمكنني أن أسكتَ
لا أغضِب أو أغضَبْ
يمكنني أن أسدل جلدي فوق هواجسيَ الآن
ياما أبصرتُ الشيطانْ
يلعب في الاسواق
بكل ما يُعرَض من أوراق
قد يربح الرهان
لكنه هيهات يستطيع أن يصرخ مفجوعاً من الاعماق
يا عراق !
وصدام لازم شقَّ بصرختهِ رئةَ الأرض
أجمعها
أفَتُوهم نفسَك أنيَ أختصر الدرب ؟
أبحث عن أيُما جثة لُأرسُمها بطلًا ؟؟
يا رصاصاً على كلِّ أرضٍ يطيش

كم نفذتَ الى قلب مستضعفٍ
كان أقصى أمانيِّه أن يعيش

ولكنَّه الدَّرب
لكنها لحظة المَعبرِ الصَّعب
كلُّ ما كان بعد رسالة صدام لازم
كان الصَّدى
والرسالةُ كلُّ المدى
ما الذي جال في ذهن صدام لازم لحظتَها ؟
بعد أيِّ صراعٍ ، وأيِّ معادلةٍ
صار موتُكَ صدام لازم عِدْل حياتك
أجمعِها ؟
عدلَ أهلك .. بيتك .. الذكريات ، المحبّين
أدمع زوجتك الأمّ .. بسمةِ شمسِ الصباح لعينيك
ضحكة أطفالك الآمنين ..
كلُّها أصبحتْ طرفاً
والعراقَ تلألأ في طرفٍ

وتوسَّط موتُكَ بينهما

وتوازنْتَ ..

لحظة بدءِ الرسالة صدام لازم

كنت تسمِّي لكلِّ المروءات أسماءها

كلُّ شيءٍ غدا حلُماً

غيرَ شيئين .. كانا الحقيقةَ أجمعَها

العراقُ وموتك

ثمَّ يسألني هاجسي :

كيف صافيتَ نفسك ؟

هل كنتَ صافيتَ نفسك صدام لازم

حين تخيَّرت ؟!

أم كان مجدُك أنَّك ألغيتَها

ووضعتَ العراق بديلًا ؟!

سلاماً يا مياه الأرض

في رحاب الشهاده
يخرج الشعرُ من جلدهِ عارياً
مثل يوم الولاده

نحن في حضرة الصدق والموت
في حضرة الزُّلزلهْ
كلُّ حرفٍ هنا آيةٌ مُنزَلهْ
أو سكونْ
نقول : خشوعاً ..
ونلتمس العذرَ للدمعة المُسبَلهْ

سأحاول أن أجعل اللغةَ الآن زلفى
إلى الله
الكلماتُ اللَّعوب

احتراماً تؤجّل لعبتَها
فالصراط الذي ستمرُّ عليه يقطِّع أعناقها
إنّها حرمة الدّم ألّا نُلفّقَ شيئاً على الشهداء
وألّا تَخفّ موازيننا في مهبِّ القيامه
فليكن كلُّ صوتٍ علامهْ
وليقفْ ربُّهُ خلفَهُ لا أمامهْ

خافقٌ أيها القلب مثل الحمامهْ
أنا أعلم أن مواجهة الميّتين مكابدةٌ
وجعٌ يذبح القلب
لولا المروءه
ما الذي تستطيعُ النبوءه ؟
ما الذي يفعلُ الشعرُ في حضرة الشهداء
سوى أن يقول كلاماً صغيراً
ويجلد من خجلٍ نفسَهُ ؟

سادتي المطمئنّة أرواحهم في سماواتها

إنني أوَّلُ المُتَحفِّية الآن أصواتُهم
رهبةً
كلُّ صوتٍ ،
ولو كان صوتاً نبيّاً
إذا فاض بين مدارجكم
يتهدَّجُ
يخلع سلطانَهُ
ثمَّ يُحرِمُ ملتحفاً عُريَهُ
خاشعاً كخرير السواقي
يقول : سلاماً أحبّاءنا
وتشعشعُ لؤلؤة في المآقي

سأقول لكم إنُّكم خيرُنا
وأقول لكم :
نحن نغفو ونعلم
أنَّ ابتسامتنا

وكرامتنا

سيُجتْ بشهادتكم

أنكم في منازلنا

تملكون مساقطَ زهوٍ

تبرعمُ في كلِّ ليلٍ حديثاً يثيرُ الشَّجي

في البيوت

ثمَّ نرقبُ أطفالنا

ينظرون إلينا موارِيةً

أنَّنا نتحدَّثُ

لكنَّنا لا نموتُ!

هل أضفتُ جديداً لما قال غيري؟

سأقول بأنَّ العراقَ يردّدُ أسماءكم مع خبز الفطور

كما يقرأ البسملةْ

كلُّ بيتٍ تعافون

لا أهلَ لهْ

كلُّ طفلٍ له نسبٌ بينكم
يتميَّزُ من بين أقرانِهِ
فلَهُ هيبةٌ
وبِهِ مرجلةْ

كيف أُطلقُ صوتيَ من حبسهِ ؟
نذرتُ اليوم أن أبكي فهل للدمع من ملجأ ؟
نذرتُ شغافيَ المذبوح
يضربُ في جدار الروح
طول الليل لا يهدأ
نذرتُ لكم دمي المُرجأ
ملأتُ به سراجَ القلب
يتبعكم فلا يُطفأ
صناديقٌ صدورُ الأهل
نُغلقها عليكم
لا يفكُّ ضلوعَها النِّسيان

أو أقفالُها تصدأ

ونذكركم ،

تجفُ منابثُ البرديِّ في الاهوار

لكنْ في مآقينا

تظلُّ كدمعةِ الجمّار

تقطرُ من فم النُّبُوت

تقتلُ نخلَها وتموت

أوجاعاً ليالينا

ومثلَ جداول الياقوت

ترشحُ من ثقوب القلب

داميةً أغانينا

ويبقى كِبْرُنا فينا

ويبقى زهونا فينا

وحين يهيج كالطُّوفان

نُطبقُ فوقهُ الأسنان

كبْراً صوتُ ناعينا

فلا يعلو سوى صوت الهلاهل والرصاص الحيّ

ولا يعلو سوى صوتِ المنادي صارخاً : يا حيّ

يَرشحُ في الصدور الدَّمع

ينضج في الوجوه الدمع

وبين الدَّمعِ والطلَقات

لا باكٍ ينوحُ ولا

سوى صوتٍ يصيح : هلا

هلا :

هلا ..

هله بالرّاد بيرغ يمْ خواتهْ

كسرْ عين العِده وعين الشّماتهْ

هلا بكْ يا گمر بالبيت لا ليثْ

ما يومٍ گلت بلكتْ ، ولا ليت

أنا الهزّيت كاروكك ولا ليت

عرفتك سبع من شدّ الگماط

ونحملكم على الأعناق

نحمل زهونا العالي
نشيداً ،
بيرقاً عالي
يطرّز صدرَهُ الياقوت
يبهرُ فتحةَ التابوت
ثمَّ يلفُّهُ العلمُ
ونرفعكم ،
وعينُ الكبْر
تنهرُ من يواسيها
سلاماً يا مياه الأرض ،
يا أعلى رواسيها
ويا سفُنا مراسيها
شواطىءُ جنَّة الرحمن
يا من تزدهي الأوطان
أنَّ نجومكم فيها
وأنَّ غيومكم فيها
وأنَّ جراحكم ستظلُّ مثل شقائق النعمان

تُزهر في فيافيها

ونَتبعكم ،

ملازمةَ الرَّنينِ معادنَ الأجراس

نتبعُكم لِحزِّ الراس

نحمل ضوءكم ونسير

نحمل زهوكم ونطير

نشتل في مهبِّ الموت أذرعةً وسيقانا

لعلّك يا عراق الكبر

حين تجيش تلقانا ..

لعلّك يا عراق الكبر

حين تجيش تلقانا

ألــواح الــدم

حين باع أبي بيتًنا ذات يومٍ
بكينا
ولكنَّ أمّي
أغرقتْ عمرَها في الظلامْ
بعدها بثلاثين عامْ
يومَ ماتَ أبي
كنتُ أسمعُها وهي تبكي
تقول لجثمانِهِ :
أنت تدري بأنّي سأغفرُ
حتى على بيع مسكنِ أولادنا
سأسامحكَ الآن
فاذهبْ قريرَ العيونْ ..
ولكنَّهُ بيتُهم ،
أيبيعُ أبٌ بيتَ أولادِهِ ؟!

باسمِ العراق أقول

إنَّ الأرضَ سوف تدورُ دورتها

وتسجدُ مرَّتينْ

المخوف

حين تكونُ بابلُ تحتَ برج الموت

وهي تشدُّ ألويةَ التحدّي

ثمَّ تسجدُ مرةً أخرى

وبابلُ مسقطٌ للشمس

عندئذٍ تدور الشمس حول الأرض حدَّ الاحتراقْ

باسم العراقْ

سأقولِ إنَّ الأرضَ ناعورٌ

وإنَّ بهيمةً معصوبة العينين

هائلةً

تدور به على فلكٍ مشاكسْ

وتجرُّه اخرى الى فلك معاكس

سيميلُ قطبُ الأرض حدَّ الانكسارْ

ولسوف ترتجفُ الدُّنا ممّا تفيضُ دماً ونارْ
كلُّ البراكين التي انطفأت
ستقذفُ مرّةً اخرى رواجمَها
وتشتعل البحارْ
أشجارُ كلِّ الأرض سوف تصيح
كلُّ الريح
تخرج من مكامنها وتجري
يفزع الأمواتُ تحت الأرض من قبرٍ لقبرِ
كلُّ ذي جنحين
سوف يطيرُ مشتعلا
تسيرُ جبالُ كلِّ الأرض
يسحق بعضُها بعضاً
فيغدو الكون كوماً من حجارْ
حتى إذا انكسر المدارْ
ينشقُّ جذعُ الأرض عن صوتٍ مهيبِ الكبرياءْ
سَبَحاتُ إبراهيم فيه
وفيه طُهرُ الأنبياءْ •

فيشدُّ قطبَ الأرض شدّاً وهو يصعد للسَّماءْ
وتكون بابلُ عندها ضوءاً ،
وسنبلةً ،
وماءْ

ومسرى شراعْ
وبيتاً لأولادنا لا يُباعْ

بالتذكُّرِ أبدأُ مجرى دمي
لستُ أدري لماذا يكلّفني الشعرُ أن أنتمي
فأنا أتتبَّعُ جرحي الى مقبض النَّصلِ
مئذنةً يصعدُ الجرحُ حيناً
إلى الله
أو يحفرُ الروحَ بئراً
ينزُّ بها صوتُها أدمعاً ومرايا
تتكاثرُ فيها الرؤى

تتوالدُ فيها الخطايا
كلّما جمّعتْ نفسها للأذان
تكسَّرت الصَّرخةُ المستفزَّةُ في قاعها
واستحالت شظايا

لحظةً أيُّها الصَّوت
تُفزعني حين تشطرُ نفسكَ شطرَين
شطراً يصير إلٰهاً
وشطراً يلوذُ بهِ خائفاً
أنت صوتي
وأركع من رهبةٍ خاشعاً حين تنطقُ
كينونتي كلُّها في مهبِّك تصبحُ
كالطيرِ في العاصفه

هذا قدَري
في ذروةِ ليل الهمّ
أملكُ أن أقرأ لوحَ الدَّمْ

يا عبدالرزاقْ
إن كنت تحاولُ أن تصبأْ
أو تتنبّأْ
فاخرجْ من جلدك هذا

فتُقْ كلَّ جروحكْ
وابحثْ عن روحكْ
ثمَّ ازرعْها في عينيكْ

فاذا جاوزتَ حدودَ الموتْ
ولصوتكَ صوتْ
فارفعْ هذي الأوراقْ
ستكونُ رأيتْ
وتكونُ رَويتْ
ويكون لصوتكَ أجنحةٌ

ولكلُ حروقكَ أحداقْ

يا عبدالرزاقْ
ميلادُكَ في موتكْ
موتُكَ في صوتكْ
فتأمَّلْ ،
فكلُ الفجيعةِ في الصَّوتِ هذا
بكاءُ وُلدِنا
وبكاءُ نموتُ
فمتى تتعلَّمُ أنَّ السّكوتْ
أبلغُ الآيتينْ ؟

يا حسينْ
والذي أرجعَكْ
حافلًا بالحياةْ
حاضناً كلَّ ماء الفراتْ

لو سكتْنا فأبوابُ كلِّ البيوتْ
سوف يوصدُها الدّودُ والعنكبوتْ
ولهذا نموتْ

يا حسين
إنَّ بعض المنيّاتِ حقٌّ
ولكنَّ بعض المنيّاتِ دينْ

لماذا تمثّلتُ باسمك يا سيدي ؟
ها هي الرّيحُ تجأرُ حولي مهبّاتُها
إنَّ موجَ القصيدة يصعدُ من ألف متّجَهٍ
كيف أمسِكُ شعفَتَهُ ؟

أنا أعلمُ أنّك تنهض في الحرف أكتبهُ
فأخاف لما فيه من هيبةٍ
والقصيدة هبْثْ

ولي لغةٌ ها أعنِّتُها في يدي
غير أنَّ رموزكَ تنهضُ مثلَ العماليق
حتى لترتعدَ الريحُ منها

لماذا تمثَّلتُ باسمكْ ؟؟
الأنَّ البطولةُ معقودةٌ فوق قبتِّك الآن
في كربلاءْ ؟
أم لأنَّ الدِّماءْ
أصبحتْ إرثَنا ،
فكأنَّا وُشِمنا بوشمك منذُ الولادهْ
فخرجنا وكلٌ على وجههِ شارةٌ للشهادهْ ؟

يا حسينْ
إنَّ للصمتِ في أرضنا آيتينْ
أن يكون كريماً ، عظيماً ، رحيماً
كصمتك
ممتلئاً بالمروءة

ممتلئاً بالنبوءة

ممتلئاً بالنّشوزْ

غَبشاً

يتوسَّطُ بين انتهاء الحياة

وبدء القيامهْ

وعليه علامهْ

أنّهُ مفعم بالحضوزْ

أو يكون كصمتِ القبوزْ

عندها نصبح الميّتَينْ

نحن والصوتُ في أرضنا يا حسين

ولهذا نطقْنا

ولأنَّ العراق أخونا

صدقْنا

ولأنّا وريثوك في الدّم قهراً

أرقْنا

ولكنّنا لا نموتْ
لأنّا ورثنا حياتك يا سيّدي
فهي ملء البيوتْ

أيُّها الناس
إنَّ الذين لهم وطنٌ
يملكون دماً ليعيشوا به فوقهُ
أو يموتوا به فوقهُ
إنّما دمكم حين أوطانُكم تُستباحُ
حرامٌ عليكم
أيُّها الناسُ إنَّ الجراح غصونٌ تشعَّبُ في الروح
إن يَبِستْ أمهَلتْ
وإذا يئِستْ قَتلتْ
فاتَّقوا اللهَ أن تحملوا وطناً حمل جرحٍ باحشائكم
واتَّقوا الله أكثر
أن تجعلوا جرحَكم وطناً

إنَّما الوطنُ الزُّهو والكبرياءُ !

يا عراقْ
أيُّهذا الوطنُ المُشرَعُ حبّاً وبنادقْ
أيُّها المزروع في كلِّ الخنادقْ
هل لنا أن ندَّعيك الآن والموتُ نطاقْ ؟
عندما نأتيك والأهوالُ طرّاً تعتريكْ
عندما نزرعُ فينا الخنجرَ المزروع فيكْ
هل لنا أن ندَّعيك ؟؟

يا عراقْ
يا عراقْ
يا عراقْ
وأفديكَ ،
باسمكَ مختومةُ رئتي

وعلى عتَباتك موشومةٌ لغتي
ولأنَّك تنزل مثل الشهيق
وتصعد مثل الزفير
بأضلاعنا
أصبحَت لشرايينا غُنَّةٌ
دمُنا بعضُ أصدائها
فإذا ما تفصَّدَ
تسمع صوت النَّشيش ينادي:
عراق ..
عراق ..
وللنَّبض رجعُ الدَّرابك من قريةٍ في الجنوبْ
ومن بين خُضر السّهوبْ
تُرى مهرةٌ تشطرُ الريح
تخفقُ كوفيَّة فوقها
ثمَّ تمضي
ويتبعها النَّبضُ مثل الدَّرابكِ ،
يصعدُ مثل الرَّصاصْ

ثمَّ يصبحُ مثل هدير المدافع
عندها يترجّل كالرمح بين الدّروع وبين المواضع
تلمعُ شاراتُهُ في سنا الشمس
ضحكتُهُ
ومهابتُهُ
لكانّي رأيتُ العمارة تركضُ
عذراء ، حافية القدمين
جدائلُها الريح
أثوابُها الريح
تُلقي على صدره زهوها
وهي محمومة الجسمِ
مبتلّةٌ بالعرقْ
فيمرُّ على شعرها بأصابعهِ
وهي تحلمُ
تحلمُ
تحلمُ ..

يا أهلَ ميسان

هذا حفيد الحسين

يهدهدُ شعرِ حبيبتكم

فانظروا

إن يكنْ كفوَها ...

البنادقُ تعلو زغاريدُها

ثمَّ يعلو هديرُ المدافعِ

تلمعُ شاراتُهُ في سنا الشمس

ضحكتُهُ

ومهابتُهُ

وهو في رهَجِ المعركة

أيُها المستقرّ ببيرقِ قامتهِ

بين ألسنةِ النارِ

والدَّعوات التي تصعدُ الروحُ فيها الى الله

مخضلَّةً بالدموعْ
أيُّها المتجذِّرُ بين الضلوعْ
نحن لسنا نقاتل عنك ،
ولسنا نقاتل فيك
ولا بكَ
لكنَّنا سنموتُ إذا شمعةٌ من دراريك
لم تتَّقدْ في الشموعْ !
ونقاتلُ صَفّاً وإيّاك
حدَّ يلامسُ أعناقَنا السيف
يَقطعها
ينكسُّرُ بين شرايينها
ثمَّ يهوي حطاماً على قدميك
وأنت ترفرفُ فوق مساقطنا
وتؤشِّرُ للمقبلين الطريقْ
أيُّها الأملُ المرتجىٰ والصَّديقْ
إنَّها أمَّةٌ

يعلمُ اللهُ ما بين أرحامِها

ونقاتلُ عنها

نقاتل عن غيرةٍ

نحن أهلٌ لها

شرفٍ نحن أصحابهُ

وترفرف أنت على الهامِ يا بَيرقِ الرافدين

ودعاءُ الملايين يصعدُ من قبرِ جدِّكَ

يرقى منائرهُ الذَّهبيَّةَ منتفضاً

يا حسينْ !

ولكَ المجدُ يا حاملَ المشعلينْ

إنَّه بيتُنا

بعد ذاك العَنا

بعد ذاك الصراغْ

بيتُنا المطمئنُّ الذي لا يُباغْ

زمنٌ يأتي

يُسأل فيه الأمواتُ عن الأحياءْ
زمنٌ آخر
يُسأل فيه الأحياءُ عن الموتى
زمن يأتي لا تسمعُ صوتا
ثم يجيء جوابُ الله
منِ كان له في هذا اليَمّْ
قطرةُ دمْ
فلينظرْ حيثُ انهمرتْ
سيرى الأرضَ انفطرتْ
واشرأبَّ من الفطر عودٌ
على رأسه زهرةٌ
كلُّ أوراقها خُتمتْ باسمِهِ
كلَّما قُطعتْ
نبتتْ من جديدْ
تلك جنّتُهُ ،
وله بين أولادنا
بين أحفادنا

عُمْرٌ لا يبيدْ

كلُّ ذي دمعةٍ بيننا
فبها سوف يُجزى
كلُّ ذي صرخةٍ بيننا
فبها سوف يُجزى
وسوى هؤلاءْ
بيننا ومروءاتهم
وشَلٌ لا دماءْ
الآن سأحملُ صوتي
وسأرفعُ هذي الأوراقْ
من يُبصرُ أبعدَ من عينيه
من يسمعُ أبعد من أذنيه
يسبقُ هذا الزمن الأعرج
ليرى ما قبل الاشراقْ

فغداً ،

بعد زوال الليلْ

بعد الريح ،

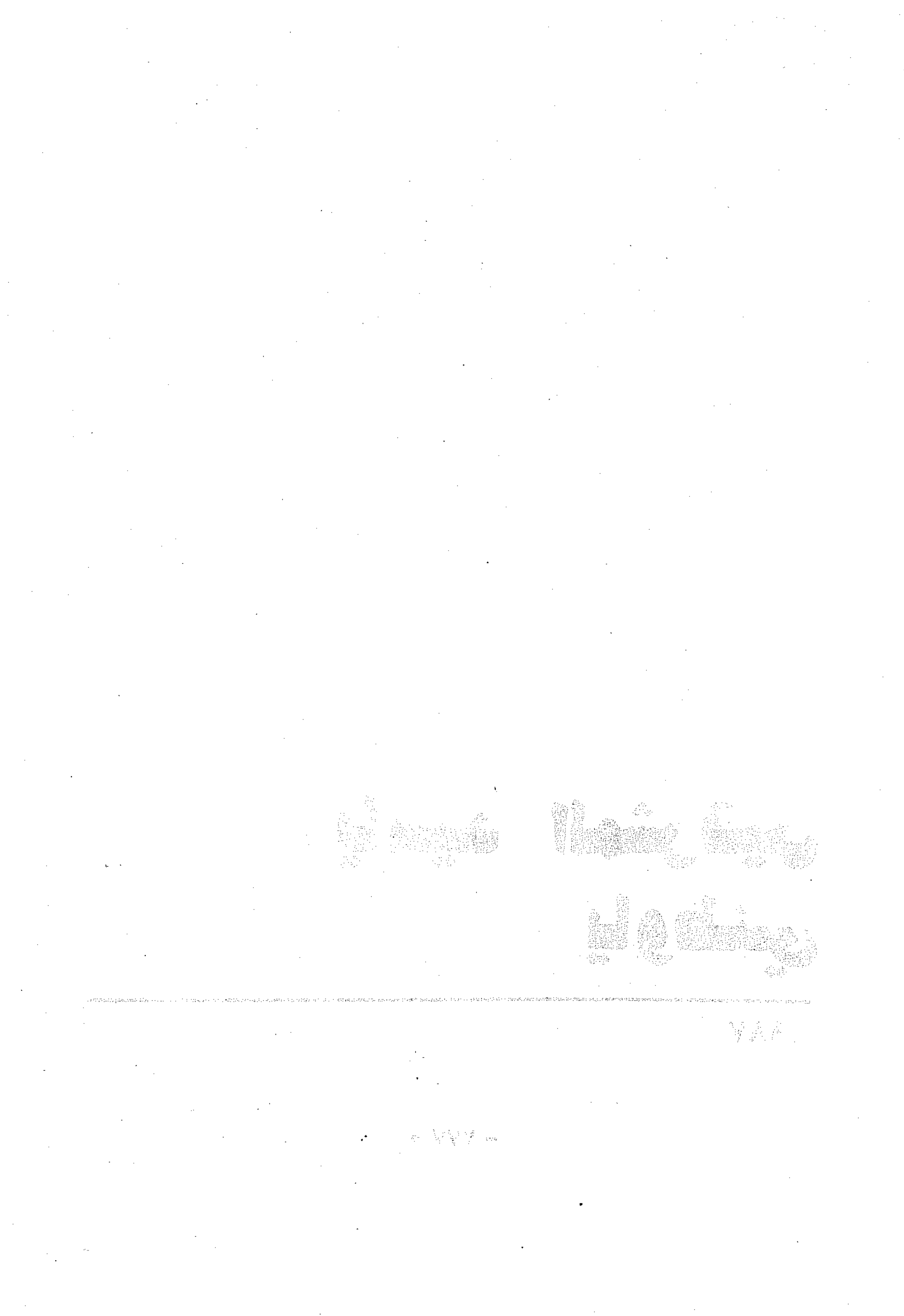
وبعد السَّيلْ

لا عذرٌ لعينٍ لم تُبصرْ

قبلَ الويل مهبَّ الويلْ ..

ياسيد المشرقين ياوطني

١٩٨٧



تركت ذرى بغداد
شطبا نخيلها

خُــذا بيــدي، أم أنتمــا عَجِــلانِ
فــإنّي أخــو همٍّ كمــا تَــريــانِ
ولا تعــذلاني يصفــحُ اللّــهُ عنكمــا
إذا كــان وجــدي غيــرَ مــا تجــدانِ
بلى عشتمــا عصراً مهيضاً جناحُــهُ
ســرى منكمــا في ليلِــهِ مَلَكــانِ
وأوقــدتُمــا والليــلُ ليــلٌ، أُهَيْلُــهُ
أفــاءوا الى نجمينِ يــأتلقــانِ
وأحيــا بعصــرٍ ليلُــهُ ونهــارُهُ
من الشّــكّ قد صــارا مزيــجَ دخانِ

طعينُ شكـــوكٍ فيـــه حتى شهيـــدُهُ
قتيـــلُ اتهـــامٍ كـــلُّ صـــوتِ أذانِ
فـــلا تَعتِبـــا أنّي احتسَبتُ .. أكنتُمـــا
على مـــوقفٍ كـــالآن تحتسبـــانِ؟

*

خُـــذا بيـــدي، إنّي كمـــا تَـــريـــانِ
غـــريبٌ وإن كـــان المكـــان مكـــاني
ولا تُكثِـــرا ســـؤلي، ولكنْ تَلطَّفـــا
وفُكّـــا ضمـــادَ الجُـــرح ثمَّ سَـــلاني
وإني ضمينٌ أنَّ مـــا تبصـــرانِـــهِ
بيـــانٌ لمـــا أُخفيـــه أيّ بيـــانِ
تمـــثّـــرتُ في كـــلِّ الحـــدود مضيَّعـــاً
ولَملمْتُ من كـــلِّ الحـــدود كيـــاني
وســـؤلتُ حتى لم أجـــد مـــا أقـــولُـــهُ
وأشهـــدَ حتى أظفـــري وبنـــاني
بصمْتُ على الأوراق كُـــلَّ أصـــابعي
وأسلَمتُهم قـــوسي وسهمَ رهـــاني

وهــا ألفُ ختمٍ في جـوازي تــرونَهــا

فهـل مَن يـرى الختمَ الـذي بجنـاني ؟

*

ألا مَن يُعين الجــرحَ والجـرحُ نـاغـرٌ

فيمنعُــــهُ هَــوْنــاً عن الفـــورانِ

ألا مَن يـــرى في مـا يعــانيه أهلُــهُ

مَهـــاضــاً ومــرقى غيــرةٍ فيعــاني

ألا من يعي أنّــا إذا مــال حملُنــا

على جــانبٍ ألــوى بكـــلّ جِــرانِ

*

تــركتُ ذرى بغـــداد شطبــاً نخيلُهـــا

مهيبـــاً محيّــاهــا على الحــدَثــانِ

تـــركتُ بهـا نهــراً لــو الشمسُ أطبقتْ

على الأرض لم يجفــلْ عن الجـريــانِ

تـــركتُ بهـــا أهلي يقيمـــون زهــوهم

على حــدِّ سيفٍ مــا يــزال يمــاني

ولــم تــوصِني بغـداد أنْ أستجيـرَهـا
على ضيق صــدري واحتبــاسِ لســاني
ولكنَّ بغـــداداً ، وعـــذراً لصـــرفهـــا
بــرَتْ خــافقي بــريــاً من الخفقــانِ
فيـــا سيّدَي حــرفي لـو انكُمـا هنــا
تُــرى كنتمــا عن قــولــةٍ تَجِمــانِ ؟
ويـــا سيّدَيْ حــرفي ، لـو انكمـا هنـا
أكنّــا نــرى للشِّعــر وجــهَ هِــدانِ ؟
ويـــا سيّدَيْ حــرفي ، وحــرفي مخضَّبٌ
لـــو انكُمـــا في جــرحــهِ تَلجِــانِ
تُــرى كنتمـــا والنــارُ تطــوي ذويكمـا
تُلصَــانِ عينـــاً ثمَّ تنـــزويـــانِ ؟
وهـــل كنتمـــا والـــواثبين تَنَمُّـــراً
وحقـــداً على أهليكمـــا تثبـــانِ ؟
تُـرى كنتمـا ، يـــا شـاعـران ، شمـاتـةً
بـــأهليكمـــا في المـــوت تشتفيـــانِ ؟

تعـــاليتُمـــا عمّـــا نـــرى في وجـــوهنـــا

من الـــوجيـــعِ المسمـــوم والشَّنَـــآنِ

وعـــوفيتُمـــا ممّـــا بنـــا من خَصـــاصـــةٍ

لفـــرطِ هـــوىً فينـــا ، وفـــرطِ هـــوانِ

وحـــاشـــاكمـــا ، واللّـــهِ مـــا قـــال قـــائـــلٌ

تـــزاوَرَ شـــوقي والخطـــوبُ دَواني

ولا حفظَ التـــاريـــخ عن شعـــر حـــافظٍ

وعن شخصِـــهِ إلّا التمـــاعَ سِنـــانِ

فـــإن تَـــريـــا أنّي تجـــاوزتُ ضفّتي

فَبي حـــاجـــةُ الأنهـــار للفيضـــانِ !

*

عـــداني بعفـــوٍ منكمـــا عن هـــواجسي

أم انكمـــا في المـــوت لا تَعِـــدانِ ؟

قـــدمتُ الى مصـــرٍ وكنتُ ظننتُني

أمـــوتُ وأحـــداقي لمصـــرَ رَواني

وأنّ مـــدى مـــا بيننـــا دونَـــهُ مـــدىً

من الـــريِّب يكبـــو فيـــه كـــلُّ عنـــانِ

ولي إخوةٌ في مصرَ، عشرين حجَّةً
لويتُ اشتياقي عنهمو فَلَواني
فيا خوفَنا من أهلنا، كيف أصبحتْ
عواطفُنا تحتاجُ صكَّ ضمانِ؟
ويا خوفَنا من أهلنا، إنَّ أهلَنا
قلوبٌ وإن شطَّ الزمان حَواني
ويا مقلتَينا، والعدوُّ أمامَنا
وفي الخلفِ أهلٌ، فيمَ تلتفتانِ؟!
أرومُ سوى الروم الذين.. إذن فقد
تأصَّلَ إرثُ الناس من غطَفانِ!

*

عذيريَ من همَّي فإنَّ جوانحي
بها من أسىً حربٌ بدونِ طعانِ
ويا سيّدَيْ حرفي وقد لجَّ بي الأسى
فأصبحتُ أخشى من يدي ولساني

أقيمـا معـاييـري عفـا الله عنكمـا

فـإنَّ معـاييـرَ الظنـون جَـواني

زمـانكُمـا أبقى جـراحـاً لاهلِـهِ

تُـرى مـا الـذي يُبقيه بعـدُ زمـاني ؟

* * *

القيت في مهرجان الذكرى المئوية لشوقي وحافظ في القاهرة ونشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٥ / ١١ / ١٩٨٢

نعاصي بك الدنيا

تعـــاليتَ مـــوهـــويـــاً .. تعـــاليتَ واهبـــا
ولبَّيـــكَ مطلـــويـــاً .. ولبَّيـــكَ طـــالبـــا
نُعـــاصي بكِ الـدُّنيا ، فلـو سال سيلُها
ســدَدْنـا عليـهِ بـالضلـوع المســاريـا
ونـــأتيـــكَ والفُـــوضى على صَهَـــواتهـــا
فنتـــرك فيهـــا السَّيف للسَّيفِ حـــاطبـــا
وفينـــا دمـــاءٌ يشهـــدُ اللّـــهُ أنَّهـــا
إذا أومـــأتْ يُمنـــاك جـــاشَتْ غَـــواربـــا
وفينـــا نفـــوسٌ أنت تـــدري جمـــوحَهـــا
تَخيَّـــرُ إن خيَّـــرتَهـــا المـــوتَ صـــاحبـــا
وزهـــوُ العـــراقيين إن قيـــلَ : مَن لهـــا ؟
ومسَّتْ يَشـــاميـــغُ الـــرِّجـــالِ المنـــاكبـــا

طَوَوها على صوتِ الهلاهلِ جالباً

عليهم قضاء اللّهِ ما كان جالبا!

*

أجِزْ زهونا صدام، عمرَ نخيلنا

يكابرُ عصفَ الريح ما مال جانبا

وعمرَ منايانا تحاذرُ بطشَنا

إذا أقبلتْ لم تأتِ إلا مَواكبا

وتعلمُ إن أبقَتْ لنا فضْلَ نبضةٍ

أقمْنا بها في الخافقَين الحرائبا

فتَسحقُ فادينا الى جذرِ عظمِهِ

وما يتبقّى منه يبقى مغاضبا

ترصَّدُنا الدُنيا لأنَّ رؤوسَنا

على قطعِها لا تستحيلُ ذنائبا

وأنَّ خيارَيْنا رَادنا أو انَّنا

نكون لكلِّ الأرض عيناً وحاجبا

*

أجـــزْ زهـوَنـا صدامِ إذ أنت زهـوُنـا

وأنت ابنُ هــذا الزُّهـو مُـذ كنتَ طـالبـا

ومُـذْ كـان هــــذا الشعبُ يمضـغُ صبـرَهُ

يَــرُبُّ ثعـــابينـــاً ، ويــؤوي عقـــاريـا

ومــــذْ كـان أصحـــابَ البـــلادِ غــزاتُهـا

وكنّـــا بهـــا المستضعفينَ الأجـــانبـــا

وأنت ابنُ هــذا الزُّهـو مُذْ كـانَ جرحُهـا

يجـــولُ بعينَيِ مستَفَــــزٍّ معـــــاتبـــا

أمـــا بين هـذا الشعبِ أطعمتُــهُ دمي؟

بلى ، بيننـــــا هـذا ، تعــاليتَ ســاكبـا !

بلى بيننـــــا هـذا ، و« هــذا » عــزيـزةٌ

يهبُّ لهـــا مجرى الفــراتَين صــاخبـا

إذا قلتُهـــا أبصــرتُ في الأفقِ فـــالــةً

ووجـــهَ صبيٍّ بعـــدُ مـا طـرَّ شــاريـا

وهلهــولـــةٌ ، ثمَّ العـــراق بــأســرِهِ

يجيش كيــوم القـــادسيـــةِ غـــاضبـا !

وأسمعُ مَن « هزَّتْ ولولَتْ » تصيحُ بي
ولَـدْنا لكم هـذا، وكنَّا نجائبا
ولَـدْنا لكم هـذا، و « هـذا » عـزيـزةٌ
بهـا نتحدّى المـوت طفـلًا وشـائبا

*

أجِـزْ زهـوَنـا صدام إذ أنت زهـوُنـا
وأنتَ ابنُ هـذا الزَّهـوِ مذ كنتَ طالبا
وأنت ابنُ هـذا الـزَّهـوِ ,مُذْ أيقظَ الفِدا
بجنبَيـكَ جـرحـاً للمـروءاتِ شـاخبـا
وعـزمـاً بـه من كـلِّ عصـرٍ تجمعَّتْ
بُـروقُ سيـوفِ الله تَهـوي قـواضبـا
وصـوتـاً كـأنَّ الله جـلَّ جـلالُـهُ
أرادَ لـه أن يستفـزَّ العـواقبـا !

*

نظـرتُ الى عشـرين قـرنـاً تصـرَّمَتْ
وظُنَّتْ أسـاطيـراً .. وظُنَّتْ خـرائبـا

وزحـــزحتْ عن عملاقِها سقفَ رمسِــهِ
فلمّـا رأى كـونـاً مليئاً عجـائبـا

وأجفـلَ ، كنتَ الصُـورَ في جـوفِ قبـرِهِ
فــزلــزلتَــهُ أكفـانَــهُ والغيـاهبـا

وأيقظتَـــهُ .. أيقظتَ تـــاريـــخ أمَّـــةٍ
أعَـــدْتَ لهـا مـا ظنَّـــهُ النـاسُ ذاهبـا

أعَـدتَ خيـــالًا من عليٍّ وبــأسِــهِ
ومن عمـــرَ الفـاروق أحضـرتَ غـائبـا

وصعَّـدْتَ حـدَّ الزُّهـوِ بالمـوت كلَّ مَن
مـــررْتَ بـه ، حتى الصَّغيـرَ المشـاغبـا !

وحتى غـــدا أطفـــالُنـــا من حميَّـــةٍ
يظنـــون ســـاحـــاتِ القتـــالِ مـــلاعبـا !

ومـــا كـان زهـواً فـارغـاً بـلْ تحمَّلـوا
رصـــاصـاً ، وكـــانـوا كـالطيـورِ أزاغبـا

رأيتُ إليهم يغبطـــــون جـــريحهم
فقـــد داعبتْـــهُ كفُّ صـــدام حـــادبـا

رأيتُ إلى ابني .. ابنِ عشـرٍ، وعينُـهُ
تكابِرُ .. يُقصي الدَّمع عنها مُغالبا
لأنَّ لـه صحبـاً أُصيبـوا ولم يُصَبْ
ومـرَّ بهم صدام يـاسـو مـداعبـا !
أجِـزْ زهـوَنـا يا زَهـوَ كلُّ بيـوتنـا
فنحنُ بـك المستعظَمـون مـذاهبـا
ونحن بـك المستكثَـرون أيـاديـاً
على قلَّـةٍ، والمثقَلـون مـراكبـا !

*

تعـاليتَ موهـوبـاً .. تعـاليتَ واهبـا
ولبَّيـك مطلـوبـاً .. ولبيـكَ طـالبـا
ونحن على مجـرى الفـراتَين غـابـةٌ
يعـانقُهـا مجـرى الفـراتَين لاعبـا
ألَمَّتْ بـه حتى تـلاقَتْ جـذورهـا
وهـامتْ بـه حتى تـلاقَتْ ذوائبـا
تحضُنُـهُ حتى تـرى لظـلالهـا
على المـاء روحاً مرهفَ الوجـدِ ذائبا

وحتى تـــرى نبضـــاً لكـــلِّ سُعَيْفَـــةٍ
كــأنَّ لها قلبــاً على الموجِ واجبــا !

فـــواللّـــهِ لـــو هبَّ النَّسيمُ بغيــرِمــا
يحبُّ الفـــراتـــان انتفضْنـــا كتـائبـا !

وواللّـــهِ لـــو مـــدَّ الـــزَّمـــانُ إليهمـــا
يَـــدَيْ ريبـــةٍ لم تلقَ فينـــا معـــاتبـا

ولكنْ تـــرى في كـــلِّ عينٍ حـــرائقـــاً
ومن كـــلِّ فـــجٍّ تلمـــحُ المـــوتَ واثبـا !

إذا جـــاء هذا المـــاءَ مَن جـاء غـــازيـاً
فمن دمـــهِ لا المـاء يـرتـدُّ شـــاربـا !

لـــك المجدُ ، مـرَّ الدَّهـرُ هـوجـاً ريـاحُـهُ
ونحنُ كمـــا نحن المنيعـــون جـــانبـا

ودقَّتْ طبـولُ المـوتِ في كـلِّ سُـوحِنـــا
فمـا وجـدتْ فينـا على المـوتِ نـــادبـا

ولا لمحتْ مِ الخوفِ باباً مواريَاً
ولا أبصرتْ فينا جباناً موارِيا
ولكنْ رأتْنا مُشْرَعاتٍ صدورُنا
وأبوابُنا ، نهوي سناماً وغاربا
ندافعُ كلَّ الموت عن كلِّ أهلِنا
ونهوي على سودِ المنايا عَصائبا
بلى أبصرتْ وجْهَ الفراتَين دامياً
وما أبصرتْ وجهَ الفراتَين شاحبا !
بلى شَعَفاتُ النَّخلِ ضجَّ ضجيجُها
وهيهات .. لا يحدَوِدبُ النخلُ هاربا !
ولكنَّ للنخلِ العظيمِ إذا انتخى
هلاهلَ تُذكي الرافدين حرائبا !

*

أجِزْ زهوَنا ، ستّون عاماً وزهوُنا
على ثورة العشرين يعتاشُ راهبا
تشبَّثَ بالتاريخ .. كلُّ سطورِهِ
أقامَ على أمجادهنَّ النوادبا

فــإنْ رفعَتْ هــامــاتِهــا كبــريــاؤنــا
أنســألهــا كيف استطــالتْ ذوائبــا ؟!

وأنت الــذي علَّمتنــا كيف نــزدهي
وكيف نكــون الأكــرمين مشــاريــا

وكيف نكــون الأنبَلين مقــاتــلًا
وكيف نكــون الأطهَــرين مضــاربــا

تُنبِّــهُ فينــا كــلَّ يــومٍ أرومــةً
وتــوقظ فينــا كــلَّ يــومٍ مــواهبــا

وتــزرع فينــا أن نحب حيــاتنــا
بــأنْ نتحــدّى المــوتَ مــا كــان راعبا

أجــزْ زهوَنــا .. نــزهــو .. ونــزهــو قليلــةً
علينــا إذا ألمــوتــورُ عــدَّ ألمنــاقبــا

صبَــرْنــا ونحنُ الأكثــرون مَصــارعــاً
وجُــدْنــا ونحن الأكثــرون مصــائبــا

نــزاحمُ خيلَ المــوت ، جازتْ بنــا الــدُّنــا
مفــازاتِهــا ســوداً ، وجُــزْنــا كــواكبــا

تـــدافعُنـــا الأهـــوالُ عن صَهَـــواتِهـــا
فيشكمُهـــا مستَـــوفَـــزُ الغَيظِ راكبـــا !
نُفَتِّـــخُ كـــلَّ المـــولجـــاتِ مهـــالكـــاً
ونـــوصِـــدُ كـــلَّ المُـــولجـــاتِ مَهـــاربـــا
ومـــا نفعُ أن تـــأتي حسيراً إلى الـــوغى
إذا لم تعُـــذْ منها خضيباً وخـــاضبـــا !

*

لـــكَ المجـــدُ، مـــا شبَّتْ بـــأرضٍ حـــرائقٌ
ولا مُطِـــرَتْ أرضٌ دمـــاً ونَـــوائبـــاً
كهـــذي الثـــرى .. نيـــرانُهـــا كـــلُّ حِقْبـــةٍ
تُصفِّي بهـــا أدغـــالَهـــا والشَّـــوائبـــا
طـــوى الـــدَّهـــرُ هـــولاكـــو، ولكنْ جـــراحُنـــا
لكـــلِّ ضيـــاءِ الأرضِ ظلَّتْ مَســـاكبـــا
ومـــرَّتْ بنـــا ريـــحُ المغـــولِ فـــأنشبَتْ
بـــأضـــلاعِنـــا أنيـــابَهـــا والمخـــالبـــا
ونحنُ كمـــا نحنُ المنيعـــون أنفُســـاً
على مـــا نُـــلاقي، والضِّخـــام مَـــآربـــا

أراقبُ وجــــهَ الأرض .. كــلُّ غضــونِهــا
وكـــلُّ ضحـــايــاهـــا سليبـــاً وســالبـــا

فـــأبصـــرُنـــا أبهى وجـــوهـــاً لأنَّنـــا
نظـــلُّ عليهـــا الأوفَـــرين متـــاعبـــا

وأبصـــرُنـــا أزكى نفـــوســـاً لأنَّنـــا
نســـامـــحُ حتى الأكثـــرين مثـــالبـــا

ألَمْ تـــرَنـــا صـــدام فَـــرْطَ حميَّــةٍ
مُلِئْنـــا على مَـــرِّ العصـــورِ مَعـــاطبـــا

حَملْنـــا عن الدُّنيــا جميـــعَ ديــاتِهـــا
وكنّـــا ضحـــايـــاهـــا صَليبـــاً وصـــالبـــا

وكنّـــا بهـــا عِـــذلَ الـــذي في نفـــوسنـــا
فلم نُقْصِ مغلـــوبـــاً ، ولم نُـــدْنِ غـــالبـــا

كـــذا نحنُ حتى جـــذْعُنـــا وهـــو جـــذعُنـــا
نقـــوِّمُـــهُ بـــالسَّيفِ إن مـــالَ جـــانبـــا !

طلَعْنـــا على الـــدُّنيـــا فكنّـــا مَشـــارقـــاً
وجـــاءوا الى الـــدُّنيـــا فكـــانـــوا مَغـــاربـــا

إذا سالَ سَيْلٌ بالرجال فَحسْبُنا

بأنَّ سجايانا تظلُّ الرَّواسبا !

*

لكَ المجدُ موهوباً .. لك المجدُ واهبا

ولبَّيكَ مطلوباً ، ولبَّيك طالبا

وأكرِمْ بما أجريْتَ ، أجريْتَ دافقاً

وأعظِمْ بما أورَيْتَ ، أورَيْتَ لاهبا

إذا كنتَ قد أغنيتَنا ، وفَعلْتَها

فكلُّ الغنى أنّا تَخِذناكَ صاحبا !

وكلُّ الغنى أنّا وجدناكَ نخلةً

إذا جاءها الاعصار يرتدُّ هائبا

وكلُّ الغنى أنْ كنتَ سيفاً مخضَّباً

وسهماً مدى ما تبصرُ العينُ ناشبا

وماءً لكلِّ الظامئين ، وواحةً

رؤوماً ، ونجماً في الدَّياجيرِ ثاقبا

وكانتْ بكَ الأغنى بَهاءً بيوتُنا

فقد كنتَ فيها أهلَها والأقارِبا

لقــد كنتَ فيهـا كـركـراتِ صغـارِهـا

أهـــازيجَهم .. أقـــلامَهم والمكـــاتبـا

يَرونَـــك حتى في الـدّفـاتـرِ بسمـةً

وزهـواً ، فيحني رأسَـهُ الطفـــلُ حـادبـا

وأوّلُ مـــا في أبجـــديَّـــةِ زهـــوِهِ

حـروفُ اسمِـكَ الـزّاهي فيتلُـوهُ كـــاتبـا !

*

تعـــاليتَ مـوهـوبـاً .. تعـالَيتَ واهبـا

ولبَّيـــكَ مطلـــوبـاً .. ولبَّيـك طـــالبـا

ونُمْ للعلى واسلَمْ ففي كـــلِّ بسمـــةٍ

لطفــلٍ مـــلأتَ الـــرافـدين مكـاسبـا

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٨٣

يا سيدي العراق

ساشكم خيلَ الـــريح لـو كنتَ تُشكَمُ
وألـــوي عنـــانَ الغيم لـــو كنتَ تُلجَمُ

وأعجمُ مجرى الماء .. يعنو الفراتُ لي
لـــو انَّـــكَ يـــا غيظَ الفُـــراتَين تُعجَمُ

أمـــدُّ لشعفـــاتِ النخيـــلِ أصـــابعي
أهـــزُّ بهـــا مـــا لم تـــؤمِّلْـــهُ مـــريمُ

أهـــزُّ بهـــا الغيظَ الـــذي كـــلُّ رطبـــةٍ
يســـاقطُهـــا هـــولٌ على الأرض مُضـــرَمُ

فيـــا سيِّـــدي كِبْـــرَ العـــراق ، تُميتني
شمـــوخـــاً ، وتحييني شمـــوخـــاً ، وتُتئِمُ

تـــؤشِّرُ لي مـــوتي لـــدى كـــلِّ مـــولـــدٍ
وتنشـــرني حيّـــاً ومـــوتيَ مُعلَمُ

ويـــا سيِّـــدي كِبْـــرَ العـــراق ، يشيلُني
إلى اللهِ ، جـــلَّ اللهُ ، مِ الـــزَّهـــوِ سلَّمُ

مـــددتَ بـــه أرقـــاهُ إمّـــا مـــؤزّراً

بنصـــرك ، أو تلـــك التي منـــه أكـــرَمُ

شهـــادةُ أنّي أصعـــد المجـــدَ صـــافيـــاً

فـــلا الجسمُ يَعييَ بي ، ولا الـــروحُ يُثلَمُ

ولكنني أستقبـــــلُ الله نـــــاشـــــراً

يميني ، وفيهـــــا منـــــك شمسٌ وأنجمُ

*

ويـــا سيّـــدي كِبْـــرَ العـــراق ، أمـــانـــةً

لـــزهـــوٍ بـــه علَّمتنـــا كيفَ نُغـــرَمُ

لتـــأســـرُنـــا في الحبّ عينٌ ، وننتخي

لعينٍ ، فنـــأتي المـــوت رهـــواً ، ونقحمُ

فقـــلْ لي ، وأنت الحبُّ ، دنيـــاكَ كلُّهـــا

تَهيبُ بنـــا ، من أيِّ نهـــرَيـــكَ نُفطَمُ ؟

وقلْ لي ، وأنت الحب .. صاحت ، وهلهلَتْ

عـــراقيـــةٌ .. أعمـــارُنـــا كيف تُعصَمُ ؟

لـــو انَّ الـــرّدى واللّـــهِ كـــانت نيـــويُـــهُ

جـــداراً من الفـــولاذ مـــا فيـــه مَخـــرمُ

لَشَقَّتْ عليه النارَ شَقّاً صدورُنا
وخضناه حتى لم يعُد فيه مقحَمُ
ويا سيِّدي كبرَ العراق، وكم لنا
من الزهو في دنياك .. والزُّهوُ أيهَمُ
يطيرُ بأهليهِ الى حدٍّ أنَّهم
يلوحون أيقاظاً وهم بعدُ نوَّمُ
لهم دفقةٌ في القلب حتى مع الكرى
تدقُّ: عراقُ اسلَمْ .. وتغفو .. وتحلُمُ
وها أنت ذا يا سيِّدي .. لم يَطْر بنا
جناحٌ، ولم يلهجْ بآمالِنا فمُ
كما فعلتْ أيامُكَ الغُرُّ كلُّها
فقلْ لي إذن من أيِّ مجدَيْكَ أحرمُ؟
أَجِمجِمةً في الموت؟ .. هل قال قائلٌ
رأيتُ العراقيين في الموت جمجموا؟
لقد نذرَتْنا الأرضُ في كلِّ مَجمرٍ
طيوراً أبابيلًا بها الموتُ يُرجَمُ

أأســأل تــاريــخ العــراق؟.. وقــائــعٌ
تصبُّ دمــاءً، أم حـــديثٌ مـــرجّمُ؟
إلى الآن من سُــوحِ الكــرامــةِ كلِّهــا
يفــوحُ لنــا عطــرٌ، ويجــري لنــا دمٌ
ويبقى العــراقيــون، لــو نــالَ أختَهم
نسيمٌ بمــا لا تــــرتضي فَهمُــــو هُمُ
يسدّون مجرى الـريح من كـلِّ وجهـةٍ
ويَعلُــونَ ظهــرَ الهــولِ والهــولُ مُــرزِمُ
بلى نحن يـــا صــدام أهلُــكَ .. كلُّهمُ
بـــأرواحهم لمّـــا دعــوتَ تحـــزّمـــوا
بلى نحن يـــا صــدام أهلُــكَ .. كلُّهم
عظـامٌ، ومـا يـأتـون في الـــرّوعِ أعظمُ
رأيتُ لهم والحـــــربُ يلظى أوارُهــــــا
وقـد أسـرجـوا فيهـا المنـايـا وألجمـــوا
وخـاضـوا مَخـاضـاً لم يخضْ مثلَـهُ أبٌ
ولا خــاضـه جَـدٌّ .. أمـالـــوا، وقــوَّمــوا

ومدُّوا إلى التاريخ جسراً من السَّنا
أضاءوا به ما كلُّ أهليهِ أظلموا
لقد علَّموا أوطانَهم كيفَ نصرُها
وما علَّموا أوطانهم كيف تُهزَمُ

*

ويا سيِّدي كنزَ العراق، وللهوى
وللغضبِ المحمومِ كفٌّ ومعصمُ
وإلّا فما معنى الهوى حين تُزدَرى؟
وما الغيظُ إمّا كنتَ في الغيظ تُخطَمُ؟
لأعجبُ من قومٍ يثيرون ضجَّة
وأفعالُهم حتى مع الرَّفع تُجزَمُ!
فما بهمو إلّا حراكُ وساوسٍ
إذا أُوقِظوا ناموا، وإن أُبصِروا عَموا
لك اللّهُ فيهم، إنَّهم لا أباعدٌ
فتُلفى، ولا أهلٌ كرامٌ فتُكرَمُ

وأفـــدحُ مـــا يَشجيـــك أنَّ بُعَيْضَهم
من العقـــربِ الصُّفـــراءِ في الضَّيقِ ألأمُ

*

أقِلْ عثرَتي في الصِّـــدق، فالصِّـدقُ أحزَمُ
فـــإنّي نـــويَتُ الكيَّ، والكيُّ أرحمُ
ثـــلاثـــةَ أعـــوامٍ ضَمَـــدتُ على الشَّجىٰ
جـــراحي، وتبقى ســـائلي: كيف أورَمُ؟
لَأعجَبُ أنّي مـــا أزالُ مكـــابـــراً
ومـــا زال في زعمي لـــدى الحقِّ مـــرهمُ
ومـــا زلت أرجـــو من أهَيْلي وفـــاءهم
وأهلي إذا أنجـــدْتُ في الحقِّ أتهمـــوا

*

أقِلْ عثرتي، ما كنتُ يومـــاً على الأذى
جـــزوعـــاً، ولا واللّه، قـــالـــوا، وهَمهمـــوا
ودبَّتْ مـــع الغـــازي عقـــاربُ شكِّهم
وظـــلَّ لنـــاري الصَّـــوتُ، والجـــرحُ أبكَمُ!

وهـــا أنـــذا .. مجـدُ الفــراتين كلُّــهُ
يُعـاصي ، فقـلْ لي أهلُنـا أين أولَمـوا ؟

*

ويـــا سيِّد الفـادين ، يا أجـدَلًا لـه
على قمّـــةِ النيـــران وكـــرٌ ومجثمُ
ثــــلاثـــة أعــــوامٍ وأنت على اللظى
تسـابقُ سيــلَ النــار أيّــانَ تُضـرمُ
وقفتَ بِشــدقِ الموتِ والمـوتُ فــاغــرٌ
فلم ينطبقْ فكّـــاه ، والنـــاسُ حُـــوَّمُ
يَـــرون إلى هـذا الشَّجـا غصغصتْ بـهِ
حلـــوقُ المنـايـا وهــو كـالبـدر يبسمُ
ثــلاثــة أعــوامٍ تقــودُ انــدلاعَهــا
وتحسمُ للتـــاريـــخ مـــا ليس يُحسَمُ
إذا لَملَمــوا أوصــالَهم فــرْطَ حيطــةٍ
تفــاجئُهم من حيثُ شَـدُّوا ولَملمـــوا

فتنثرهم نثرَ المذاري حصيدَها
وتُبقي لهم خوفاً إذا غبث يَدهمُ

*

ويا سيِّدَ المسرى، وحولك عصبةٌ
إذا الأرضُ مِ القطبين مادت تقدَّموا
فَدقُّوا بها سيقانَهم يزجرونها
ويُرسونها في الهولِ، والهولُ مبهَمُ
وما هي إلَّا جولةٌ يُحكمونَها
على الرَّوع حتى ينثني وهو مرغَمُ
وحتى تقيمَ الأرضُ هامَ جبالها
لتنظر ما ضاءوا عليها وأعتموا
وما خلَّفوا فيها، وما قدَّروا لها
وما نقضوا من شاخصَيها وأبرموا
يظلُّ العراقيون أسيادَ زهوِهم
على قدْرِهم كلُّ ازدهاءٍ يُصَمَّمُ

وقـــامـــاتُهم أطــوالُهــا عِــدْلَ كِبْــرِهــا
وَمـــا زاد منهـــا فهـــو للكِبْـــرِ منجمُ

*

ويـــا سيّدي كِبْـــرَ العـــراق، وفيـــك لي
من الزُّهوِ مـــا لم يُعطَ في الأرض ملهَمُ
محبَّـــةُ أهلي .. نشـــوةُ النـــاس في دمي
مبـــاهـــاةُ أولادي بـــأنّي لهم همـــو
وأعينُ أطفـــالِ العـــراق تحيطُ بي
وأفـــواهُهم تســـتـــذكـــر اسمي وتبسمُ
وتســـألني: خمســـون عـــامـــاً ولم تشِبْ؟
ولا .. من لـــه هذا الهـــوى كيف يهرمُ؟
يقـــولون في الخمسين مـــا زلتَ عاشقـــاً؟
وأقسمُ في الخمسين أصبحتُ أُغـــرَمُ!
أجـل يـــا عـــراق الكِبْـــر، عمـــري جمعتُـــهُ
بـــأعمـــارِ هـــذي النـــاس، والنـــاس أعلَمُ

بـــاني لهم صـــوتٌ، وأني لهم هـــوىً
وأنّيَ ممّـــــا أوقـــــدوا فيَّ ألهَمُ
يشيـــخُ الـــذي خـــان العـــراق بـذلّــهِ
وأبقى بــــه طفـلًا على الــزّهــوِ أفطَمُ!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٦/ ٩/ ١٩٨٣

والشمس يا صدام سيف

« مهداة الى وقفة السيد الرئيس بين وزراء الخارجية العرب »

ووقفتَ بين القــوم رمحــاً مشــرعَــا
كنتَ العـــراق تحـــدّيــاً ، وتَـــرفُّعــا
مـــوجُ الفـــراتَين استُفِــزَّ بــأســرهِ
في مقلتَيــك ، فضــاءَ غيظُهمــا معــا !
ووقفتَ رمحـــاً ، لــو يَــدٌ همَّتْ بــهِ
لتصــدَّعَتْ عنــه السَّمــاءُ تَصَــدُّعــا
كـــان العـــراقيـــون كـــلُّ عيــونهم
تـــرنـــو إلى لمعـــانِ عينــكَ خُشَّعــا
حتى نطقْتَ .. كـــأنَّمـــا شهــداؤنـــا
نطقـــوا بصـــوتــكَ أجمعين لنسمعــا

قالوا لنا بمُهيبِ صوتكَ إنَّهُ

محضُ العراق ، وكلُّ قولٍ مدَّعى

محضُ العراق ، وكفؤها شهداؤهُ

والمقبلون على الشهادةِ تُبَّعا

يتراكضون الى مساقطِ موتهم

حتى تكاد حتوفُهم أن تفزعا

بهمُ ، وما بسواهمو ، يجري غداً

موجُ الفرات مكابراً متدفّعا

علَمُ العراق أجلُّ زهرَ نجومِهِ

عن أن يرفَّ على الرؤوس مرقَّعا

واللّهِ يا صدام شِيباً مثلَما

كابرتَ نأتيها ، ونأتي رضَّعا

حتى نشيبَ بها ، وأنت كفيلُنا

سندقُّ بابَ الموت حتى يجزعا

وكما تظنُّ بنا ، وظنُّكَ منَّةُ

سنحيلُها الوِتْرَ الذي لن يُشفَعا

*

يـــا أنت ، يـــا عـــزَّ العـــراقِ ومجـدَهُ

يـــا خيـــرَ من آخى ، وقـــاد ، وجمّعـــا

مقبـــولـــةٌ أعـــذارُ قـــومـــكَ إنَّهم

بحيـــــادهم يَتلفَّعـــــون تَلفُّعـــــا

فمن الـــوجـوه تكـــادُ تبصـــرُ حـــاجبـــاً

ومن الأكفِّ تكـــــاد تلمـــــحُ إصبعـــــا

وتحمَّلـــوا ، وتـــزمَّلـــوا ، وتـــأمَّلـــوا

حتى الكـــلام تصنَّعـــوه تصنُّعـــا

فتخيَّـــروهُ منمَّقـــا وملمَّعـــا

وتـــدبَّـــروه مبـــرقشـــاً ومبـــرقَعـــا

وإذا خـــلاصةُ كـــلِّ مَـــا قـــدِمـــوا بـــهِ

« زعمُ الفـــرزدقِ أن سيقتـــل مـــربَعـــا » !

وعـــذرتَهم ، ووقفتَ رمحـــاً مشـــرعَـــا

متـــرفّعـــاً ، ضخمَ المـــروءةِ ، أروعـــا

تستقبـــلُ الشَّفَـــراتِ عنهم حـــاســـراً

وتســـامـــحُ العثَـــراتِ فيهم أصمعـــا

ويقـول قـائلهم : سننظـر في غـدٍ !
وغـدٌ لـه شمسٌ أبت أن تطلعـا
بسـوى يـديك وأنت في حلبَـاتهـا
والشمسُ يـا صـدام سيفٌ لادُعـا !

*

أكبـرتُ مجـدَكَ مـا أعـزَّ وأمنَعـا
وشكـرتُ ردَّكَ مـا أبـزَّ وأسـرعـا
لَبقيتُ في قلبي ، وبين جـوانحي
ورمٌ يعـاصي مقلتي أن تهجعـا
أنّي تُحمِّلُني المصـائبُ منَّـةً
في أنّ مـوكبَهـا عليَّ تجمَّعـا !
وحَسَمْتَ .. يـاللّـهِ ، حسمُـكَ لم يـزل
سيفـاً على ورَمِ الضميـر ومبضعـا !

*

صـدام .. حسبُ بمِ العـراقِ مـروءةً
أن قـد أضـاء بكـلِّ نفسٍ مـوضعـا

أنَّ العــراق بـــه استفـــزَّ مصـــائـــراً

كـــادتْ تمـــوت غضـــاضـــةً وتَـــوجُّعـــا

أنْ أمســـكَ الآلافُ من شهـــدائِـــهِ

قطبَ النفـــوس قُبيـــلَ أن يتـــزعـــزعـــا !

أنْ قـــال لـــلأعـــراب : قـــل لـم تـــومنـــوا

لكنكم تتـــيـــذرّعـــون تَـــذرُّعـــا

أنْ هتَّـــكَ الأســـرار حتى لم يـــدَعْ

وجهـــاً ، على مـــا أتقنـــوه ، مقنَّعـــا

فـــإذا بهم ، وبمُ العـــراقِ يـــروزُهم

يتلمَّســـون من الحقيقـــةِ مفـــزعـــا

أنَّ العـــروبـــةَ ، لا الـــذين رأيتَهم

يتنطَّعـــون على الهـــوان تَنطُّعـــا

لكنَّهـــا دمُ إخـــوةٍ لي قـــد جـــرى

ودمي على الأهـــوار ، واتَّحـــدا معـــا

لكنَّهـــا تلـــك المـــلايين التي

لـــو أطلِقَتْ لاتتـــك شُـــوســـاً ، نُـــزَّعـــا

أولاء مَن دمُهم دمي ، ولهم جـــــرى

دمُنـــا ، وحـــاشـــا أن يسيــلَ مضيَّعــا

*

يـــا سيّــدي ، عـــذرَ الكــريم لأهلِــه

إن شـــامَ فيهم للُجـــاجــةِ مَـــوقعــا

إني ، وأوجـــــاعُ العـــــراقِ تميتُني

لَيطيـــرُ بي داعي العـــراق إذا دعـــا

وأنـــا أقـــلُّ بنيـــهِ صبـــراً في الأذى

وأشـــدُّهم في النـــائبـــات تَفجُّعـــا

لكنّني ، وحيـــاةِ مجـــدِكَ ، في الـــرَّدى

تـــزهـــو بـــه عينـــاي حتى تـــدمُعـــا

فـــإذا زَهـــوتَ بـــه ، وزهـــوُكَ سيّـــدي

زهـــوٌ لَـــهُ ، فلقـــد رعَيْتَ ، وقـــد رَعى !

هـــذا العـــراق ، وأنت من شهَقـــاتـــهِ

سعت الـــدُّنـــا طـــرّاً إليـــه ومـــا سعى

إلا كـــريمـــاً ، صـــادقـــاً ، متكبِّـــراً

لا خـــائفـــاً يـــأتي ، ولا متصنِّعـــا

هـــذا العـــراق ، وألفُ ألفٍ عظيمـــةٍ
بـــدمائـــه انطفـــأت ، وظـــلَّ مشعشعـــا

واللّـــهِ يـــا صـــدام ، مـــا ضجَّتْ بنـــا
هـــذي الحـــدود ، ولا بهـــا نـــاعٍ نعى

لـــو لم يكنْ شرفُ العـــراقِ مـــدى المـــدى
حَـــرمـــاً من الشُّهُبِ المنيعـــةِ أمنَعـــا

نحن الـــذين نـــردُّ عن شُـــرُفـــاتنـــا
عينَ النجـــوم إذا نَظـــرْنَ تَخلُّعـــا !

آبـــاؤنـــا كـــانـــوا ، وصـــرنـــا بعـــدَهم
وسَنـــا الضُّحى أبـــداً يفـــوق المطلَعـــا !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٤

يلد الدهر كوكبا
كل ألف

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٨٤

كــــلُّ ألفٍ .. في ذُروةِ الأهـــــوالِ
بين خــوفِ البَقــا ، وخــوفِ الــزَّوالِ
واتّســـاعِ العيــونِ بين المَجــاهيـــل
على اليـــأس ، وانتظـــارِ المُحـــالِ
يَضَــعُ الدَّهــرُ حملَــهُ ، ثم يـرنــو
كبـــريـــاءً إلى السّنين الخَـــوالي
أنّ أرحـــامَهـــا ، وظُنَّت عقيمـــاً
قــد أضــاءتْ بكــلِّ هــذا الجــلالِ!

*

كــلُّ ألفٍ .. ومحــوَرُ الأرضِ يــدمى
وهــو ينـزو بين الهــدى والضَّــلالِ

يُنـــزلُ اللّـــهُ صـــوتَـــهُ المُتَعـــالي

رجـــلًا ليس مثلَـــهُ في الـــرّجـــالِ

يمســـكُ الأرضَ أن تميـــدَ ، ويُـــرسي

قُطبَهـــا عنـــد ذروةِ الـــزّلـــزالِ !

يلـــدُ الـــدّهـــرُ كـــوكبـــاً كـــلَّ ألفٍ

ثمَّ يُلقيـــهِ في مـــدارِ الليـــالي !

*

أيُّهـــا الفـــارسُ المـــؤجَّـــلُ من خمسينَ

جيـــلًا ، بين الـــرّجـــا والسّـــؤالِ

يـــرسمُ الحبُّ والتَّـــوَقُّـــعُ مَســـراهُ

ويبقى بين الـــرؤى والخيـــالِ

غـــامضاً ، غيـــرَ أنَّـــهُ واضحُ الصَّـــوتِ

بعيـــداً ، لكنْ قـــريبُ الظِّـــلالِ

كـــلُّ جيـــلٍ يقـــول : هـــذا .. ويخبـــو

صـــوتُـــهُ بين زحمـــةِ الأجيـــالِ

والمخـــاضُ العظيمُ يـــأخـــذُ ، جيـــلًا

بعـــدَ جيـــلٍ ، مســـارَهُ للكمـــالِ

ثمّ ضجّتْ مــآذنُ اللّـــهِ طُــرّاً
بـــأذانٍ مُستـــرجَـــعٍ من بـــلالِ
كـــان صوتَ العــراقِ صــوتُــكَ صدّام
وكـــانت أولى شمـــوعِ النِّضـــالِ !
كـــلُّ نخـــلِ العـــراقِ أثقلَـــهُ الطَّلْـــعُ
ومـــالتْ بـــالكـــرْمِ كـــلُّ الـــدَّوالي
واستطـــالَتْ قـــامـــاتُ كـلِّ العـــراقيين
بعـــدَ العَنـــا ، وبعـــدَ الهُـــزالِ
أصبـــحَ المـــاءُ في الفُـــراتين أشهى
صـــار أنـــدى حتى هجيـــرُ الـــرِّمـــالِ
وكبـــرْنـــا .. في كـــلِّ شيءٍ كبـــرْنـــا
في هَوانا .. في صبـــرِنا .. في القتـــالِ
وعَظُمنـــــا حتى على هـــاجسِ الغيبِ
عَظُمْنـــــا حتى على الآجـــــالِ !
صِـــرْتَ صـــدامُ في نفـــوس العـــراقيّين
رَصَـــداً لكـــلِّ نَبْضِ المعـــالي

كلّمــا مــالت الجــذوعُ سَمعْنـــا
هــاتفــاً في ضميــرنــا : لن تُمــالي
فنُعــاصي ، حتى إذا مــا استقمْنــا
تتــراءى سيمــاكَ مثــلَ الهــلالِ !

*

أيُّهــا الفــارسُ المُعَلَّمُ لا يثني
عنــانــاً ، ولا يَفيءُ لحــالِ
وكــأنَّ العصــورَ طُــرّاً تبــاريــه
فسَــزجــاهمــا رهينــا صِيــالِ !
يستفــزُّ احتــدامَهــا في مجــالٍ
والسُّــرى يستفــزُّهُ في مجــالِ
تعبَ الــدَّهــرُ سيِّــدي وتــراخى
وسَــرايــاكَ مُشــرعَــاتُ العَــوالي
تعبَتْ كــلُّ شهقــةٍ ، فهي تعلــو
فترى منــكَ بــارقــاً في الأعــالي !

كـــان فَـــرْطَ استطـــالـــةِ كـــلُّ دربٍ

فجعلتَ الـــدّروبَ فَـــرْطَ اختـــزالِ

*

أنتَ علَّمتَنـــا بـــأنْ نجعـــلَ الآجـــال

من بعضِ زادِنـــا في الـــرِّحـــالِ

فعَـــرَفنا منـــكَ الـــوثـــوبَ على المـــوتِ

لنحيـــا ، في لحظـــةِ الإجفـــالِ !

أنت علَّمتنـــا بـــأنَّ امتـــدادَ النَّهـــرِ

رهنٌ بسَـــــورَةِ الشَّـــــلّالِ

فجعلْنـــا حيـــاتَنـــا دَفْقَ مـــاءٍ

أو دمـــاءٍ مَـــوصـــولـــةِ الأنثيـــالِ

ذاكَ أنّـــا نفيضُ قَـــدْرَ التَّحـــدّي

فمصبّـــاتُنـــا بحجمِ النِّصـــالِ !

أنت علَّمتَنـــا بـــأنْ نتنـــاهى

لنـــزالٍ إذ ننتهي من نـــزالِ

أنَّ للخيـــلِ سطـــوةً لا تُجـــارى

هي بعضٌ من سَطـــوةِ الخيّـــالِ

انَّ قـوسَ الحيـاةِ في كفِّ بـاريهـا

صَـدوقٌ، مليئـةٌ بـالنُّبـالِ

أنت علَّمتَنا الـذي لم يجيءْ في العلمِ

لكنْ أتى بـوحي الفعـالِ!

*

أفـأندى مـروءةً من نَـدى عينيـك

إذ تحلُمـانِ بـالأطفـالِ؟!

أفـأصفى من نبضِ قلبِـكَ إذ تنطقُ

بـاسمِ العـراقِ في كـلِّ حـالِ؟

كصَـلاةِ المُقـاتلين انتفـاضـاً

تتهجَّـاهُ مُستفَـزُّ الخيـالِ!

أفـأوفى تَبـرُّكـاً وخشـوعـاً

من مـآقي عينيـكَ في الإنهمـالِ

كلُّمـا كنتَ في رحـابِ عليٍّ

هـائلَ النُّصـرِ، خـاشـعَ الابتهـالِ!

أفَـأحنى أبـوَّةً لـذوي الأكـرمِ

منّـا يـا خيـرَ عمٍّ وخـالِ

أنت علَّمتَنا الـذي لم يجيءْ في العلمِ
لكنْ أتى بـــوحي الفعـــالِ !

سيِّـــدي ، لا أشينُ سيِّـــدةَ الشِّعـــرِ
بحـــرفٍ أقـــولُـــهُ في المَـــوالي !
أنـــا أصفَيتُهـــا لـــوجهـــكَ بِكْـــراً
لم تُعكِّـــزْ حتى بهَمِّ القتـــالِ
فـــاغتفِـــرْ أنّني أوحِّـــدُ فيـــك الآن
نفسي ، وصِبْيَتي ، وعيـــالي
مشـــرئبّـــاً لـــزهـــوِ كـــلُّ العـــراقيّين
في يـــومِ مـــولـــدِ الآمـــالِ
*
يـــا حـــروفـــاً تُلِحُّ في القلَمِ السَّـــاعـــةَ
مهمـــا أرهقْتِني لن تُقـــالي !
*

أي الخيارين

الـــرَّصْـــدُ .. القلقُ المـــوتـــورُ .. الأمَـــلُ
الكبـريـــاءُ .. عيــــونُ النـاس .. الـــوجَـلُ
صـــراخُ «لبَّيـــك» والنيـــرانُ تشتعـــلُ
ويلمـــعُ الهـــائـــلانِ النَّصـــرُ والأجَـــلُ
أيُّ الخيـــارَين: هذا المعْبَـرُ الجلَـلُ؟
أم أن يسيلوا على بغداد .. لا وصلـــوا
فكـــلُّ بيتٍ بــــه من جيشهم رجـــلُ
مـــاذا يقول العـــراقيـون لـــو سُئلـوا؟!

*

رأيتُ بـــالامس قـــومـــاً كنتُ أحسبُهم
من العـــراق، وضـاقَ العيشُ فـــارتحلـــوا
رأيتهم في مقـــاهي كـــلِّ عـــاصمـــةٍ
وهم سُكـارى، وما هُم .. خُنَّـعُ .. هَمَلُ

فقُلتُ أهلي وإخـــواني .. جلستُ لهم
قلتُ : العراق .. ولم أكمل .. ولا حفلوا
ماذا بهِ ؟ .. قال منهم واحدٌ .. ضحكوا
نظرتُ خجلان من غيظي .. وما خجلوا !
أيُّ الخيـــارَين ؟ .. هـذا القيـح ننـزفُـهُ
من الضمير ، وقـد ضاقت بنـا السُّبُـلُ
مسّكعين على الأبــواب نُـــركَـلُ من
بـــابٍ لبـــابٍ ، ونستخـــذي فننتقــلُ
ونمـــلأ الـــرُّوحَ أورامـــاً نفجّـــرهـا
على العـــراق بمـــا نُـــؤذى ، ونُبتَـذَلُ ؟
أم أنت يـــا شرفَ التـاريخ ، نَشتـلُ في
تـــرابـك الحرِّ ساقَينـا كمـا شَتلـوا
وفيـكَ نـزعـــلُ .. قـد يُـودي بمعظمِنـا
لكنْ يُقصِّـــرُ من إذلالنـــا الـــزَّعَـــلُ !

*

خفّـــاقـةٌ مـلءَ روحي .. مـلءَ أوردَتي
هـــذي النجوم .. بـــدأتُ الآن أكتهـلُ !

وللكهــولــــةِ طقسٌ، من يصــدّقُــــهُ؟
أنَّ الطفـــولـــةَ تغـــزوهـــا فتحتفـــلُ!
وهـــا أنـــا غـــارقٌ في شـــرفتي ثمـــلُ
بـــألف ذكـــرى، وغيمُ الأمس ينهمـــلُ
وأنتِ زاهيـــةُ الألـــوان، ســـابحـــةٌ
في الـــروح.. أنجُمكِ الخضـراء تغتسـلُ
في بـؤبـؤ العين.. والـذكـرى تـلاحقُني
«عشْ هكـذا في علوٍّ».. تَبهَتُ الجُمَـلُ
ويختفي الكـــون إلّا أنتِ مـــائلـــةٌ
مبنى الـــوزارةِ، ممهـــوراً بـــكِ الأزَلُ!
يـا رايـةَ المجـــد والـزُّهـوِ الـذي نَبتَتْ
أعمـارُنـا فيـه.. مـاذا يصبـحُ البـدَلُ؟
أيُّ الخيارَين؟.. هل «بيضاً صنائعُنـا»
تبقى؟.. و«حمـراً مواضِينـا» ونحتملُ؟
نقـولُ، نفعـلُ مـا قـالـوا، ومـا فعلـــوا
ونبـــذلُ الثمنَ الضخمَ الـــذي بـــذلـــوا

أم تغتدي هٰذه الغربانُ أنسِرَةً
ونحن نحبو كما يستلبدُ الحَجَلُ ؟
ماذا يقول العراقيون لو سُئلوا ؟!

*

كنا ، ونبقى .. وعندي منكَ هاتفةٌ
في الروح يا هائلَ النَّهرَين تنسدلُ
تقول إنَّ الفراتَ الآن ضفَّتُهُ
تكادُ ممّا يجيشُ الماء تشتعلُ !
تقولُ إنَّ على العشار ألويةً
من العيون ، وإنَّ الساهرَ الأثلُ !
وأنَّ ميسان لو كحلاؤها وشلُ
لظلَّ يدفعُ عنها ذلك الوَشَلُ !
وأنَّنا يا مهيبَ النَّخل تَنخلُنا
فلا ترى مقلةً بالذلِّ تكتحلُ
يا سيّدي ، سيّد النَّهريَنِ .. يا وطني
يا يُتْمَ مَن خان .. يا حمّالَ من حمَلوا

أنت العـــراق ، وعنـدي منــك أجــوبــةٌ
من ألفِ ألفِ تنـــاهى عنـدَهــا الجَــدَلُ
أنّـــــا بحثْنـــــا لكلكـــاميش عن سببٍ
إلى الخلــود .. بذَلْنـا فـوقَ مـا بـذلـوا
فلم نجـــد سببـاً كـالمـوت في شــرفٍ
ونحن نعقِـــلُ مـــا آبــاؤنـــا عقَلــوا !
ونحن نـــدفـــع عن أولادنـــا سُحُبـــاً
ســـوداً عليهم غـــداً بـــالسُّمِّ تنهطـــلُ
وأنْ حفظنـــا لهـــذي الارض رونقَهـــا
وأنْ فعلْنـــا لهـــا مثــلَ الــذي فعلــوا

*

هــل قلتُ علَّمتَنـا يـا سيِّـدي ؟ .. أبـــداً
أدري بـــأنَّـــكَ تـــأبى أيُّهـــا الـــرجـــلُ !
أبَيْتَ لي ذات يــومٍ أنْ أقولَ : « صـدىً
كنّـا » .. وقلتَ العـراقيّـــون مـا ضُــؤلـوا

كـــانـــوا كبـــاراً ، وظلُّـــوا يُستَطـــالُ بهم
الصّوتُ هم لا الصّدى ، فاعدِلْ كما عدلوا !

وقلتَ لي ذاتَ يـــــومٍ إنَّـــــهُ قـــدَرٌ
أنَّ الشّعـــافَ تَـــلاقى عنـــدهـــا المُقَـــلُ

وأنَّ مَن شـــاءَ أنْ يـــرتـــاحَ من عَنَتٍ
يلـــوذُ بـــالسَّفـــحِ مجهـــولاً ، ويعتـــزلُ

يـــا سيّدي ، كلُّ فجرٍ ، كلَّمـــا انفتحتْ
عيني ، أرى قمَّـــةً في الأفقِ تعتـــدلُ

وأنت تـــرفعهـــا حـــدَّ السَّمـــاءِ ولا
أدري إلى أيِّ نجمٍ فـــرعُهـــا يصـــلُ !

حتى كـــأنَّـــكَ لم تتـــركْ ، ومعـــذرةً
لنـــا خيـــاراً ، فكـــلُّ الأرض تنتقـــلُ

أرجـــاؤنـــا قُلَـــلٌ ، أسمـــاؤنـــا قُلَـــلٌ
أنبـــاؤنـــا قُلَـــلٌ ، أبنـــاؤنـــا قُلَـــلٌ

فـــأيُّ سفـــحٍ يلـــوذُ المستكينُ بـــهِ ؟
وهـــل بنـــا مستكينٌ أيُّهـــا البطـــلُ ؟!

*

كنـــا ، ونبقى لما يُـرضي العُـلا مثـلًا

ولن يُـــذال بـــذامٍ ذلـــك المثَـــلُ

لا والـــذي صـــاغ من عينيـكَ زاجـرةً

كالسَّيفِ يجري عليها منبعُ خَضِـــلُ !

وشـــالَ منـــك على وديـــاننـــا جبـلًا

ومـــوئـــلُ العـــزِّ فينـــا ذلـك الجبـلُ

لَاربَـــعُ من بُـــرودِ المجـد عشتَ لهـــا

بهنَّ خمســـون جيـلًا سـوف تشتمـلُ !

عـــاماً فعـامـاً نسجنـــاها .. نُطـــرِّزُها

جرحـاً يسيـل ، وجرحـاً كـاد ينـــدمـلُ

وصـــرخـــةً ، وشهيـــداً .. ثمَّ فصَّلَهـــا

نصـــرُ العـــراق فكـــانت هـــذه الحلَـلُ !

هـــذا الاباءُ ، وهـــذا الـــزُّهـوُ نحملُـــهُ

وســـامَ عـــزٍّ بـــه للمـــوت نحتفـــلُ !

وكلَّمـــا امتـــدَّ عمـــرُ الحـــرب ، تمنحُنـــا

عمـــراً ، وأعمـــارُهم تـــذوي وتُختـــزَلُ

أجلْ ، لقـد أسَــروا منّـا ، وقــد قتلـوا
وقــد أساءوا ، وقـد ساءوا ، وقـد خَتَلـوا
وظـــلَّ ميـــزانُهم يعلـــو بكفَّتِـــهِ
في حين كَفَّتُنــا يهــوي بهــا الثِّقَــلُ
وأنت يـــا سيّـــدي تبقى تُعلِّمنـــا
أنَّ الـــرجـال إذا مــا أُرضِعــوا جُبِلــوا
وقـــد جعلتَ رضـــاعَ الأرضِ في وطني
بكــلِّ ثــديٍ كــريمِ النَّبــعِ يتَّصــلُ
فَســـالمَ اللّـــهُ مَن ســـالمتَ مقتـــدراً
وحـــارب اللّـــهُ مَن حـــاربتَ ، والـرُّسُــلُ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨٤

وللعراق اشتعال الروح

« أُلقيت في احتفالات عيد المرأة العراقية »

هـــذا مصيـــرُكَ ، نبضُ القَلبِ والـــورقُ
لكـــلُّ نجمٍ مـــدارٌ فيـــه يحتـــرقُ
نراهُ محضَ سنىً .. نرضاهُ محضَ سنىً
ولا نجـــادلُ فيـــهِ كيف يـــأتلقُ
كـــأنَّمـــا الضـــوء لا خـــوفٌ ، ولا ألمٌ
ولا ارتعـــــاشٌ ، ولا ضعفٌ ، ولا قلقُ
يـــا حـــاسبي طـــرفةً لا تلمسَنَّ يـــدي
فبي رمـــــادٌ كثيـــرٌ ، بعضُـــــهُ ألقُ
هـــذي بقـــايـــاي .. بـــل هـــذي بقيَّتُهم
كـــلُّ الـــذين أحبّـــوا قبلنـــا صـــدقـــوا

لا تتَّهِمْ ذا هـوىً .. من أين تعـرفُـهُ ؟

اللّـهُ يـدري بجـوف الليـل كم شهقـوا

*

يـا ربَّـةَ الشِّعـر ، أدري أنَّ ربَّتَـهُ

ميعـادُ خـوفٍ إليـه العمـرُ أنـزلقُ

مـا زلتِ وِسْـعَ هيـامِ القلب منطلَقـاً

ولم أزل عَـدَّ نبض القلب أنطلقُ !

لقـد وهبتِ جنـاحي ألفَ عـاصفـةٍ

حتى تشظَّتْ عليَّ السُّـوحُ والطـرقُ

وأنتِ ، والصَّهَـواتُ المجـدُ مـزيـدةٌ

أرسـانُهـا .. الهـوى ، والطِّيبُ ، والعبَقُ

ثمَّ الهـوى ، وتـرابُ الأرض ، والعَـرقُ

ثمَّ الهـوى ، وخطـوطُ النـار ، والعلَقُ

مـا هنتِ يـومـاً ، ولا زلَّتْ قـوائمُهـا

تلـك الجيـادُ . ولا مـالت لهـا عنُقُ

وهبتِ لـــلأرضِ زهـــوَ الأرضِ أجمعَـــهُ

فـــأيُّ عـــذرٍ لعـــذري فيـــكِ أختلقُ ؟!

*

يـــا أمَّ أكرمِنـــا .. يا أختَ أكْـــرمنا

يـــا أختَ مَن بـــدمـــاهُ الآن ينتطقُ

محـــزَّماً بـــكِ وشـــعَ الكـــون نخـــوتُـــهُ

وللعـــراقِ جميعـــاً حـــولَـــهُ حـــدَقُ

فكيف يكســـرُ زهـــواً أنتِ كـــوكبُـــهُ

وبين كفَّيــــهِ سيفُ اللَّــــهِ يُمتَشَقُ ؟

*

يـــا أمَّ أكرمنـــا .. يـــا زوجَ أكـــرمنـــا

مـــا أقربَ العهـــد لـــولا أنَّهم سبقـــوا

إنّي أحسُّ كـــأنَّ الأرض حيثُ هَـــوَوا

لهـــا رفيفٌ ، وفي أحشـــائهـــا رَمَقُ !

وذاك أنَّ دمَ المستشهـــديـن لـــه

مسـرى قشعـــريـــرةٍ بـــالأرضِ يلتصقُ !

أمطـــارُنـــا هـــذه ، نحن الغيــومُ لهـــا
هم الـــذين بهـــا في الملتقى بَــرَقــوا
فكـــلُّ ضـــوءٍ سنى جــرحٍ يضيءُ لنـــا
وكــــلُّ فيضٍ دمٌ للّــــهِ ينـــدلقُ
نعلّمُ النـــاسَ أنَّ النَّصـــرَ مـــوكبُهم
لـــو كـــان للسَّيفِ من كفٌّ بهـــا يثقُ
هـــا سيفُنـــا بـــاسمِ صـــدّامٍ نجـرِّدُهُ
ويـــاسمـــهِ لحيـــاضِ المـــوتِ نستبقُ
وهـــا حـــدودُ العـــراقِ الشُّمُّ آمنـــةٌ
كـــأنَّ عليهـــا عيـــونُ اللّـــهِ تنطبقُ !

*

يـــا أختَ كـــلِّ أئتـــلاقٍ في مـــرابعِنـــا
يـــامن بها أبـــدعوا .. يـــامن بها نطقـــوا
إن لم يكنْ ملهمي في كـــــــلِّ منطلَقٍ
هـــذا الجـــلال ، ففيمَ السُّهـــدُ والأرقُ ؟

هـــذا مداري، طــويتُ العمــرَ أفتحُــهُ

حينـــاً، وحينـــاً يعـــاصيني فينغلقُ

للحبِّ منـــه احتـــراقي، واتِّقـــادُ دمي

وللعـــراقِ اشتعـــالُ الـــروحِ والألقُ!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ٣ / ١٩٨٥

يا سيد المشرقين يا وطني

« الشعثاء »

شعثـــــاء ، منثـــورةٌ جـــدائلُهـــا
تمســـكُ جنـــحَ القطـــا حبـــائلُهـــا
شـــوكـــاء مـــا قُلِّمَتْ أظـــافـــرُهـــا
ولا أُزيلَتْ عنهـــا غـــــلائلُهـــــا
تكـــادُ من عُجْبِهـــا بـــرَونقِهـــا
يـــزهـــو على الـــزاهيـــات مـــائلُهـــا
كـــأنُهـــا نخلـــةٌ لمنعتِهـــا
حـــروفُهـــا كلُّهـــا فســـائلُهـــا
معقـــودةٌ بـــالـــذُّرى أواخـــرُهـــا
معقـــودةٌ بـــالثـــرى أوائلُهـــا

معصومةٌ حدُّ أن يُشارَ لها
من دون أن تُرتجى وسائلُها
أقولُها والقلوبُ واجفةٌ
وليس غيري واللّه قائلُها
ويعلم اللّهُ رُبَّ غائلةٍ
أرعبَ صُمَّ الصخور غائلُها
وقفتُ مكشوفةً لأسهُمِها
مقاتلي حاسراً أقاتلُها
إنّي على كلِّ ما يؤرّقُني
منيّتي هكذا أجادلُها !

*

يا من أتانا هوىً عتابُهمو
أنّا تناءت، عنّا محافلُها
وأنّنا مثل عاشقٍ بطِرٍ
أشعارُنا عنوةً نماطلُها

نـــريــــدُهــــا عَــــذبــــةً منـــاهلُهــــا

ملثيــــــةً دهشـــــــةً مجــــاهلُهــــــا

نـــريــــدُهــــا عنــــدَ كــلِّ قـــافيـــةٍ

جنّـــاتِ عَـــذْنٍ تجــري جـــداولُهــــا

يــــا صـــاحبي ، إنَّ شعــــرَنــــا عَنَتٌ

مفــــازةٌ هُــــولـــــةٌ جنــــادلُهـــــا

خمســـــون عـــامـــاً صحـــراءُ غُــربتِنـــا

مـــا عـــرَّسَتْ لحظـــــةً قـــوافلُهـــــا

خمســـــون عـــامـــاً دمــاؤنـــا هَمَـــلٌ

مـــا سُئِلَتْ كيف صـــار هـــاملُهـــــا

مُـــذْ كـــان صـــوتي كصـــوتِ قُبَّـــرَةٍ

وكــــــان لي لثغــــــةٌ أحـــــاولُهـــــا

عـــــراق .. والــــرّاءُ حين ألفظُهــــــا

أسمـــــعُ أميّ تعلـــــو هــــلاهلُهــــــا !

لـــلآن والـــرّاءُ يـــا عـــراقُ هـــوىً

ودوحـــــــةٌ في دمي بــــــلابلُهــــــا !

❁

يــــامن أتـــانـــا هـــوىً عتـــابُهمـــو
ونخـــــوةً تغتلي مــــــراجلُهـــــا
عهــــداً بـــائنّـــا .. وللعـــراق يـــدُ
أطـــولُ مِّن طـــولِنـــا أنـــاملُهـــا
نـــأتيـــه حَـــدَّ التقـــاءِ أعيُننـــا
ببعضهـــــا ، والثـــرى مَكـــاحلُهـــا !
نـــأتيـــه قمصـــانُنـــا مهـــدَّلَـــةٌ
الغيظُ ، ليس الـــذهـــول ، هـــادلُهـــا !

*

يـــــدري العـــراقُ العظيم أنَّ لنـــا
نفســـاً عليـــهِ جَمّـــاً شَـــواغلُهـــا
يـــــدري العـــراقُ العظيم أنَّ لنـــا
عبــــادةً هـــــذهِ دلائلُهـــــا
أنـــا نعـــاني من حبِّـــهِ وجعـــاً
وحـــرقـــةً ليس مـــا يمـــاثلُهـــا !
أنَّ السِّهــــامَ التي تـــراشُ لَـــهُ
ســـدورُنـــا دائمـــاً مشـــاتلُهـــا !

أنَـــا إذا أمحلَتْ مـــواسمُــــهُ
أضـــلاعُ أولادِنــــا سنــابلُهـــا !
وأنَنــــا ، وهـــو ضــاحِــكٌ جـــذِلٌ
عيـــونُنـــا تحتفي هــــواملُهـــا !
أفـــراحُـــهُ هكـــذا نعـــادلُهـــا
أوجـــاعُـــهُ هكـــذا نبـــادلُهـــا
يـــا صـــائقَ العتبِ فـــارفقَنَّ بنـــا
فبعضُ لـــوم الـــرجـــال قـــاتلُهـــا !
لئن سكتْنـــا هنيهـــةً فلَنـــا
آثـــارُ ضـــيقٍ غـــداً نســـائلُهـــا
أقـــدامُنـــا هـــذه مـــواضعُهـــا
سيـــوفُنـــا هـــذه حمـــائلُهـــا
ونحن أدرى بمـــا بـــأنفُسِنـــا
وأين مِن أهلنـــا منـــازلُهـــا
لم أكتبِ الشِّعـــر متـــرَفـــاً بَطِـــراً
منيَّتي هـــذهِ بـــدائلُهـــا !

قــد جــاملتني قصــائـدي زمنــاً
لكنّني اليــوم لا أجــاملُهــا
لــو أنّ روحــاً في كـلّ قــافيــةٍ
فــإنّني للعــراق بــاذلُهــا !

*

يــا سيّـدَ المشــرقَين يــا وطني
كفّــارةُ الأرضِ أنت حــاملُهــا !
مُــذْ أســرَجَ الكــونُ بــدءَ رحلتِـهِ
والأرضُ مُــذْ شُـرّعتْ مَــداخلُهــا
وقيــلَ يــا ضــوء .. يــا ريــاحُ ويــا
مــاءُ ادخليهــا فــاللّــهُ داخلُهــا
حطّتْ مــوازينَهــا عليــكَ ولم
تخطيءْ ، ولــلآن أنت كــافلُهــا !

*

هــا أنت ذا ، والــدُّنــا بــأجمعِهــا
تــرنــو خشــوعــاً اليــك ذاهلُهــا

وأنت مُصــــغٍ ، والهــــور تعبــــرُهُ
إليــك مثــل الــذُّبى جحــافلُهــا
صَمْتَ الثُّــــــوابيت ، إذ زوارقُهُم
مثــل التُّمــاسيــح ســال سائلُهــا !
والليـــل تـــرنـــو عيـــونُـــهُ قلقــاً
حتى النجــــومُ استفـــاق آفلُهـــا
وأنت تُحصي الــذُّبيب .. ألفُ مَــدىً
لــلأرض .. أقــداسُهــا .. مبــاذلُهــا
آلامُهـــا .. بـــؤسُهـــا .. رذائلُهـــا
خــلاصُهــا المــرتجى .. فضــائلُهــا
وهم يـــدبّـــون .. كـــلَّ آونـــةٍ
بـــرديَّـــةٌ يستغيث كـــاحلُهـــا !
في نفسِ هـــذي الميـــاه ذاتَ ضُحىً
أولى السُّفين استقـــام حـــابلُهـــا
وســـال للضَّـــوء ذاهـــلًا دَهِشـــاً
من كيف أغنى الحيـــاةَ عـــاملُهـــا !

وهم يـــدبّـــون .. زحفَ غـــائلـــةٍ
هيجَتْ على غِـــرّةٍ مَنـــاصلُهـــا
حتى استقـــرّتْ عليـــك عقـــريـــةً
يلســـغُ حتى الحجـــار ذاحلُهـــا
صـــرختَ : لا .. والميـــاهُ راجفـــةً
يلتفُّ حـــول البـــرديّ جـــافلُهـــا !
كـــلُّ القيـــامـــات بعـــد ثـــانيـــةٍ
قـــامت عليهم وصـــال صـــائلُهـــا
سجينـــــةً كـــانت الجحيمُ وإذْ
صـــرختَ : لا : قُطِّعَتْ ســـلاسلُهـــا !
فـــانصبَّ مِ النـــار مـــا تظـــلُّ إلى
خمسين جيـــلًا تـــومي مشـــاعلُهـــا !
الأرضُ ، والمـــاءُ ، والسّمـــاءُ غـــدتْ
سبيكـــةً كُـــوِّرَتْ مفـــاصلُهـــا !
فهم شخـــوصٌ ، وحـــولهم كـــرةٌ
مِ النـــار مـــوصـــولـــةٌ هَـــواطلُهـــا !

لم يعلموا ، واللهيبُ يحصدُهم
ميـاهُهـا المـوت أم سـواحلُهـا !
ولـلأبـابيـل فـوقهم رجُمٌ
اللّـهُ يـدري مـا كـان وابلُهـا !

*

يـا سيّـد المشـرقين يـا وطني
أفعى الحضـارات أنت قـاتلُهـا !
والله لـو لم تقفْ لهـا رصَـداً
غطّتْ فجـاجَ الثّـرى نَـواسلُهـا
بيتـاً فبيتـاً بيـوتُنـا اقتُحمتْ
وذُبِّحَتْ وسْطَهـا عـوائلُهـا
لَقيـلَ حتّى الطفـولـةُ انتحبَتْ
تحتَ سكـاكينهم جَـلاجلُهـا !
نفسُ الكهـوف ، ونفسُ ظُلمتِهـا
تلـك الأفـاعي هـذي قبـائلُهـا
اليـوم كـالأمس جـالَ جـائلُهـا
واليـوم كـالأمس دال دائلُهـا

مـــاذا جنى العـار؟ .. هـا جماجُمهـا
ملءَ البـــراري .. وهـــا هيـــاكلُهـــا
ويعلمُ اللهُ كم تـــــــــواكلُهـــــــا
أيتــــــامُهـــــا كم ، وكم أراملُهــــــا
إنّــــــا حملنــــــا ، لكنْ على شـــرَفٍ
أقســـاطٌ مـــوتٍ فينـــا نَـــوافلُهـــا
كـــانت منيّـــاتُنـــا منـــاهلُهـــا
بيضٌ ، وســـوداً كـــانت منـــاهلُهـــا
نحن نُراهـــــا ، وهم أســــافلُهـــا
نحن غُـــراهـــا ، وهم أراذلُهــــا
ونحن متنـــــا لكنْ لمكـــرمــــةٍ
أنّ بيـــوتَ الـــرجـــال شـــاغلُهـــا
بينـــا يمـــوتـــون ميتـــةً سَفُلَتْ
يغشى البيـــوتَ الحـــرام ســـافلُهـــا
والحـــرب ، حتى الحـــروب ، إن فُقِـــدَتْ
فيهـــا المعـــايير طـــال طـــائلُهـــا

وهــــذه أمَّــــةٌ مصيبتُهــــا
أنَّ المعــــاييــــرَ لا تُشــــاكلُهــــا
أنَّ الفقيــــهَ الفقيــــه جــاهلُهــا
والمستقيم المُجِــــدّ هــــازلُهــــا
يــأتي بمــــا لا يُطــــاق قــادمُهــا
يمضي بمــــا لا يُطــــاق راحلُهــــا
إن كــان مجنــونُهــــا بــه خَــرَدٌ
فــانظــرْ بمــاذا يــأتيـك عـاقلُهـا
كــأنَّمــا اللّــهُ جــلَّ مقصــدُهُ
أرادهــــا محنــــةً نُــــزاولُهــــا
فكــلُّ جهــلٍ ، وكــلُّ مَــلامَــةٍ
حطَّتْ على بــــابهــــا رَواحلُهــــا
إن قــاتلَتْنــا بحقــدِهــا فلَنــا
تــاريــخُ حبٍّ بــه نقــاتلُهــا !
بكــلِّ مــا في الحيــاةِ من أمــلِ
ومــا يَفي للحيــاةِ آملُهــا

بـــا هـــربنـــاهمـــو ، وليس بمن
يـــريـــدُ من بـــؤسِهـــا يـــزايلُهـــا
هـــا نحنُ من ســـومـــرٍ ومن أكـــدٍ
سيـــوفُ أرواحنـــا صَيـــاقِلُهـــا !
تـــاريـــخُ كـــلُّ العـــراق قـــاتلَهم
آشـــورُهـــا قـــاتلتْ ويـــابلُهـــا
قـــاتـــلَ مَن لا نـــراهمـــو أبـــداً
بـــل بكـــرُهـــا قـــاتلتْ ووائلُهـــا
أمجـــائنـــا كلُّهـــا ، مَـــلاحمُنـــا
من ألفِ عـــامٍ هبّتْ فصـــائلُهـــا
نحن حملْنـــا سيـــوفَهـــا شـــرفـــاً
وقـــاتلَتْ مِـــلائـــا شمـــائلُهـــا !
مـــا كـــان صـــدام غيـــرَ ذي رحمٍ
تجمَّعتْ عنـــدهُ فضـــائلُهـــا
هُـــوَ مَن يقـــول الـــذي يُقـــالُ لهـــا
وهـــو الـــذي راهيـــاً يطـــاولُهـــا !

وهــو الــذي رغمَ كــلٍّ مــا فعلَتْ
يحنــو عليهــا ولا يُيــاهلُهــا !
فــإن قَسا فــالضلــوعُ قــاسيــةٌ
لكنَّ قلبــاً بهــا ينــاضلُهــا !
لــو شعــرةٌ من ودادِ ذي رحمٍ
تُقطَــعُ جــوراً ، صــدام واصلُهــا !
هــذا الــذي لا تنــالُــهُ لغــةٌ
رغمَ البــلاغــات ، وهــو نــائلُهــا !
من هيبــةٍ ، قــومُــهُ لمقــدمِــهِ
تلــزمُ أغمــادَهــا فيــاصلُهــا
وهم همــو ، مــا يقــوم فــارسُهم
إلّا وللخيــل مــا يشــاغلُهــا !
أدرى بخيــل العُــلا فــراستُــهُ
أدرى بصــولاتِــهِ أصــائلُهــا
يــأتي بهــا غُــرَّداً صــواهلُهــا
يمضي بهــا غُيَّبــاً كــواحلُهــا

كــــأنَّــــهُ فَــــرَطَ مــــا يصـــولُ بهــــا
لــــديـــــه مجهـــولــــةٌ يســـاجلُهـــا !

*

يـــــا سيّـــدي كلّمـــا كتبتُ أجـــدُ
قصيـــــدتي لا يجيء بـــــاسلُهـــــا
إلّا ختـــــامـــــاً ، كـــــأنّمـــــا حُكِمَتْ
أن تلتقي في الـــذُّرىٰ فـــواصلُهـــا !
وكلّمــــــا قلتُ : إنّهـــــا ثَقُلَتْ
أبصـــــرُهـــــا يستقيمُ كـــــاهلُهـــا !
كـــــأنّمـــــا يشـــــرئبُّ من وَلَـــــهٍ
إليـــــك مجـــــزوؤهـــــا وكـــــاملُهـــا !
إن قلتُ أتعبتَني ، فـــــربَّ هـــــوىً
تَعيىٰ بـــــه النَّفسُ وهـــــو غـــــافلُهـــا
ولا ، وحـــــاشـــــاك .. أنت تعـــــرفُنـــــا
نفســـــاً فنفســـــاً ، ومـــــا يُـــــداخلُهـــا

أسلمتَني للتي بـــــــك ارتفعَتْ
فــــأين يُــرسي خُطـــاه نـــارُلهـــا ؟!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٩٨٥

أبابيل العراق

لكم أنتم تجوزُ الكبرياءُ
وتوسعُ من مَدارجِها السَّماءُ
لكم أنتم عراقُ الكِبْرِ يُعلي
لواءً لا يُرى معه لواءُ
يقيمُ الرافدان منارَ ماءٍ
يلوذُ به مدى الزَّمنِ الظِّماءُ
لكم أنتم يسيرُ نخيلُ أرضي
وشَغْفَتُهُ يضجُّ بها الهواءُ
مسيرتُهُ التي من ألف عامٍ
لها قدَرٌ يُرى، ولها قضاءُ!
لكم أنتم، وأنتم زهوُ أهلي
وأكرمُ مَن يُرَدُّ به البلاءُ

يغنّي كـــلُّ طفـــلٍ في بـــلادي
وتَــرفــعُ من هــلاهِلها النِّساءُ!

*

أبــابيــلَ العــراق، وكــلُّ ليــلٍ
لكم في قلب ظُلمتِــــهِ انتخـــاءُ
لكم عنقـــاءُ فـــولاذٍ يـــراهـــا
فيفتـــحُ كـــلُّ قُبَّتِـــهِ الفضـــاءُ
وإذ تســرون تــرتجفُ الــدَّيـاجي
ويجمـــدُ في كـــواكبهـــا الضيـــاءُ
تشقُّـــون الظـــلام، لكم وميضٌ
ولــلأجــرام حــولكم انطفـــاءُ
ثـــوانيَ، ثمَّ يلمـــع كـــلُّ شيءٍ
فلـــلأكـــوانِ من لهبٍ رداءُ!

*

صقـــورَ الـــرافـــدين، ولستُ أدعـــو
لمـــذبحـــةٍ يعمُّ بهـــا الفنـــاءُ

ولا واللّـــهِ، عن أطفـــال خصمي
وددتُ لـــو انَّ أضـــلاعي وقـــاءُ
ولكنْ رُبَّ شـــرٌ مستطيـــرِ
يُـلاذُ بـه وتُختصَــرُ الـدمـاءُ!

*

صقــورَ الـرافـدين، هي المنـايـا
هي الحـربُ التي فَـرضـوا وشـاءوا
ومـا في الحـرب من وجـهٍ جميـلٍ
ولكنَّ الـوبـاءَ هــو الـوبـاءُ
لــو انَّ بقلبِ إيــرانٍ نقــاءُ
لشــلَّ هجــومَهم ذاك النَّقــاءُ
لمـا خــاضـوا لأكـواخٍ صغـارٍ
وأهلــوهـا ضعــافٌ أبــريــاءُ
بكــلِّ ســلاحهم، وهمـو ألــوفٌ
فصــدَّهم الضِّعــافُ الأقــويــاءُ!

*

أجلْ، في الهور من أشلاء أهلي
غضاريفُ .. وبَعدُ به بكاءُ!

وطفلُ أمُّهُ ذُبحَتْ وظلَّتْ
لها من فوق جثّتهِ انحناءُ

أجل قصَبٌ، وأمتعةٌ خواءُ
يؤرجحها على الماء الخواءُ

ولكنْ في مياه الهور تبقى
بيارقُهم يرفُّ بها الإباءُ!

ويبقى في مياه الهور صوتٌ
لـ «تسواهن» يجيء به المساءُ!

ويبقى وجهُ إيرانٍ قميئاً
تشوّهه الوقاحةُ والرّياءُ

*

صقورَ الرافدين، وربُّ زهوٍ
له ومشارف الغضبِ التقاءُ

فتصبـــحُ بعضُ أشـــرعـــةِ التحـــدّي
وليس لهـــا من الـــرّيـــح امتـــلاءُ
كـــأنّ المـــوج إذ يعلـــو وتعلـــو
يغـــاضيُهـــا فتصنـــعُ مـــا تشـــاءُ !
كـــــذا أنتم وللغَلَيـــانِ فيكم
نمٌ من محضِ رغـــوتِـــهِ يُســـاءُ !
فكيف إذا تحـــدّثـــهُ انتهـــاكـــاً
صغـــارٌ كـــلُّ قـــوّتِهـــا ادّعـــاءُ ؟!
وأنتم إرثُ من حملـــوا المنـــايـــا
وراحـــوا للجحيم بهـــا وجـــاءوا !
فلم يلحقْ بهم إلاّ المعـــالي
ولم يعلقْ بهم إلا الثنـــــاءُ !
وأنتم بعضُ صـــــدام ، وفيكم
سمـــاتٌ منـــهُ أوّلُهـــا السّخـــاءُ
وأبهـــاهـــا ، وأعظمهـــا التحـــدّي
وأكـــرمُهـــا المـــروءةُ والحيـــاءُ !

وفيكم منــــه أنَّ لـــه عيــونــاً
كعين الصَّقــر يَــرهبُهــا الخَفــاءُ!

فيكشف نفسَـــهُ .. لم يــدنُ منـــهُ
ولكنَّ السّيـــوفَ لهـــا مضـــاءُ!

وفيكم من ذرى صـــــدام نفسٌ
شَمـــوسٌ، بعضُ نخـــوتِهـــا الفـــداءُ

وغيـــرتُـــهُ، ورفعـــةُ منكبَيْـــهِ
وأنَّ قليـــلَ رشفتِـــهِ ارتـــواءُ!

وأنَّ لصبـــــرِهِ شـــأواً ولكنْ
يقصِّـــرُهُ إذا غبيَ الغبـــاءُ!

فكـــونـــوا منـــه أشـــرعـــةً كبـــاراً
فبعضُ سمـــاتِـــهِ ريـــحٌ ومـــاءُ!

وبعضُ سمـــاتِـــهِ أنْ ظـــلُّ حبّـــاً
وأنَّ عليـــه ينعقـــدُ الـــرجـــاءُ!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٣/٦/١٩٨٥

يا مهيب الغيظ
يا وطني

لحظةً للخشوعْ
قبلَ أن توقدوا بارقاً للدموعْ

إنَّ هاجسةً هاجسه
أنَّ أرواحهم بيننا جالسه
يا عيوناً ترانا ولسنا نراها
يا أعزَّ الرِّفاقْ
يا قناديلَ ليلِ العراقْ
لكمو أنحني
رافعاً رايتي الخامسه
خاشع القلب كي تقبلوها
ولكم عهدُ كلُّ الدماءْ

أنني الآن أنشر عرضَ الفضاءْ
رايةَ الشَّرفِ السادسه!

*

للعراق الذي لا يميلْ
للفراتَينِ والمستَفزِّ النَّخيلْ
ولصدامَ جيلًا فجيلْ
ننتخي كلَّما تردس الرَّادسه
نزرع الآن ساريةً سادسه
فوق ساترِنا المستحيلْ!

الشـــامخُ البـــاذخُ العـــالي .. لـــه نشبُ
لـــــه بكـــــلِّ دمـــــاءِ القلبِ نختضبُ
لـــه تُغطّي فجـــاجَ الأرضِ نخـــوتُنـــا
حتى تكـــادَ فجـــاجُ الأرضِ تحتجبُ
نصـــدُّ عنـــه هبـــوبَ الرِّيـــح، خـــافقـــةً
رايـــاتُنـــا .. ولـــه أكبـــادُنـــا تجبُ
هـــو العـــراق .. فَمن أبقى؟ .. وأيُّ يـــدٍ
أشقى من اليـــدِ يـــدعـــوهـــا فتجتنبُ؟

هـــو العـــراق .. ويعضُ من مـــروءتـــه
أنـــا لـــه وحـــدَةٌ في الضِّيق ننتسبُ !

*

يا سيّدي ، يـــا مهيبَ الغيظ ، يا وطنـاً
عليـــــهِ فَيضُ جـــلالِ الله ينسكبُ
يـا هـاديَ الأرض ، مـا زالت جـدائلُهـــا
كـــلٌّ بلمعـــةِ نجمٍ منـــك تعتصبُ !
يـا فـاتحـاً قلبَـهُ للحبِ .. يـا فـرَحـــاً
دارتْ على كـــلِّ محـــزونٍ بـــه الحِقَبُ
من حُسنِ عشتـار .. من تموز مؤتلقـاً
من كَرْمِ بابلَ .. ما قالوا .. ومـــا كتبوا
عن كـــلِّ فجـــرٍ مُضيءٍ فـزَّ طـائـــرُهُ
من العـــراق ، ولبُّ الكـــون منخلبُ
وأنت تـــزرع ليـــلَ الأرضِ مبتهجـــاً
هنا هلالٌ .. هنـــا شمسٌ .. هنا شهبُ !
هنـــا حـــروفُ غـــرييـــاتٌ ، وملحمـــةٌ
مسلَّـــةٌ ههنـــا .. قيثـــارةٌ .. أدبُ

وهبْتَ لـلأرضِ كـلَّ الأرض مجـــدَ هـوىً
وحكمـةٍ .. وهـززتَ النـــاسَ فـاضطـربـوا
كـانـوا نيـامـاً ، وكـانـوا غُيَّبـاً ، فصحَـوا
وإذ رأوا ركبَ زهـــوٍ للعلى ركبـــوا !

*

يا سيدي .. يا مهيبَ الغيظ .. يا وطني
يـا واهبـاً لم يقـل للناس : مـا وهبـوا ؟
ومـا جـزوا ؟ .. وهـو حتى عنـدَ محنتِهِ
يجـري لعطشـانهم منـه دمٌ سَـربُ
هـذا العـراق ، وبعضٌ من مـروءتِـهِ
أن ظـلَّ خمسـاً عن الأخـلاق يحتـربُ !

*

خمسـاً أدرنـا رحـاهـا .. طـاقُهـا جبـلٌ
من صبـرِنـا .. واسمُ صـدّامٍ لهـا قطُبُ
خمسـاً ، وهم حَمَاً فيهـا .. ونحن بهـا
جصىً تكـاد بـه الأطـواق تنثقبُ !

خمساً طحنّا بها طحناً حشـــودَهمو
إذا تـــــراخثْ أدارَ المقبضَ الغضبُ
خمســـاً ، وللشــرف المــزروع في دمِـهِ
مـــروءةٌ تعتـــريهـــا صـــولـــةٌ عجَبُ
هـــا نحن من بعدِ خمسٍ نبتـدي صُعُداً
يـــا حاطبَ المـوت ماذا جئت تحتطبُ ؟!
من بعـــدِ خمسٍ بـدأنـا الآن نـدفعُكم
دفعـــاً إلى حيثُ نـــارُ الله تلتهبُ
أنـــاى قـلاعِكمـو طهـران ، ظـلَّ بهـا
ليـــلاً قليـــلاً جنـــاحُ المـوت ينسـربُ
مـا أنقـذتْ أهلَهـــا مـا تـدَّعون بهـا
من الحمـــايـــةِ لكنْ أنقـــذَ الهـــرَبُ !
أعـزُّ إسـواركم « خـــرجُ » ، وهـا هيَ ذي
مـــلاعبٌ لصقـــور الجـو ، مـــا رغبـوا !
لم تستطيعـوا بهـا دفعـاً .. بلى دفعتْ
عنهـــا الشتـــائمُ والتهـــريـــج والخُطَبُ !

وهـــا حشـودُكمـو عنــد الحــدودِ لنــا
في كـــلِّ ليـــلٍ عليهـــا واثبٌ يثبُ
يــا بؤسَ أهليكمو .. يا بـؤسَ شعبكمو
حتى متى يحمـــل البلـــوى ويحتسبُ ؟!

*

جيشَ العـــراق .. لَخمسُ أنت سيّـدُهـا
مجــدٌ بــأنَّ اسمَ صــدامٍ لهـا لَقَبُ !
مـاذا يسمّـونهـا هم ؟ .. قـادسيّةَ من ؟؟
ذي قـارَ مَن ؟ .. أم نهاونـدٌ لهم نَسَبُ ؟!
أمّــــا خميني ، وخـــامنئي ، ولَفُّهُمـــا
فهم لـــدى السيف لا رأسٌ ، ولا ذنَبُ !
ومـا الـذي حصــدوا فيهـا ؟ .. مصيبتَهم
وعـــارَهم ، وجـــرابـــاً حشــوُهُ كــذِبُ
وهــــــــا هم الآن والأورامُ تنهشُهم
أمَـــرُّ مـا يكسبُ العــدوان ما كسَبـوا

*

يا سيّدي، يــا مهيبَ الغيظ، يا وطنــاً
لم يــرقَ يــومــاً إلى أسبــابــهِ سبَبُ
يــا بيتَ صدام، يــا تــاريــخَ أمَّتِنــا
ويــا منائــرُ، يــا أقــواسُ، يــا قُبَبُ
يــا ألفَ شمسٍ وشمسٍ .. يا كــواكبَها
ويــا مــداراتِهــا أيّــان تنجــذبُ
لقــد زرعنــا بهــذي الأرض أنفسَنــا
جــدٌّ وجَــدٌّ وجــدٌّ قبلَــهُ .. وأبُ
مُــذْ كُوِّرَتْ هــذه الدنيــا ونحن هنــا
والنخــلُ، والطَّلــعُ، والأهــوارُ، والقصبُ
والــرافــدان هنــا، والشمسُ مُــذْ طلَعَتْ
والــراسيــاتُ عليهــا الثلــجُ والغــرَبُ
هــو العــراق، فلــو أنَّ السَّمــا هبطتْ
لــلأرض، مــا زلَّ عن ميعــاده الــرُّطَبُ!
هــو العــراق .. فلــو أنَّ النجوم هــوَتْ
وحقِّ صــدام مــا رفَّتْ لنــا رُكَبُ!

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٢ / ٩ / ١٩٨٥

دمــوع الكبريـاء

هـــذهِ حيــرتي .. وهـــذا اضطـــرابي
أمهليني ، فـــأنتِ تـــدرين مـــا بي
كـــلُّ زهـــو العـــراق بين ضلـــوعي
ودمـــوعُ العـــراق في أهـــدابي !
بصـــرة الكبـــريـــاء ، هـــذا لقـــاءُ
فيـــه كـــلُّ ارتعـــاشـــةِ السَّيّـــابِ
ولهـــذا بكيت .. زهـــوٌ دمـــوعي
ربَّمـــا دمعـــةٌ بهـــا لشبـــابي !
ربَّمـــا دمعـــةٌ على عـــنقِ نخـــلٍ
قطعتْ حملَـــــهُ أكفُّ الخـــــرابِ
أو لطفـــلٍ في غفلـــةٍ كـــان يلهـــو
فجـــأةً صـــار شعلـــةً في التـــرابِ
إنَّمـــا جـــلُّ أدمعي كبـــريـــاءُ
للمتـــاريس ، والهـــوى الـــلا يُحـــابي

والـــوجـــوه البصـــريّـــة الحبّ ، تـــزدادُ

عطــــــاءً مـــــا زادَ شَــــدُّ العـــــذابِ !

*

إيـــه يـــا بصـــرةَ الخليـــل .. وأهلي

في غـــدٍ يســـألـــونني .. وصحـــابي

كيف ألفيتَهـــــــــــــا ؟ .. وأقسم أنّي

ستكـــــون الـــــدمـــوع بعضَ جـــوابي !

ســـــأقـــول العـــــراقُ فيهـــــا مقيمٌ

ولصـــــدام هـــــالـــــةٌ في الـــــرّوابي

ســـــأقول الصِّغـــارُ قـــد حملـــوا بغـــداد

في كـــــلِّ دفتـــــرٍ وكتـــــابٍ !

حملـــوا العُـــزبَ في القلـــوب عـــذابـــاً

لا عتـــابـــاً .. لم يصغـــروا للعتـــابِ !

حملـــوا الشِّعـــرَ كلَّـــهُ .. أنشـــدوهُ

دون أن يكتبـــوا الحـــروفَ الكَـــوابي

ســـــأقـــول اخشعـــوا فـــإنّـــا بكَينـــا

وبكى الشعـــرُ في بطـــون الخـــوابي

أنّــهُ لــم يكن كهــذا الــذي نبصــرُ
حبّــــاً ، ونخــــوةً في الصَّعـــابِ
ســأقــول ارفعــوا الجبــاه شمــوخــاً
فمتـــــاريسُ بصــــرةِ السيّـــابِ
تُمســكُ الأرضَ أن تَميدَ ، ويبقى الشِّعـرُ
مــلءَ الــذُّرى ، ومــلءَ الشِّعــابِ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٩٨٥

سيدي يا عراق

لا وعينيـــــــكَ لم أنَمْ   شـــــاخصَ العينِ والقلَمْ
لا ذهـــــولًا ، ولا أسىً   لا ذبـــــولًا ، ولا سقَمْ
إنَّمـــا القلبُ فـــزَّ في   قفص الصَّـــدرِ فـــارتطَمْ
عـــالقـــاً في شغـــافِـــهِ   مثلَمـــا الطَّيـــرُ في العتَمْ

*

لا ، وعينـــــك لم أنَمْ   أيُّهـــا الســـاهـــرُ العَلَمْ
منـــذ يـــومين أضلُعي   ورَمٌ تحتَـــــــــهُ ورَمْ
يـــا عـــراقَ الإبـــاءِ يـــا   حـــــاكمَ الغيب والحكمْ
أتَمـــلَّاك شـــامخـــاً   ثـــابتَ الجـــذعِ والقـــدَمْ
والمنـــايـــا لَمـــوجِهـــا   حـــول ســـاقَيْـــكَ ملتطَمْ
أتمـــلَّاكَ مـــارداً   يفـــرزُ الضَّـــوءَ والظُّلَمْ
وســـرايـــاهُ حـــولَـــهُ   قممٌ مـــا لهـــا قمَمْ
وأرى جحفـــــلَ العجَمْ   قَـــزَمـــاً إثْـــرَهُ قـــزَمْ

لا حيـــــــاءُ، ولا تُقىً   لا ضميـــــــــرٌ، ولا ذمَمْ
غـــابــــةٌ من عقـــاربٍ   تلـــدغُ الجنـــدلَ الأصَمْ
وهي تسعى إليــــكَ من   كــــلِّ ثُقبٍ ومنخَـــرِمْ
بينمــــا أنت شـــامـــخٌ   هـــائـــلٌ، بـــالـــغُ العِظَمْ
مــــاليءٌ رَحْبــــةَ الفَضـــا   تفـــرز الضَّـــوءَ والظُّلَمْ!

*

لا وعينيــــــــكَ لم أنَمْ   يـــــا عـــراقَ الـــدَّمِ الأشَمْ
أيُّهـــا المـــائـــجُ الـــذي   عُمْـــرَ مجـــراهُ مـــا انشَكَمْ
أيُّهـــا الليثُ حـــولَـــهُ   من مـــــــروءاتِـــــهِ أجَمْ
كلَّمـــا صـــاح صـــائـــحٌ   أســـرجَ الهـــولَ واعتـــزَمْ
أبـــداً تـــرضـــعُ العُلى   والـــدَّمُ الحـــرُّ مـــا فطَمْ!

*

يـــا عـــراقَ الإبـــاءِ يـــا   قبلـــةَ اللّـــهِ والحـرَمْ
أيُّهـــا الســـافـــرُ الـــذي   وجهُـــهُ قطُّ مـــا التثَمْ
يـــا منيعـــاً على الشَّجـــا   يـــا مهيبـــاً على الألَمْ
يـــا عفيفـــاً على الأذى   لا تَـــــدَنَّى، ولا شتَمْ
يـــا كبيـــراً على القـــذى   كلَّمـــا ســـاءَهُ كظَمْ

سيّـــدي يـــا عـــراقُ يـــا وطنَ العـــــزِّ والكـــرَمْ
وطنَ الحقِّ والنُّهى وطنَ الـــــزُّهـــوِ والقيَمْ
ألفُ مـــوتٍ هَمَتْ بنـــا ديَمـــاً فـــوقهـــا ديَمْ
شـــرَّقتْ ، ثم غـــرَّبتْ حـــولَنـــا الـــريـــح والأكَمْ
مـــا لَـــوَينـــا عنـــانَنـــا لا ولا حُـــزنُنـــا لَجَمْ !

*

سيّـــدي يـــا عـــراقُ يـــا صـــادق العفـــوِ والنِّقَمْ
أنت يـــا عـــاصمَ الـــرَّجـــا عنـــدمـــا لاتَ معتصَمْ
أنت يـــا حـــاسمَ الـــدُّجى كلَّمـــا الغيهبُ ادلَهَمْ
أنت يـــا سيّـــد السَّنـــا أنت يـــا بـــاذخَ القِـــدَمْ
حـــولَـــكَ الآن جحفـــلُ من ذئـــابٍ ومن بُهَمْ
والغـــاتٍ ببعضهـــا لا ذمـــامٌ ، ولا حُـــرَمْ
أنفسٌ كلُّهـــا قـــذى أوجـــهٌ كلُّهـــا تُهَمْ
كلَّمـــا ســـالَ سَيْلُهـــا هـــالَـــهُ الهَـــولُ فـــانهـــزمْ
ومســـوخٌ تحـــوطُهـــا جُبَبٌ فـــوقهـــا عِمَمْ
ليس للَّـــهِ سعيُهـــا إنَّمـــا ربُّهـــا صَنَمْ
هـــؤلاءِ الأولى لهم حـــولـــكَ الآن محتـــدَمْ

فـــانتفضْ أيُّهـــا الــرَّدى واعتــرِضْ أيُّهـــا القـَـدَمْ
وانهمــــزْ أيُّهــــا اللظى رادمــاً كـــلَّ مـــرتــدَمْ
راميــــاً كــــلَّ من رمى راجمــــاً كـــلَّ من رجَمْ
لا خشـــــوعٌ ، ولا أسىً لا رجـــوعٌ ، ولا نـــدَمْ
إنَّ مَن رامَ ظُلمَنـــــــا إنَّمـــا نفسَــــهُ ظلَمْ !

*

يـــا جنـــودَ العـــراقِ يـــا شـــرفَ الأهـــلِ والشِّيَمْ
يـــا عـزيــزين في الــورى يـــــا مَهيبين في الأمَمْ
يـــا مُـــذِلّين خصمَهم كلَّمـــا بـــالـدَّم استحَمْ
لكـم الحـــبُّ والهـــوى لكم العـــــزُّ والشَّمَمْ
بـــاسمِكم لا اسمِ غيـرِكم يُتنــــــاخى ، ويُعتَصَمْ
وطنُ العُـــرْبِ كلُّـــــه بكم اليـــوم يُحتـــزَمْ
ولكم فـــوقَ زهـــوِكم زهـــوُ مَن زهــوُهُ حَـــزَمْ
زهـــوُ صـــدام كلُّـــهُ ولصـــــدّام يُحتكَمْ
فبِـــهِ يبـــدأ الهـــوى وبـــهِ الكِبْـــرُ يُختَتَمْ
هـوَ هــذا الــذي بنى هــوَ هــذا الـذي هــدَمْ
وهـــو هـــذا .. عـــدوُّهُ كلَّمـــا راءَهُ انهـــزمْ

وبـــه تـــوثقُ العُـــرى كلَّمـــا عقـــدُهـــا انفصَمْ

واشمـــــاً في جبينِـــــهِ نصـــرَه .. عـــزٌّ من وَشَمْ !

تلْمَ الـــــرّوع راهيـــــاً مـــا تـــراخى ، ولا وَجَمْ

وكـــانْ ، فَـــرْطَ كِبْـــرِهِ ليس يـــدري بمـــا تَلَمْ !

بـــاسمِـــهِ اليـــومَ يُنتَخى وبِـــهِ اليـــومَ يُلتـــأمْ

ولـــه يَصـــدُقُ الـــوَفـــا وبِـــهِ يَصـــدقُ القسَمْ

*

لا وعينيـــــــــك، لم أنَمْ إنَّني ألفُ متَّهَمْ

أنَّني قـــابـــعٌ هنـــا أدفعُ الموتَ بـــالسَّأمْ

وعلى النـــار إخـــوتي لهـــم الآنَ مـــزدَحَـــمْ

ثكلَتْني قصـــائـــدي كم كتبنـــا .. وكم .. وكم

أبحـــرُ الشِّعـــر كلّهـــا لا تســـاوي رذاذَ دَمْ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٩٨٦

رجـز في المعـركة

(٥)

بـالدَّمِ والاجسـاد يا شطَّ العـرَبْ نَمـلأ جرفَيْـكَ إذا الوغـدُ اقتـرَبْ

يطفُون في الماء كما يطفو الكرَبْ للمـوتِ أو لـلأسـرِ، ليس للهـرَبْ

لن يجدوا في الأرض طرّاً مضطرَبْ لا نَبْـعَ يخفيهم بهـا ولا غـــرَبْ

واحــــرَبــــا إن لم نُبِــــذهم واحـــرَبْ!

*

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٤ / ٢ / ١٩٨٦

(**)

يا جُنْدَ صدام بصدام انتخوا أخٌ إذا مـــا أعسَرْتْ، نعمَ الأخُ

لا تتركوا في الأرض صـلًا ينفخُ فهم إذا دَبُــوا بـأرضٍ أفــرخوا

سدُّوا فجاجَ الأرض قِذراً واطبخوا حتىٰ يبيدوا كلُّهم أو يرضخـــوا

لا يــــرجعَنْ منهم دعيٌّ يصــــرخُ

يا حاملين اسمَ الفراتينَ اشمخوا بــالدَّمِ أو بنصـركم تضمَّخـوا

*

** نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٩٨٦

من لهيب المعركة

أقبلـــوا من كـــلِّ صـــوبٍ   أقبلـــوا من كـــلِّ فَـــجّ
أقبلـــوا فـــالأرضُ تـــدري   أنهـــا تـــرتـــجُّ رَجّ
أقبلـــوا يـــا من جهلتم   أنَّ مـــاءَ الفـــاو مـــجّ
كـــلُّ يـــومٍ نلتقيكم   فيـــه يـــا أيتـــامَ خـــرجْ
هـــو عنـــد الله تقـــوى   ولبيـــت الله حَـــجّ

*

نشرت في جريدة الثورة في ٢٤ / ٢ / ١٩٨٦

رجز في المعركة

(*)

أيَّ ماءٍ قد نزلتم يا تتَرْ ما لَهُ وِرْدٌ، ولا منه صَدَرْ
قطعةً تُجبَلُ توّاً من سَقَرْ لا يُرى فيها لِمَنجاةٍ أثَرْ
ليسَ إلّا موتُكم مَدَّ البصَرْ

*

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٨٦

(**)

الله ثمّ الله يـــا بــلادي   يا شوكةً في أعيُنِ الأعادي

يـــا زهــوَ كـلِّ نــاطقٍ بــالضّـادِ

الله من بَـذْلِـكِ في الجهـادِ   ومن تَعـاليـكِ على الأحقـادِ

من العــراقيين في الجِـلادِ   كـــأنّهم حشـدٌ من الأطــوادِ

يسحق أكـــداســاً من الجــــرادِ

الله منهم والــرَّدى ينــادي   وهم يصـولـون على الأوغـادِ

كـــأنّهم في مـــوسمِ الحصـــادِ

الله ، ثم الله يـــا بـــلادي !

** نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٦ / ٢ / ١٩٨٦

ويا غضب العراقيين

لــديــكَ النــارُ والحطبُ   لــديــكَ السَّيــلُ واللهَبُ
لــديــكَ لهُــولــةٍ سببُ   فــأوقــدْ أيُّهــا الغضَبُ !

*

ألا مَن مبلــغٌ ايــران   أنَّ جنــودَهــا نضبــوا
وأنَّ المــوت بينهمــو   على قــدمين ينتصبُ !
وأنَّ الارض ، لا مثــوى   لهم فيهــا ولا هــربُ
ولِصْقَ الطين ، مثــل الدُّود   نــامــوا حيثمــا ثَقَبــوا
فــلا قُبُــلٌ ، ولا دُبُــرٌ   ولا صُعُــدٌ ، ولا صبَبُ
وأنَّ مطــارق النيــران   فــوق رؤوسهم عجَبُ !

*

ألا مَن مبلــغٌ ايــران   أنَّ شبــابَهــا ذهبــوا
وأنَّ بيــوتَهــا هُجمَتْ   وأنَّ عشيــرَهــا نُكبــوا

وأنَّ جميـــــعَ من حَطَبتْ بهم في الفـاو قـد حُطِبـوا
وأنَّ حصـــادهم .. هيهـــات مـــا البـرديُّ ..؟ مـا القصَبُ ؟
هنـــاك الأرضُ فـــوقَ الأرض فـــــــوق الأرض تنقلبُ
كـــأنَّ خبّـــاطـــةً خبطَتْ وهم في وَسْطِهـا حبَـــبُ !

ألا مَن مبلـــغٌ ايـــران أنَّ الهـــولَ يقتـــربُ
وأنَّ أوائـــل الطـــوفـان منهـــا الـــرُّعبُ يـــرتعبُ
وأنَّ البـــدءَ من دمهـــا تغـــوصُ بسَيلِـــهِ الـــرُّكَبُ
وأنَّ الليـــلَ في ايـــران منـــــذُ الآن ينتحبُ !
فكيف إذا ادلهمَّ الهـــول وانطفـــأتْ بـــه الشُّهُبُ ؟
وأقبـــل من أقـاصي الأرض يحمـــلُ جـذعَـهُ الكَـرَبُ !
وحـــاق بهم إلى أن كـــاد يـــدخـــل عينَـــهُ الهُـدُبُ !
وأصبحت السَّمـــاءُ بهـــا فجـــاجُ الأرض تعتصبُ
وَهِيـــجَ ولاتَ منفـــرَجُ وصيـــحَ ولاتَ مـــرتقَبُ
هنـــاك تـــرَيْنَ يـا إيـران كيف الهـــول يحتـــربُ
وكيف المـوت ، حتى المـوت يستخـــذي ويضطـــربُ

هنـــاك تــرين سَــوْرَتنـــا وكيف رجـــالُنـــــا تثبُ
يعلِّمُـــكِ العـــراقيّـــون كيف يقـــاتــل العـــرَبُ!
ولن ينجـــو من الحَـــدَثـــان لا رأسٌ ولا ذنَبُ!

*

أجـلْ يـا سيّـدَ النهـرَين يـــا وهّـــابَ مَن وهَبـــوا
ويـــا قتّـــال من قَتلـــوا ويـــا ثـــلّابَ من ثلبـــوا
ويـــا مَن مِن مهـــابتِـــهِ قلـــوبُ الفـــارسِ تنخلبُ
ويـــا زَهـــواً على الأهـــوال يـــــدري كيف ينتخبُ
ويـــدري أين يفجـــؤهـــا وكيف وأين يـــرتكبُ!
أجـل يـا سيّـد النهـرين يـــا مَن كلّمـــا ركبـــوا
تَلَقّـــاهم فســـاقطَهم كمـــا يسّـــاقَطُ الـــرُّطَبُ!
وحاشا النَّخـــل، جلَّ النخـــل لا شبـــــهُ، ولا نسَبُ
ولكنْ ربَّ قـــافيـــةٍ بمـــا نـــأبـــاهُ تُغتصَبُ!

*

ويـــا متـــواصـــلَ الأمجـــاد يـــا من تحفظُ الحقَبُ
لـــه من عهـــدِ بـــانيبـــال طيفـــاً منـــه تحتسبُ

نبـــوخـــــذ نصَّــــرٍ أملى وكُتَّـــابُ الـــدُّنى كتبـــوا !
وهــــــذا أنت حتى اليـــوم تُهـــــــــدي وهي تستلبُ
وتعطي وهي تستعطي وتسقي وهي تحتلبُ
وهـــــذا أنت ، حتى اليـــوم مـــا أبقَـــوا ، ولا شطبـــوا
قـــلامـــــةَ أظفــــرٍ إلّا ومـــــلءَ نفــــوسهم رهَبُ
لأنَّ معـــــارجَ التـــاريـــخ تعلمُ أنَّهم كــــــذبـــــوا
وهــــــذا أنت حتى اليـــوم خـــافقُهـــا الـــذي يجبُ
وهــــــذا أنت حتى اليـــوم واثبُهـــــا الـــــذي يثبُ
فيـــا متجـــرّداً للنـــار لا ستـــــــرُ ولا حجُبُ
ويـــا متـــواتـــرَ الأمطـــار لا عيٌّ ولا تعبُ
ويـــا مستنفَـــراً للمـــوت إنَّ مــــراحَنـــــا خصبُ !
وإنَّ تـــــرابَنـــــا ممّـــا تفيضُ مـــــــروءةً رَطِبُ !
لئن ضـــاقت مســـالكهُمُ فـــأنت مســـارنـــا اللَّحِبُ
وأنت مِنـــارُنـــا العـــالي وأنت غـــرارُنـــا الـــذَّرِبُ
ونحن نُقيـــمُ ميلَتَنـــا إذا مـــا غيـــرُنـــا لَغِبـــوا !
وإن شهــــداؤنـــا سقطـــوا مســـاجـدَ تصبـــح التُّـــرَبُ !
فمنْ دمهم منـــائـــرُهـــا ومن دمهم لهـــــا قُبَبُ !

وهم اسمـــاؤنـــا الحُسنى   وهم ميـــراثُنـــا اللَّجبُ !
فقـــل للفـــرس أيُّ غـــدٍ   لهم في الفـــاو يُـــرتَقَبُ ؟
وقـــل للفـــرس أيُّ دمٍ   لهـــم فيهـــا سينسكبُ ؟!
وأيُّ ردىً سيستشـــري ؟   وأيُّ لظىً سيلتهبُ ؟
يمينـــاً تستغيثُ الأرض   والـــدمُ فـــوقهـــا قِـــرَبُ
يمينـــاً تقشعـــرُّ الـــريـــح   ممّـــا ينفثُ الـــوصَبُ
يمينـــاً تسكت الغـــربـــان   إذ غـــربـــانهم نعبـــوا !
سيغـــدو المـــوت لا نبـــعٌ   بـــه ينجـــو ، ولا غـــربُ

*

ويـــا صـــدام ، يـــا صـــوتَ   العـــراقيين مـــا نـــدبـــوا !
ويـــا غضبَ العـــراقيين   مـــا صـــالـــوا ، ومـــا غضبـــوا
ويـــا أنـــدى مـــروءتهم   وأزكى مـــا لـــه انتسبـــوا
ويـــا صـــدام يـــا صـــدام   يـــا ميمـــون ، يـــا حَـــدِبُ
ويـــا أمضى من الصّمصـــام   حين تعشعش الـــرُّيَبُ
ويـــا مَن محضُ طَلْعتِـــهِ   لكـــلِّ جمـــوعنـــا أُهَبُ
يظـــلُّ النخـــلُ يـــا صـــدام   حـــول الفـــاو يحتـــربُ

يظـــلُّ بجـــذعِــهِ العمـــلاق عمقَ الجـــــــــوِّ ينتصبُ

ولا واللهِ، لا ايــــــــــران لا العِمَـــنـــات، لا الجُبَبُ

ستبقى حيَّـــــــــــةٌ منهم بملـــــح الفـــــاو تنســـربُ

عقـــــارِبُهُم ولــــــو مُلِئَتْ بهـــــا الـــوديـــان والهَضَبُ

سنسحقُهـــــــــا الى أنْ لا يظــــــلَّ لنَسلهـــــا عَقِبُ

غـــداً ستـــرَين يـــا ايـــران مَن منّـــــــــا سينتحِبُ !

❁

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٨٦

وللعراق بني عمي مهابته

بيضٌ وجــوهُ بني عمّي كمــا الغُــرَرُ
فــلا قتــامَ بني عمّي ، ولا كــدَرُ
بيضٌ ضمــائــرُهم « ملســاء ، جــارحــةٌ
مثــل المرايــا .. عليهــا الآه تنكســرُ
تعــودُ من حيثُ جــاءتْ وهي داميــةٌ
أمــا قلــوبُ بني عمّي فتعتــذرُ !

*

بيضٌ وجوهُ بني عمّي كــأنّهمــو
بقاصــرٍ من جميــع الهمّ قــد قُصِــروا !
حيّــاهم الله ، مُــرخــاةً أعنّتهُمُ
رهــواً إذا أقبلــوا .. رهــواً إذا دبــروا
خــالٍ وفــاضهمــو من كــلّ هــاجسةٍ
حيثُ انتهى بهمــو تطــوافُهُم شخــروا !

حيّـــاهم الله .. حيّــا كـــلّ بـــارقــةٍ
فيهم ، وإن تَـــكُ لا رعـــدٌ ولا مطـــرُ !

ومـــا احتياجُ رمـــالِ العُـــزْبِ غـــافيـــةً
للمــــــاء ، مـــا دام لا زرعٌ ولا ثمـــــرُ !

*

بيضٌ وجـــوهُ بني عمّي .. ضمـــائـــرُهُم
بيضٌ .. دفـــاترُهُم بيضٌ .. بلى سَطَـــروا

فيهـــــا ولكنْ بمــــاءٍ لا دليــــلَ لـــه
ولا عليــــهِ ، ولا يبقى لـــــه أثـــرُ !

مَن لي بـــآبـــائكم ؟ .. أم أنَّ محنتَنـــا
آبـــاؤنـــا ، فبنـــا من ذكـــرِهم خَفَـــرُ ؟!

لأنّهم مـــا رأوا أعـــراضَهم غُـــزِيَتْ
وأسبَلـــوا جفنَهم للنَّـــوم وادّثـــروا !

مَن لي بـــأقـــلامِ مَن كـــانت محـــابـــرَهم
جـــراحُهُم ، وبهـــا الإبـــداعُ يـــأتـــزرُ

يَسَّـــزيـــلُ الـــدَّمَ شعـــراً ، كـــلُّ قـــافيـــةٍ
شُـــدَّتْ بمنبتِ نـــارٍ فيـــه يستعـــرُ

لا مَن قوافيهِ تلوي من مَذلّتِها

أعناقَها ، ولها في ذلّها وطَرُ

اللهَ يا وطني .. كم تُستَفَزُّ ولا

تنشقُّ أرضُكَ ؟ .. كم تُؤذى وتغتفِرُ ؟!

حتى وأنت ذبيحٌ ، كم بلحمكَ من

نابٍ تربّصَ من أهلي ، وكم ظُفُرُ !

أوصالُ جسمكَ ، لولا خوفُ بعضِهِمُ

من بعضهم ، أكلوها وهي تُحتَضَرُ !

ويركضون خفافاً ، لا لنصرِكَ بل

ليخذلوا بعضَهم ما قامَ مؤتمرُ !

*

بيضٌ وجوهُ بني عمّي ، عمالقةٌ

أبناءُ عمّيَ ما مالوا ، وما خطروا !

تهابُهم قممُ الدُّنيا ، فتقلقُ إن

غابوا ، وتخشع إجلالًا إذا حضروا !

لأنّ أبناءَ عمّي كلُّهم زَرَدٌ

محبوكةٌ ، ولجسمٍ واحدٍ ضُفِروا !

لأنَّهم، وهمو غابـاتُ أذرعةٍ
رمحُ فريدٌ، وسيفٌ واحدٌ ذكَرُ!
أولاءِ أبناءُ عمّي، لا أبا لهمو
لو يستطيعون عَدَّ الأذرعِ انشطروا!
فأصبحتْ كلُّ كفٍّ في عداوتِها
لأختِها عبرةً في الناس تُعتَبرُ!

*

أبناءَ أعمامِنا، من أربعين خلَتْ
ونحنُ نُطعِمُ والنيرانُ تشتجرُ
ما نالت النارُ فيكم تاجَ سنبلةٍ
إلّا سعى بيدراً منّا لها البشَرُ
أضلاعُنا كلُّها نبقى نجودُ بها
ضلعاً فضلعاً وهولُ الموتِ يدَّجرُ
أبهى أويلادِنا حنُّوا دمشقَ دماً
وكادَ، لولا دماهم، يصدقُ الخبَرُ
وها دمشقُ، وأختامُ الدِّماء بها
تبكي، وبغداد ينزو حولها التَّترُ

ويخســـــأون .. ففي بغـــداد وازرةٌ
بـــألف وزرٍ، سوى مـا عندهـا، تـزرُ
لكنَّنـــــا يــــا بني عمِّي يُقطِّعُنــــا
أنَّ الأعـــادي لنـــا من أرضكم عبـــروا
وأنَّهم بكمـــو جـــاءوا، فنحن نـــرى
آثـــاركم في خطـــاهم كلَّمـــا عثـــروا!
حتى أكـــاد، ومن بـــؤسٍ يُخيِّـــلُ لي
بـــأنَّ وجهـــاً بـــوجـــهِ راح يستتـــرُ!

*

ويـــا بني عمِّنـــا، لسنـــا نُـــذكِّـــرهم
لكنْ مكـــابَـــدةٌ تَسْتَنطِقُ الـــذِّكَـــرُ
إنَّـــا لَنسـَــألُ عن أرضٍ مكـــابَـــرَةً
تقـــولُ: مـا ضـــاءَ في ليلي بكم قمـرُ
ليستْ عـــراقيَّـــةً هـــذي الصَّـدورُ إذن
لـــو أنَّ ضلعـــاً بهـــا لـــلأهـل يعتـــذرُ
دمـــاً سقينـــا، وقـــد واللّـــهِ أحـــرُقْنـــا
لكم بهـــا كـــانت الأعمـــارُ تُختصَـــرُ

هـــا كـــلُّ شعـــرِ العـــراقيين ملحمـــةٌ
بكـــلِّ تـــاريـــخ هـــذي الأرض تـــزدخـــرُ
فـــــأين أنتم بني عمّي ؟ .. وأضعَفُكُم
لـــه لســـانٌ على أوجـــاعنـــا بَطِـــرُ
لكنَّـــهُ ، ونيـــوبُ الفُـــرسِ تنهشُنـــا
كـــأنّمـــا فيـــه من إغضـــائِـــهِ حَصَـــرُ
الحمـــــدُ للّه ، أصبحنـــــا وأكـــرمُنـــا
من ليس يشتُمنـــا إن أحـــدَقَ الخَطَـــرُ
الحمـــــدُ للّه ، أصبحنـــــا وأرحُمنـــا
من لا يجـــورُ علينـــا حين يقتـــدرُ
الحمـــــدُ للّه ، أصبحنـــــا وأرذلُنـــا
لا غيـــره ، مَن يُعـــادينـــا ويفتخـــرُ !

*

أبنـــاءَ عمّي ، ســـلامُ اللّـــهِ نـــرسلُـــهُ
لكـــلِّ أرضٍ بهـــا أطفـــالُكم نَفـــروا
قـــولـــوا لهم إنَّ بغـــداد التي قـــرأوا
تبقى ومن عمـــرِ أهليهـــا لهم عُمُـــرُ !

قـــولوا العـــراقُ منيـعٌ رغمَ صَـــدْعَتِـــهِ
بـــــأهلكم ، ويكم أنتم لـــــــه عُــــــذُرُ
أبنــــاءَ عمّي ، وخـــافــوا من خطيّتهم
لا تكــذبــوا ، إنَّ قلبَ الطفـــلِ يغتفـرُ
لكنَّـــــه حين يـــدري أنَّ والــــدَهُ
يخــونُــهُ ، يلتـــوي ليّـــاً وينفطـــرُ !
أمّـــا العـــراق ، وأمّـــا أهلُـــهُ ، فلهم
زهـــوُ الفـــراتين .. والأمـــواجُ تنشطـرُ
شطـرَين عنهم ، فشطـراً يستحيـــلُ دماً
لهم ، وشطـــراً سيـوفـــاً حيثُمـــا زأروا !
وللعــــــراقِ بني عمّي مهـــــابتُـــــهُ
هـــو العـــراق ، قضـــاءُ اللّـــهِ والقَـــدُر !
هـــو العـــراقُ بني عمّي ، ونحن بـــهِ
بمحضِ قـــولِ « عـــراقيّـــون » نفتخـــرُ !
عـــذراً بني العمّ .. لا زهـواً بـــأنفُسنا
بـل بالـدِّماء التي في « الفـاو » تنهمرُ

بمن شـــواهقُ كـردستـان مــا سجــدتْ

إلّا لهم ، وعلى هـــامـــاتهـــا زخَـــروا

فظــلَّ ممّا جـرى في الصَّخـرِ من لَهَبِ

ومن دمـــاءٍ يُبـــاهي بعضَـــهُ الحَجَــرُ !

بهـــؤلاء بني عمّي .. بمن وقفـــوا

سبعين شهــراً على الفولاذ .. مـا زفَروا

إلّا دمـــاً أو لهيبـــاً .. بـــالـذين لهم

في كـــلّ قلبٍ عــراقيٍّ هــوىً غَضِـرُ

أبنــــاءَ عمّي ، ومُـــذْ كنّـــا أُصَيْبِيَـــةً

كنّـــا نُغنّي لهـــذا الجيش .. ننتظِـــرُ

يـــومَ الخميس ، عصـــافيـــراً مبلّلـــةً

نصطفُّ فجـــرَ الشتـــاءِ البـــردُ ، والمطَـــرُ

والبيـرقُ الخـافقُ المـزهـوُّ .. شـــاخصـةً

عيـــونُنـــا ، ويكـــادُ الـــدَّمــعُ ينهمــرُ

ونحن ننشــــدُ ، والأضـــلاعُ راجفـــةً

« الجيشُ سورٌ .. » ويعلو الصوت .. ينتشرُ

حتى نخـــالَ الــدُنـــا طُـــرّاً تشـــاركُنـــا
نشيـدَنـا .. وضفـافُ النهـر .. والشجـــرُ
وهـــا كبِـرْنـــا بني عمّي ، ونحنٌ نـــرى
صـــدقَ الأنـاشيـدِ فيهم كلّمـا انتصـــروا

*

هـــو العـــراق ، ونـــدري أنّكم معنـــا
في زهونا .. في شَجـانا بـالذي بـذروا
بـأرضنـا .. نحن نـدري ، غيـرَ نـاسلـةٍ
من التّـــوجُّـــعِ فيهـــا واتـــرٌ يتِـــرُ
ألَم يـــزلْ اضعفُ الايمـــان حـــاديَكم ؟!
حتى الحجـــارُ يكـــاد الآن ينفجـــرُ
فـــأين أنتم بني عمّي ؟ .. ونخـــوتُكم
خوفٌ دهاهـا ـ معاذَ اللهِ ـ أم خـدَرُ ؟
وللعـــــراق بني عمي مهـــابتُـــــهُ
هـذا هـو الآن .. منـــه الـوِرْدُ والصَّـدَرُ
لكنْ يعـــزُّ ، وللتـــاريـــخ ذاكـــرةٌ
جيـــلًا فجيـلًا غـداً تـــروي ، وتـــذْكِـرُ

يعـــزُّ أبنـــاءَ عمّي أن يُقـــالَ لكم
كـــان العـــراقُ وحيـــداً والعِـــدا كُثُـرُ
بـل كنتمـو بعضَهم .. هـذي خنـاجـرُكم
على رقـــاب العـــراقيين تـــأتمـــرُ
وللعـــــراق بني عمّي مهـــــابتُـــــهُ
هيهـــات سيفُ صـــلاح الـــدين ينكســرُ!
ولم تـــــزل للعـــــراقيين هيبتُهم
ولم تـــزل بهم الأهـــوالُ تنـــزجـــرُ
هِيَ دوحـــــةٌ مُذْ نبـوخـذ نصَّـرٍ سَمَقَتْ
وهـــا نراهـــا بهـــا صـــدام يعتمـــرُ!

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٩٨٦

كنا نسميه شوقا

« ألقيت في الاحتفال بعيد المرأة العراقية »

الكبـــريـــاءُ الـــذرى ، والحسنُ ، والتّـــرَفُ
والحبُّ ، والمجـــدُ ، والايثـــار ، والشّـــرفُ
وقفتَ والشُّعـــر تـــزهـــو في مـــدارجهـــا
فـــانظْـر على أيِّ صـــرحٍ بـــاذخٍ تقفُ !
والكبـــرياءُ الـــذرى ، والحسن .. أيَّ مدىً
يمضي بنا ، لو نسبينـــا نفسَنا ، الشّغَفُ !
وكيف ننسى ، وضـــوءُ اللّـــهِ أسطعُـــهُ
هـــذي الـــوجـــوه ، وهـــذا النّـــاصـــعُ الأنِفُ
هـــذا الجبينُ الـــذي نفنى بـــأجمعنـــا
ولا نـــرى فيـــه مجـــدَ الشمسِ ينكسفُ !

*

يا أختَ نخل العـــراق اللاتميـلُ بـهِ

ريــــــحٌ ، ولكنْ دلالًا يلعبُ السَّعَفُ !

حـــلاوةَ التَّمــرِ أو أحلى ، وجــوهـرُهـا

مثـــلُ النَّـــواةِ عليـــه السِّنُّ تنقصفُ !

يـــا بنتَ خير أبٍ .. يـا أختَ خير أخٍ

يـــا أمَّ أكـــرمِ مَن في أرضهم نَـــزَفُـوا

وأنتِ عـــدلهمـــو طـــرّاً فقـــد وجفتْ

كـــلُّ القلـــوب ، وهـــذا القلبُ لا يجفُ !

*

يـــا أختَ صدام .. كـلُّ الـزَّهـوِ أنَّ لنـا

من حُـــرِّ وجهكِ مـا نهـوى ، ومـا نَصِفُ

لقـــد عشقنـــاكِ بـذلًا لا حـــدودَ لَـــهُ

مـــا شـابَـــهُ نـــدمٌ يـــومـــاً ، ولا أسَفُ

بلى ، يـــوشِّـــحُ بعضُ الحـــزنِ هيبَتَـــهُ

حينـــاً .. وبـالبـــدرِ حينـاً يعلَقُ الكلَفُ !

*

يا أختَ صدام .. تـــاريخٌ فـــانشرُهُ ؟
أم حـــاضرُ كـلِّ يـومٍ منـــه نـرتشفُ ؟
ألستِ بنتَ التي « لـولَثْ » لـواحـدهـا ؟
« هزَّتْ ، ولولَتْ » .. بَراها السُّهدُ والشَّظَفُ
حتى اذا جـــاء محمـــولًا يفيضُ دِمـــاً
كـــانَت هـــلاهلُهـــا والنّـــار تنـــذرفُ !

*

ألستِ من خفقتْ يـــومـــاً عبـــاءتُهـــا
في « وَقعةِ الجسر » تَهدي زحفَ من زحفوا
حتى إذا اختَـــرَمتْهـــا النـــار ، وانكفـــأت
ظلَّتْ أهـــازيجُهـــا مجـــداً بـــه هتفـــوا !

*

وأنتِ هـــا أنتِ .. يبقى الفرسُ عمرَهمو
قلـــوبُهم منـــكِ في الأهـــوار تـــرتجفُ !
أيعلمـــون ، وقـــد ذاقـــوا مـــرارتَهـــا
وبعضُ غيظـــكِ هـذا مـــا بـــهِ خُسِفـــوا

مــــاذا تُعــــدُّ لهم بغـــداد من رُجُمٍ
وَمـــا تخبّئُـــهُ الحـــدبـــاءُ والنَّجفُ !

تــاللّــهِ تصبــحُ هــذي الغـــارفـاتُ هــوىً
كـــواســـراً من دمـــاء الفـــرس تغتــرفُ !

يـا أختَ عشتـار .. إنّ الشّعـرَ أصعبُـهُ
مـــا ظـلَّ يــوميءُ عن بعـدٍ ، ولا يقفُ !
قـــد كـــان لي ذاتَ يـوم أيُّ مــزدَلَفٍ
كـــان الصِّبـا رغمَ ذاك البــؤس يــزدلفُ
كنّــا نسمِّيــه شــوقــاً مــرّةً ، وهـــوىً
نـــأتي ذنــوبــاً صغيــراتٍ .. ونعتــرفُ !
تُــرى كَبِــرْنــا ؟ .. أم انَّ الشعــرَ من قلقٍ
أمسى يرى .. ثم يدنو .. ثم ينحرفُ ؟!

*

نـــذرٌ لمجـدِكِ مـا قــالـوا ، ومـا وصفـــوا
سيّـان مــا اتّفقــوا فيــهِ ، ومــا اختلفــوا

بقيتِ أنتِ، على مـا قيـل، لـؤلـؤةً

محـارُها هـذه الأجفـان لا الصَّـدَفُ !

*

يـا زهوَ كـل العـراقِ الليسَ يُـدركُـهُ

مـا يُبدعُ الشعـر، أو ما تُفـرغُ الصُّحُفُ

إلّا القلـوب .. وعنـدي من خَـوافقِهـا

قلبٌ إذا جُـزْتِ خطفـاً فيـه ينخطفُ !

يُقـال عنـه كثيـرٌ .. وهـو في شُغُـلٍ

بكـلِّ شيءٍ، سـوى أوجـاعِـهِ، كَلِفُ

ومـا الـذي أبقت الـدنيا لصـاحبها ؟

شـابت نوائبُنـا والنـاس مـا نَصَفـوا !

جـرى بنـا العمـرُ طـوفـانـاً، وزورقُنـا

في عـاصفٍ ثـائـرِ الأمـواج ينجـرفُ

لكنّنـا، ورَزايـانـا نكـابـرُهـا

نـدنو دنـوّاً لمـرسـانـا، وننصـرفُ !

*

تحيـــةً لــكِ يــا نبعــاً بــأضلعنــا
علَيـــه خيمـــةُ كـــلُّ العمـــر تعتكفُ

يظـــلُّ عيـــدُكِ أبهىٰ مـــا يُـــذكِّرُنـــا
بـــأنَّ في الأرض ســـرّاً عنـــده نقفُ!

*

نشرت في جريدة اليرموك بتاريخ ٣٠ / ٣ / ١٩٨٦

نهز فيهم نخيل الروح

يــومــاً ستتســألُنــا الأنــوارُ والظُلَمُ
ستتســألُ الــريــحُ ، والأمطــارُ ، والأكَمُ
هــذي أضــاءت ، وهــذي أظلَمَتْ ، وَسَــرَتْ
هــذي لمَنْ ؟ .. ولمــاذا هَلَّت الــدِّيَمُ
إن كــان كــلُّ شهــابٍ قبل مــولــدِهِ
مَــدارُهُ ، وهــو في المجهــول ، ينحطمُ !
إن كــانت الأرضُ ، من هــولٍ ، أجنَّتُهــا
ســودُ الطّــوالــعِ في الأرحــامِ تنفطمُ !
وقيــلَ بــل غيمــةٌ ســوداءُ مقبلــةٌ
ملعــونــةُ المــاء ، حتى رعــدُهــا وَرَمُ
كــأنَّهــا عقــربٌ جَمٌّ ذَنــائبُهــا
كــلُّ الــذين اقشعَــرَّتْ فــوقَهم يَتِمــوا

مـــا أنـــزلتْ شمُّهـــا يـــوماً بـــآهلـــةٍ
إلّا رأيتَ بنيهـــــا كلّهم عَقِمـــــوا
وقــد أنــاختْ على ايــران .. لستَ تــرى
عـــوداً بـــايـــرانِ إلّا وهـــو ينقصمُ
وهــا أتتْ .. فــانتفضنـــا ، كلُّ منجـرِدٍ
للمـــوتِ أحـــداقُـــهُ من لَفْعِهـــا سُـــدُمُ
أمّـــا العراقُ فَـــلا .. إنَّ العـــراقَ لَـــهُ
مهـــابـــةٌ بحـــدودِ اللّـــهِ تـــرتطمُ !
أمـــا العـــراقُ فـــلا .. سيفُ العـــراقِ إذا
مـــا هِيضَ سيفٌ ، ودمُ الـــواتـــرين دَمُ !
هـــا نجمُنـــا وَسْطَ غيمِ المـــوت نـزرعُـــهُ
وإنُّنـــــا نتحـــــدّى كيف ينثلمُ
تنحـــاشُ عنـــه غيـــومُ الكـونِ من هَلَـــعٍ
أو من هوىً .. وهو في الحالَينِ يبتسمُ
خمســـون جيلًا وهـــذا الليـلُ يـــرقبُنـــا
مثـــلَ الفَـــراشِ على الأضـــواءِ نـــزدحمُ

حتى نموتَ احتراقاً فَرْطَ سَوْرَتِنا
لكنْ يشعشعُ فينا الضُّوءُ والقيَمُ
إنّا بنو العزِّ، تأتينا مقاتلُنا
وجهاً لوجهٍ، ونأتيها، فنلتحمُ
حتى إذا ما انجلَتْ تبقى مَساقطُنا
بالمجدِ والدمِ لا بالموت تلتثمُ
تبقى رؤوسُ العراقيين عاليةً
تعتامُها النار لا يعتامُها الهَرَمُ

*

الناسُ ما شيَّدوا، والناسُ ما هدَموا
ناداهم الخُلْدُ، أو ناداهم العدَمُ
تبقى قوافلُهم، ما بين مولدِها
وموتِها، حاديـاها الزُّهوُ والألَمُ
وصهوةٌ للتحدّي لا يفارقُها
صهيلُها، وهي لا ساقٌ، ولا قَدَمُ
ولا جناحٌ، ولكنْ طيفُ مُرزِمَةٍ
وصرخةٌ، وجوابٌ كلُّهُ شمَمُ

انَّ التي نـدبَتْ بـالأمسِ معتصمـاً
كـانت على الحَدْسِ تـدري أين تعتصمُ!
وأعظمُ النـاسِ مَن يـأتيـك منتخيـاً
ومـا صـرَخَتْ، ولكنْ صـاحَت الشَّيَمُ!
بمثْـلِ هـذا انتخى صدام نخـوتَـهُ
كـالصَّقـر أفـراخُـهُ من حـولِـهِ دُهِمـوا
فـارفَضَّ عن قَسَمٍ، سِتٌّ مضَيْنَ ولم
يبـرحْ مهيبـاً، نـديّـاً ذلـك القَسَمُ!

*

يـومـاً ستسـألُنـا الأنـوارُ والظُلَمُ
ستسـألُ الشُـوحُ، والأنقـاضُ، والـرِّمَمُ
أكـان فيكم على سـاسـان مـوجـدةٌ؟
واللّـهُ يعلمُ، والتـاريـخ، والعجَمُ
أنّـا دفَعْنـا بهُـدبِ العين جمـرتهم
جيـرانُنـا، ومن الاسـلام نحتشمُ
حتى رأينـا بـأنَّ الـدِّينَ عنـدهمـو
مَـواجـعٌ قَـدْرَ مـا هُـوْ عنـدَنـا نِعَمُ

القـــــادسيَّــــــةُ من ألفِ فجيعتُهم
ونحن نـــــــرفضُ إلّا أنَّهـــــا رَحِمُ !

نهـــزُّ فيهم نخيـــلَ الـــروح عــلَّ بهم
بقيَّــــةً من تُقى سلمان .. لا سَلِمــوا !

ما في الجذوع سوى السُّلّاء .. إن لُمِسوا
أدمَـوا ، وإن تُـرِكـوا فـالـواخـزون همـــو !

هـــا هم ، وستٌّ على الطاحـونةِ انصرمَتْ
وكـــــلُّ أعمـّــارهم فيهـــا ستنصـــرمُ

وكـــلُّ دعـــوةِ داعٍ عنـــدَهم سلَفـــاً
عنهـــــــا ازورارٌ ، وفي آذانهم صَمَمُ

ويحلمـــــون ببغـــداد بـــــرامكـــةً
بمجـــد هـــارون في بغـــداد ينهـــدمُ

ويخســـأون ، فبغـــداد التي عـــرفـــوا
تبقى تعلِّمُ كســـــرى كيف ينهـــــزمُ

أمّـــا مقـــامُ أبينـــا ، لا أبـــا لهمـــو
فـــأين هم منـــهُ ذاك الطـاهـــرُ العلَمُ

دمـــاؤه شـــرفُ الـــدُّنيـــا ، شهـــادتُـــهُ
نبـــراسُنـــا ، وهـــوانـــا ذلـــك الحـــرَمُ
يُـــزايـــدون على أجـــدادِنـــا ولهم
على رقـــاب بنيهم خنجـــرٌ نَهِمُ
ويخســـأون ، فمـــا في كـــربـــلاء لهم
ولا ببغـــداد إلّا واصـــمٌ يَصِـــمُ

*

ستٌّ مضَيْنَ ، وهـــذا سَيلُنـــا العَـــرِمُ
هـــذي السَّرايا ، وهـــذي الخيـــلُ واللُّجُمُ
هـــذي الجبـــالُ من الفـــولاذ ، والـــرُّجُمُ
والسُّـــود ، والبيض ، والأدغـــالُ ، والأجَمُ
والـــواقفـــون عمـــاليقـــاً ، حشـــودُهمـــو
مـــدُّ الحـــدودِ كمـــوجِ البحـــرِ تلتطمُ
وخلفَهم ســـاتـــرٌ ثـــانٍ ســـواعـــدُهُ
عظـــامهـــا سَبَطـــانُ البيض والقلَمُ !

أأنت هـــذا أم الحـــوّافـــةُ العجَمُ ؟
الآن نبصـــرُ مـــا قـــالـــوا ومـــا زعمـــوا

*

بـــالجاثمـــاتِ على الآكام ، شـــاخصـــةً
أعنـــاقُهـــا ، وبنـــوهـــا قطُّ مـــا جثمـــوا
إن أرعـــدَتْ تُـــرعـــد الـــوديـــانُ من هَلَـــعٍ
أو أمسكتْ أمسكتْ أنفـــاسَهـــا القممُ !
بـــالمـــوغَـــراتِ منـــاقيـــراً وأجنحـــةً
إذا أغـــارتْ شهيقُ الـــريـــحِ ينكتمُ !
وتـــرجفُ الأرضُ في ايـــران راعشـــةً
أوكـــارُهـــا ، أيُّ وكـــرٍ ســـوف يضطـــرمُ ؟
تخيّلـــوا أنَّ بُعْـــدَ الأرض يعصمُهم
منهـــا ، وأين طـــريـــدُ المـــوت يعتصمُ ؟!
كـــانت « سري » قبـــل شهرٍ جـــدُّ مـــاثلـــةٍ
ثمَّ اختفى الرَّسمُ ، لا خَطُّوا ، ولا رسموا
وهم سكـــوتٌ ، فما صـــاحوا ، ولا شَتَمـــوا
كـــأنَّهم مـــا رأوا شيئـــاً ، ولا علمـــوا !

وقبلَهـــا جعلتْ من « خَـــرَجَ » منعطَفـــاً
وفـــوق طهـــران منهـــا واسمٌ يسمُ

*

بكبـــريـــاء العـــراقيين إن غضبـــوا
وكبـــريـــاء العـــراقيين إن حلمـــوا
بهَـــولهم في مهَبِّ الموت إن عـــزمـــوا
وحَولِهم .. ما أباحـوا فيـه أو كظمـوا
بكـــلِّ هـــذا سنـــاتيهم، وأعظمُـــهُ
هـــذا الـــذي يتنـــاهى عنـــدَهُ العِظَمُ
صـــدام والمجـــد، بـــل صـــدام والكـــرَمُ
صـــدام والبيض، والـــرايـــاتُ، والهممُ
صـــدام إن زوجِموا .. صـــدام إن زَحموا
صدام إن يبدأوا .. صـــدام إن خَتموا
طـــوقٌ من الهَـول أرسى حـــولهم قَـــدراً
كـــأنما هم بهـــذا الاسم قـــد وُسِمـــوا!
فـــإن بـــدا منـــه طيفٌ في مـــواضعهم
قلـــوبُهم منـــه في أقفـــاصِهـــا تَجِمُ!

هــذا الــذي جــدُّهُ في كــربــلاء لــهُ
منــارةٌ حــولهــا الأفــلاكُ تنتظمُ !
هـذا الـذي ، مفضياً ، في سرِّ هيبتِـــهِ
تبقى لألفِ عيــونُ الــدَّهــرِ تختصمُ !
بــه ، وبــالــواقفين الآن .. كــلُّ فتىً
مــا بين عينيــه مجــدُ الله يــرتسمُ
بهم جميعــاً غــداً تعلــو بيــارقُنــا
ومثلمــا نحن نهــوى ســوف تنحسمُ

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٨٦

رجز في المعركة

(*)

تقــدَّمي يــا قــوَّةَ الحسينِ تقــدَّمي فــأنتِ رَدُّ الــدَّينِ
شدِّي على الاعناقِ واليــدَينِ حتى تَـري شـرانمَ الخميني
كومَ جـرادٍ جـاحظِ العينينِ محتــرقٍ فـوق ثـرى النهـرينِ
تقــدَّمي يــا قــوَّةَ الحسينِ

*

* نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٨٦

(**)

نحن هنا يا أيُّهــا المُضِلُّونْ نحن هنــا منــازلٌ وأهلــونْ
مُذْ كُوِّرَتْ نحن هنــا مقيمونْ واللَّهِ يا زمــرةَ هذا المــأفون
قبــورُكم نحفـرهــا في « مجنـونْ » !

*

** نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٨٦

لا والـذي خـلق

لا ، والـــــــذي خلَقْ والليـــــــــلِ والفلَقْ
وحقِّ كـــــلِّ الـــدَّم والأوجـــــــاعِ والأرَقْ
وحقِّ عينيـــــكَ ومـــــا في العيـــن من ألَقْ
لتُغلقَـــنَّ الأرضَ عنهم أيَّ مُنغَلَـــــــــقْ
فـــلا يـــرى هـــاربُهم صـــدعـــــاً ولا نفَقْ
واحــــدُهم يبصـــرُ حتى ظلَّـــــه احتــــرقْ !
قبــلَ الـــرَّدى يمــوتُ من هـــولٍ ومن فَــــرَقْ
وحقِّ عينيـــــك ومـــــا في العين من ألَقْ
ليُصعَقُنَّ في الخـــــدود أيَّ مُنصَـــــعَقْ
حتى يَــروا كـــأنَّمـــا الـ سَّمـــــاءُ من حنَقْ
جنـــاحُهـــا بهَــولِـهِ عليهـــم انطبــــقْ !

ولن يُثيـــروا شعـــرةً فينـــــا من القلقْ

لا والذي خلقْ !

*

صـــدام ، كـــلُّ خـافقٍ حيٌّ ومــــا خفَقْ

وكـــلُّ غيمٍ بـــرقُـــهُ يُعـــرَفُ إن بـــرَقْ

ونحن أدرى جـــولَ مَن قـــد ضـــاقت الحلَقْ

إنْ هيَ إلّا صـــولـــةٌ للـــرُّشـــدِ والنَّـــزَقْ

لَيُصبحَنَّ بـــاللظى وبـــالـــدَّمِ الغَـــرِقْ

ومـــا بنـــا من رهبـــةٍ ولا بنـــا رهَقْ

واللّـــهِ ســـوف تغتـــدي حشـــودُهم مِـــزَقْ

ســـوف يَـــرونَ الفجـــرَ من دخـــانهـــا غسَقْ

يشتعـــلُ الصُّلْبُ كمـــا يشتعـــلُ الـــورَقْ !

نسحقُهم سحقـــاً فـــلا نُبقـــي لهم رمَـــقْ

وأنت في قلـــوبنـــا وأنت في الحـــدَقْ

تـــرى إلى سيف العـــراق كيـــف يُمتَشَـــقْ

وكيف بـــأسُ جنـــدِهِ صـــدام قـــد صـــدَقْ

نـــــذرٌ لعينيك مَسـيـــــلُ الـــدّم مـــــا دفَـقْ
يبقى العــــــراقُ الحـــــرُ بـــــابُ العــــزِّ لا تُـــدَقْ
وســـــــــوف لا ينطـقُ إلّا المـــوت إنْ نطَـــقْ !
لا والذي خلقْ !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٦

سيصير وجه الأرض أندى

أبشِــز ، فــأنت أعــزُ بنــدا وأشــدُ في الحدَثــان زنْدا
وأحـــرُ في الجُلّىٰ دمـــاً وأبـــرُ عنــد الــرّوع جُنــدا
أبشِـــز فمن جَيَشـــانهـــا سيصيــرُ وجهُ الأرضِ أنــدى
يُسقى بهم عَفنـــاً ، ويشـربُ من دمـــائـــكَ أنت رَنْــدا
ويضـمُهم جيَفــاً على أحقـــادهنّ كُمِــدْنَ كَمْــدا
بينـــا يضمُـــكَ بـــذرةً للخيــر .. أعــراســاً ومجـدا

*

أبشِـــز فـــإنّ رؤوسَهم لَحَمَ الخُـــواءَ بهـا وسَــدًى
نضجت رؤوسُ الخـــائبين فــأمعني يــا نــارُ حَصْــدا
شـــدّي فـــإنّ من المروءةِ أن نشــدّ اليــوم شــدّا
ونجـــدَّ في طلب الـــرّدى إنَّ الـــرّدى يا نــار جَـدَّا
شـــدّي ، فمن ألفٍ عـــرفنـــا أن نمـــوت أبـــاً وجَـــدّا
وتعلَّمتْ منّـــا الأنـــامُ بـــأنَّ للغَلَيـــان حَـــدّا

يـــا نــارُ إنَّ دمَ العــراقيين أكـــــرمُ من تصَـــــدّى

وأبـــرُّ من أهـدى ، وأصــدقُ من أثـــار ، ومن تحــدّى

أبشِـــز فهـــذا أكثـــرُ الهَيَجـــان مَـــلأمَـــةً وحقــدا

هـــذي نفيضــــةُ شمُهِم ألجمتَهـــا بـــرقــاً ورعــدا

ونفضتَهم نفضـــاً .. هَـــزستَ جمــوعَهم خَبْطـاً ، وعَضــدا

ونثَـــــرتَهم أكـــوام لحمٍ نُضُـــدتْ في الطين نَضْـــدا

هـــذا هـــو الحسمُ الـــذي وعــدوا بــه ايـران وَغــدا

خُتِمَتْ ضغــــائنُهم بـــهِ جثثـــاً على الأوحال رُبْـدا

خُتمَتْ بهم أســـــرى ، اذلّاءَ ، يُـــراح بهم ويُغــدى

خُتِمَتْ بهم عـــاراً بـــهِ ايرانُ عُمْرَ الـدَّهـرِ تُحـدى

*

هــذا العــراق .. هــو العـراقُ إذا بـــه الغضَبُ استبــدّا

وإذا طغى طـــوفـــانُـــهُ وسعى بـــه شِيبـــاً ومُــرْدا

تـــاللّـــهِ لن نُبقي لهم من كـلِّ مـا جمعـــوه وغـدا

إلّا أسيـــراً ، أو كسيـــراً أو حسيـــراً فـــرَّ عبــدا

يـــا بصــرةَ الـدُّنيـا ويـا «أمَّ الـرَّصـاص» عَظُمتِ وَقْـدا

وكـــرُمْتِ في الجُلّى دمــاً وسلمتِ يـــوم الـــرَّوعِ رَدّا

أنا ساهرٌ، أنا والعــــراق ومقلتي للفجـــرِ تنــــدى
أنّي أفـــورُ هنـــا دمــاً ويفـــورُ فـــوقَ الحـدّ فـــردا
مستـــوحَداً هــو والقيامـةُ يطـــردُ الأهـــوالَ طـــردا
يــــا سيّدي .. يــا سيّدي يـــا موطني الحَـدِبَ المفـدّى
نفسي فـــداك، وكلُّنـــا نفــديــــكَ .. آبـــاءً وولْـــدا
نـأتيك حـــدٌ نرى الحيــاة هبـــاءةً لهـــواك تُفـــدى
نــأتيــك حـــدٌ عيــونُنــا لمعـــانُهـــا لسنـــاكَ يُهـــدى
يـــا سيّـــدي أنت العـــراق فهـل عـــراقٌ منــــكَ أجـدى؟
هـــل غيـرَ دجلـةَ دجلـةٌ؟ ويــــلا فراتِــكَ كيف يُغـدى؟؟
كيف الحيـــاةُ بلاك ..؟ .. بل كيف الممات .. وأين يُردى؟!
وبـــأيِّ أرضٍ غيـــر أرضــك تـــرتضي الأجســادُ لحــدا؟
يـــا سيّدي، يـاذا النّعيم الثُّـــرِّ، والخيـــرات تُســدى
يـــا أكـرَمَ الكـــرمـــاءِ، يـــا أبهى بـــــلاد اللّه رِفْـــدا
إن يـــدخلوك .. ولا، ولـــو حصــــدوا العراقيين حصـــدا
أجســـادُنـــا القتلى ستنهضُ في وجـــوه الفـــرس سَـدّا

دمُنا الذي يجـــري يجيشُ   بـــوجههم غضَبـــاً ألَـــدّا

وستشهـــدُ الـــدُّنيـــا بـــأنَّ   دم العـــــراقيين صَـــــدّا !

وستشهـــد الـــدُّنيـــا بـــأنَّ   دم العـــــراقيين صَـــــدّا !

*

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٦

يا جند صدام

قُــلْ لي ، ويـومُـكَ هـذا أيُّهـا البطَـلُ
أيَّ احتفــالٍ بخطِّ النــار تحتفــلُ ؟!
كم ألف رشــاشــةٍ تعلــو هــلاهلُهــا ؟
كم مــدفعاً عِـذْلَ شِعرِ الأرض يـرتجلُ ؟!
وكيف تخطــرُ دبّــابــاتكُم أُنُفــاً
تكــادُ سُــرفتُهــا مِ الأرض تنفصــلُ !
زهــواً مــدافعُهــا ممّــا تخــوضُ لظىً
كــأنَّهــا بمَسيــل النــار تغتســلُ !
والمــوفيــاتُ أبــابيــلًا مــدوّيــةً
يلــوذ منهــا بــأدنى سفحــه الجبــلُ !
ما غاص في الليــل سربٌ من قيــامتها
إلّا رأيتَ نجــومَ الليــلِ تبتهــلُ !

ولا استحمَّ بضــوءِ الشمسِ معــدنُهــا
إلّا وكــادت بــه الآفــاقُ تشتعــلُ
القــاصماتُ ظهــورَ الفُـرسِ مـا حشـدوا
والحــاصداتُ رؤوسَ الفــرسِ مـا شتلــوا
أيُّ احتفالٍ لهـا في يــوم نخـوتِهـا ؟
وأيُّ طــوفــانِ نــارٍ ســوف ينهطــلُ ؟!

*

قُـــلْ لي ، ويـومُـكَ هـذا أيُّهـا البطـلُ
أبــالسِّنين حبــالُ العمــرِ تتَّصــلُ ؟
أم أنَّ يــوماً كمـا « اليومُ العظيمُ » بـهِ
أعمـــارُ نصفِ جيـوشِ الأرض تُختَــزَلُ ؟!
جيشَ العـراق ، وكم أرضـاً تــدوسُ على
رقــاب أطفــالِهــا الأوغــادُ والسَّفِـلُ
وللجيــــوش بهـــا عيــدٌ وطنطنــةٌ
ولستُ أدري بمـــاذا عيَّــدَ الهَبَــلُ !
بالعار؟ .. أم باحتلال الأرض ؟ .. أم بدِما
أهليهمــو .. وبــأيــديهم همــو قُتِلــوا

ويَخطـــــرون بشـــاراتٍ ، وأوسمـــةٍ

وتلمـــعُ الهـــام ، والأقـــدامُ ، والحُلَـــلُ

ولا تـــرى خجـــلًا يعلـــو وجـــوهَهمـــو

بينـــا بكـــلُ وســامٍ يشهقُ الخجـــلُ !

*

جيشَ العـــراق ، ومُـــذْ سُمِّيتَ ليس يني

بمحض ذكـــرِكَ مُيـــلُ الأرض يعتـــدلُ !

من محضِ طيفِـــكَ إذ تُنتخَى لـــداجيـــةٍ

يُحَسُّ أن شِبـــاكَ الهَـــولِ تنتقـــلُ !

وأنت تســـألُ دومـــاً عن عـــدالتهـــا

لكي تخوض .. فقُلْ للفُرس هل سألوا ؟

مـــا قيلَ عن جنـدِكَ الأبرار حيث هـوى

قنـــديلُهم بين أنيـــاب الـــرَّدى : قُتِلـــوا

حـــاشـــا .. يُقـال العـراقيـــون قـد ثبتـــوا

فـــاستُشهـدوا ، ويظـــلُ المـذنبَ الأجَـــلُ !

يا جُندَ صدام، يا من فـوق أروِسِهم
تظـلُّ تشتبـكُ الـرايـاتُ والأسَـلُ
المجـدُ، والهيبـةُ التُغضي لمـوكبهـا
كلُّ العيون .. وزهـوُ الـزُّهـو .. والأمَـلُ
وهـالـةٌ جمعت من كـلِّ معـركـةٍ
جـلالَ خـوفٍ وحبٍّ .. هكـذا البطـلُ!
عُفـرَ الفضاء إذا ما جاشَ جـائشُهم
للطَّيـرِ فيـه حفيفٌ حيثُمـا نـزلـوا
وللتـراب ابتهـالٌ تحت أرجلهم
كـأنْ عليهم سِقـاءُ الأرض يتَّكـلُ!
مجـرى الفُراتين مـا تستنـزفـون بهـا
من الـدمـاء، ومجرى غيـرِكم وَشَـلُ
للّـهِ أنتم، وأنتم مجـدُ أمَّتِنـا
لأيِّ إبـداعِكم إبـداعُنـا يصـلُ؟!

*

يـا واهبين العِـدا في كـلِّ ملحمـةٍ
إسمـاً يُسمّى بـه طـوفـانُها الجَلَـلُ

خمسون ألفاً لها « اليومُ العظيمُ » غـــدا
كنـــايـــةٌ ، فهمـــو قتـــلاهُ مـــا سُئِلـــوا !

*

يـــا جنـــدَ صـــدام ، والأعمـــارُ بـــاقيـــةٌ
بـــالباقيـــات ، وإنْ أصحـــابُهـــا رحلـــوا !
لليـــوم ذكْـــرُ صـــلاح الـــدين يمـــلأنـــا
زهـــواً .. ولليـــوم غيظُ الغَـــرب يعتمـــلُ !
حيٌّ لـــــدَينـــا صـــلاحُ الـــدين .. مـــالئـــةٌ
ليـــلَ العـــراق صهيـــلًا خيلُـــهُ الـــذُّبُـــلُ
وحيّـــــةٌ ، حيّـــــةٌ تبقى جحـــــافلُـــــهُ
ها هيْ .. وصدّام عنـــه الساعـــةَ البَدَلُ !

أعطِ القصيـــــدَ قصيـــداً أيُّهـــا الـــرَّجُـــلُ !
وكُنْ بـــــه يتبـــدَّلْ شكلُهـــا الجُمَـــلُ !
تغـــدو الحـــروفُ بهـــا من محض بهجتِهـــا
جِـــرْسٌ .. وكـــلُّ جـــديبٍ بينهـــا خَضِـــلُ !

ها أنت تـدخــلُ مثـلَ النَّجمِ قـافيتي
فكـلُّ حـرفٍ بشيءٍ منــك منشغـلُ !
وكـــلُّ معنىً لـــه عينٌ مسهَّـــدةٌ
لعلَّهـــا بشعـــاعٍ منـــك تكتحـــلُ !

*

أعطِ القصيـدَ قصيـداً أيُّهـا الـرَّجُـلُ
فـالشِّعـرُ، مـا دمتَ فيـه ، فـارسٌ غَـزِلُ !
كـالجيش ، مـا دمتَ فيـه ، من بطـولتِـــهِ
أنَّ انتصـــاراتِـــهِ بـــالحبِّ تكتمـــلُ !
كـــالشعبِ ، مـــا دمتَ فيـــه ، كلُّـــه زَرَدٌ
وأنت منـــه بكـــلِّ الحبِّ تشتمـــلُ !

*

يـــا سيّدي ، يـا عظيمَ المجـد ، مفخـرةٌ
أنّي بـــذكــركَ مثـــلَ السَّيفِ أنصقـــلُ !
يصيـــرُ شعـــريَ أبهى ، كيف أكتبُـــهُ !
تصيـــرُ نفسيَ أبهى ، كيف أنفعـــلُ !

لا غِـــلٌ يبقى بـــروحي ، لا مباهلـــةٌ
ولا التفـــاتٌ لما قـــالوا ، ومـــا فعلـــوا

لكنْ يضيءُ بقلبي كـــــــوكبٌ عجبٌ
أضـــواؤه فـــوق كـــلّ الهمّ تنســـدلُ !

*

ألقيت في عيد الجيش العراقي
ونشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٨ / ١ / ١٩٨٧

إن للحق شهقة

مـــــالَ للّــــهِ واعتصَمْ   مـــــالَ للحقِّ واحتكَمْ
أشهَـــد الـــرّمـــلَ والحصى   أشهَـــدَ الضَّـــوءَ والظُّلَمْ
أنطقَ الجنـــــدلَ الأصَمُّ   حَكَمَ أيُّهـــــا الحكَمْ!

*

النَّـــــواميسُ كلُّهـــــا   والمـــــروءاتُ والـــذِّمَمْ
والنبـــــوءاتُ ، والنُّهى   والمعـــــاييـــــرُ والقيَمْ
كلُّهـــا يـــا عـــراقُ في   صـــوتـــكَ البـاســلِ الأشَمْ
وهـــو يـــدعـــو دعـاءَهُ   أنَّ للجـــرحِ مُلتَـــأمْ
أنَّ للحقِّ شهقـــــةً   بعـــدهـــا يشهق النَّـــدمْ
أنَّ للّـــهِ حـــرمـــةً   غـــالَهـــا غـــائـــلُ العجَمْ
وغـــداً حين يبتـــدي   سيـــرى كيف تُختَتَمْ!

*

حـــاسمٌ أنتَ سيّـــدي   عمـــرَ ساسـان ما حسَمْ

منــــذ أن صــــال عـــــاصمُ	والــــرُّدي جــــولـــةُ أجَمْ
جــالت الخيــلُ يـــومَهـــا	وكبـــا الفيـــلُ وانهـــزمْ
هــــــــوَ ذا رستمٌ أتى	مثلَمـــا جـــاءَ في القِـــدَمْ
إنَّمـــا اليـــومَ فيلُـــهُ	غنَمٌ خلفهـــــا غنَمْ
وذئـــابٌ تســـوقُهـــا	لا زمـــامٌ ، ولا حُـــزَمْ
وانتخينـــا ، وأهلُنـــا	علَمٌ نُصْبَـــهُ عَلَمْ
فـــإذا أنت سيّـــدي	وإذا اللُّـــهُ والشِّيَمْ
وإذا بـــالعـــراق لا	« سوس ، لا رُوس »[1]، لا لِمَمْ
بحـــرُ مـــوتٍ مُعَبّـــأً	كلُّمـــا أوغِـــرَ التطَمْ
مغـــرقـــاً كـــلَّ مـــا رأى	جـــارفـــاً كـــلَّ مـــا رَنَمْ

*

حـــاسمٌ أنت سيّـــدي	عمـــرَ ساسـان مـــا حسَمْ
أيُّ حسمٍ بمن لَـــــهُ	بين مـــوتَينْ مـــرتطَمْ ؟
إنَّمـــا الحسمُ فَـــزْعـــةٌ	دونَهـــا الكـــونُ مقتحَمْ
فـــزعـــةٌ لا مـــدى لهـــا	لا حســـابٌ ، ولا رقَمْ
فـــزعـــةٌ في مَخـــاضهـــا	تغـــرقُ السّـــاقُ والقـــدَمْ

(١) مثَل عراقي يضرب للكثرة والجَيشان .

إنَّمــــا الحسمُ صيحـــــةُ صيحـــــةَ اللّـــــهِ في إرَمْ !
والـــــذين احتفَـــوا بهـــا مـــــا بـــــآذانهم صَمَمْ
مـــا بـــأرواحهم قـــذى مـــا بـــأكبـــادهم ورَمْ
العـــــــراقُ العظيمُ هم وهـــو صـــدّامُ لا جَـــرمَ
يـــا عـــراقَ الابـــاء يـــا وطنَ العـــزِّ والكـــرَمْ
إنَّ لي فيـــكَ نخـــوةً أتّني والـــــــــدٌ وعَمْ
قيـــلَ تـــرضى بسَـــوقِهم ؟ فتلَفَـــتُ مـــن ألَـــمْ
أيُّهـــا السّـــائلي : نعم ضـــــجَّ حتى دمي : نعمْ
إنَّ هـــذا العـــراق .. هـــل لهمـــو بَعـــدَه حَـــرَمْ ؟
هـــل لهم بَعـدَه هـــوىً ؟ مكتبُ ؟ .. دفتـــرُ ؟ .. قلَمْ ؟
أيعيشـــــون يُتّمـــــاً وينـــامـــون في الخيَمْ ؟
أينـــالـــون عِـــرْضَهم وبهم مـــا يـــزال نَمْ ؟؟
أيُّهـــــا السّـــائلي نعم رغم مـــا بي من الضَّـــرَمْ
إنَّ أولادَنـــــــــا لهم شـــرَفٌ قطُّ مـــا انثلَمْ
ولهم خيـــرُ أســـوةٍ أنَّ صـــــدام في الأزَمْ
واقفٌ قبـــــلَ جُنـــدِهِ حيثمـــا الجـــاحمُ اضطـــرمْ

*

من أين أبدأ يا بغداد مسراكِ؟

من أيِّ باب هوىً؟ .. من أيِّ شبّاكِ؟
من أيِّ رجعِ مقامٍ في حنـايـاكِ؟
من أين أبدأ يا بغداد مسراكِ؟

●

من أيّما شهرزادٍ جدُّ آسرةٍ؟
من أيّما سندبادٍ جدُّ مَلّاكِ؟
تظلُّ ثروتُه الكبرى مغامرةً
مسحورةً، وحكايا من حكاياكِ

●

من أيِّ عينِ مهاً في الجسرِ ناعسةٍ؟
من أيِّ ثغرٍ على الجرفَين ضحّاكِ؟
من أيِّ مسحبِ زِقٍّ؟ .. أيِّ قافيةٍ
تَتَعْتَعَتْ بين مخمورين نُسّاكِ

يُلملمــــون حكـــايـــاهم ، وينثــرُهــا
سمــــعُ الظــلامِ بــريــداً فــوق أســلاكِ
وجـــرفُ دجلـــةَ يُبـــدي في تَكَسُّـــرِهِ
أشكـــالَهم مـــرتبكـــاتٍ أيَّ إربـــاكِ !
من أين أبـــدأ يـــا بغـــداد مســـراكِ ؟

●

من أيِّمـــا قُبَّـــةٍ ؟ .. من أيِّ مئـــذنـــةٍ ؟
من أيِّ تـــرجيع ذكـــرٍ خـــاشـــعٍ بـــاكِ ؟
من أيِّ مـــوكب مجـــدٍ في مَجـــرَّتِـــهِ
تصـــادمَ الكـــونُ أفـــلاكـــاً بـــأفـــلاكِ ؟
من غيمـــةٍ أمطـــرتْ .. من غيمـــةٍ عبـــرَتْ
وخلفَهـــــا عينُ ذي خَـــــدَّين دَرّاكِ
لـــو شـــاء أنـــزلَهـــا ، لكنْ مكـــابَـــرةً
قـــال اذهبي فجميـــعُ الأرضِ أمـــلاكي !
من أين أبـــدأ يـــا بغـــداد مســـراكِ ؟

●

من أيِّ ليلٍ على الدُّنيا أحاطَ بهــا
ولم يكن كــوكبٌ في الأرض إلَّاكِ
أضــاتِ وحدَكِ حتّى نوديَ احتــرقتْ
فــرطَ الضياء، فقال المجدُ : طوبـاكِ !
بقيتِ عَبْــرَ قــرونٍ خمســةٍ قُطُبــاً
لــلأرض، دولابُهــا مــا دار لــولاكِ !

●

أمّ الــرشيــد، ولــلأيــامِ دورتُهــا
يحزُّ حتى الحصى نـاعـوزُها الشــاكي
هـو الـزمـان .. تشيـخُ الأرضُ يعبُــرها
سَمْحـاً، فكيف بـأنـوالٍ وأشــراكِ ؟
هــو الـزمـان، وقـد شَيَّبتِـهِ حَـدَثـاً
لفــرطِ مــا زلَّ عن مَــرقـاهُ مَــرقـاكِ
كــؤزتِــهِ وهـــو سَبْطٌ، وانطلقتِ بــهِ
مسعــاهُ يــدمى لكي يحظى بمسعـاكِ
جميــعُ أعمــارهِ في عمــركِ اختُصِــرَتْ
بلى، وفُسِّــرَ معنــاهُ بمعنــاكِ

وأنتِ تستعجلين الأرضَ دورتَهـــــــــــا

حتّى كـــأنَّ رَسَنْ الـــدُّنيـــا بيُمنـــاكِ

لم تـذكـري في مَهَبِّ الـزُّهـوِ سـابحـةً

أنَّ الـــزَّمـــانَ أبيـــدُ بين هُـــلّاكِ

وأنَّ فـــرطَ اختـــزالِ الـــوقتِ سيّـــدتي

قـــد يُسلِكُ المــرءَ دربـاً دونَ سُـــلّاكِ !

●

أمَّ الـــرشيـــد ، وكـــلُّ الـزُّهـوِ أنَّ لنـــا

هـــذا الهـــوى حين نستقـــري محيّـــاكِ

قطعتِ وحـــدَكِ شـوطـــاً عَـــزَّ قـــاطعُـــهُ

مـــا كـــان في تيهِـــهِ إلّا سـَــرايـــاكِ

كـــانت ظُبـــاكِ بُـــروقَ الأرضِ أجمعِهـــا

وخيـــرَ أمطـــارِهـــا كـــانت سجـــايـــاكِ

ألهبتِ خيلَـــكِ حتى قطَّعتْ غضبـــاً

أرســـانَهـــا بين أعجـــامٍ وأتـــراكِ

وأسلمتْ نفسَهـــا للـــرّيـــحِ مُسبَلَـــةً

أعـــرافُهـــا ، مُنهكـــاتٍ أيَّ إنهـــاكِ

ونالَ منكِ الأذى بغداد، ما عرفتْ
أرضٌ دماً كالذي أجرَتْ ضحاياكِ
ولا خراباً كما أقداسُكِ انتُهكت
ولا عذاباً كما ريَعتْ صباياكِ
ولا هواناً كما مدَّتْ منائرُنا
رقابها تحتَ كَفَّيْ كلِّ سَفّاكِ
ونمتِ بغداد .. ألفاً شمسُكِ انطفأتْ
وأخلدَتْ لمآسيها سباياكِ
ما بين آونةٍ تعبى، وآونةٍ
تعبى، تلملمُ بعضَ الضَّوء عيناكِ
فتطرفينَ بجفنٍ جدُّ مستلَبٍ
ما كان يطرفُ لولا الحيفُ جفناكِ
لكنَّها الرّوح .. أيُّ الأعصُرِ انتفضَتْ
كِبْراً لهَولِ الرَّزايا وهي تغشاكِ؟
وأيُّ فجٍّ سحيقٍ ثار ثائرُهُ؟
وأيُّ صوتٍ نبيٍّ منه ناداكِ؟!

وقمتِ بغـداد .. مـا قـامتْ، ولا شهقَتْ
عَنقـــاءُ أرضٍ كمـــا دوَّىٰ جنـــاحـــاكِ

شهقتِ والأرضُ من حبٍّ، ومن هلَـــــع
أنفـــاسهـــا أمسكتْهـــا أيَّ إمســـاكِ!

وأنتِ تقتحمين الجـــوَّ شـــاطـــرةً
غيمَ الضُّحى والدُّجىٰ شطرَين .. بُشراكِ!

بُشـــراكِ إنَّ مخـــاض الأرضِ ثـــانيـــةً
سيمـــاؤهُ تتـــلالا فـــوقَ سيمـــاكِ

أوجـــاعُـــهُ كلُّهـــا هـــذي .. هـــواجسُـــهُ
هـــذي .. وهذا التَّحـدِّي، والـدَّمُ الـزَّاكي

هـــذي عـلامـاتُـكِ العظمىٰ فـــلا تَهِني
بغـــداد، إنَّ بشيـــرَ الغيبِ وافـــاكِ!

أدري بـــأنَّ المخـاضَ الصَّعبَ صـرختُـهُ
بحجمِـــهِ، ولقـــد بـــالامسِ أبكـــاكِ

لقـــد رعتــكِ عيـــونُ اللّـــهِ حِقْبَتَهـــا
وَمـــا تـــزالُ عيـــونُ اللّـــهِ تـــرعـــاكِ !

●

يــا أختَ صدّام .. عـذراً قد يُقـال لنـا
وأنتِ من ألفِ عـــــامٍ أمُّ مــــــولاكِ
أمُّ الـرشيـد .. فكيف الآن ، بعـد مـدىً
حفيـــدُ أحفـــاذِهِ صـــدام آخـــاكِ ؟!
يــا أختَ صـدّام .. هـارون العظيمُ نَمـا
وشبَّ حتى مضى ، مجـــراهُ مجـــراكِ
مــا شـالَ دجلـةَ يـومـاً عن شـواطِئهـــا
ولا رمىٰ سهمَـــهُ في غيـــرِ مـــرمـاكِ
ولا استجـــدَّ بـــهِ شـــوطٌ فكـابَـــدهُ
ولا تجـــرَّأ يـــومـــاً مـــا فـــأوصـاكِ
إبنٌ عظيمٌ ولكنْ لم يُجـــزْ أبـــداً
حـــدّاً تُقصِّـــرُ عن فتـــواهُ فتـــواكِ
لكنْ لصــــدام ميـــلادٌ ولِـــدْتِ بـــهِ
جـــديـــدةً ، ولـــه مـــرأىً كمـــرآكِ

وجهانِ ، واسمانِ .. نفسُ الجِرْسِ جِرْسُهُما
حتّى كـأنَّ الـذي سمّـاهُ سمّـاكِ !
نفسُ المـلامحِ .. حتى كبـرياؤك في
أردانِـهِ .. ولـه فحـوَىً كفحـواكِ
أنَّ الـرُّضـا والقضـا ضـوءٌ بمقلتِـهِ
ذا جـدُّ سمحٍ ، وهـذا جـدُّ فتّـاكِ !
وإنّـهُ لَمهيبٌ دون غطـرسـةٍ
وإنّـهُ لبشـوشٌ دون إضحـاكِ !
وإنّـهُ مثـلُ حَـدِّ السَّيفِ منصلتٌ
ويغتـدي نبـعَ مـاءٍ حين يلقـاكِ !
هـذا شبيهُك .. لـو ناداكِ ذو نَسَبٍ :
يـا أخت صـدام ، زكّـاهُ وزكّـاكِ !
فقبّلي حـرّةً بغـداد جَبهتَـهُ
ومَـرِّري فـوق ذاك المجـدِ يُمنـاكِ
وكفكفي تعَبـاً .. اللّـهُ يعلمُـهُ
لـو تعلمين بـه يـومـاً لأشجـاكِ

شـــدّي على يدهِ، فـــاللّـهُ شـــدَّ بهـــا
كـــلَّ العـــراقِ مصيـــراً مُـــذْ تَـــولّاك
قـــولي لـــه هـــا مفـــاتيحي .. وأوَّلُهـــا
مفتـــاحُ قلب العـــراقيّين، مُـــلّاكي
إفتـــحْ بـــه كـــلَّ ضلـــعٍ من أضـــالعِهم
وقـــلْ لهـــا حـــدّثيني عن خبـــايـــاكِ
تجـــدْ قلـــوبَ العـــراقيّن خُطَّ بهـــا
تهـــوَين صـــدام إذ صـــدام يهـــواكِ!

●

يا أختَ صدام، حاشا، والسُّيـــولُ طغَتْ
أن تستكيني إلى الطـــوفـــان .. حـــاشـــاكِ
أنتِ التي كلَّمـــا جـــاشتْ غـــواربُهـــا
مـــا قَـــرَّ إلّا على الأهـــوال مـــرســـاكِ
من عهد «بابـــكَ» شدَّ الفـــرسُ صهوتهم
ولم يـــزلْ يعتَليهـــا كـــلُّ أفّـــاكِ
غـــولٌ من الحقد، لا نيرانُـــهُ انطفـــأتْ
ولا رزايـــاهُ آدَتْهـــا رزايـــاكِ

بغداد، هل من خيارٍ في مروءتنا ؟
وهل لنا أيُّ مأوىً غيرُ مأواكِ ؟
ولا لو انَّ الدِّما صارتْ مساربُها
مثلَ الينابيعِ حتى فاضَ نهراكِ
لما مددْنا لهولاكو الجديد سوى
هذا الرصاص مَمرّاً نحو مغناكِ !
قولي لصدام إنا جدُّ غاليةٍ
دماؤنا، وهو أغلاها وأغلاكِ
لكنَّنا حين يُستَعدىٰ عليكِ فلا
وحقِّهِ هوَ لا نختارُ إلّاكِ !

●

يا بنتَ سيِّدِنا المنصور، معذرةً
أنّي أطيلُ على الأوجاعِ لُقياكِ
أدري بأنَّكِ أجفاناً وأفئدةً
مشغولةٌ بالغَوالي من هداياكِ
مشغولةٌ بالذين استنزفوا دمهم
ويسألونَكِ صرعىٰ : هل وفَيناكِ ؟!

ونحن نندبُهم حزناً وموجدةً
ما كان أفقرَنا فيهم وأثراكِ!

●

بغداد، يا ملتقى حبّي، وأشرِعتي
وأنهُري، ووريداتي، وأشواكي
ويا نجيّة روحي دون مزدَلَفٍ
ويا نبيّة زهوي دون إشراكِ
ألفٌ ونيفٌ، وها أولاء نحن هنا
تهيمُ أرواحُنا وجداً بدنياكِ
نقيمُ حتّى أبا المهدي ونسألُهُ
إن كان لمّا بنىُ سورَيْكِ أعلاكِ
ونستشيطُ على هارون أنَّ هوىً
أدمىَ وليدَيْهِ فرْطَ الحَذْبِ أدماكِ
ومثلنا، بعدَ ألفٍ، يستقيمُ هنا
أحفادُنا، في عتيقٍ من زواياكِ
لأنَّهُ إرثُ إهليهم.. يُسائلُهُ
صغيرُهم: جَدُّنا لِمْ يرتدي الخاكي؟!

وتشرحين له بغداد زاهيةً
ماذا ارتدى جدُّهُ أيّامَ فَدّاكَ !

●

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٩٨٧

يا مصـــر ...

نفسي لـــديـــكِ، وأنفـــاسي على بلـــدي
وإن تكـــوني رفيفَ القلبِ في جســـــدي
يـــا مصرُ، يـــا أمَّنـــا .. واللّـــهِ لـــو نكرَتْ
هـــذا دمـــانـــا ســـالتْ اللّـــهَ لم تلـــدي!
فـــأيُّ معنىً لمـــا نحيـــا لـــو اتُّهمَتْ
دنيـــاكِ حتى صـــلاةَ الأمِّ للـــولـــدِ؟!

●

يـــا مصـــرُ، مصـــر التي يـــومـــاً دفعتُ لهـــا
عـــامَين من عُمُـــري أيّـــامَ كـــان نـــدي
أيّـــامَ هـــاجتْ هيـــاجـــاً بـــور سعيـــد، وفي
بغـــدادَ كنّـــا نعـــاني ذروةَ الكمَـــدِ
عـــامين من عُمُـــري في السّجنِ عفتهمـــا
لمحضِ قـــوليَ مصـــرُ هـــذهِ بلـــدَي!

إن يــذبحــوهــا فمــوســاهم على عُنقُي

مَن ضــامني أنّني أحيــا ولــو لِغَــدِ ؟

●

يــا مصــرُ إنّــا جمعنــا كـلُّ أعصُــرِنــا

من عهــدِ فـرعــون .. من آشـور .. من أكّــدِ

فلم أجــدْ مثــلَ قُطــرَيْنــا مكــابَــرَةً

بــادَتْ جميــعُ العِــدا فينــا ولم نَبِــدِ !

وذاك أنَّ الحضـــــاراتِ العظيمـــــةَ لا

تقــوى عليهــا ، ولــو طـالتْ ، يــدُ الأبَــدِ !

●

يــا مصرُ ، يــا مصــرَ أهلي .. أهلُنــا بَــدَدٌ

حــاشــاكِ أن تُحشَــري في ذلــكِ البَــدَدِ !

حيثُ التفتُّ أراني بينهم أحـــــــــداً

وهم كثيـــــرٌ ، ولكنْ ليس من أحــدِ !

يــا مصرُ ، عُمْــرَ عـراقِ الكِبْــرِ مــا صـرخَتْ

في أرضِــهِ حــرَّةٌ من قلَّــةِ الجَلَــدِ

لا والـــذي جعـــل النّيـــلَ العظيمَ هـــوىً
للـــرافـــدين .. ضخـــامٌ نحن في الـــزَّرَدِ !
تثلّمتْ شَفَـــــراتُ الأرضِ في دمنـــــا
من ألفِ عـــامٍ ولم نضـــربْ يـــداً بيـــدِ !
أهلـــوكِ نحن ، ولا واللّـــــهِ لـــو وردَتْ
زُفْـــرُ النجـــومِ ذليـــلَ المـــاء لم نـــردِ
لكنْ يعـــزُّ علينـــا أن يُقـــألَ لنـــا
أنتم قليـــلٌ ، وفينـــا كثـــرةُ العَـــدَدِ !
لا بـــاس .. ربَّ كثيـــرٍ مـــا لهم مَـــدَدٌ
وقلّـــةٌ خَصَّهـــا الـــرحمن بـــالمَـــدَدِ !

●

يـــا مصـــرُ ، مصـــر التي يـــومـــاً تهيِّمني
منهـــا صغيـــراً خيـــالٌ دار في خَلَـــدي
رأيتُ فيـــه ذرى الأهـــرامِ ســـابحـــةً
في النّيـــل ، والنيـــلُ طـــوفـــانٌ من الـــزَّبَـــدِ
وملتقى سُفُنٍ تجـــري ، وســـاريـــةٍ
تســـري ، وأســـرابُ أطفـــالٍ بهـــا جُـــدُدِ

وجـــوهُهم فــرَحُ الــدُّنيــا بــأجمعهــا

ومــا بهم مثـــلُ مــا فينــا من العُقَــدِ

من نصفِ قـــرنٍ وهـــذا الطَّيفُ يحضـــرني

وكلَّمـــا جئتُ أرسى وجهَـــهُ صَـــدَدي !

●

يـــا مصـــرُ أطفـــالُنـــا صـــرنـــا نُعلِّمُهم

أن ينصبـــوا خيمـــةَ الـــدُّنيـــا بـــلا وَتَـــدِ !

أن يقطعـــوا كي يشـــدّوهـــا أصـــابعَهم

ولا يمـــدُّوا بهـــا يـــومـــاً إلى أحـــدِ !

أن ينهضـــوا ، وهمـــو زُغْبٌ ، على رَصَـــدِ

ويُغمضـــوا الجفنَ ـ أيقـــاظـــاً ـ على رَصَـــدِ !

وأنّهم لِغَـــدٍ مـــوفـــورةٌ سَلَفـــاً

دمـــاؤهم .. وكبـــارٌ هم على المُهُـــدِ

لا يلعبـــون أُطَيفـــالاً كمـــا لعبَتْ

أقـــرانُهُم .. بـــل رجـــالٌ .. سَيْـــرَ متَّئِـــدِ

مِ الآن واحـــدُهم إنْ يســـألـــوهُ يُجِبْ

قَـــدْرَ السّـــؤالِ ، ومـــا أصغَيتَ لم يـــزِدِ !

أولاء أولادُنـــا يـــا مصـــر .. يــوجعُنـــا
أن يفقــدوا غِيَّهم في زحمـــةِ الرَّشَـــدِ !
لكنْ كـــذلـــكَ ، مـــا دامتْ رؤوسُ بني
عمّي ، على كـــلِّ ضيمٍ رأسُ مُتَّبِـــدِ !

●

يـــا مصـــرُ عـــذراً إذا مـــا شطَّ بي ألمي
عـــذراً على حَـــرَدي .. عـــذراً على لَـــدَدي
عـــذراً على أنّني أبقى أنـــزُّ دمـــاً
من الأسى ، ويـــدي دومـــاً على كبـــدي
لقـــد تعـــوَّدتُ مثـــل النـــاسِ في وطني
بـــأنْ أرى وجعي في حـــالـــةِ سَنَـــدي !
حتى اتَّكـــأتُ على جـــرحي .. ومن عجبٍ
أنّي حُسِـــدتُ عليـــهِ غـــايـــةَ الحسَـــدِ !
لا بـــأس .. نبقى كبيـــراتُ مصـــائـــرُنـــا
في ذروةِ الهمِّ ، أو في ذروةِ الـــرَّغَـــدِ !

●

كتبت وألقيت في مصر
ونشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٩ / ٥ / ١٩٨٧

فهرست المجلد الأول

فهرست المجلد الثاني

فهرست المجلد الثالث

٩٢ و ٨١١
ع ٤٥٢ عبد الرزاق عبد الواحد
الاعمال الشعرية / تأليف عبد الرزاق عبد الواحد . ـ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١
مع ٣ (ص)، ٢٤ سم.
١ ـ الشعر العربي ـ العراق
أ . العنوان
م . و
٧٠٠ / ٢٠٠١ .

المكتبة الوطنية ((الفهرسة اثناء النشر))
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٠٠) لسنة ٢٠٠١.



عبد الرزاق عبد الواحد

الأعمال الشعرية

المجلد الرابع

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة



بغداد - ٢٠٠٢



دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات الى

رئيس مجلس الادارة: عادل ابراهيم

العنوان:

العراق ـ بغداد ـ اعظمية

ص. ب. ٤٠٣٢ ـ فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

البريد الالكتروني dar @uruklink. net

الموقع على شبكة الانترنيت WWW. uruklink. . net/iraqinfo/
culture. htm

عبدالرزاق عبدالواحد

الاعمال الشعرية

المجلد الرابع

الطبعة الثانية ـ بغداد ـ ٢٠٠٢

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٤) لسنة ٢٠٠٢

هو الذي رأى

١٩٨٩

هــو الــذي رأى

افتتاح المربد ١٩٨٥

قَدَرٌ في الجبينْ
تكونُ النبوءةُ في أرضكم
وتكونون ، عُمرَكمو ،
آخرَ المهتدينْ ..

هو الذي رأى
هو الذي قال
سيعبُر السَّماءَ طائرٌ في كفنٍ
يتركُ خلفهُ بعرضِ الجوِّ
غيماً موحِشاً
ودهشةً مذعورةً

ووجَعاً يوغلُ في الأرواحِ والأبدانْ

كلُّ العيونِ العالقاتِ في مَسارِهِ
تبيضُ
ثمَّ حين يستوي في السَّمت
تسوَدُّ من الأحزانْ
فلا تنظروا صوبَهُ
قال لا تنظروا صوبَهُ
إنَّ خَفْقَ جناحيهِ
يرشقُ أعينكم بالنُّعاس
ويستَلُّ منها أشعَّتَها
فتُرَوْنَ صُحاةً
وأنتم رقودْ
تُستَباحونَ بين التَّوهُّمِ بالصَّحوِ
ثمَّ التَّوهُّمِ من جزعٍ بالهجودْ

أرأيتم الى شبحٍ
بأصابعَ معروقةٍ

يفتحُ الصَّدرَ والبطنَ
يُخرجُ أكبادَكم وقلوبَكمو
ثمَّ ياكُلها بين أعيُنِكم
بينما تنظرون
ولا تملكون حراكاً
عيونُكمو وحدَها المبصرات
ولكنَّها جمدتْ
فهي معتمةٌ لا تُضاءُ
بسوى ما ترشُّ عليها أصابعُهُ من دماءْ

فلا تنظروا صوبَهُ
قال لا تنظروا صوبَهُ
غيرَ أنَّكمو قد صَممتُم عن الصَّوتِ آذانَكم

وتبعتُم وساوسَكم
وتوابيتَ من عهدِ نوحٍ هنا دُفِنَتْ
بالهواجسِ أخرجتموها
ثمَّ فتَّحتموها

وإذ لم تَروا في قرارتها ميّتاً
صاح صائحكم :
إنَّ هذي التوابيت قد سُرِقَتْ
كان فيهنَّ موتى

ولم تسمعوا منه صوتا
ظلَّ يصرخُ :
إنكمو تظلمون تواريخكم
قلتمو نتبعُ الطَّير
قال إذن تظلمون بنيكم وأحفادكم
قلتم الطير
قال وأنفسَكم تظلمون
فاتَّقوا ساعةً
تمسحون باجفانكم كلَّ أتربة الأرض
عن ذرَةٍ من غبار البلاد التي أنجبتكم
فلا تجدونْ

إفتحْ تابوتَكَ يا عازرْ
وادخلْ فيهْ
لا توغلْ في هذا التِّيهْ
حتى لو صلبَ المصلوبُ عليك حشاشَتَهُ ألفاً
لا تنهضْ
أنت دُفِنتَ بهذا التابوتْ
وبهِ ستموتْ
حتى يوم الدِّينْ
آمينْ ..

ودخلتم توابيتَ لم تَكُ قطُّ توابيتَكم
حَسَناً ..
نرفضُ أن ندفنَكم

ـ سأدفنُ نفسي أنا
إنَّ جرحاً كجرحيَ
لا بدَّ أنّي به ميّتٌ منذ أيام قابيل
من أين أحيا

وكلُّ دمائيَ قد نُزِفَتْ ؟

أَمْ تريدون أن تمنحوني دماً ؟؟

فامنحوني عروقاً لَهُ

فالعروق التي فيَّ قد يَبِسَتْ

غربتي أيبسَتْها

وطولُ انتظاريَ أيبَسها

والشّكوكْ

ياما رَكضتُ

يطاردني الخوف

كلُّ القطاراتِ تَصفرُ راحلةً

والحقائبُ تمضي لدفء منازِلها

وأنا ..

أتعثَّرُ بين المحطات

يركضُ خلفي سؤالُ المَخافرِ :

مَنْ أنت ؟

أرجعُ مرتعشاً

ثمَّ أركبُ من دون وعيٍ قطاراً يُصفِّرُ

أعلم أنَّ القطارَ ينادي مدينَتهُ

وأنا ..

يصفرُ القلبُ في أضلعي

ثمَّ يبكي

والمروءاتُ تبكي

سَعَفُ النخلِ يبكي

نقاتلُ ملءَ محبَّتنا

ثمَّ نَذكرُكم

ملء زهوِ دفاترِ أطفالنا

وأناشيدهم

ثمَّ نذكركم

وهلاهلِ نسوتِنا

وهواهنَّ

نذكركم ،

والعراقُ ترفرفُ رايتُهُ ،

نتلفَّتُ ..

يومٌ لكم أيُّها الأخوةُ الغائبون

وها هي أعلامُنا

أعيُنُ الاكرمين بها كالدَّراري

ودماؤهمو تتصبَّبُ فوق الصواري

وها صوتُ أطفالنا

لبطولاتِ آبائهم يُنشدونُ

هو يومٌ لكم أيُّها الأخوةُ الغائبونْ

والعراقُ يشدُّ جناحَيه شَدّاً

لينشرَ عرضَ السماواتِ رايتَهُ ..

كلُّ أسمائنا طُرِّزَتْ فوقها

ويميناً

تركنا مواضعَ أسمائكم وَسْطَها

وهي ترنو لكم

أيُّها الاخوةُ الـ ظلَّ يوجعُنا

أن نُبدِّلَ غيبتَهم بالأسى

ونقول لعلَّ ..

نقولُ عسى ..

ثمَّ نسمعُ صوتاً يُشكِّكُ في دمنا

ويجادلُنا في مروءتِهِ
نتساءَلُ ،
والدَّمُ يشخبُ من كلِّ أوصالِنا :
أبَقيَّةُ ذاك العراقيِّ
هذي ؟؟
تُرى ما يقول لأطفالهِ الآن ؟
يشتمُ عُريَ مدينتهِ ؟
أسيشمتُ أنَّ منازلَها هُدمَتْ ؟..
أمْ تراه يُخوِّفهم أنَّها سوف يبتلعُ الحوتُ أطفالَها
ولهذا رحلنا ؟؟
وكيف يواجهُ أعينَهم
واللُّغاتِ التي ينطقون بها
إذ يحاولُ أن يتذكَّرَ واحدُهم
إسمَ هذا الذي يتحدَّرُ من عينِ والدِهِ الآن
بالعربيَّةِ .. ؟
ــ ألعنُكم ،
ثمَّ أشتمُ نفسي
لأنِّيَ أترعتُ بالسُّمِّ كأسي

ولم أنتَظرْ ..
يتوسَّلُ راسي
بكفّي ،
ونصلُ بقبضتها :
أجّلي قطعيَ الآن
لا تَعجلي
إنَّ لي
شاهداً بين كلِّ صغيرَينِ منهم
فلا تَعجلي

إنَّهم أهلُنا
ربَّما أخطأوا
ربَّما أبطأوا
في الوصولِ إلينا
فلا تَعجلي ..

وانتظرَتْ
نُقسِمُ أنَّ أياديَنا انتظرتْ

كنّا نتلفَّتُ
ونحملقُ في كلِّ الأوجُه
لو شاهدْ
لو وجهٌ واحد ..

وانتظرَتْ
كلُّ شفاه الأرض انفطرَتْ
لم يُقبلْ وجهٌ منكم
يمنحُ هذا الرأسَ أماناً
يمنحُ أيديَهُ سلطاناً
أن تسمعَهُ
ألّا تقطعَهُ
كلُّ الأعينِ كانت مُتَّهِمه
فقطعنا أروُسَنا
ورحلنا

ما قُلنا
لكنّا عندَ البابِ سألنا :

ماذا لو أنَّ أهالينا
سَتروا غالينا ؟!

ـــ مكسملينا
أمليخا
أونوش
حتى لو كنتم أصحابَ الكهفِ
ولستم
لَتَفقَّدتُم
أسماءكم الآنْ
أمْ أنَّ الشيطانْ
لم يترك باباً للكهفِ ،
ولا باباً للقلبِ
ولا باباً للنسيان ؟

ـــ نخرج كي نبصرَ النّور
ـــ لا ،
إنّ أعيُنَنا أرهف الآن

ـ نسألُ عن أهلنا ...

ـ أهلُنا ؟؟ ...

نهبوا

تركونا هنا وحدَنا

نهبوا ..

ـ إنني أسمع الآن أصواتَهم

ـ أنت تسمعُ لا شيء

ـ بل صوتَهم

ـ كيف تجزمُ ؟

ـ أنصتْ ..

ـ لغةٌ لستَ تفهمُها

نبرةٌ لست تفهمُها

ـ سأحاولُ

ـ إيّاك ...

إنّ السنين انطوَتْ

والمسافات شاسعةٌ

وخُطانا هنا ثَقُلَتْ ..

ستعيش لمحض التَّذَكُّرِ

ـ لكنَّهُ وطني

إنَّ أولاء أهلي

وَذي لغتي

قبلَ أن أدخلَ الكهفَ أذكرُ أنّيَ ..

ـ تذكرُ ..

ها أنت ذا قد بدأتَ التَّذكُّرْ

وستزرعُ بذراً مرّاً

تحصدُ حَبّاً مرّاً

بأصابع تبكي .

مَنْ يسألُ عنكِ ؟

يا بنتَ حميد .. ؟؟

عمرُكِ أصبح ستة عشر ربيعاً

ونأى الأهلُ جميعاً ..

يا ما أغمضتُ عيوني

ونذرتُ جفوني

وحلمتُ

حلمتُ ..

متى تكبرُ سُعدى

وتُخلِّفُ لي أحفاداً يلهون ببابي

ويجرّون ثيابي

يا بنت حميدٍ

ها عمرُكِ أمسى ستة عشر ربيعاً

ونأى الأهلُ جميعاً

وعزيزٌ أن يصبحَ مَنْ لا أعرفُ لونُ عيونِ أبيهِ

حفيدي

يا بنتَ حميد ..

نقتلُ أنفسَنا إذ نقتلُ فينا فَيْء الأثْلِ وليلَ

العشارِ وطَلْعَ نخيلِ البصرةِ

يا بنتَ حميد ..

وأرصفةُ البصرةِ الآن مبقورةٌ بالخنادق

مضفورةٌ بالبنادق

حتى وجوهُ الصِّغارِ بها

وُشِمَتْ بالمتاريس

أطفالُها

من حفيفِ الصَّفير

يُسمُّون نوعَ القذيفةِ

والجهةَ السُّوف تسقطُ فوقَ

منازِلها

لم يعودوا يخافون

لكنّهم يُجفلون قليلًا إذا بدأ القصفُ

ثمَّ يواصلُ سائرُهم سيرَهُ

مَنْ يعاتبُ مَنْ؟

بيننا وطنٌ

بعضُنا خائفٌ منه

يلجأُ ما ألجأتْهُ بلادٌ

وبعضٌ يخاف عليهِ

مقيمٌ به دون كلِّ البلاد

ومن حولِهِ كلُّ أطفالهِ ينظرون إليه

وفي يدِهِ قَلَمٌ
ويزاويةِ البيتِ تَسكنُ رشاشةٌ
أصبحتْ مثلَ أولادِهِ
كلَّ يومٍ يُزَيِّتُها
ومدى ما يمدُّ يَديهِ يُبَيِّتُها

مَنْ يعاتبُ مَنْ ؟؟
كان أولادُنا كرفوفِ العصافير
كلَّ صباحٍ يطيرون نحو مدارسهم
عندما ابتدأتْ غيمةُ الدمِ تُمطر

ها هم الآن
أكتافُهم أُثقِلَتْ بالسلاح
وأرواحهم بالجراح
ولكنَّ أعينَهم
يلمعُ الغضبُ الحنظلُ المرُّ فيها
ويلمعُ مجدُ العراقِ على سَبَطان بنادقهم

إنَّه وطنٌ

يتقلَّدُ كلَّ مساءٍ وسامَ كرامتِهِ
ثمَّ يخرج للموت
ويعودُ مع الفجرِ
مؤتزراً بالجراحِ
وبالكبريـــاءِ
ومؤتزراً بمحبَّتِهِ

سيّدي يا عراقْ
يا هوانا الذي لا يُطاقْ
أنت عمرَكَ لم يَنْحَنِ النَّخلُ فيكْ
لا تُعاتبْ بنيكْ
آلَمُ العَتْبِ هذا الفراقْ
حين يسمعُ سامعُهم
أنَّ أرضَكَ مسجورةٌ
ودماكَ عليها تُراقْ

قَدَرٌ في الجبينْ

تكونُ النبوءةُ في أرضنا
ونكونُ
على صدقِنا
آخر المهتدين ..

نجيئكم حَدّ جُرفِ الموت

يوم الشهيد ١٩٨٦

بينَ جيلٍ وجيلْ
كلُّ رمزٍ غدا شُبهةً
بين طيّاتِهِ قاتلٌ وَقَتيلْ

بين جيلٍ وجيلْ
زحفَ اللّوْنُ في اللّون
والكَوْنُ في الكون
كلُّ المساحاتِ صارتْ رماديَّةً
والنَّقاءُ هو المستحيلْ

الصَّـــهيلْ
النَّخيـــلْ
سدرةُ المنتهى والجليلْ
كلُّ أقداسِ هذا التراب

فُراتاً ونيلْ
رمزُها الآن أصبح متَّهماً
فبِهِ ألفُ لؤمٍ دخيلْ ..

يمكن للأفعى
أن تسعى
في نخلةِ بيتي
فتُسمِّمَ حتى الجمّارْ
وتروِّعَ حتى اعشاش الأطيارْ

يمكنُ أن يصهلَ مُهْرٌ
من عقربةٍ تلسعُهُ
أن يشهقَ ثديٌ من صِلٍّ يرضعُهُ
أنْ يُصبحَ فيضانُ النّيلِ

هزيمةَ ماءٍ من مجراهُ
أو ثورةَ شعبٍ من أجل الله

يمكنْ ..
ما دُمنا سنُفلسِفُ بالرَّمزِ
هزائمَنا
وغنائمَنا
وعمائمَنا
ما دمنا نجعلُ من فوضى الشِّعرِ تمائمَنا
يمكنُ أن نرمزَ للأسودِ بالأبيضِ
والأبيضِ بالأسوَدْ

وسوفَ تضيعُ دماءُ الحقيقةِ بين القبائلْ
وسوفَ يطالبُ بالثأرِ للدَّمِ
سافحُهُ !
ينحني قاتلٌ فوق جثَّةِ مقتولِهِ
ويصافحُهُ !

ستصيحُ فلسطين
يا أيُّها العرَبُ الرَّمزُ
والهَمْزُ
واللَّمْزُ
لا ترمزوا لي
فإنّي أخافُ تآويلَ ما ترموزنَ بهِ
بعد خمسين عامْ
مثلَما خفتُ شرنقَةَ الدَّمِ كَفَّنتموني بها
وهي موهومةٌ
منذُ خمسين عامْ

وستصرخُ بيروتْ
بالرَّمزِ ذُبحنا
بالرَّمزِ نموتْ
وبآخرِ رمزٍ سيُسَمَّرُ حولي هذا التابوتْ
ولا ،
لن يصيحَ العراقْ
لأنّا نراقبُ معركةَ الكلماتِ المُريبةِ

يصنعُها الآخرون
ويصنعُها بعضُنا
تَدْنِي
تختفي
تلتمعْ
تنطفي

فنصيحُ بأعلامنا
رفرفي
بالجراحِ انزفي
إنَّ أطهرَ شعرٍ على الأرضِ
هذا النَّجيعُ الوَفي

دمُكم حُماةَ الدارْ
دمُكم هو الأغلى
تعلو بنا الأشعارْ
وضفافكم أعلى
ما تفعلُ الأمطارْ
إن كانت الأشجارْ

حتى صلاةُ طيورها
بدمائكم تُتلى ؟
وها أنذا أميلُ على
سواقيكم وأسقيها
أهيم على شواطيكم
ألملمُ أعينَ المحّارْ
أسكبُ أدمعي فيها
وأرجعُها الى التيّارْ
ينشرُها ويطويها
وها أنذا
أدورُ على سَواترِكم
ألُمُّ مُبعثَرَ الآثارْ
الضَّحَكات ، والأسمارْ
الحَسَرات إذ يمتدُّ ليلُ الليل
والتَّذكار
أوراقٌ بها أسماءْ
خطابٌ لم يوقَّعْ بَعد
صورةُ طفلةٍ في الماءْ
صورةُ طفلةٍ .. ودماءْ
قمصانٌ مثقَّبَةٌ

مهدَّلَةٌ بلا أزرارْ
أجمعُ تائِهَ الآثارْ
أحملُها معي في القلب
في العينين
في الرِّئتينْ
أشعاراً بلا أصواتْ
لا شعراؤها أحياء
لا شعراؤها أمواتْ
سماواتٍ بلا مرقى
سَفائنَ كلّها غرقى
ولكنْ صافراتُ الرّيح فوق بحارها تبقى

تـــولـــولُ في تَـــوالي الليـــل
كـــــان بـــــــريقُهم أنقى
وكـــان خشـــوعُهم في المـــوت
من صَلَـــــــــواتِكم أتقى
وأسمعُ هاتفاً في الغيب:
يـــا مُتَعثِّـــرَ الخُطـــوات
عَـــــرِّشْ في دواليـــــنـــا
وحَـــدِّثنـــا عن الأحيـــاء
مـــا فعلَتْ أهـــاليـنـــا

وهل ما زالَ في بغدادْ
عينٌ .. بسمةٌ .. ميعادْ ؟
هل ما زالت الأولاد
تحملُ دفتراً .. قَلَماً ؟
تسير خطاهمو في الفجر زاهية على الطُّرُقات
واثقةً بمسراها ؟
ودجلةُ في توالي الليل ..
هل تجري بمجراها ؟
أمْ اختلفتْ عليكم بَعدَنا الأيام ؟ ..

كيف خوافقُ الأعلام ؟
كيف حبيبُنا صدام ؟
هل ما زال يركبُ صهوةَ النيران في الرَّهَجِ
محاطَ الرَّكبِ بالمُهَجِ
معلَّقةٌ به الأنفاسُ وهو بلبَّةِ الوَهَجِ

وأسمعهم ..
وأسمعهم ..
وأسمَعُـ ...

سادتي ..

يا سادتي

يا سادةَ الدُنيا

ويا تيجانَ صوتي

علّموني

كيف لي في مهرجان الموت

أن اختارَ موتي

يشربُ الحُرُ كلَّ دموعي

يُكسِّرُها في ضلوعي

فأبكي

وعيناي خاويتانْ ..

مفــــرورقـــاتٌ بــلا دمـــعٍ مـــآقينـــا
نسعى إليكم ، ولا تـــرقى مَـــراقينـــا

مَـــلاى أضـــالعُنـــا زهـــواً وإن شَهقَتْ
على ينـــابيعكم تبكي سَـــــواقينـــا

مثل النَّواعير، من سَبْعٍ قصـائدُنـا
تـدور بـالـدمـع .. تبكي .. أو تُبـاكينـا
حتى مـع الـزَّهـو في أبهى معـاركنـا
تَحـزُّ ذكـراكمـو حَـزَّ المِـدى فينـا

حَزَّ المِدى فينا
حَزَّ المِدى ..
هل بدأتِ البكاءُ ؟ ..
يا مرازيبَ عيني
كيف كسَّرتِ كلَّ الحواجزِ بين الدموعِ وبيني ؟
إنّي رهنْتُ لكم سيفي وأدْرِعَتي
مزَّقتُ أشرعَتي
ألغَيتُ إلغاءَ رمزي
كلَّ أقنعتي

وقلتُ أبكي عليكم هكـذا .. عَلَنـاً
إنَّـا نُغنّي إذا هيضَتْ دَوامينـا
بين البُكـا والغِنـا نَشـغُ نَهيمُ بـهِ
فخيـرُ شعـرٍ نُغنّيـهِ مَـراثينـا

يا خَيرَنا ، يا أعزَّ الناس ، مَكرُمةً
أنّا بكم تملأ الدُّنيا أغانينا
أنّا بكم تملأ الدُّنيا قصائدُنا
وترتدي كِبْرَكم كِبْراً قَوافينا
وحينَ نَذكركم ننسى مَواجعَنا
فلا يظلُّ سواكم في مَحانينا
ولا يظلُّ سواكم آخرَ الأبَدِ
وشماً على الكبدِ
سيفاً بكلِّ يدِ
ترنيمةَ النَّومِ للأطفالِ في بلدي

اللّه يا وَلَدي
مَنْ يدفعُ الموتَ عن عينيكَ بعدَ غدٍ
وهم يُعدُّون منذُ الآنَ عُدَّتَهم
ليذبحوكَ إذا أغفَتْ غَوافينا

يا خَيْرنا .. ليتَ منكم سائلًا ، فَبِنا
شوقٌ إليه .. نُناجي ، أو يُناجينا
تُرفرِفون على عالي منازِلكم
وتهبطون .. صقوراً ، أو حَساسينا

وتجلســـــون الى أطفـــالكم زمنـــاً
وتُنصتـــون ، ولـــو سَهـــواً ، لـــراوينــا
ستسمِعـــون الــذي يُــرضي مفــاخِــرَكم
وتُبصـــرون الــذي يُــرضي معـــاليـنــا
تَـــرَون أنّـــا بـــزاهٍ من بَيـــارِقكم
نشـــدُّ ، مـــا نـــاتّلي ، أعلى غَـــواليـنــا
نجيئكم حَـــدُّ جُـــرفِ المـــوت ، زاخـــرةً
أمـــواجُنـــا ، مستَفَـــزّاتٍ صَـــواريـنــا
حتى إذا التطمَتْ والمـــوج صخـــرتُنـــا
تفتَّتَ الصَّخـــرُ وانســـابَتْ هَـــواديـنــا
يـــا خَيْـــرَنـــا .. والى عـــامٍ وتجمعُنـــا
بكم قصـــائدُنـــا .. أو صـــوتُ نـــاعيـنــا ..!

ستسمّون لي نخلةً
واسمّي العراق

افتتاح المربد ١٩٨٦

سَتُسمُّونَ لي نخلةً

وأُسَمِّي العراق

وتُسَمّون لي كوكباً

وأُسَمّي العراقْ

وتقولون عن ثورةٍ

لتكنْ ثورةَ السُّودِ

أو ثورةَ الفقراء

وعن ثائرٍ

مسلمٍ كابي ذَرّ

يستنفرُ المبدعون مواهبَهم كلَّها
وحوافزَهم كلَّها

ثمَّ نكتبُ
عن أيكةٍ
عصفتْ بين أغصانها الريح
عن كبرياءِ الشَّجَرْ
حين يهتزُّ تحت هبوبِ العواصفِ

عن ورقٍ حملتْهُ الرياحُ بعيداً
وعن ورقٍ يتساقطُ تحت خُطى العابرين ..

نكتبُ
كيف الهواطلُ تترى
وكيف العصافيرُ تعرى
وأعشاشُها تتطايرُ مقرورةً ..

حَسَناً ...

لم أحسِنْ أن أرمزَ للحربِ
ولا للعدوانِ
ولا لخرابِ البصرةِ

ذاك لأنّي
لا أتقنُ أن أجعلَ من ألف شهيدٍ
ألفَ وريقةِ شجرٍ في الريح تطيرُ

ولأنّي لا أحسِنُ أن أتصوَّرَ
أطفالَ البصرةِ
وبيوت البصرةِ
أعشاشاً وعصافيرْ
ولذا أيضاً
سأسمّي الأشياءَ بأسماءٍ أعرفُها
أسماءٍ آلفُها
وأحسُّ بها
ويحسُّ بها الناس

ربّما وجدَ الآخرون فيتنامَ أكثرَ عمقاً
وأقربَ من دمهم رَحِماً
فهي أصلحُ للشّعر من لفظةِ القادسيةِ
واسم العراقْ

ربّما ..
ربّما وجدوا كلَّ حربٍ
سوى حربِهم
جدَّ عادلةٍ
فهي رمزٌ
لأنَّ من اللاحداثةِ
أن نتحدَّثَ عن نفسنا
ومباشرةً دون رمزْ
وأنا الآن لا أُحسنُ الرّمز
إنَّ الذي بين أحشائِهِ خنجرٌ يتحرَّكُ
لا يستطيع الصّياحَ على نغمٍ
بسلالمَ محكمةٍ
دون أيِّ نشازْ

سأصيحُ نشازاً
بأنَّ العراق يقاتلُ في عامهِ السَّابعِ الآن
والأرضُ دائرةٌ

والنجومُ على وطني لم تزلْ تطلعُ الليلَ
والشمسُ فجراً

ويغفو الخليّونَ حتى الضُّحى
لا تُكلِّفُ أيديهمو نفسَها
أن تنشَّ الذبابَ الذي فوقَ
أوجُههم
سأصيحُ نشازاً
بأنّا نرى نجمةَ الظُّهرِ في كلِّ يومْ
ونُريها لأعدائنا كلَّ يومْ
ولو غَفَلَتْ إصبعٌ من أصابعِنا لحظةً
وهي فوق الزِّنادْ
لَنَشَّ الرَّصاصُ الذُّبابَ عن الأوجهِ الغافيه !
نومةَ العافيه !

وسنحرسُ أحلامَكم

وشخيرَكمو

غيرَ أنّا سنابىٰ لانفُسِنا

أن يكون الذُّبابُ الذي فوق أوجهكم

بحراستنا

وسنابىٰ لانفسِنا أن نقول

سوى للقريبين منكم

« تنبَّهوا واستفيقوا أيها العربُ .. »

ذاكَ أنَّ القصيدةَ هذي عموديَّةٌ

ليس تصلحُ للعصرِ

والنائمون شديدو الحداثةِ

مُستمسكون بكلِّ عُرى وَعْيِهم بحداثتهم

لا يُنَبِّهُ نائمُهم

بِقصائدَ مكتوبةٍ زمنَ الداينصورات

ما زلتُ أصيح نشازاً

أيّتُها الآذانُ المحشوَّةُ بالفلتر

لا تدخلها إلا الأصواتُ المشبوهه

ساظلُّ أصيحُ نشازاً
ما دام هديرُ مدافعنا سيظلُّ نشازاً
وزئيرُ مواقعنا ..
قرقعةُ العرباتْ
أصواتُ الجرحى ، وزعيق الرشاشاتْ
ما دامت ستظلُّ نشازاً
ساصيحُ نشازاً
حتى تتمزَّقَ آذانُ العصر
« ولي وطنٌ آليتُ ألّا أبيعَهُ .. »

وكيف نبيعُ العراقْ ؟
وماذا سيبقى لنا
ولأولادنا
بعد شمس العراقْ ؟
وليلِ العراق
بأنجمهِ
وأهلَّتِهِ العالياتْ ؟

بعدَ موجكِ دجلةُ
ماذا تكون الحياةْ؟
يا فراتْ
يا عَوالي النَّخيلْ
ألفُ جيلٍ وجيلْ
تتساقطُ حولَ جذوعِكِ
والطَّلعُ يبقى مهيباً
وأعذاقُهُ لا تميلْ

ألفُ جيلٍ وجيلْ
تتوثَّبُ في الغَيب
تصهلُ كلُّ الدِّماءِ التي في شرايينها
كي تُراقْ
تحت سقفِكَ يا سيِّدي يا عراقْ
لاكنْ سلطوياً
لانّي مع السلطةِ الآن وهي تقاتلُ
كيلا يضيعَ العراقْ

ولاكنْ سلطوياً

لانّي رأيتُ بعينيَّ صدام
وهو يخوضُ مع الجُنْدِ ألسنةَ النار
منتخياً للعراقْ

فإذا كان ،
يا كبرياءَ العراقِ
ورايتَهُ
شعرُنا فيكَ يجعلُنا سلطوييّن
فليشمخ الشّعر
أنّ الكتابةَ في الحبِّ
والحربِ
والموقف الصّعبِ

والارضِ
والعِرْضِ
والشّرفِ المستَفَزِّ المهدَّدِ
قد أصبحت سلطةً
وإنْ
فأنا شاعرٌ سلطويٌّ

بكلّ الذي أكتب الآن عن وطني !
أيُّها الرجلُ المانحُ الكلماتِ المضيئةَ
أزكى عواطفِهِ
وأعزَّ مواقفِهِ
قَدْرَ ما يجعلُ الشعرُ عن شَرَفِ العُربِ أصحابَهُ
عَرَياً
قَدْرَ ما يمنحُ الشعرُ عن كبرياء العراقِ وعزَّتِهِ
شعراءَ العراقِ انتماءً لهذا الوطنْ
قَدْرَ ما يَضَعُ الشعرُ في القادسيةِ
أوسمةً
وأكاليلَ غارٍ
على هامةِ الشُّعراءْ
ويكونُ لهم شرفاً وانتماءْ
ستكون قصائدنا فيك أوسمةً
للذي تتحمَّلُ قامتُهُ الآن أن تستطيلْ
بهذا الوسام الثقيلْ
إنَّهُ شرَفُ العمر
أن ننتمي لزمان البطوله
أنت تعلمُ
كنّا بانفُسِنا

نتتبّعُ أولادَنا واحداً واحداً
كيف يحملُ رَشّاشَهُ
ويشدُّ النِّطاقْ
عنيفاً على ظهرِهِ
كي يكون بحجم العراقْ !
أنت تعلمُ أنّا نراقبُ عينيك
كيف تفيضان حبّاً
وكيف تفيضان عَتْباً
ونحسبُ ألفَ حسابٍ لاعمالِنا
ولاقوالنا
من تَرَقُّبِ عينيك
إنَّ أعادِيَنا يعلمون بهذا
ويدرون أنَّ العراقَ باجمعِهِ
عالقٌ بامتدادِ يَديك الى شارِبَيْكْ
وهي واللّهِ مرجلةٌ
ليس بعدَ مروءتها مرجَلَةْ
ولهذا ،
فانت الذي يقصدونْ
لانَّهمو يقصدون بكَ الآن
كلَّ العراقْ

فلأكُنْ شاعراً سلطةً

ذاك أنكَ أسّستَ في وطني

سلطةً شاعره

وإذا أخطأ الشِّعرُ فينا

فلن يُخطىءَ الشعرُ فيكَ

يميناً

لان السياسةَ عندك

رغم حداثتِها

أحكِمتْ بالمبادىء

والقيم اللا تُخاتلُ تاريخَها

نحن نخدعُ حتى الخليلَ بن احمدَ

حين يضيقُ بنا الوزنُ والقافيه !

غيرَ أنا وعينيك

يبقى العراقُ بأنفسِنا

ألحبُّ

والشعرَ

والعافيه ..

الذمّة

كتبت في فجيعة مدرسة بلاط الشهداء ١٦ / ١٠ / ١٩٨٧

هكذا ؟! ..
كلُّ هذي المسافات يقطعُها الحقد
مختبئاً في الجريمة ؟
هكذا يتحوّلُ أبناءُ آدم مثلَ الذئابِ الرّجيمة ؟
أيُّ كفٍّ لئيمة
هيّأت في الصباحِ توابيت مدرسةٍ
وثلاثين طفلًا
دفاترَهم .. وصداريُهم ..
وحقائبَ منثورةً
كلُّ أقلامِها خُضِّبَتْ بالدِّماء

وكانَّ مقالمَهم أمِرَتْ
ان تخطَّ لمدرسةِ الشهداءْ
تواريخَ أطفالِها
فوقَ بُقيا حقائبهم
فوقَ بُقيا الحجارةِ ، والرُخَلاتِ المهشَمةِ
المستباحةِ
أوصالهم وهيَ منثورةٌ مِزَقاً
تحت شمسِ الصباحِ الدفيئهْ
ويدُ الله تمتدُ
عيناه تتّسعان
كانَّ جفونَهما بالدموعِ مليئهْ !

أيُّ لونٍ من الحقدِ هذا ؟
أيُّ لونٍ من اللؤمِ هذا ؟
كيف تقوى يدٌ
ولتكنْ يدَ ذئبٍ
بان تفعلَ الفعلَ هذا ؟

يا أوَيلادَنا
يا صغارَ العراق المليئة بالحبِّ والاغنيات
دفاترُهم
ننبئُكُم أنكم لغدٍ نرتجيه شعاعْ
أنَّ أوطانكم لا تُباعْ
أنَّ آباءكم تَوَّجتْهم سواترُهم

يا صغارَ العراقِ المليئة بالحبِّ والاغنيات
دفاترُهم
لتكنْ غضبَ اللّهِ هذي الدِّماءْ
لتكنْ غضبَ الارضِ بعد السَّماءْ

كلُّ هذي القلوب التي صُدِعَتْ
كلُّ هذي الاكفُّ التي قُطِعَتْ
وهي لمّا تزلْ تتهجّاً لفظَ الجلالةِ خاشعةً
ثمَّ تكتبُهُ قبل بدء الدروسْ
يا كبارَ النفوسْ
أيُّها الابرياءْ
يا شريكي أبيهم وإخوتِهم في الدِّماءْ
كلُّ قطرةِ دمْ

من دماكم تُراقْ
ذمَّةٌ في رقابِ المراقْ

كلُّ قطرةِ دمْ
من دماكم تُراقْ
ذمَّةٌ في رقاب المراقْ ..

ثـــلاث دمعـــات

دمعـــة ..

سرقوا منه خوذتَهُ
سرقوا خاتمَ العرس من يدِهِ
سرقوا جرحَهُ والنُّطاقْ
عندما أنشدوا
كان يبكي العراقْ ..

دمعة ثانية ..

قطرةٌ من دمٍ
سقطتْ فوقَها قطرةٌ من مدادْ
ظلَّ لونُ السَّوادْ
وحدَهُ في الورَقْ ..
صرختْ طفلةٌ :
يا أبي ..

أفلَتَتْ قطرةُ الدمِ صافيةً
ركضتْ مصدرَ الصوت
قالتْ :
أبي ..
وهي تجهشُ

أنكرتُ وجهَكَ ممّا أساءَ لَهُ الحبرُ

فانفتحتْ قطرةُ الدَّمِ عن زهرةٍ

نشرتْ عطرَها فوق وجهِ الصَّغيرةْ

حملْتها بحبٍّ

وها هي ذي

كلَّ يومٍ تُعلِّقُها في الضَّفيرةْ ..

دمعة الوردة ..

سنواتٍ ،
وأنا أجتازُ في كلِّ صباحْ
بابَ بيتي ،
فالزّقاق المنتهي
بالشارع المفضي لجسر الجادريَّةْ

سنواتٍ
وأنا ، كلَّ صباحْ
ينتهي هذا الزّقاقْ
بي الى الشارع ..
لم ألحَظْ بهِ شيئاً سوى المألوف
الأطفال في كلِّ الحنايا يلعبونْ
ونساءٌ لِصْقَ بعضٍ
يتهامسْنَ بأبواب البيوتْ

طفلةٌ تَفجأني
أَحذَرُها مبتعداً ،

أسمعُ صوت الأمّ من خَلفيَ
أندى ما يكونْ
ووجوهٌ تُغلَقُ الأبوابُ عنها ، وعيونْ ..

فجأةً .. ذات صباحْ
وقعتْ عيني على لافتةٍ سوداء في مدخلِ دارْ
ثم أخرى ..
ثمَّ أخرى في نهايات الجدارْ ..
وتوقّفتُ ،
ترجّلْتُ الى اللافتةِ الأولى
قرأتُ الاسم ..
لم أملكْ بأن أمنعَ دمعي أن يسيلْ
الشهيدْ
مصطفى عبدالجليلْ

لم أزل أذكرُهُ ..
السّحنةُ السمراء ، والوجهُ النحيلْ
والعيونُ النرجسيّهْ

نلتقي ،

يبدأ قبلي بالتحيَّه

ويغيبْ

زاهياً بالنَّجمة الاولى ،

وزيّ العسكريّه ..

وتأمّلْتُ التواريخَ الثلاثه

يا لها من رحلةٍ مشتركه

كلُّهم غابوا بنفس اليوم ،

نفس المعركه

سادتي ،

يا سادتي

يا تاجَ رأسي الشعراءْ

أنا لا أملكُ حتى الشعر ،

لكنّيَ أعطانيَ في يومٍ زقاقْ

حزنَ كلِّ الأرض

إذ علَّمني أنَّ العراقْ
كلُّ فجرٍ في فيافيه الفسيحهْ
تنهضُ السَّكِّين عن ألفِ ذبيحهْ

إنَّهم أولادُنا
من أجلهِ يُستَشهدونْ
فاتَّقوا حرمةَ هذا الدَّمِ في ما تكتبون ..

●

الــرّسُــــــل

كتبت في فجيعة مدرسة بلاط الشهداء
تشرين الاول ١٩٨٧

لا .. لا تقـــلْ إنَّ أهليهم بهمِ ثُكِلـــوا
بهم مـــدى عمـــرهِ التـــاريـــخ يحتفـــلُ
وبعـــد خمسين عـــامـــاً نصفُ أهلِهمـــو
سيرحلـون .. وهم بـــاقـون مـــا رحلـوا
لا .. لا تقـــلْ أبـــداً أعمـــارُهم قُطِعَتْ
أعمـــارُهم بـــأريـــج الطَّلـــعِ تتَّصـــلُ
مـــا نخلةٌ أبلَحَتْ .. مـا نسمةٌ سرحَتْ
ومـا غفـا تحت فَيءِ السُّنبـلِ الحَجَـلُ!
مـــا فـزَّ في قصب الأهـوار جِنحُ قَطـــاً
ومـا سرى في شـــواطي دجلـةَ البَلَـــلُ

بمـــا يُـــوَفيّ العـــراقيـــون إن كَفَلـــوا
وَمـــا يـــوفي العـــراقيـــون إن كُفِلـــوا
أعمـــارُهم كـــلُّ هـــذا من شـــواخِصِهـــا
وكـــــلُّ عينٍ بهم للّـــــــهِ تكتحـــــلُ !
فـلا تقـلْ نهبـــوا .. كـلُّ العـــراقِ غـداً
تُضيءُ في مقلتَيـــهِ هـــذهِ المُقَـــلُ !
بـاقـون هم بيننـا .. أصـداءُ ضِحْكِهمـو
ضجيجُهم .. لِعْبُهُم .. درسٌ بـهِ شُغِلـوا
بـــالأمس .. أحرُفُـهُ لم تَـالُ عـالقـةً
بلَـــوحِهـا .. جـافـلاتٍ مثلَمـا جَفَلـوا
حتى دفـــاتـــرُهم تبقى .. حقـــائبُهم
تبقى .. بقـــايـا طعـــامٍ بينهـا حَمَلـوا
تبقى ، فـــذاكـــرةُ الأجيـــالِ تنقلُهـــا
جيلًا فجيلًا ، ويبقى صـــوتُهـا يَصِـلُ !

لا .. لا تقـــلْ إنَّ أهليهم بهم ثُكِلـــوا
فكيف يُثكَـــلُ مَن في بيتِـــهِ دَخَلـــوا ؟
مضَـوا مِـنَ الـدُّورِ خَفْقَ الطَّيـــرِ أجنحـةً
عـــادوا بصمتٍ ، ولكنْ .. كلُّهم رُسُـــلُ !

إنّي تعـــوّدْتُ ، والأبطـــالُ في وطني
كُثْـــرٌ ، بأنَّ الــذي يحظى بهــا رجُــلُ
وهـــا أنـــا الآن مبهـــورٌ بـــلافتــةٍ
طفلٌ عليها الشهيدُ الخالـــدُ البطــلُ !

ولا تقـــلْ أجَـلٌ وافى .. فَمُــذْ حــدثَتْ
لـــلان يجهشُ في ســاحــاتها الأجَــلُ !
مستنكـــراً أن يُقـــالَ المــوتُ داهَمَهُم
فـــلا تقولــوا تُـوُفُّــوا .. إنَّهم قُتِلـــوا !
يهني خميني ، ويهني كـــلُّ زمـــرتِـــهِ
أنْ ليس يفعـلُ حتى الموت ما فعلـوا
قـــد يخجـلُ المـــرءُ لو قلبٌ بـــأضلعِـهِ
من أين يـــاتي عديمَ الـرَّحمةِ الخجـلُ ؟!

يـــا أيُّها المـــانحـونَ الأرضَ تـــزكيـــةً
أنْ مـــا يـــزالُ بهـــا منهم دمٌ خَضِـــلُ

وأنَّهم وهبـــوهـــا كـــلَّ خُضـــرَتِهـــا
وعلَّمـــوا الغيمَ فيهـــا كيف ينهمـــلُ !

وعلَّمــوا كــلَّ شيطــانٍ بمسبحــةٍ
وجُبَّــةٍ ، كيف نــورُ اللّــهِ يعتــدلُ
وكيف يصبــحُ أطفــالٌ ومــدرسـةٌ
صغيــرةٌ ، كعبــةً للّــهِ تبتهــلُ !
وأنْ غَــدَوا للعــراقِ الضَّخمِ أوسمــةً
والقــادسيــةُ منهم مَهــرُهـا الجَلَــلُ !

هــذا صَــداقُ العــراقيين ، فــانتفضي
يــا نخــوةَ الأرض ، فــالعمــلاقُ يختــزلُ
أعطى لسبعــةِ أعــوامٍ منعَّمــةٍ
زهــواً لسبعين جيــلًا ليس ينــدمــلُ
وســاقَهــا مَهْــرَ مجــدٍ لا يضــارعُــهُ
مجــدُ الــرجــولــةِ حتى وهي تكتهــلُ !

هل خاف أولادُنا ؟ .. خافوا .. وهل بَطَــلٌ
من دونِ خوفٍ ؟ .. وهل بَذْلٌ كما بَذَلُوا ؟
خافُوا .. بَكــوا .. وبكينا من مَصــارعِهم
ثمَّ انتَفضْنــا كبــاراً بعــدَمــا حُمِلــوا
هــذا صَــداقُ العــراقيين فــاشتعلي
يــا نخــوةَ الأرضِ ، إنَّ الأرض تشتعــلُ !

يا أقربَ الخلقِ للرحمنِ أجنحةً
ويا ملائكةً في ظلِّهِ رَفَلوا
يا مَن على رغمنا شاءتْ مَصارعُهم
أن يفضحوا شَرَّ خلْقِ اللّهِ ، فامتَثَلوا
أرَوا جميعَ الورى إيران كيف غدَتْ
وحوشُها بدمِ الأطفالِ تغتسلُ
أرَوا جميعَ عبادِ اللّهِ أنَّ دماً
قد يُفزِعُ الأرض طُرّاً حينَ ينهطلُ !

أما العراق .. فأنتم يا ودائعَهُ
يا مَن بكم دورةُ الأحزان تكتملُ
مثل الينابيع في حمرين أدمعُهُ
تجري عليكم .. سلاماً أيُها الجبَلُ !
يا زارعاً في مَهاوي الموتِ قامَتَهُ
للمنكَبَيْن .. ولا يشكو .. ولا يَكِلُ
يا دافعاً عن بني الانسانِ كلِّهمِ
وحاملاً عنهمو ما ليس يُحتمَلُ
للّهِ أنتَ .. بأيِّ الهمِّ تعتزلُ ؟
وأيُّ وجدِ نبيٍّ فيك يَعتملُ ؟

وأيُّمـــا كبـــريـــاءٍ .. أيُّ صبـــرِ فتىً
صبـــرْتَـــهُ ، بجـــراحٍ كلُّهـــا نُجُـــلُ ؟
مـــالتْ موازينُ كـــلِّ الأرض مـــن هلـــعٍ
وأنت بـــاقٍ ، بكبْـــرِ الأرض تشتمـــلُ
يا سيدي .. يا كبيرَ الجرحِ .. يا وطني
يـــا حـــاســراً وريـــاحَ المـــوت يقتتـــلُ
مُـــذْ قيلَ لـلأرضِ دوري ، والشموسِ قفي
وصِيـــغَ بـــالأزَلِ المختـــومِ : يـــا أزَلُ
ألـــواحُ هـــذا دمٌ .. صُنْ كـــلَّ أحـــرفِهـــا
فمنـــهُ .. من رافـدَيْـــهِ الخيـــرُ ينتقـــلُ
أقـــامَ قُطْبَيْـــهِ .. ضـــوءُ اللّـــهِ في قُطُبٍ
وآخـــرَ المـــاءُ طُـــرّاً منـــهُ ينهتـــلُ
مشيئـــةُ اللّـــهِ أن يسقي .. ومن دمِـــهِ
يخضـــرُّ للنّـــاسِ مـــا ذرّوا .. ومـــا شَتَلُـــوا
هـــوَ العـــراق .. عـــروقُ الأرضِ أجمعُهـــا
دمـــاؤهُ .. كـــلّ مـــا عَلُّـــوا .. ومـــا نَهَلُـــوا
هـــو العـــراق .. ثَكلْتُ الأرض لـــو سقَطَتْ
وريقـــةٌ مـــا بهـــا من مـــائنـــا وَشَـــلُ

فَيــا أويــلادَنــا هــذي مَــراضعُكم
بهنَّ من ألفِ جيــلٍ يُضــرَبُ المَثَــلُ
ويَــا أويــلادَنــا هــذي مَــرابعُكم
من ألفِ جيــلٍ عليهــا يُعقَــدُ الأمــلُ
ويــا أويــلادَنــا .. عُــذراً إذا دَميَتْ
قلــوبُنــا .. إنَّ بعضَ الصَّبــرِ يُفتَعَــلُ !
نُــرى جُفْــاةً ، وكــلٌ بين أضلعِــهِ
مــزرابُ دمــعٍ عليــهِ الصَّــدرُ ينقفــلُ !
ونَــدَّعي أنَّنــا صخــرٌ منــاكبُنــا
لكنَّهــا تحت ثقْــلِ الثــوب تنهــدلُ !
ومــا سَلَــوْنــا ، ولكنَّ القلــوبَ غَــدَتْ
عنكم بــآثــاركم في الــدارِ تنشغــلُ !
ويــا أوَيــلادَنــا .. لسنــا نقــولُ كمــا
قــالــوا ، ولا نفعــلُ الفعــلَ الــذي فَعَلــوا
لكنْ نظــلُّ ليــومِ الــدِّين نســألهم
عنكم ، فــأكــرمُ خلْقِ اللّــهِ مَن قَتَلــوا ..

المنعطـــف

افتتاح المربد ١٩٨٧

الحمدُ للّـهِ .. يبقى المجـــد ، والشَّرفُ
أنَّ العـــراقَ أمـــامي حيثُمـــا أقفُ !
وأنَّ عيني بهـــا من ضـــوئِـــهِ ألَقٌ
هُـــدْبي عليـــهِ طـــوالَ الليـــل يـــأتَلفُ
وأنَّ لي أدمعـــاً فيـــهِ ، ومُبتَسَمـــاً
ولي دمٌ مثلمـــا أبنـــاؤهُ نَـــزَفـــوا !

الحمـــــدُ لله أنّي مـــــا أزالُ الى
وجـــهِ العـــراق أُصلّي حين أعتكفُ
الحمـــــدُ لله أنّي مـــــا يـــزالُ على
ميـــاهِـــهِ كـــلُّ غصنٍ فيَّ ينعطفُ

وأنني لــو عظـــامي كلُّهـــا يَبِسَتْ
يجــري العــراقُ لهـــا مـــاءً فتــرتشفُ !
الحمـــدُ للهِ أنّي بـــالعـــراقِ أرى
وأنني بـــالعـــــراقيين ألتحفُ
فليس لي غيـــرهُ عينٌ ، ولا رئـــةٌ
وهم إزاري الـــذي لـــولاهُ أنكشف !
ولا وحقِّ عـــراقِ الكِبْـــر .. لا وَهَنـــاً
ولا هـــروبـــاً إليـــكَ الآن أزدَلِفُ
لكنّني فيَّ ممّـــا فيـــك معجـــزةٌ
أنّي بجـــرحيَ عنـــد الـــزّهـــوِ أعتـــرفُ !
يا سيّد الأرض ، يا ضَعفي ، ويا هَوَسي
وبعضُ ضعفيَ أنّي مغـــــــرمٌ دنفُ !
لي فيـكَ ألفُ هـوىً ، حبّيـــك سيّـدُهـــا
وحبُّ نفسيَ في طيّـــاتِهـــا يَجِفُ
حتى إذا كـان في عينيك بعضُ رضاً
عنّي ، فعنْ كلِّهم إلّاك أنصـــــرفُ !
يـــا سيّـدي ، كـــلُّ حـرفٍ فيــك أكتبُـهُ
أحسُّـــهُ من نيـــاطِ القلبِ يغتـــرفُ !
وقـــــد تعـــاتبني أنّي على شَغَفي
تضيقُ حينـــاً بيَ الـــدُّنيـــا ، وتختلفُ

يـــا سيّدي .. ألفَ أيْــكٍ وارفٍ عــرفتْ
روحي ، وظــلَّ أنيسي الأوحــدَ السَّعَفُ !
عِــرْقي بعــرقــكَ مشــدودٌ ، فلــو نَهَضــا
أبقى فَسيــلًا ، وتعلــو هــذهِ الألِفُ
تصيـــرُ صــاريــةً عُمقَ السَّمــا .. وأنــا
عــراقُ عــرقٍ صغيــرٌ فيــكَ يــرتجفُ !
يشـــدُّهُ ألفُ نبــعٍ فيــكَ .. راودَهــا
نبعــاً فنبعـــاً الى أن مسَّــهُ التَّلَفُ
وقيــلَ يكفــرُ .. وا نفســاً جــريــرتُهــا
بــأنَّهــا لضفــافِ اللّــهِ تنجــرفُ !
مَن ذا يقـــول لهــذي الــدائــراتِ قِفي ؟
لكــانَ كلُّ الــذين استعجلــوا وقَفــوا !
يا سيِّد الأرض .. يا ضَعفي ويا هَوَسي
يـــا كبــريــائي التي مــا شــابَهــا صَلَفُ
يـــا ضحكةً بـــابَ قلبي ، لا تبــارحُـــهُ
ودمعـــةً حَـــدَّ هُـــدْبي ، ليس تنــذرفُ !
بيني وبينــكَ صـــوتُ اللّـــهِ أسمعُـــهُ
يصيـــح بي مــوحشــاً ، والليــلُ ينتصفُ
يـــا أيُّهـــا المـــالىءُ الأوراق من دمِــهِ
وَفِّـــرْ دمـــاك ، فليس الحبّ مـــا تَصفُ

الحبُّ حبُّ الـــذين استنفـــروا دمَهم
فـابتلَّت الأرض مـا ابتلَّتْ بـه الصُحُفُ !
حبُّ الـــذين بـــلا صـــوتٍ ، ولا عِظَـــةٍ
ألقـــوا ودائعَهم لـــلأرض وانصـــرفـــوا !
الحبُّ حبُّ الـــذين المـــوتُ صـــالَ بهم
وعنـــدما قيـــلَ صُولـــوا باسمِـــهِ .. نكفـــوا !
فهم يصـــولون بـــاسمِ الحبِّ .. لا جَزَعـــاً
لكنْ يـــدُ الحبِّ أقـــوى حين تنتصفُ !

يا سيِّدي ، هَبْ يدي حَوْلًا ســـوى قلمي
وَهَبْ جَنـــاني ثَبـــاتـــاً كـــالـــذي عـرفـــوا
لعلَّني .. والـــرَّدى لا بـــدَّ مُختَـــرمي
أختـــارُهُ أنـــا لا تختـــارُهُ الصُـــدَفُ !
هَبْني فـــديتُـــكَ مـــوتـــاً لا أمـــوتُ بـــهِ
فـــالثَّمرُ إن جَفَّ في أعـــذاقِـــهِ حَشَفُ !
ولستُ من شَغَفي بـــالمـــوت أرصـــدُهُ
لكنَّني بكمـــالِ المـــوت أنشغفُ
وهـــل أتمُّ كمـــالًا من شهـــادةِ مَن
ظلَّتْ دمـــاهُ على رشـــاشِـــهِ تَكِفُ ؟

وكـــان آخـــرَ صـــوتٍ صـــوتُ إخـــوَتِــهِ
واسمُ العـــراق .. وأغفى بعـدَمـا هتَفـوا !

يا سيّدَ الأرض .. يـــا عملاقُ يـا وطني
يــــا أيُّهــــا المـــوغَــرُ المستَنفَــرُ الأنِفُ
يـــا مستَفَـــزّاً وسيفُ اللّـــهِ في يـــدِهِ
ونُصْبَ عينيــــــهِ بيتُ اللّــــــهِ والنَّجفُ
مـــــالَتْ مـوازينُ كـــلُّ الأرض وهـــوَ على
قُطبَيْـهِ ، هـــولـــةُ صبــرٍ ، ليس ينحـــرفُ !
مـا شـابكتْ هُـدْبَهـا عينٌ ، ولا انقبضَتْ
كفٌّ ، ولا سقطَتْ عن أختِهــــــا كتِفُ !
بــــل واقفـاً جبــلًا .. ســاقــاهُ تحتهما
تكـــــادُ أقسى جبــــالِ الأرضِ تنخسفُ
هـــذا هـــوَ المــانحي زهـــوي .. وأعظمُـــــهُ
هـــذا الـــذي نبضُ قلبي تحتَـهُ يَــزِفُ !(*)
كــــأنَّـــــهُ واسمُ صــــدام العظيم على
رُكنَيْـــــهِ ، نـــــافــــذةٌ للقلب تنكشفُ
يـــرى بهـــا ، ويُـــرى منهـــا ، فَهُـــوْ طَــرَفٌ
ووجـــهُ صـــدام يـــرنـــو نحـــوَهُ طَـــرَفُ !

هــــذا أنـــا .. بين مَيـــلادي ومنعَطَفي
سبـــعٌ وخمسـون خَطْفَ العين تنخطفُ !
كـــأنّمـــا حُلُمـــاً كـــانت .. وهـــا أنـــذا
يجـــري بيَ العمـرُ أنهـــاراً ، ولا جُـــرُفُ
أســـرَفْتُ ؟ . أدري ! . بأهـوائي . بمَعصيتي
بـأمنيـاتي .. بمـــا أُوحي .. بمـا أصِفُ
أدري .. وأدري بـــأنّي لم تَفُـــذْ لـــدمي
تلـك الجمـوحـات ، فليغفِـز لي السَّـرَفُ !
الحمـــــدُ للّـــــهِ أنّي لا يـــــراوِدُوني
خـــوفٌ .. ولا عادَ يُـدمي فرحتي أسَفُ !
الحمـــدُ للّـــهِ .. نفسي لا أجـــادلُهـــا
ولستُ أحلفُ .. غيـــر ربّمـــا حَلَفـــوا !
لقـــد حَبـــاني عـــراقُ الكِبْــرِ تـــزكيـــةً
أنّي بـــــهِ ولَـــــهُ مستنفَـــــرٌ كَلِفُ
وأنَّ لي فيـــه ظـــلّاً .. لـــو وقفتُ ولا
شمسٌ ، لابصـــرتُ ظلّي فـــوقَـــهُ يـــرِفُ !
وذاك أنَّ لَـــهُ هُـــوَ ضـــوءَ مشمســـةٍ
ولي أنـــا تحتَهـــا رسمٌ .. ولي كنَفُ !

(*) وسام صدام حسين للاداب ، وقد منح للشاعر في ذلك العام .

يا أهلَنـــا ..

كُتبت وألقيت في الاسبوع الثقافي العراقي
في صنعاء ١٩٨٧

أبشِــرْ فهـــا أنتَ ذا في ذروةِ الــزَّمنِ
في ملتقى عـــرشِ بلقيسٍ بـذي يَــزنِ !
أبشِـــرْ ، فحتى جنـــاحُ الطَّيــر تُعجــزُهُ
هذي الذُّرا ، غيــرَ صَوْبِ العــارضِ الهتِنِ
أبشِـــرْ ، فـــإنَّــكَ في عَليــا ارومَتِهــا
في الجــذر والفرع ، من صَنعــا الى عَدَنِ

أدري .. ! .. كنــوزيَ هــذي ، كيف أجهلُهــا
هـــذا دمي ، وأعـــزُّ الأرضِ في وطني

أدري .. وكـلُّ حصـاةٍ فيـه أعـرفُهـا

وكـلُّ قطـرةِ مـاءٍ فيـه تعـرفني

هـوَ انتمـائي ، فـإن صـار الرجـوعُ لَـهُ

بشـارةً لي فـوا بـؤسي ، ووا حَـزَني !

هنـا بدأنـا .. هنـا كـانت عروبتُنـا

تمتـدُّ شـرقـاً وغـربـاً .. من ذُرى اليمنِ

فـإنْ تكنْ خـانت الأيّـامُ حـاضـرَنـا

فـإنَّ أخـلاقَ أهلي قطُّ لم تَخُنِ !

يـا أمَّنـا .. ذلـك التـاريـخ مـا بـرحَتْ

ظـلالُـهُ بين هُـدْبِ العين والـوَسَنِ !

مُـذْ كـانَ صـوتيَ يحكي صوتَ قُبَّـرَةٍ

وكـان زهـويَ بـالتـاريـخ يملـؤني

مثـلَ العصـافيـرِ تحتَ البَـرْدِ راجفـةً

كنّـا نُغنّيـك .. أطفـالًا على المِحَنِ

حتى كَبِـرْنـا .. ومـا زالت تجيشُ بنـا

حَـدُّ البكـاء أغـاني ذلـك الـزَّمنِ !

اللّه يـا وطني .. يـا خيـرَ مـا نطقتْ

روحي قُبَيـلَ فمي في السِّـرِّ والعَلَنِ

يــــا دوحـةً أنـــا فيهـــا طــائــرٌ غـــرِدٌ
يشــــدو ويقفـــزُ من غُصْنٍ الى غُصُنِ
وبين غصنٍ وغصنٍ يقطعـــــونَ لَـــهُ
عِـــزْقاً .. ولــلآن لم يكفُــرْ، ولم يَلِنِ !
والبُـــومُ من كــلِّ أرضٍ لا يُقــال لَــهُ
على حـــدود بـلادي : أين ؟ .. أو لِمَنِ ؟!

عـذراً بـلادي إذا مـــا طــاشَ بي أَلَمي
عـــذراً إذا شطَّ هـذا العــاشقُ الـوَثني
وَجْـدُ أعــانيـــه .. مـا أفــرَدْتُ أجنحتي
لكي أطيــــــــــــر الى أهلي يُنَغِّصُني
وأمسِ .. أمسِ رأيتُ الوَيل .. ما تركــوا
مَســامــةً لم تُفَتَّشْ بَعْــدُ في بَــدَني !
بــل كادَ يُفحَصُ حتى النَّبضُ في رئتي
وكـــاد يُختَمُ حتى الصَّــوتُ في أُذُني !
ولستُ أحمـــــــــلُ في قلبي وأوردتي
إلّا هـــــواك .. ففَتِّشْهُنَّ يـــا وطني !
يا دارةَ الشمس .. يا أهلي، ويا سَكَني
يـــا نــاصـري أهلِكم في فَــورَةِ الإحَنِ

يـــامَن غـــرويتُهم مـــرسى سفينتِهم
في حين طَـوَّحت الأمــواجُ بـــالسُّفُنِ !
إنَّ الـــدِّماء التي قـد مـازَجَتْ دمَنـا
منكم ، ستعصمُ أولادي من الـــوَهَنِ
وذاك أنَّ لهم أهـــــلًا أولي رَحِمِ
مـــا ضيَّعـــوا دمَ أهليهم بـــلا ثمنِ
يـــا أهلَنـــا .. والعـــراقيـون إخـوتُكم
بنـــو أبيكم على الأفـــراحِ والشَّجنِ
واللّـــهِ لا نَصطفي عـــوداً لأنفُسنـــا
من دونكم .. لا وَرَبِّ الخيـــرِ والمِنَنِ !
إنّـــا إذا عَـــزَّ مـــاءٌ في ديـــاركمـــو
نجري دمـاً نحـوَكم من أبعـدِ المُـــدُنِ !
وعن جميـــعِ العـــراقيين أنْبئُكم
أنـــا الـــذي بينهم في آخـــرِ الـرُّسَنِ
أنَّ العـــراقَ بهم تبقى بَيـــارقُــهُ
خفَّـــاقةً رغمَ مـا في الفُـرسِ من حَـزَنِ
وأنَّ أبـــوابَنـــا لــلأهــل مُشــرعَــةٌ
رغمَ الــرَّدى ، وكـــأنَّ المـوت لم يكُنِ !

عليكِ مصرُ سلامُ اللّه

ألقيت في افتتاح المهرجان الشعري لمعرض هيئة الكتاب في القاهرة ١٩٨٨

كم ذا تكـابِـرُ أنّ الشِّعـرَ والأدبـا
كـانـا جنـاحَيك ، والشّـوقَ الـذي غَلَبـا

كم تـدَّعي لـرفيفِ القلب من سببٍ
وكـان حبُّـكَ مصـراً وحَـدَهُ السَّببـا !

هـا أنتَ ذا مرَّةً أخرى .. ولـو ملكتْ
هـذي الحـروفُ لسـانـاً مثلَهـا ذَرِبـا

لقـالَ للنـاس : لم يكتبْ هـوى أحـدٍ
منكم ، ولكنْ هـواهُ وحـدَهُ كَتَبـا !

تـذَكَّـرَ البلَـدَ المـأمـون مُـدخَلُـهُ
المطمئنَّ المهيبَ الصّـابـرَ الحَـدِبـا

المُستجيبَ المُجيبَ الملجـأَ المَـلاَذْ
دمـاؤهُ الأرض .. رَوّاهـا ومـا شـرِبـا

ولا استغـــاثَ، ولا استعفى، ولا لَغِبــا

وأنعمـــوا جرحَــهُ ملحــاً، ومــا عتبــا

قـــال ادخلـــوا بســـلامٍ، إنني وطنٌ

مـــا قيلَ يــوماً على أولادهِ غَضِبــا!

تذكَّر الأمس .. حــزناً مــا هُنا .. وَجعــاً

هناك .. ضوءاً هنا أغفى .. هناك الخَبا

لكنَّـــهُ ظـــلَّ مشـــدوداً لبـــارقـــةٍ

في القلب، كـلُّ خيـالٍ نحـوَهـا جذِبـا

كـــانت نجـــومٌ وأفـــلاكٌ تـــدورُ سُـــدىً

فــوضى، فــلا صُعُـــداً تمضي، ولا صَببـا

وفجـــأة ضـــاء نجمٌ .. دارَ دورتَـــهُ

فَلَمَّهـــا، واستـــوى في قلبهـــا قُطُبـا

تــأمَّـل الكـــون .. كــان الكــونُ منتظمــاً

ومصـــرُ كــانت لــهُ الأجفـانَ والهُـدُبـا!

وظـــلَّ يـــذكـــرُ .. لم تهــدأ لَــواعجُــهُ

وكـــان آخـرُ شــوطِ الليلِ قــد شَحُبـا

تــذكَّــرَ النيل .. أمــواجـــاً .. وأشــرعــةً

وزورقـــاً في ميـــاهِ النيـــلِ مُنســرِبـا

رؤوسَ أصحــــابِهِ .. حينــاً تميلُ بهــا
أرجــوحةُ المــوج .. أو يَطوونَهــا شَغَبـا !
ورجــعَ كــركــرةٍ يــأتي النَّسيمُ بهــا
من أوّلِ اليَخت ، مخمــوراً بمـا جَلَبـا !
والـوَشـوشـاتِ .. رنينَ الكـأس .. أعينَهم
في الليل .. والماء .. والظلماء .. والشُّهُبا
وأوجهــاً كلّمـــا مــرَّ الهــواءُ على
أعطـــافها جـاءنا معشــوشباً رَطِبـا
يضمُّ خصلـــةَ شعـــرٍ، ثمَّ يُفلتُهـــا
ويعبـــرُ اليَختَ هَيمانَ الخُطـا ، طَرِبـا
تــذكَّرَ النـاس .. كـلَّ النـاس .. طيبتَهم
وصبــرَهم .. والعطــاءَ الجَمَّ .. والأدبـا
وكِبْــرَ مصــرٍ .. وليــلاً ظــلَّ يسهــرُهُ
للفجـر، رُوحـاً على الأهـــرامِ مضطرِبــا
وكـــان ذنبُ وداعِ الأهــلِ مُـــدَّنيـــاً
حتى تدلَّى .. ونادتْ مصـــر .. فارتكَبـا !
وهــــا هـو الآن مـأخـوذٌ بـذنبٍ هـوىً
الله يعلمُ كم داراهُ محتسِبــــــــــا !

يــــا أهلَنـــــا ، إنَّني آتٍ وفي خَلَـــدي
أنّي إذا لم أجِئْكم أوقِظُ الـــــرُّيَــــا

أولادُ أولاديَ الآتــــــونَ كلُّهمــــــــو
سيُســـــالون : على مَنْ جَـدُّكم حُسِبا ؟

فلم يجيءْ مصرَ في حين استُفِزَّ لها
ومصـــرُ تنظــرُ إنْ كـــانتْ لـــه نَسَبــا

ويعلمُ اللّه .. أنتم مـــــــــلء أوردَتي
وحبُّكم يملـــكُ الشـــريـــانَ والعَصَبــا

ولا نجـــامـــــلُ فيكم ، أو نجـــاملُكم
وهـــل يجامـلُ مــرءٌ أهلَــهُ النُّجُبــا ؟

إنّي أتيتُ وبي من حبِّكم سمـــــــــةٌ
انْ لــو رأتْ مصرُ أنْ آتي دمـاً سَـرِبـا

لمـــا رأى النـــاسُ منّي غيــرَ أوردةٍ
نجيعُهـــا يطــرقُ الأبـــوابَ منسكبــا !

يــــا أهلنــــا .. ذمَّــةٌ إنّي حملتُ لكم
مــــا لا نحمِّلُـــهُ الأقـــلامَ والكتُبــــا

حملتُ من كـــلِّ مصـــريٍّ بحـــارتنـــا
تحيـــةً ، وهـــوىً للنيـــل مـــا نضبــا

وحلَّفـــــونيَ أنْ أســـــري ببلــــدتِهم
أُقـــري المـــآذنَ ، والأبـــوابَ ، والقُبَبــا

سـلامَهم .. وأقـولُ اللّـهُ يشهـدُ مـا
كـانـوا ، ولا لحظـةً ، في أهلهم غُـرَبـا
أنَّ العـراقَ لهم بيتٌ ، ومـدَّخَـرٌ
وأنَّهم أهلُـهُ .. أمّـاً غَـدَوا وأبـا
إن كـان يسمعني منهم أخٌ فلقـد
بلَّغتُ أهلي وأهليـه الـذي طَلَبـا !

يـا إخـوتي ، وتـركتُ الآن في بَلَـدي
هـولًا يهيمُ على الآفـاقِ محتـرِبـا
تـركتُ مجمـرةً شعـواءَ مقبلـةً
اللّـهُ يعلمُ كم نُـزجي لهـا حَطَبـا
تـركتُ أهلي وأولادي أصـابعُهُم
على الزِّنـاد .. تـركتُ المـوتَ منتصبـا
تـركتُ كـلَّ عـراقيٍّ يَمـورُ دمـاً
وعينُـهُ مثـل عين الصَّقـر مُـرتقِبـا
تـركتُ غيمَينْ .. هـذا مثقَـلٌ صَلَفـا
الى القـرار .. وهـذا مثقَـلٌ غَضَبـا
وعنـدمـا يلتقي الغَيمـان سـوف نـرى
مَن يمطـرُ الخيـر ممَّن يمطـرُ الـوَصَبا !
لَسـوفَ تَهطـلُ حَـدُّ الـرُّكبَتينِ دمـاً
وسـوف تبـرقُ حَـدَّ المشتـري لَهبـا

وســـــوف لا يحتمي إلا بنخـــوتِـــهِ
حيٍّ ، ولا يلتـــوي إلا بهـــا رُكَبـــا
ستصبـــحُ الأرضُ كــلُّ الأرض مُشتَجَـراً
وتصبـــحُ الهـــامُ كــلُّ الهـــام محتَطَبـــا
وســـــوف لا يلتقي مَـــوْتٌ بصـــاحِبِـــهِ
إلا وتفـــزعُ أيٌّ منهمـــــا وَثَبـــــا !
واللّـــهِ لَلبصـــرةُ الشمّـــاءُ نجعلُهـــا
للفُـــرسِ أســـوأ من ذي قـــار مُنقَلَبـــا !
يـــا أخـــوةَ الـــدَّمِ والإيمـــانِ .. معـــذرةً
أنّي أرى الـــدَّمَ والإيمـــانَ قـــد تَعِبـــا

إنّي أرى النـــاس ، إلا بعضهم ، وُلِعـــوا
أن يلعقـــوا مـــا رآهُ أهلُهم حَسَبـــا
حتى لقـــد صار ممّـــا نستـــريـــحُ لـــهُ
سمـــاعُنـــا بـــاخٍ يشكـــو ، ولـــو كَـــذِبـــا !
نَيّفٌ وتسعـــون شهـــراً والـــدِّمـــاءُ بنـــا
تجري .. وللآنَ بعضُ الأهـــل ما شَجَبـــا
بل ربّمـــا غـــاظَـــهُ أنَّ الـــدِّمـــاءَ جـــرَتْ
نَيْفـــاً وتسعين شهـــراً وهـــو مـــا شـــرِبـــا !

يـــا إخـــوةَ الـــدَّمِ أدري أنَّـــهُ عَنَتٌ
أنّي أصنِّفُ أهلي في الـــدِّمـــا رُتَبـــا

أقـــولُ هـــذا دمٌ قـــانٍ، وذاك دمٌ
مخفَّفٌ .. ودمٌ مـــاءٌ .. وَوا حَـــرَبـــا

لـو كـان لـلـــدَّمِ صوتٌ في ضمـــائِرِنـا
لقطَّـــعَ القَلبَ والأنيـــاطَ والعَصَبـــا

لـــو كـان لـلـدَّمِ هـذا بعضُ حـرمتِـهِ
إذن لمـــاذا دمشقُ أهلكَتْ حَلَبـــا ؟!

وفيمَ لبنـــانُ أهلـــوهـــا خنـــاجِرُهُم
بعضٌ بـــأضلاعِ بعضٍ تفعـــلُ العَجَبا ؟

سَـــلْ كلَّ قلبٍ بـــهِ ثُقْبُ تَجِـدْهُ بهـــا
بطلقـــةٍ جِـــدُّ لبنـــانيـــةٍ ثُقِبـــا !

تجـــدْ فلسطين مـــا هيضَتْ، ولا نُكِبَتْ
إلّا وأقـــربُ خلقِ اللّـــهِ مَن نَكَبـــا

وذاك أنَّ رصـــاصَ الأبعَـــدين وإنْ
تَفَنَّنـــوا، لا يـــرى منـــك الـــذي احتَجَبـــا

لكنْ يـــراهُ أخـــوك المحض .. يـــرصـــدُهُ
ويُنشبُ السَّهمَ قصـــداً فيـــه إن ضَـــرَبـــا

لـــــو مـرّةً سيفُ أهلي زَلَّ عن جســـدي
لصـــاح كـــلُّ وريـــدٍ فيَّ : كيف نَبـــا ؟!
كنّـــا نقـــولُ بـــأنّـــا أمّـــةٌ عَـــرَبٌ
الحمـــدُ لله .. كنّـــا أُمّـــةً عَـــرَبـــا !

●

يـا رَحْبَـةَ الصَّـدرِ عـذراً أن تضيقَ بنـا
بل بي لوحدي ، فجاجُ الأرضِ مضطـرَبا
أقـــولُ في كـــلِّ يـــومٍ لن أَمُـــجَّ دمـــاً
ولا رصـــاصـــاً ، ولا همّـــاً ، ولا نَصَبـــا
حتى إذا مـــاجَ موجُ الشِّعـــر وانسرَبَتْ
أوجـاعُـهُ في شعـــابِ القلب فـانشَعَبـا
تصبَّبَ الـــدَّمُ منـــهُ ، كيف أمنعُـهُ ؟
وأيُّ جـــرحٍ عميق الغَـور مـــا سَكَبـا ؟!

عليـــكِ مصـــرُ ســـلامُ الله مـــا طلعَتْ
شمسٌ ، ومـا هَـرَمـاكِ بـالـدُّجى اعتَصبـا
فـــأنتِ ملجـــأُ حُبٍّ ، كلَّمـــا اختنقَتْ
بنـــا الحياةُ وجَـدْنـــا نحـــوَهْ سَبَبـــا !

●

عجّلتُما دورانَ الأرض

كتبت في ميلاد الرئيس القائد
نيسان ١٩٨٨

لا فضّـــةً وهبـوا ، لا مـــاس ، لا ذَهَبـا
أهـدَوا لك الفـاو إذ أهـديتَهـا العَـربـا !
مَهْـــراً لميـــلادك الميمـــون جمَّعَـــهُ
صِيـدُ العـــراقِ دمـاً مستنفَـراً لَجِبـا
جـــاشـوا بــه جيشـانَ الـرافـدين الى
أن طـــوَّقَ الفـاو يـومـاً واحـداً عَجَبـا
رأى بـهِ الفُـرسُ مـا كسـرى ومَن معـهُ
لم يُبصـروا يومَ لاقَـــوا أهلَنـا النُّجُبــا
لا القــادسيَّةُ ، لا ذي قـار .. مـا عظُمَتْ
ولا نهـاونـد كـانت مثلَهـا لَهبـا !

يا نازعَ الفاو نزعاً من محاجرهم
لقد نزعتَ بها أنياطَهم رَهَبا

كانوا يقولون إنَّ الطَّير لو شهقَتْ
لن تستطيعَ لأرضِ الفاو مقتَرَبا
فجئتَهم ، لا مجيءَ الطَّير ، بل كِسَرٌ
من السَّماءِ عليهم أطبقَتْ سُحُبا
وامتدَّ طَوفانٍ فوق الأرض .. طوقُ دمٍ
وطوقُ نارٍ .. أحاطَا الفاو ، والتَهبا
إذا بمن تملأ الدُّنيا صَلافتُهم
في ليلتين ويومٍ أمعنوا هرَبا !

يا كوكبَ السَّعدِ يسري والسَّنا معهُ
والنَّصرُ ظلٌّ له ما جاء أو ذَهبا
يا مَن لخطوِكَ منّا سُورُ أفئدةٍ
وتفرشُ المقلُ الأجفانَ والهُدُبا
يا جاعلًا كلَّ يومٍ ليس يُحجَب من
عزيزِ عمرِكَ بالأمجادِ محتجِبا
حتى لَنُشغَلَ بالأنوارِ تسكبُها
وتصطفيها ، عن النَّجم الذي سَكَبا !

تــؤرِّخُ النــاسُ بــالأيّــامِ مــولـدَهــا
فيحسبــون لهـــا الأعـــوام والحِقَبــا
وأنت مــولــدُكَ الميمــون أرَّخَــهُ
كــلُّ العـــراق بكم أسطـــورةٍ كَتَبــا !

حتى لنحسِبَ كم نصــراً ، وكم كَــرَمــاً
وكم إبـــاءً ، وكم فـــوزاً ، وكم تَعَبـــا
وكم منــاراً لنـــا أعلى ، وكم حَــدَثــا
أملى ، وكم شَـــرفـــاً أغلى ، وكم وَهَبــا
عَـــدَّ المـــلاحمِ والأمجـــادِ تَصنعُهـــا
ميمـونٌ عمركَ يـا صـدام قـد حُسِبـا !
كـلاكمـا .. أنت والضَّخمُ العـــراق ، بمـا
عجَّلتُمـــا دورانَ الأرضِ أن يثبـــا !
وأن تُعــادلَ دهــراً كــلُّ ثــانيــةٍ
حتى نرى الليل ضوءاً ، والثُّرى شُهُبـا !

يـــا واهبَ الفـاو مـا لم يُعطِـهِ أحـدٌ
إلا العـــراقيّ ، أُمّـــاً بَـــرَّةً ، وأبـــا
شِبْلَيــهِ ، قَــوْدَ العـــراقيين قــادهمـا
لـذروةِ الهول .. جـاشا فيـه ، واحتـربـا

حتى إذا انكشفتْ ، جـــاءاهُ كلُّهمـــا
يلـوحُ بـدراً عــراقيـاً وقـد تَـرِبـا !
هــذان صـــدام ، لــو كــانـا لأيِّ أبٍ
لم يقتــرحْ هـــوَ ، مختــاراً ، ومحتسبـا
بــأن يكــونـا بهــا .. لكنْ مكــابــرةٌ
غيــرُ العــراقيِّ لا يـدري لهــا سَببـا !

يـــا دورةَ الأرضِ عـــامــاً لا يضــارعُـه
عـــامٌ بمـــا هتــكَ الأستــارَ والحُجُبـا

عـــامٌ أضـــاءَ العــراقيــون فيــه دُجى
كلَّ النفـوس .. أزالـوا الشَّكَّ والــرِّيَبا
فـــأبصـرَ النــاسُ النــاسِ كــلُّ النــاسِ أنَّهمــو
من أعظم الخَلقِ مــوروثـــاً ، ومكتسَبـــا
سادوا بـأخــــلاقهم .. ســادوا بمعــدنهم
سادوا بـأن جعلـوا مِن صبـرِهم نَسَبـــا
وحين ســاقُـوا صـــواريخَ الحسينِ بهــا
لم يُطلقـوا الحقـدَ لكنْ أطلقـوا الغَضَبـا
واللّـــهِ ، لـو كــان حقـداً مثلَمـا فعلـوا
لكنتُ ألعنُ نفسي الآنَ منتحبـــــــا !

إنّـــا لنبحثُ عن سيفٍ يقـــولُ لهم
هـــذا لهيبي فلا تُلقـوا بـهِ حطَبـا !
متى سيفهمُ مَن إيـــران أرضُهمـــو
وشعبُهم ، أنّنـــا لا نـــدَّعي كـــذبـــا
وأنّنـــا ، ولهيبُ الفـــاوِ شـــاهـدُنـــا
نسطيعُ أن نملأ الـدُّنيا دماً سَرِبـــا
لكنّنـــا نتمنّى أن نُســـالِمَهم
على التُّقى ، ليس محلـوبـاً ومحتَلِبـا !

يـــا دورةَ الأرضِ عـــامـاً لا يضـارعُـهُ
عـــامٌ بمـا أيقظَ الـدُّنيا ، ومـا قلَبـا
من الموازين .. مَا استوفى .. وما وَهَبا
ومـــا تـــداركَ من صـــدعٍ ، ومـا رأبـا
ومـــا قضى للعـــراقيين من غَلَبٍ
في كـلِّ شـوطٍ لهم حـازُوا بـهِ الغَلَبـا
وخيـــرُ مـا فيـه ان جاءت متـوِّجـةً
خمسين عـامـاً بـه الشمسُ التي جَلَبـا !
وأنّهـــا ، واسلَمْنْ .. وارفـــلْ بعـــافيـةٍ
يا سيدي .. فَـرْطُ رَيعَانٍ ، وفـرطُ صِبا !

وشـــارةٌ لبلـــوغِ المـــرءِ ذروتَـــهُ
وأنَّ أبهى أمـــانيـــهِ قـــد اقتـــربـــا
بـــأن يكـــونَ أبـــاً للنـــاسِ كلِّهم
وأن يـــرى لابنِـــهِ في حجـــرِهِ عَقِبـــا
وأن تـــرى عنفـــوانَ الـــرافـــدين على
يـــديـــكَ يبلـــغُ سَمْتَ القـــوس منتصبـــا
ومن هنـــا تبـــدأ الـــدُّنيـــا نضـــارتَهـــا
وتبـــدأان معـــاً تـــاريخَنـــا الخَصِبـــا !

أنا آخرُ الدنيا أتيت ..

ألقيت في يوم بغداد
نيسان ١٩٨٨

سَبَقـــــــــوا ، وكنتُ أظنُّ أنيَ أسبَقُ
كتبــوا ، وغنّــوا في هــواكِ ، وصَفَّقــوا
وسَقــوا ، وسُقُّــوا .. ثم نــامــوا ، والهـوى
بـــاقٍ على شطـــآن دجلـــةَ يـــأرَقُ !
بُقيـــا مـــواقـــدِهم ، ومَسحَبُ زِقِّهم
من ألفِ عـــامٍ وهـــو حيٌّ يُـــرزَقُ !
والجســـرُ مـــا بين الـــرّصـــافـــةِ والمَهـــا
كِسَـــرُ الحجـــار لهـــا قلـــوبٌ تَخفقُ !
وظننتُ أنّي قـــــد سَبَقتُ ، وأين لي ؟
سَبقـــوا إليـــك ، وأنشَـــدوا ، وتَفَـــرّقـــوا

أنـــا آخـرُ الـدُّنيا أتيت .. قصـــائـدي
شَهَقـــــاتُهـــــا بتـــــرابِهم تتعلَّقُ !

بغـــــداد .. أيُّ صَـــدىً ، لأيِّ إرادةٍ
أوحى الى التــــاريـــخ أين يُـــوَثَّقُ ؟
هـل شـاقَت المنصـورَ دجلـةُ وحـــدَها ؟
مَـــدُّ البسيطـــةِ أنهـــرُ تتـــرقـــرقُ
وَسَطٌ ؟ .. وأين ؟ .. وللخـــلافـــةِ رقعـــةٌ
وسَطٌ بهـــــا حتى هـــــراةَ وجِلَّقُ
لكنَّـــه التـــاريـــخُ أطلـــعَ شمسَـــهُ
من حيثُ كـــلُّ نجـومِـــهِ تتـــألَّقُ
من قلب نُفَّـــرَ .. من أريـدو .. من ذُرا
أوروك .. والحَضَـــرُ الفَنـــارُ المغلَقُ
سقطت خيـــولُ الفُـــرسِ في عَتَبـــاتِهـــا
وهـــوى بهـا « تـــراجـان » وهـــو ممـزَّقُ
من قلبِ هـــذا الضوءِ صـــوْتَ هـــاتفٌ :
يـــا أيُّهـــا المنصـــور ، أين تُحـــدِّقُ ؟
هيَ ذي أمـــامَـــكَ .. ثمَّ أومـــأ للـــذُّرا
وإذا بســـــــــورِكِ يستقيمُ ويشهقُ !

هـل كـان وحيـــاً ؟. لستُ أدري ، إنّمـا

أدري بـــأنَّ الأرضَ كـــانت تغـــرقُ

وتعلَّقَتْ بـــك كلُّهـــا ، فحملتِهـــا

ونهضتِ كــــالعنقـــاءِ حين تُحلِّقُ !

هي حكمـــةُ التـــاريـــخ أنَّـكِ من هنـــا

أمسكتِ جـــــــذع الأرض لا يتَشقَّقُ

وجمعتِ أشـــواطَ الحضـــارةِ كلَّهـــا

وجـــرَيتِ شـــوطـــاً بعـــدهـــا لا يُلحَقُ !

ســـأقـــولُ بـــابـــلُ أنتِ لستِ وريثَهـــا

بـــل أنتِ من أكـــدَّ العـــريقـــةِ أعـرَقُ

تلـــك المجـــرّةُ كلُّهـــا من نينـــوى

من أور ، من آشـــور .. حيثُ تَسَلَّقـــوا

عمقَ الـــزَّمـــان ، وألفُ وركـــاءٍ بـــهِ

هي أنتِ .. جـــذعُـكِ أنتِ كـــان يُعَتِّقُ !

ويكـــلِّ ألفٍ يستطيـــلُ بمجـــدهِ

فـــرعٌ أشمُّ ، ويـــرعمُ يتفتَّقُ !

ســـأقـــول إنَّ الأرض بعـــدَكِ كُـــوِّرَتْ
وزُكِـــزْتِ قطبـــاً منـــذُ كـــانت تُخلَقُ !
سبحـــانَ من ســـوّاكِ ، كـــلُّ عظيمـــةٍ
خُبِئَتْ بـــأرضِـــكِ أعصُـــراً تتصَنـــدَقُ
ويكـــلِّ عصـــرٍ كـــوكبٌ بمشيئـــةٍ
يـــأتي فيطلقُ منـــكِ مـــا لا يُطلَقُ !

بغداد .. ما عـــرف الـــزَّمـــانُ مـدينـــةً
خمســـون عقـــداً ، وهي نجمٌ أزرقُ !

غطّى بهـــالتِـــهِ الخليقَـــةَ كلَّهـــا
أيّـــامَ كـــلُّ الكـــونِ ليـــلٌ مطبقُ
الشمسُ تشـــرقُ في السَّمـــاءِ وتحتَهـــا
شمسٌ من الأرضِ العظيمـــةِ تشـــرقُ !
هي أنتِ .. لَمْلَمَ كـــلُّ نجمٍ عشقَـــهُ
ومضى ، ونجمُـــكِ ظـــلَّ طفـــلًا يَعشقُ !
بغـــدادُ يـــا رئـــةَ الحيـــاةِ بـــأسـرِهـــا
ضـــاقتْ منـــافـــذُهـــا وصـــدرُكِ يَشهقُ
مَـــدَّ العصـــور ، وألفُ لِصٍّ حـــاولـــوا
هيهـــات .. أرديـــةُ السَّنـــا لا تُســـرَقُ !

عَــــرَّيتِ كلَّ القُبــحِ في الــدُّنيــا ومــا
عـــرّوا عليـــكِ ســـوى ضميـــرٍ يقلقُ
وســـوى قلـــوبٍ عـــامــراتٍ بــالهـــوى
وبـــريقِ سيفٍ بـــاسمِ ربِّـــكِ يُمشَقُ !
بغــــدادُ يـــــا دارَ المـــــروءةِ كلُّهـــا
يـــا بـــابَ صـــدام التي لا تُطـــرَقُ
إلّا على حبٍّ ، فـــإن طُـــرِقَتْ أذىً
جِنْـــحُ السَّمـــاءِ على البسيطـــةِ يُطبقُ !
يـــا بيتَ مَن قممُ الحضـــارةِ بيتُـــهُ
وبـــروجِـــهِ انهـــارُهـــا تتـــدفَّقُ
وبهـــا ، وعنهـــا مـــا يـــزالُ مقـــاتـــلًا
وبكـــلِّ كِبْـــرِ جــــدودهِ يَتنطّقُ
هـــذا الـــذي يمشي بهيبـــةِ فيلَقٍ
أرأيتَ يـــومـــاً كيف يمشي فيلَقٌ ؟!
شمسٌ بـــدارتِهـــا تسيـــر ، وحـــولَهـــا
شُهْبُ العـــــراقِ جميعُهـــــا تتحلَّقُ !
هـــذا الـــذي عَـــرضـــوا أمـــام هـــدوئِـــهِ
جَبَـــروتَهم .. وتَنَمَّـــروا .. وتشَـــدَّقـــوا
وإذا بهم في ليلـــــةٍ ونهـــــارهـــا
لم يُخنَقوا .. لم يغرقـــوا .. لم يُحرَقـــوا

لكنْ رحى نـــــــــارٍ أتتْ وجميعُهم
طُحِنـــــوا وأعينُهم إليـــــه تُحملقُ !
حسبـــوا تـرابَ « الفـاو » ملحـاً بـارداً
وإذا تـــراب الفـــاو بـــرقٌ يَصعَقُ !
بغـــدادُ ، مجـــدُ الفـــاو أنّـــكِ أختُهـــا
وأبيتِ عيـــدَكِ إذ دِمـــاهـــا تُلعَقُ
نـــدري بـــأنّهمـــو بليـــلٍ آثمٍ
زلَقـوا إليهـا .. مـا رَوَوا .. مـا لَفَّقــوا

لا بــأس .. ها هم ســاكتـون ، وأرضُهـا
صـــدام فيهـــا بـــاسمٌ لا ينطقُ
الـــزَّهـــوُ هـــذا ، والمـــروءةُ كلُّهـــا
انظـــرْ لـــوجـــهِ الحُـــرِّ إذ يتفـــوّقُ !
بغـــداد .. تنطفيءُ القصـــائـــدُ كلُّهـــا
ويظـــلُّ عطـــرُكِ في القصـــائـــدِ يعبَقُ

تبقى صَبـــاكِ أعـــزَّ مـــا نتنشَّقُ
والمـــاءُ فيـــكِ ألـــذُّ مـــا نتـــذوّقُ !
حسبُ القَـــوافي أنّهـــا مـــا أُنّقَتْ
لـــكِ أنتِ لا لـــرواتِهـــا تتـــأنَّقُ

يـــــا أمّ أعلى بَيـــرَقٍ ، وأعـــزّهُ
أنّ في يَـدَيْ صـدام هــذا البيــرَقُ
ستُفَـــــكُ أبـــوابُ السّنين وتُغلَقُ
وتُشَقُّ أخـــلاقُ الـــرِّجـــال وتُـــرتَقُ
ويلـــوذُ هـــذا بـــاسمِ ذاك ، وينحني
جبـــلٌ على سفـــحٍ .. يُـداسُ ، ويُمحَقُ
ويظـــلُ رأسُـــكِ في السمـــاء مُصعَّـداً
ويحجمِ مـــا يجـــري دمـــاً يتعملَقُ !
أنتِ العـــراق ، بمـــرتقى أبنـــائِـــهِ
ويكبـــريـــاءِ دمـــائِـــهِ يتخلّقُ
أمّـــا زنـــادقـــةُ الـــزّمـــان ، وراثـــةً
أو مَن غـــدا مِن أهلِنـــا يتـــزنـــدَقُ
ذلّا ، وغـــلّا ، وانطفـــاءَ حميّـــةٍ
ولأنّ عليـــهِ علـــوجُهُم تتصـــدّقُ
أولاءِ لا الإســـلامُ يعـــرفُهم ولا
أسمـــاؤهم بـــالأبجـــديَّـــةِ تُنطَقُ
أولاءِ يبقى ذكـــرُهم عمـــرَ الـــدُّنـــا
صـــوتـــاً لكـــلّ غـــراب بَينٍ ينعقُ !

بغـــدادُ ، عفـــوَكِ إن شَطَطْتُ ولم تكنْ
لغتي الى أمثـــــالهــــا تتطـــرَّقُ
إنّي لَمن قـــــومٍ ، لفـــرطِ مـــروءةٍ
حتى إذا شُتِمـــوا ، حيـــاءً أطـرقـوا !

لكن سَـــــواعـــــدُهم تجيبُ ، وفعلُهم
ودمٌ بســـاحـــاتِ الكـــرامـــةِ يُهـــرَقُ
يبقى العـــراقيـــون كـــلُّ عظيمـــةٍ
صـــدقتْ لهم فيهـــا مخـــاضٌ أصـدَقُ !

مجـــداً ليومـــكِ في الـــزّمـــانِ فـــإنّـــهُ
يـــومٌ بـــهِ عمـــرُ الـــزّمـــانِ مطـــوَّقُ
ولســـــوف يبقى كـــلُّ نجمٍ بـــارقٍ
مهمـــا نـــأى ، لجـــلالِ وجهـــكِ يبـرقُ !

يا صقرَ تموز

١٧ / ٧ / ١٩٨٨

هـــذا ضُحـانـــا ، وهـذي شمسُـــهُ تَفِـدُ
عشـــــرون دورةِ أرضٍ وَهْي تَتَّقـــــدُ
وهـــذهِ هـــذهِ أجيـــالُنـــا .. لُجَـجٌ
من الـــدمـــاء ، ولا نَـــوءٌ ، ولا زَبَـــدُ
أولادُنـــا ، خصبُ كـــلِّ الأرضِ من دمهم
لسنـــا نُبـــاهي ولكنْ هكـــذا نَلِـــدُ !

يا شُعلةَ الشمس .. هذي الأرض مُذْ دُحيَتْ
وقيـــلَ دوري ، ودارتْ ، وهي تـــرتعـــدُ

دُرْنـــا عليها حـــزامــاً شـدَّ رِعشَتَهـــا
حتى اطمــــأنَّتْ ، وكـانت قُطبَهـــا أكَـدُ !
من يـــومها كـان تمـوزُ بهـــا رَصَـداً
أعظِمْ بــــه مستَفَــزّاً ذلــك الـــرَّصَـدُ
مـــا زاغَت الأرضُ يومـاً عن مَحـاورِهـــا
إلّا وعــــادتْ على كَفَّيــــهِ تَتَّسِــدُ
سبعـــون قـــرنــاً وتمــوزُ لـــه وهـجُ
حَشدَ النَّدى في عذوقِ النَّخلِ يَحتشــدُ !

وقيـــلَ ألـــواحُ غيبٍ بـــاسمـــهِ خُتِمَتْ
أربـــابُ تمـــوز عن تمـــوز تبتعـــدُ
فيفـــرقـــون .. ســـوى مُستَنفَـــرٍ أحَـدٍ
يبقى لتمـــوز صنـــواً ذلـــك الأحَـدُ
من يـــومها وعيـونُ الأرضِ شـاخصـةٌ
مَن ذلـــك الـبلطى تمـــوز يَتَّحِـــدُ ؟
وجــــاء صــدام .. أضحى منــه رايتَـهُ
وسيفَـــهُ ، وسنـــاهُ حيثمــــا يَقِـــدُ !

يا ضحكة الشمسِ في بيتي وفي وطني
ويا رضا اللّـهِ عن أهلي وما جَهَدوا
يا كلُّ عشقِ العراقيين إن عشقوا
وكلُّ عِنْدِ العراقيين إن عَنِدوا
يا نظرةً مثلَ حدُّ السيفِ قدحَتُها
وخطوةً عِدْلَ ثقلِ الأرضِ تَتَّئِدُ !
ما دارَ تموزُ فوق الأرضِ دورَتَهُ
إلّا وكان الى مَرقاكَ يستندُ !
يا هيبةَ الحبِّ قبلَ الخوفِ ، هيبتُهُ
في الحالتين لها الأعراقُ تنجمدُ
ولا تقولُ لنا أفٌّ مروءتُهُ
بلى لنا منه هذا الحدْبُ والجلَدُ
بلى لنا منه أنّا لا نجادلُهُ
ويسمعُ النَّقدَ منّا حين ننتقدُ
ذيّاك صدام .. أدرانا بأنفُسِنا
ومَن بحبِّ العراقيين يَعتَضدُ
ومَن لهم وبهم تزهو وقائعُهُ
ويحملُ الحملَ عنهم حين ينفردُ !

يـــا سيِّـدَ القــوَّتَينِ الحبّ حين يــرى
للحبِّ أهـــلًا ، وإلّا فـــالــدَّمُ الحَــرِدُ
يقـــودُ هـــذا وهـــذا في فَيـــالقِــهِ
كـــلا اللجـــامَين في كفَّيـــهِ ينعقـــدُ !

يـــا كُفءَ تمـــوز أضـــواءً ومجمـــرةً
يـــا وعيَهُ حين يَطغى الغِيُّ والـــرَّشَـــدُ
يـا خـائضـــاً كلَّ يـــومٍ هَـوْلَ معـــركةٍ
لـــهُ من اللّـــهِ في أتّـــونِهـــا مَـــدَدُ
تـــراهُ والـــراجمـــاتُ الـــوازيـــاتُ لظىً
تحفُّـــهُ ، وهـــو مثـــل السَّيف منجـــردُ
يقـــودُ طـــوفـــانَهـــا الضـــاري فتتبعُـــهُ
وحـــولَـــهُ الـــرّاحُ ، والأرواحُ ، والـــوَلَـــدُ
قلـــوبُ كـــلِّ العـــراقيين .. أكبُـــدُهُم
رئـــاتُهم وهي بـــالأنفـــاس تقتصـــدُ
تكـــادُ تشهقُ لكنْ لا تطـــاوعُهـــا
دَقّـــاتُ قلبٍ مـــع التِّلفـــازِ تَطّـــرِدُ
تخـــاف لا كِلمـــةٌ ، لا لَفْتَـــةٌ عَـــرَضٌ
تفـــوتُهـــا منـــكَ يـــا مَن كلُّـــه سَـــدَدُ

وَعَـذتَهم منذُ سبـعٍ ، بـل وصفْتَ لهم
هـذا المصيـر .. وهـا وفَّيْتَ مـا تَعِـدُ !

يـا صقرَ تمـوز .. أعـراسٌ مخضَّبـةٌ
أم مـوكبُ النَّصرِ مـا يزهـو بـه البَلَـدُ ؟
إنّي أرى الشهـداءَ الأكـرمين بـهِ
وكـلُّ روحٍ لهـا من مجـدِهـا جَسَـدُ !
عـادوا قيـامـاً مهيبـاتٍ مَنـاكبُهُم
كـأنَّهم مـا هـوَوا صـرعى ، ولا لُحِـدوا
يَـرَون إخـوانَهم كيف استقـام بهم
رمحُ العراق .. وكيف الفُرس قد خُضِـدوا
ومثلمـا قـالهـا صدام ، كيف قضَـوا
وكيف من كـلِّ شبـرٍ طـاهـرٍ طُـرِدوا !
اللّـهَ يـا وطنَ الأمجـادِ يـا وطني
يـا مَن سوى سَلسبيـلِ الشمسِ لا يَرِدُ !
يـا هُـولةَ الصَّبـرِ مـا للصَّبـرِ من أمَدِ
وهُـولـةَ الغيظِ إن يُسْـتَنْفَذ الأمـدُ !
هـا أنت ذا كـلَّ يـومٍ ، لا تُصبِّحهم
ولا تُمسّيهمـو إلا وقـد حُصِـدوا

حتى تمنَّوا لما يلقَون من هَلَعٍ
لو أنَّهم قبلَ هذا اليوم ما وُلدوا !

ويا عراقَ التَّحدِّي، إنَّها لغةٌ
سوى ترابكَ لم ينطقْ بها بلَدُ !
أنت الذي جمعَ الأوغادُ حقدَهمو
لأنَّ أنفَكَ لم يسجدْ كما سَجَدوا
إنْ أوهِموا أنَّهم أجرَوا دِماكَ فقد
أرَيْتَهم كيفَ جرحُ الكِبْرِ ينضمدُ
أريتَهم أيَّ أرذالٍ بحقدِهمو
كانوا .. وأيَّ نبيلٍ كنتَ إذ حَقَدوا
قاتلتَ بالحبِّ بينا قاتلوك بما
يندى الجبينُ له .. الكُرْهُ والكَمَدُ
حتى تَفجَّر كلُّ الحبِّ في دمنا
بَينا تفجَّرَ فيهم جُهدَهُ النَّكَدُ
فكان هذا الذي كلُّ العيونِ ترى
يا ماجدَ النَّصرِ والنُّبلِ الذي فَقَدوا !
يا صَقْرَ تموز هَبْ تموز أجنحةً
يرقى بها مِثلما ترقى، ويجتهِدُ

لكي يحفَّـــكَ جنحـــاهُ .. وتمنحُـــهُ
فمـــاً ، وقَـــدْحـــةَ عينٍ .. والأهَمُّ يَـــدُ
يـأتي بهـا بعضَ مـا تـأتيـه من جَلـلٍ
إذنْ يُقصِّـــرُ عن أيـــامِـــهِ الأبـــدُ !

مجـــدٌ لتمـــوز أنّـــا مـــا نـــزالُ بـــهِ
نغلي دمـــاً ومـــــروءاتٍ ، ونتَّقـــدُ
نفيضُ حتى تضـــجُ الأرضُ من دمِنـــا
ولا تـــــــروسٌ ، ولا بَيضٌ ، ولا زَرَدُ
حَـــواســـراً مثـــلَ أهلينـــا مَقـــاتلُنـــا
حـــرّى ، بمـــا سكبَتْ مِ الـــدَّمُ تبتـــردُ !
كـــذا نجيء ، وهـــا تحكي وقـــائعُنـــا
وقـــد غَـدَون شمـــوسـاً مـــا لَهـــا عَـدَدُ
بـــأنّنـــا نُطفيءُ البـــارودَ في دمنـــا
عِـــرَقاً فعـــرقاً على النيـــران ننفصدُ !
لقـــد وَفينـــا فبـــاركْ يـــا عـــراقُ دمـاً
لـــك استجـــاب ، ومن صـــدام يـــرتفـــدُ
بـــارِكْـهُ أنْ قـد غـدا في بَـــذْلِـهِ مَثَـلًا
وأنْ لـهُ كـلُّ أهـلِ الأرضِ قـد شهـــدوا

فـأولاءِ أقصـرُ مـا يكـونُ زمـانُهم
ولحـومُهم للضـاريـاتِ طعـامُ
يـا مصرُ، مـا ولغَتْ سيـوفٌ في دمٍ
يـومـاً ، ولا اشتبَكتْ عليـهِ سهـامُ
إلّا ذكـرتُـكِ يـا وقـاءَ لحـومِنـا
يـا مَن على مـا كـابـدَتْـهُ تُـلامُ
مُـذْ كنتُ طفـلًا كـان صـوتُـكِ في دمي
وكبِـرتُ ، والشهـداءُ ، والأيتـامُ
وحـرائقُ الثّـوارِ فيـكِ لنـارِهـا
في كـلِّ بيتٍ في العـراق ضـرامُ
وكبـرتُ .. كـان الـزُّهـوُ يمـلأُ أضلعي
أنَّ عنـدَ مصـرَ الحـلُّ والإبـرامُ
أنَّ مصـر ، لا أحـدٌ سـواهـا ، واجهتْ
دولًا ثـلاثـاً كلُّهنَّ ضخـامُ
حتى إذا ضـاقَ الفضـاءُ بـأسـرِهِ
وتشـابـكَ المظلـوم والظـلّامُ
نشـرَتْ ذوائبَهـا الكـرامـةُ كلُّهـا
ومشتْ بكـلِّ جـلالِهـا الأهـرامُ
أنـذا أتيتُـكِ والعـراقُ نفيضتي
ودمُ العـراقِ على يـديَّ سجـامُ

أنــــذا أتيتُـــكِ والعـــراقُ بـــأضلعي
وهـــجٌ ، ومـــلء محـــاجـــري صـــدامُ
آتٍ وطـــوفـــانُ العـــراقِ يصيـــحُ بي
أدركْ ، فعـــرسُـــكَ عنـــدَ مصـــرَ يُقـــامُ

آتٍ وخلفي النَّصـــرُ يُكتَبُ بـــالـــدِّمـــا
والنـــــار .. لا ورَقٌ .. ولا أقـــلامُ !
ولقـــد تـــركتُ على الشهـــادةِ إخـــوتي
فلهم صـــلاةَ عنـــدهـــا وصيـــامُ
آتٍ وفي عينيَّ ألفُ بشـــــــارةٍ
« للفـــاو » منهـــا مبـــدأً وختـــامُ
أنـــذا هنـــا ، وهـــلاهـــلُ الخَفِـــراتِ من
« مجنـــون » تنقـــلُ رَجْعَهـــا الآكـــامُ

« مجنـــون » عمَّدَت الـــدمـــاءُ تـــرابَهـــا
يـــا مصـــر ، فليصعـــد بنـــا الالهـــامُ
ليكنْ بحجم دمٍ عـــــزيـــزٍ واحـــدٍ
وَفَّى « بمجنـــونٍ » عليـــه ســـلامُ
هـــذي البشـــائـــرُ من تـــرابِ أخي دمٍ
يجـــري ، وأولادٍ عليـــه أقـــامـــوا

لـــكِ أنتِ أحملهـــا ، وألفـــاً مثلَهـــا
لبـــلادِ أهلي والأعــــزُّ الشّـــامُ

إنّي لســـــوريّـــا أزفُّ بشـــارتي
بـــالنّصـــر، لـــولا يخجـــلُ الحُكـــامُ !

يا مصرُ إنّ المكرمات مَواجعُ

كُتبت هذه القصيدة في مصر وألقيت في الاسبوع
الثقافي البرلماني المصري العراقي في القاهرة
تموز ١٩٨٨

أبـــداً تـــدورُ مَـــدارَكِ الأيـــامُ
لِمَ لا ، وأنتِ النّيـــلُ والأهـــرامُ !
أبـــداً نجيئُـــكِ آمنين ونَنثني
مـــلءَ القلـــوب محبَّـــةٌ وســـلامُ
يـــا مصـــرُ، يـــا أُمَّ الحضـــارةِ كلُّهـــا
يـــا أختَ بـــابـــلَ والسَّنـــا أرحـــامُ
كـــلُّ المجـــرّاتِ العظيمـــةِ ضـــوؤهـــا
زُلفىٰ ، وآصِـــرَةُ الظـــلامِ ظـــلامُ !
يـــا مصرُ، يـــا مصر التي ما أومـــأتْ
إلّا وكـــلُّ المكـــرُمـــاتِ قيـــامُ

ضُـــرِبَتْ لهـــا في كـــلِّ مجـــدٍ قُبَّـــةٌ
ورسَتْ لكــــلِّ مـــــروءةٍ أحكــــامُ
فهي السَّـــلامُ الخَيــرُ والــزُّهــوُ الــذي
فــــرعـــونُ شـــادَ، وقـــوَّمَ الإســـلامُ !

يـا مصـرُ، يـــا مصـرَ العـــروبـةِ كلِّهـــا
ودمُ العـــــروبــــةِ نخـــــوةٌ وذمـــــامُ
فـــإذا انتهتْ هـــذي، وهـــذي أُطفِئَتْ
فلمَنْ تـــرفـــرفُ هــــذه الأعــــلامُ ؟!
عشـــــرون ســـاريـــةً ونيفُ تـــدَّعي
والصَّـــادقـــان : حجـــارةٌ وخيـــامُ !
أنـــدى الاصـــابـعِ علَّمتْنـــا مَن هم الـ
متعملقــــــون، ومَن هم الأقــــــزامُ
ونظـــلُّ نمـــلأ بـــالصَّمـــودِ بطـــونَنـــا
وعلى التَّصـــــدِّي نتَّكي ونـنـــــامُ !
يـــا مصـــرُ إنَّ المكـــرُمـــاتِ مَـــواجـــعٌ
والاكــــــرمــــون بحملهنَّ كـــــرامُ
أمَّـــا الـــذين يحـــاذرون خيـــالَهم
وشعــــوبُهم سَـــومَ القطيـــع تُســـامُ

وتـــرابُهم ، ومقـــدَّســـاتُ ديـــارِهم
وطئتْ ذُرا حُـــرُمـــاتِهـــا الأقـــدامُ
يا مصرُ لم تبرحْ لـديـكِ قصـائـدي
رَضِعـــاتِ حُبٍّ مـــا لهنَّ فطـــامُ
مـــا أن يحـاصـرني الهـوى حتى أرى
زغَبَ الحـــروف لـــهُ عليَّ هُـــلامُ
ينمـــو ، وينمـــو .. يستحيـل قـوادمـاً
ويطيـــرُ بي ، والعـــالمـــون نيـــامُ
وأنـــا بمكتبتي .. يكـــادُ الفجـــرُ أن ..
وتظـــلُّ تحملُني لـــكِ الأحـــلامُ
حتى إذا اكتمـــلَ الجنـــاح فَـــرَدْتُـــهُ
وأتيت .. هـــذا الحـــجُّ والإحـــرامُ !

يـــا مصرُ، قـــالوا ربَّ زهـــوٍ قـــاتـــلٌ
لكنَّ زهـــوي بـــالعـــراق غـــرامُ
عمـــري أراقبُـــهُ يلمُّ دمـــاءَهُ
مُتَلفِّتـــاً لـــلأرضِ حيثُ تُضـــامُ
فيفيضُ فَيْضَتَـــهُ ويعلمُ أنَّـــهُ
بـــدمـــائِـــهِ سُنَنُ السَّمـــاءِ تُـــدامُ

هَـوذا، ثمانٍ قد مَضَين، وكِبْرُهُ
ورؤاه .. لا لَبْسٌ، ولا إبهامُ
وكأنَّه، ممّا يضاعفُ غيظَهُ
الآن يبدأ عنده الإقدامُ

يا مصرُ، زهوي أنَّ كلَّ حضارةٍ
وطني لها النبراسُ والإلهامُ
ولأنتِ منه القلب .. تَمَّحقُ الدُّنا
وتظلُّ قائمةً بها الأهرامُ
لو يستطيعُ الغلُّ محوَ مروءةٍ
فليَمْحُ حامورابيَ الأعجامُ
أو يمسحوا رُقُمَ الكتابةِ كلَّها
أو يذبحوا التاريخَ حيثُ يُشامُ
حتى وجوهُهمو لنا بجباهها
وشمٌ يُرى، ولنا بها أختامُ!
حتى اذا أوحى العظيمُ لعبدِهِ
وافاهمو من بيتنا الإسلامُ
فبمَن يكابرُ نسلُ قاتلِ حيدرٍ؟
وبمن تفاخرُ دينَنا الأصنامُ؟

ولمن أحـــلَّ دمُ العـــروبـــةِ وهي من
جســدِ الـــرســـالـــةِ غــاربٌ وسنـامُ ؟
ولأجـــلِ مَن سُفِحَتْ دمـــاءُ رُضَّــعُ
هي عنـــد جائعـةِ الــذئــاب حــرامُ ؟
ألأجـــلِ أن تُثـري الجــريمةُ نفسَهــا ؟
أمْ أنَّ ســـرَّ وجـــودِهـــا الإجــرامُ ؟
تسعـــون شهـــراً والـــدمـــاءُ جـــداولُ
تجـــري ، وأجســـادُ الـــرجـــالِ ركـــامُ
تسعـــون شهـــراً والعـــراقُ مـــؤزَّرٌ
بـــاللّـــهِ ، عـــامٌ في القتـــالِ وعـــامُ
ويمـــــدُّ من أعلى رَواقمِ نصـــــرِهِ
يـــدَ مخلصٍ فيـــردُّهـــا شَتّـــامُ
قَسَمـــاً ستلعنُ كـــلُّ كفٍّ أختَهـــا
ممّـــا ستغـــرقُ في اللظى عيـــلامُ

قَسَمـــاً سيفغـــرُ كـــلُّ ميتٍ عينَـــهُ
ممّـــا تضـــجُّ بعينـــــهِ الآلامُ
سيـــلاحقـون مـــدى الـــزمـــانِ حتـــوفَهم
وستُنثَـــرُ الأجـــداثُ وهي رمـــامُ

ستـــراهم الأيّـــام يَمســـخُ بعضُهم
بعضـــاً ، فـــلا صـــوَرٌ ، ولا أجســـامُ
بـــل أوجُـــهٌ ممّـــا تـــراكمَ حقدُهـــا
شـــاهت ، وشـــاخَتْ فـــوقها الأورامُ
عَـــدْلٌ عقـــابُ الله جـــلّ جـــلالُـــهُ
أنَّ الأثيم تـــــؤودُهُ الآثـــــامُ !

يـــا مصـــرُ عـــذراً أن تفيضَ مـــواجعي
فـــأُطيـــلَ ذكـــرَ المـــوتِ وهـــو زؤامُ
وأنـــا بأرضـــكِ .. كـــلٌّ ما حـــولي هـــوىً
ونـــواظـــرٌ يـــوحى بهـــا ، ويُهـــامُ !
لـــوددْتُ لـــو أنَّ الجـــراحَ جميعَهـــا
مقـــــلٌ تسبَّبُهنَّ لا ألغـــــامُ !
وإنن سَعـــدْنـــا لـــو بكـــلِّ خليّـــةٍ
جـــرحٌ ، ومـــلءَ الجـــانحين سهـــامُ !
يـــا مصـــرُ تلتئمُ الجـــراحُ وإنّمـــا
جـــرحُ الكـــرامـــة قطُّ لا يلتـــامُ !
ولـــذا نقـــاتـــلُ من ثمـــانٍ زاخـــراً
دمُنـــا ، مخضَّبـــةٌ بـــه الأعـــلامُ !

الشمس تهبط فوق بابل

ايلول ١٩٨٨

« باسم العراقِ أقول

إنَّ الارضَ سوف تدورُ دورتها

وتسجدُ مَرّتينْ

للخوف

حين تكون بابلُ تحت برجِ الموت

وهي تشدُ ألويةَ التَّحدّي

ثمَّ تسجدُ مرّةً أخرى

وبابلُ مسقطُ للشمس

عندئذٍ

تدور الشمسُ حول الأرضِ حدَّ الاحتراق »(*)

والآن ،

باسمكَ يا عراقْ

سأقولُ يا أرضُ اسجدي

فالشمسُ تهبطُ فوقَ بابلْ

أنَّ السَّنابلْ

ستقومُ من قلبِ الصخوزْ

والشمسُ منذُ اليوم

تبدأ حول كوكبنا تدوزْ

يــا مستفَــزُّ السَّنــا أطلقْ لنـــا نــــورَكْ
أنت الــذي في القَنــا أشعلتَ ديجـــــورَكْ
قــل للقَيــا والـوَنى لقَــا أتى ســورَكْ
أبـــوابُــهُ وهي من صُلْبٍ ونــــارٍ ونَمْ
مــا بينَهــا شعــرةٌ تنسَــلُّ منهــا قَـدَمْ
منهنَّ مــاذا جنى غيـــر الاسى والنَّـدمْ

وغيـــــرَ انْ أصبحتْ أوصـــالُــهُ محصَــدْ
أبـــوابُنــا كلُّهــا كـــانت لــه مــرصَــدْ
يــا زهــوَ مَن صــانَهــا يــا زهــوَ مَنْ أوصَــدْ

كـانت نفـوسـاً ضخامــاً جلَّ بــاريهـا
الكِبْــرُ بــائعُهــا ، والكبــرُ شــاريهـا

ويقاً فبيتاً تناخَتْ من مَرابِضها
وبيرَقاً بيرقاً جاشتْ صواريها
وكان صدام في أسوارها غَبَشاً
يلوي شعافَ الدَّياجي عن ذَراريها
بين الظلامِ وبين الفجر قامتُهُ
سيفٌ تقوم له الدُّنيا وما فيها
وكلَّما ارتطم الغَيمان كان لهُ
برقٌ يزيحُ المنايا عن مجاريها
فيتركُ الليلَ مذبوحاً بظُلمَتِهِ
ويجعل الشمسَ شمساً جلَّ واريها
تسعين شهراً نواعيرُ الدِّماء بها
ما أخلدَتْ ليلةً أصواتُ جاريها
تسعين شهراً ونَيْفاً .. لا الرُّصاصُ غفا
ولا المنايا تخلَّتْ عن مَذاريها
وأنت تسري بلُبِّ الهولِ أجنحةً
الله يعلمُ ما في قلبِ ساريها
حتى ركزْتَ بعالي الريح بيرقَنا
وقلت للشمس: هاشمسي فجاريها!
والآن،
باسمكَ يا ذؤابةَ زهوِها

واسمِ العراقْ
باسمِ الكرامةِ في العراقْ
باسمِ الذين بليلها ملأوا الشوارعَ بالهتافِ
وبالرصاصِ ،
وبالعناقْ

وهم الـــذين دمـــاءُ إخـــوتهم ..
دِمـــا أولادِهم كـــانت صـــداقْ
لشَذا ترابكْ
الآن باسمِكَ
والمجرَّةُ كلُّها وقفتْ ببابكْ
سأقولُ يا أرضُ اسجدي لبيوتهم داراً فدارْ
حتى يضجُّ بكِ المدارْ
هذي البيوت ،
دماءُ فتْيتِها عليكِ الى القَرارْ
سالَتْ فامسكتْ الجذورْ
وتَشبَّثتْ بالنَّخلِ حتى لا يميلَ ولا يدورْ
كانتْ دماؤهم النّذورْ
والنَّصرُ نصرهمو ،
وأكرمُ شاهدٍ تلك القبورْ

في أرضنا لا تَسَلْ   مَنْ ناح .. مَنْ غَنَّى
إنَّ الظُبا والأسَلْ   ما حدَّثث عنّا
أنّا ندوفُ العَسَلْ   بالدمع .. أو أنّا

نبكي على مَنْ هوى   في ليلنا فرقَدْ
ندري بأنَّ الهوى   يبقى له مرقَدْ
عُمرَ الأسى ما طوى   جرحاً ولا أرقَدْ

لكنّنا في العَرا   نكسو أسامينا
وفي جراح الورى   ننسى دَوامينا
نبقى بهذي الِذُّرا   صيداً ميامينا

تكسو فجاجَ العراقَ الشُّمَّ نخوتُنا
وتَستوي فوقها حمراً مواضينا
انّا إذا ما غضَضْنا الطَّرفَ عن سَفَهٍ
فلا يغرَّنْ معتوهاً تغاضينا
فنصفُ ما في العراقيين غيرتُهم
وما تَبقَّى نمٌ عنها يُقاضينا !

ولا وصـــدام ، لــو لِم يَــرمِ حــاضــرُنــا
لَنالَنــا قبــلَ نَيلِ الفُــرسِ مــاضينــا
لقيـــلَ اعطى العـــراقيّـــون أختَهمـــو
ولا ، ويـــا ويـــلَ مَنْ يغفـــون راضينــا

فـــــاختُنــــا أختُنـــا مِكحـــالُهــــا ذِمّـــة
يجـــري بنـــا كحلُهـــا للمـــوت والقمّـــة
صـــدام يـــا زهـــوهَـــا يـــا عـــاليَ الهمّـــة

ألبسْتَ كـــلَّ العـــراقيـــاتِ مـــاثـــرةً
إن هلهلتْ حـــرّةٌ يـــومـــاً لحـــاميهـــا
أنَّ العَـــوادي إذا مـــرّتْ مـــوارَبـــةً
عـــرفْنَهـــا مِن سِمـــاتِ في دَواميهـــا
تقـــولُ أختُ الفـــراتِ الحـــرِّ زاهيـــةً
لأخت دجلـــة : ذي صـــدام راميهـــا !
يـــا سيّـــد النّصـــر، ليس النُّصـــر معجـــزةً
لكنْ طـــريقتُـــهُ الـــزّاهي تَســـاميهـــا
أنّـــا بـــأزكى الـــدِّما سُقنـــا غمـــامتَـــهُ
ليستقي قـــاتلـــونـــا من هَـــواميهـــا

ايستقي قاتلونا من هَواميها ..

لا باس يا وطني
ما زلت أكرمَ من أعطى مدى الزَّمنِ
طوبى لحسمِكْ
والآنِ باسمكْ
ساقول إنّ السِّلمَ لم يوهَبْ
ولكنّا سَحَبْنا الغيمَ من شَعَفاتِهِ
فجئنا وأمطرْ

وأقولُ إن الشمسَ لم تُشرِقْ الى انْ
جِلدُ كلِّ الغيم من عطشٍ
تَفطَّرْ

أمّا وقد بزغتْ كما شئنا
فانَّ شعاعها هيهات يُسجَنُ
أو يؤطَّرْ ..

(*) قصيدة « ألواح الدم » للشاعر عام ١٩٨٥ ـ المربد .

هلي الذمة القصوى

لنـــا مــركبٌ وعــزٌ ، وللنـــاس مــركبُ

معـــايير .. شَــرّقنا عليهـا ، وغــرّبــوا

فمنهـــا تَغـاضينـا ، ومنهـا جمـوحُنـا

ومنهـــا تَنـــادينـا اذا النــاسُ نَكّبــوا

وتَشميــرُنـــا للهـــول .. لا نستشيـــرُهُ

ولكنْ نجيءُ الهـــــولَ من حيثُ يَغضبُ

وإنّـــا لَقـــومٌ لا كمــا شـــاء مــوتُنـا

نمـــوتُ .. ولكنْ مثلَمـــا نحن نـــرغبُ

نـــرىٰ العمرَ كـاسـاً خَيـرُنـا مَن يُـديـرُها

على الناسِ .. لا يدرون من أين تُجلَبُ

ويستــرُ كِبْــراً جــرحَـــهُ عن عيــونهم

لكيــلا يَــروا شــريــانَــهُ كيف يشخبُ

نرى الموتَ كاساً .. خيــرُنا مَن يَـروزُها

ويمسكُهـــا من عـــروَتَيهـــا ويشـــربُ

وأمّـــا إذا مـــا خَبْطَ عشـــواء جـــاءهُ

فهـــذا مُثـــابٌ .. إنَّمـــا ذاك أثـــوَبُ

وإنّـــا نـرى في المـــرء بَرقـــاً يميـزُهُ

فهـــذا أخـــو غيثٍ ، وهـــذاك خُلَّبُ

ونحن لنـــا بـــرقٌ .. يجيء محمـَّـلًا

ميــاهـــاً .. والّا فهـــو مـــوتٌ مصـوَّبُ

ونتبعُـــهُ .. ان كـــانَ غيثـــاً وإن ردىً

ونـــرجـــعُ في الحـــالَين والارضُ اخصَبُ

لنـــا مـــركبٌ وعـــزٌ ، وللنـــاس مـــركبُ

معـاييـر .. شَرَّقنـا عليهـــا ، وغـرَّبــوا !

ألا أيُهـــذا البـانخُ المجـدَ ، يـا هـوىً

نَـــذَرْنـــا لـــه الاعمـــار .. يُعطي وينهبُ

تبعنـــاهُ اطفـــالًا ، ومـــا زلتُ خَلْفَـــهُ

صغيـــراً .. وإنْ اولادُنـــا فيـــه شَيَّبـــوا

أغنّيك والخمسون تجتاز شوطَها
كأنّي بخمسٍ لا بخمسين أدأبُ
كأنّي أرى عُمْقَ السّماواتِ بيرقاً
اصيحُ به : «عِش هكذا» .. وهو يلعبُ
ترفرفُ روحي .. موطني .. موطني .. ارى
دمي حولَهُ . في الجوِّ يطفو ، ويرسبُ
ويطفو .. وأصحو .. والعراقُ مدجَّجٌ
وسبعةَ اعوامٍ سراياهُ تلهَبُ !

ألا ايُّهذا الباذخُ المجد .. يا هوىً
نذزنا له الاعمار ، والعمرُ غيهبُ
اذا لم نُضِئْهُ الآن إذ انت لاهبُ
فمَن .. ومتىٰ تاريخُنا فيك يُكتَبُ ؟
هو العمر ، إما جذوةٌ واشتعالُها
وإلّا فأحطابٌ الى القبر تُحطَبُ

أجِزْ يا عراقَ الكِبْر قنديلَ شَيْبَتي
فمن جمرِ هذي الروح يأتيك كوكبُ
يضيءُ على سبعٍ وخمسين دارة
وآخرُ سبعٍ فيه منهنَّ أهيَبُ

فهنَّ اشتعالُ الروح ، والشعرِ ، والهوى
وهنَّ جوازُ العمرِ أيّان يذهبُ !

لكَ المجد .. هل فجرٌ سواكَ فيُرقَبُ ؟
وهل منبعٌ إلّاك في الروح يُسكَبُ ؟
وهل مثلَ هذا الزَّهوِ زهوٌ فيُرتجى ؟
وهل مثلَ هذا الحمدِ حمدٌ فيُكسَبُ ؟

وهل نحنُ إلّا غيمةٌ فيك أمطرتْ ؟
وعذراً إذا كانت دماءً تَصبَّبُ
نَدبتَهمو .. جاءوا عُجالى ، فلم يرَوا
سوى دمِهم ماءً .. ففاضوا وأسهَبوا
وراحوا ، وفي العين اعتذارٌ لأرضهم
كأنهمو ، عفواً ، على الموتِ أذنبوا !
وفي الملأ الأعلى أضاءت مجرَّةٌ
وهم مثلَ حَبِّ النَّجمِ فيها تكوكبوا !
ألا لا تُناشِدْ غيرَ أهلي على الظَّما
فقد جفَّ ماءُ الناس مُذْ فاضَ مأربُ !

ألا لا تَصِخْ إلّا عراق اذا نَجَتْ
وقُلْ : يا عراقيّون .. تأتيك تثغبُ

سيـــوفٌ ولا اغمـــاد .. خيــلٌ مخيفــةٌ
ولا ســرجَ .. لكنْ فوقها المـوتُ يهذِبُه
يجيء العـــراقيّـــون .. أخـــوانُ أختهم
وكـــلٌّ بـــهِ مِ الغيظ سيفٌ مُشَطَّبُ
نِعِمّـــا حميتُم يـــا بني أمُّ عـــرضَكم
نِعمّـــا رميتُم والـــرّعـــاديـــدُ غُيَّبُ
نِعِمّـــا شَـــرَعتُم بـــأسَكم يـــومَ أغمـــدوا
نَعمّـــا رفعتُم رأسَكم يـــومَ حنّبـــوا
وأنتم وأيمُ الله إخـــــوانُ نخـــــوةٍ
لكم غيـــرةٌ حتىٰ مع المـــوتِ تُـــرهِبُه!

تعـــاليتَ يـــا بيتَ المـــروءاتِ والنّـــدىٰ
ويـــا واهبـــاً للهـــولِ مـــا ايس يـــوهَبُ
ويـــا ضـــامـــداً جرحَ الحضـــاراتِ كلّهـــا
بـــأولادِهِ .. والضَّـــوءُ بـــالضَّـــوءِ يُعصَبُ
لِسَبـــــــعٍ شَبَكْتَ الأرضَ حتىٰ تقطعَتْ
نياطُ بني ساساز .. جاشـــوا .. وأجلَبوا
فلم يستطيعـــوا أن يفكُّـــوا حصـــارَهـــا
وهيهـــاتَ .. نَيلُ الشمسِ من ذاك أقربُ

وهــا هم ابابيـلُ العـراقِ انظـروا لهم
وسَبْــعُ مهــولاتٌ عليهنَّ أســرَبــوا
كــأنّهمــو لم يــركبــوا صَهَــواتهــا
سوى اليوم .. كلٌّ منه نجمٌ مـذنّبُ
يــدور مــدارَ الضّــوء وأيّــانَ أظلَمــوا
ويهــوي عليهم نَيــزكــاً حيث عنكَبــوا
يــريهم بــأنّ القــادمــات جحيمُهــا
من المــاضيــات السّبــعِ أدمى وأرهبُ

وهــا رُجُمُ الفــولاذ عــالٍ هــديــرُهــا
تــرى تحتــه ضلــعَ الثرى وهــو يَنحبُ
لسبعــةِ اعــوامٍ على شُــرُفــاتهــا
عظــامُ بني ســاســان تُطــوى وتُسحَبُ
لسبعَــة اعــوامٍ ، وهــذا زئيــرُهــا
وهم دمنــةٌ تحت المحــاريث تُكــرَبُ
حدودُكَ هــذي يــا عــراق .. وشــاخصٌ
لسبعــةِ اعــوامٍ عليهــا سيُنصَبُ
يقــول ابنــةُ النّهــرَين والله ارضَعتْ
وقــومُ الفتى صــدام والله أنجبــوا

سـواتـرهُم هـذي ، وهـذي حـدودُهم

لسبعَـةِ أعـوامِ عليهنَّ أحـرَبـوا

فما جازَها وغدُ .. بلىٰ ، جازَ جثَّةً

وجـازَ أسيراً .. أو أتىٰ وهـو مُـرعَبُ

فمـا كادَ حتىٰ مادت الارضُ تحتَـهُ

وأوصدَ اهلُ الدار بابـاً .. وضَوْضَبوا

فلم يـدرِ ، والطـوفـانُ يـزحفُ نحـوَهُ

جدارُ الرَّدىٰ هل فيـه للحيِّ مهرَبُ ؟!

أقِمْ لفتي يـا سيِّـدي لـو رأيتَهـا

بهـا للعـراقيّين حـرفٌ مُعَتَّبُ

وحـاشـا ، وقـد كـوَّنتَ لي أبجـديَّتي

فصـارت بها الأمثـالُ في الزُّهـر تُضـرَبُ

صـدوقٌ .. سِنـانُ حـرفُهـا .. مستقـرَّةٌ

مُعبَّـأةٌ للهـولِ .. تُبنىٰ ، وتُعـرَبُ

على نظـرَتَيْ عينيـك عطفـاً ورهبـةً

وأنتَ لهـا وحيٌ من الـوحي أوهَبُ

ألَسْتَ الـذي سبعاً تقـودُ انتصارَهـا

وعـزمُك من فـولاذهـا الصلْب أصلبُ ؟

أَلَسْتَ الــذي سبعاً شكَمْت على الـوغىٰ
أعنَّـــة كـــلِّ الخيـــل لا تتشعَّبُ ؟
أَلَسْتَ الذي لم يلتقِ الناسُ في الــرَّدىٰ
على واحـــدٍ إلاك ، والـــرَّيـــحُ قُلَّبُ ؟
ولكنَّ ارســــــان المــــروءة كلّهـــــا
بكفَّيـــكَ زُمَّتْ ، وهي هـــوجـــاءُ ، وُثَّبُ
طـــواعيـــةً تـــرخي الشُّمــوسُ قيـادَهــا
لفـــردٍ ، ولا يلـــويـــه جيشٌ مـــدرَّبُ !
طـــواعيـــةً نهـــوىٰ .. طـــواعيـــةً نفي
طـــواعيـــةً نـــأتيـــكَ والمـــوتُ يصخبُ
طـــواعيـــةً نهـــواكَ صـــدام .. والـــذي
ارادك نبـــراســـاً لنـــا حيثُ نـــذهبُ
لانَّـــكَ من هـــذي البـــلاد صميمُهـــا
لانَّـــكَ فينـــا الخـــالُ ، والعمُّ ، والأبُ
وأنت أخـــو هـــذي السَّـــواتـــرِ كلُّهـــا
وأصحـــابُهـــا من أنجب النـــاسِ أنجبُ !

أقم لغتي يـــا سيِّـــدي لـــو قُـــلامَـــةً
بهـــا لحســـابٍ مـــا تُخَطُّ وتُشطَبُ

ووالله مـــا عـــوَّدتَنـــا أن نجيئهـــا
مـــوارَبَـــةً ، بـــل نُصْبَ عينيـــك تُكتَبُ
فكيفَ وَعَينـــا ضيغمٍ تـــرصـــدانهـــا
يجيءُ بهـــا حـــرفُ هـــدانُ مُضَبَبُ ؟
وعينيـــك إنّي حين بـــاسمـــكَ انتخي
أحسُّ بحـــرفي وهـــو بـــالنَّجمِ يلعبُ !
أحسُّ جنـــاحَ الحـــرف يمســـحُ ريشَـــهُ
على هُـــدُبِ الجـوزاء ، والحـــرفُ أزغَبُ !
ولـــو مطـــرٌ مِ النـــار ، والـــوحيُ دونَـــهُ
بلَغْتُ .. دمي يجـــري ، وصـــدري مثقَّبُ
فـــامسك جنَّ الـــوحيِ من شعَفَـــاتهـــا
أقـــول اهـــدري شعـــراً فصـــدام يـــرقب !

* * *

يظـــلُّ العـــراقيـــون طـــوفـــانَ نخـــوةٍ
لهم عَمَـــــدُ عـــــالٍ ، وبيتُ مطنَّبُ
بيـــوتُهم مثـــل الـــدواوين رحبـــةً
وأخـــــــلاقُهم والله منهنَّ أرحبُ
على الهـــولِ لم ينسَـــوا كـــريمَ نجـــارهم
وفي الهـــولِ يمتـــازُ الحســـامُ المـــذرَّبُ
وتبقى بـــلادُ الـــرافـــدين عـــزيـــزةً
محـــارمُهـــا حتى عن النَّجمِ تُحجَبُ

هي الذمّةُ القصوىٰ .. هي الزُّهوُ والهَوىٰ
هي التُّعَبُ الحلــوُ الــذي ليس يتعَبُ !
بلادي .. بلادي .. يــا هَوايَ الـذي لَهُ
لَــهُ وحــدَهُ في القلبِ أهــلٌ ومــرحَبُ
نحبُّ كثيــراً .. نشتهي كــلَّ فتنــةٍ
وحينَ تمسُّ القلبَ عينـــــاكِ يُسلَبُ
أجــل، كلُّ ليلىٰ في العـراق قــريبــةٌ
الى النفس .. لكنَّ العـــــراقَ المحبَّبُ
فــداكِ أوَيــلادي، ونفسي، وإخــوَتي
وأهلي .. ومـــا آتي .. ومـــا أتجنَّبُ
حملتُــكِ يومــاً حملَ جــرحٍ بأضلُعي
وأشفقتُ حتىٰ قيـــل: رزّاقُ أحــدَبُ !
وهـــا أنــذا عُمقَ السَّمــاواتِ قــامتي
ومنــكِ على صــدري وســامٌ مخضَّبُ !

ياصبر أيوب

«ديوان أم المعارك»

« بلى انها حرب صليبية اخرى »

ألا إنّهــــا حَـــزبٌ صَليبيّـــةٌ أخــرىٰ
فَثِبْ يـا صَـلاحَ الـدّين وَثْبَتَـكَ الكُبـــرىٰ !
وَقُمْ يـــا صَــلاحَ الــدّين لِلمُضـرِمينَهـا
فانتَ بِهِم أدرَىٰ ، وَهُمْ .. هُمْ بِها أدرَىٰ
فَــلا يَغــرُبيّـــاتُ الكـــوَيتِ عَـــزيــزَةٌ
علىٰ نفسِ أمــريكا .. ولا شَـرَفُ الجَبْهرا
ولكنْ لَهُم ثَـــأرٌ بِبَغـــدادَ واتِـــرُ
وَإنّ لَنـــا وَاللهِ في ثَـــأرِهِم ثَـــأرا !

* * *

ألا إنَّهـــا حَـــربٌ صَلِيبيَّـــةٌ أخــرىٰ
يَهـــوذا يَقُودُ اليَــومَ عَسْكَرَهــا المُجْـرا
فَقُمْ يـــا صَـــلاحَ الـــدِّين إنَّ زِمـــامَهـــا
بِشـــارِبِـــكَ النَّشْميِّ يَخفُـــزهـــا خَفْـــرا
وَأنتَ لَهـــــا وَاللهِ واحـدُ أُمَّـــةٍ
عَلَيـــكَ تَـلاقَتْ كُـلُّ أعـلامِهـا كِبْـرا !

* * *

بَلىٰ ، نَفْسُ ذاكَ الحِقْـــدِ هَبَّتْ رِيـاحُـــهُ
وَنَفْسُ عُيـــونِ الحِقْـدِ تَخْـزِرُنـا خَـزْرا
وَلَكِنْ يَحُـــزُّ القَلبَ أَنَّ نِصـــالَهـــا
تَخِـــذْنَ بِبَيْتِ اللهِ سُبحـــانَـــهُ وَكْـــرا
فَـــوَا ضَيْعَـــةَ الإســـلامِ يَطعَنُ أهلَـــهُ
يَهُـــوذا ، وَبَيْتُ اللّـــهِ يَمنَحُـــهُ سِتْـــرا
وَقَبْـــرُ رَسُـــولِ اللّـــهِ حَـــوْلَ تُـــرابِـــهِ
حِـــرابُهُمـــو يَـــزْجُـــرْنَ حُـــرمَتَـــهُ زَجْـــرا
وَوَاضَيْعَـــةَ الإســـلامِ يـــا مِصـرُ أَنْ نَـــرى
مُعِينَ الصَّلِيبِيِّينَ فِي غَـــــزْوِهِم مِصـــــرا
وَوَاضَيْعَـــةَ الإســـلامِ .. كيفَ تَـــوَاطَـــأتْ
عَلَيـــهِ يَهـــودُ الأرضِ تَجْـــزُرُهُ جَـــزْرا

وَيَنْظُـــرُ في كـلِّ الجِهـاتِ فَـلا يَـرَىٰ
مُعِينَ اليَـدِ اليُمْنىٰ سِوَىٰ يَـدِهِ اليُسْرَىٰ!

* * *

بَلَىٰ إنّهـــا حَـــرْبٌ صَلِيبِيَّـــةٌ أُخـــرىٰ
بِهـــا هَيْبَـةُ الإسـلامِ أضْلُعُهـا حَسْـرَىٰ
وَهَيْبَـــةُ كـــلِّ العُـــرْبِ، إلّا خَـــؤُونَهُم
مُهَـــدَّلَـــةُ الأزْرارِ في لَبَّـــةِ المَسْـــرَىٰ
فَيَـــا رافِـــعَ الـــرّايَـــاتِ ثَبِّتْ كُعُـــوبَهـا
فَكُـــلُّ ريـــاحِ الأرضِ مُقبلـــةٌ تَتْـــرىٰ
وَيـــا رافِـــعَ الـــرّايـاتِ ثَبِّتْ كُعُـــوبَهـا
فَفي هـــذِهِ الـــرّايـــاتِ تَنْعَقِـــدُ البُشْـــرَىٰ
وَيَـــا رافِـــعَ الـــرّايَـــاتِ .. يَبْقَىٰ رَفيفُهـــا
وَتُصبِـــحُ هٰذي الـــرّيـحُ بَعْـدَ غَـدٍ ذِكْـرَىٰ!

* * *

بَلَىٰ إنّهـــا حَـــرْبٌ صَلِيبِيَّـــةٌ أُخْـــرَىٰ
تَخَـــايَـــلُ فيهـــا نَفْسُ أوجُهِهـــا النّكْـــرا
وَنَفْسُ نَـــوَايَـــاهـــا .. وَنَفْسُ جُمُـــوعِهـــا
يَجيءُ بهـــا أَحْفَـــادُهُم مَـــرَّةً أُخـــرَىٰ

ويَقـــدِمُهم ريشـــارد ، لَكنْ مُشَــوَّهٌ
فَما هوَ في الفُــرسانِ وَجْهـاً ولا ظَهْرا !
وَمــا فــارِسٌ مَنْ يَقْطُــرُ السُمُّ وَجْهُــهُ
وَيَجعَـــلُ مِنــهُ الحِقْــدُ عَقْــرَبَــةً صَفْـرا !
وَأَفْــدَحُ مــا يَشْجيــك أَنَّ جِــرابَهُم
حِيالَ رَسُـولِ اللّـهِ قـد حُشِـرَتْ حَشْـرا
تُحِيطُ بِبَيْتِ اللّـــهِ جَــلَّ جَــلالُــهُ
مُــدَنَّسَـــةً أُحْــداً .. مُــدَنَّسَــةً بَــدْرا

وَيَعْلَمُ رَبّي الآنَ كيفَ جنــــــــوُدُهُم
تَمُــرُّ بـــآثَــارِ النَّبيِّ وَلا تَجْــرا !
إذا لم يَــكُ الكُفْــرُ الَّــذي يَفعَلــونَــهُ
فــأيَّ مُــرُوقٍ بَعْــدُ تَحسَبُــهُ كُفــرا ؟

* * *

وَوَاضَيْعَـــةَ الإســـلامِ .. أَبقَىٰ أَقــولُهــا
إلىٰ أنْ يَــرَىٰ الإسلامُ في أَمــرِهِم أَمْـرا
إلىٰ أنْ تَـــرَىٰ الــدُّنيــا بِكُـلِّ عيــونِهــا
دُخـــولَ الصَّليبيِّينَ كَعْبَتَـــهُ جَهْــرا
وَإذْ ذاكَ يـــا مصـــرُ العَـــزيـــزَةُ تَنثَني
إلىٰ الأزهـــرِ المَيمـونِ أَعْيُنُنــا العَبْــرَىٰ

وَنَســـــأَلُــهُ : هَــلْ بَعْــدَ هـَـذا مُــؤَذِّنٌ ؟؟
وَهَــلْ مِن أذانٍ بَعْدَ هـَذا بنــا يُغْـرَىٰ ؟!
أَنَــــزفَـــعُ لِـــلإســـلامِ حَشْـــدَ مَــآذِنٍ
وَنَغْـــرِزُ في عَيْنَيْـــهِ أَنْمُلَنـــا العَشْـــرا !
لِمَنْ ؟ .. وَلِمـــاذا يـــا كِنــانَـــةَ أهلِنـــا
تَجُـــرِّينَ لِلكُفُّـــارِ شَعْفَتَنـــا جَـــرًّا ؟
وَأَيْنَ هـــوَ المَجْدُ الَّـــذي مِصْــرُ أَهلُــهُ
إذا الكُفْـــرُ سَوَّاهـــا لِكَعْبَتِها جِسْـــرا ؟!

* * *

بَلَىٰ إنَّهـــا حَـــرْبٌ صَليبِيَّـــةٌ أُخْـــرَىٰ
تَعَـــدَّدَتْ الأسْبـــابُ ، وَاتَّحَـــدَ المَجـــرَىٰ
فَمـــا هَمَّ أمـــريكـــا عِقـــالٌ إذا هَـــوَىٰ
وَلا دَمـــعُ صهيـــونٍ لِمِخْنَتِـــهِ يُـــذْرَىٰ
وَلا جَمَعَتْ مِن كُـــلِّ فَـــجٍّ جيـــوشَهَـــا
أَسَـاطيلَهـا .. وَالحِقْـدُ يَعصُـرُهـا عَصْـرا
لأنَّ قَلْبُهـــا يَـدْمَىٰ عَلىٰ مـــا جَرىٰ لَنـــا
وَمُنْــــذُ مَتَىٰ كـانَتْ لَهـــا كَبِـدٌ حَـرَّىٰ ؟!

وَمُنْــذُ مَتَىٰ صهيــون نَــاجىٰ ضَميــرَهُ ؟
وَلكنَّهــا الغِيــلانُ أجمَعُهــا تَعْــرَىٰ !
وَليسَ على البِتــرول تَجــري دُمُــوعُهــا
فــآبــارُهُ واللّــهِ مــا نَقَصَتْ بِئْــرا !
وَلا حَمَلَتْ بِئْــرٌ بَقيَّــةَ نَفْطِهــا
إلىٰ نَجمةٍ في غيرِ عَــالَمِنا أُخــرىٰ !
وَلَكنَّ أمــريكــا .. وَقَبْــلَ هِيَــاجِهــا
« عَــزيزَةُ أمــريكــا » قــد ارتعَــدَتْ ذُعْــرا !
لأنَّ الَّــــذي في كفِّــهِ النّفطُ كَفُّــهُ
بِهــا رايــةُ التَّحــريــرِ مَضفــورَةٌ ضَفْــرا !
وأنَّ الَّــــذي في كَفِّــهِ النِّفطُ كَفُّــهُ
بهــا ذو الفقارِ الضَّخْمِ مِن جَدِّهِ ذُخْرا !
وأنَّ الَّــــذي في كَفِّــهِ النَّفطُ كَفُّــهُ
عَلَيهــا يَــدُ الــرَّحمٰنِ تــأزُرُهــا أَزْرا
فَطُــوبــاكَ يــا صَــدَّامُ مــا لاحَ بــارِقٌ
وَمــا غَيْمَــةٌ هَلَّتْ ، وَمــا كــوكبٌ أَسْـرَىٰ
وَمـــا هَلْهَلَتْ بَيْنَ الفُــراتَيْنِ حُــرَّةٌ
وَمــا مــاجَ مَــوجٌ في شَــواطِئِنــا الخَضْــرا

وَطـويَاكَ مـا أَسْـرَتْ إلى القُـدْسِ نَسْمَـةٌ
وَعَـــادَتْ من الإِسْـــراءِ مُثْقَلَـــةً طُهْـــرا
وَمَــــرَّتْ علىٰ حِطِّينَ ، ثمَّ تَمـــايَلَتْ
وَرُوحُ صَــلاحِ الــدِّينِ تَمــلأُهــا عِطْــرا
لاقْسِمُ بــالصَّــادَيْنِ ، لَم يَنْبُتـا سُـدَىً
بِنَفْسِ التُّرابِ الطَّـاهِـرِ العَطِـرِ الـــذِّكرىٰ
وَلا اتَّفَقـــا إلّا وَلِلّـــهِ حِكْمَـــةٌ
بـــأنَ يَشْمَخـا كـلٌ كَصَــاحِبِــهِ كِبْـرا
وَأنْ يَكتبـــا لِلّـــهِ جَـــلَّ جَـلالُـهُ
وَلِلحَقِّ وَالإســـلامِ بِـاسْمَيْهِما النَّصـرا !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في آب ١٩٩٠

سيكون للدنيا مسار آخر

دَعْهـــا بكُـــلِّ فُصــولِهـــا تَتَلَمْلَمُ
عَظُمَتْ وأنتَ لَهـــا المَصَـــدُّ الأعظَمُ
أنتَ المَهــابَــةُ ذي الفقــارِ بــوجهِــهِ
وَوَريثُ جَـــدِّكَ عنـــدمـــا تَتَكلَّمُ
أنتَ السَّــدادُ لَهـــا فَمـــا خُلِقَتْ يَـدٌ
مِن بَعــدِهِ بحِــزامِــهِ تَتَحـــزَّمُ !

* * *

دَعْهـــا بِكُـــلِّ فُصــولِهـــا تَتَلَملَمُ
دَعْهـــا تجيشُ ، وتَستَجيشُ ، وتُـــرزِمُ

فَــلأنتَ أدرىٰ يــا عــزيــزُ بــأنَّنــا
مثــلَ النَّخيــلِ قَنــاتُنــا لا تُعجَمُ
وَلأنتَ أدرىٰ أنَّ شَعبَــكَ حــاشِــدُ
نَخَــواتِــهِ طُــرّاً ، وأوَّلُهــا الــدَّمُ !
وَلأنتَ أدرىٰ يــا منــارَةَ زَهــوِنــا
أنّــا نَمــوتُ وزَهــوُ أرضِــكَ يَسلَمُ !

* * *

دَعْهــا بِكُــلِّ فصــولِهــا تَتَلَملَمُ
دَعْ كُــلَّ أمــريكــا بِغَــزوِكَ تَحلُمُ
دَعْهــا تَــروزُ دُروعَهــا وقلــوعَهــا
تُــرغي ، وتُــزبِــدُ .. تَــزدَري .. تَتَهجَّمُ
يــا سَيِّــدي ، مِن بَعضِ مــا علَّمتَنــا
أنَّ القَــويَّ بِحَقِّــــهِ لا يَشتمُ !
أنَّ القــويِّ قَــويَّــةٌ أخــلاقُــهُ
كــالسَّيفِ ، لا ينبــو ، ولا يتَثلَّمُ
أمّــا الهَــزيــلُ بــروحِــهِ .. مَهمــا عَتــا
صَلَفــاً ، فــداخِلُــهُ ذَليــلٌ مُجــرِمُ !
أرأيتَــــهُ كيفَ استَشــاطَ مُهــدِّداً
مُتَــوعِّــداً ، وكــلامُــهُ لا يُفهَمُ ؟
إلّا البَــذاءَةُ والشَّتــائِمُ وحــدَهــا
وسِــوىٰ الشَتــائمِ كــلُّ شيءٍ مُبهَمُ !

الحَقُّ يُنطِقُ أهلَــــهُ يــــا سَيِّـــدي
والظُّلمُ وَسْطَ دُروعِــــــــــهِ يَتَلعثَمُ !
سَيُهــــددّون ، وتستَقيمُ جـــذوعُنـــا
ويُحشّــــدون ، ونَخْلُنـــا يتـــأجَّمُ
أهلـــوكَ نحنُ .. غَـداً تَــرىٰ شُهـداءنـا
ودِمـــاءنـــا في طَـــوقِهِم تَتَحكَّمُ
وَحَيـــاةِ مجـدِكَ ، مـا تَـراصَفَ حِقـدُهُم
لَن يَستَقيمَ لَـــديـــهِ طـــوقٌ مُحكَمُ
كِبْـــرَ العـــراقيِّين سَـــوفَ يَجيئُهُم
دَمُنـــا ، وَيَسبِقُـــهُ القضـــاءُ المُبـــرَمُ !

* * *

دَعْهــــا بكــــلِّ فصـــولهـــا تَتَلملَمُ
دَعْهـــا تَجيشُ ، وتَستجيشُ ، وتُـــرزِمُ
دَعْ عِلْـــجَ أمـريكـا يُعـربِـدُ غـاضِبـاً
دَعْ جِلْـــدَهُ بِسمــــومِـــهِ يَتَـــورَّمُ
العَقْـــرَبـــاء .. غـــداً سَيلـــدَغُ نَفسَـهُ
نَـــدَمـــاً إذا اشتَبَكَتْ عَليـــهِ الأسْهُمُ !
وَسَتَلتَقي واللهِ حَـــــولَ جُنـــــودِهِ
نـــارٌ بِهـــا سَيَـــرونَ كَيفَ جَهَنَّمُ !
وَلَنحنُ ، لا واللهِ ، لن نَـــرضىٰ بِـــهِ
خَـــدْشـــاً يمـرُّ بِـــهِ الـــزَّمـــانُ فَيَـلأَمُ

لكنْ سَنَجعلهـــا جِـــراحـــاً عُمقُهـــا
عُمقَ البِحـــار، رَضيعُهـــا لا يُفطمُ!
سَتُشَبُّ كـــلُّ الأرضِ نـــاراً تَحتَهُم
حتى الخليـــجُ مِيـــاهُـــهُ تَتَضـــرَّمُ
الأرضُ تـــرفَـــعُ للسَّمـــاءِ صَـــواعِقـــاً
فَيُعيـــدُهـــا لَهُمُ القَضـــاءُ الأشـــأَمُ
رُجُمـــاً سَيخشَـــعُ كـــلُّ مُحتَـــرقٍ بِهـــا
وَكـــأنَّـــهُ بِلَظىٰ جَهَنَّمَ يُـــرجَمُ
سَيقـــولُ أثْبَتُهُم جَنـــانـــاً لَيتَنـــا
لَم نـــأتِ أرضَ الأنبيـــاء .. فَسَلْهُمـــو
مـــاذا أتىٰ بِهِمـــو..؟ .. وأيُّ خَـــديعَـــةٍ
خُـــدِعوا بِها؟ .. وبـــأيِّ عُـــذرٍ أقـــدَمـــوا؟؟
أأبـــو رغـــالٍ، وَهـــوَ خـــائِنُ بَيتِـــهِ
وَعَـــدوُّ كـــلِّ مَن اهتَـــدَوا، أو أسلَمـــوا
أم أنَّ أبـــرَهَـــةَ الجَـــديـــد مُمَثَّـــلًا
في عِلْـــجِ أمـــريكـــا أشـــارَ فَيَمَّمُـــوا؟
إنّي لَأســـأَلُ خـــادِمَ الحَـــرَمَينِ هَـــل
مـــا زالَ في الحَـــرَمَين فِعـــلًا يَخـــدِمُ؟!
أم أنَّـــهُ اختَلَطَتْ عليـــهِ أُمـــورُهُ
القصـــرُ الابيضُ والحطيمُ وزمـــزَمُ!

وتكـــاثَـــرَ الأسيـــادُ حتى مـــا دَرىٰ
هـــوَ خـــادِمٌ في بيتِ أيٍّ منهمـــو ؟!
عَجَبـــاً لِمَن تغـــدو ميـــاهُ وجـــوهِهِم
مُستَنقَعـــــاً ، ووجـــــوهُهُم تَتَبسَّمُ !

* * *

يا خـادِمَ الحـرَمَين .. جـلَّ أسمـــاهُما
عمَّنْ أتىٰ بِـــذُراهُمـــا يَتَـــردَّمُ
أدخلتَ في الحـــرَمَينِ حَشْـــدَ مـــآثم
أرأيتَ يـــومـــاً آثِمـــاً يَتَحشَّمُ ؟
أأمِنْتَ أنَّ يهـــودَ لـــو دَخَلَتْ إلىٰ الـ
حَـــرَمَين ، لا تـــزري ، ولا تَتَهكَّمُ ؟
أفَبَيْتُ خـــالِقِنـــا ، وقَبـــرُ نَبيِّـــهِ
في سُـــوحِهـــا زُمَـــرُ اليهـــودِ تُهـــوِّمُ ؟
وأمِنْتَ أنتَ ؟ .. لَـــزِمْتَ بيتـــكَ آمِنـــاً ؟؟
وكـــأنَّ أرضَـــكَ ليسَ فيهـــا مُسلِمُ ؟!
وإذنْ أقِمْنـــا يـــا مُحمَّـــدُ شُخَّصـــاً
يـــومَ الحســـابِ أمـــامَ ربِّـــكَ نَـــرشِمُ
سَيقـــولُ : كُلُّكُمـــو رأيتُم .. كُلُّكم
لَم تَفعلـــوا شيئـــاً ، ولَم تَتَكلَّمـــوا
صـــوتٌ وحيـــدٌ بيننـــا سَيقـــولُ : لا
إنّي فَعَلْتُ ، وإنَّ قَـــوميَ أقـــدَمـــوا !

يـــا سَيّدي صـــدام .. وَجهُــكَ وحــدَهُ
يَبقىٰ مَهيبَ الـــــزَّهـــــوِ لا يتلثَّمُ !
في حين يُخفي كـــلُّ نَـــذْلٍ وجهَـــهُ
فـــزعاً ، فـــلا سَمعٌ لـــديــهِ ، ولا فَمُ !

* * *

صـــدام .. يـــا وعـــدَ العـــروبَـــةِ كلِّهـــا
في كـــلِّ مـــا أجيـــالُهـــا تَتَجشَّمُ
يـــا أيُّهـــا المَيمـــونُ .. يَشهـــرُ سَيفَـــهُ
وأمـــامَ كـــلِّ جنـــودِهِ يَتَقَـــدَّمُ

وَمَهيبُ رايَتِـــهِ بهـــا مِن جَـــدِّهِ
قَمَـــرٌ ، ومِن غُـــرَرِ الصَّحـــابَـــةِ أنجُمُ !
اليـــومَ يـــومُـــكَ يـــا أعـــزَّ رجـــالِهـــا
بِـــكَ يَبـــدأُ المَســـرىٰ ، وبـــاسمِـــكَ يُختَمُ
سَتَلُمُّ ألـــويَـــةُ العـــراقِ ضلـــوعَهـــا
حتىٰ يُحيطَ بِـــكَ الشُّغـــافُ العَنْـــدَمُ !
وَتَشـــدُّ قـــامتَـــكَ العـــروبَـــةُ كلُّهـــا
بـــل كـــلُّ حيٍّ سَـــوفَ بـــاسمِـــكَ يُقسِمُ
سَيكـــونُ للـــدُّنيـــا مَســـارٌ آخَـــرُ
وَيَكـــونُ لـــلإنســـانِ قَلبٌ أرحَمُ

سَيُعَلِّمُ الـدُّنيـا وقـوفُـك بـاهِـراً
أنَّ الكـرامَـةَ جَيشُهـا لا يُهـزَمُ
يَتَهـدَّمُ الجَبَـلُ المَنيـعَ ويَنتهي
لكنْ جِبـالُ الـرُّوحِ لا تَتَهـدَّمُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١ / ٩ / ١٩٩٠

بك أنت نبدأ

بكَ أنتَ نَبدأُ
تاريخُ هذي الأرض مُنْذُ تنَفَّسَتْ
بكَ قد تَنَبَّأْ

يا سيِّدي
كلُّ العراقِ بما نُذِرَتْ لَهُ مُعَبَّأْ
يا مَنْ تَخِذْتَ من التُّقى والحقِّ والأخلاقِ مَبْدأْ
بكَ أنتَ نَبدأُ ..

يا رايةَ النَّهرَينِ

يا ماءَ الفُراتِ وَماءَ دَجَلهْ
يا نخلةً ما طاوَلَتْها في رحابِ الكونِ نَخْلَهْ
يا فادياً بالرُّوحِ أهْلَهْ
عَيناهُ قنديلانِ ..
تَنْطَفِىءُ النُّجومُ جَميعُها
حتىٰ الكواكبُ والأهِلَّهْ
وَعيونُهُ تبقىٰ تُضِيءُ ..
تُضِيءُ دَرْبَ اللَّيلِ كُلَّهْ
يا سَيِّدي
يا مَنْ تَخِذْتَ من التُّقىٰ والحقِّ مَبْدأْ
بكَ أنتَ نَبدأْ

يا واهبَ النَّهرَينِ تَيَّارَيهِما
يا واهبَ الفَلَكيْنِ مِعيارَيهِما
إنَّا نَظَرْنا حَيثُ تنظرُ ...
لم نَخُنْ صَدَّامُ أعيُنَنا
رَأَيْنا ما رَأيتْ
سأدورُ كلَّ بيوتِ أهلي الآن
بيتاً بعد بَيتْ

وَأَئِقُّ ..

سَوفَ أَئِقُّ في الابوابِ ..

أوقِظُ كلَّ مَيْتْ

وأقولُ :

يا أهلي ..

ويا جيرانَ أهلي ..

قد أتَيتْ

إنِّي أنا المَحزونُ فيكم

إنِّي المؤَجَّلُ مِن بَنِيكم

سأظلُّ أسألُكُم :

أأُذبَحُ مِثلَما ذَبَحوا سِوايْ ؟ .

أأموتُ مُسبَلَةً يدايْ ؟؟

أمْ أنْتَخي لله ...

أنسِجُ في خُطىٰ صدّامَ خَطْوي ؟

صَدّامُ يَسْعىٰ الآنَ نَحوي

أأقولُ يا صَدّامُ لا تَقْرَبْ ،

وَدَعْني كَي أموتْ

كَذُبابةٍ في عَنْكَبوتْ ؟

أَمْ أَسْتَضِيءُ بِهِ فَأَرْبَأُ
وَتَضُمُّني سَبَحاتُهُ ،
وَلَدَيْهِ بِٱسْمِ الله أَقْرَأُ
فَإذا حَيِيْتُ فَشامِخاً ،
وإذا انْتَهَيْتُ فَمِنْهُ أَبْدَأُ
إِذْ ذاكَ يَنْطَفِيءُ الزَّمانُ
وَضَوءُ روحي ليسَ يُطْفَأُ

بكَ أنتَ نَبْدَأُ
وَاللّه ما جَفَّتْ مَنَابِعُ زَهْوِنا صَدَّام
لا يَنسىٰ العراقيُّون
مَجْدَ الزَّهوِ كيفَ يكون
لا يَنسَوْن
أَنَّ بيوتَهُم أعْلىٰ
وأَنَّ زروعَهُم أغْلىٰ
وأَنَّ الرُّوحَ ..
يَبْلىٰ الكَونُ ،
وهيَ الرُّوحُ لا تَبْلىٰ

وَيَصْدأُ كلُّ ما في الكونِ
إلّا الرُّوح .. ضوءُ ليس يَصْدَأ

وَأَعَزُّ ما في الرُّوحِ
ضَوْءُ الكِبرياءِ إذا تَلألأْ
يا مَنْ لأرواحِ العراقيِّين في عَينَيكَ مَرْفَأْ
إنْ نَحنُ لَم نَلْجَأْ لِهذي الكبرياءِ
فأَيْنَ نَلْجَأْ ؟
يا سَيِّدي إنْ نحنُ لَم نَلْجَأْ لِحُبِّكَ .. أيْنَ نَلْجَأْ ؟

بكَ أنتَ نَبْدَأْ
إنِّي لأسأَلُ شَمسَكَ الغُفْرانَ لَو صَوتي تَلَكَّأْ
يا أَيُّها الصَّوتُ الَّذي بِسَنا الرِّسالَةِ قَد تَوَضَّأْ
ما خاطَبَ الإنسانَ قَبْلَكْ
وَعْيٌ كهذا الوَعيِ إلّا صَوْتُ جَدِّكَ ..
إنَّ أهْلَكْ
يا سَيِّدي ، هُم والصَّحابَةُ ،
أهلُ هذا الإرثِ مِثْلَكْ

يا هائِلَ الأَحداثِ وَالميراثِ ..
يا مَنْ ليسَ يَفْتَأُ
في كلّ ما يَأتيهِ يُشْعِرُنا بأنَّ الخَيرَ مَبْدَأُ
والحبُ والأخلاقَ مَبْدَأُ
بكَ أنتِ نَبْدَأُ

عُذْراً لِهَيْبَتِكَ الّتي تَتَلَجْلَجُ الكَلِماتُ فيها
عُذراً لِطَلْعَتِكَ الّتي
لَو مَسَّها حَتىٰ النَّسيمُ
لَطارَ في الآفاقِ تِيها
إنّي أحاولُ وَصْفَها ، فأرىٰ الحروفَ وَما يَليها
حتىٰ الرُّموزَ .. أحسُّها تغدو ظِلالًا لا أفيها
مِن حَقُّها شَيْئاً ،
كَأَنْ رَمزٌ علىٰ رَمْزٍ تَوَكَّأُ
يا سَيِّدي .. مَنْ شاءَ وَصْفَكَ ..
ما استَعَدَّ ..
وَما تَهَيَّأُ
مِنْ أينَ يَبْدَأُ ؟

يا مُلْتَقىٰ بَيْتي إذا اجتَمَعَتْ وُجوهُ بَنِيَّ حَوْلي
وإذا أقولُ وَيَسْمَعون ..
وليسَ غيرَ هَوَاكَ قَولي
يا كلَّ أفراحِ العراقيِّين حين يُعيِّدونْ
يا غَيْظَهم إذ يَغْضَبونْ
يا مَنْ يُسَمَّىٰ كلُّ مَجدٍ في العراقِ الآنَ بِاسمِكْ
وَتَدورُ كلُّ نجومِهِ
صَدَّامُ
وَلْهىٰ حولَ نَجْمِكْ
بكَ أنتَ نَبْدَأُ
وإليكَ نَقْطُرُ مِن شِغافِ قلوبِنا ماءً،
وَنَظْماً
فَنَقولُ : يا صَدَّامُ أنتَ آشْرَبْ،
وَنحنُ هُنا سَنَهْنَأُ
فَتَقولُ : لا .. بَلْ تَشرَبون ..
فبالعراقيِّين أَبْدَأُ
بكَ أنتَ نَبْدَأُ ..

نشرت في جريدة الجمهورية في ١١ ايلول ١٩٩٠

رجز للايام القادمة

مَنْ يُبصِـــرُ الغَيب ، وَيَستَقري الخَفـــا ؟
إنّـــا لَـــراعوهُ ، وحـــادينـــا وَفَىٰ
فَلْتَنظُـــرِ النّـــاسُ إذا الـــرَّمـــلُ سَفىٰ
واصَّـــايـــحَ النَّخـــلُ بِـــوادي المُصطَفىٰ
وكـــلُّ نَجمٍ فـــوقَ مســـراهُ انطَفـــا
يـــومَ يُـــلاقي كـــلُّ نـــافٍ مـــا نَفىٰ
يَـــراهُ نُصْبَ العَينِ وجهـــاً وَقَفـــا
علىٰ جميـــعِ الأرضِ إذْ ذاكَ العَفـــا
إنْ نحنُ لَم نـــوقِظْ بِهـــا صُمَّ الصَّفـــا
ولَم نَقُـــلْ لفَيْلَقِ المـــوتِ : كفىٰ !

١٩٩٠ / ١١ / ٥

يا سيد الغضب المقدس

يَوماً فيوماً يَتبَعونَكْ
يوماً فيوماً يَخلعونَ غرورَهم ، ويُصدِّقونَكْ
يوماً فيوماً يؤمنونَ بأنَّ درعَ اللّهِ دونَكْ
وبأنَّ أيديهم تُقَصِّرُ عَن مَداكَ ، فَيَحذَرونَكْ !

يا سَيِّدي ، وَمَعابِرُ التَّاريخ تَسْتَقري عيونَكْ
وَهَواجِسُ الأعداءِ تَلهَثُ وهيَ تَستقصي ظنونَكْ
وتُريدُ منكَ تَكونُها ،
حتَّىٰ إذا عادَتْ لأنفُسِها
تحاولُ أنْ تكونَكْ !

ويُهدِّدونَكْ !
يا أكبرَ الدُّنيا ، رأيتُ صِغارَها يَتَهدَّدونَكْ !
أنتَ الَّذي قبلَ العراقيّين .. حارسُهُ الكبيرْ

اللهِ .. واليَقِظُ الضميرْ
ثمَّ العراقيُّون أجمَعُهم .. وها هُم يَسمَعونَكْ
لو قُلتَ يا أهلي ، لَهَبَّ العُرْبُ طُرّاً يَفتدونكْ
يا سَيِّدي أولادُنا أرواحُهم تَتْهَلُّ دونَكْ
وَصِغارُنا .. وَشيوخُنا .. وَدُعاؤهم إذ يَذكُرونَكْ
واللّهُ .. جَلَّ الله .. يَسمَعُهم وهم يَتهجَّدونَكْ
غابٌ مِن الدَّعَواتِ يُورِقُ في رِحابِ اللهِ ..
يُمسِكُ جنحَ طَيرٍ أن يخونَكْ !

وَيُهدِّدونَكْ !

أيُهَدِّدون الشمسَ وَهيَ الشَّمسُ تَسبَحُ في ضُحاها ؟!
أيَرَونَ أطباقَ السَّماءِ لو انَّها دارَتْ رَحاها
مِن فَوقِهم ؟ .. أفَيُنكِرون علىٰ البَسيطَةِ مَن دَحاها ؟؟
أيُهدِّدونَ إرادةَ الرَّحمٰنِ في أولادِ طهَ ؟
يا سَيِّدي الزَّاهي بشَعْبِهْ
ما خافَ جَدُّكَ غيرَ رَبِّهْ
وَتَجمَّعَ الأحزابُ كُلُّهمو فقاتَلَهم بِرَبِّهْ
وَبِقلَّةٍ وَثِقَتْ بِدَربِهْ

مَن ذا يَرُدُّ مَشيئَةَ الرَّحمٰنِ ، أو يوصي بِحَربِهْ ؟!

يَتَبجَّحون بحجمِ قُوَّتِهِم ، وَربُّكَ أنتَ أقوىٰ

لو كانَ صاحِبُهُم تَروَّىٰ

لرأىٰ ، وإنْ نَفَخوه ، ما زالَ ابنَ آدمَ ، وابنَ حَوَّا

وبأنَّ مَن سَوّاه أودَعَهُ المَنيَّةَ يومَ سَوَّىٰ

وبأنَّهُ جِنحُ الذُّبابَةِ لَو نِداءُ اللّه دوّىٰ

أمّا أساطيلُ الرَّذيلَهْ

أمّا قَطيعُ ذِئابِهم ، وكِلابُ أبرَهَةَ العَميلَهْ

فَغَداً لَهم يومٌ معَ الرَّحمٰنِ لَنْ يَلْقَوا مَثيلَهْ !

يَتَبجَّحون بحجمهم ، وَرَوائحُ التِّنيِّن فيهْ

في شَكلِهِ القَذِرِ الكَريهْ

لا روح .. لا أخلاق .. لا شيءُ بداخِلِهِ نَزيهْ

وَتَظلُّ أمريكا كَتِنِّينٍ بقوَّتِها تَتيهْ

لَو يَعلَمُ التِّنّين ،

مَقْتَلُهُ هوَ الطّاغوتُ فيه !

يا أكبرَ الدُّنيا .. رأيتُ لِهؤلاءِ الأقوياءْ ؟

هٰذي الوجوهُ المُسْتَحِمَّةُ بالبلاهَةِ والغَباء

هٰذي الأساطيلُ الغَفيرَهْ

وَجَميعُ مَن حَمَلُوا عليها مِن رجالٍ دونَ غيرَهْ

أرأيْتَ إذْ هَجَموا على الأطفالِ وامتَهَنوا النِّساءْ ؟
الأقوياءْ !
النَّاقِصُونَ بِلا أُرومَهْ
هوَ زَورَقٌ لا شيءَ فيهِ سِوىٰ الطّفولَةِ والإ...
دارُوا عليهِ بِكُلِّ ما نُفِخُوا بِهِ مِن طائِراتْ
ومدافعٍ .. وَمُدَمِّراتْ
حتَّىٰ الصَّواريخُ استَعَدَّتْ ..
أينَ أولادُ العُمومَهْ
رامبو يُهاجِمُ زَورقَ الأطفالِ فاتَّبِعوا هجومَهْ !

يا سَيِّدَ الغَضَبِ المُقَدَّسْ
هُم يَغضَبونَ فَيَشهَرونَ بأوْجُهِ النَّاسِ المُسَدَّسْ
وَغَضِبْتَ أنتَ فَكُنْتَ كالصُّبحِ العظيمِ إذا تَنَفَّسْ !
العدلُ أجمعُهُ تَنَفَّسْ
والحَقُّ أجمعُهُ تَنَفَّسْ
وأضاءَ وَجهُكَ حينَ وَجْهُ الظُّلمِ مِن هَلَعٍ تَيَبَّسْ !

يا سَيِّدَ الغَضَبِ المُقَدَّسْ
لَن يُرهِبَ الطاغوتُ شَعْبَكَ ما ادلَهَمَّ وما تَكَدَّسْ
الخائِنون ، سَيَخسأون
مِن أينَ يَرقى مَن يخون .. وكيفَ يَرقى مَن يَخونْ ؟!

عَلَمُ العِراقِ الحُرِّ، كيفَ يَنالُهُ عَلَمٌ مُنَكَّسْ ؟
واللّهِ يا صَدّام .. ما ارتابَ العِراقُ ، ولا تَوَجّسْ
ما دامَ بِاْسمِكَ قَد تَمَتْرَسْ
وَغَداً سَيَنبَلِجُ النَهار .. وَسَوفَ نُبْصِرُ مَن تَغَطرَسْ
مَن كالذُّرا كِبْراً تَهَدْرَسْ

لأكادُ أُبصِرُهُ وقد نَزَلَ الذُهولُ بِه ، وأَعْرَسْ
عُريانَ .. مُنخَلِعاً .. مُضَرَّسْ
لا يَستَطيعُ سِوى الإِشارَةِ .. لا أبانَ ، ولا تَفَرَّسْ
الحقُّ يُنطِقُنا ، وَيَبقىٰ مَنطِقُ العُدوانِ أَخرَسْ
الحقُّ يُنطِقُنا .. وَيَبقىٰ مَنطِقُ العُدوانِ أَخرَسْ ..

نشرت في جريدة الجمهورية في ٣١ كانون الاول ١٩٩٠

اليوم يوم يا عرب

اليــومَ يــومٌ يــا عــرَبْ ... يــومٌ لِميــراث الغَضَبْ
يــومٌ لكـــلِّ السِّلمِ أو ... يــومٌ لكلٍّ لِكُـلِّ المُحتَـرَبْ
اليـــوم يـــومَ لا فتىً ... إلّا أصِحَـــاءُ النَّسَـــبْ
إلّا الـــذيـــن أنبَتـــوا ... سيقـــانَهم إلىٰ الـــرِّكَبْ
وَيَحـــمِلـــونَ غيظَهُـــم ... حمـــلَ النَّخيـــلِ لِلكَـــرَبْ !
مُـــدَجَّجـــينَ بـــاللُّظـــىٰ ... مُزَجَّجـــينَ بالعطَـــبْ
لا قـــولَ إلّا « اللّه أكبَـــرُ » وَحْـــدَهـــا أُمُّ الخُطَبْ
اليـــوم يـــومٌ يـــا عَـــربْ

* * *

تَبَّتْ يَـــــدا أبي لَهَبْ ... تَبَّتْ يَـــدا فهـــدٍ وَتَبْ
لا مـــالُـــهُ أغنىٰ ولا ... يَـــدفَـــعُ عَنـــهُ ما كَسَبْ
غـــداً سَيَصلىٰ هُـــولَـــةً ... مشبـــوبـــةً ذاتَ لَهَبْ
وَسَـــوفَ يَغـــدو وَحْـــدَهُ الحـــاطِبَ فيهـــا والحَطَبْ !

* * *

تَبَّتْ يَـــــدا أبي لَهَبْ

تَبَّتْ يَـــداهُ مـــا نَـــوىٰ ومـــا غَـــوىٰ ، ومـــا كَـــذَبْ
ومـــا أثـــارَ مِن حَـــريقِ فِتْنَـــةٍ ، ومـــا شَغَبْ
تَبَّتْ يَـــداهُ إنَّـــهُ لِكُـــلِّ رِيبَـــةٍ سَبَبْ
لَئِنْ يَـــكُ اليـــومَ لَـــهُ حَـــولٌ وَطَـــولٌ وَلَقَبْ
فَفي غَـــدٍ ينقَلِبُ الـــ ميـــزانُ أيَّ مُنقَلَبْ !

* * *

اليـــومَ يـــومٌ يـــا عَـــرَبْ
يـــومٌ ولا كـــلُّ الحِقَبْ

تـــواجِهـــونَ ظُلمَ كـــلِّ الأرضِ مِن حيـــثُ وَثَبْ
وقـــد أتـــاكُم هـــائِـــجَ الأحقـــادِ .. مَسعـــورَ الأُهَبْ
يـــا لَفلسطينَ ويـــا لِكُـــلِّ شِبْـــرٍ مُغتَصَبْ
وا هَضْـــبَـــةَ الجـــولان وا غَـــزَّةَ .. وا أرضَ النَّقَبْ
وا شَـــرَفـــاً خَمسينَ عـــامـــاً ظَـــلَّ مِنّـــا يُستَلَبْ !

* * *

اليـــومَ يـــومٌ يـــا عَـــرَبْ
عِـــزُّ المُنىٰ .. عِـــزُّ الطَلَبْ
واللّـــهِ لَـــو تنتظـــرون العُمْـــرَ تَشـــكـــونَ الـــوَصَـــبْ

وأمـــرُكم كمـــا مضىٰ   في يَـــدِ مَن هَبَّ وَدَبْ
لمـــا وَصَلتُم يـــا بَني   أمُّـــيَ إلّا للهَـــرَبْ !
ولا التَقَيتُـــم أبَـــدا   إلّا عـــلىٰ شَـــتْم وَسَـــبْ !
ولا تَناهـــىٰ سَـــعيُكُم   إلّا إلىٰ شَـــرِّ النُّـــوَبْ
واليـــومَ هـــا أنتم علىٰ   أبـــواب فَجـــرٍ مُـــرتَقَبْ
كـــلُّ شُمـــوسِ الكـــونِ قـــد   يُطلِعُهـــا هٰـــذا الغَضَبْ !

واليـــومَ يـــومٌ للغَضَبْ
اليـــوم يومٌ يـــا عَـــرَبْ !

* * *

صَـــدّامُ إنَّ المَجـــدَ يُـــوحىٰ   والمَعـــــالي تُنتَخَبْ
والحَقُّ .. عُمْـــرَ الحَقِّ لا   يُعطـــىٰ ولٰكـــنْ يُجتَـــلَبْ
يـــاتي بِـــهِ مَن سَيفُـــهُ الطُّـــوفـــانُ ، لا السَّيفُ القَصَبْ
شَتّـــانَ بَينَ الـــرأسِ في   سُـــوحِ المَعـــالي والـــذَّنَبْ
بَينَ الَّـــذي يُمسِـــكُ جِـــذْعَ الأرضِ أيّـــانَ اضطَـــرَبْ
وَبَينَ مَن مِن خَـــوفِـــهِ   يَـــرجِفُ روحـــاً وَعَصَبْ !
ذا أرعَبَ المَـــوتَ وذا   مِن هـــاجِسِ المَـــوتِ ارتَعَبْ !
وَأنتَ واللّـــهِ الَّـــذي   بِمَفـــرِقِ الشَمْسِ اعتَصَبْ
ولِلمُـــروءاتِ انتَخىٰ   وبـــالمـــروءاتِ احتَـــرَبْ
وأنتَ واللّه الأمينُ الصّـــايِقُ الـــزاكي الحَسَبْ
فَلْيَـــوعِـــدوكَ .. وَلْيَهُبَّ غَيظُهُم كـــلُّ مَهَبْ

واللّـــــهِ لا يَملـــــكُ إلّا اللّـــــهُ عِلْمَ مـــا حَجَبْ
والصّـــادقُ الـــوعـــدِ وَمَنْ للّـــــهِ عنـــــدَهُ سَبَبْ
وأنتَ مِنهُمْ والّــــــــذي أعطـــاكَ إيمـــانـــاً عَجَبْ
لَيُهلِكَــــــنَّ جَمْعَهُــــم حتّىٰ يَصيحــوا : وا حَـــرَبْ
وَلَيَتْـــرُكَــــــنَّ الارضَ لا نَبـــعٌ بِهـــا ولا غَـــرَبْ
وَلْتَــرَ أمـــريـــكـــا إذا مُشـــتَجَرُ المَـــوتِ اقتَـــرَبْ
بـــانَّ للبَيتِ الّـــذي احتَلُّـــوه رَبّـــاً أيَّ رَبْ
بـــانَّ للبَيتِ الّـــذي احتَلُّـــوه رَبّـــاً أيَّ رَبْ

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ١٥ كانون الثاني ١٩٩١

أهـلي العراقييـن

حجمَ المروءةِ يا عراقْ
حجمَ المروءةِ يَا مُفَدَّى
حجمَ الأبوَّةِ والكرامةِ سَوفَ تَنزِفُ أنتَ فَردا
وَسَتُبصِرُ الدُنيا جِراحَكْ
وَجَميعُها بِكَ تَستَظِلُّ مِن الأذى ،
فافرِشْ جَناحَكْ !

حجمَ المروءَةِ والكرامه
سَيَسيلُ جُرحُكَ يا عِراق كأنَهُ رَهَجُ القِيامه
ويكون عمرَ الأرضِ للأطهارِ في الدُنيا علامه !
أهلي العراقيّين .. يا خَيرَ البَريَّةِ .. يا ذُراها
يا مَن بِكم وُثِقَتْ عُراها
شدُّوا نياطَ الصَّبرِ يا أهلي ، فَمَذخورٌ مَداها

والله لَن يَطَأ الثَرىٰ أمثالُكم شَرَفاً وَجاها
أنتُم لَها .. مَن مِثلَكُم بالمَجدِ يا أهلي تَباهىٰ
أنتُم لَها .. لا تُحزِنوا الرَّحمٰن يا أولادَ طه
هيَ ضَنكَةُ الابطال يا أهلي .. ومُعظَمُها تَناهىٰ
هيَ آخرُ الاوجاع .. لا جُرحٌ .. ولا وَجَعٌ سِواها

أهلي العراقيين .. يا أعلىٰ مِن الشُرَفِ العَوالي
يا مَن رِضاهم جدُّ غالي
كلُّ الذئاب عليكُمُ اجتَمَعَتْ وأعيُنُها تُلالي
وَلَسَوفَ تَشتَعِلُ الليالي
وَلَسَوفَ تاتَلِقونَ يا أهلي نجوماً في دُجاها
وَسَتُثْبِتونَ لِكُلِّ عاليةٍ بأنَّكُمو عُلاها !

واللّهِ يا أهلي .. وَحينَ أقولُ أهلي أرتَجيكم
أنخاكُمو .. وأكادُ مِن وَجَعِ الرجولَةِ أدْريكُم
وأصُدُّ .. ثُمَّ أموتُ فيكُم !

واللّه يا أهلي ، لَانتُم أشرَفُ الاهلينَ صَبرا
وأقَلُّهُم في المَوتِ ذُعرا
وَرَأيتُكُم .. وَرَواجِمُ الكُفّارِ فَوقَ الدُورِ تَترىٰ

لَم تَحمِلوا إلّا كرامَتَكُم مَعَ الأطفالِ ذُخرا !
لَم تُشمِتوا الكُفّارَ فيكُم
لَم تَكشِفوا لَهُمو ظهورَ بَنيكُمو .. أفدي بَنيكُم !
المائجينَ الآنَ طوفاناً يَروعُ مُرَوّعيكُم
النّاصبينَ صُدورَهُم درعاً يَردُّ عَن العِراقْ
يا ألفَ ألفِ هَوىً يُراقْ
يا ألفَ ألفِ مُدَجَّجٍ غَضَباً ، وَنَخوَتُهُ نِطاقْ !

يا أهلَ هٰذي الشّمس .. إنَّ اللّيلَ يُثقِلُ دَفَّتَيها
هيَ هُولَةٌ رَكَضوا إليها
بدأوا بِكُلِّ وَسائِلِ الإجرام أولىٰ حالَتَيها
ناسينَ أنَّ يَدَ الحديدِ الرُّوحُ قادِرَةٌ عَلَيها
وبأنَّ للإنسان أوّلَها وآخرَ ما لَدَيها ..
ناسينَ أنَّ يَدَ الحضاره
لَم تَستَقِمْ إلّا لأنَّ الروح صاحِبَةُ البِشاره
الروح لا المُتَفَجِّراتْ
لا حامِلات الطائراتْ
لا وَجهَ بوش المُجرمِ المَعتوه .. لٰكنْ وَجهُ بابلْ
وَجهُ المَزارِعِ والسّنابلْ
وَجهُ الشَّرائعِ والرَّوائعِ ، لا الفَواجعِ والقَنابلْ

وَجهُ الَّذينَ بَنَوا حياةَ الناس .. لا مَن هَدَّموها
مَن بالمروءَةِ قَوَّموها
هُم قوَّةُ الإنسان ، لا هٰذي الرَّجوم الهاويَهْ
هٰذي الذِئاب العاويه
هٰذي الَّتي مِن كُلِّ معنىً للمروءَةِ خاويه ..

هي هَولَةٌ بدأوا ، وغيرُ اللّه لا يدري مَداها
بدأوا .. فكيف بِمُنتَهاها ؟
ظَنُّوكَ يا شرَفَ العِراقيّين تَمتَهِنُ الجِباها
فَتَغضُّ طَرْفَكَ ، ثُمَّ تَحنيهنَّ .. واهاً .. ثمَّ واها !
واللّهِ يا شَرَفَ العِراقيّين .. لَو وَقَدوا سِواها
ألفاً .. وقُطِّعَتْ المَراقي
لَو لَجلَجَ الدَّمُ في المآقي
وَبَدا بَنو أُمّي كأنْ كلٌّ مَنيَّتُهُ يراها !
ما نَكَّسوا راياتِهِم لابنِ اليَهود .. ولا طَواها !

بدأوا .. فكيفَ سَيَختِمونَكْ
يا أيُّها الجُرمُ الَّذي ذَبحوا حدودَ اللّه دونَكْ
نحنُ الَّذينَ سَنَرتَقيها

صَهَواتُ هٰذا المَوت ، نَحنُ العارِفون بِما يَليها
الباذِلون العُمرَ فيها
يا ٱلعالَمُ المَجنون .. قُطرٌ واحدٌ أخزىٰ جبينَكْ !
وأراكَ أنَّ الكُفرَ أصبحَ دونَ دينِ اللّه دينَكْ
مَن ذا يُعِزُّكَ لو قضاءُ اللّه أزمَعَ أنْ يُهينَك ؟!

وَبِنا ، وَرَبِّ البَيتِ ، تُخزىٰ
بالصّابرينَ علىٰ جريمَتِكَ اللعينةِ سَوفَ تُخزىٰ
يا للعراقيّين .. يا وَطَنَ الجِهادِ المُستَفَزّا
اللّهُ يَنصُرُكُم ، وَيَملأكم علىٰ الكُفّارِ عِزّا
وَعَلَيكَ يا رَمزَ الجِهاد ..
عَظُمْتَ للإنسانِ رَمزا
كلُّ السَّلام ..
فانتَ يا صَدّام بَيْرَقُها المُفَدّىٰ
يا أكرَمَ المَخلوقِ جَدّا
يا خيرَ مَن آخىٰ ، وقادَ ، وَمَن لِمُرزِمَةٍ تَصَدّىٰ
بِكَ يرفعُ الراياتِ جَمعُ المؤمنينَ إذا تحدّىٰ
بِكَ أنت يا صَدّام لا بِسِواكَ ، موكِبُنا سَيُحدىٰ

يا سَيِّدَ النَّهرين اُبشِرْ ، والتَفِتْ .. بَشِّرْ جنودَكْ
بَشِّرْ مَن اتَّسَدوا حدودَكْ
أنَّ العَلامةَ : أنَّ وَعدَ اللّهِ يستَقصي وعودَكْ
وَكَما أرادَ اللّهُ قلتَ .. وَقَبلُ ألهَمَها جدودَكْ
أنَّ العلامةَ أن تقودَ لَهيبَها ، لا أن يقودَكْ
وَلَقَد فَعَلْتَ كَما أمَرْ
واللّهِ نفسُ الفعلِ يَفعَلُهُ عليٌّ أو عُمَرْ
وبمثلِهِ أبُنا صلاحُ الدين قاتَلَ وانتَصَرْ ..!

يا سَيِّدَ النَّهرين .. حَظّي
أني مُنِيتُ بشاهدَين : فَنَبضُ قافيتي ، ونَبضي
بعضي يُغالِبُ فيكَ بعضي
وأنا .. وهٰذا الشعر .. سَوفَ نَقولُ قَولَتَنا ونَمضي
وَلَنا غَداً في كُلِّ أرضٍ
مَن يَشهَدون بأنَّني في الرَّوعِ ما دَنَّسْتُ عِرضي ..!

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ٢٧ كانون الثاني ١٩٩١

رسالة الى الرئيس بوش(*)

بالطِّينِ والحِجاره
نَحنُ بَدَأنا سُلَّمَ الحَضاره
حتَّىٰ استَقامَ فَوقَهُ الإنسانْ

دَورُكَ جاءَ الآنْ
لكي تُعيدَ صَرْحَها
للطِّينِ والحِجاره ..!

* * *

(*) افتُتِحَ بها كونسرت العود الذي قدَّمه الفنان الكبير الاستاذ منير بشير على مسرح الرشيد ليلة العدوان .

رجز في أم المعارك

مَجدٌ لـهذي السَّاعِ والدقائقْ
مَجدٌ لِما توقظُ من حَقائِقْ
سَتنقلُ الأخبارُ والوثائقْ
عَن بَلَدٍ كانَ الوحيدَ الصَّابِقْ
دار عليهِ عالمٌ مُنافِقْ
يَقودُهُم كلُّ زنيمٍ فاسِقْ
فضجَّ فيهم كالشُّهابِ البارِقْ
مُشتَجِرَ الهاماتِ والبَيارِقْ
يزخرُ بالدِّماءِ والصَّواعِقْ
حتىٰ تَشَظَّىٰ الكَونُ بالحرائِقْ

* * *

جريدة الجمهورية في ٣١ كانون الثاني ١٩٩١

سَـوفَ تَظلُّـــونَ مُحَلِّقينـــا
مثـلَ الخفـافيشِ علـىٰ وادينـا
تُلَسْـعونَ مـن بـعيـدٍ فينـا
يـا جُبَنـاءَ الـعَصـرِ أجمَـعينـا
وَسَـوفَ نبقـىٰ نَحـنُ صـامـدينـا
ننتَظِــرُ السَّــاعـةَ أن تَحينـا

* * *

جريدة الجمهورية في ١ شباط ١٩٩١

الحمـدُ للّـهِ علـىٰ هـذا الشَّـرَفْ
أنَّ الـعـراقَ وحـدَهُ الآنَ طَـرَفْ
وأنَّ كـلَّ الكُفـرِ فـي الأرضِ طَـرَفْ
الحمـدُ للّه علـىٰ هـذا الشَّـرَفْ !

* * *

جريدة الجمهورية في ٧ شباط ١٩٩١

هـا أنـتَ ذا يـا شَـرَفَ النَّـهـرَيـنِ
واللّـهُ ، جَـلَّ اللّـهُ ، نُصْـبَ الـعَيـنِ

رايَتُــهُ والسَّيــفُ فـــي اليَــدَيْــنِ
وضــوءُ مَســراكَ دمُ الحُسَيــنِ
مبـــارَكٌ يـــا شَـــرَفَ النَّــهــرَيــنِ

* * *

جريدة الجمهورية في ٨ شباط ١٩٩١

ويلٌ لكم سُلالــةَ الـذئــابِ من كــلِّ ظفـرٍ قَــذِرٍ ونـابِ
واللّـــهِ ربِّ البيـتِ والكِتــاب وربِّ كــلِّ هــاتــف مُجــاب
لتُصبِحُنَّ في نـهــارٍ كــابي عُمْيَ العيـونِ ، فُزَّع الـرِّقــابِ
كمــا يطيــرُ الطَّيــرُ في الضَّبــابِ
وحينَ تاتي ساعـةُ الحِسابِ تُمـرِّغـونَ الأنفَ في التُّـرابِ
يـومَ تخوضـونَ إلىٰ الـرِّكـابِ في دَمِكُم سُــلالَـةَ الــذِّئـابِ
واللّــهِ ربِّ البيــتِ والكِتــابِ

* * *

جريدة الجمهورية في ١٠ شباط ١٩٩١

صــلاة

هذي بلادٌ ماؤها يُسفَحْ
وزرعُها يُذبَحْ
وطفلُها يَصيحْ
تَسمعُها يا سَيّدي المَسيحْ؟

* * *

جريدة الجمهورية في ١٣ شباط ١٩٩١

ولأهلي الذين بعمان دمعي

مَن يَرىٰ الآنَ أبعَدَ مِن أنفِهِ ؟
مَن يُدافِعُ عَن كَفِّهِ
فيقولُ تَحسَّسْتُ حتّىٰ نُخاعِ الأصابعْ
وهوَ مَقطوعَةٌ كَفُّهُ وأصابعُهُ ؟

سوفَ أُعلِنُ أنّي مُصَدِّقُهُ
فإذا كانَ مِن دونِ صوتٍ ،
فإنِّيَ سامعُهُ
إنَّما يَصرخُ الحُرُّ مِن حَبْلِ صَوتِ الضَّميرْ !

مُنذِراً أو بَشيرْ
سَأقولُ بأنَّ القيامةَ لمَّا تَقُمْ ،
رغمَ هٰذا الحريقْ

إنّها في الطّريقْ
فَلْيُهَيِّءْ هُواةُ الحـريقِ أنفُسَهُم ..
جذعَهُم والنّطاقْ
مثلَما هَيَّأوا لاشتعالِ العراقْ !
سَأقولُ بأنّا دَفَعنا بأبنائِنا
وَبأحشائِنا
وَبما لا يُرىٰ مِن خرابِ النّفوسْ
وَسَيدفَعُ مَن أوقدوها بضوءِ المحاجرِ
حَدَّ اشتعالِ الرُّؤوسْ
يا لَحربِ البَسوسْ !
سَأقولُ بأنَّ الّذينَ يَجوبون مِلْءَ شوارعِ عَمّان
يَستَنجدونَ بأبوابِ كلِّ السّفارات
لن يَغفِروا
كلَّما عَبَرتْ في الشّوارعِ سَيّارةٌ
وَعلَيها أسمُ بَغدادَ
طارَتْ مَحاجِرُهُم خَلْفَها
وهيَ عالقَةٌ بحروفِ العراقْ !
سَأقولُ بأنهمو إذْ يَطوفون كلَّ الأزِقَّةِ بَحثاً

زُقاقاً زُقاقْ
لَن تُفارقَهُم شُرُفاتُ الرَّشيدِ
ولا شكلُ بابِ المُعَظَّمِ
لَن يَجدوا مثلَ ذاكَ الهواء هواءً
ولا مثلَ مائِكِ دَجلةُ ماءً
لَهُ نَفْسُ هٰذا المَذَاقْ
طائلًا ما يَطولُ الفراقْ ..
وَسَينظُرُ ناظِرُهُم في الوجوهْ
وَسَيَسالُ
هَل كلُّ مَن يَتكلَّمُ بالعربيَّةِ
فِعلًا أخوهْ ؟!
أفَيُبصِرُ مَن يُبصِرُ الآنَ أبْعَدَ مِن أنفِهِ ؟؟

كلُّ كفٍّ عليها عَلامَهْ
كلُّ نَصلٍ تَخَضَّبَ مِن دَمِنا
سَوفَ يَبقىٰ يَنزُّ دماً للقيامَهْ !
والَّذينَ بَكىٰ مِقْبَضُ النَّصلِ بينَ أصابِعهِم ،
وهيَ تَغرِزُهُ في أضالِعِ أطفالِنا
سَوفَ تَغدو أصابعُهُم مثلَ أختامِ بابِ جَهَنَّمْ

كلَّما أمسَكَتْ وَردَةً
أحرَقَتْها .. ليوم القيامَهْ

إنَّ أبوابَنا الآنَ مَهجورَةٌ
والضَّمائرَ مَسجورَةٌ
والسُّؤال الَّذي لا يُفارِقُنا
مَن أفادَ مِن النَّارِ منكُمْ ؟؟

إنَّهُ نَفْسُ ذاكَ الدَّمِ الـ أنفقَ العُمرَ
مُسْتَنفِراً بينَ ساحاتِكم
في فلسطينَ .. في مصرَ
في عَتَباتِ دِمَشقَ
وَفي كلُّ أرضٍ صَرَختُم عَلَيها
وَها أنتُمُ الآنَ تُلْغونَهُ
وَتُهينونَهُ
وَتَخوضُونَ فيهْ
دونَ أنْ يَذكُرَ الأخُ مِنكُمْ
وَلَو ذِمَّةً لأخيهْ !

هَلْ لِناظرِكُم أنْ يَرىٰ الآنَ أبْعَدَ مِن أنفِهِ ؟!

أنْ يَرىٰ أنَّ كلَّ بلادِكُم الآنَ
تَنتَظِرُ الدَّورَ
كي تَنتَهي لِمصيرِ العِراقْ ؟
أنَّ هٰذا الخَناقْ
إذْ يُضَيِّقُ حتَّىٰ علىٰ عُنُقِ الطِّفلِ في أرضِنا ..
أنَّ هٰذا الدُّوارَ ،
وهٰذا الضَّياعْ
أنَّ هٰذي الوُجوهَ الَّتي تَتَساقَطُ بينَ المَرافيء
باحثةً عَن شِراعْ
هيَ أوجُهُكُم كلُّكم في غَدٍ
عندَما يُسْقِطون بَقَايا القِناعْ !

لا تَقُولوا ٱلوَداعْ
كلُّنا في غَدٍ راحِلُونْ
كلُّ هٰذي العيونْ
سَوفَ تَنشَفُ أدمُعُها مِن مَحاجرِها
قَبلَ أنْ يَشْمَتَ الشَّامِتونْ ..

وَلاهلي الَّذينَ بِعمَّانَ دَمعي

وَكَسرَةُ ضِلْعي
لأوجاعِ هٰذي القلوبْ
لِحَيرَتِها في الدُّروبْ
لتَوطينِها
أنْ تُقطَعَ كلُّ شَرايينِها
ثمَّ تَمضي إلىٰ أيِّ مَجهولَةٍ
لا تَؤوبْ ..
أيُّها الحائِرونَ بأولادِكُم
أينَ تَمضُونَ عنهم

وأينَ بهم تَذهَبونْ
أيُّها الموجَعونْ
يا شَريدي مَنَازِلكُم
يا مُقَطَّعَةً كلُّ أرسانِهِم
وَمُهَدَّلَةً كلُّ أغصانِهِم
يا غريبونَ حَدَّ الهَوانْ
يا مُقيمونَ في لا مكانْ
لَكُم زاخِراتُ دموعي
وَدَامي ضلوعي

وَأُوقِدُ في كلِّ ليلٍ شموعي
لأبكي بلَيلِ العراقْ
علىٰ وطنٍ كلُّ شَملٍ بِهِ
مُوغلٌ في الفراقْ ..

* * *

القيت في افتتاح مهرجان جَرَش بعمّان في تموز ١٩٩١

ياصبر أيوب

«ديوان أم المعارك»

١٩٩٣

يا صبر أيوب

من ماثور حكاياتنا الشعبية أن مخزراً نُسيَ تحت الحمولة على ظهر الجمل ..

قالوا : وظلَّ .. ولم تَشعُز بهِ الإبلُ
يَمشي ، وَحاديهِ يحدو .. وهوَ يَحتَملُ
ومِخرَزُ الموتِ في جَنْبَيْهِ يَنشتِلُ
حتىٰ أناخَ بِبابِ الدارِ إذ وَصَلوا
وعندما أبصَروا فيضَ الدُّما جَفَلوا
صَبْرَ العراقِ صبورٌ أنتَ يا جمَلُ !

وصبرَ كلِّ العراقيِّين يا جمَلُ
صبرَ العراق ، وفي جَنبَيْهِ مِخرَزُهُ
يغوصُ حتىٰ شغافُ القلبِ يَنسملُ
ما هدَّموا .. ما استَفَزُّوا من مَحارِمِهِ
ما أجرَموا .. ما أبادوا فيه .. ما قَتَلوا

وطـــوقُهُم حـــولَـــهُ .. يمشي مكـــابَـــرَةً
وَمِخـــرزُ الطَّـــوقِ في أحشـــائـــهِ يَفِـــلُ
وصـــوتُ حـــاديـــهِ يَحـــدوهُ علىٰ مَضَضٍ
وجـــرحُـــهُ هـــوَ أيضـــاً نـــازِفٌ خَضِـــلُ
يـا صبـرَ أيّـوب .. حتىٰ صبرُهُ يَصِـــلُ
إلىٰ حـــدودٍ، وهـذا الصَّبـرُ لا يَصِـــلُ

* * *

يـــا صبـــرَ أيّـــوب، لا ثـــوبٌ فنخلَعُـــهُ
إن ضـــاقَ عَنّـــا .. ولا دارٌ فَننتَقِـــلُ
لكنّـــــهُ وَطَنٌ، أدنىٰ مكـــــارِمِـــــهِ
يـــا صبرَ أيّـــوب، أنّـــا فيـــهِ نكتَمِـــلُ
وأنّـــــهُ غُـــرّةُ الأَوطـــانِ أجمعِهـــا
فـــأينَ عَن غُـــرّةِ الأوطـــان نـــرتَحِـــلُ؟!
أم أنّهم أجمعـــــوا ألّا يُظَلِّلَنـــــا
في أرضِنـــا نَحنُ لا سَفـحٌ، ولا جَبَـــلُ
إلا بيـــارقَ امـــريكـــا وَجَحفَلَهـــا
وَهَـــل لِحُـــرٍّ علىٰ أمثـــالِهـــا قِبَـــلُ؟
واضَيْعَـــةَ الأَرضِ، إنْ ظلَّتْ شَـــوامِخُهـــا
تَهـــوي، وَيَعلـــو عَلَيهـــا الـــدُّونُ والسَّفِـــلُ

* * *

كـــانـوا ثـلاثينَ جَيشـاً ، حَـولهم مَـدَدٌ
مِن مُعظَمِ الأرضِ ، حتى الجـارُ والأهَـلُ
جَميعُهُم حـــولَ أرضٍ حجمَ أصغَـــرِهِم
إلّا مـــروءتَهـا .. تَـنـدىٰ لَهــا المُقَــلُ
وَكـانَ ما كـان يـا أيّـوب .. مـا فعَلَتْ
مَسعـــورَةٌ في ديـارِ النـاسِ مـا فَعَلُـوا
مـا خـرَّبَتْ يـــدُ أقسىٰ المُجـرمينَ يـداً
مـــا خـرَّبَتْ واستبـاحَتْ هٰـذهِ الـدُّوَلُ
هٰـــذي الَّتي المُثُـلُ العُليـا علىٰ فَمِهـا
وعِنْـــدَ كـــلِّ امتِحـــانٍ تُبصَقُ المُثُـلُ !

يـــا صبـرَ أيّـوب ، مـاذا أنتَ فـاعِلُــهُ
إن كانَ خَصمُكَ لا خـوفٌ ، ولا خَجَلُ ؟!
ولا حَيـــاءٌ ، ولا مـــاءٌ ، ولا سِمَـــةٌ
في وجهِهِ .. وَهوَ لا يَقضي ، ولا يَكِلُ ؟
أبَعْـــدَ هٰـذا الَّـذي قَـد خَلَّفـوهُ لَنـا
هٰـذا الفَنـاء .. وهٰـذا الشّـاخِصُ الجَلَلُ

هـذا الخَرابُ .. وهـذا الضّيقُ .. لُقمَتُنـا
صـارَتْ زُعـافـاً ، وحتىٰ مـاؤنـا وَشَـلُ
هَـل بَعْـدَهُ غيـرَ أن نَبـري أظـافِـرَنـا
بَرْيَ السّكاكينِ إن ضـاقَتْ بِنا الحِيَـلُ ؟!

* * *

يـا صبـرَ أيّـوب .. إنّـا مَعشَـرٌ صُبُـرٌ
نُغضي إلىٰ حَـدٍّ ثـوبُ الصَّبـرِ يَنْبَـزِلُ
لكنّنـا حينَ يُستَعـدىٰ علىٰ دَمِنـا
وَحينَ تُقطَـعُ عَن أطفـالِنـا السُبُـلُ
نضـجُّ ، لا حيَّ إلّا اللهُ يعلمُ مـا
قَـد يَفعَـلُ الغَيظُ فينـا حينَ يَشتَعِـلُ !

* * *

يا سَيِّدي .. يا عراقَ الأرض .. يا وَطَناً
تَبقىٰ بِمَـرآهُ عَينُ اللهِ تَكتَحِـلُ
لَم تُشـرقِ الشَّمسُ ، إلّا مِن مَشـارِقِـهِ
وَلَم تَغِبْ عَنـهُ إلّا وَهيَ تَبتَهِـلُ !
يا أجملَ الأرض ، يـا مَن في شَواطِئِـهِ
تَغفـو وتَستَيقِظُ الآبـادُ ، والأزَلُ
يـا حـافِظـاً لِمَسـارِ الأرضِ دورَتَـهُ
وآمـراً كفَّـةَ الميـزانِ تَعتَـدِلُ

مُــذْ كُــوِّرَتْ شَعْشَعَتْ فيهــا مِسَلَّتُـــهُ
وَدارَ دولابُـــهُ .. والأحـــرُفُ الـــرُّسُـــلُ
حَمَلْنَ للكـــونِ مَســـرىٰ أبجَـــديَّتِـــهِ
وَعَنـــهُ كـــلُّ الّـــذينَ استَكبَـــروا نَقَلـــوا !
يــا سَيِّدي .. أنتَ مَن يَلـــوون شَغفَتَـــهُ
وَيَخســـأون ، فـــلا واللهِ ، لَن يَصِلـــوا
يُضـــاعفـونَ أسَـــانا قَـــدْرَ مـــا قَـــدِروا
وَصَبْـــرُنـــا ، والأسىٰ ، كـــلٌّ لَـــهُ أجَـــلُ

والعـــالَمُ اليـــوم ، هٰـــذا فَـــوقَ خَيْبَتِـــهِ
غـــافٍ ، وهٰـــذا إلىٰ أطمـــاعِـــهِ عَجِـــلُ
لٰكنَّهُم ، مـــا تَمـــادَوا في دَنـــاءَتِهِم
ومـــا لَهُم جَـــوْقَـــةُ الأقـــزامِ تَمْتَثِـــلُ
لِن يَجـــرحـــوا مِنـــكِ يـــا بَغـــدادُ أنمُلَـــةً
مـــا دامَ ثَـــديُـــكِ رَضَـــاعـــوهُ مـــا نَـــذُلُـــوا !

* * *

بغـــدادُ .. أهلوكِ رُغْمَ الجُـــرحِ ، صَبْرُهُمـــو
صَبْـــرُ الكَريمِ ، وإن جـــاعـــوا ، وإن ثَكِلُـــوا
قَـــد يـــأكُلـــونَ لفـــرطِ الجـــوعِ أنفُسَهُم
لٰكِنَّهُم مِن قُـــدورِ الغَيـــرِ مـــا أكَلـــوا !

* * *

شُكـــراً لِكُـلِّ الَّـــذينَ استَبـدَلـــوا دَمَنـــا
بِلُقمَـــةِ الخُبـزِ .. شُكـــراً لِلَّـذي بَــذَلـــوا
شُكـــراً لإحســـانهم .. شُكـــراً لِنَخْـــوَتِهِم
شُكـراً لِما تَعِبـوا .. شُكراً لِمـا انشَغَلوا
شُكـــراً لَهُم أنَّهم بـــالـــزّادِ مـــا بَخِلـــوا
لَـــو كـانَ لِلـــزّادِ أكّالُـــونَ يـا جَمَـــلُ !
لكنَّ أهلي العـــــــــراقيِّين مُغلقَـــــــــةٌ
أفـــواهُهُم بـدِمـــاهُم فَـــرْطَ مـــا خُـــذِلـــوا
دمـــاً يَمجُّـــونَ إمّـــا استُنطِقـــوا ، وَدَمـــاً
إذ يَسكُتـــــون ، بِجَـوفِ الـــرُّوحِ يَنهَمِـــلُ !

* * *

يا سَيِّدي .. أينَ أنتَ الآن ؟ .. خُذْ بيَدي
إنّي إلىٰ صَبـــرِكَ الجَبّـــارِ أبتَهِـــلُ
يـــا أيُّهـــذا العـــراقيُّ الخَضيبُ دَمـــاً
ومـــا يَـــزالُ يُـلالي مِـــلأهُ الأمَـــلُ
قُـــلْ لي ، وَمَعـــذِرَةً ، مِن أيِّ مُبهَمَـــةٍ
أعصابُـكَ الصُّمُّ قُـــدَّتْ أيُّها الـــرَّجُـلُ !
مـــا زِلتَ تـــؤمِنُ أنَّ الأرضَ دائِـــرَةٌ
وأنَّ فيهـــا كِـرامـــاً بَعـــدُ مـــا رَحَلـــوا

لَقَد نَظَرتُ إلىٰ الدنيا ، وكانَ دَمي
يَجري .. وبَغدادُ ملءَ العَينِ تَشتَعِلُ
ما كانَ إلّا دَمي يَجري .. وأكبَرُ ما
سَمِعتُهُ صَيحَةٌ باسمي ، وما وَصَلوا !
وأنتَ يا سَيِّدي ما زلتَ تُوميءُ لي
أنَّ الطَّريقَ بهذا الجُبِّ يَتَّصِلُ
إذَنْ فباسمِكَ أنتَ الآنَ أسألُهُم
إلىٰ متىٰ هٰذه الأرحامُ تَقْتَتِلُ ؟!
إلىٰ متىٰ تُتْرَعُ الأثداءُ في وطني
قَيحاً ، مِن الأهلِ للأطفالِ يَنْتَقِلُ ؟
إلىٰ متىٰ يا بَني عَمّي ؟ .. وثابِتَةٌ
هٰذي الدِّيارُ ، وما عَن أهلِها بَدَلُ
بَلىٰ .. لقد وَجَدَ الأعرابُ مُنتَسَباً
ومِلَّةٌ مِلَّةٌ في دينِها دَخَلوا !

وقايَضوا أصلَهُم .. واستَبدَلوا دَمَهُم
وَسُوِّيَ الأمرُ .. لا عَتْبٌ ، ولا زَعَلُ !
الحَمدُ لله .. نَحنُ الآنَ في شُغُلِ
وَعندَهُم وَبَني أعمامِهِم شُغُلُ !

إنّـا لَنسـألُ هَـل كـانِتْ مُصـادَفَـةً
أنْ أشـرِعَتْ بينَ بَيْتَيْ أهلِنـا الأسَـلُ ؟
أم أنَّ بيتـاً تنـاهىٰ في خيـانَتِـهِ
لِحَـدٍّ أنْ صـارَ حتَّىٰ الخَـوفُ يُفتَعَـلُ ؟
وهـا هـوَ الآنَ يَستَعـدي شـريكَتَـهُ
بـألفِ عُـذرٍ بلَمـح العينِ تُـرتَجَـلُ

* * *

أمّـا هُنـا يـا بَني عمِّي .. فَقَـد تَعِبَتْ
مِمّـا تحنُّ إلىٰ أعشـاشِهـا الحَجَـلُ !
لَقَـد غَـدا كـلُّ صـوتٍ في منـازِلنـا
يَبكي إذا لَم يَجِـدْ أهـلًا لَهُم يَصِـلُ !

* * *

يـا أيُّهـا العـالَمُ المَسعـور .. ألفُ دَمٍ
وألفُ طفـلٍ لَنـا في اليـومِ يَنجَـدِلُ
وأنتَ تُحكِمُ طَـوقَ المـوتِ مُبْتَهِجـاً
مِن حَـولِ أعناقِهم .. والمـوتُ مُنـذَهِـلُ !
ألَيسَ فيـكَ أبٌ ؟ .. أمٌّ يَصيـحُ بِهـا
رَضيعُهـا ؟؟ .. طفلةٌ تَبكي ؟ .. أخٌ وَجِـلُ ؟

يَصيـــحُ رُعبـــاً ، فَيَنـــزو مِن تَـــوَجُّعِــهِ
هـذا الضَّميرُ الَّـذي أزرىٰ بِـهِ الشَّلَـلُ !

* * *

يـــا أيُّها العــالَمُ المَسعـورُ .. نَحنُ هُنــا
بِجُـــرحِنـــا ، وعلىٰ آسمِ اللّه نَحتَفِـــلُ
لكي نُعيـــدَ لهـــذي الأرضِ بَهجَتَهـــا
وأمْنَهـــا بَعْـــدَمـــا ألـوىٰ بِـــهِ هُبَـلُ !

* * *

وأنتَ يـــا مَـــرفـــأَ الأوجـــاعِ أجمعِهـــا
وَمَعقِـــلَ الصَّبـــرِ حينَ الصَّبـرُ يَعتَقِـــلُ
لأنَّـــكَ القَلبُ مِمَّـــا نَحنُ ، والمُقَـــلُ
لأنَّ بغَيـــرِكَ لا زَهـــوٌ ، ولا أمَـــلُ
لأنَّهُم مـــــا رأوا إلّاكَ مَسْبَعَـــــةً
علىٰ الطَّـــريقِ إلينـــا حَيثُمـــا دَخَلـــوا !
لأنَّـــكَ الفـــارِعُ العِمـــلاقُ يـــا رَجُـــلُ
لأنَّ أصـــدَقَ قـــولٍ فيـــكَ : يـــا رَجُـــلُ !
يَقـــودُني ألفُ حُبٍّ .. لا مُنـــاسَبَـــةٌ
ولا احتِفـــالٌ .. فهـــذي كلُّهـــا عِلَـــلُ

لكي أُناجيكَ يا أعلىٰ شوامِخِها
وَلَنْ أُرَدِّدُ ما قالوا، وما سألوا
لكنْ ساستغفرُ التّاريخ أنْ جَرَحَتْ
أوجاعُنا فيهِ جُرحاً ليس يَنْدَمِلُ
وسَوفَ أطوي لِمَنْ يأتونَ صفحَتَهُ
هٰذي، لِينشُرَها مُستَنْفَرٌ بَطَلُ
إذا تَلاها تلاها غَيرَ ناقِصَةٍ
حرفاً .. وإذ ذاكَ يَبدو وَجهُكَ الجَذِلُ!

* * *

يا سَيِّدي .. يا عِراقَ الارضِ .. يا وَطَني
وَكُلّما قُلتُها تَغرورِقُ المُقَلُ!
حتىٰ أغَصَّ بِصَوتي، ثمَّ تُطلِقُهُ
هٰذي الابوَّةُ في عَينَيك، والنُّبُلُ!
يا مَنْجَمَ العُمر .. يا بَدئي وخاتِمَتي
وَخَيْرُ ما فيَّ أنّي فيكَ أكتَهِلُ!
أقولُ: ها شَيْبُ رأسي .. هل تُكَرِّمُني
فأنتهي وَهوَ في شَطَّيكَ مُنْسَدِلُ؟!

وَيَغْتَدي كلُّ شِعري فيكَ أجنِحَةً
مُرَفرفاتٍ على الأنهارِ تَغْتَسِلُ !
وَتَغْتَدي أحْرُفي فَوقَ النَّخيلِ لَها
صوتُ الحَمائِمِ إنْ دَمعٌ ، وإنْ غَزَلُ !
وَحينَ أغفو .. وهٰذي الأرضُ تَغمُرُني
بطينِها .. وعِظامي كلُّها بَلَلُ
سَتورِقُ الأرضُ مِن فَوقي ، وأسمَعُها
لَها غِناءٌ على أوراقِها ثمِلُ
يَصيحُ بي : أيُّها الغافي هُنا أبَداً
إنَّ العراقَ مُعافىٰ أيُّها الجَمَلُ ..!

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ١٠ تشرين الاول ١٩٩١

رسل المحبة والسلام

بِكُمـــو ، وبــالأشــرافِ مِن أبنــائِـــهِ
يَبقىٰ العـــراقُ بِعِـــزِّهِ ، وإبـــائِـــهِ
يَبقىٰ يُكــابِــرُ .. جُــرحُــهُ تــاجُ لَــهُ
وَذُرىٰ الـــزَّمـــانِ خضيبــةٌ بـــدمـــائِــهِ
بِكُمـــو يَشُــدُّ جــراحَـــهُ بنَـــزيفِهـــا
وَيَسيـــرُ مُتَّكِئـــاً علىٰ لألائِـــهِ
لا شيءَ إلّا كبـــريـــاءُ صمـــودِهِ
وَلَظىٰ التَّحَـــدِّي المُـــرُّ في أحشـــائـــهِ !
هَــذا العـــراقُ .. عظيمُ كُـــلُّ عَظيمـــةٍ
هَــذا الَّـــذي آلنَّهـــرانِ مِن أسمـــائِـــهِ
مـــا غَضَّ جَبْهَتَـــهُ لِأقـــدامِ العِـــدا
حـــاشـــا ، وَلا جَـــرُؤوا علىٰ سِيمـــائِـــهِ

* * *

يـــا نـــاذرينَ نفـــوسَكم لبنـــائِـــهِ
يـــا دِرعَـــهُ .. يـــا حـــامِلي أعبـــائِـــهِ
يـــا مـــالئينَ بيـــوتَكم مِن مـــائِـــهِ
وَمُعَطِّـــرينَ صِغـــارَكُم بهـــوائِـــهِ
يـــا أهلَـــهُ .. وَكفىٰ فخـــاراً أنَّكُم
أهْـــلُ العـــراقِ ، وَوارِثـــو آلائِـــهِ
واللّـــهِ مـــا نَقِمَتْ علَيكم كلُّهـــا
إلّا لِمـــا تَجْنـــونَ مِن نَعْمـــائِـــهِ
إلّا لأنَّ الـــرّافـــدَينِ كِلَيْهِمـــا
كـــانـــا شُعـــاعَ الكـــونِ في ظَلْمـــائِـــهِ
وَلِأنَّ كـــلَّ حِجـــارةٍ مِن أرضِـــهِ
نَبَـــأٌ بمـــا يَخْشَـــونَ مِن أنبـــائِـــهِ
أنَّ الحضـــاراتِ التي بَـــدأتْ هُنـــا
لا بُـــدَّ يَـــرجِـــعُ طَيـــرُهـــا لفضـــائِـــهِ
كـــلُّ المَعـــارِفِ صَـــوتُهـــا مِن ســـومـــرٍ
أمّـــا هُمُـــو .. لَيْسُـــوا سِوىٰ أصـــدائِهِ
قَـــدْ يَســـرقـــونَ لِألفِ جيـــلٍ ضَـــوءَهـــا
لكِنّهم نـــاءُونَ عَن إطفـــائِـــهِ !

قَلِقــونَ مِن يــومٍ سَتُــوقِظُ بــابـلٌ
إنســانَهــا البــاقي علىٰ استِغــلائِــهِ
إنَّ الَّــذي عَــرَفَ البــدايــةَ عــارفٌ
مِن أينَ يَبــدأ بعــدَ دَفْــعِ بَــلائِــهِ

وَلَقــد أهــابَتْ بــابـلٌ بنجــومِهــا
وَبَشيــرُهــا آتٍ ، علىٰ إبطــائِــهِ
وَلِــذا تَحَشَّــدَ جَمْعُهُم .. لا مثلَمــا
زَعَمــوا .. وَلكنْ عَجَّلُــوا بِلقــائِــهِ !
وَتَصَــادمَ الغَيْمــانِ .. هــذا مُثْقَــلٌ
مَطَــراً .. وذاكَ السُّمُّ في أَثْــدائِــهِ
هَطَــلا ، فَسَلْ كُلَّ العَوالِمِ : مَن هَمىٰ
مــاءً ، وَمَن خَــدَعَ الجميــعَ بِمــائِــهِ ؟
مَن كــانَ مِن وَجَــعِ الحضــارةِ سَيْلُــهُ
يَهمي ، وَمَن يَهمي لِفَــرطِ خُــوائِــهِ ؟
مَن قــادَ بــالشَّيطــانِ كُــلَّ جيــوشِهِ
وَمَن انتَخىٰ الــرَّحمٰنَ في إســرائِــهِ ؟
فَــإذا تَصَــدَّعَ في العــراقِ بِنــاؤهُ
فَيَــدُ العــراقِ كَفيلَــةٌ بِبنــائِــهِ

لكنَّهم ذَبَحـــوا السَّـــلام جميعَـــهُ
وَيُخـــادعــونَ النَّـــاسَ في إحيــائِــهِ !

* * *

رُسُـــلَ المَحَبَّـــةِ والسَّـــلامِ ، وَأنتُمــو
والله خَيــرُ الجُنْــدِ عنــدَ نِــدائِــهِ
يـــا جــاعلينَ قلــوبَكم شُهُبــاً لَــهُ
مَهمـــا تَمـــادىٰ الظُّلْمُ في ظَلْمــائِــهِ !
يـــا مـــانحيــهِ حيــاتَــهُ بِــذَكــائِكُم
في حينِ ذاكَ يُميتُـــهُ بِـــذَكـــائِـــهِ
سَلِمَتْ أيـــاديكُم لِكُـــلِّ مُعَـــذَّبٍ
سَهِـــرَتْ أيـــاديكُم بِلَيـــلِ عَنَـــائِــهِ
وَلِكُـــلِّ طفـــلٍ فَـــزَّ مِن وَجَـــعٍ بِـــهِ
فَجَهِـــدْتُمـــو ليَظَـــلَّ في إغفـــائِــهِ
يـــا بـــاذلينَ المُستَحيـــلَ لِفَـــرطِ مـــا
شَحَّتْ وَسَـــائِلُكُم ، وَضَـــجَّ بِـــدائِـــهِ
طُـــوبىٰ لكم مـــا جَفَّ بينَ أكُفِّكُم
طِفـــلٌ ، وأنتُم شُخَّصٌ بِـــإزائِـــهِ
لا تَملكـــونَ لَـــهُ العِـــلاجَ فَيَنْطَفي
بينَ النُّطـــاسِيِّينَ مِن آبـــائِـــهِ

طُـوبىٰ لَكُم في كُـلِّ أَنَّـةِ مُـوجَعٍ
لا تَملِكُـونَ وَسيلَـةً لِشِفـائِـهِ
وَلْيُهْنِ أمـريكـا بـأنَّ حِصـارَهـا الـ
إنسـانَ مُقتَـدِرٌ علىٰ إفْنـائِـهِ
لكنَّهـا تَبقىٰ بِكُـلِّ جيـوشِهـا
بَكْمـاءَ عـاجِـزَةً أمـامَ إبـائِـهِ !

* * *

يـا حـاملي شَـرَفِ الجهـادِ بِعِلْمِكم
وَمُكـابِـدينَ الهَمَّ مِن جَـرّائِـهِ
شَـرَفٌ لِكُـلِّ أَسىً يُـواكِبُ جُهْـدَكُم
أَنَّ العِـراقَ شَـريكُكُم بِجَـزائِـهِ
شَـرَفٌ لكم أنَّ العِـراقَ بـأسْـرِهِ
مُتَـوَجِّـهٌ لِأكُفِّكُم بِـرَجـائِـهِ
وَبِـأنَّ كُـلَّ أُمـومَـةٍ وَأُبُـوَّةٍ
فَمُهـا يُطَـوِّقُكُم بِكُـلِّ دُعـائِـهِ

* * *

بِكُمـو ، وبـالأشـرافِ مِن أبنـائِـهِ
يَبقىٰ العِـراقُ يَشُـدُّ حَبْـلَ مَضـائِـهِ

بِكُمـــــو وبـــالأخيـــارِ يَبقىٰ صـــامِــداً
أنِفـــاً ، وَيَبقىٰ العِـــزُّ مِـــلْءَ لِـــوائِـــهِ
لا بـــالَّـــذينَ يُقَطِّعـــونَ لُحـــومَـــهُ
وَيُجَمِّعـــونَ المـــالَ مِن أشـــلائِـــهِ !
بِكُمـــــو وَكُـــلُّ ذَوي الضَّميـــرِ سَيُنْتَنىٰ
وَيَعـــودُ كـــلُّ الخَيـــرِ في أرجـــائِـــهِ
لا بـــالمُـــرَابِينَ الَّـــذينَ دمـــوعُهُم
مَعَـــهُ ، وَيَعتـــاشـــونَ مِن أرزائِـــهِ !
السَّـــارقينَ علىٰ الخَـــرابِ جهـــودَهُ
فَهُمـــــو أشَـــدُّ عَلَيـــهِ مِن أعـــدائِـــهِ
إنِّي لأعجَبُ كيفَ يَســـــــرقُ مُتْخَمٌ
مِن مَيِّتٍ جـــوعـــاً فُتـــاتَ غِـــذائِـــهِ ؟!
بَـل كيفَ تَسرقُ بعدَ موتِ صَـــديقِها
كَفُّ الصَّـــديقِ الخُبـــزَ مِن أبنـــائِـــهِ ؟!
لَن أســـألَ الأعـــداءَ مـــا فَعَلـــوا بِنـــا
فِعْـــلُ العَـــدوِّ مُفَسَّـــرٌ بِعَـــدائِـــهِ
لكنَّ أهلي ، والـــــرَّضيـــــعُ رَضيعُهُم
كَم تَـــاجَـــروا بحليبِـــهِ وَدَوائِـــهِ ؟!

كَم قَطَّعـــوا مِن لَحمِ بَعضِهِمـــو وَكَم
سَلَبـــوا مِن العُريـانِ فَضْـلَ رِدائِـهِ ؟!
أفَـإنْ أتَتْنـا طَعنَـةٌ مِن مُجـرِمٍ
نَمتَصُّ مِ ٱلمطعـونِ فَيضَ دِمـائِـهِ ؟!

* * *

يـــا واهِبي وَطَني كــريمَ جُهــودِكم
صُــونـوا عَطـاءَكُمـو بِحِفْظِ عَطـائِـهِ
لا تَسمَحُــوا للبـــائعينَ ضَميــرَهُم
أنْ يَبتَنــوا أفـــراحَهُم بِشَقـائِــهِ
لا يـأكلـوا بَعضـاً فَخَلْفَ حُـدودِهِم
مُتَــرَبِّصـونَ بـــألْفِ ذئبٍ تـــائِـهِ
اللّـــهَ في وطَنٍ يُكَفْكِفُ جُـــرحَـــهُ
ويَسيـــرُ مُبتَسِمـــاً بِـــرُغْمِ بَـلائِــهِ !
اللّـــهَ في وَطَنٍ يُكـــابِـــرُ واقِفـــاً
وَكُـــوَىٰ الـدِّمـاءِ تَخُـرُّ مِن أنحـائِـهِ !
اللّـــهَ في وَطَنٍ ألَـدُّ خصـومِـهِ
أهْلُـــوهُ ، والأدنَـــوْنَ مِن خُلَصَـــائِـــهِ !

يـــا أهلَـهُ .. يـا أزأفَ الـدُّنيـا بِـهِ
يـــا حـــادِبينَ عليـــهِ في ضَـــرّائِـــهِ
سَتَظـــــلُّ أبـــوابُ العِـــراقِ مَنيعَـــةً
بِكُمـــو، وبِـــالشُّـــرفـــاءِ مِن أبنـــائِـــهِ ..

* * *

القيت في افتتاح مؤتمر الاطباء العرب
ونشرت في جريدة الجمهورية في ٢٨ كانون الاول ١٩٩١

يا أشـــرف الأرض

هٰذي هيَ الأرضُ .. ما غالُوا ، وما هَدَموا
هٰـــذي الغضـونُ عليهـــا الجُــرمُ والحَكَمُ
هٰـذا الخـرابُ ، وهٰـذا المـوتُ .. مَجْمَـرةٌ
في كُـــلِّ صَمتِ العـــراقيِّين تَضطَـــرِمُ !
هٰـذي هيَ الأرض .. إنْ لَم يَتَّهِمْ أحـدٌ
مَن شَـــوَّهوهـــا ، فهٰـــذا الــرَّسمُ يَتَّهِمُ !
أسمـــاؤهم كُلُّهـــا في لَـــوحِـــهِ نُسِجَتْ
حـــرفـاً فحـــرفـاً .. سَـداهـا أضلـعٌ وَدَمُ !
وَكُـــلُّ سيمـــائِهِمْ في الأرضِ بـــاقيَـــةٌ
كـــأنَّهم كُلُّهم في طينهـــا بَصَمـــوا !
أمّـــا العـــراق .. فَمِن آشـــور نَعـرِفُـــهُ
خَنـــاجِـــرُ الغَـــدرِ تُـــدميـــهِ وتَنْثَلِمُ

كـــلُّ السّكـــاكين فيــه أصبحَتْ حِطَمــاً
وَجـــــرحُـــــهُ ظـــلَّ والأيـــــام يَلتَئِمُ !

* * *

يــا سَيِّدَ الأرض .. يا باني حضارَتِها
يا مَن بِكَ الخـــائِفُ التاريـــخُ يَعتَصِمُ !
قَـــــد أوغَلوا فيــهِ حتىٰ مــا لَــهُ ذِمَمُ
وَقَد أهانوهُ .. لا هابــوا ، ولا احتَشَموا
وَأنتَ وحـــدَكَ أسْـــرَجْتَ الضَّميـــرَ لَــهُ
وَكــــانَ مِن دَمِـــكَ القِـــرطـــاسُ والقَلَمُ
لَقَـــــد كَتَبْتَ لَـــــهُ أبهىٰ مَفـــاخــرِهِ
بَيْنـــــا أضـافــوا إليــهِ كُـــلَّ مــا يَصِمُ !

* * *

يــا سَيِّدي .. أيُّهـــــا الفــادي مـــروءَتَــهُ
بخيـــرِ أبنـــائِــهِ .. يــــا أيُّهـــا العَلَمُ
بِقَـــدْرِ مـــا تَمضَـــغُ الأعــداءُ أكبُــدَهـــا
حِقـــداً . أراكَ علىٰ الأوجـــاعِ تَبْتَسِمُ
فَـــأنتَ تَـــدري بِمـــا أوتيتَ مِن وَهَـــجٍ
عَبْـــرَ الحضاراتِ ، أنَّ القـــاتِـــلَ الـــوَرَمُ
وأنَّ كُـــلَّ بِـــلادٍ ضَـــجَّ بـــاطِلُهــا
لا بُـــدَّ يَطغىٰ عليهـــا سَيلُهـــا العَـــرِمُ

وَرُبَّ منفـــوخَـــةٍ، حتىٰ غَـــلاصِمِهـــا
طـــاحَتْ كَما صَـوَّحتْ من قَبْلِهـا إرَمُ !
وهـــا أمـــامَــكَ جَبّـــارونَ قـــوَّضَهم
تَـــآكـــلٌ مِن حَشَـــاهم ظـــلَّ يَلْتَهِمُ !

* * *

هــذي هيَ الأرض يـــا مَن كـــلُّ أنمُلَـةٍ
مِن أرضِــهِ ، رُغْمَ ما هيضَتْ بِـهِ ، حَـرَمُ
إنْ جُـــرِحَتْ فـــالعِـــراقيّـــون أجمَعُهُم
ضِمـــادُهـــا .. كُلُّهُم عينٌ لهـــا وَفَمُ
وَكلُّهُم بِشِغـــــافِ القَلبِ يَحضنُهـــا
حتىٰ تَكـــادَ بنبضِ القَلبِ تَـــرتَطِمُ !
يـــا أنبلَ الأرضِ .. يـــا أبهىٰ مفاخـرِنـا
يـــا خيرَ مـــا زارَ أجدادي ، ومـــا لَثَمـوا !
عهـــداً بـــأنّـــا إذا أرضَعتِنـــا رَضَعَتْ
صِغـــارُنـــا .. أو فَطَمْتِ الآنَ نَنفَطِمُ !
عهـــداً بـــأنّـــا وإنْ ضَـــاقَتْ مَـــذاهِبُنـــا
نـــأتيـــكِ حـــدٌّ عَمـــودُ الظّهـــرِ يَنفَصِمُ !
هـــوَ التَّحَـــدّي .. فَـــإمّـــا أن نَمُـــجَّ دَمَـــاً
أو نَستَقيمَ وتَحيـــا فَـــوقَـــكِ القِيَمُ !

* * *

القيت في افتتاح معرض الدمار الذي اقيم في وزارة الثقافة والاعلام
ونشرت في جريدة الجمهورية في ٣١ كانون الاول ١٩٩١

بل ذرةٌ من سياج الروح ما نسَفوا!

للشّـــاهِـــدينَ عَليـــكَ الآن أنْ يَقِفـــوا
وأنْ يَـــرَوا أيَّ جُـــرْفٍ نحـــوَهُ جُـــرِفـــوا

لِيُبصِـــروا أيّ طُـــوفـــانٍ، بـــأيِّ دَمٍ
يَسعىٰ، وأيَّ طَعينٍ بينَهم يَقِفُ!

كـــأنّمـــا جُـــرحُـــهُ، مِن فَـــرْطِ هَيبَتِـــهِ
جُـــرحُ القيـــامَـــةِ عَنـــهُ الغَيبُ ينكَشِفُ!

* * *

هـــا أنتَ ذا، مثلَما العَنْقاءُ تَنهَضُ مِن
رَمـــادِهـــا .. بَينَمـــا أكبـــادُهُم تَجِفُ

مِن بَعْـــدِ كلِّ الّذي غالُـوا، نَهَضْتَ لَهم
وَلَم تَـــزَلْ رُكَبُ الأيّـــامِ تَـــرتَجِفُ!

هَـــولَ الجَنـــاحَينِ، مَشْـــدوداً بخَفْقِهِمـــا
مَحَـــاجِرُ الكونِ، خَطْفَ البَـرقِ تَنْخَطِفُ!

فَهُم يَلمُّـــونَ مِن أطـــرافِهِم حَـــذرا
وأنتَ تَعلـــو ، وَتَهـــوي دونَـــكَ السُجُفُ !

للشّـــاهِـــدِينَ عَلَيـــكَ الآنَ أنْ يَقِفـــوا
لِيَعـــرِفُـــوا .. وَصِغـــارٌ هُم لِيَعْتَـــرِفـــوا
لَكنْ لِكَي يُبصِـــروا جِذْعَ النَّخيـــلِ هُنـــا
كيفَ استقـــامَ .. وَكيفَ استُنْفِـــرَ السَّعَفُ !
وَكيفَ شَـــابَكَتِ الأنهـــارُ أنفُسَهـــا
وَكيفَ ضَـــجَّ عَلَيهـــا أهلُهـــا الأُنُفُ
حَتّى تَقَـــوَّسَتِ الأضـــلاعُ أجمَعُهـــا
مَعَـــابِـــراً وجُســـوراً فَـــوقَهـــا دَلَفـــوا !

لِيَشْهَـــدُوا أنَّ تَهـــديـــداتِهِم طَـــرَفٌ
وأنَّ روحَ التَّحـــدِّي عِنـــدَنـــا طَـــرَفُ !
وَقَـــد تَشَـــابَكَتـــا ، فَلْيُحْصِ نـــاظِـــرُهُم
مـــاذا رَصَفْنـــا ، وَمـــاذا أهلُـــهُ رَصَفـــوا
إنْ يَنْسِفَـــوا ما استَطـــاعوا مِن مَنـــازِلِنـــا
فَـــذَرَّةً مِن سِيـــاجِ الـــرُّوحِ مـــا نَسَفـــوا !
لقـــد بَنَينـــا بيـــوتـــاً مِـــلْءَ أنفُسِنـــا
وَبينَ أضـــلاعِنـــا السَّـــاحـــاتُ والغُـــرَفُ !

مِن عَهــــدِ سـومــرَ والبُنيـانُ في دمنــا
وللحضـــــــاراتِ في أرواحِنــــــا كَنَفُ
وَهُم لَهُم إرثُهم ، مِن قـــــــاتلينَ وَمِن
لصوصِ خيلٍ .. صَغـارٌ تحتَـهُ رَسَفُــوا
وَظَــلَّ إحســاسُهُم بــالـدُّونِ يُـزمِضُهُم
فَهُم كمــا الذِّيب ، مَسعُـورونَ مُذْ عُـرِفُـوا
يُقَتِّلُــــونَ لِيَمحُــــوا كُــلَّ ذاكِـــرَةٍ
وَيَهـــدِمـــونَ لَعَــلَّ الأرضَ تَختَلِفُ !
نــــاسِينَ أَنَّ لَـدىٰ الإنســانِ ، في دَمِــهِ
ميــراثَ أهليــهِ حتىٰ تُــرفَـعَ الصُّحُفُ !

* * *

هــــا كلُّ مــا هَـدَّمـوا تعلُـو مَنــائِـرُهُ
وَتَستَقيمُ بِـــــهِ الأَســـوارُ والشُّـــرَفُ
كـــأنَّمـــا لِنبـــوخَــذ نَصَّـــرٍ رِنَـــةٌ
لليَـــومِ فينـــا علىٰ البُنيـــانِ تَعتَكِفُ !
في حينِ سُمْعَـــةُ أمــريكـا مُهَــدَّمَــةٌ
تَـــرنـو إليهــا عيــونٌ مِلْـؤهــا قَــرَفُ !

* * *

للشَّـــاهِــدينَ عَلَيــكَ الآنَ أَنْ يَقِفُــوا
لِيُنصِفُــوا نَفْسَهم يــومــاً ، إذا نَصَفُـوا

بــأنَّهُم أكلــوا أطفــالَنــا جُثَثــاً
جَفَّتْ مِنَ الجُــوعِ حتىٰ كُلُّهــا حَشَفُ !
وأنَّهم قَتَلــوا أطفــالَنــا نُطَفــاً
حتَّىٰ علىٰ المَـوتِ ما فــاتَتْهُم النُّطَفُ !
وأنَّهُم مَثَّلـــــوا حتَّىٰ بِمَيِّتِهم
لِحَــدِّ أنْ قَطَّعَتْــهُ النَّــارُ والسُّــرَفُ !
والعــالَمُ الحُــرُّ يَــرنُــو نَحــوَ فِعْلَتِهِم
مــا لاحَ يَومــاً علىٰ سِيمــائِــهِ الأَسَفُ
بَــل التَّشَفِّي ، وألــوانُ الشَّمــاتَــةِ في
عيــونِــهِ .. ثمَّ الاستخفــافُ وَالصَّلَفُ !
حتَّىٰ لَيَســأَلَ أُمّــاً كَيفَ أفْــرُخُهــا
تَسَــاقَطوا .. وَهــوَ يَــدري أنَّهم قُصِفــوا

* * *

كَم لاحَ لي ، ورُجــومُ المَــوتِ مُطْبِقَــةٌ
كــأنَّ بَيتي بِلَمْـــحِ العَينِ يَنْخَسِفُ
وَكَم تَخَيَّلْتُ أولادي تُمَــــــزِّقُهُم
أنيــابُهُم ، وعلىٰ الأشْــداقِ مــا نَــزَفُــوا
فَــأنتَخي بــالعِــراقيِّين .. يــا وَطَني
أولادُكُم ، بهم الأوغــادُ قَــدْ ثَقِفُــوا

فَـــأذرِكـــوهُم .. وَتَثنيني مُكـــابَـــرَتي
واسمُ العِـــراق .. وَتَبقىٰ أدْمُعي تَكِفُ !

يـــا مَـــوتَ أولادِنـــا ، واللهِ لا جَـزَعـــاً
لكنْ إبـــاءُ نِيـــاطُ القَلبِ تَنْشَعِفُ
وذاكَ أنَّ ذِئـــابَ الأرضِ أجمعَهـــا
صـــارَتْ بِلَحمِ العِـــراقيِّين تَلْتَحِفُ
صـــارَتْ خَنـــازيـــرُ أمـــريكـــا مُبَـــرَّأةً
مِن كلِّ رِجْسٍ .. وَصِرْنا نَحْنُ مَنْ زَهِقُوا
وأصبَـــحَ العَـــرَبُ الأعـــرابُ أهـــلَ تُقَىً
وَمُستَقيمينَ ، بَيْنـــا نَحْنُ نَنْحَـــرِفُ !
وَمـــاتَ أطفـــالُنـــا ، والـــذَّنْبُ ذَنْبُهمـــو
لأنَّهم مِن بِـــلادٍ بِـــاسمِهـــا هَتَفُـــوا
وأنَّ آبـــاءَهُم قـــالـــوا لِقـــاتِلِهُم :
لا .. ثمَّ لَم يَرجِعُوا عَنها ، ولا أسِفُوا !
وَهـــا هيَ الأرضُ دارَتْ دَورَةً ، فـــإذا
بِكُـــلِّ مـــا خَبَّـــأَ الطَّـــاغـــوتُ يَنكَشِفُ !

* * *

الآنَ يـــا صـــانِـــعَ التَّـــاريـــخِ ، تُلْهِمُـــهُ
وَتَستَقي مِنـــهُ .. مِنـــكَ الآنَ أغْتَـــرِفُ

يا هائِلَ الماءِ .. يا أصفَى مَوارِدِهِ
وَمِنكَ كلُّ عِطاشِ الأرضِ تَرتَشِفُ
الآنَ أستَرجِعُ الأحداثَ .. كُنتَ بِها
مؤشِّراً ، وهيَ تَجري مِثلَما تَصِفُ
الآنَ أستَنطِقُ الليلَ الـ نَطَقْتَ بِهِ
حرفاً فَحَرفاً ، وَأُصغي ، وَهوَ يَنتَصِفُ
وَمَوجُ صَوتِكَ يَأتي مِن مَنابِعِهِ
مُستوحِشاً .. وَالدُّنا أكبادُها تَجِفُ
الغَادِرون .. وَغامَ الصَّوت .. قد غَدَرُوا
لَقَد أغارُوا لُصوصاً ، مِثْلَما عُرِفُوا
قُطَّاعَ طُرْقٍ .. لَئيماتٌ سَرائِرُهُم
فَكُلُّ زَرْعٍ لِطيَّاراتِهِم هَدَفُ

* * *

وَقُلْتَ .. قُلْتَ كَلاماً مُوجَعاً ، أَنِفاً
وَلَم يَكنْ ، رُغْمَ عُمْقِ الجُرحِ ، يَغْتَسِفُ
قُلْتَ الحَضاراتُ تَبني الرُّوح .. تَجعَلُها
كَقِطعَةِ الماس ، لا يَنْتابُها التَّلَفُ
وَما أَصَابَكُمُو ، لَو أنَّهم رُزِئُوا
بِبَعضِهِ ، ما استَقَامَتْ عِندَهُم كَتِفُ
وَقُلْتَ .. قُلْتَ .. وَكانَ اللَّيلُ مُشتَعِلاً
كانَتْ صَواريخُهُم مِلْءَ الفَضَا تَزِفُ

وَهُمْ يَحـــومـونَ حَـولَ الـدُّورِ أجمَعِهـا
حتَّى لَقَـد رِيعَت الـدُّنيـــا بِمـا نَسَفُــوا

* * *

وَقُلْتَ يــاتي زمــانٌ تُشــرِقُــونَ بِـــهِ
وَشمسُهُم مُنْـــذُ هـــذا اليَــوم تَنكَسِفُ
فَصَـــابِـروا واصْبِـروا ، فــالله نــاصِـرُكُم
لأنكُم أُمَّـــــــةٌ لله تَـــــــزْدَلِفُ ..

* * *

ـــا نَحنُ نَصْبِـرُ، فَلْتَقْبَـلْ مــروءَتَنــا
يـــا سَيِّــدي ، وَلْتُقِمْنـــا حينَ نَنْعَطِفُ
إنّـــا نُغـــالِبُ طُـــوفـانــاً .. سَنَعْبُـرُهُ
حتَّى وَلَـــو كـانَ لا ضَـوءٌ ، ولا جُـرُفُ
سَنُـوقِـدُ الـــرُّوحَ نِبـراسـاً ، وَنَـرصفُ مِن
جـــذوعِنـا ضِفَّـــةً في جُـــرفِهـا نَقِفُ !
وَسَــوفَ نَصْـدُقُـكَ القَـولَ الـ نَطَقْتَ بِـــهِ :
أدري بـــأهلي العِـــراقيِّين مــا ضَعُفُــوا

وَاللّـــهِ أهلُـكَ يــا صَـدّام مــا وَهنــوا
ولا أُهِينـــوا ، ولا عَن زَهْـوِهِم صُـرِفُـوا

يــا سَيِّـدي ، مِنـكَ أنتَ القَـولُ نَحفَظُـهُ
لا يَسْلَمُ البَيتُ حتَّى يَسْلَمَ الشَّـــــرَفُ !

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ١٨ شباط ١٩٩٢

يا أكرم الناس صبرا

فَـــرْطُ السّكـوتِ علىٰ فَــرْطِ الأذىٰ سَقَمُ
قَـــد يَسكُتُ الجُــرحُ ، لكنْ يَنطِقُ الأَلَمُ !
وَمَغقِــلُ الظُّلمِ ، أيّــاً كـانَ صـاحِبُـهُ
لا بُـدَّ يـومـاً علىٰ أهليــهِ يَنهَــدِمُ !
فَقُـلْ لِكُـلِّ عُتـاةِ الأرضِ .. مَن غَشَمـوا
وَمَن عَتَوا قَبْلَكُم في الأرضِ .. أينَ هُمُ ؟!
أَلَمْ تُــزَلْــزَلْ صــروحُ البَغي أجمَعُهــا
بِهِم كَمــا زُلْــزِلَتْ زلــزالَهــا إرَمُ ؟
ومــا الّذي صـارَ هولاكـو سِوىٰ شَبَـحٍ ؟؟
في حينِ بغــداد مِــلْءَ العَينِ تَبتَسِمُ !

* * *

فَـــرْطُ السّكـوتِ علىٰ فَــرْطِ الأذىٰ سَقَمُ
قَـــد يَسكتُ العَقـلُ لكنْ تَصــرُخُ الشِّيَمُ !

وَكيفَ يَصمُتُ مَنْ طِفـــلٌ يَمـــوتُ علىٰ
راحـــاتِـــهِ ، وَسَنى عَيْنَيـــهِ يَتَّهِمُ
بـــأنَّـــهُ ينطفي ظُلْمـــاً ، فَلَـــو مَلَكـــوا
لَـــهُ العِـلاجَ لَمـــا ألـــوَىٰ بِـــهِ العَـدَمُ !
وَكيفَ يَصمُتُ مَن يَـــدري بـــأنَّ لَـــهُ
في كـــلِّ مَـــوتٍ يَـــداً للّـــهِ تَحْتَكِمُ
لأنَّـــهُ كُلَّمـــا امتَـــدَّتْ بِـــوَصْفَتِهـــا
يَـدٌ إليـــهِ ، بِمَحْضِ الصَّمتِ يَعتَصِمُ !
وَهَـزَّةِ الـرأسِ .. تُـدمي قَلْبَ صاحبهـــا
كـــأنَّـــهُ هـــوَ بـــالتَّقصيـــرِ مُتَّهَمُ !
لَقَـــــد رأيتُ بِعَيني في عُيـــــونِ أخٍ
مِنكُم ، مـــروءَةَ كـــلِّ الأرضِ تَـــرتَسِمُ
وَفي يَـــدَيـــهِ دَوا طفـــلٍ .. أبـــوهُ بَكىٰ
لِظَنِّـــهِ أنَّ إنقـــاذَ ابنِـــهِ حُلُمُ !

* * *

فَـــرْطُ السَكـوتِ علىٰ فَـــرْطِ الأذىٰ سَقَمُ
وَأوجَـــعُ الصَّمتِ مـــا إيغـــالُـــهُ وَرَمُ
وَقَـــد صَبَـرنـــا ، وَلَـــزُّ الصَّبـــرُ أضلُعَنـــا
حتّىٰ تَفَطَّـــرَ فينـــا اللّحْمُ والأدَمُ !
وَظَلَّتِ الـــرُّوحُ مِثـلَ الـرُّمـحِ مُشْـرَعَـةً
وَجَمـــرُهـــا في مَهَبِّ الـرِّيـحِ يَضْطَـرِمُ

ما نالَ مِنها سِوىٰ إيقاد جَذْوَتِهـا
حِصارُهُم .. وَبَلىٰ .. ضاقَتْ بِها اللُّجُمُ
لِحـدٌ أنْ زُلـزِلَتْ فيهـا شَكـائِمُهـا
وَكيفَ روحُ العِـراقيِّين تَنْشَكِمُ ؟!
لَكِنهـا طـامَنَتْ مِن ضيقِهـا أمَـلًا
أنْ يُنجِـدَ الصَّبرُ، لا أنْ يُنجِدَ السأمُ !
كُنـا نُغالِبُ .. مـا زِلنـا نُغـالِبُ أنْ
يَطغىٰ عَلَينـا نَفـادُ الصَّبـرِ والبَـرَمُ
وَأقـرَبُ النَّـاسِ مِنـا يَنظُـرون لَنـا
شَماتَـةً .. تَفضَـحُ الأبصـارُ مـا كَتَموا
لكنَّهُم في الخَفـايـا مِن نفوسِـهِمو
يَـدرونَ أينَ هبـوبُ الـرِّيـحِ يَنحَطِمُ !
لا بَـأسَ .. يَبقىٰ شِـراعُ الخَيـرِ مُنفَـرِداً
وَحَـولَـهُ كُـلُّ مَـوجِ الشَّـرُّ يَلْتَطِمُ
يبقىٰ صِـراعُهُمـا لـلأرضِ أجْمَعِهـا
دَرسـاً ، لِتَنـدَمَ إذْ لا يَنفَـعُ النَّـدَمُ !

* * *

يـا أكـرَمَ الأرضِ صَبْـراً .. كـلُّ غـائِلَـةٍ
لا بُـدَّ يَـومـاً بِمـا تَخشـاهُ تَـرْتَطِمُ
وَكـلُّ جَـورٍ لَـهُ حَـدٌّ يَجيشُ بِـهِ
إذا تَعَـدَّاهُ لا تَـرسـو بِـهِ قَـدَمُ

وَيــا أعـــزَّ بِــلادِ الله .. أفْـــرُخُنــا
يَنمـــونَ فيكِ ، وَلَــو أنَّ الـرِّضـاعَ دَمُ !
لانَّهُم لَنْ يَــرَوا مـــاءً كَمـــائِكَ ، لَــو
مَسَّ الشِّفـــاهَ ، فَلَيسَتْ عَنـــهُ تَنْفَطِمُ !

وأنتُمـو .. يـا سُعَـــاةَ الخَيـرِ في وَطَني
وَحـــاملي جُرحِــهِ ، مــا اشتَــدَّتْ الأزَمُ
ويـــا مُقِيمينَ في مِحـــراب مِحنَتِـــهِ
مـــا تَلَّموا حُبَّـــهُ يَـومـــاً ، ولا انثَلَمـوا
ولا تَبَـــرَّأَ أهلُـــوهم ، علىٰ ضَنَـــكِ
مِن جِلْـدِهِم .. لا .. ولا خـانَتهُم القِيَمُ
بِكُم سَيَبْقىٰ غُبـــارُ الطَّلْعِ يَـدفَــعُ عَن
هٰـذا التُّـراب .. وَيبقىٰ الله .. والـــرَّحِمُ
وَتستَعيـــدُ فجـــاجُ الأرضِ زَهـــوَتَهـــا
وَتَستضيءُ كمـــاضي ، عَهـــدِهـــا الأُمَمُ
وَبِـــاسمِكُم يَـدفَــعُ النَّهـرانِ مَـوجَهُمـا
زَهــــواً ، وَتَـرفَــعُ مِن هـــامــاتِهـــا القِمَمُ
وَيــــــاسمِكُم ، والعِـــــراقيِّين أجمَعِهِم
يَبقىٰ يُـــرَفـــرِفُ كِبـــزاً ذٰلِـــكَ العَلَمُ
وَكُلَّمـــا مَـــرَّت الـــذِكـرىٰ غَـــداً ، فَلَكُم
فيهـــا سَنَىً ، وَلَكُم في قُـدْسِهـــا حَـرَمُ !

وَكُلّمـــا جـــاءَ صَيفٌ ، والنَّخيـــلُ دَنَتْ
أعـــذاقُـــهُ ، فَلَكُم في تَمْـــرِهـــا نِعَمُ !

اللهُ يـــا وَطَني !.. مـــا قُلتُ يـــا وَطَني
إلّا وَأحسَسْتُ أنَّ الكَـــــــونَ يَنتَظِمُ !

وَأنَّ كـــلَّ مَسَـــامِ الكَـــونِ يُنصِتُ لي
المـــاءُ ، والنَّـــارُ ، والأنـــوارُ ، والظُّلَمُ

والـــرِّيحُ والـــرَّعْـدُ ، ثُمَّ الـــرِّيحُ والـــدِّيَمُ
والسَّهـــلُ ، والـــرَّمـــلُ ، والـــوديـــانُ ، والأكَمُ

أحِسُّهـــا كُلّمـــا نـــادَيْتُ : يـــا وَطَني
تَهمي : عِـــراقُ .. إلىٰ أنْ يَتْعَبَ القَلَمُ !

* * *

وأنتُمـــو .. يا أعـزَّ النّاسِ .. يـــا بَشَـراً
هَـــــواهُمـــــو بِشِغـــافِ القَلْبِ يَلْتَحِمُ

يا خَيرَ أولادِ خَيـــرِ النّاسِ .. يـــا شَرَفـاً
أسمىٰ المَعـــايير فيـــهِ المَجـدُ والكَـــرَمُ

تَبْقىٰ بِكُم كـــلُّ أرضِ الضّـــادِ وارِفَـــةً
ظِـــلالُهـــا .. مُشْـــرَئِبّـــاً سَيْلُهـــا العَـــرِمُ

وَيملـكُ العُـــرْبُ ، كـــلُّ العُـــرْبِ ، قـــامَتَهم
حتّىٰ الّذينَ امَّحَوا مِن فَـــرْطِ ما ظُلِمُـوا

* * *

يَبقىٰ العِــــراقُ عَظيمَ الـزَّهــوِ، بــاسِلَــهُ
كـــلُّ هـــذي الجِـــراحِ السُّـــودِ تَلْتَئِمُ
وَسَـــــوفَ يَبقىٰ العِـــــراقيــــون أجمَعُهُم
شُمَّ الجِبـــــاهِ إلىٰ أن تُبعَثَ الـــــرِّمَمُ!

* * *

القيت في مؤتمر الصيادلة العرب الذي انعقد ببغداد في ٢٤ / ٢ / ١٩٩٢
ونشرت في جريدة الجمهورية في ٢٥ شباط ١٩٩٢

مخاض الحضارات

سَبعونَ قرناً ، ثقيلاتٌ رَكائِبُها
كُثْرٌ نتوءاتُها ، كُثْرٌ شَوائِبُها
عميقةٌ عُمْقَ هٰذا الكَون شَغفَتُها
قديمةٌ قِدَمَ الدُّنيا ذَنائِبُها
بُعْدَ المَجرّاتِ .. لٰكنْ كُلَّما بَرَقَتْ
تَطوي العصورَ مَطيراتٍ سَحائِبُها
حتىٰ لَتَجتازَ بالأيّامِ مُبرِقَةً
لِتَبلغَ الزَّمَنَ الآتي كَتائِبُها
هيَ الحضارَةُ .. ما امتَدَّ الزَّمانُ بِها
شَبَّتْ ، فأذهَشَتِ الدُّنيا عَجائِبُها !

* * *

سَبعونَ قرناً .. وَكانت لَم تَزَلْ كُرَةً
يَطفو وَيرسبُ في الطُّوفانِ ذائِبُها

إذْ حَطَّ أوّلُ طَيرٍ فَوقَ يابِسَةٍ
فأصبحتْ أوّلَ الدُّنيا رَحائِبُها
كانَ العراقُ .. وَكانتْ سومرٌ .. وَعَلَتْ
أولى الشموسِ، وما غابت غَوائِبُها !

* * *

سَبعونَ قرناً .. على آشور .. في أكدٍ
وحولَ بابلَ، أمِّ الارضِ، دائِبُها
مِثْلَ النَّواعيرِ نَوّارٌ يَفيضُ سَنىً
حيناً، وحيناً دَماً تَهمي سَواكِبُها
وبابلٌ، وَنبوخَذْ نُصَّرٌ، قَمَرا
مَدارِها، وذُرا أهلي كواكِبُها
هي الحضارةُ شَمسُ الارضِ أجمعِها
وهوَ الَّذي بَدأتْ منهُ مَواكِبُها
هوَ العراقُ .. عراقُ الأرضِ .. يا وطناً
سَبعونَ قرناً بِهِ شابَتْ ذَوائِبُها
بَيْنا يَزيدُ شَباباً كُلَّما هَرِمَتْ
فيهِ العصورُ، وآدَتْها خَرائِبُها !

* * *

يا أخصَبَ الأرضِ أرحاماً ، وأكرَمَها
أمّاتِ وِلْدٍ ، زكيّاتٍ نَجائِبُها
ما أعسَرَتْ يَوماً الدُّنيا ، وَهِيضَ بها
إلّا وَشَعْشَعَ مِن بغدادَ جانِبُها !
إلّا وَكانت عُيونُ الأرضِ شاخِصَةً
لِطَلْقِ بغدادَ .. في صَمتٍ تُراقِبُها
حتىٰ إذا رَحِمُ السَّبعينَ مُعجِزَةً
أعطىٰ الهديَّةَ ، جَلَّ اللهُ واهِبُها
دَرَّتْ جَميعُ ثُدِيِّ الأرضِ غامِرَةً
مِن دون أنْ يحلبَ الأثداءَ حالِبُها !
هيَ الحضارةُ .. أرحامٌ مؤجَّلَةٌ
مؤشَّرٌ في بطونِ الغَيبِ صاحِبُها
قد يَعقُمُ الكونُ طُرّاً لا مَخاضَ بِهِ
إلّا الحضاراتِ ، لا تَفنىٰ خَواصِبُها !

* * *

كَمْ مَرَّ بغدادُ ، مِن هارونَ مُغتَمِراً
إلىٰ جيادِ صلاحِ الدينِ راكِبُها ؟
ألفٌ ؟؟ إذَنْ ألفَ عامٍ شَمسُكِ انطَفأتْ
علىٰ المَدارِ ، وَلَم تُوقَظْ لَواهِبُها !
وألفَ عامٍ مِياهُ الرافِدينِ كَبَتْ
وكلُّ أنهارِها جَفَّتْ مَسارِبُها

وألفَ عـــامٍ بيـــوتُ النـــاسِ مِن وَجَـعٍ
تُبقي على كـلٍّ بــابٍ مَن يُـوارِيُهـا !
مَـــرَّتْ عليـكِ مـآسي الأرضِ أجمَعِهـا
وصَــوَّتَتْ فيـكِ أحقــابـاً خَـرائِبُها
وأنتِ حُبْلىٰ بكــلِّ الضـوء .. صـامِتَـةٌ
صَمْتَ البـــراكينِ إذْ تَغْلي رَواسِبُهــا !
مختــومَــةٌ بِجَـلالِ الله .. نـاطِــرَةٌ
شَمســـاً يُضيءُ بــامـرِ الله غـارِبُهـا
وكــانَ يَـومُـكِ هٰـذا ، إذ جَمَعتِ بـهِ
مخـاضَ سَبعينَ قـرنـــاً عـادَ غـائِبُها !

* * *

أكــانَ هارون ؟ .. المـامـون ؟ .. أمْ جـذَبَتْ
كلكـــامشـــاً وحمـــورابي جَـــوانِبُهـــا ؟
هـــل التَقَتْ بصـــلاح الـــدينِ كـــوكَبَـةٌ
بَلْقـــاءُ ، آشـــور بـــانيبـــال واثِبُهـــا ؟
أمْ كلُّهم ، ونبـــوخَـــذْ نُصَّـــرٍ ، جُمِعـــوا
في صـــورةٍ عَينُهـــا منهم وَحـــاجِبُهـــا !
وَعَقْلُهـــــا ، وأمــــانيهـــا ، وحِكمَتُهـــــا
وَصَبْــرُهــا .. وارتَــوَتْ منهم مَنــاقِبُهــا
فكــانَ صَـدّامُ .. هٰـذا الكـونُ في رَجُـلٍ
والصُّـــورُ في أُمَّـةٍ شــاخَتْ مَصـائِبُهــا

فَصـــاحَ صَيْحَتَـــهُ فيهـــا ، وَقَــد صُعِقَتْ
وكيفَ تَثْبُتُ من صَـــدَّام شـــاعِبُهـــا ؟!
لٰكنْ بعلمِ عَليمٍ أنَّهـــــــــا جَفَلَتْ
لكي تَعــودَ إلىٰ المَســرىٰ هَــوارِبُهـــا !
هٰـــذي حضـــارَةُ واديـــكَ الَّتي وَلَـــدَتْ
مَجـــرَّةً مِن نجـــومٍ .. أنتَ ثـــاقِبُهـــا
يَكـــادُ مَـــولِـــدُكَ الـــزّاهي يَعـــودُ بِهـــا
نَجْمَـــاً فَنَجْمَـــاً .. تُعَـــرِّيها غَيـــاهِبُهـــا !

* * *

يـا حـامـلًا جَـذْوةَ التَّـــاريخِ في دَمِـــهِ
يُضفي عَلَيْهـــا ، ولٰكنْ لا يُطـــالِبُهـــا !
وَمُـــوقِظـــاً صُـــوَرَ الأَجـــدادِ .. تَحْسَبُـــهُ
يَكـــادُ في الســـرِّ أحيـــانـــاً يُخـــاطِبُهـــا !
وَمُشْـــرَئِبّـــاً إلىٰ الآتي بـــألفِ يَـــدٍ
وألفِ عَينٍ علىٰ المـــاضي يُغـــالِبُهـــا !
يـــا صَفْوَ تـــاريـــخِ هٰـــذي الأرضِ أَجمعِهـــا
ويـــا خُـــلاصَـــةَ مـــا أعطَتْ تَجـــارِبُهـــا
إنْ لَم تَكُنْ أنتَ مَن يُحْيي مـــروءَتَهـــا
وَزَهْـــوَهـــا ، فَبِمَنْ تُحيىٰ ذَواهِبُهـــا ؟!

سَبعــونَ قـــرنــاً ، ثَقيـلاتٌ رَكـائِبُهـا
كُثْـرٌ هَـلاهيلُهــا .. كُثْــرٌ حَـرائِبُهــا
مَليئَــةٌ بــالنَّــدى يَهمي نَســائِمُهــا
مَليئَــةٌ بــالــرَّدى يَــرمي خَــواصِبُهــا
يَقــولُ لي بَعضُ أهلي ، لا أبـا لَهُمــو
أيَقَظتَ سبعــةَ آلافٍ تُحــاسِبُهــا ؟!
كــأنَّمــا كــلُّ هــذا الصَّبْـر نَصبِـرُهُ
والكبــريــاءُ التي مــا مــالَ جــانِبُهــا

وكــلُّ هــذا التَّحَـدّي .. والبِنــاءُ بــهِ
في قلبِ مَــذبَحَــةٍ تَهمي شَــواخِبُهــا
ليست بَنــاتِ السِّنين المــاضيــاتِ ، ولا
منهــا سَنــاهــا ، ولا هــذي عَــواقِبُهــا :
أنَّ الجذوع .. جذوعَ النَّخلِ .. قَد صَمَدَتْ
لِهُــولَــةٍ هَــزَّ جِــذعَ الأرضِ حــاطِبُهــا
وأنَّ أهلي العــراقيِّين قَــد جَمَحَتْ
أعـراضُهم أنْ يُقـالَ الشِّـرْكُ غـاصِبُهــا !
وأنَّ أرواحَهم ، ظلَّتْ مُغــاضِبَـــةً
وإنْ يَـكُ الكـونُ طُــرّاً من يُغـاضِبُهـا !

وأنَّ أصـــواتَهم عُمْقَ السَّمـــاء لَهـــا
رَجْـعٌ .. وقـــامـاتِهم شُمٌّ مَنـاكِبُهـا !
شَعبٌ لِسَبعينَ قـــرنـــاً روحُـــهُ صُقِلَتْ
حتَّى غَـدا مِثْـلَ حَـدِّ المـاسِ ثـاقِبُهـا !

* * *

يـــا أيُّهـا المُـوقِظُ الاحسـابَ أجمعَهـا
وإنْ تَكُنْ أصبحَتْ شَتَّى مَـــذاهِبُهـــا
جَمعتَهـــا في مَهَبٍّ لا مَحيـــدَ لَهـــا
عَنـــهُ ، فَمَغلـوبُهـا فيـهِ ، وغـالِبُهـا !
صـوتُ الكَـرامَـةِ .. أيقَظْتَ الجَميـعَ بِـــهِ
فَصـارَ يَخشىٰ مِنَ المَسلـوبِ ســالِبُهـا !
وأصبحَتْ كـــلُّ أرضٍ من مَـــواطِنِنـــا
تَنـــوسُ ، حِـذْراً مِن الآتي ، عَقـارِبُهـا !
يـــا نـادبـاً مِئَتَيْ مليـون .. صَيْحَتُـــهُ
لا بـدَّ يعلـــو مـع الأيـام نـادِبُهـا
وَسَـــوفَ تُبْصِـرُ أمـريكـا وجَـوقَتُهـا
أنَّ الشعـــوبَ لَهـــا أيضـاً مَخـالِبُهـا !
يـــا واهِبَ الأُمَّـــةِ العَـــزْلاء أسْلِحَـــةً
كـانت لهـا قبـلَ أن تغفـو مـواهِبُهـا

أصبحتَ أصـــدَقَ مـــرآةٍ لـــواقِعِهـــا
طلـــويُها بـــكَ يَسْتَعصي ، وطـــالِبُهـــا !

وعَينُهـــا أنتَ لـــلآتي .. وقـــائِـــدُهـــا
فـــاسلَمْ لَهـــا ، فَبِـكَ المجهـولُ هـــائِبُهـــا !

* * *

نشرت في جريدة الجمهورية في ٢٨ نيسان ١٩٩٢

أنت شوط الدنيا

كلُّ قَولٍ بِلا رضاكَ نِفاقُ
لَيسَ قَولًا ما لَم تَقُلْ يا عِراقُ !
لَيسَ قَولًا ما لَم يَقِفْ سَعَفُ الـ
نَّخلِ شهوداً .. وَتَنهضِ الأَعْذاقُ
ناثراتِ الشُّعور حتى لَيَغدو
فَوقَها التَّمرُ حَنْظَلًا لا يُذاقُ !
لَيسَ قَولًا إلّا وماءُ الفُراتَينِ
لَهُ عِدْلَ مَوجِهِ أَحداقُ
جاحِظاتٌ ، وللشَّواطيءِ آذانٌ
وَلِلحَقِّ صَرخَةٌ لا تُعاقُ !
لَيسَ قَولًا إنْ كانَ لا قَولَ إلّا
ما يقولُ الأَوغادُ والفُسّاقُ !

* * *

كـــلُّ قَـــولٍ بِـــلا رِضـــاكَ نِفـــاقُ
وحـــدَكَ الصَّـــوتُ والصَّـــدىٰ يـــا عِـــراقُ
وحـــدَكَ الـــرَّجْـــعُ للمَظـــاليمِ طَـــرّا
فيـــكَ عُـــرسُ الـــدِّما ، ومنـــكَ الصَّـــداقُ
والشُّعـــوبُ الَّتي استُفِـــزَّتْ جَميعـــاً
أنتَ أزكىٰ دمٍ لَـــدَيهـــا يُـــراقُ !
إنْ تُقَصَّـــز فكـــلُّ طفـــلٍ علىٰ أرضي
يَتيمٌ .. وكـــلُّ عُـــرسٍ طَـــلاقُ !

* * *

لِتَقِف كـــلُّ نجمـــةٍ في مَـــداهـــا
وحـــدَكَ الآنَ كَـــوكَبٌ بَـــرّاقُ !
الجِـــراحـــاتُ ، والنِّصـــالُ الَّتي فيهـــا
.. وهٰـــذي الحُتـــوفُ ، والأزمـــاقُ
وصُـــراخُ الأطفـــالِ .. والنَّـــزفُ حتَّى الـ
ـمـــوتِ .. والـــرَّفضُ مـــا أُطِيـــلَ الخَنـــاقُ
هيَ شمسُ الـــدُّنيـــا ، وأَبهىٰ سَنـــاهـــا
أنَّـــكَ الآنَ واللَّيـــالي سِبـــاقُ !
أنتَ شـــوطُ الـــدُّنيـــا إلىٰ مـــا تَبَقَّىٰ
مِن ضَميـــرِ الـــدُّنيـــا .. وأنتَ اللَّحـــاقُ !

كـــلُّ قَـــولٍ بِـــلا رِضـــاكَ نِفـــاقُ
كـــلُّ بَـــذْرٍ بِـــلا سَنـــاكَ مُحـــاقُ
كـــلُّ عَقْـــدٍ بـــدونِ رأيِـــكَ خُلْفٌ
كـــلُّ سَعيٍ بِـــدونِـــهِ إخفـــاقُ
مُنْـــذُ تمّـــوز ســـومـــريّـــاً عَـــرَفْنـــا
أيَّ خِصْبٍ دامٍ إليـــــهِ نُســـــاقُ
وَعَـــرفْنـــا أيَّ انْضِفـــارٍ ضُفِـــرْنـــا
بـــالمَنـــايـــا .. تَلْتَفُّ ســـاقٌ وَسَـــاقُ
العِـــراقيُّ ، والحُتـــوفُ ، وَخِصْبُ الـ
أرضِ .. ثـــالـــوثُ عُمـــرِنـــا الخَـــلّاقُ !
تـــاكـــلُ الارضُ لَحمَنـــا إذْ نَفِيهـــا
القَـــرابينُ نَحْنُ ، والعُشّـــاقُ !
فَنـــواعيـــرُنـــا عَلَيهِنَّ يُغفىٰ
وعلىٰ سَكْبِ جُـــرحِنـــا يُستَفـــاقُ !
وَعلىٰ كـــلِّ مـــا بَـــذَرْنـــا بِهـــذي الـ
أرضِ ، للمَـــوتِ والحيـــاةِ اعتِنـــاقُ
فَلْيُطَـــوِّقْ كـــلُّ الظّـــلامِ قُـــرانـــا
وَلْيُحيقـــوا بِـــزَرعِنـــا مـــا أحـــاقُـــوا

وَلْيَشُبُّوا النِّيرانَ في ذَهَبِ الـ
سُنبُلِ، تمتَدُّ حولَهُ الأعْناقُ
لَنْ يُميتوا تمُّوزَ فينا حنينَ الـ
أرضِ، بَلْ يَستَفِزُّهُ الإحراقُ!
لَنْ يُذِلُّوا، ما طَوَّقوا، رِحِمَ الـ
أرضِ .. فَلِلأرضِ فَزْعَةٌ لا تُطاقُ!
وَلَها نَخوَةٌ، لو المَوتُ عَرَّى الـ
عُودَ فيها، ضَجَّتْ بِهِ الأوراقُ!
لِيُطَوِّقْ حِصارُهُم كلَّ بيتٍ
وَلْتَقِفْ هذه الوجوهُ الصِّفاقُ
حولَ كلِّ الأبوابِ .. حتَّى الشَّبابيك
.. لِيُحْزَمْ في كلِّ جذعٍ نِطاقُ
لِنَرى للإرادتَينِ .. مَن القزمُ
وَمَن في صُمودِهِ العِملاقُ!

* * *

سَيَظَلُّ العَطاءُ تَمَّوزُ فينا
قَدَراً لا تَحُدُّهُ الأطواقُ
وَيَظَلُّ البِناءُ تَمَّوزُ فينا
ثورَةً لا يَنالُها الإرهاقُ

لا نُديرُ الرؤوسَ إذْ نحْنُ نبني
لِنَرى ما تقولُهُ الأبواقُ
عُمْرَ عشتار لَم تُجِبْ شاتِميها
ذُروَةُ الخِصْبِ عندَها الأخلاقُ !

* * *

وقْفةٌ يا عِراقُ .. كلُّ الغَوالي
يَتَمنَّينَ لَو أشارَ العِراقُ !
لأتتْكَ القُلوبُ مِن كلِّ حَدْبٍ
ولَطارتْ بأهلِها الأشواقُ !
قُلْ لِتَمّوزَ إنَّ كلَّ شموسِ الـ
ـكونِ مِن شمسِهِ لَهُنَّ ائتِلاقُ
فإذا ما دَجا بأرضٍ ظَلامٌ
فَلَها مِن صُمودِنا إشراقُ
قُلْ لَهُ إنَّ كلَّ غُصنٍ علىٰ الـ
أرضِ ، لَهُ مِن مياهِنا إيراقُ
قُلْ ، إذا ضَجَّتْ السَّماءُ ضَجيجاً
وادلَهَمَّتْ مِن رُعْبِها الآفاقُ
ويَدَوْنا كأنَّ جِنْحَ السَّماواتِ
لَهُ فوقَ أرضِنا إطباقُ

فَلْيُــــذَكِّـــرْ تَمّـــوزُ كـــلَّ البَـــرايـــا

إنْ تَحَـــدّاهمُ الـــرَّدَىٰ ، أنْ يُـــلاقُـــوا !

أســـرَعُ المـــوتِ أن تَفِـــرَّ أمـــامَ الـ

مـــوتِ .. والأمْنَـــعُ الَّـــذي لا يُسَـــاقُ !

هٰكـــذا يـــا عِـــراقُ عَلَّمَنـــا صَـــدَّام

.. والعِلْمُ عِنْـــــدَهُ أخـــــلاقُ

هـــوَ فِعْـــلٌ نَعيشُـــه كـــلَّ يـــومٍ

لا كـــــلامٌ يُحكىٰ ، ولا أوراقُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١٧ تموز ١٩٩٢

حد الفراتين غير اللّه ما دخله

أمّـــا الْعــراقُ فَــلا ، يا أيُّهــا السَّفِلَـهْ
دونَ العـــراقِ دمـــاءُ اللّـــهِ مُحتَملَــهْ
حتّىٰ الحيـــاةُ لَهـــا إرْثٌ يُعَـــوِّضُهـــا
قُلْ لي .. عِراقُكَ هٰذا ، مَن تَرىٰ بَدَلَهْ ؟
لا ، ليسَ قَــولًا .. دمائي كلُّها صَـرَخَتْ
لا .. وهيَ تــركضُ في الأعراقِ مُشتَعِلَـهْ
لا ، وَليَكُنْ مَعَكم نجمُ السَّمـــا رُجُمـــاً
حَـدُّ الفُـراتَينِ غيـــرُ اللّـهِ مـــا دَخَلَـهْ !
واللّـــهِ ، حتّىٰ رمـــوشُ العَينِ مِن غَضَبٍ
تغـدو سيــوفـــاً علىٰ الأجفـانِ مُقتَتِلَــهْ !

يا أيُّهـا القَتَلَـهْ

إنَّ العـراقَ عِـراقُ اللّـهِ حُـرمَتُـهُ
في ذِمَّـةِ اللّـهِ تَبقىٰ ، أيُّهـا القَتَلَـهْ
وَنَحْنُ أهـلٌ لَـهُ .. أهـلٌ لِحُـرمَتِـهِ
ذَلَّ العـراقيُّ لَـو نُقصـانُكُم وَصَلَـهْ !
أعـراضُنـا ، وبيـوتٌ لا نُحـوِّلُ عَن
أبـوابِهـا العَينَ ، حتَّىٰ وهيَ مُنْقَفِلَـهْ
كيفَ الـدّخـولُ عليهـا وهيَ مُغْلَقَـةٌ
وكـلُّ بيتٍ بِهـا مُستَنفِـرٌ رَجُلَـهْ
عُمْـرَ العـراقيِّ لا يُـدْنىٰ لِغَيـرَتِـهِ
حَمَّالُ كلِّ الأذىٰ ، والعارَ ما احتَمَلَـهْ
فَلْتَخسَـأ الأرضُ ، كلُّ الأرضِ ، إنْ بَـذَلَتْ
لِطَغْنِـهِ مـا لإشـراقـاتِهـا بَـذَلَـهْ
أعطىٰ لِسَبعينَ قَـرنـاً .. لا نَخـاهُ بِهـا
نـاخٍ .. ولا سـائِلٌ عَن فَضْلِـهِ سَـأَلَـهْ
حتَّىٰ إذا الحيَّـةُ اشتَـدَّتْ نَـواجِـذُهـا
سالَتْ إليـهِ من الـزَّرعِ الَّـذي شَتَلَـهْ !

* * *

لا بـــأسَ ، كـلٌّ لَــهُ أخـلاقُــهُ .. وَلَنـا
أنَّــا غيـــومٌ بِخَيـــرِ المـــاءِ مُنهَمِلَــهْ
فَـــإنْ تَجــرَّحَ فينـــا نَبْـــعُ عِـــزَّتَنـــا
فـــالوَيْـلُ لـلأرضِ مِن أوجـاعِنـا الهَطِلَـهْ !

* * *

لَنْ نَســــألَ العـالَمَ الـدَّجَّـالَ مَكـرُمَـةً
لَقَـــد رأيْنـــا مَـــدىٰ أعمـــارِنـا دَجَلَـهْ
لكنَّنـــا نســـألُ الاهْلِينَ .. أرضُهُمـــو
هٰـذي .. كَـرامَتُهُم هٰـــذي .. أمُفتَعَلَـهُ ؟؟
أم أنَّـــهُ شَـــرَفٌ تَـــدري دِمَشقُ بِـــهِ
يَـــومَ العـــراقُ علىٰ فـــولاذِهـــا حَمَلَـهْ !
وجاءَ يَركضُ .. لَمْ يســـألْ .. ولا عَثَرَتْ
دروعُــــهُ بِسِوىٰ الجَفْــلِ الَّـذي جَفَلَـهْ !

* * *

بَلىٰ .. لكــــلِّ العِــــراقيِّينَ غَيْــــرَتُهُم
وَكلُّهُم بَطَـــلٌ « لَـــولَتْ » لَــــهُ بَطَلَـهْ !
يــا مــاءَ عَيني العــراقيِّين .. يــا شُهُبـاً
حتَّىٰ إلىٰ المـــوتِ تَمضي وهيَ مُحتَفِلَهْ !

يُمَسُّ نَجمُ السَّمــــا ، لَكنْ عَقيلَتُهم
لَـــو طائِـــرٌ مَسَّها يَلقىٰ بِهــا أَجَلَـهْ !
وَهـــــا عَقيلَتُهُم طُـــــرّاً تُهيبُ بِهِم
أرضُ العِراقِ .. ألا لا عاشَ مَن خَـذَلَهْ
واللّـــهِ نـــاتيــكَ والأبصــارُ جــاحِظَــةٌ
والهـــامُ شَعْثــاءُ ، والقُمصــانُ مُنْهَـدِلَـهْ !

نَصيــحُ صَيْحَـــةَ مَطعــونٍ مُــدَوِّيَــةً
أصــــداؤها بِعَـــويــلِ النَّخْــلِ مُتَّصِلَــهْ !
يــا مَن نَـدَبْتَ لهــا .. نــاتيـكَ أعيُنُنا
بِكِبْـــريـــــاءِ تُــــرابِ الأرضِ مُكتَحِلَــهْ
لَقَـــد كَفَلنـــاكَ يـــا أعلىٰ شَـــواهِقِهــا
وكُـــلُّ كَفّـــالِ أمـــرٍ والَّـــذي كَفَلَـــهْ
فَسَـــلْ جَميـــعَ العِـــراقيِّين عَن دَمِهِم
فَـــرُبَّمـــا سَمِعَتْ أعـــداؤكَ الجَهَلَـــهْ
لأيِّ مَـــذْبَحَـــةٍ تَسعىٰ .. وأيِّ دَمٍ
في أيِّ أرضِ العِـــراقيِّينَ تَحفُـــرُ لَـــهْ ؟!
لَتُصبِحَنَّ بـــآبـــارِ الـــدِّمـــاءِ غَـــداً
آبـــارُ نفطِ العِـــراقيِّين مُغتَسِلَـــــهْ !

وَلْيَنْطَعَنَّ شَعَيـــلُ النّـــارِ مِن نَمِنـــا
حتَّىٰ يهدورَ علىٰ النَّذلِ الَّـــذي شَعَلَـهْ !

* * *

أمَّـــا الشّمـالُ ، فَـأهلي الكُـرْدُ مَسْبَعَـةُ
وكـلُّ ذي جَبَـلٍ يَحمي بِهـا جَبَلَـهْ
واللّــهِ ، عِشْتُ سِنينـاً في مَـرابِعِهِم
لَم أَلْقَ إلّا نُفـوسـاً بـالهَـوىٰ ثَمِلَـهْ
مَفتـونَـةً بصخـورِ الأرضِ .. مُخلِصَـةً
حَمّـالَـةً للعَطـاءِ الصَّعبِ .. مُحتَمِلَـهْ
أولاءِ تَبقىٰ بـلادي في شَـوارِبِهِم
عَهداً ، جَميعُ دِمـاهُمْ عَنْهُ مُنْسَئِلَـهْ !

* * *

وللجنـوبِ هَـلاهيـلٌ .. وَمـأسَـدَةٌ
علىٰ أعَـزِّ أسـودِ الأَرضِ مُشْتَمِلَـهْ
أولاءِ مِن ثَـورَةِ العشـرين يَسْبِقُهُم
صَغيـرُهُم للـرَّدىٰ ، والأُمُ تَهـزَجُ لَـهْ !
يـا فـالَـةً لَم تَـزَلْ تُـوري ضَغـائِنَهُم
كـأنَّهـا فيهمـو لـلآنَ مُنْشَتِلَـهْ !

* * *

وَللفُـــراتِ ، وَزَهـــوي مِن غَـــوارِبِـــهِ
مَـــلاحِمُ قَطُّ لَم يُغمِضْ بِهـــا مُقَلَـــهْ
لليَـــومِ وَالمـــاءُ في شَطَّيـــهِ مُعتَـــذِرٌ
إلىٰ الحُسَينِ عَنِ الـوَغْدِ الَّـــذي قَتَلَـهْ !

* * *

وَصَقْـــرُ حِطِّين .. تَـــدري كُـــلُّ ثـــاكِلَـــةٍ
في الغَربِ عَن مَنزِلِ الموتِ الَّذي نَـــزَلَهْ
لَقَـــد أراكُم صَـــلاحُ الـــدِّين أيَّ دَمٍ
في هٰـــذِهِ الأرضِ يَجري .. أيُّهـا الثُّكَلَـهْ

يا أيُّهـــا السَّـــفِلَهْ

أمَّـــا العِـــراقُ فَـــلا ، يا أيُّهـــا السَّفِلَـهْ
فَلْيَقطَعَنْ مِنْـــهُ أعْتىٰ بَطشِكُم أمَلَـــهْ
لَن تَـــدخُلـــوهُ ، وَلَنْ تُـــرخي مَـــآذِنُـــهُ
لَكُم بَـــلاعيمَهـا في الأرضِ مُنجَـــدِلَـــهْ !
لَن تَلمَســـوا لِعَليٍّ طُهْـــرَ مَـــرقَـــدِهِ .
أو ذَرَّةً بِـــدِمـــا أولادِهِ خَضِلَـــهْ
هُنـــا الحُسَين .. هُنـــا أولادُ والِـــدِهِ
هُنـــا جَميعُ سُتـــورِ اللَّـــهِ مُنْسَـدِلَـــهْ

فَكَيفَ تُغشىٰ ؟ .. وَمَن يَغشىٰ مَحــارِمَهـا
وَحَــولَهــا اللّــهُ ، والأرواحُ مُبتَهِلَــهْ ؟
لا .. لَن يَكــونَ عِراقَ الـلّائـذينَ بِكُم
وَلَن يكــونَ عِــراقَ الأنفُسِ الــوَجِلَــهْ
لٰكنْ عِــراقُ الّــذينَ استَنْفَــروا دَمَهُم
في القــادسيَّةِ حتّىٰ قــاتَلـوا الفِيَلَــهْ !
عِــراقُ مَن ثــورَةُ العِشــرين تَــذْكُرُهُم
في العــارضيَّاتِ ، يــومَ الأرضُ مُنْذَهِلَــهْ
تــرنــو إليهم ، ولِلفــالاتِ في يَــدِهِم
هَــلاهِلٌ .. وعيــونُ « الطّــوب » مُنسَمِلَـهْ !
هــوَ العِــراقُ ، فَــلا قَــرَّتْ مَحَــاجِــرُكُم
عِــراقُ صَــدّام ، واللّــهِ الّــذي جَبَلَــهْ
لكي يكــونَ سَنىً للكَــونِ أجمَعِــهِ
يَبقىٰ العِــراقُ مَهيبــاً ، مُشــرِعــاً أَسَلَــهْ
وَسَــوفَ يَبقىٰ طَهــوراً ، شــامِخــاً ، أَنِفــاً
جَنــوبُــهُ غيــرَ ضَــوءِ اللّــهِ ، مــا نَــزَلَــهْ !

❁ ❁ ❁

نشرت في جريدة القادسية في ٢٩ آب ١٩٩٢

لا نــوم يا عــراق

(١)

للتَّعبِئة
سأظلُّ أكتبُ كالصُّراخ
قصائداً للتَّعبِئه
أنا ليس لي وقتٌ أفَلسِفُ ما أقول ،
وأنتَ قيدَ التَّجزِئهْ ..

(٢)

لَستُ أُصَدِّقُ نَفسي
أنا مِن ميسانْ

أفأحتاجُ جوازَ سَفَرْ
لأراجِعَ مَسْقَطَ رأسي ؟!

(٣)

سأوَسِّعُ أشداقَ الكَلِماتْ
سأقولُ بأنَّ الكُرَةَ الأرضيةَ دارَتْ
وانكسرَ القوسُ
فغاصتْ في الظُلُماتْ
سأقولُ بأنَّ معادلَةَ الأسوَدِ والأبيضِ
تُلغىٰ
فالأسوَدُ صارَ رماديَّ القَسَماتْ
لكنّي أوثِرُ أن أصرخَ :
يا وَطَني
أنتَ تُقاتِلُ مُنفَرِداً
فالعالَمُ ماتْ
أنتَ تُقاتِلُ مُنفَرِداً
فالعالَمُ ماتْ ...

(٤)

انا محمود العماري
هٰكذا سُمِّيتُ ،
حتّىٰ عندما آلت إلىٰ بغداد داري
علَّموني ،
هَل سَيَغدو أجنَبيّاً لَقَبي
أجنَبيّاً نَسَبي
عندما تَصبَحُ ميسانُ بلاداً بِقرارٍ؟!

(٥)

لجميع الشُّعراء
للشباب الغَضِّ منهم ،
فَلَهُم هٰذا النِداء :
لا تَخافوا الإحتراقْ
لا تناموا ..
لا ينامُ الآنَ عُشّاقُ العِراقْ
أنتمو أصواتُهُ المُنتَظَرة

لا يَضِعْ منكم فيغدو صمتُكُم
مثلَ صَمتِ المَقْبَرَهْ ..!

(٦)

لا .. لَن نَخونَكْ
وحياةِ حُبِّكَ
تدخلُ الاضلاعُ في الاضلاعِ دونَكْ !
وَنَسدُّ دَربَ المَوت ،
بالآلافِ نَهوي يا عِراقْ
وأنتَ غافٍ ..
يحرسُ المَولىٰ جفونَكْ !

(٧)

للبَرديِّ ،
وللقَصَبِ الغافي فَوقَ الأَهواز
لنشيجِ الأَمطاز
في باحَةِ بَيتي

ولمزرابٍ أذكُرُهُ ..

مَجروحِ الصَّوتِ

يَهمي طولَ اللَّيلِ بأسفَلِ شُبّاكي

مُنفَرِداً ، باكي

لِشُجَيرَةِ سِدرٍ لا أنساها

لِمَحَلَّةِ أهلي

لبيوتٍ سُكِنَتْ قَبلي

سُكِنَتْ بَعدي

لَم تَتَغيَّرْ في قَلبي ذِكراها

أكتبُ مَذبوحَ الوجدانْ

أفيمكنُ أن يصبحَ بَيتي فيك

بِلاداً أخرىٰ يا ميسانْ ؟!

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٦ ايلول ١٩٩٢

في رحاب النجف الأشرف

شَـــرَفٌ لَيس بَعـــدَهُ شَـــرَفُ
أنَّـــكَ الآنَ عَـــرشُـــكَ النَّجَفُ
أيُّهـــا المُستَقَـــزُّ أجنِحَـــةً
في رِحـــابِ الكـــرّار تَـــرتَجِفُ
شَـــرَفٌ أنَّ كـــلَّ بـــارِقَـــةٍ
أو رَفيفٍ مَن رَهبَـــةٍ يَجِفُ
بجنـــاحَيْـــكَ أنَّ خَفْقَهُمـــا
لِعَليٍّ بـــالحبِّ يَعتَـــرِفُ

* * *

شَـــرَفٌ لَيس بَعـــدَهُ شَـــرَفُ
أنَّـــكَ الآنَ بَيتُـــكَ النَّجَفُ

إنْ تكُنْ قـــد وَقفتَ مُضطَــرِبــاً

فـــالنَبيُّـــونَ هُهُنـــا وَقَفـــوا

أو تَكُنْ جئتَ نـــازِفـــاً فـــاقِـــلْ

فـــالنَّبيُّـــون هُهُنـــا نـــزَفـــوا

وَتَـــواضَـــعْ ، فَكـــلُّ أنْمُلَـــةٍ

هُهنـــا فَـــوقَهـــا دَمٌ يَكِفُ !

مِنْ عَليٍّ لليـــوم هـــاطِلَـــةٌ

تَحتَهـــا الـــرّاسِيـــاتُ تَنخَسِفُ

فـــاختَصِـــرْ إنْ تكنْ أتَيتَ لكي

تُعلِنَ الحُـــزنَ أيُّهـــا الكَلِفُ !

❋ ❋ ❋

عَجَبي يـــا حُسَينُ كيفَ هُنـــا

ليسَ يَحمَـــرُّ لَـــونُـــهُ السَّعَفُ !

كيفَ تَبقىٰ السَّماءُ صـــاحيـــةً

هٰكـــذا ، والغُصـــونُ تَنعَطِفُ

وَكـــانْ لَم يَكنْ هُنـــا مطـــرٌ

دَمُـــهُ عِـــدْلَ نـــارِهِ يَـــزِفُ !

❋ ❋ ❋

تُـــــربـــــةُ الأنبيـــــاء يَعصِمُهـــــا
أنَّهـــــا الآنَ فَـــــوقَ مـــــا أصفُ
كُلَّمـــــا أُمطِـــــرَتْ زَهَتْ رُطَبـــــاً
بينَمـــــا حمـــــلُ غيـــــرِهـــــا حَشَفُ !

* * *

سَيِّـــــدي يـــــا عَليُّ ، مَعـــــذِرَةً
أنـــــا مِن راحَتَيْـــــكَ أغتَـــــرِفُ
أبلَـــــغُ القَـــــولِ أنتَ سَيِّـــــدُهُ
والـــــورىٰ مِن نـــــداكَ تَـــــرتَشِفُ
فـــــإذا مـــــا وَقَفتُ مُـــــرتَبِكـــــاً
فـــــاعـــــذُرَنَ وَقفَتي الَّتي أقِفُ !
أنـــــا قَـــــد جِئتُ إذْ حَفيـــــدُكَ لي
هـــــاجِسٌ ، والحُسَينُ لي كَنَفُ
إنَّ صَـــــدَّام فَـــــرْعُ نَبْعَتِكم
الأبيُّ المُجـــــاهِـــــدُ الأَنِفُ
فـــــانتمـــــائي لَـــــهُ هُنـــــا مِقَـــــةٌ
وَوقـــــوفي لَـــــهُ هُنـــــا شَـــــرَفُ
لَستُ عُمـــــري عَليـــــهِ أختَلِفُ
لا ، ولا عَن مَـــــداهُ أنحَـــــرِفُ

وَلِعَينَيـــــهِ ، وَهـــوَ سِبْطُـــكَ ، بي
فـــرحَـــةٌ لا يَشـــوبُهـــا أسَفُ
إنَّمـــا جِئتُ حـــامِـــلًا وَجَعي
إنْ تَـــؤْذني فـــأينَ أنصـــرِفُ ؟

* * *

يـــا بنَ عَمِّ النَّبيِّ لُطفَـــكَ بي
وأجِـــرْني ، فـــالليـــلُ يَنْتَصِفُ
وأنـــا لَم أزَلْ أرىٰ قَلَمي
وَيَـــدي والسّطـــور تَـــرتَجِفُ
أنـــا في حَضـــرَتَيْـــكَ .. شـــاخِصَةٌ
مـــلءَ عَينيَ هـــذي .. وذي تَـــرِفُ
في ضلـــوعي .. مُـــذْ قُـــوِّسَتْ قَفَصـــاً
وَضلـــوعي عَلَيـــكَ تَعتَكِفُ !
فـــاقْبَلْني إذا كَبَـــوتُ هُنـــا
مِن خُشـــوعي .. وَتَغـــذُرُ النَّجَفُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٢

هكذا أنت يا عراق التحدي

هَـــدَأ الآنَ حَـــرُّ ذاكَ الفِـــراقِ
وَغَـــدا الــدَّمــعُ أنجُمــاً في المَــآقي
وَسَـــرَتْ كــلُّ نَسمَـــةٍ في مَـــداهــا
وَجَـــرىٰ المـــاءُ هـــادِئـــاً في السَّــواقي
وَجَمَعنـــا أشــلاءَنـــا .. مـــا تَشَظّىٰ
مـــا تَهـــاوىٰ .. مـــا جَفَّ مِن أرمـــاقِ
والتَقَتْنـــا لكُـــلِّ مـــا ضـــاعَ مِنّـــا
فَبَـــدا هَيِّنـــاً أمـــامَ العِـــراقِ !

* * *

أنـــا أدري أنَّ الأمـــومَـــةَ يَنـــدىٰ
ألفُ جُـــرحٍ فيهـــا مِنَ الإشفـــاقِ

أنا أدري أنّ الأبوّةَ قاسٍ
صَدْعُها، ما إليهِ مِن بِرْياقِ
أنا أدري باليُتْمِ، لكنّ أقسى الـ
يُتْمِ ألّا يَقيكَ في الأرضِ واقي!
حينَ تُمسي بِلا شَهادَةِ ميلادٍ،
لَقيطاً تُباعُ في الأَسواقِ!
وَلِهذا تأصّلَ الكِبْرُ فينا
حَدَّ أنْ صارَ ذروَةَ الأخلاقِ!
فَإذا ما رأيْتَ قَوماً تهاوى
قَدْرُهُم، والرِّقابُ فيهم بَواقي
فَتَذَكّرْ، أنّا سُلالَةُ قَومٍ
حَمَلوا تِبْرَهُم على الأعناقِ!
وَلِهذا نَموتُ .. لكنْ صُقوراً
في الذُّرى، لا نَموتُ في الأنفاقِ!

* * *

أيُّها الأكرَمونَ .. يا مَن شَهَقتُم
إذْ تَناهى الظّلامُ في الإطباقِ
فَنَشِبْتُم فيهِ خَناجِرَ ضَوءٍ
خَرَقَتْهُ خَرْقاً إلى الأعماقِ

فتهادى السّنا إلى الأرضِ مِنكم

وَبِكُم يا أوائِلَ العُشَّاقِ!

يا بَعيدونَ رُغمَ كلّ التَّداني

وَقريبونَ رُغمَ طولِ الفراقِ

إنْ تَكونوا غِبْتُم فَهذا سَناكُم

يَحضنُ الرّافدَينِ خَدَّ العِناقِ

كلُّ فَجْرٍ وَضوؤكُم ياسرُ الشَّمسَ

وَياتي بِها إلى الإشراقِ!

أيُّها الأكرَمونَ .. كلُّ اخضِرارٍ

بَينَنا ، نَفحَةٌ مِن الإيراقِ

أنتمو أهلُها ، وَيَبْقى نديّ الـ

عُودِ مِن ذلِكَ النَّجيعِ المُراقِ

كلُّ غَيمٍ أنتُم شَآبيبُهُ الـ

تَنبُضُ بينَ الإرعادِ والإبراقِ

موصِلاتٍ بِلا ضَجيجٍ نَداها

لِيُرَوِّي يَوَابِسَ الأَرياقِ!

وَيَظلُّ النَّخيلُ يَرنو إليكُم

دامِيَ السَّعْفِ ، موحَشَ الأَعذاقِ

وَتَظَلُّ القلوبُ تَخفُقُ شَوقاً

للتَّلاقي ، وأينَ مِنها التَّلاقي !

لا ادِّعاءٌ ، لكنْ بِصَمتِ الغَيَارى

لا غرورٌ ، لكنْ بِزَهْوِ الرِّفاقِ

المُحبِّين ، والمَهيضينَ جُرحاً

نَشرَبُ الصَّبرَ وَهوَ مُرُّ المَذاقِ

* * *

أيُّها الأكرَمونَ .. ذل التَّحدي

إنْ يَكُنْ مَحْضَ خَزْرَةِ الأحداقِ !

رُبَّما حَملَقَتْ عُيونٌ بِوَجْهٍ

وأرَقُّ الوُعودِ في الحِملاقِ !

كُلُّهُم هٰكذا ، وإلّا فَماذا

نُبصِرُ الآن غَيرَ ذُلِّ النِّفاقِ ؟

كُلُّ هٰذي الوجوهِ ، باسمِ التَّصَدِّي

للتَّرَدِّي تَلْتَفُّ ساقاً بِساقِ

وَيَبيعونَ .. يَشتَرون .. وَتَبقى

أنتَ غَضبانَ ، مُستَفَزَّ النُّطاقِ

هائِلَ الكِبرياءِ . تَنزِفُ لكنْ

حامِلًا ألفَ بَيْرَقٍ خَفَّاقِ !

هكــذا أنتَ يــا عِــراقَ التَّحَدّي

يــا منيعــاً في قِمَّـةِ الإرهــاقِ

الثَّـلاثــونَ دَولَــةً .. والجيــوشُ الـ

هُــوجُ ، مِن كــلِّ مجــرمٍ أفّــاقِ

جَــرَّحَتْــهُ .. أجَــلْ .. ولكنّهــا ذَلَّتْ

أمــامَ اصطِبــارِهِ الــلاقِ !

وتَملْمَلْتَ يــا نَبيــلَ الخَــلاقِ

يــا عَصِيّــاً على اشتِــدادِ الخَنــاقِ

رُحْتَ بــالكِبــريــاءِ والجُــرحِ تُبْني

كــلَّ مــا هَــدَّمَتْ يَــدُ الفُسّــاقِ

فَــأَرَيْتَ الــدُّنيــا ، وأولادَ عَمٍّ

لَــكَ كــانــوا في جَــوقَــةِ الإرتِــزاقِ

أنّنــا عِنــدَمــا نُــريــدُ التَّحَــدّي

فَــدِمــاءُ الــرِّجــالِ بَعضُ الصَّــداقِ !

* * *

أيّهــا الأكــرمــونَ مِنّــا جَميعــاً

ألفُ نجــوى لَكُم مِنَ الأعمــاقِ

ثمَّ عَهــداً مِنّــا لِــزاكي دِمــاكُم

أنّنــا وانتِقــامَهُم في سِبــاقِ

مــــا تَضِقْ قَبضَـــةُ الحِصــــارِ عَلَينـــا
إصبعــــاً ، إصبعــــاً ، بِحَــولِ العــــراقِ
سَــــوفَ نَلْــوي بِهــــا ، وَتَبقىٰ ذُرانـــا
هُــولَــةَ الكِبْــرِ، عــاليــاتِ المَــراقي!

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١ كانون الاول ١٩٩٢

مياه الصبر

نهــــرٌ مِنَ الماءِ، أم نهـرٌ مِنَ الـدَّمِ
أَجــرَيْتَ أمــواجَــهُ في ذروَةِ الألَمِ !
كــأنما قُلتَ للـدُّنيـا بــاجمعِها
هـذا تَحَـدّي العِـراقيِّين فـاستَلِمي !
يا غـامـرَ الارضِ ماءً كُلَّما عَطِشَتْ
وغـامـرَ الارضِ إنْ ذَلَّتْ مَسيـلَ دَمِ
واللهِ ما نـاوَأتْـكَ الـرُّومُ أجمَعُها
لَوْلا رأتْ مِنكَ فيها فيها طيفَ مُعْتَصِمِ !
لَـولا رأتْ مِن صَـلاح الـدِّينِ رايَتَـهُ
وَسيفَ هـارونَ بينَ الـرُّومِ والعَجَمِ
أُولاءِ أجـدادُكَ المَيمـونُ طـالِعُهُم
الـزّاحِمـونَ العَـوادي أيَّ مُـزْدَحَمِ

كانوا شموساً على الأيامِ مُشرقَةً
وأنجُماً في غَيْهبِ الظُلَمِ
إنْ قاتَلتْهم على أوطانِهم أمَمٌ
فانتْ خصمُكَ مِنها هَياةُ الأمَمِ!

❁ ❁ ❁

نهرٌ مِنَ الماءِ، أم نهرٌ مِنَ الشِّيَمِ
أمْ نهرُ صبرٍ بِكُلِّ الكِبْرِ مُحتَزِمِ!
بكلِّ ما في العِراقيِّينَ مِن وَجَعٍ
وَكلِّ ما في العِراقيِّينَ مِن هِمَمِ
هَقَّتْ سَواعِدُهُم مَجراهُ مُثبِتَةً
ضَآلَةَ الظُلمِ إذْ تَعلو يَدُ القِيَمِ
وَعَجزَهُ، وَهوَ غُولٌ، أنْ يَمُدَّ يَداً
لِقَطرَةِ الماءِ في تَيّارِكَ العَرِمِ!

❁ ❁ ❁

يا نَهرَ صَدّام .. لَم يُطلَقْ على نَهَرٍ
إلّاكَ، إسمٌ لِبحرٍ بالِغِ العِظَمِ!
وَلَم يُقلْ لمياهٍ حَيثُما نَفَقَتْ
أنتِ المَعاييرُ بينَ البُرءِ والسَّقَمِ

إلّاكَ أنتَ ، فهـــذا المـــوجُ مُعْجِـــزَةٌ
قَصيـــدَةٌ دونَ قِـــرطـــاسٍ ، ولا قَلَمِ !
فَلَيْتَ مـــاءَكَ مِن صَـــدّام شِيمَتُـــهُ
لِكي يَفـــوقَ علىٰ الأنهـــارِ في النِّعَمِ !
وَلَيْتَ جُـــرْفَـــكَ مِن شُطـــآنِ هَيْبَتِـــهِ
يَدنو ، لِيَغْـــرِفَ مِنها مَـــوضِعَ الشَّمَمِ !
فَـــلا يَشيـــخُ ، ولا تَبكي نَـــوارِسُـــهُ
ولا تَنـــامُ بِـــهِ عَينٌ علىٰ وَرَمِ !
ويـــا أخا الـــرّافِـدَينِ الخـالِـدَينِ بِمـــا
تَـــأبَّدا فَـوقَ هٰـذي الأرضِ مِنْ قِـدَمِ
لَئِنْ تَـــأَخَّـــرْتَ عَنْ مَجـــراهُمـا زَمَنـاً
فَسَـوفَ تَبلغُ نَفْسَ الشَّـــأوِ في الكَـرَمِ !

* * *

مِن أيِّ شَهقَـــةِ وَجْـــدٍ .. أيّمـــا رَحِمٍ
وُلِـدْتَ يـا مُنتَهىٰ الإيغـــالِ في الحُلُمِ ؟
حتّىٰ تَجسَّـــدْتَ نِهـــراً هـــائِـلاً قَطَعَتْ
نِصْفَ العِـــراقِ بِـــهِ خَيْـــلٌ بِـلا لُجُمِ !
تَسيـــلُ أعرافُهـــا في الـــرَّمـلِ دامِعَـــةً
خَتْمَ الحيـــاةِ علىٰ بَـــوّابَـــةِ العَـــدَمِ !

لله جُهْـــدُ الَّـــذينَ استَنْفَـــرُوا نَمَهُم
وَعَقلَهُم فيكَ .. ما نـامـوا .. وَلَم تَنَمِ
تُهيبُ أنتَ بِهِم حينـــاً ، وَتُـــوغِـــزُهُم
تَحَـدِّيـاً ، وَهُمـو سـاقٌ على قَـدَمِ
لا يَستَـــريحـونَ .. لا قُمصانُهُم فَتَحَتْ
زِرّاً ، ولا يَــدُهُم أَرخَتْ مِنَ الحُـــزُمِ
حتى سَـرَوا بِكَ في الصَّحراءِ اجمَعِها
وَأسلَمـــوكَ ، بِهــذا الهَيكَـــلِ الضَّخِمِ
إلى اليَـــدِ الرَّسَمَتْ مَســراكَ مُبـدِعَـةً
قـالُـوا : فَعَلْنا كَمـا أوصَيْتَ ، فـــاحتَكِمِ !

* * *

يـا أسَدَ مَلحَمَـةِ التَّصنيعِ .. يـا شُهُباً
مَـدارُهـا فـاقَ حتى دَورَةَ السُّـدُمِ
يـا مَن أعَـدتُم لِهـذي الأرضِ رَونَقَهـا
وكُـلَّ إيمـانِهـا بـالخَيـرِ والقِيَمِ
مِن بَعْـدِ ما انطَفَـأتْ كُلُّ الحَياةِ بِهـا
وَكـادَ يَقتُلُهـا الإحســاسُ بـالنَّـدَمِ !
يـا أنتُمو .. يا رِجـالَ المُعجِزاتِ وَيـا
جَيشَ التَّحَـدِّي لِكُـلِّ الظُّلْمِ والظُّلَمِ

تَبـــارَكَتْ كـــلُّ أرضٍ تَعمَلُـــونَ بِهـــا
ولا تَعِبْتُم ، وَلا نـــالَتْ يَـــدُ السَّـــأَمِ
مِنْكُم ، فكـــلُّ العِـــراقِ الآنَ يَـــرصـــدُكُم
حُبّـــاً ، فَـــإنْ تَستَقيمـــوا فيـــهِ يَسْتَقِمِ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٨ كانون الاول ١٩٩٢

جيش العراق

لَكَ أنْ تُصانَ، وأنْ تُفَدَّى
وَلِسَرْجِ مَجْدِكَ أنْ يُشَدَّا
لَكَ أنْ يُراحَ لِكبريائِكَ
كلَّ يومٍ، ثُمَّ يُغدَى
يا أيُّها الفَرْدُ الَّذي
رغمَ الحشودِ وَقَفْتَ فَردا
وَبَقيتَ جُرحاً صامداً
وَتَساقطوا حَشْداً فَحَشْدا
لَكَ أنْ تُجَلَّ، وأنْ تُفَدَّى
يا خيرَ جُنْدِ اللهِ جُنْدا

يا خيرَ مِن لاقىٰ، وخيرَ
مَن استُفِزَّ، ومَن تحدّىٰ
المكرُماتُ جَميعُها
بِكَ أنتَ تُختَمُ، ثُمَّ تُبْدا
يا مَن وَأدْتَ، بما نَزَفْتَ
طَلائِعَ الطُّوفانِ وَأْدا
وَجَعلتَ مِن دَمِكَ الزَّكيِّ
لِمَوجِها العَالي مَصَدّا
حتَّىٰ إذا انحَسَرَتْ أَقَمْتَ
لَها مِنَ الشُّهداءِ سَدّا!
فَأَرَيْتَها كَمْ كُنتَ مُرتَفِعاً
وَكَمْ كانَتْ تَرَدّىٰ!

* * *

لَكَ أنْ تُصانَ، وأنْ تُفَدّىٰ
يا أصدَقَ الشُّرَفاءِ رَدّا
يا زهوَ مَن عَاصىٰ، وَمَن
شَدَّ النِّطاقَ، وَمَن تَصَدّىٰ
جيشَ العراقِ، وَأيُّ جيشٍ
منكَ للحُرُماتِ أهدىٰ؟

مَن مِثْلَ جُنْدِكَ كُلَّما
نُدِبوا أَماتوا الخَيْلَ لَكْدا ؟

حتّى لَتَشْتَعِلَ الحَوافِرُ
تَحتَها بَرْقاً وَرَعْدا !

مِن يومِ كُنْتَ ، نُذِرْتَ لِلـ
وَطَنِ الكبيرِ أباً وَجَدّا

واليومَ تَحمِلُ وِزْرَهُ
وَلَداً ، وَعَينُ الأرضِ تَنْدى !

للّهِ أنتَ ، لِكُلِّ أشيافِ
العروبَةِ صِرْتَ زَنْدا

قاتَلْتَ ظُلْمَ الأرضِ قاطِبَةً
وما طَأطأتَ بَنْدا

وَحَمَلْتَ مِ الأوزارِ ما
لو مَسَّ أكبَرَهم لأردى

لكِنْ وَقَفْتَ كما أرادَ
لَكَ الحِفاظُ المُرُّ ، جَلْدا

أعطَيْتَ .. أعظِمْ بالّذي
أعطَيْتَ .. آباءً ، وَوُلْدا

وَسَقَيت .. لَم يَسبِقْ لِغيـــــــــرِ
بِمـــــــاكَ أنْ أصبَحْنَ وِرْدا
حتّىٰ عُمـــــــومَتُـــــكَ اســـتَحمَّتْ
فـــي بِمـــائِـــكَ يـــا مُفَـــدّىٰ
لا بـــــــاسَ .. تبقىٰ أنتَ زَهْـــوَ
الارضِ إذْ يَمضُـــــــونَ جُـــرْدا
وَتَظـــــــلُّ تَكمِـــدُهُم بِمـــاوِكَ
حيثُمـــا يَمضـــونَ ، كَمْـــدا
ســـيُقـــالُ هٰـــذا كـــانَ قِـــدّيســـاً
وهٰـــذا كـــانَ وَغْـــدا !
وَيُقـــالُ هٰـــذا مـــاتَ مَعبـــوداً
وهٰـــذا عـــاشَ عَبْـــدا !

* * *

يـــا أكـــرَمَ الـــدُّنيـــا دَمـــاً
وأعَـــزَّ أهـــلِ الارضِ مَجْـــدا
يـــا خيـــرَ مَن أعطىٰ ، وأشـــرَفَ
مَـــن تَجـــاسَـــرَ واســـتَـــرَدّا !
يـــا جيشَ مَن حَشَـــدُوا عليـــهِ
البحـــرَ والأرَضـــينَ حَشْـــدا

وَتَلَبَّدَتْ بِهِم السَّما
سُمّاً ، وَمَوجِدَةً ، وَحِقْدا
وَتَخيَّلُوهُ حَمامةً
وإذا بِهِ صَقْراً عَلَنْدى !
جَسْراً يَصُدُّ الرِّيحَ أنْ
تَرقىٰ إلىٰ مَتْنَيْهِ صَدّا !
يا أيُّها الغَضَبُ الَّذي
لَحَمَ السَّماءَ نَماً وَسَدّىٰ
حتّىٰ زَرازيرُ الخَليجِ
أَتَوْكَ مُنْتَفِخينَ لُغْدا !

حتّىٰ غُرابُ البَيْنِ شَدَّ
جَناحَهُ لَكَ واستَعَدّا !
وَنَظَرْتَ لِلجَبَروتِ كيفَ
بِكُلِّ خِسَّتِهِ تَبَدّىٰ
وَنَظَرْتَ كيفَ يَلُمُّ
غَيْمَتَهُ ، وَيَدفَعُها رُوَيْدا
فَنَشَرْتَ أنتَ جناحَكَ الـ
عِملاقَ دونَ الارضِ سَدّا

وَوَقَفْتَ تَنْتَظِرُ الجَحِيمَ
وَقَدْ وَعَدْتَ اللهَ وَعْدا

ألّا يُنالَ مِنَ العِراقِ
سِوى أقَلَّ الغُرْمِ فَقْدا

المالُ ، والشُهَداءُ .. تِلْكَ
ضَرِيبَةٌ أبَداً تُؤَدّى

أمّا الكَرامَةُ والتُّرابُ
فَلا .. وَقَدْ وَفَّيْتَ عَهْدا !

هٰذا العِراقُ .. على الأذى
حتّى وَلَوْ حَصَدُوهُ حَصْدا

ظَلَّ العراقُ أبا الشُمُوخِ
وإنْ يَذُقْ حَرّاً وَبَرْدا

آباؤُنا أجْسادُهُمْ
كانَتْ على الصَّهَواتِ تُرْدى

وَيَظَلُّ أعظَمُ زَهْوِهِنَّ
قُتِلْنَ ، لَمْ يُضْعِفْنَ خَدّا !

* * *

جيشَ العِراقِ .. وَكُلُّ مَكْرُمَةٍ
لَهُ ، بِكَ أنتَ تُحْدى

سَيَظلُّ سِفرُكَ خَيْرَ ما
لِصَحائِفِ التَّاريخِ يُهْدَى
وَيَظلُّ سَيْفُكَ مُصْلَتاً
لِلحَقِّ لا تُؤْويهِ غِمْدا
وَيَظلُّ مِن صَدَّام فيكَ
سَنىً يَزيدُ الخُلْدَ خُلْدا !
وَقَصيدَةٌ عَصماءُ مِلْءَ
مَحافِلِ التَّاريخِ تُشْدَى

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٦ كانون الثاني ١٩٩٣

يا عراق الكبار

كلَّ عامٍ .. في مثلِ هذي اللّيالي
يُمسِكُ اللّهُ جُرحَهُ في الأعالي
وَهوَ يرنو إلىٰ العراقِ خَضيباً
تعتَريهِ خَناجِرُ الأرذالِ !

* * *

كلَّ عامٍ، في مثلِ هذي اللّيالي
تَقْشَعِرُّ الأوراقُ فوقَ الدّوالي
يُبْطيءُ الماءُ في الفُراتَينِ .. يُصْغي
النَّخْلُ .. تَنْدىٰ وَسائدُ الأطفالِ !

وَيَجيءُ الأزيزُ .. يَعلو رُوَيداً ..
يَحبسُ الضّوءُ نَفْسَهُ في الذُّبالِ
وَيَعمُّ السُّكونُ .. ثُمَّ يُدَوِّي
غَضَبُ اللّهِ في قلوبِ الرِّجالِ

تُشعِلُ الارضُ نفسَها كبرياءً

وهيَ تَسعىٰ لهم .. وَهُم كالضَّلالِ

يُرسِلونَ الرَّدىٰ ، وَهُم آمِنُوهُ

فَسِباقٌ في القَتلِ لا في القِتالِ !

وَيُسَمُّونَ جُرمَهُم كَرنَفالاً

أيُّ جُبْنٍ في ذلكَ الكَرنَفالِ !

❀ ❀ ❀

كلَّ عامٍ .. في مثلِ هذي اللَّيالي

تَسألُ الذِّكرَياتُ نَفْسَ السُّؤالِ

أَفَما كانَ مُمكِناً ..؟ .. مُمكِناً ماذا ؟ ..

وَيَبقىٰ السُّؤالُ دونَ اكتِمالِ

غَيرَ أنَّ العيونَ تَبدو مَرايا

للَّذي في القلوبِ مِن أوشالِ

وَأجَلْ يا عراقُ .. يا زَهْوَ أهلي

مُمكِناً كانَ كلُّ ما في الخَيالِ

مُمكِناً كانَ أنْ نَبيعَ وَنَشري

أنْ نُداري ، وَنَنحني ، وَنُمالي

مُمكِناً كانَ أنْ نكونَ ملوكاً

وَشيوخاً ، لكنْ بِحَجمِ المَوالي !

نَهَبـــاً مُثقَلينَ .. نَمضي وَنَـــاتي
نـــاطحينَ الـــرُؤوسَ مِثْـــلَ النّمـــالِ
مُمكِنـــاً كانَ أنْ يُـرىٰ مَطَـرُ الـدُّنيـا
لَـــدَيْنـا .. وَنَحنُ مِثـــلَ الجِمـــالِ
تَحمـــلُ المـــاءَ وَهيَ عَطشىٰ .. وَتُغْني
وَغِـــذاهـــا مُخَلّفـــاتُ الـــرِّمـــالِ
مُمكِنـــاً كـــانَ يـــا عِـــراقَ التَّحَـــدّي
أنْ نُسَمّي جَحـــافِـــلَ الإحتِـــلالِ
أصـــدقـــاءَ تَلَطّفـــوا ، واستَضـــافـــوا
فَـــاضَفنـــا ، على انكِفـــاءِ الـــذّلالِ !
مُمكِنـــاً كـــانَ أنْ تَلـــوحَ عِقـــالَ الـ
أرضِ طُـــرّاً ، وَنحنُ دونَ عِقـــالِ !
مُمكِنـــاً كـــانَ كـــلُّ شيءٍ ، وَلَكنْ
أيّ شيءٍ نَقـــولُ لـــلأجيـــالِ ؟!

* * *

هٰكـــذا كـــادَ أنْ يكـــونَ ســـؤالُ الـ
نـــاسِ .. حتّىٰ الأعمـــامِ والأخـــوالِ
ســـامَحَ اللّـــهُ أهْلَنـــا .. وَهُمـــو أدْرىٰ
بِمـــا في العِـــراقِ مِن أمْثـــالِ

نَحْنُ قَــــومٌ يَقــــولُ قــــائِلُنـــا للـ
نَّفسِ : مُـــوتي ، بِشَـــرطِ أَلّا تُـــذَالي !
أَشجَــعُ النَّـــاسِ نَحْنُ في المَـــوتِ لَكِنْ
أَجبَنُ النَّـــــاسِ نَحْنُ في الإحتيــــالِ !
في فَمِ « الطَّــوب » وَهــوَ يَهتِفُ عِنـــدي
أنـــا وَحــدي .. لَم يَعتَــذِرْ أو يُــوَالي
نَحْنُ أولادُ تِلـــــكَ « هَـزَّتْ » وَ « لَــولَتْ »
وَلكُـــلُّ العـــراقِ كـــانَتْ تُـــلالي
كـــانَ ذاكَ الصَّبيِّ في ثـــورةِ العِشـــرين
واليَـــومَ صـــارَ زَهـــوَ الـــرِّجـــالِ !

* * *

يـــا عِـــراقَ الكِبـــار .. مِن أينَ يُبْـدا
حينَ نَـــأتي لـــذكـــريـــاتِ الأوالي !
يَمــلَأ الأرضَ زَهـــوُنـــا وَنَـــرانـــا
مـــا وَفَينـــا ، والنَّـــاسُ قـــالُـــوا نُغـــالِي
أيُغـــــالي مَنْ ابتَـــدا بِنُبُـــوخَـــذْ
نُصَّـــرِ ، وانتَهىٰ بِسَيف المَعــــــالي ؟!
بـــالَّـــذي لَـــو سَـــأَلْتَ مَن والِــداهُ ؟
لَتَـــلاقَتْ والهـــور شُمُّ الجِبـــالِ !

وَتَهــادىٰ عَلىٰ الفُــراتَينِ طَيفٌ
مِن عَليٍّ، وَهــاتِفٌ مِن بِــلالِ
قــارِنــاً بَينَ نَجمَتَيْ عَلَمِ الأُمّــةِ
بَــدْءَ المَســرىٰ، وَرَمــزَ النِّضــالِ!

❁ ❁ ❁

يــا عِــراقَ الكِبــار .. كــانَ كبيــراً
حمــورابي، وَكــانَ أعلىٰ العَــوالي
مَجْــدُ كلكــامشٍ، وآشــور، والهــائــلِ
سَــرجــون .. ثمّ تــأتي اللَّيــالي
نَيِّــراتٍ بِضَــوءِ هــارونَ .. سَيفــاً
في مجــالٍ، وَشمعــةً في مجــالٍ!
فَصــلاحُ الــدينِ الَّــذي قالَ لــلافــلاكِ
نُوري، لَكنْ أَقيمي حِيِــــــالي!
فَتَسَــــــــزنَ كُلُّهُــنَ وأبْقىٰ
سَيْفَــهُ فَــوقَهُنَّ مِثْــلَ الهِــلالِ!

❁ ❁ ❁

واتىٰ بَعــدَهُم مَن السَّيفُ يَنْــدىٰ
خَجَــلًا مِنــهُ في احتِــدامِ النِّــزالِ

أنّـــهُ يَنحنِي، وَيثلِمُـــهُ الضّــــربُ
وَيَنْبُـــو حينـــاً كَكُـــلِّ النِّصـــالِ
غيـــرَ صَـــدّام، فَهـــو يَبقىٰ عظيمـــاً
مُستقيمـــاً في لَبّـــةِ الأهــــوالِ
ذاكَ مَنْ يُمسِـــكُ الحيـــاةَ، وَيُـــرسِي
قُطْبَهـــا عنـــدَ ذُروَةِ الـــزِّلـــزالِ!

* * *

يـــا عِـــراقَ الكِبـــارِ .. كـــلُّ كبيـــرٍ
وَمَـــراقيـــهِ عِـــدْلَـــهُ في الجَـــلالِ
هـــائِـــلاتٌ أعـــراشُـــهُ .. هـــائِـــلاتٌ
طُـــرُقٌ مَسْـــراهُ .. وارِفـــاتُ الظِّـــلالِ
ليسَ تَـــرقىٰ إليـــهِ أجنِحَـــةُ الطَّيـــرِ
وَلٰكِنْ .. بـــالحُبِّ، أو بـــالسُّؤالِ!
مِثْـــلُ هٰـــذا لا يَجْـــرُؤُ الشَّـــرُّ وِحْـــدانـــاً
علىٰ الاقتـــرابِ مِنـــهُ بِحـــالِ
وَلِهٰـــذا أتـــاهُ مِن كـــلِّ فَـــجٍّ
دارِعـــاً بـــالـــوحـــوشِ والأغـــوالِ
جـــامِعـــاً حَشْـــدَهُ، وَرَغْمَ التَّبـــاهي
كـــانَ يَـــدنـــو بِمُنتَهىٰ الإجفـــالِ!

هـا هُم الآنَ أقبَلوا مرّةً أخرىٰ
يَجرُّونَ أقذَرَ الأذيالِ
جُنَّ هذا المَخلوعُ .. لا بُدَّ يُؤذي
قبلَ أنْ يَنْتَهي إلىٰ الأوحالِ!
صَحوةُ المَوتِ هٰذهِ .. سَوفَ يَمضي
بَعدَها وَهوَ مُذلَهِمُّ الطّحالِ
وارِمٌ أنّهُ مضىٰ بينَما صَدّامُ
باقٍ، وَنَجْمُهُ جِدُّ عالِ!
وَلَكَ العَهْدُ أنّنا سَوفَ نَلقاهُ
كِراماً، كَيومِ بَدْءِ القِتالِ!

* * *

يا عِراقَ الكِبارِ .. يومٌ عَلَينا
ثمّ عُمرٌ لَنا كَريمُ المَآلِ
إنْ هيَ الآنَ يا بِلاديَ إلّا
وَقْفَةُ الصَّبرِ بَعدَ حربٍ سِجالِ
وَقْفَةُ الجرحِ نازِفاً يَتَحدّىٰ
وَيُعاصي في قِمّةِ الإحتِمالِ
رُبَّ جُرحٍ بِكِبْرِهِ يَكسِرُ النَّبْلَ
وَيُلقي بِها إلىٰ النَّبّالِ!

جَـوْلَــةَ الصَّبـــرِ، ألفُ نَــذْرٍ عَلَينــا

وَعلىٰ كـــلِّ أهلِنـــا أنْ تُجـــالي!

جَـوْلَــةَ الصَّبـــرِ والبِنـــاءِ .. مَخـاضٌ

نَحْنُ خُضنـــاهُ، مُـــوغِلٌ في الخَيـــالِ

أنْ يَسَيـــرَ العِـــراقُ خَمسينَ عـــامـاً

كـــلَّ عــــامٍ .. علىٰ أنـــوفِ المُحـــالِ!

إنْ تَكُنْ أعسَـــرُوكَ يـــا وَطَنَ اليَسْـــرَةِ

فـــالجـــوعُ أضعَفُ الآجـــالِ!

مـــا تَضِقْ فُجَّـــةُ الحيـــاةِ عَلَينـــا

تَتَّسِـــعْ هـــذِهِ النُّفـــوسُ الغَـــوالي!

نَحْنُ مُتْنـــا علىٰ البَنـــابِقِ لَم نُـــذعِنْ

فَكَيفَ الإذعـــانُ بَعـــدَ الصِّيـــالِ؟!

* * *

وَطَني، أيُهـــا المَليءُ بِحُبِّ اللّــــهِ

.. يـــا غـــابَـــةً مِنَ الآمـــالِ

يـــا صَـــديقـاً لِكُـــلِّ شَيءٍ جَميـــلٍ

وَعـــريقـــاً في سَعيِـــهِ للجَمـــالِ

يـــا نَبيـــلًا مـــا أنصفـــوهُ، ولٰكِنْ

مَـــلَأ الحِقْـــدُ جِلْـــدَهُ بـــالنُّبالِ

إنْ يكـونـوا نـالُـوكَ لَحمـاً وَعَظمـاً

فَسَنـا الـرُّوحِ فيـكَ فَـوقَ المَنـالِ !

أو تكنْ جُـرُحـوكَ أوّلَ شَـوطٍ

فـالأوالي مَـرهـونَـةٌ بـالتّـوالي

وَغَـداً ، حينَ يَطلـعُ الفَجـرُ فينـا

وَتَـؤولُ الجِـراحُ لـلإنـدِمـالِ

سَنَـرى أيُّنـا سَيَعلـو ، وأيٌّ

سَـوفَ يَمضي بِعـارِهِ لـلـزَّوالِ ..

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١٧ كانون الثاني ١٩٩٣

الديـنونــة

لَحظَةٌ لِلألَمْ
ثمَّ مِن بَعْدِها
عُمُرٌ لِلقَلَمْ
ربّما سالَ دَمعاً
ربّما سالَ دَمْ
كلُّ ما شاءَ
إلّا النَّدَمْ !

مَن لَهُ الآنَ دَيْنٌ عَلَينا
يَضَعْ دَيْنَهُ نُصْبَ عَينِ المَلا
سَوفَ لا

نسألُ النّاسَ عن شاهدٍ، أو نَصيرْ
يَشهَدُ اللّهُ سُبحانَهُ ..
والضَّميرْ

وَسَندفَعُ ..
نَدري بأنَّ شَهادةَ رَبِّ السَّماواتِ صامتةٌ
والضَّمائرَ صامتةٌ
غيرَ أنّا سَنَدفعُ

ما دامَ شاهِدُهُم يَملِكُ الآنَ صَوْتا

وَظَنُّوا شهودَكَ مَوتىٰ
وأنتَ مُقيمٌ علىٰ صَمْتِكَ المُتَكَبِّرِ يا وَطَني
وعلىٰ صَبْرِكَ المستحيلْ
عاقِداً للفُراتَينِ ظَهْرَيْهِما بجذوعِ النَّخيلْ !

مَن لَهُ الآنَ دَيْنْ
فَلْيَضَعْ دَيْنَهُ فَوقَ هٰذا التُّراب
فهٰذا تُرابُ الحُسَينْ
وَلْيَقُلْ ما يَشاءْ
وَلْيَكُنْ واثِقاً أنَّ أوّلَ رَجْعٍ سَيَسمَعُهُ
سَوفَ يأتيهِ مِن كربلاءْ !

يا مَهيبَ الدِّماءْ
يا جَلالَ الشَّهادةِ في أَوْجِ مِعْراجِها للسَّماءْ

أنتَ عَلَّمْتَ هذا البَلَدْ
والِداً وَوَلَدْ
أنْ تكونَ دِماؤكَ نِبْراسَهُم
كلَّما زاغَ فيهِم كَبَدْ !

فَأَقِمْ سَيِّدي مُطمَئِناً
فَبَيتُكَ لَو لَمَسَ الكُفرُ أركانَهُ
ينهضُ الرّافدانِ وقوفاً
وَيَمشي النَّخيلُ صُفوفاً
وَتاتي التَّواريخُ شَعْثاءَ
مِن سومَرٍ وَأَكَدْ !

يا عُراةَ الجَبينْ
كانَ دَيْنٌ عَلَينا لَكم في جِنينْ
هل وَفَيْنا .. ؟
سَاَسْأَلُ كلَّ القبورِ الَّتي

لَم تَزَلْ بِدَمي سابِحَهْ
وَمَلامِحُها الجارِحَهْ
تَتَحدَّىٰ مَلامِحَكُمْ
كلَّما كَذِباً وَنِفاقاً
وَقَفتُم لاصحابِها
تَقرأونَ لَهُم سُورَةَ الفاتحهْ !

كانَ دَيْنٌ عَلَينا لَكُم عِندَ أبوابِ جِلَّقْ
يومَ عِرْضُ المروءَةِ أجمَعِها ،
والعروبةِ أجمَعِها
كانَ يَبكي وَيَشْهَقْ
واليَهودُ تكاد
وكانَتْ دِمَشقُ تَكاد
وَأقبَلْتَ يا ذُرْوَةَ الشَّرَفِ العَرَبيّ
وَيا صَوتَ طَهَ النَّبيّ
تَكادُ ذُروعُكَ تَمضَغُ صُلْبَ مَدافِعِها
واستَقَرَّتْ علىٰ مَدخَلِ الشَّام
يا جُنْدَ صَدَّام
هَل أسالُ الأَهْلَ عَن شاهِدٍ ؟؟

أم سَيَشهَدُ عَمّي ، وَجاري القَريبْ
قبلَ أنْ يَشْهَدَ النَّاسُ في تَلْ أَبيب ؟!

وَأراجعُ نَفسي
أَقولُ تكاثَرَ دَيْنُكَ يا سيِّدي يا عِراقْ ..
وَوَحَقِّكَ ،
ما زالَ فِيكَ الصَّدَاقْ
كلَّما مُهْرَةٌ صَهَلَتْ
كلَّما حُرَّةٌ هَلْهَلَتْ
وَرَمَتْ سِتْرَها بَيْنَ كَفَّيْكَ
تَنهَضُ غوُلَ دَم
ليسَ يَهْدأُ حتَّى يُرَاقْ !

يا عِراقْ
يا عِراقْ
يا راهِيَ الرَّسَنِ
يا عاليَ السُّور
يا بَوّابةَ الزَّمَنِ
يا نُبْلُ يا وَطَني !

دَيْنَ الحُسَينِ مَدينٌ أنتَ لِلفِتَنِ
تَمضي بِلا أَذرُعٍ ،
تَهوي بِلا كَفَنِ
لٰكِنْ تَظَلُّ لَكَ الأَصواتُ أَجْمَعُها
ما تَرَّ ثَديٌ بِهٰذي الأرضِ باللَّبَنِ !

وَما صَفيرٌ حَبَا
والماءُ حيثُ ربا
وكلُّ نَجْمٍ خَبا
تُوريهِ يا وَطَني !

وَيَخْـــرَسُـون .. فَـأنتَ الأرضَ مـاليهـا
أنتَ الـــرَّجا ، والمُـرَجَّىٰ في لَيـاليهـا

كـــلُّ الَّـذي لَم تَـزَلْ عَنهم تجودُ بِـهِ
حتَّىٰ بَلَغْتَ إلىٰ أغْلىٰ غَـــــواليهـــا
دَيْنـاً تُسَمِّيـهِ ، يـا مَهيـوبُ ، يـــا وَطَني
وَهُمْ يَغُطُّـونَ نَـومـاً عَن صَـوَاليهـا !
أَلَمْ يُجَيِّشْ صَـــلاحُ الـدِّينِ نَخْـوَتَـهُ
حتَّىٰ أفــاءَ علىٰ الـدُّنيـا عَـواليهـا ؟

وأنتَ ، بـالأمسِ .. في لُبنانَ ، في حَلَبِ
في مِصـــرَ .. ألهَبْتَ وَاطيها وَعَــاليهــا
وَعَنهمــو كُلِّهِمْ في القــادسيَّةِ .. مـا
جَـادُوا بِجُـرحٍ .. وَجُنُّــوا في تَـوَاليهــا
وأنتَ تَنْــزِفُ .. طُــوبىٰ للمَبــادِىءِ كَمْ
تَـلألأَتْ بـالضَّحـايـا مِن أهـاليهـا !

وَنُعاهِدُ أنّا سَنَدْفَعُ
ما دامَ جُرْحُ الكَرامَةِ دَيْناً عَلَينا
وَجُرْحُ العروبةِ دَيْناً عَلَينا
وَكُلُّ الخَنا طَرَفاً ،
وَتُقَانا طَرَفْ
وَما دامَ بعضُ بَني عَمِّنا
يَشعُرونَ بِنَقْصِ البُطونِ
وَلا يَشعُرونَ بِنَقْصِ الشَّرَفْ

فَسَنَدْفَعُ
مِن جوعِ أطْفالِنا سَوْفَ نَدْفَعُ
مِن دَمِنا سَوْفَ نَدْفَعُ

لكِنَّنا سَيَظَلُّ لَنا الدَّينُ حتَّىٰ يَضُجَّ النَّفيرْ
عِنْدَها ،
سَوفَ يُرْعِدُ صَوتُ الضَّميرْ
وَتكونُ شَهادَةُ رَبِّ السَّماواتِ مَسموعَةً
وَهيَ بَدْءُ السُّرىٰ ،
وَخِتامُ المَصيرْ ...

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ١١ شباط ١٩٩٣

فروسية في زمن التردي

« مهداة الى الاستاذ لطيف نصيف جاسم »

مَنْ سَيَسالُ مَن عَن مروءَتِهِ ..؟

كانَ بيتُكَ يرنو موارَبَةً

وهوَ يَجمَعُ أطفالَهُ ..

كلُّ نافذةٍ

كانَ يُحْكِمُ إغلاقَها

كلُّ بابْ

كانَ يَحسِبُ حتى لفُرجَةِ مفتاحِها

وهو يرنو إلى الرّيحِ

ألفَ حِسابْ ..

مَن سَيَسالُ مَن عن مروءَتِهِ ؟؟ ..

لم تَكُنْ خائِفاً

فَرْقٌ ما بينَ أنْ يَرجِفَ المرءُ خوفاً
وأنْ يَرجِفَ المرءُ فَرْطَ حَميَّتِهِ
ما نطقْتَ بِهِ أنتَ لَيلَتَها
شَاخِصاً كانَ كلُّ العِراقْ
كلُّ أسماعِهِ
كلُّ أبصارِهِ
كلُّ أيدي بَنيهْ
كلُّ كِبْرِ الابوّةِ فيه ..
كلُّ معنى الرّجولَةِ وهيَ تشدُّ النِّطاقْ
لتموتَ أمامَ أَسِرّةِ أولادِها
لا يَفِزُّوا مَروعينَ مِن نومِهِم
كانَ ينبضُ لَيلَتَها في العراقْ !
كانَ ذلك لَيلَةَ قُلتَ سَناكُلُهم ..
أنا أعرِفُ كَم كُنتَ ليلَتَها مُستَفَزّاً
وكَم كُنتَ منتخياً للعراقْ !
واعرفُ أسنانَ أهلي
وتَعرِفُها
نحنُ لا ناكُلُ الكَلبَ

حتى ولو أكَلَ الكَلبُ أطفالَنا ..

بَل ونأنَفُ مِن جِيَفٍ

أكَلَ القَيحُ أرواحَها وضمائِرَها

لا ...

ويَمنَعُنا الله والكبرياءُ

وتمنعُنا عِفَّةُ الأتقياءُ

وبنا طيبةٌ

أطلقَت لَهمو كلَّ أسراهُمو

وبِهِمْ خِسَّةُ الأدنياءُ

وقُلتَ سَنأكُلُهُم ..

كان حتى هواءُ العراق

وحتى نُجومُ العراقْ

موثَقاتٍ بأقمارِهِم ، وأساطيلِهم ..

كلُّ ذرَّةِ رملٍ عليها نِطاقْ .

وَصَرَخْتَ

وأنتَ المُحاصَرُ بَيتُكَ ..

حُرمَتُهُ ،

ومَصائِرُ أطفالِهِ

سَوفَ ناكُلُهُم ..

كانَ بَعضَ دِفاعِكَ

أن تَدفَعَ الموتَ مُستَنْجِداً بالتَّحدِّي

وقد كانَ قَولًا

مروءَتُهُ عِدْلَ كلِّ صَواريخِهِم

غيرَ أنَّ الزَّمانَ صغيرْ

ومَن للمروءَةِ يا سَيِّدي

في زمان التَّرَدِّي !

كانَ قَولًا ،

وما بَرِحوا يَذكُرونَهْ

هؤلاءِ الّذينَ تَنادَوا مِنَ الأرضِ أجمعِها

وَتَلاقَوا علىٰ بَلَدٍ يَذبَحونَهْ !

كانَ قَولًا دَفَعْتَ بِهِ قَلَقَ العُمرِ

لكِنَّهُم فَعَلوا ..

قَتَلوا ،

أَكَلوا لَحمَ أطفالِنا رُضَّعاً ..

مَلجأُ العامريةِ ما زالَ يَصرُخُ
والنَّاصريَّة تَصرُخُ
والهَورُ يَصرُخُ
تَصرُخُ كلُّ جِبالِ العراقِ ووديانِهِ ..

قُلتَ قَولًا
دَفَعتَ بِهِ قَلَقَ العُمر
لكنَّهم فَعَلوا
لَم يقولوا ،
ولكنهم فَعَلوا ..

ها هُم أنظُرُ إليهم
ما يزالونَ لليومِ
تَنشَبُ أنيابُهُم وأظافِرُهُم في دِماءِ العراقْ
ويوماً فَيوماً
يَلفُّونَ أحقادَهُم حَولَ أعناقِ أطفالِنا
فَيَضيقُ الخِناقْ

وَيَقولونَ

قُلْتَ سَنَأكُلُهُم ..!

يا بِلادي الحَبيبَهْ
إنَّهُم ياكُلونَ قُلوبَ الصِّغارِ وأكبادَهُم ..
كلُّ مُرضِعَةٍ
يَقطَعونَ لَها ثَديَها
ثُمَّ يَشرَبُ شارِبُهُم
دَمَهُ وَحَليبَهْ !

يا بِلادي الغَريبَهْ
يا بِلادي الّتي كلُّ أنيابِهِم بِدِماها خَضيبَهْ
أين تَسعى بِنا
هٰذهِ السَّنَواتُ الرَّهيبَهْ ؟!

* * *

نشرت في جريدة الثورة في ٢٠ / ٣ / ١٩٩٣

لأي نبض العراقيين أحتكم ؟

شهـــرٌ وَمَـــرآةٌ في عَينَيـــكَ يَـــرتَسِمُ ..
شَهـــرٌ، وأنتَ تُعـــاصي، أيُّهـــا القَلَمُ
مـــاذا تقـــولُ لَـــهُ في يـــومِ مَـــولِـــدِهِ
وكنتَ قُلْتَ بِـــهِ مـــا لَم يَقُلْـــهُ فَمُ !

* * *

شَهـــرٌ، وَعَينـــاهُ أحـــلامٌ، وأشـــرِعَـــةٌ
وَمَـــوجُ بحـــرٍ بِجَـــوفِ الـــرُّوحِ يَلتَطِمُ
وخـــافِقي سنـــدبـــادٌ تـــاهَ قـــارِبُـــهُ
في لُجَّـــةِ المَـــوجِ .. لا سَفـــحٌ، ولا قِمَمُ
ولا قَـــرارٌ، ولا جُـــرُفٌ، ولا رَصَـــدٌ
إلّا الكـــواكِبُ في عَينيـــهِ والسُّـــدُمُ !

* * *

شَهـرٌ، وَتَستعرضُ الأحداث .. تَرصُفُها
هُنا التَّحَدِّي .. هُنا الذِّكرىٰ .. هُنا الألَمُ
هُنـا العراقُ الَّـذي تَنسابُ قانيةً
جِراحُهُ .. وَهُنا طُوفانُهُ العَرِمُ
هُنا وجوهُ العراقيِّينَ ضاحِكَةً
هُنا قلوبُ العراقيِّين تَضطَرِمُ
وَهٰهُنا مُقْلتا صَدّام .. ضَوؤهُما
جَرْيَ النَّدىٰ وهوَ بالأضواءِ يَرتَطِمُ !
لكنْ، لِطُرْفَةِ عينٍ .. ثمَّ تُبصِرُهُ
عَيناهُ غابَةُ خَيلٍ ما لَها لُجُمُ !
سَيْفَانِ كالبَرقِ، حتىٰ الضَّوءُ لَو عَرَضاً
يَدنو إلىٰ شَفْرَتَيْ عَينَيهِ يَنثَلِمُ !

* * *

مِن أينَ أَبدأُ شِعري أيُّها القَلَمُ ؟
مِن أيِّ نَهرَيْكَ ..؟ .. لا عِيٌّ، ولا صَمَمُ
لكنْ مَهابَةَ يومٍ صَوتُهُ صاحِبِهِ
يَصيحُ بي : لا تَقُلْ ما لَسْتَ تَلْتَزِمُ !
لِأيِّ نَبْضِ العراقيِّينَ أحتَكِمُ ؟!

أَلِلجِـــراحـــاتِ والأَوجـــاعِ أَنبُشُهـــا ؟
أأَستَفِـــزُّ العـــراقيِّينَ .. مـــا كَظَمـــوا
ومـــا أُديلُـــوا ، ومـــا غِيلُـــوا ، ومَـــا أُزِمُـــوا
وَما أَباحُوا مِنَ الشَّكوىٰ ، وَمـــا كَتَموا ؟ ..
أدري .. وَيَـــدري العـــراقيُّـــون ، أنَّ بِنـــا
غَيظـــاً بِـــهِ شُـــرُفـــاتُ الـــرُّوحِ تَـــزدَحِمُ !
أدري ، وَيَـــدرونَ ، أنَّـــا مـــا يَـــزالُ لَنـــا
في كـــلِّ شِبْـــرٍ بِـــدامي أرضِنـــا وَرَمُ !
وأنَّ جُـــرحَ العَـــراقيِّينَ تَلْتَئِمُ الـ
دُنيـــا ، وَيَبقىٰ عَصِيّـــاً ليسَ يَلْتَئِمُ !
أدري وَيَـــدرونَ أنَّـــا نـــافِـــرٌ دَمُنـــا
حتَّىٰ تَكـــادَ عُـــروقُ العَين تَنْفَصِمُ
فَفيمَ أنْكـــا هٰـــذا الجُـــرحَ يـــا وَطَني
واليـــومَ يـــومٌ بِـــهِ الأيَّـــامُ تَفْتَصِمُ !
وأعظَمُ الجُـــرحِ يـــا أهلي مُكـــابَـــدَةً
صَـــدَّامُ يَطـــويـــهِ في صَمتٍ وَيَبتَسِمُ !

❋ ❋ ❋

يـــا سَيِّـــدَ اليَـــومِ ، والأيَّـــامُ أجمَعُهـــا
مَـــدينَـــةٌ لَـــكَ حتىٰ وَهيَ تَنْصَـــرِمُ !

مَـديـنـةٌ لَـكَ أنْ سَمَّيتَ كـلَّ يَـدٍ
بِفِعلِهـا ، فـالبَـرايـا كُلُّهم وُشِمُـوا
مـا كانَ قَبلَـكَ مَنْ يَسْطيـعُ مُقتَـدِراً
أنْ تُستَفَــزَّ بِــهِ الأنــوارُ وَالظُّلَمُ
بِحيثُ يُـدخِـلُ كُـلّاً في مَفـازَتِـهِ
فَـلا يُبَـرَّأُ وَجْـهٌ وَهـوَ مُتَّهَمُ
أنت استطعْتَ ، وعُمْرَ النَّاسِ ما جَرُؤوا
أنْ يَفـرِزُوا مثـلَ هـذا الفَـرْزِ يـا عَلَمُ !
عَلَّمْتَ أنتَ تُخـومَ الأرضِ أجمَعِهـا
فكـلُّ قَـومٍ بِمـا سَمَّيتَهُمْ وُسِمُـوا !

* * *

يـا سَيِّدَ اليَـوم .. أيَّامُ نَعيشُ بِهـا
وأنتَ فينـا ، إنَّنْ سَـاعـاتُهـا حُـرَمُ !
واللهِ قـد لا يَـرىٰ التَّـاريخَ صَـانِعُـهُ
وَليسَ يَعلَمُ مـا قُـرَّاؤُهُ عَلِمُـوا
وأنتَ وَحـدَكَ .. بَيْنـا أنتَ تَصنَعُـهُ
تَـرىٰ وَتَعلَمُ مـا لا يَعلَمُـونَ هُمُ !
خمساً وَعشـرينَ مَـزقَاةً صَعَـدْتَ ، وَفي
كُـلِّ رأيْتَ .. وَفي كُـلِّ عِـداكَ عَمُوا !

حتّىٰ استـــوَيْتَ علىٰ أعلىٰ مَـــدَارِجِهـــا
كـــانُوا صِغـــاراً، بِخَتْمٍ واحـــدٍ خُتِمـــوُا
نَفْسُ الـــوجـــوهِ .. خَنَـــازيـــرٌ يُفَـــرِّقُهُم
عَن بَعضِهِم: ذاكَ عِمْـــلاقٌ، وَذَا قَـــزَمُ
وَكنتَ شَمســـاً عَلَيهم، كـاشِفـاً غَـدَهم
وَأمْسَهُمْ .. فـــــإذا هُمْ كُلُّهم تُهَمُ!

* * *

يـــا أيُّهـا الـــرَّجُلُ المَيمـــونُ طـــالِعُـــهُ
يـــا مَن لَـــهُ، وَبِـــهِ تُستَنْفَـــرُ القِيَمُ
يا إرْثَ بيتِ رسولِ الله .. يـــا رَجُلًا
مـــا قـــالَ لا، وَتَخَطَّتْ لاءَهُ نَعَمُ!
وَقـــالَهـا حجمَ كـلِّ الأرض .. صَيْحَتُهُ
دَوَّتْ، فكـــادَ عَمـــودُ الأرضِ يَنْهَـــدِمُ!
واهتَـــزَّتْ الطَّبَقـــاتُ السَّبْـــعُ، وَانتَشَـــرتْ
أصـــداؤهـــا، وَتَشَظَّتْ وَهيَ تَقتَحِمُ
معـــابِـــرَ الجبـــرُوتِ الـــلّايُقـــالُ لهـــا
لا .. ثمَّ قيلَتْ .. فمادَ الرُّومُ والعَجَمُ!
الآنَ نفهمُ يـــا نبـــراسَ أُمَّتِنـــا
مِن أجْـــلِ مَنْ، ولمـــاذا زُلْـــزِلَتْ إرَمُ!
وحقِّ عينيـــكَ بـــالـــلّاءِ النَّطَقْتَ بِهـــا
صَـــدَعتَ صَدْعـــاً لـــو الفُجّـــارُ كلُّهمُـــو

شَـدُّوا عليـهِ ضلـوعَ الكُفـرِ أجْمَعَهـا
لمـا استَطاعـوا لَـهُ رَأبـاً ، ولا لَحَمـوا !
أسْقَطْتَ هَيْبَتَهم في الأرضِ قـاطِبَـةً
وَكُشِّفُـوا ، فَـإذا هُم كُلُّهم رِمَمُ
هَيَـاكـلٌ مِن رَمـادٍ لا حيـاةَ بهـا
ولا حَيَـاءٌ ، ولا عُـرفٌ ، ولا ذِمَمُ
لِـذا أتَـوكَ وحـوشـاً ليسَ يَـردَعُهُم
عَنِ الـرَّذيلَـةِ لا حِـلٌّ ولا حَـرَمُ
وَقَـد وَقَفتَ لَهُم .. الآنَ يا رَجُـلَ الـ
تّاريخ ، لَن أستَعيـدَ الآنَ مـا زَعَمـوا
ولا الجـرائِمَ أحصيهنَّ .. مـا رَجَمـوا
ومـا أدالُوا ، ومـا اغتالُـوا ، وما هـدَموا
لكنَّني ، وَسَنـا عَينَيـكَ ، أصـرخُ في
وجـوهِهم : هكـذا شِئْنـا ، ولا نَـدَمُ !
وأنتَ تَعْلَمُ مـا تَعنيـهِ قَـولَتُنـا
هـذا الّذي نحنُ شِئنـا .. أيُّهـا الحَكَمُ !
هـوَ العـراقُ .. وأنتَ الآنَ ذائِـدُهُم
عَنهُ .. لِذا حينَ بـاغَتْناهُمـو وَجَموا
هُم يَقصدونَكَ فينـا .. فـالعـراقُ إذَنْ
طـريقُهُ أنتَ ، فـاسْلَمْ أنتَ .. لا سَلِموا

واللّـــهِ نَفديـكَ بـالأنفـاسِ .. نَحفَظُها
لـــو حاصَـروها .. ويـالأنفاسِ نَقتَسِمُ
نُعطيـــكَ نِصْفاً ، وَنِصْفُ بينَ أفْـرُخِنـا
وبينَنَـا .. وَبِمَحْضِ المـاءِ نَـأتَـدِمُ !
لِـذا نَجــوعُ ، وَيُستَعــدىٰ على دَمِنـا
لأنَّنـا بـالعـراقِ الآنَ نَعتَصِمُ
وأنتَ مِفْتاحُهُ .. فـانظُرْ مُعـادَلَةَ الـ
أعـداءِ .. أنتَ ، وهٰذي الأرضُ ، والقِيَمُ
في كَفَّــةٍ .. والعـراقيُّـونَ مَعْبَـرُهُم
إليكما .. فَلْتَصِحْ بـالنَّاسِ يـا عَـدَمُ !
ويـا قيـامـاتُ قـومي إنْ يَكُنْ دَمُنـا
مِن أجلِ هٰذينِ لا تَهمي بِـهِ الدِّيَمُ !

* * *

يا سَيِّدي .. لِيَقُـلْ ما شاءَ قـائِلُهُم
وَلْيَنتَقِمْ حِقـدُهُم أضعـافَ مـا نَقَمـوا
فَلِلعــراقِ ، وأنتَ المُستَفَــزُّ لَــهُ
نَصـونُ أرواحَنـا عن كُـلِّ مـا يَصِمُ
فـلا نُـدَنِّسُهـا بـالمُغـريـاتِ ، وَلا
بـالمُـزريـاتِ .. وَيـأبىٰ اللهُ والكَـرَمُ

فـــإنْ تَسَــــابَقَ بعضُ الارذَلينَ إلىٰ
خُبــزِ الحَـــرامِ ، فَــإنّــا عَنــهُ ننفطِمُ !
واللّـــهِ صَـــدّام ، لَـــو لَفّتْ مَنـــازِلُنـــا
بُطـــونَهـــا حَـــدٌّ أنَّ الظَّهــرَ ينقصِمُ
لَمـــا رَفَعْنـــا لِغَيــرِ اللّـــهِ أعيُنَنـــا
ولا مَـــدَدْنـــا يَـــداً لِلـــدُّونِ تَلْتَقِمُ !
لَسْنـــا الَّـــذينَ إذا جـــاعُـــوا ، بِلُقْمَتِهِم
يُقَـــايِضُ العِـــرضَ والأخـــلاقَ والشِّيَمُ
فَنَحْنُ أهلُـــكَ ، مـــا ذَلَّتْ شَمـــائِلُنـــا
وَلَم نَـــزَلْ مِن أقـــلِّ العَيْبِ نحتَشِمُ !

* * *

يـــا سَيِّـــدَ اليـــومِ والأيّـــامِ أجمَعِهـــا
بمثـــلِ يـــومِــكَ هـٰـذا تَصْـــدُقُ الحِكَمُ
حَقٌّ علىٰ الارضِ جَـــلَّ اللّـــهُ واضِعُـــهُ
وبـــاطِـــلٌ بِـــكَ عَنهـــا سَـــوفَ يَنْهَــزِمُ
وأنتَ تَـــرسمُ للـــدُّنيـــا هـــويَّتَهـــا
وَضَـــوءُ جَـــدِّكَ في عَينَيـــكَ يَـــرتَسِمُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٢٨ / ٤ / ١٩٩٣

ادرك حدود الصبر ..

أَفَلَتْ كواكِبُها ، وَشَمسُكَ تسطعُ
ها أنتَ ذا ، وَغيومُها تتقشَّعُ
يَقِظانِ ، وَجهُكَ والزَّمانُ كِلاهُما
فَرَسا رِهانٍ .. تَستَفِزُّ وَيتبَعُ !
يا ماليءَ الدُّنيا تُقىً وَشَكيمَةً
لَكَ أنتَ وَحدَكَ زَهوُها يَتَطلَّعُ
فَيُضيءُ في صَفَحاتِ وَجهِكَ كوكباً
شُهُبُ المَجرَّةِ حَولَهُ تتجمَّعُ !
يا كبرياءَ دَمِ العراقِ بأسْرِهِ
وأعَزُّ ما كأسُ الرّجولَةِ تُتْرَعُ
عَزماً ، وَنُبْلاً ، واتّقادَ حَميَّةٍ
وَأَجَلُّهُنَّ بأنَّ صبرَكَ أوسَعُ

وَبـــانَّــكَ الحـــاني علىٰ أوجـــاعِنـــا
وُمشـــارِكُ المَهمـــومِ مـــا يَتَجـــرَّعُ !

* * *

يـــا حـــامِــلَ الميـــزانِ ، يَعْلَمُ أنَّـــهُ
هِبَـــةٌ مِنَ الـــرَّحمٰنِ لا تُستَـــرجَـــعُ
لكن يُقـــــالُ لِمَنْ أقِيمَ لِحَملِهـــــا
يـــا رافِـــعَ الميـــزانِ مـــاذا تَـــرفَـــعُ ؟!
وَلَأنتَ أزكىٰ مَنْ يَقـــولُ لِـــرَبِّـــهِ
هٰـــذي يَـــدي .. وَشِغـــافُ قَلبيَ أنصَـــعُ !
يـــا سَيِّـــدي .. فـي يـــومِ عيـدِكَ أنتَخي
بِـــكَ ، والعـــراقُ بـــأسْـــرِهِ يَتَضَـــرَّعُ
أدرِكْ حـــدودَ الصَّبـــرِ لا تَتَـــزعـــزَعُ
وَأَقِمْ ظهـــورَ النَّـــاسِ لا تَتَقَطَّـــعُ
فـــالسَّيـــلُ قَـــد بَلَـــغَ الـــزُّبىٰ يـــا سَيِّـــدي
وَبيـــوتُ أهلِـــكَ بـــالتُّقىٰ تَتَـــدرَّعُ
أدرِكْ حـــدودَ الصَّبـــر .. كـــلُّ مَهـــولَـــةٍ
بِشِفـــارِ سَيفِـــكَ وَحـــدَهُ تَتَصَـــدَّعْ
وَلَقـــد تَحـــامَيْنـــا بِحَيْثُ فَطيمُنـــا
لا يَغْتَـــذِي ، وَرَضيعُنـــا لا يَـــرضَـــعُ

شمماً تشدّ جذوعَنا بجذوعِنا
لِنُريكَ أنَّ الرّوحَ لا تتضعضعُ
يا أيُّها الرَّجلُ الّذي مِن وَحيِهِ
صَنَعَ العراقيُّون ما لا يُصنَعُ
شَدُّوا بأطرافِ الأسِنَّةِ صَبْرَهُم
فَبِكُلِّ خاصِرَةٍ سِنانٌ يَلمَعُ!
وَيُقاتِلونَ الدَّهرَ، واسمُكَ آيَةٌ
يَتَجمَّلونَ بِها إذا ما أَدْقَعُوا
شَرَفُ العراقيِّينَ إنْ يَتَوجَّعوا
نَزَفُوا دَماً، وعيونُهُم لا تَدمَعُ!

* * *

يا سَيِّدي. هَبْني كما عَوَّدتَني
لُغَةً على أوجاعِها تَتَرفَّعُ!
وَحَياةِ مَجْدِكَ أنتَ .. إنَّ قَصائِدي
بِهواكَ كُلُّ غصونِها تَتَفرَّعُ
وَلِذا أُحمِّلُها شِغافيَ قانياً
عُريانَ .. لا أُخفي، ولا أتَصَنَّعُ
أَبِيَومِ عيدِكَ؛ وَهوَ عيدُ قلوبِنا
تُقْصِيكَ عَن خَفَقانِهِنَّ الأضلُعُ

ثَكِلَتْنِيَ الـــدُّنيــا إذَنْ ، وَثَكِلْتُهــا

إنْ لَم تَكُنْ في خـــافقي تَتَــربَّــعُ

ولِــذا أقـــولُ لــكَ العــراقُ مُخَضَّبٌ

وَبِشــارِبَيْــكَ بيــوتُــهُ تَتَشَفَّــعُ

هــوَ يَستَطيــلُ إلىٰ السَّمــاءِ تَحَــدِّيــاً

لكنَّــهُ بـــــدمـــــائِــهِ يَتَلَفَّــعُ

يــا قـــائِــداً دَمَـــهُ ، وَمــوكبَ زَهْــوِهِ

أنتَ الأمينُ عليـــهِ حينَ يُجَـــوَّعُ

واللهِ ، حتّىٰ في ظـــلامِ بيـــوتِنـــا

بِــكَ نَنْتَخي ، وبِكبـــريـــائِكَ نَــدْفَــعُ

وَلأنتَ أدرىٰ بَعـــدَ رَبِّــكَ بــالَّــذي

جَــزَعَ العـــراقُ ، ومـــا ـ أبِيّـاً ـ يَجْـزَعُ

يـــا سَيِّدي ، مِن أجــلِ عِــزَّةِ نفسِــهِ

أبهىٰ بَنيـــهِ إلىٰ المَنـــايـــا أسـرَعــوا

فَـــاحفَظْ ، لهٰذي الكبـــريـــاء شموخَهـــا

في أنْ تَظَـــلَّ بكبـــريـــائِــكَ تُشْفَــعُ

وَلَقَـــد حَمَيتَ الـدّارَ ، فـــاحرُسْ بــابَهــا

مِن بعضِ أيـــدي أهلِنـــا لا تُقْـــرَعُ !

❁ ❁ ❁

يا سَيِّدي، عُذْرَ الكريمِ نَجِيَّهُ
في يومِ عيدِكَ لا يُقالُ الأوجَعُ
إلّا لأنَّكَ أصدَقُ الدُّنيا فَماً
في كُلِّ وقتٍ، والفَتى إذْ تَسمَعُ
يا سَيِّدي مِن بعضِ ما عَلَّمتَنا
أنَّ المُحِبَّ الصَّدْقَ لا يَتَتَعْتَعُ
كلّا، ولا يُخفي هَوَاجِسَ حُبِّهِ
لِزمانِ يُصبِحُ قَولُها لا يَنفَعُ
وَلِذا أتَيْتُكَ يومَ عيدِكَ حامِلاً
قَلَقي .. وما لي غيرَ حُبِّكَ مَفْزَعُ

* * *

صَدّامُ، يا رِئَةَ الحياةِ بِأسْرِها
وَبِدونِ خِصْبِكَ كلُّ أرضٍ بَلْقَعُ
يَوماً نُبوخَذُ نُصَّرٍ، بَعدَ الوَغى
يومٌ بِهِ يَبني، وَيَومٌ يَزرَعُ
شُرُفاتُ بابِلَ أُعليَتْ بِأكُفِّهِ
وَحقولُها بِأكُفِّهِ تَتَرعرَعُ
وَرَفَعْتَ أنتَ لِواءَهُ فَبَلَغتَها
عَدَداً، ولكنَّ المَساحةَ أوسَعُ!

قـــاتَلْتَ أنتَ الأرضَ .. كـلَّ فَســادِهـــا
وذِئــابُهـــا طُـــرّاً عليـــكَ تَجَمَّعـــوا
فَخـــرَجْتَ مَزْهـــوَّ الجِراحِ، عَـــزيـــزَهـــا
وَصِـــــلالُهُم بَعضٌ بِبَعضٍ تَلْسَــــــعُ
وَبَنَيْتَ .. ثمَّ زَرَعتَ .. عُمْـرَ الأرضِ مـا
عَـــدَدَ السَّنـــابـــلِ طَـــوَّقَتْهـــا الأَذْرُعُ
إلّا لأنَّـــكَ كنتَ صـــاحبَ زَهْـــوِهـــا
وَشَـــذاكَ مِن جَنَبـــاتِهـــا يَتَضَـــوَّعُ!
وَلِـــذا .. وَلـــلأمـــلِ المُلـــوِّحِ سَيِّـــدي
في مُقلَتَيـــكَ .. وَلِلَّـــذي يَتَـــوقَّـــعُ
كـــلُّ العـــراقيِّينَ مِن يُسْـــرِ غَـــداً
صُنْتَهُمْ مِنَ العُسْـــرِ الَّـــذي لا يَشبَـــعُ!
يـــا سَيِّـــدي بَعضُ الحِصـــارِ حِصـــارُهُم
وَحِصـــارُنـــا بِحِصـــارِهم يَتَقَنَّـــعُ!

بعضُ الخَـــرابِ خَـــرابُهُم .. وَخَـــرابُنـــا
عن ضِعْفِ مـــا فَعَلـــوهُ لا يَتَـــوَرَّعُ
وَلأنتَ أدرىٰ يـــا عَـــزيـــزُ بـــأنَّنـــا
أَهْلُـــوكَ .. لا نَبكي، ولا نَتَخَضَّـــعُ

لكنْ يَحُـــزُّ، وَلحمُنــــا أنيـــابُهُم
لـــلآنَ فيـــهِ .. يُحـــاولـــونَ وَنـدفَـعُ
أنّـــا نَـــرىٰ شَفَـــراتِ مَن هُم أهْلُنـــا
مِن لَحمِنـــا، وَضَـــحَ النَّهـــارِ، تُقَطِّــعُ !

* * *

صَـــدَّام .. حَسْبُ نـدائيَ آسمَـكَ أنَّـهُ
لَـــو شـــاءَني لِمَنيَّتي أتَطَـــوَّعُ !
والنّـــابِـــوكَ جَميعُهم يـــا سَيِّـــدي
نَـــذَبـــوكَ إذ أنتَ الأعَـــزُّ الأسـرَعُ
وَبـــأنَّ مَن يَنخـــاكَ حينَ يَصيـــحُ يـــا
صَـــدَّام .. يَـدري أيَّ صَـــدْعٍ يَصـدَعُ !
يَـــدري بـــأنَّ الأرضَ تحمـــلُ نَفْسَهـــا
وَتَسيـــرُ، واسمُـــكَ قَبلَهـــا يَتَـدفَّـعُ !
يـــا سَيِّـــدي المَلَكـــوتُ مِن أركـــانِـــهِ
يَهتَـــزُّ حينَ الصَّـوتُ بـــاسمِكَ يُـــرفَـعُ !
فَـــإلَيـــكَ بـــآسمِكَ أرفَـــعُ الصَّوتَ الَّـــذي
يـــأتيـــكَ : يـــا صَـــدَّام .. أهلُـــكَ أجمَعُـــوا
أنْ يَتبَعـــوكَ .. وأنْ تكـــونَ ضلـــوعُهُم
سُـــوراً علىٰ مَسْـــراكَ لا يَتَـــزَعـــزَعُ

هُم يَفتَقِدونَكَ يا عَزيزُ، فَكُنْ لَهُم
نَفَساً لأنَّ شَهيقَهُم لا يُسعَفُ !

* * *

يا خالِدَ الميلادِ، تَمتَلِيءُ الدُّنا
بالرّائِعاتِ، ويومُ عيدِكَ أروَعُ
فَبِهِ مَعاييرُ الرُّجولَةِ تَلتَقي
وإليهِ آمالُ الرُّجولَةِ تُهرَعُ
وَلَهُ العِراقُ بأسْرِهِ يَنْدى هَوىً
ولِفَرطِ هَيْبَتِهِ الضَّمائِرُ تَخشَعُ
فاسْلَمْ سَلِمتَ، وكُلَّ عامٍ نَلتَقي
وَشُعاعُ وَجهِكَ مِثلُ سَيفِكَ مُشْرَعُ !

* * *

صَدّام .. عيدُكَ رغمَ كُلِّ هُمومِنا
قَبَسٌ بكُلِّ حَياتِنا يَتَشَعشَعُ
فَيُضيءُ صَبْرَ الرّافِدَينِ بأسْرِهِ
وَقلوبُنا لِمَسارِهِ تَتَطَلَّعُ ..!

* * *

نشرت في جريدة القادسية في ٣ / ٥ / ١٩٩٣

اهداء

الى اخوتي

شعراء العراق

الذين وقفوا في القادسية

وقفتهم المشهورة

واضعين دمهم على راحاتهم

وهم يذودون عن شرف العراق

لغة الكبرياء

آخر دواوين القاحسية

١٩٩٥



الشمس تهبط فوق بابل

« باسم العراقِ أقول
إنّ الأرضَ سوف تدورُ دورتَها
وتسجدُ مرّتينْ
للخوف ،
حين تكونُ بابلُ تحت بُرج الموت
وهي تشدُّ ألويةَ التَّحَدّي
ثمّ تسجدُ مرّةً أخرى
وبابلُ مسقطٌ للشمس
عندئذٍ
تدورُ الشمسُ حول الأرضِ حدَّ الإحتراقْ »(*)
والآن باسمكَ يا عراقْ
ساقولُ يا أرضُ اسجدي
فالشمسُ تهبطُ فوقَ بابلْ

إنَّ السَّنابلْ
ستقومُ من قلب الصخورْ
والشمسُ منذُ اليوم تبدأ حول كوكبنا تدورْ !

يـــا مســـتَفَـــزَّ السَّـنـــا أطلقْ لنـــا نـــورَكْ
أنتَ الـــذي في العَنـــا أشـــعَلْتَ ديجـــورَكْ
قُـــلْ للعَيـــا والـــوَنـــى لمّـــا أتـــى ســـورَكْ

أبـــوابُـــهُ وهـــيَ مِـــنْ صُـــلبٍ ونـــارٍ ودَمْ
مـــا بينَهـــا شـــعـــرةً تنسَـــلُّ منهـــا قَـــدَمْ
منهـــنَّ مـــاذا جنـــى غيـــرَ الأسى والنَّـــدمْ

وغَيـــرَ أن أصـــبحتْ أوصـــالُـــــهُ مَحصَـــدْ
أبـــــوابُنـــا كلُّهـــا كـــانت لـــهُ مَـــرصَـــدْ
يـــا زهـــوَ مَـــن صـــانَهـــا يـــا زهـــوَ مَن أوصَـــدْ

كـانت نفـوسـاً ضخـامـــاً جلَّ بـــاريهـا
الكبْـــرُ بـــائعُهـــا ، والكبـــرُ شـــاريهـــا

بيتاً فبيتاً تناخَتْ من مَرابضها
ونَيزَقاً بيزَقاً جاشَتْ صَواريها

وكان صدامُ في أسوارها غَبَشاً
يَلوي شِعافَ الدَّياجي عن ذَراريها
بين الظلام وبين الفجرِ قامتُهُ
سيفٌ تقومُ له الدُّنيا وما فيها
وكلَّما ارتطمَ الغَيمان كان لهُ
برقٌ يُزيحُ المنايا عن مجاريها !
فيتركُ الليلَ مذبوحاً بظلمتِهِ
ويجعلُ الشمسَ شمساً جَلَّ واريها
تسعين شهراً نواعيرُ الدماء بها
ما أخلدَتْ ليلةً أصواتُ جاريها
تسعين شهراً ونَيْفاً .. لا الرَّصاصُ غَفا
ولا المنايا تَخلَّتْ عن مَذاريها !
وأنت تسري بلُبِّ الهَولِ أجنحةً
اللَّهُ يعلمُ ماذا قلبُ ساريها
حتى ركزْتَ بعالي الريح بيرَقَنا
وقلتَ للشمس : ها شمسي فَجاريها !

والآن ،

بٱسمِكَ يا ذؤابةَ زهوِها ،

واسمِ العراق

بٱسم الكرامةِ في العراقْ

بٱسم الذين بلَيلِها

ملأوا الشوارعَ بالهتافِ وبالرصاصِ وبالعناقْ

وهم الذين دماءُ إخوتِهم ..

بِما أولادهِم كانت صَداقْ

لِشَذا تُرابِكْ

الآن بٱسمِكَ والمجَرّةُ كلُّها وَقَفتْ ببابِكْ

سأقولُ يا أرضُ اسجدي لبيوتِهم داراً فدارْ

حتى يضجَّ بكِ المدارْ

هذي البيوتُ ،

دماءُ فِتْيتها عليكِ إلى القرارْ

سالَتْ فأمسَكت الجذورْ

وتَشبثَتْ بالنَّخل حتى لا يميدَ ، ولا يبورْ

كانت دماؤهم النّذورْ

والنصرُ نصرهمو ،

وأكرمُ شاهدٍ تلك القبورْ

في أرضِنا لا تَسَلْ مَن ناح .. مَنْ غنَّى
إنَّ الظُّبا والأسَلْ ما حدَّثتْ عنّا
أنّا نَذوقُ العسَلْ بالدَّمعِ .. أو أنّا

نبكي على مَن هوى في ليلنا فَرقَدْ
ندري بأنَّ الهوى يبقى له مَرقَدْ
غُمزَ الأسى ما طوى جُرحاً ولا أرقَدْ

لكنّنا في القرا نكسو أسامينا !
وفي جراحِ الورى ننسى نَوامينا
نبقى بهذي الذُّرا صِيداً مَيامينا

نكسو فجاجَ العراقِ الشُّمَّ نَخوتُنا
وتستوي فوقها حُمراً مَواضينا
إنّا إذا ما غضَضْنا الطَّرفَ عن سَفَهٍ
فلا يَغُرَّنَّ معتوهاً تَغاضينا
فَنِصفُ ما في العراقيّين غيرتُهم
وما تبقّى دمٌ عنها يُقاضينا !

ولا وصـــدّام، لـو لم يَـزِمِ حـاضـرُنــا
لَنـــالَنا قبـلَ نَيْلِ الفُـرسِ مـاضينــا
لَقيـــلَ أعطى العـــراقيّـــون أُختَهمـــو
ولا، ويــا ويــلَ مَنْ يَغفــون راضينــا

فـــأُختُنـــا أختُنـــا مِكحـــالُهـــا ذِمَّـــه
يجـري بنـــا كحلُهـــا للمـــوتِ والقمَّـــه!
صـــدامُ يـــا زهـــوَهـــا يـــا عـــالـيَ الهِمَّـــه

ألبَسْتَ كـــلَّ العـــراقيـاتِ مـــاثـرةً
إنْ هَلهلَتْ حُـــرَّةٌ يـــومـــاً لحـــاميهـــا
أنَّ العـــوادي إذا مـــرَّتْ مـــوارَبـــةً
عـــرَفْنَهـــا من سمـــاتٍ في نَواميهـــا
تقـــولُ أختُ الفـــراتِ الحـــرُّ زاهيـــةً
لأختِ دجلـــةَ: ذي صـــدام راميهـــا!
يـا سيّـدَ النَّصـر، ليس النَّصر معجـزةً
لكنْ طـــريقتُـــهُ الـــزَّاهي تَسـاميهـــا
أنَّـــا بـأزكى الـــدِّما سُقنـــا غمـــامتَـــهُ
ليَستَقي قـــاتِلـــونـــا من هَـــواميهـــا!

ليستقي قـــاتلـــونا من هـــواميهـا
لا باس يا وطني
ما زلتَ أكرمَ مَن أعطى مدى الزَّمنِ
طوبى لحَسمِكْ
والآن باسمِكْ
ســـاقـــولُ إنَّ السَّلمَ لم يـــوهَبْ
ولكنَّـــا سَحَبنـــا الغيمَ من شَفَفـــاتِــهِ
فَجَثـــا وأمطَـــرْ
واقـــول إنَّ الشمسَ لم تُشـــرقْ إلى أن
جِلـــدُ كـــلِّ الغيم من عطشٍ تفَطَّـــرْ!
أمّـــا وقـــد بـــزغتْ كمـــا شئنـــا
فـــإنَّ شُعـــاعَهـــا هيهـــات يُحبَسُ
أو يؤطَّـــرْ

نشرت في جريدة القادسية في ٥ / ٩ / ١٩٨٨
(*) افتتاحية قصيدة « ألواح الدم » ـ المربد ١٩٨٥ .

اعط السلام سلاما أيها الرجل

نَيْفـاً وتسعينَ شهـراً أنت تشتعـلُ
أطفيءْ ، فقد أيبَسَتْك النارُ يا رجلُ !
سَكْبَ المَـزاريب أضـلاعـاً وأوردةً
تسعـون شهـراً تَـوالَتْ وهي تنهمـلُ
حتى غـدا كـلُّ حـرفٍ حين تكتبُـهُ
يكـادُ حتى مـع الاوراقِ يقتتـلُ !
أطفيءْ ، فـإنَّ جراحِ الكـونِ أجمعَهـا
تغفـو إذا جرحُ هـذي الأرض يندمـلُ
أطفيءْ ، فكـلُّ نـواةٍ وَسْطَ تَمْـرَتِهـا
تكـادُ للمطـرِ المـوعـودِ تبتهـلُ
أطفيءْ ، فكلُّ لظىً مهمـا سَجَـرْتَ لـهُ
يَـؤولُ يـومـاً رمـاداً ، ثمّ يـرتحـلُ

يبقى شروقُ السَّنا .. تبقى غَضارتُهُ
يبقى الهوى والفِوى والزَّهو والأملُ
يبقى الأطيفالُ ما رنَّتْ جَلاجلُهم
والليلُ والمَيلُ والأشواقُ والغَزلُ
أطفيءْ، فللموتِ أجراسٌ مؤقَّتةٌ
أمَّا الحياةُ فإيقاعاتُها أزلُ!

* * *

يا ليلَ بغداد .. هل نجمٌ فنسألُهُ؟
وهل يَردُّ على السَّارين لو سألوا؟
هذي مِياهُ بني عمّي، جداولُها
من كلِّ حَدْبٍ إلى أنهارنا تَصِلُ
مسائلاتٍ، وقد حَلَّتْ ضفائرَها
بغداد، منْ رَهَجِ النيرانِ تَغتسلُ
يقُلْنَ: هل أيقظَتْ بغدادُ غافيَها
ولِلكرى بَعْدُ في أجفانِهِ وَشَلُ؟
هل ليلةً أرِقَتْ ..؟ .. هل ليلةً قَلقَتْ ..؟
هل رابَها أنَّهم عن هَمِّها شُغِلوا؟
وقيلَ: هل غامَ دمعٌ في محاجرِها؟
وكيف تُمطرُ دمعاً هذهِ المُقلُ؟!

وشاطئا دجلةَ الهَيمان .. هل رَجَفا
ليلًا، وقد مَسَّ مصباحَيهما البَللُ؟
أم أنّها، قَلقاً من خوفِ رِقْبَتِها
تأتي المويجاتُ أزواجاً، وتنفصلُ!
مُخلِّفاتٍ على الجرفَينْ أسوِرَةً
كُحلًا .. مرايا تشظَّى بينها الخجَلُ؟!

* * *

أبناءَ عمّي .. سَلوا بغدادَ عن دمِها
وكان مثلَ اتّصالِ الماء يتّصلُ
هل رِيعَ دجلةُ ..؟ .. هل فرَّتْ شواطئُهُ ..؟
هل فزَّ في الليل تحتَ السُّنْبلِ الحَجَلُ؟
هل طأطأت نخلةٌ للأرض ..؟ .. هل جَفلَتْ؟
إن كان هذا، فأهلُ النَّخلِ قد جَفَلوا!
الحمدُ لله، لم تَبرحْ مَنائرُنا
مَهيبةً بجلالِ الله تُشتمَلُ
لم تبرح الشمسُ في بغداد، ما طلَعَتْ
ضياؤها بِدِما أولادِنا خَضِلُ
مهابةً وجمالًا، لا مُكابَدَةً
أولادُنا استُشهِدوا في اللّهِ ما قُتِلوا

ها زَهوُهم .. ها شَذاهم .. هــا بَيارقُهم
وهــا سَنــاهم يُـلالي بعـدَمـا رَحلــوا
وهــا مَــدارجُنــا من كِبْــرِهم مُلِئتْ
كِبْــراً ، وتحت سَنــاهم نحن نحتفــلُ !

* * *

آمنتُ بـــالله .. إنّ الشـرَّ مــا شُحِـذَتْ
أنيــابُــهُ ، فــإلى أصحــابِــهِ يَئِــلُ
وإنَّهم ، مــا أطــالــوا عُمـرَ جَـذوَتِـهِ
بحقــدِهم فَلَهــا من سُمِّهــا أَجَــلُ
ويشهـــدُ الله أنّــــا معشَـــرٌ أنُفٌ
لكنَّنـــا بعقـــالِ الصَّبـــرِ نعتَقــلُ
حتى إذا مـــالَ غُـــولُ الشَّـــرِّ علَّمَــهُ
أهــلُ العـراق النَّشـامى كيف يَعتــدلُ !
هـــا نحن بعـد ثمــانٍ لا شـروقَ بهــا
ولا غـــروبٌ ، ولا فَجــرٌ ، ولا طَفَــلُ
طـــوفانَ نـــوحٍ .. ولكنْ ، كـلُّ مــاطــرةٍ
بــالنــارِ والـدَّمِ لا بــالمــاءِ تنهطــلُ
قُمنــا لهــا ، وركَـزْنــا في مَخــاضَتِهــا
قــامــاتِنــا حَـدَّ أنْ ضــاقَتْ بنــا السُّبُــلُ

حتى دَفعنـــا جدارَ المـــوتِ عن دمِنـــا
أمّـــا بمـــاذا دفعنـــاهُ، فـــلا تَسَلـــوا!
قُبَيْـــلَ شهـــرٍ على جـــدرانِ حـــارتِنـــا
لـوحـدِهـا، ألفُ «بـاسم الله» تنسَـــدلُ
وتحتهنَّ أســـامي خيـــرِ إخـــوَتِنـــا
وخيـــرِ أولادِنـــا بـــالمـــوتِ تكتحـــلُ!

* * *

أبنـــاءَ عمّي .. ومـــا زلنـــا مُكـــابَـــرَةً
عن جُـــرحنـــا بجـــراحِ النـــاسِ نَنشغـــلُ!
فَجيعـــةُ الصَّبـــرِ فينـــا أنَّنـــا أبَـــداً
نبقى نُحمِّلُـــهُ مـــا ليس يَحتمـــلُ
ولم تكنْ ليلـــــــــةً أو ليلتَيْ قلقٍ
لكنْ ثـــلاثـــةَ آلافٍ بهـــا نَـــزلـــوا!
وكـــلُّ ليلـــةِ هَـــولٍ بعـــدَهـــا غبَشٌ
ممّـــا يُخَبّيءُ في أضـــوائِـــهِ خَجِـــلُ!
ونحن نســـألُ: هل غـــامَتْ محـــاجـرُهـا؟
يا دمعَ بغداد .. أهلُ المجدِ كم بذلوا؟!
الحمـــدُ لله أنّـــا، مـــا دَجَتْ مِحَنٌ
لسنـــا على غيـــرِ هـــذا البيتِ نتّكـــلُ!
وأنّنـــا، عُمـــرَنـــا، لم نَلتفتْ جَـــزَعـــاً
والمـــوتُ يدنـــو .. ولم نُذهَـــلْ كما ذُهِلـــوا

لكنْ توسّدَ كلُّ بندقيّتهُ

فليس إلّا إلى ناظورها يَكِلُ !

كنّا كباراً وَرَبِّ البيت .. ميزتُنا

أنّا فعَلنا كما آباؤنا فعلوا

ومثلما نشر الإسلام رايتَهُ

بالسَّيفِ فانصَدعوا بالسَّيف وامتَثَلوا

ها نحن ننشرُ للإسلام آصِرَةً

عَدا عليها بَنو ساسان فانخَذَلوا

معنى السَّلام .. لألفِ سوف تشكرُنا

ايرانُ حين يَزولُ الكُفرُ والدَّجَلُ

أنّا دَفَعنا عن الإسلامِ عندَهمو

أنْ لا إلى رِدَّةٍ يسعى به هُبَلُ !

* * *

مُستَفعلُن فاعلُن مستفعلُنْ فَعِلنْ

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُ !

هل دارت الأرضُ فاختلَّتْ مَعالُمها ؟

أم المَوازينُ في شِعري بها خَلَلُ ؟

إني سمعت نداءً لا أصدِّقُهُ

ومن يُصدِّقُ أنْ يَستَنجِدَ الجَبَلُ ؟!

يـا سائـلًا : هل بكث بغـدادُ من وَجَعٍ ؟
الآن بغــداد تبكي وهي تحتَفــلُ !
الآن ، إذ صَهَـواتُ النَّصـرِ عـاليـةٌ
وبــزَّةُ الحــربِ عن صــدام تَنْهَــدلُ
الآن يُصـدَعُ بيتُ الكِبرْ .. ؟؟ .. لا سمَحتْ
يَــدُ العــراق ، ولا مِعيــارُهُ الجَلَــلُ
يــامَن نفــوسُ العــراقيين أجمعُهــا
وِقــاؤهُ .. كيف يَــرضى اللّــهُ والمُثُــلُ
أنّــا نعيشُ ســلامــاً أنت صــانعُــهُ
في حين بيتُــكَ بَزْلَ الثّــوبِ يَنبـزلُ ؟!
وكيف يــا واهبَ النَّصــرِ العظيمِ لنــا
تــرضى بِذروةِ هــذا النَّصــرِ ننخَــذلُ ؟
أكــانَ هــذا امتحــانَ الله .. ؟ .. نَقبَلُــهُ
لكنْ معــاً .. كلُّنــا للّــهِ نمتَثِــلُ

يــا سيِّدي كــلُّ نفسٍ قبلَــكَ امتُحِنَتْ
حتى الأئمَّــةُ ، والاسبــاطُ ، والــرُّسُــلُ
ولم يقُــلْ ربُّ إسمــاعيــل خُــذْ دَمَــهُ
لكن فَــداهُ .. ألا تَفـديـهِ يـا رجُــلُ ؟

مــــاذا يقـول المـــراقيّــون لــو سُئِلــوا ؟
مــــاذا يُقـــال لصــــدام الــذي حَمَلــوا
بين الضّلـــــوع ؟ .. وَمَن أضفـاهُمـو نَمَــهُ
وحُبَّــــهُ ، وإلى أحــــلامِــــهِ دخلــوا
هـــذا الـــذي مَــلاتْ فَـــلّاحــةٌ فَمَــهُ
خبـــزاً ، ومَن كلُّهم من كفِّـــهِ أكلـــوا
مــاذا يقـال ؟ .. أجَــلْ ، جـاءتْ مُسَـــدَّدَةٌ
وهكـــذا أبـــداً تــــاتي لنـــا الغِيَـــلُ
لكنّنـــا يـــــا كبيــرَ القلبِ نَفــزعُ أنْ
تقـولَ أهلي المـراقيّـون .. مـا فَعلـوا ؟!
هــــو امتحـانٌ لنـــا أيضـاً .. مـــروءتُنا
وحبُّنـا في امتحـانٍ .. لا تَقُــلْ فَشِلـوا
بنــــو أبيـك المــراقيّون ، مــا خفَضــوا
هـــامـاً ، ولا نُكِسَتْ يــومــاً لهم عُقُـلُ
هِيْ محنَـــةٌ كلُّنـــا صــدام عـــابـرُهـــا
فَهَبْ أخــانا لنـا ، وافصِـلْ كمـا فَصَلـوا
لقـــد صنعْتَ ســـلامــاً ، فـــارِفِقَنَّ بــهِ
أعطِ السَّـــلامَ سلامــاً أيُّهـا الــرَّجـلُ !

* * *

عُذراً بني عمِّنا أنّي بمَحضَرِكم
فَجّرتُ ما في ضميرِ الناسِ يَعتَمِلُ
أجل تَجَرّأتُ ، لكنْ جراةٌ دمُها
يجري ، وتَسبيحُها لله يَبتَهِلُ !

* * *

شكراً لأبناء عمّي ، أنّهم وَصَلوا
شُكراً لهم أنّهم في بيتهم نزَلوا
شُكراً على كلِّ ما قالوا وما فعلوا
وما تنادَوا ، وما نادَوا ، وما كفَلوا
أبناءَ عمّي ، وَمِن أندى جَوانحِنا
يهفو إليكم سلامٌ عاطِرٌ ثَمِلُ
يَجيئكم ليقولَ الآن يا رُسُلي
للناسِ أيّامَ عزَّتْ عنديَ الرُّسُلُ
الآن لن تَحملوا عبءَ الدِّماء لنا
مِ الآن حِملُ العراقِ الحُبُّ والأمَلُ
والسِّلمُ ، والعلمُ ، والأفراح ، والغزَلُ
ورايةٌ حرّةٌ حَمّالُها بطَلُ
ونحن ، أبناءَ عمّي ، لا نقول لكم
إلا الذي قالت الأخلاقُ والمُثُلُ

هـــذي بـلادُكُمــو، مــا تَحملــون لهــا
فمثلَـــــهُ قبلَكم أجـدادُكُم حمَلـــــوا !

* * *

ألقيت في افتتاح مهرجان المربد عام ١٩٨٨

لغة الكبرياء

باسمِكَ الآنَ يا سيِّدَ الشِّعرِ
أبدأُ مُنعَطَفَ الابجديةِ في لُغَتي

إنَّ قافيَتي
بعدَ تسعينَ شهراً من الحنظَلِ المُرّ
لن تتبَدَّلَ في ليلةٍ عسَلا
إنَّ بي جبَلًا من دمٍ لا يُناخ
وبي غابةٌ للصُّراخ
فإنْ أدَّعِ الآن أنّي ساجعلُ من كلِّ جرحٍ نزَفْ
جَرَساً ،
وأعلّقهُ في أعالي السَّعَفْ
فانا ما رأيتُ إذن ولدَيَّ يَشبّان مِن عُمر عَشرِ سنينْ
إلى أن تلألأت الشمسُ فوق سلاحَيهما

فرأيتُ دمي يملأُ الأرضَ
بَيْنا هما يُنشدانِ معَ المُنشدينْ ..

هل تَجرّأتَ يا سيّدي ؟
إنَّ نَهرَيْ حياةٍ وموتٍ
تَجمَّدَ بينَهما الدّمُ
هل أجعل الشِّعرَ بينهما بَرزَخاً ؟؟

يا عراقْ
يا أميراً على النَّفْسِ والنَّفَسِ المُتَردِّدِ بين الحَنايا
يا مَهيبَ المَنايا
أنتَ يا من هَزَزْتَ إليكَ جميعَ النَّخيلْ
وساقَطْتَ عَدَّ الحصى شهداءً
وأجبرتَ بالدَّمِ كلَّ الخطايا
أن تلتقي أوجُهاً ومَرايا !
يا عظيمَ الضَّحايا
باسمِكَ الآنَ أبدأُ مُنعَطفَ الأبجديّةِ في لُغتي
سَأميلُ على رئتي
كلُّ أوردتي

سوف أربطُ أعناقَها
قاتلًا وقتيلْ
وسامنعُها أن تسيلْ
ولتكُنْ مُفرداتي بك الآن
أشرِعةً للرَّحيلْ

هل رأى أحَدُ عرَباتٍ وأغطيةً ودروعاً
تَراكَضُ مِن بينِ أوراقِهِ ؟
كلَّما خَطَّ حرفاً
رآهُ يُكوِّرُ هَيئتَهُ
يتحوَّلُ سُرفَةَ دبّابةٍ
مِدفعاً ، ثم يركضُ
الكلماتُ تصيرُ جنوداً وتركضُ
يَسمعُ صوتَ الرَّصاصِ
هديرَ المَدافعِ
يَسمعُ حتى صراخَ الجنودِ
يَهبّونَ أو يَسقطونْ
غيظَهم ..
وأنينَ جراحاتِهم

يُبصِرُ الدَّمَ بين السطورْ
ويَرى وَلَديهِ
عتادُهما فوقَ ظَهْرَيهما
وهما يركضانْ
ويرى النارَ حولَهما والدُّخان ..

هل رأى أحدٌ مثلَ هذي الرؤى
وهو يكتبُ ؟؟

نحنُ رأينا
ويا ما صَرخنا
ويا ما بَكينا
ولكنْ أصابعُنا بقيَتْ
ولتِسعينَ شهراً
بأقلامِها مُمسِكه
إنَّها مَعرَكه
والعراقُ الرِّهانْ
ما الذي يتَبقّى ليُبصِرَ مِن رجلٍ
زوجُهُ بين عينَيهِ تُغصَبُ
أو تُزدَرى .. أو تُهانْ .. ؟

ونحاولُ أن نتَجاوزَ هذي المرارةَ في شعرِنا
في العراقْ

ما نرى ،
ما نفكّرُ ،
ما نتحدَّثُ
هذي الأكُفُّ التي ضُفِرَتْ
لثماني سنينٍ
أصابعُها بالبنادقْ
والجذوعُ التي اخضَوضَرتْ في الخَنادقْ
فصارَ لها ورَقٌ وجذُوزْ
ستحاولُ أن تتجاوزَ مِحنَتَها
بعدَ تسعين شهراً قضَتْها بتلك القبوزْ

ربَّنا اغفِرْ لنا زَهوَنا
وامتحِنْ زَهوَنا
بعد أن نصرَ الحقُّ صاحبَهُ

نحن لا ندَّعي الجَبَروتْ
ولا ندّعي الملَكوتْ

قابلٌ كلُّ ضلعٍ بنا أن يموتْ
ولكنّهُ لا يُسلّمُ أنفاسَهُ للمنيّةِ
إلّا وآخرُ رَفّاتِهِ سَتَرتْ مَوضعَ القلبِ
مِن تحتِها
قبلَ أن تَنتهي للسكوتْ ..!

وبهذا حفرنا خَنادقَنا
وبهذا حمَلنا بنادقَنا
ورَكَزنا على جَبهةِ الشمسِ تسعين شهراً بَيارِقَنا
وبهذا انتصَرنا

فإذا ما الحروفُ بأقلامِنا أصبحَتْ رُجُما
والرُؤى سُدُما
وإذا أيُّنا
ضرَبتْ فاسُهُ الارضَ عن كاسِ ماءْ
فتفَجَّرَ مِن تحتِها مَنبَعُ للدّماءْ
فذاكَ لأنّا
ثلاثةَ آلافِ فجرٍ
نَظرنا الى الشمس

ما أشرَقَتْ مرّةً دون أن نُبصرَ الدَّمَ فيها
ولا غَرُبتْ مرةً دونَ أن نُبصرَ الدمَ فيها
وثلاثةَ آلاف ليلٍ
نظَرنا ،
ونحنُ ننامُ على أسطُحِ الدّورِ
نحوَ الظلامْ
نُراقبُ فيهِ وَميضَ القذائفِ تَسقطُ في الطُّرقَّاتِ
وفوقَ البيوتْ
فنحسِبُ كم بيتاً انهَدَّ
كم غافياً ماتَ
لم يَدْرِ حتى لماذا يموتْ ..

في الطريق إلى عملي كلَّ يوم
كان همّيَ أن أتأمّلَ جُدرانِ كلِّ البيوتِ القريبةِ
من بيتِنا
كلَّ فجرٍ أمرُّ بلافتةٍ ونعيٍّ جديدْ
وأغالبُ نفسي ،
ولكنْ برُغميَ أنظرُ لاسمِ الشهيدْ

ثمَّ تَهمي دموعي
ذلك الدَّربُ من حيِّنا
لن يُلاقيَني بعدَ هذا الصباح بهِ أحَدٌ
لن يُسلِّمَ مِن أحَدٍ ،
أو يَردَّ عليَّ السلامْ ..
وأحاولُ عن بيتهِ الإبتعاد
فأسمعُ صوتاً يُصبِّحُني
ثمَّ أبصرُ أولادَهُ يخرجون الى المدرسهْ
وهمو يَرتَدون السَّوادْ ..

قبلَ شهرَينِ ..
جاريَ بيتاً لبَيث
نُقِلَتْ للمَصَحِّ بقيَّتُهُ
وهو يَهرفُ
يُقسمُ أنَّ الشياطينَ تحملُ مسبحةً
أنَّهُ ،
وهو شيخٌ عجوزْ
حين صلّى قُبيلَ شهورٍ بقبر الرسولْ

جاءه هاتفٌ ،

ظلَّ وجهاً لوجهٍ يقولْ :

يا أمينْ

قُلْ لأهلِكْ

قُلْ لجيرانِكم أجمعينْ

مَن لَهُ ولَدٌ ،

فَليُعَلِّمْ يَدَيه

وليُعَلِّمْ لهُ قدَمَيهْ

وَلْيُخبِّىءْ علامَتَهُ في مكانٍ أمينْ

فسيأخُذُها مَعهُ

حين يذهبُ في الذاهبينْ ..

قبلَ يومينِ جاءوا لبيتِ أمينٍ بجثمانِ

أوسَطِ أولادِهِ

وهو مُتَّشِحٌ بالعَلَمْ

قالت الجُندُ

يا حاج

كان يُقاتلُ قُدّامَنا أسَداً

غير أنَّ أمين
حين كشَفَ تابوتَهُ
ضجَّ بالصَّوت :
هذي العظامُ القليلةُ ليسَتْ هيَ ابني
جَمَلًا كان
أطولَ منٍ نخلةٍ
ثمَّ ..
في ساق سَعدون كَسْرٌ
وليسَت هنا ساقُهُ
انَّهُ دونَ ساقْ !

يا عراقْ
لم تكنْ بَطَلًا بالتَّباهي
ولا بطلًا في المقاهي

منزلًا منزلًا
قد رأينا ليالي مُريعَةْ
وخُتِمنا لأعماقِنا بالفجيعَةْ

ولكنّنا ما انحنَينا
وحين جرى كلُّ عِرْقٍ بنا
ما نَوَينا
بل رأينا أصابعَنا
كلّما النّزْفُ زادْ
تتَخشّبُ فوقَ الزّنادْ .. !

نملكُ الآنَ زهوَ الفراتَينِ أجمعَهُ
أنَّ ماءهما ظلَّ ماءْ
فلم يصطَبِغْ بالدّماءْ
ولا الحبرِ ثانيةً ..
وبَلى ،
قد خضَبنْا الضّفافا
إنّما ماؤنا
ظلَّ ماءً مُعافى
وبهذا سنبدأُ منعطَفَ الابجديّةِ في شِعرنا
في العراقْ

إنّها لغةٌ ليس فيها مِراءْ
كيف يملكُ أن يكتبَ الشِّعرَ
مَنْ يفقدُ الكبرياءْ؟!

ألقيت في يوم الشهيد في ختام المربد عام ١٩٨٨

كوني حكيمي
وكوني بَعدَها حَكَمي !

في مصــــرَ ، لاتمـــلأنَّ الشِّعـــرَ بـــالحِكَمِ
خَفِّفْ قليــــلًا عنِ القـــــرطـــاسِ والقلمِ
فمصـــرُ دَهشَتُـــكَ الكبـــرى ، وأعظَمُهـــا
أنْ في ضميـــرِكَ منهـــا هَيبـــةُ الحَـــرَمِ
إنْ انتَ لم تَـــرتجِفْ حتى الشِّفافِ لهـــا
فمـــا وقـــوفُـــكَ بين النِّيـــلِ والهَـــرَمِ ؟!
ومـــا ادّعـــاؤكَ أنَّ الشِّعـــرَ مُعجِـــزةٌ
إنْ انتَ عَقلَنْتَ فيــــــه ذُروةَ الحُلُمِ ؟!
لا تُلبِسِ القلبَ عقـــلًا كي تُبـــرِّئَـــهُ
قـــد يُصبحُ العقـــلُ حينـــاً أكبـــرَ التُّهمِ !

* * *

يا مصرُ، يا سطوةَ المجهـولِ في قلَقي
ويَعضُ مجهــولِ خـوفي مُـوحِشُ القِـدَمِ
أزورُ مـــا جئتُكِ الاهــرامَ .. أقبَـعُ من
عَينَيْ ابي الهـولِ في مَـرمـاهُما الهَـرِمِ
مُحَملقـــاً فيـه .. لا صــوتٌ، ولا نفَسٌ
حتى لَاخصي دبيبَ الـــدَّهـرِ في الأكَمِ!
وتُسـرعُ الأرضُ، تطـوي كـــلَّ أعصُـرِهـا
فتُـــوقظُ المـــوتَ والمـــوتى من القَـدَمِ

كمْ مـــرَّ في هـذه الـدُّنيـا من الأممِ؟
كم دارتِ الارضُ ..؟ كم ريعَتْ فلم تَنَمِ؟
كمْ أطلعَتْ سُنبُـــلًا مُـــرّاً من الألمِ؟
كم مرّةً صاحَ صَـــوتُ اللّـهِ في إرَمِ؟!
والأرضُ تَطـوي أمـامي عُمــرَهـا فـأرى
عينَيْ ابي الهـولِ مصبـاحَينِ من ضَـرَمِ
وأبصـــرُ الشمسَ تهـــوي خلف قُبَّتِهـــا
وحـــولَها مِن جـراحِ الأرضِ بَحـرُ دَمِ

هـــذا وأوصِيتُ أن أنـــاى عن الحِكمِ
وانْ أفيءَ لِبُـــــــرئي لا إلى سَقَمي
وأدَّعي انَّ لي في مصـــرَ صَـــومعَـــةً
أقسَمتُ فيهـــا ، ومـــا حُلَّلتُ منْ قَسَمي

انَّ « الشَّـرابيَّـة » السَّهـــرى ساجعلُهـــا
وَجهي ، ومـــا أنـــا من عَبّـــادةِ الصَّنَمِ
لكنْ أسبِّـــحُ وَجـــهَ اللّـــهِ في بَشـــرٍ
فيهم مِن اللّـــهِ مـا في مصـرَ من كَـرَمِ !

فهَـــلْ تـرانيَ قـــدْ أسـرَفتُ في حُلُمي ؟
هل بالغَثّ مصرُ أم بالَغثّ في غَشَمي ؟
إني تَخِـــذْتُـــكِ مثـــلَ الضّلـــع مِن رئتي
قـــوساً على الـــروح ، لا خوفـــاً من الألَمِ
لكنْ لأبقى مُعـــــــافى في ذُرىٰ وَجَعي
بمـــا تَـــرشّين من ضـــوءٍ على ظُلَمي
وبعضُ عـــافيَتي أنْ كـــلُّ مـــائلـــةٍ
في داخلي ، إنْ تُمَـــرَّرْ فيـــك تَستَقِمِ !

اني ارتضَيتُــــكِ ميـــزاني ويـــوصَلَتي

كـوني حَكيمي، وكـوني بعـــدَها حَكَمي!

وبي من الكِبْرِ ما لو كان بي عطشُ الـ

دنيـــا وقيـــل انفطِمْ رزّاقُ أنفطِمِ!

يـــا مصـرُ لا يَقتـلُ الانســانَ أجمعَـهُ

فــرطُ الهُــزالِ، ولكنْ شــدَّةُ الــوَرَمِ

ونَحنُ في زمنٍ آدَتْ مـــــروءتَـــــهُ

لا قِلّـــةُ النـــاسِ، لكنْ قِلّـــةُ القِيَمِ!

❁ ❁ ❁

يا مصرُ، يـــا مصرَ أهلي، عُمرَ قافيتي

لم تَنتسِبْ لِفمٍ في الأرضِ غيـــر فَمي

اذا قَــرأتُ فصــوتي وحــدَه قَــدَري

وانْ سَكتُّ فصَمتي وحـــــــدَه أجَمِي

ولا ألــوذُ بـــهِ خـــوفــاً، ولا تَــرَفــاً

لكنّني أُشهِــدُ الــدنيــا عَلى سَــأمي

هـــذا زمـــانٌ يصيـــرُ المـــرءُ محضَ دمٍ

أوْ لا فيصبـــحُ مـــاخـــوذاً بـــالفِ دَمِ!

❁ ❁ ❁

يا مصرُ، ياما رَكِبنا صَهوةً شطَطاً
ياما سَرَينا بلا سَرجٍ، ولا لُجُمَ
وكانَ أجملَ ما فينا براءتُنا
فلمْ نُخطِّط، ولم نَعتِبْ، ولم نَلُمِ
كُنّا نُصادفُ حتى موتَنا عجِلًا
فلم يَقمْ ليلاقينا، ولم نَقُمِ!
أغلى مَواعيدِنا كانَت مؤجَّلةً
ما دامَ حالمُنَا في نَشوةِ الحُلُمِ
ثمّ استفقنا .. على ماذا؟ .. مُكابرةً
نقولُ أنّا بلَغنا مَبلغَ النَّدَمِ
ماذا أخَذنا منَ الدنيا، وثَروتُنا
وهمٌ على القاعِ بين البانِ والعَلَمِ(*)
وباسمِهِ، وهو وهمٌ، قد يُحلِّل ذو
رأيٍ دِمانا ولو في الأشهُرِ الحُرُمِ!

يا مصرُ صحراءُ هذا العمرِ أجمعُها
آثارُنَا فوقَها مخضُوبَةُ القَدَمِ
تَجري الحياةُ بنا عَجلى مُبعثرةً
جريَ الغمامةِ في مُستَنفَرِ النَّسَمِ

وَلا نقــولُ لــدامي جُــرحِنــا التَئِمَنْ
مَـــا دامَ في النــاسِ جُــرحٌ غَيــرُ مُلتئمِ
وذاكَ انّــا شَــدَدْنــا كــلّ آصِــرةٍ
فينــا بِهم شَـــدّةَ الاوتــادِ بــالخيَمِ !
يَــا امَّ شــوقي ، وشــوقي حينَ أذكُــرُهُ
يكــادُ يَخشــعُ حتى الحِبــرُ في قلَمي !
مَــا زلتِ في كــلّ يــومٍ تَحملينَ لنــا
بشــارةً .. قِمّـــةً تعلــو عَلى القممِ
وتَمــلأينَ الــدّجىٰ والــرّمــلَ هــاطلــةً
تَهمي ، وفيصَـــلَ بَــرقٍ غيـــرَ مُنثَلِمِ
حتّى تُضِيئي وتَسقي كـــلّ مُــوحَشـــةٍ
وتُــوقظي النّســغَ في بــوّابــةِ العَــدَمِ

* * *

يـــا أُمَّ محفــوظ ، كمْ من كــوكبٍ عجَبٍ
أطلعتِـــهِ من ظــلامٍ مُــوحِشِ العَتَمِ
فضـــاءَ حتى كــأنّ الليـــلَ قبّتُـــهُ
لِمـــا أحـــاطَ بمســـراهُ من السُّــدُمِ
مشعْشِعـــاً ، كــلُّ قلبٍ منــه في وهَــجٍ
وكـــلُّ غفــوةِ عينٍ منـــه في حُلُمِ

إذْ كــان مَجـدَ عظيمٍ نبـلُ جـوهَـرِهِ
فمجـدُ محفـوظَ فينَـا بـالِـغُ العِظَمِ
وذاك انَّ العِظَـــامَ استنبَطــوا مُثُـلًا
مِنَ الحيـاةِ، وأحيـاهَـا مِنَ الـرِّمَمِ!
هــذا الـذي مَـا رأىَ نفسـاً مُعـذَّبـةً
إلّا وكـــانتْ لَـــهُ أدنى من الـــرَّحِمِ
كَـــأنّمـــا روحُـــهُ التُّعبىَ مـــوكَّلَـــةٌ
بكـلِّ مـا فـوقَ سطـحِ الأرضِ مِن ألمِ!

* * *

يَـــا أيُّهـــا العَلَمُ العمـــلاق .. مَعـذرةً
أنّـــا نَرَجْنـــا على التَّشبيـــهِ بـــالعَلَمِ
لكنّني لـــــو سُئِلتُ الآن عن صِفـــةٍ
أقـــولُ للنّجم: يـــا محفـــوظ .. لا تَنَمِ!

أكـــرِمْ بمصـــرَ، ومصـــرُ ذروةُ الكَـــرَمِ
بيتُ الامـــانِ، وبيت الخيـــرِ والنِّعمِ
هيَ التي علَّمتني أنْ أرى فـــــرَحي
في مـا أرى في وجـوهِ النـاسِ من قيَمِ

انْ ألمسَ الحبَّ في كـلِّ الـوجـوهِ بهـا
حتى لاوقظَــهُ في الأشهُــرِ الحُــرُم !
بَيْنَــا أرى مجدَ كـلِّ الأرضِ مجتمعاً
علىَ رقيمٍ هنــا من هــذه الــرُّقُمِ !

ألقيت في مهرجان الكتاب في القاهرة ونشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٨٩

(*) اشارة لقصيدة شوقي المشهورة « ريمٌ على القاع » .

يا أنتمو .. يا عراقيون

غـابٌ من النَّخـلِ .. لا هـامٌ ولا كَـرَبُ
مثـلَ المســاميـر مَـدَّ العينِ تَنتصبُ
عجفــاءَ محــروقَــةٌ .. لكنْ مكــابَـرَةً
ظَلَّتْ حضــوراً وإنْ أصحـابُهـا ذَهَبـوا !
وهٰهنــا وهنــا ... في كــلِّ مُتَّجَــهٍ
أكــوامُ صَخـرٍ تـلاقَتْ فـوقَهـا التُّـرَبُ
كــانتْ هنــالــك دارٌ .. ثمَّ مــدرسـةٌ
جـوارَهـا .. كـان يـومـاً مـا هنــا كُتُبُ
دفــاتــرُ ، وأنــاشيــدُ ، ووالــدةٌ
تجيءُ ظُهــراً وتُقعي هٰهنــا .. وأبُ
كـانت حيـاةٌ هنـا ، هـذي شَـواخِصُهـا
هـذي الفَسـائـلُ ، والأحجـارُ ، والحَطَبُ ..

هـل تَعلمُ الارضُ إذْ تُـرخي أعنَّتَهـا
لـلأرنلينَ ، بـأنَّ الـدَّبْش إنْ رَكبـوا
داسُـوا على حُـرُمـاتِ الكونِ أجمعِهـا
وغـادروا كـلَّ غُصنٍ وهـوَ يَنتحبُ !
وهـل تَعلَّمتِ الـدُّنيـا ، وكـانَ لهـا
مُـذْ كُـوِّرتْ حَـدَثـانٌ منـهُ تَـرتِعبُ
طُـوفـانُهـا .. ثمَّ هـا صـارتْ تُصنِّعُـهُ
مَـزهـوَّةً .. ليس مـاءً ، بَـلْ دمٌ سَـربُ !
وهل تَرى أهـلُ هـذي الأرضِ أنَّ لهـا
مِن نفسهـا عنـدَمـا يَستفحـلُ العَطَبُ
إسِنَّـةً نَحن منهـا .. كلَّمـا انفَلَقتْ
سماؤهـا بـالـدُّجى ، وانحـاشَت الشُّهُبُ
رُعْبـاً نَبَتْنـا بهـا حتى نَـرى ألقـاً
من كـلِّ ثُقبٍ نَبَتْنـا فيـهِ يَنسكبُ !

* * *

سبعين قَـرنـاً عـراقيّين ، بَـلْ عَـرَبـاً
كُنّـا .. وأكبـرُ زهـوٍ أنّنـا عـرَبُ
نُساهِرُ الليـلَ ، نحنُ المـوغـرين دمـاً
نُضيءُ حينـاً ، وحِينـاً فيـهِ نَحتـربُ

مـــا قـالَ قــائلُنا يــوماً لــذي وَجَــعٍ
أســـاكَ هـــذا .. لمـــاذا أنتَ لا تَثِبُ
بـــل نَسبقُ الموتَ خَــوّاضين في دَمنا
حتى لَتَبحثَ عن سيقـــانِها الــرُّكَبْ !
ولا نقـــول أغثْنـــاكمْ .. مـــروءتُنـــا
تـــأبى، ويـــأبى لنـــا آبـاؤنـــا النُّجُبُ

* * *

يا أنتمــو .. يــا عــراقيّون .. يا تَعَبـــاً
للقلبِ .. أحلى، وأبهى مـــا يُرى تَعَبُ !
للّـــهِ أنتم ! .. تضجُّ الـروحُ غــاضبــةً
حينـــاً، وعـــاتبـــةً حينـــاً .. وتَحتسبُ
لأنكم أنبَـــلُ الـــدّنيـــا، وأنبَلُكُم
انَّ المـــروءةَ فيكم مَشهَـــدٌ عَجَبُ
يمـــوتُ واحـــدُكم من أجـــلِ أنمُلَـــةٍ
وربّمـــا يَخْضبُ الـــدُّنيـــا ويَختَضبُ
لأنّـــهُ لا يَـــرىٰ للمـــوتِ من سَبَبٍ
لكنْ يمـــوتُ إذا أمسى لَـــهُ سَبَبُ !
وهكـــذا جئْتمـــو للفـــاوِ جـــائحِـــةً
من الحـــديـــد، وعينُ الفـــاو تَـــرتقبُ

وأنتمـــو جـــامـــداتُ الضَّـــوء أعيُنُكم
فمـــا يَـــرِفُّ بكم عِـــرْقٌ ولا عَصَبُ
غُـــولٌ مِن الـــدَّمِ والنِّيـــران .. أضلعُكم
كـــأنَّمـــا ليسَ فيهـــا خـــافِقٌ يَجِبُ
حتى تَـداخَـلَ فكّـا الموتِ ، وانحَشَـــرتْ
أسْنـــانُهُ بعضُهـــا في البعضِ ، واضطربـــوا
دارَتْ عليهم رَحـــاكُم ، فـــاستـــوى فزَعـــاً
المـــوتُ والأســـرُ والإقـــدامُ والهَـــربُ
كـــانتْ جحيمـاً كمـــا لَوْ غـــابـةٌ لهبَتْ
فليسَ تَـــدري دَبـــاهـــا أينَ تَحتجبُ !
وكنتمـــو سادةَ الـــدُّنيـــا ، فقـــد شَحَبَتْ
حتى الضُّـــوى ، والعراقيُّون ما شَحَبـــوا !

* * *

يـــا آيـــةَ الفـــاو .. والآيـــاتُ مُنـــذُ مضى
محمَّـــدٌ أسْـــدِلَتْ مِن دونِهـــا الحُجُبُ
لكنْ مَجـــازاً نَـــرى أمجـــادَ أُمَّتِـــهِ
آيـــاً ، وآيتُنـــا هـــذي لَهـــا قُطُبُ
الفـــاو .. لـــو قُلتُ بَـدْرٌ ، مـــا كفَـرْتُ ولا
تجـــاسَـــرَ الشُّـــرْكُ والأحقـــادُ والـــرِّيَبُ

انْ يَلمُسـوهـا بسـوءٍ ، فهيَ مُعجـزةٌ
في حِقبـةٍ ليس فيهـا مَنفَـذٌ رَحِبُ
بـل مثلمـا حَسَمَ الاسـلامُ ردَّتَـهُ
يـوماً ، وكـانتْ غيومُ الكُفـرِ تَصطخِبُ
حَسَمْتَهم يـومَ نصـرِ الفـاو إذْ رُؤيَت
بـهِ المعـاييـرُ طُـرّاً وهي تَنقلبُ !

* * *

يـا سيفَ صدام ، لـو لم تَنشطرْ فـزعـاً
بكَ الـدّيـاجي التي أغفى بهـا القَرَبُ
لـو لم يُضيءْ بَـرقُـكَ اللّمّـاعُ سُجْفَتهـا
وكـانتْ الفـاو قَيْـدَ النَّصـلِ تَلتهبُ
لاخلَـدَتْ ألفَ عـامٍ كـلُّ غـائلـةٍ
بـأرضِنـا ، ولَجَفَّ النَّبـعُ والغَـرَبُ
وبعـدَ ألفٍ يَشقُّ الليـلَ مُنتفضـاً
سيفٌ يقـالُ لـه صـدام إذ يَثِبُ !

* * *

المجـدُ مجـدُكَ ، يـزهـو الشّعـرُ والأدبُ
بـأنّـهُ بـاسمِـكَ الميمـون يَنتَقِبُ

وانّـــهُ ، لِـــزمـــانٍ أنتَ صـــانعُـــهُ
وأنتَ مـــالئُـــهُ بـــالمجـــدِ ، ينتَسِبُ
بـــالامسِ قلتُ .. وللتـــاريـــخِ ذاكـــرةٌ
وكـــانَ ميـــلادُكَ الميمـــون يَقتـــرِبُ
وكـــانت الفـــاو مِن يـــومينِ خـــافقـــةٌ
أعـــلامُها ، والصّـــدى في الأرض يضطـــربُ
غَـــدٌ المَـــلاحِمِ والامجـــادِ تَصنَعُهـــا
ميمـــونٌ عمـــرِكَ يـــا صـــدام يُحتَسَبُ
واليـــوم هـــا سَنَـــةٌ أخـــرى مبـــارَكَـــةٌ
أنـــوارُهـــا لِسَنـــا عينيـــكَ تَنْجَـــذِبُ
تُبنى بهـــا البصـــرةُ الشّمّـــاء بـــانخـــةً
والفـــاو تُبنى ، ويُبنى المجـــدُ والحَسَبُ

وأنتَ في البصـــرةِ الفيحـــاء آونـــةً
والفـــاو حينـــاً .. مُقيمٌ ، ســـاهرٌ ، حَـــدِبُ
تعيشُ أمجـــادَ هـــذي الأرض .. تَصنَعُهـــا
تَبني ، وتَـــزرعُ .. تستَسقي ، وتَحْتَطِبُ
للّـــهِ أنت ! .. قـــرأنـــا ســـيرةً عظُمتْ
لِأهلنـــا .. هكـــذا آبـــاؤكَ انتَصَبـــوا

فكيف أحسبُها يا سيّدي سَنَةً
وكلُّ أيامِها من زهوها حِقَبُ ؟!

* * *

ابا عَديٍّ وللأيام أسهُمُها
وكلُّ حيٍّ لَهُ من قوسِهِ سَبَبُ
وسيّدُ الناسِ من تَدري فَراسَتُهُ
بمَوضعِ السَّهمِ منها حين يَنتخِبُ !
وقد رأيتُكَ أدرانا بأنفُسِنا
أدرىٰ بما نَدْري .. أدرىٰ بما نَهَبُ
أدرىٰ بنا عندَما نُكدي ونَجتنبُ
وحين نُعدي، ونَستَعدي، ونَرتكبُ
كأنما أنتَ في أنفاسِنا نَفَسٌ
وهاجسٌ وانسرابِ الرّوحِ يَنسربُ
بِذا تخيّرتَ يومَ الفاو .. جئتَ لها
بكلِّ حبٍّ العراقيّين تَقْتَصِبُ
فقاتلوا بكَ حَدٌّ استنفَروا دَمَهم
قبل الدّروع، وقبل النارِ يَحتربُ
ولمْ تكنْ أهبةَ النيران ليلتَها
لكن بمَغناك فيهم كانت الأهَبُ

واللّـــهُ يَدري ، وتَــدري ، والعـراقُ ، وَمَن
والى ، وعــادى ، ومَن ثابـوا ، ومَن ثَلَبـوا
بــانّــهُ كــانَ يــومَ الحقّ أجمعِــهِ
وكنتَ فيــهِ انسكــابَ الــوحيِ تَنسكبُ !

يا جـاعـلَ الفـاو بعـدَ المـوتِ مُنطلقـاً
الى الحيـــاةِ .. وهـذا الهيكــلُ الخَــرِبُ
آليتَ أن تَتَحـــدىٰ الكـــونَ أجمعَـــهُ
بـــه ليُصبــحَ نبـــراســاً لِمَنْ وَهَبــوا
يـا نـادبَ الأهـــلِ أبشِـرْ حين تنـدُبُهم
لأنَّ كـلَّ العـــراقيّين قــد نُــدِبــوا !

نــاتيـكَ واللّــهِ طُـوفــانـاً كعـادتِنـا
إنــا لحــالَيْــكَ فينــا جحفــلٌ لَجِبُ
إنْ كنتَ في الحربِ قد جـرّبْتَ غَضْبَتَنا
فانظُرْ على السِّلم مــاذا يَصنعُ الغَضَبُ !
تــاللّهِ لـو شِئتَ في قـاعِ الخليـج لهـا
أقـــواسَ نصرٍ تَـلاقى فـوقَهـا النُّصُبُ

إذن رَفَعنا لها قاعَ الخليج الى

أن تدفع الماءَ عن هاماتِها القُبَبُ !

فيا سليلَ نبوخَذْ نُصَّرٍ، وعلى

أكتافِهِ كانت الأحجارُ والخَشَبُ

تعلو ببابلَ أبراجاً تُسوِّرُها

ومَرصَداً تَنحني من تحتِهِ السُّحُبُ

لقد تشابهتُما في الحالتين معاً

وكلُّ فرعٍ الى أهليهِ ينتسِبُ !

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٨٩

يا حكمـة اللّـه..

«في رثاء الشهيد عدنان خيرالله»

بعضٌ من العيدِ هذا أنتَ صانعُهُ

فأين تمضي وقد لاحتْ طلائعُهُ

قاتلتَ تسعين شهراً عن كواكبهِ

نجماً فنَجماً الى أن ضاءَ ساطعُهُ

فكيف تمضي وفي عينيكَ فرحتُهُ

وفوق مَفرِقِكَ الوَضَّاء لامعُهُ

وأين تمضي، وما زال الزمانُ فتىً

ونهرُ عمرِكَ ما جفَّتْ منابعُهُ!

لولا تمهَّلْتَ فالدَّربُ الذُّهَبْتَ بهِ

أبا عليٍّ كثيراتٌ مواجعُهُ!

دافعتَ تسعين شهراً ألفَ غائلةٍ

وجاء فرداً.. لماذا لا تدافعُهُ؟

يا أيُّها السَّيفُ لم يُغمَدْ ، ولا انثلمَتْ
شِفــارُهُ ... لا ، ولا زَلَّتْ طَبــائعُــهُ
رأيتُــهُ كيف يُبكي من مــروءتِــهِ
ويمــلأ القلبَ إجـلالًا تَــواضعُــهُ
وكيف طيبتُــهُ تُــوحي لنَخــوتِــهِ
حتى تُــزلــزِل زلــزالًا وقــائعُــهُ
رأيتُــهُ كم يُضيءُ الحبُّ جبهتَــهُ
وكم تضيءُ من التُّقــوى أضــالعُــهُ
وكم يــواجــهُ حتى المــوت مبتسمــاً
ولا تُمَــدُّ إلى الصُّغــرى أصــابعُــهُ !
بل يُفسِحُ الدَّرب إفساحَ الكــريمِ لَـهُ
وكيف لا وهــو شــاريــهِ وبــائعُــهُ !

أبــا عليّ ، لنــا عَتْبٌ عليــك فقــد
وافــاكَ إذ أنت رائيــهِ وســامعُــهُ
لــو كنتَ .. غفــرانَكَ اللَّهم عن شَطَطي
هــذا قضــاؤك ، مَن منّــا يــراجعُــهُ ؟
أنت الــذي اختَــرْتَــهُ في زهــوِ بَهجتِــهِ
وطفلُــهُ لم تــزلْ تَنــدى مَــراضعُــهُ !

ولم يــــزلْ أوّلُ الأعيـــاد مُلتفتـــاً
للسّلم نصفَ التفـــاتٍ .. لـو يطـاوعُـهُ
ومـــا تـــزال على عـــدنـــان بـدلتُـهُ
خُطّتْ عليهـــا مَهيبـــاتٍ روائعُـــهُ !
هـــو امتحـــانٌ لنـــا ثـــانٍ ، وأعسَـرُهُ
أنّ المُسَجّى كثيــــراتٌ ودائعُـــهُ !
لـــه على كلِّ شبـرٍ في العـراق يَـدٌ
ويَيــرَقٌ يَنتخي بـــاللّـــهِ رافعُـــهُ
ووقفـــةٌ والعـــراقُ الضّخمُ يـــرمقُـــهُ
طَلْقـــاً ، مُـــريعـاتٍ أصـواتِ مَـدافعُـهُ
يـــواجـهُ الهَـولَ كـلَّ الهـولِ مبتسمـاً
وللعـــراق سنـــا نجمٍ يطـــالعُـــهُ !

* * *

أبـــا عليٍّ ، لئن فـــارقتَ مـــوقعَنـــا
فكم فتىً أخليَتْ منـــهُ مَـــواقعُـــهُ
نقـــول تبقى لـه الـذكـرى ، فيخـدعُنـا
نفسُ الشعـــورِ الـذي كنّـا نُخـادعُـهُ
هـا مَـوضعُ سَعَـةَ النّهـــريَنِ شاخصـةٌ
أبصـــارُهُ لـــكَ ، لا تُلـــوى مَـدامعُـهُ

وفيـــهِ خيــرُ رفــاقِ الـدُّرب ، فــارغــةٌ
يُمنـاهُ منـك ، غـريقُ الطَّـرفِ ، خـاشعُـهُ
بـــالامس كنتَ لَــهُ سيفــاً ومُتَّكــاً
وخـــالَ وِلْـــدٍ حميمـــاتٍ شَـــوافعُـــهُ
تضيءُ في أوجُـــهِ الأولادِ ضحكتُـــهُ
ويُسعـــدُ البيتَ كـــلُّ البيتِ طـــالعُـــهُ
واليـــومَ يـــرنـــو فـــلا يُلفي ســـوىٰ ألَقٍ
ومحضِ صـــوتٍ بعيـــداتٍ رواجعُـــهُ
بلىٰ مقيمٌ كـــريمٌ خـــالـــدٌ أبـــداً
لكنْ بعيـــدةٌ أفيـــاءٍ مـــزارعُـــهُ !

* * *

أبـــا عَـــديٍّ وعُـــذراً أن يقـــاطعَني
حـــزني ، وأحجمُ عنـــهُ لا أقـــاطعُـــهُ
كـــان التَّصبُّـــرُ في البلـــوىٰ ذريعتَنـــا
فكيف بـــالصَّبـــرِ إنْ قلَّتْ ذرائعُـــهُ
السَّيفُ سيفُـــكَ هـــذا ، أنت صَيقَلـــهُ
أنت المُعَـــزّىٰ بـــهِ إن مـــالَ قـــاطعُـــهُ
وأنت قبـــلَ دمـــوع النـــاس كلِّهمُ
مفجـــوعُ بيتـــكَ قـــد ســـالتْ هَـــوامعُـــهُ

يــا حكمــةَ اللّــهِ في نجمٍ تَحفُّ بــهِ
تسعين شهــراً ولا يهــوي مَصــارعُــهُ
لكنْ هــوىٰ بعــدَمــا المَسجورةُ انطفــأتْ
لأنّــهُ لم يجــد هــولًا يقــارعُــهُ !

* * *

أبــا عليٍّ ســلامُ اللّــهِ مــا طلعَتْ
شمسٌ ، ومــا جَلّلَتْ ليــلًا بَــراقعُــهُ
ومــا أضــاء لنــا نَجمٌ ، ومــا قمــرٌ
لا لا ، ومــا نــاح فــوق الأيــكِ ســاجعُهُ
عليــك من كــلٍّ هــذي الأرض يا رجــلًا
قلــوبنــا كلّهــا تبقىٰ تــراجعُــهُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٩ / ٥ / ١٩٨٩

يا مطلعَ الفجرِ العظيم

بَل وَعدُ رَبِّكَ .. أسرَحوا ، وأساموا
وَتَنمَّروا ، وتجبَّروا ، وأغاموا

وَبَنوا كما شاء الخيالُ ، وَوَسَّعوا
وَتَوَسَّعوا .. واستروَحوا ، وأقاموا

وأتيتَهم بَرقاً .. اذا بفيومِهم
بَددٌ ، وكلّ بنائِهم أحلامُ !

* * *

بَل وَعدُ رَبِّك أنَّ كلَّ أثيمةٍ
تمتَدُّ أجنحةٌ لها الآثامُ

فتَشيلُها مفتونةً لِهلاكها
ويمثلِهنَّ تطايَرَ الأعجامُ

وأتيتَهم برقاً ، فظلَّ فَحيحُهم
للآن تنقلُ رَجعَهُ الآكامُ

* * *

يـــا زارِعـاً في الفــاو كــلَّ شمــوخِـهِ
أبشِــرْ، فــاخــلاقُ الــرجــال ذمــامُ
أعنـــاقُ أهلِــكَ كلُّهــا طــوقٌ بهـــا
هـــذا الثُّـــرابُ، وهـــذِهِ الأنســـامُ
الفـــاو قُطبُ الأرضِ يـــا صَـــدّام بَـــلْ
لـــو شِئتَ شَكمَ الأرضِ فهي زِمـــامُ
فـــرساً جمـوحـاً كـانت الـدُّنيـا هُنـا
حَتّى أتـــاهـــا سَيلُـــكَ الخطّـــامُ
نَـــزَفَ العـــراقيُّـــون خَيـــرَ دِمـــائهم
فيهـــا، فقـــامَتْ صَهـــوةٌ ولِجـــامُ
وَشَكمتَهـــا .. لِلّـــهِ دَرُّكَ فـــارســـاً
ألقَت إليـــهِ عِنـــانَهـــا الأيّـــامُ

* * *

بـــوابَـــةَ النَّصـــرِ العَظيم .. تحيـــةٌ
لـــدِمـــاءِ إخـــوَتنـــا هُنـــا وســـلامُ
تَحنِي الـــرُّؤوسَ الى تُـــرابِـــكِ خُشَّعـــاً
فَيُعيـــدُهُـــن الـــزَّهـــوُ والإعظـــامُ
هـــذا النَخيـــلُ ومـــا هَـــوَت شَعَـــافُتُـــهُ
والـــدُّورُ وَهي خَـــرائبٌ وحِطـــامُ

هي رمـــزُ معركـــةِ الفِـداء بــأســرِهــا
وَلَهـــا على صَـــدرِ العِـــراقِ وِســـامُ
والفـــائبـــونَ .. وَهم حضـــورٌ بَيننـــا
ألقَـــوا ودائعَهم إليـــكِ ونـــامـــوا
المُطمئنَّـــةُ في الســـمـــاءِ نُفُـــوسُـــهُم
ذَهبـــوا .. ولا مَنٌّ ، ولا اســـتفهـــامُ
كـــانت لهم حَيَـــواتُهم جَـــادوا بهـــا
وَمَضـــــــــــوا وظَلت هـــذِهِ الآجـــامُ
الأرضُ طِـــرْسُ النَّصـــرِ يُكتَبُ بـــالـــدِّمـــا
والنـــــارِ ، لا ورَقٌ ، ولا أقـــــلامُ !
تَـــاللّـــه تُصبـــحُ كـــلُّ مـــورِقـــةٍ هُنـــا
غـــابـــاً يفـــيءُ لِظِـــلِّـــهِ الاســـلامُ !

* * *

بَـــوّابَـــةَ النَّصـــرِ العَظيمِ .. وَمِن هُنـــا
بـــدأت تُضـــاعفُ نفسَهـــا الأرقـــامُ
تَتَسَـــارعُ السَّـــاعـــاتُ والأعـــوامُ
تتضَـــخَّم الأبعـــادُ والأحجـــامُ
مـــا عَـــادَت الأيـــامُ محضَ بـــديهـــةٍ
« الضـــوءُ ضَـــوءٌ وَالظـــلام ظـــلامُ »

لكنّهـــا مِ الآن ، عُمقَ وجـــودِهـــا
تَتَفَتَّـــحُ الألفـــامُ والأكمـــامُ !
وَغَـــداً يُحـــرِّكُ عَصـــرُهَـــا دُولابَـــهُ
وَيُـــدِيـــرُهُ مُســـتَنفَـــرُون ضِـــخَـــامُ
سَـــيَكُـــون للفـــاو العظيمـــةِ في غـــدٍ
زَمَـــنٌ تحـــارُ بِكُنهِـــــــهِ الأفهـــامُ !

* * *

بَـــل وَغـــدُ ربِّـــكَ أيُّهـــا المقـــدامُ
أن يُبتَـــدَا مِن حَيثُ قِيـــلَ ختـــامُ
وَتكـــونُ أنتَ المُبتَـــدا .. يـــا سَيِّـــدي
وَقفٌ عَلَيـــكَ العَقـــدُ والإبـــرامُ
الفـــاوُ هـــذي .. أنتَ صُنْتَ ذمـــارَهـــا
بَيْنَـــا بُعَيْضُ بَني أبيـــك نِيَـــامُ !
لا بَـأسَ .. كـلٌّ يَـــدٍ وَمـــا عُـــرِفَتْ بِـــهِ
الصَّيـــدُ صِيـــدٌ واللئـــامُ لِئـــامُ !

* * *

صَـــدَّامُ يـــا مَـــاءَ الفُـــراتَينِ الـــذي
مـــا للعِـــراقيِّين مِنـــهُ فِطـــامُ !

زَفُّوا إليهِ شموعَهم وَدموعَهم

مِن ألفِ ألفٍ والزَّمانُ غُلامُ

يا طَلْعَ كُلِّ النَّخلِ .. يا أعذاقَهُ

يا ذُرْوَتَيْ جِمرين حينَ يُرامُ !

بكَ أنتَ وَحدكَ تكبرُ الأرقامُ

وتُكاثرُ الأخوالُ والأعمامُ

ويقالُ لِلجُلّى عَلى جَبَروتِها

أرخِي الزِّمامَ فَههُنا صَدّامُ !

بكَ أنتَ لا بِسواكَ كلُّ مُروَّعٍ

يَغفو، وكلُّ مُصَدَّعٍ يَلتَامُ

بكَ يا عزيزَ النفسِ كلُّ بَعيدَةٍ

تَدنو، وَتذْكرُ بَعضَها الأرحامُ !

يا ماليءَ الدّنيا تُقىً وَمروءةً

ومعلّمَ الميزانِ كيفَ يُقامُ

أيقِظْ مُضلِّلَها .. وقد أيقظْتَهُ

وأرَيْتَهُ أنَّ الحَرامَ حَرامُ

وَأرَيتَهُ أنَّ العراقَ مياهُهُ

لُجَجٌ، وأنَّ عبُورَها أوهَامُ !

* * *

يَــا مُطلِــعَ الفَجْــرِ العَظيم لقــومِــهِ
إنَّ العَظَــــائِمَ أهْلهُنَّ عِظــــامُ

وَحَيــاةِ هَيبتِــك التي لِجــلالِهــا
وَهَــجٌ بِــهِ تَتَعثَّــرُ الأقــدامُ

وَتكــادَ تَمْتَنــعُ الخُطــا لِخُشُــوعِهــا
أنْ تَــدّنى ، فَتَجــزُهــا الأجســامُ !

وَحَيــاةِ طَلْعَتِــكَ التي لِحضــورِهــا
وَحيٌ ، كــأنَّ حضُــورَهــا إلهَــامُ

وَأجــلْ .. وَهــا أنــذا أمــامَــكَ أنْتضي
هــذا الحُسَام ، وَهَــلْ سِواك حُسَــامُ ؟!

لَتَظَــلُّ بــاسِمِـكَ فَــوقَ كــلِّ رُبُــوعِنــا
عُمْقَ السَّمــاءِ تُــرَفْــرِفُ الأعــلامُ

وَيَظَــلُّ منــكَ على جميــعِ حُــدودِنــا
بَــرقٌ بِــهِ تتَسمَّــرُ الآكـــامُ

يُــوفي على عِيــلامَ قصفُ رُعــودِهِ
حتى تَفِيءَ لِــرُشْــدِهــا عيــلامُ

اللهُ يــا سَيفَ العــراقِ وَشمسَــهُ
مِنــكَ السَّنــا ، وبِحَــدِّكَ الإقــدامُ

إنّي لأعجَبُ ، والقَصــائـدُ تَفْتَـدي
نــاراً إذا نَـدَبتُــكَ ، وهيَ كَــلامُ
مــا كــانَ فِعـلُ الـرَّاجمـاتِ وَأهلِهـا
يَــومَ انْتَخَتْ بِـكَ أيُّهـا الضِّـرْغـامُ ؟!
صَــدّامُ يــا زَهــوَ العِـراقِ بِـأسـرِهِ
تَصحُــو عَلَيــكَ بيــوتُــهُ وَتَنَــامُ
وَيَكــادُ يُطْــرِبُ كــلَّ نَفْسٍ قــوْلُهــا
صَـدّام ، يــا صَـدّامُ ، يــا صَـدّام !
الأنَــكَ المَيمــوُنُ مِنْ أبْنــائِــهِ ؟
أسمــاؤهُمْ بِــكَ كلُّهُنَّ ضخــامُ
وَجَميعُهــا مَيمُــونَــةٌ ، وَجَميعُهــا
مَسكــونَــةٌ بــالكِبْــرِ لا تُشتَــامُ
لكنَّ أهْلَــكَ ، عُمْــرَهُمْ ، إنْ يَعشقــوا
ذَابــوا على مَن يَعشقــونَ وهَــامُــوا
فَتَــرَاهُمــو حَتَّى مَــدَاخِـلُ سِــرِّهِم
لِحَبيبِهِــمِ بِشِــفِــافِهــا أخْتَــامُ !
فَــإليــكَ يــا رَمــزَ العِــراقِ قلــوبَنــا
وَعَلى العــراق تَحيَّــةٌ وسَــلامُ ..

نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٨٩

يا أيها الرجل الانسان ..

« في رثاء المرحوم ميخيل عفلق »

ساءَلتُ نهرَكَ، لا جَفّتْ جَداولُهُ
وكلُّ نَبْعٍ لَهُ زَرْعٌ يُسائِلُهُ

هل المَصَبّاتُ للانهارِ خاتمةٌ ؟
والماءُ .. هل تَنتهي فيها شَواغِلُهُ ؟

أم البِدى والنُّهى لُغْزٌ، وبَينهما
ماءٌ على قَدْرِ أهليهِ مَناهلُهُ !

مُذْ دارَت الارضُ والنَّهرانِ سَيْلُهُما
يَجري، وفي الفاوِ تَسْتَرخي جَدائِلُهُ

ولم يَزَلْ نَجلةُ الزّاهي تَحُفُّ بِهِ
بَغدادُهُ مِثلَما بالامسِ بابِلُهُ !

ويَأفَلُ النّجمُ .. آلافٌ مؤلّفَةٌ
تَمضي، ويَلمعُ في الظّلماءِ آفِلُهُ

ونحنُ نَســألُ : هــل للنَّهــرِ خــاتِمــةٌ
أمْ كــلُّ نَهــرٍ تَــواليــهِ أوائِلُــهُ ؟!

* * *

يــا أيُّها الــرَّجُلُ القــدِّيسُ .. أفْضَلُـهُ
بــأنَّــهُ لَيسَ يَــدرِي مــا فَضــائِلُـهُ !
لأنَّــهُ لم يَكُنْ ـ مَهمــا أراد ـ سِــوى
قِنْــديــلِ ضَــوْءٍ طَهُــوراتٍ نَــوَاسِلُـهُ
مُبــارَكٍ مثــلَ خَيْطِ النُّــور ، مُكْتَنِــزٍ
بــالحُبِّ ، لم تَنْطَفىء يــومــاً دَواخِلُـهُ
ولا ادَّعى لَحظــةً إلّا لأمَّتِــهِ
زَهْواً ، ولا قالَ : زَرْعي .. وهــو شاتِلُـهُ !
مــا رَاءَهُ الطَّــرفُ إلّا وهــو مُعْتكِفٌ
لِــزُهــدِهِ ، مُستَقِيمُ العُــودِ ، نــاحِلُـهُ
مُلَــوَّحٌ طَلْعُهــا حَتّى فَســائِلُــهُ
ثَقيلــةٌ ، مُسْــتَقــرّاتٌ سَــنــابِلُـهُ
مــا ذادَ عنها سِــوى أعــداءِ طِينَتِهــا
بِفِكْــرِهِ ، وَحسيــراتٌ مَقــاتِلُــه
يــا صَــافي الاكــرَمينْ : القَلبِ مُمتَلئــاً
بــالتَّضحيــاتِ .. وَعَقــلٍ لا يُجــادِلُـهُ

مِمّا أطمأنّا معاً كلٌّ لِصَاحِبِهِ
فَباتَ يُشغَلُ عَنْهُ لا يُشاغِلُهُ
كَأنَّما جُبِلا مِنْ مَعْدِنٍ أحَدٍ
لِيُوضَعا في إهابٍ جَلَّ جَابِلُهُ

* * *

يا مُبدِعَ الحَرْفِ .. أدري أنَّها عظَةٌ
لِكُلِّ كاتِبِ حَرْفٍ صَالَ صائِلُهُ
أنْ ليسَ يَدري سِوَى الأدنَينَ كم نَزَلَتْ
رَواحِلُ الشِّعرِ .. كمْ جَازَتْ قَوافِلُهُ
واحاتِ عُمْرِكَ فاخْضَرَّتْ مَعَابِرُها
شِعراً ، ولم يَدْرِ حَيٌّ أينَ قائِلُهُ !
وَكَمْ تَحَشَّدَ مِنْ وَعْيٍ وَعاطِفَةٍ
في كلِّ حَرْفٍ إلى أنْ ضَاءَ داخِلُهُ
وَما دَرى أحَدٌ مِن أيِّ مُنبَجَسٍ
أضَاءَ ، لكنَّما .. هذي مَنَازِلُهُ !
وأعظَمُ الشِّعرِ ما أحسَسْتَ أنَّ بهِ
شَيئاً يُضيءُ وَلكنْ أنتَ جاهِلُهُ !

* * *

وَيا مُعَلِّمَ هذا الجيلِ، إنَّ لَهُ
مِنْ صَمْتِكَ الآنَ طَيفاً لا يُجامِلُهُ
لكنْ يَقولُ لَهُ: يا مَنْ أَضَاتَ لَنا
بدايةَ الدَّربِ، بارِكْ ما نُحاوِلُهُ!
إن كُنْتَ أَخْلَيْتَ بَيْتاً كُنْتَ تَسكنُهُ
فَبَيتُ وَعْيِكَ خَيْرُ النَّاسِ آهِلُهُ
لَقَد تَركْتَ لهذا الجيلِ تَذكِرَةً
أَنَّ الذي يَفْتَني بالشَّيءِ باذِلُهُ!
وَأَنَّ للوَغْي سَيفاً، حَدُّ صاحِبِهِ
أخْلاقُهُ، والذي يَبقى حَمائِلُهُ!
وأَنَّ أَنْبَلَ ما في المَرْءِ طِيبَتُهُ
وأَنَّ أكْرَمَ ما فيها نَوازِلُهُ
لأَنَّهُنَّ امتحانُ العُمْرِ ما وَلَدَتْ
أُنثى غُلاماً، وما رَفَّتْ أَنامِلُهُ!

* * *

يا أيُّها الرَّجُلُ الانسانُ هَبْ قَلَمي
قُطَيْرَةً مِن سَحابٍ أنتَ وابِلُهُ
لَعَلَّني أَنْتَقي حَرْفاً رَهافَتُهُ
تَحُفُني بِكَ حَفَّ البَحْرِ ساحِلُهُ!

وَلَنْ أقــولَ كــلامــاً أنتَ تَــرفُضُــهُ
عهْــداً لتــاْريــخِ حُــزْنٍ فيــكَ حــافِلُــهُ
فَلَنْ تَجيئَــــكَ مِن دَمعي هَـــوامِلُـــهُ
وَلَنْ تَسيئَــــكَ مِن رَجعي ثَــــوَاكِلُــــه
وَلَنْ أجَــرِّحَ بـــالاوجــاعِ ، مــا عَظُمَتْ ،
هـــذا الجَــلالَ .. بَلَى للمَــوْتِ فــاصِلُــهُ
وَسَـــــوفَ أعبُـــرُهُ مُسْتَغفـــراً لِفَمي
ببَيتِ شِعْـــرٍ كثيـــراتٍ هَـــلاهِلُـــهُ !
إنِّي رَأيْتُ كبيــــــرَ النَّفْسِ في وَطَني
يَهْـــوي ، وَتَــرفُضُ أنْ يُبْكى مَــراجِلُــهُ !
لأنَّـــــهُ لم يَمُتْ إلَّا وَفي فَمِـــــهِ
هتـــافُ لَبَّيْـــكَ ، واستَعصَتْ وَسَـــائِلُـــهُ !

وأنتَ عُمْـــرَكَ مــا مَـــرَّتْ ثُـــوَيْنيَـــةٌ
مــا قُلْتَ لبَّيكَ .. حتى جاء عــاجِلُـــهُ
فَلَيْتَ كـــلَّ شِفــاهِ العُــرْبِ سَـــاعَتَهــا
قَـــدْ هَلْهَلَتْ لِـــرَحيـــلٍ أنتَ راحلُـــهُ !

* * *

يـــا مُلْهِمَ القَـاطِعينَ الـدَّرْبَ .. تـَزكيَـةً
لِكـلِّ جِيـلٍ مَضَتْ تَسعَى جَحَـافِلُـهُ

وَرَاءَ خَطْـوِكَ ، أَنَّ الـدَّرْبَ سـارَ بـهِ
هـذا الّذي كـلُّ آتي القُـرْبِ آمِلُـهُ !

إنّي رَأيْتُ خُطـا صَـدَّام تَقْبُـرُهُ
فَنَمْ قَـريـراً فَلِلنِّبْـراسِ حـامِلُـهُ !

أكـادُ أقسِمُ أنْ عَيْنـاك مـا غَفَتـا
إلّا وَهـذا الجَنـاح امتَـدَّ هـائِلُـهُ !

سُبحـانَ رَبِّـكَ أعطىٰ جَـدَّهُ سِمَـةً
عَليـهِ منهـا شُعـاعٌ جَـلَّ وَاصِلُـهُ

النُّـورُ وَالسَّيف .. قُطْبَـا كـلِّ مُنعَطَفٍ
للكَـوْنِ حتّى يَهـابَ الحَقَّ بـاطلُـهُ

فَنَمْ مُعَلِّمَ هـذا نَـوْمَ مُـؤْتَمَنٍ
أَدّى الـرِّسَـالَـةَ وانْبَثَّتْ سَـلاسِلُـهُ

فَعَـادَ للمَـلأِ الاعلى تَحُفُّ بِـهِ
مَـلائِـكُ اللّـهِ ، والـرَّحمنُ قـابِلُـهُ ..

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٣١ / ٧ / ١٩٨٩

يا أم بلقيس

الحمدُ للّهِ أن نَلقاكَ يا وطني
ولم يَضِعْ منكَ فينا طاهرُ اللّبَنِ
جئناكَ رَاياتُنا عالٍ مُخَضّبُها
ممتدّةُ الزّهوِ بين النّجمِ والكَفَنِ
جئناك نحنُ العراقيّين كلُّ يدٍ
لها بأرضكَ - ندري - كَفُّ مُحتضِنِ
لأنّنا يا ثرى الأجدادِ ما تركَتْ
دماؤنا شبرَ أرضٍ فيك لم يُصَنِ
ظلَّ العراقُ كبيراً في عروبتِهِ
وظَلَّ عِرْضُ العراقيّين لم يُشَنِ
الحمدُ لله أنَّ الارض عامرةٌ
والروح تنبضُ من بغداد لليمنِ

الحمـــدُ لله .. أجــزَيْنــا معــاً دَمَنــا
هـــانَ الـرَّدى وثــرى الأجـدادِ لم يَهُنِ !

* * *

صنعـاء .. هل قلتُ يـا صَنعا مجـرَّدَةً ؟
ولـــو فعلتُ فمـــا عـــذري إلى عـــدَنٍ ؟!
عَـــذَّبتمـــونـــا بني أجـــدادِنـــا ، فــإذا
نـــاديتُ أهلي ، نـــدائي بينكم لِمَنِ ؟!
وكنتُ طفـــــلًا صغيـــــراً حين علَّمَني
أهلي بـــانِي إلى صنعـــاءَ مُـــرتَكَني
لكنَّهم كلَّمـــا ضـــاقـــوا أسىً ذكـــروا
جنَّـاتِ عَـدْنٍ ، فسـالَ الـزَّهـوُ بـالشَّجنِ !

* * *

يـــا أهلَنـــا إنَّـــهُ هَمٌّ نكـــابـــدُهُ
أنَّـــا انشَعَبْنَـــا من الأقطـــارِ للمُـــدُنِ !
اللَّـــهَ يـــا وطني .. بي تَـــوَقُ ألفِ دمٍ
لصـرخـةٍ في بـــلادِ الغُـرْب : يـــا وَطَني
لعـلَّ رَجْـعَ الصَّـــدى يـرتـدُّ : يـا وطني
لا يا غِلالي ، ويـــا مالي ، ويـا سَكَني !

* * *

يا أمَّ بلقيس .. بل يا أمَّ ذي يَزن
عن أيِّ مَجْدَيك ينأى موكبُ الزَّمَنِ

ألَسْتِ بذرَتَهُ الأولى، فكلُّ غدٍ
لولا وجودُكِ في التاريخ لم يَكُنِ؟!

ألَسْتِ نخلةَ كلِّ العُرْب مُذْ خُلقُوا؟
هذي فَسائلُهُم .. فاتَّبِعي وَزِني

تَرَيْ عروقَ أحَيْلاها مُعلَّقةً
بجذعك الصُّلْبِ يا قدّيسَةَ الدِّمَنِ!

تالله لليومِ لو سوئِلْتُ عن سَبَبي
لمالَ نحوَكِ حتى ينحني غُصُني!

وأنتِ اسطورةُ التاريخ مُذْ سَبَأٍ
ومنذُ مأربَ .. والتاريخ عَلَّمَني

بأنَّ حميَرَ ما كانت مَضَاربُها
إلّا معاقلَ للأخلاقِ والسُّنَنِ

فكلُّ سيفٍ بها في مقبضٍ حَرِدٍ
وكلُّ رأيٍ بها في مِقْوَلٍ لَسِنِ

قالوا، وكانت تُجيبُ الصَّوتَ مُغْلِمَةً
ناديتَ في السِّرِّ أو ناديتَ في العَلَنِ!

يا أمّ بلقيس .. هذا الزهوُ أعرفُهُ
وأدّعي أنّهُ يا أمُّ يعرفني
أصْلي وأهلي وأوجاعي هنا نبَضَتْ
وأنجني فوقَها كالضُّلْعِ في المِحَنِ
فإن ذَوَتْ عُشْبَةٌ فيها وَجَدْت يدي
تَمْتَدُّ من دونما قَصْدٍ الى بَدَني!

يا أمّنا وَاعَزّي انَّ لي كَتَفاً
هنا، إذا ما عَتَبْتُ الآن أعْتَبني
إني أسائِلُ إخواني، وآصِرَتي
وكنتُ راهَنْتُ فيهم أيَّ مُرْتَهَنِ
كيف استطاعوا، على ما سال من دمنا
ألّا يقولوا ولو: عوفيْتَ يا وطني..؟!
حتى إذا ضَجَّت الآفاقُ أجمعُها
نصراً مُدَمًى وسالَ الطُّهْرُ بالعَفَنِ
ما قال منكم أخو حرفٍ، ولو عَنَتاً
حَرْفاً يُجَنِّبُنا الإحساسَ بالغَبَنِ!
يا أهلَنا، بعضُ مَن غَطّى العراقَ دماً
والناسُ مُنطحِنٌ في جوفِ مُنطحِنِ

أولادُكُم .. كـــان صـــوتُ اللهِ في دَمِهِم
يصيـــح في لبَّـة الهيجـاء : يـا يَمَني !
فأين إخْوَتُهم في الحرف ؟ .. هل سكتــوا
مِن رَهْبَةِ الموت ، أم من رهبـــةِ الفتَنِ ؟!
إنّي لاأخشى أخي ، عيني بمُقلَتِـــــــه
نبـــدو كأنْ لَمْ أُشـاهِـدْهُ ، ولم يَــرَني !

* * *

ويــا أعَـــزَّ الـورى ، واللّـهِ لا وَهَنـاً
وَلا بنـــا حـــاجـــةُ المَهـــزولِ للسِّمَنِ
لكنَّني كلَّمـــــا نُـــــودِيْتُ من يَمَنٍ
كـانت ريـاحي على مـا تشتهي سفني !
أَجيءُ .. أَبـري نياطَ القلب .. أجعلُهـا
رغمَ العَيَا ، مَـوضـعَ الأشطـانِ والـــرَّسَنِ
أقــولُ : لـو بئـــرهُمُ أنـأى الميـاهُ بهـا
من مـركـزِ الأرض ، يكفيني لهم شَطَني !
لأنَّنـــا يـــا أعـــزَّ النـــاسِ نَحْمِلُكُم
حَمْـــلَ المحـاجـرِ والأجفـانِ للـوَسَنِ ..!
إنّي أجِـــلُّ بني عمّي مكـــابَـــرَةً
أقـــول حتى على مَن خـانَ : لم يَخُنِ !

فكيفَ من كـــان درعي ، وانطـلاقَ يـــدي

وظَـــلَّ يـــدفـــعُ عَنّي غـــاليَ الثّمنِ ؟!

هيَ شَهقـــةٌ بَيْنَكُم يـــا أهـــلُ أشهَقُهـــا

من بـالَـغِ الحُبِّ لا مِن بـالـغِ الحَـزَنِ !

وبي لكم مِ الهـــوى مـا لـو عَقـدْتُ بـــه

جِنْـحَ العصافيـر مـا طـارتْ إلى فَنَنِ .. !

كتبت في صنعاء بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨٩

وألقيت ونشرت فيها بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٨٩

واذ أسمّيك يزهو باسمك البلد !

وَدارت الشَّمسُ .. عـــامٌ وهيَ تَتَّقِــدُ
والارضُ في كــلِّ يــومٍ تحتَهــا تَلِــدُ
والكِبْـــرُ ، والـزَّهـوُ ، والأمجـادُ أجمَعُهـا
رغْمَ التَّـــوَجُّــع في ذِكـــراكِ تحتَشِــدُ !
عـــامٌ ، لكـــلِّ جـــديـدٍ مِن مَطـالِعِـهِ
شمسٌ تُضيءُ ، وشمسٌ بَعْـــدهـــا تَعِــدُ
لكنَّ كـــلَّ السَّنـــا تَبقى مَجَـــرَّتَـــهُ
تلــكَ الـدِّمــاءُ ، وذاكَ الصَّبْـرُ والجَلَــدُ !
أولادُنــــا زَهْـوُ كـلِّ الأرضِ مـــا وَقَفــوا
والــرّاقــدونَ علَيهـــا حَيثُمـــا رَقَــدُوا !

* * *

عـــامٌ وبغـــداد تَعلـــو كـــلَّ ثـــانيـةٍ
بهـــا يَــدٌ بَيْـــرَقٌ فيهـــا .. وَثَمَّ يَــدُ

تَسعَى على إثْـرِهـا ، والأرضُ دائـرةٌ
وَحـولَ بغـدادَ مِن كـلِّ الـدُّنـا رَصَـدُ
اللهُ يـا وَطنَ التـاريـخِ يـا وَطني
يـا بابـلَ المَجدِ .. يا آشورُ .. يا أكدُ
يا قـادسيَّةُ ، يا يَـرمـوكُ .. أهْلُكُمـا
ويـا نَهاوَنْـدُ .. لا غـابُـوا ، ولا ابْتَعـدوا
آثـارُهُم مِلْءَ هـذي الأرضِ شـاخِصـةٌ
وَكُـلُّ رُوحٍ لَهـا مِن لَحْمِنـا جَسَـدُ !

* * *

يـا دارَةَ الشَّمسِ .. يا مَرسى أشِعَّتِهـا
يا هـالـةً ليسَ يَرْقى نَحـوهَـا أحَـدُ
إلَّاكَ يـا سَيْفَهـا الـزَّاهي وكـوكَبَهـا
وَإذْ أسَمّيـكَ يَزهـو بـاسِمِـكَ البلَـدُ !
صَـدامُ يـا بَهْجَـةَ الـدُّنيـا وَرَوْنَقَهـا
يـامَنْ بِـهِ وَعَليـهِ النَّـاسُ تَتَّحِـدُ
يا نَجْلَ مَن جاهَدُوا في اللهِ واجتَهَدُوا
يا نجلَ مَن كَبَّروا .. يا نجلَ مَن سَجَدُوا
جِبـاهُهُم لامَسَتْ في اللهِ كـلَّ ثـرَىً
وفي سِـوى اللّـهِ بـالأفـلاكِ تَتَّسِـدُ !

* * *

أبـــا عَــدِيٍّ .. وَأبهى مـا نَتيـهُ بِـهِ
هـــذا النِّـــداءُ .. لهـــذا لَسْتُ أَقْتَصِــدُ !
لِتَعْلَمَ الأرضُ طُـــرّاً أنَّنـــا بَشَـــرٌ
مِن مَـــورِدٍ واحـــدٍ في زَهْـــوِنا نَـــرِدُ !
وَفي الخُطـــوبِ لَنـــا سَيفٌ نُجـــرِّدُهُ
وَنفتَـــدي الكُـــلّ كَفَّـــاً حينَ يَنْجَـــرِدُ !
بِـــذا وَقَفْنـــا بِـــوَجْـــهِ الفُـــرْسِ وَقْفَتَنـــا
تسعينَ شهـــراً ولم نَفْقَمْ ، ولم يَلِـــدُوا !
حتّى خَبَتْ نــــارُهُم ذُلّاً وَمَهْلَكَـــــةً
كمـــا خَبَا أَمْسِ مـــا أَجـدادُهُم وَقَـــدُوا
أَجَـــلْ بهـــذا وَقَفْنـــا .. أنَّنـــا اجتَمَعَتْ
عَليـــكَ أنفَـــاسُنـــا إِذْ شَمْلُهُم بَـــدَدُ
وكنتَ فينـــا كَنَبْضِ القَلْبِ تَـــرْفِـــدُنـــا
دَمـــاً وَحُبّـــاً إلى أنْ أوشَـــكَ الأمَـــدُ
فَقُمْتَ في الفـــاوِ قَلْبـــاً فَـــكَّ أضْلُعَـــهُ
وانْقَضَّ عُــــزيــــانَ لا بِرْعٌ ، وَلا زَرَدُ !
قـــاتَلْتَهم ، وَبِـــكَ الـــرَّحمنُ قـــاتَلَهُم
حتّى تَطـــايَرَ حَـــدُّ البَصْـــرَةِ الـــزَّبَـــدُ !

فَســــالَ سَيْـلُ النَّشــامى يا عظيمُ بهم
وراحَ يَنــــدُبُ فيهِم حَظّـــــهُ أَسَــــدُ !
لِكــلِّ عَصْـــرٍ مَعَــاييــرٌ يُقَــاسُ بهــا
واليــومَ مِعْيَارُ كـلِّ النَّــاسِ مـا صمَدوا !

* * *

عــــامٌ وَأولادُنـــا لا يَـــذْكـــرُون سِـــوى
أَمجـــادِ إبائِهِم مــا فــاخَـرَ الــوَلَــدُ !
عــامٌ ، وَنحنُ نُعيـدُ الأرضَ سِيـرَتِهِا ألـ
أُولى ، وَنَهـــدي وَنَستَهـــدي ، وَنَعتَضِـــدُ
نُقيمُ أَرْوِقَـــةً للشَّمس .. نَـــزْرَعُهـــا
حُبّـــاً عَلَيـــهِ قلــوبُ النَّـــاسِ تَنْعَقِــدُ
وَيَحفــــرُونَ جَحيمـــاً لا قَـــرارَ لَهـــا
لَهيبُهـــا البُغْضُ والأحْقـــادُ والكَمَـــدُ !
هــــا نحنُ نَمْلأ بَحْـرَ الفاوِ أَشْـرعَــةً
وكـــانَ بـــالأمسِ مِن كــابــوسِهِمْ يَقِــدُ
صـــارَتْ مَمَالِحُـــهُ الـدُّنيـا بِمــا رَحُبَتْ
زُهْــرُ الحَجيــج إلى شُطْــآنِهــا تَفِـدُ !
لِأنَّ أُسطـــورَةَ التَّـــاريـــخ تَسْكُنُهـــا
فَفَـــوقَهــا كــانَ حتَّى الموتُ يَـرتَعِـدُ !

وفَـــوقَها الغِيُّ كـلُّ الغِيِّ قـدْ دُحِـرَتْ
أمْـــواجُــهُ ، واستَقــامَ الحَقُّ والـرُّشَـدُ
الفـــاوُ بَـــوَّابَـــةُ التَّـــاريـــخِ أجْمَعِـــهِ
لِأنَّ أعْـــداءَهُ في رَمْلِهـــا وُئِـــدُوا !
وهـــا هي البَصْـــرةُ الفَيْحـــاءُ زاهيَـــةٌ
أقـــامُ فيهـــا أعَـــزُّ النَّـــاسِ يَفتَقِـــدُ !
كـــانَتْ نَهـــاراتُهـــا فَـــرْطَ الغُبـــارِ دُجىً
وكـــانَ كـــالكـــوكَبِ الـــدُّرِّيِّ يَتَّقِـــدُ !
حتى أمـــاطَ الـــدُّجى عنهـــا بهَيْبَتِـــهِ
وأتْـــرِعَتْ بـــالسَّنـــا آفـــاقُهـــا الجُـــدُدُ
وَضَـــاءَ فيهـــا عَمـــودُ الشَّمسِ مُشْتَعِـــلًا
وَشَبَّ مِن كُـــلِّ بيتٍ نَخْـــوَهُ وَتَـــدُ !
هـــذي هيَ اليـــوم .. مُـــرْخـــاةٌ أعِنَّتُهـــا
وَسَلْسَـــلُ المَـــوْجِ في العَشَّـــار يَتَّئِـــدُ ..
اللهُ يـــا وَطَنَ الأحـــرارِ ، يـــا وَطَني
يـــامَن بـــأبْهى سِمـــاتِ المجـــدِ يَنْفَـــرِدُ
أنتَ العَـــزيـــزُ .. يَميـــلُ الكَـــوْنُ أجْمَعُـــهُ
وأنتَ بـــاقٍ إليـــكَ الأرضُ تَسْتَنِـــدُ !

أنتَ العـــراقُ .. فَلَـو نــادَيْتُ : يـا وَطني
أحْسَسْتُ حَـولي نجـومـاً مـا لَهـا عَـدَدُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١٤ / ٩ / ١٩٨٩

يا تاج كل تراب الأرض

هـــذي هيَ الفاو .. مَن يَجرا فَيُنْطِقُهــا
وَفي ثَـــراهـــا مِن الأخبـــارِ أصْـــدَقُهــا
مَن يَنْكأُ الزَّهْــوَ؟ .. هذي الأرضُ هَيْبَتُهـا
بـــأنَّهـا جُـــرحُهـــا المكتُــومُ بَيْـــرَقُهـــا !
مَن يَســألِ الفــاو؟.. ذَرّاتُ التُّــرابِ هُنـا
مـــا زالَ ذاكَ الــدَّمُ القِـــدِّيسُ يُغْــرِقُهـــا
وَكـــلُّ حَبَّـــةِ رَمْـــلٍ في شَـــوَاطِئِهـــا
قلبٌ لَـــهُ خَفْقَـةٌ في المـــاءِ يَخفُقُهـــا !
مَن يَسألُ الفاو؟ .. هذي الأرضُ لَو نَطَقَتْ
يُخـــالِفُ المَنطقَ المَـــألـــوفَ مَنْطقُهـــا
حَتّى النَّخيـــل التَـــذَلَّتْ مِنـــهُ شَعْفَتُـــهُ
وَقَـــد تَشَظّى مِن النِّيـــرانِ مَفْـــرِقُهـــا

إذا نَظَــرْتَ إليــهِ خِلْتَ قــامَتَــهُ
خَجْلى لأنْ سَغفُهــا أودى وأعْــذُقُهـا !

* * *

يــا تــاجَ كـلُّ تُـرابِ الأرضِ مَعـذِرَةً
أنّي أكــادُ خُطــايَ الآنَ أُوثِقُهــا
أخـافُ لا شَهْقَةٌ .. لا ضِحكَــةٌ تُـرِكَتْ
هُنــا وَأغْفَتْ ، إذا مـا سِـرْتُ أسْحَقُهـا
لَسْتُ المَعــرّي .. عظيمٌ قــالَ فلسفَـةً
أنــا مَقــاتِـلُ أهلي الآنَ أزْمُقُهــا !

* * *

يـا تــاجَ كـلُّ تُـرابِ الأرضِ مـا عُـرِفَتْ
أرضٌ بَنُــوهــا كهـذا العِشْقِ تَعْشَقُهــا
يَلــوحُ لي أنّني لَـو قِيـلَ عَنْـكِ كَـذا
مِنَ الأســاطيــر ، مَبْهــوراً أُصَــدِّقُهـا
وَأيُّ أسْطــورةٍ يــا فــاو أعظَمُ مِن
هــذي الّتي بَيْنَ عَيْنَيْنــا تَــألُّقُهــا
بــأنَّ تلـكَ التي سَقْفُ الجَحيم هَـوَى
على ثَــراهــا إلى أنْ كــادَ يَمْحَقُهـا

هي التي نحنُ فيهـــا الآنَ ، وَادِعَـــةً
شُطـــآنُهـــا .. مُطمئِنّـــاتٌ حَـــدائِقُهـــا
مَليئَـــةٌ بِظِـــلالِ الحُبِّ ، مُفعَمَـــةٌ
بـــالكِبْرِ .. لا شيءَ غيرَ المجدِ يُقْلِقُها
مَفهُـــورَةٌ بِسَنـــا صـــدَّام تُـــربَتُهـــا
فَمنْـــذُ صلَّى عليهـــا لاحَ مَشـــرِقُهـــا !

* * *

هذي هي الفاو .. جَـــلَّ اللّهُ شـــاءَ لها
أنْ تَمَّحي ، وَمِنَ الانقـــاضِ يَخلُقُهـــا !
لِكي تكـــونَ دَليـــلاً شـــاخصـــاً أبَـــداً
أنَّ الحيـــاةَ الحيـــاةَ المـــوتُ يسبِقُهـــا !
وَمِثلَمـــا طـــائـــرُ الفِينيقِ يَنهَضُ مِن
رَمـــادِهِ شَهقَـــةً للنَّجمِ يَشْهَقُهـــا
كـــذلـــكَ الفـــاو إذْ صَـــدَّام أنْهَضَهـــا
كـــأنَّـــهُ كـــانَ مِ الاكفـــانِ يُعْتِقُهـــا !
مَيمُـــونَـــةٌ أنتِ .. لم تَطـــرُقْ يَـــدَا قَـــدَرٍ
بـــابـــاً كَبـــابِـــكِ وَالأقـــدارُ تَطْـــرُقُهـــا
فَتُبصِـــرُ المـــاجِـــدَ الصَّـــدَّام مُنْجَـــرِداً
كـــالسَّيفِ ، يَفْتَحُهـــا زَهْـــواً وَيُغْلِقُهـــا

فَلِلنَّـــدى وَضيـــاءِ الشَّمس أَرْحَبُهـــا
وَلِلسَّـــوافي وَلِلظَّلْمـــاءِ أَضْيَقُهـــــا

وذاك أنَّـــكِ مُـــذْ لامَسْتِ جَبْهَتَـــهُ
أَيْقَظْتِ في نَفسِـــهِ وَجْـــداً يُـــؤرِّقُهـــا

بـــأنْ تكـــونِي سيـــاجَ الأرضِ أجمَعِهـــا
فَمِنْـــكِ سَـاتِـرُهـــا العَـــالي وَخَنْـدَقُهـــا

وأنتِ عُنـــوانُ كـــلِّ المكـــرُمـــاتِ بهـــا
فَفيـــكِ أعلى مَعَـــانيهـــا وَأعمقُهـــا

وَإنَّ صَـــدَّام يَـــدري أنَّ فيـــكِ أَسىً
بِقَـــدْرِ أَفْـــراحِـــكِ الـــلَّائي نُـــوَثِّقُهـــا

يَدري بِما تحتَ هـــذي التُّربِ مِن وَجَـعٍ
بُـــذورُهُ حَنْظَـــلٌ مُـــرٌّ تَـــذَوُّقُهـــا

فَكُـــلُّ حَبَّـــةِ رَمـــلٍ بينَ أَضْلُعِهـــا
شَظيَّـــةٌ لم تَـــزَلْ لِليـــوم تُحـــرِقُهـــا !

وَكـــلُّ حَبَّـــةِ رَمـــلٍ مـــا تـــزالُ بهـــا
رَصَـــاصَـــةٌ لَـــو تُثـــارُ الآن تُطْلِقُهـــا !

وَكـــلُّ حَبَّـــةِ رَمـــلٍ طَـــوَّقَتْ بَطَـــلًا
وَعنـــدَهـــا الآنَ قِـــدِّيسٌ يُطَـــوِّقُهـــا !

* * *

هذي هيَ الفاو .. مَن يَجـرا فيُنْطِقُها ؟
أوراقُهـــا ذِي .. ولكنْ ، مَنْ يُـــوَرِّقُهـا ؟
حتّى العيــونُ بهـا مِنْ فــرطِ هيبَتِهـا
يكـادُ يَجْمُــدُ في الأجفــانِ زِئْبَقُهـا
فــلا تُنَقِّـلُ عَينٌ فَضْـلَ نَظْـرَتِهـا
لكنْ خُشــوعــاً وَإطـراقــاً تُحَـدِّقُهـا !

* * *

يــا تـاجَ كـلِّ تُـرابِ الارضِ ، مَعــذِرَةً
لِــوَمْضَـةٍ مِن سَنـا عَيْنَيـكِ أسـرُقُهـا
لَعَــلَّ إشــراقــةً مِمــا امتَـلأتِ بِــهِ
قَصيــدَتي هــذِهِ تَسمُــو فَتُشْـرِقُهــا
وَلا ، وَلَــو صـارَ كـلُّ الشِّعـرِ أجْنحَـةً
وَصَـــارَ للــوَحيِ أمْــواجُ يُـزَقْـرِقُهـا
وَلي سَفِينٌ ، وَحَــرفي كــوكبٌ ، وَأنــا
طُــوفـانُ شِعْـرٍ .. وَلي رُؤيـا أصَـدِّقُها
لَمــا تَجَــرّأَ شِعــري مِن تَهَيُّبِــهِ
أنْ يَدَّعِي بَـرْقَــةً في الفـاو يُبْـرِقُهـا !

* * *

يا دُرَّةَ الشّعر .. هذي مَخضُ لُؤلؤةٍ
أَتَيْتُ في صَرْحِكِ العَالي أُعَلِّقُها
مُلَمْلِماً أحْرُفي الخَجلى على عَجَلٍ
فَلا تَرُدِّي يَدي فالحبُّ يُزهِقُها !

كتبت وألقيت في الفاو في مهرجان المربد العاشر
ونشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٢٥ / ١١ / / ١٩٨٩

عـــام الفيـــل

(مهداة الى معسكر اليرموك لتدريب الأطفال الفلسطينيين في اليمن)

جاء في اللوح

تنطفيءُ الشمسُ سَبعاً

وتشتعلُ الأرضُ سَبعاً

وتَختلطانْ

ثم تشتعلانِ معاً

ثم تنطفئانْ

ويعمُ الدُخانْ ..

وبين ليلةٍ قتيلٍ وضُحىً قتيلْ

يبدأ عامُ الفيلْ

هَمهموا

سوفَ تَنشرُ كلُّ السماواتِ أجنحةً لا تُضيءْ
واللّيالي ستدعو سكينتَها
غيرَ أنَّ سكينتَها لا تجيءْ ..

مَن رأى أبرَهةْ ؟
أنا رأيتُهُ
رأيتُ الدَّمَ من شدقَيهِ حتى نحرِهِ يُراقْ
وهو يلوبُ كاللديغْ
يخبطُ رأسَهُ
يدقُّ بالأيدي وبالأنيابِ فوقَ ساتِرِ العراقْ

ليلةً قلتُ لَهْ
أنتَ تُخطىءُ ،
جَدُّكَ ما جاء من صَوبِ بغداد
قالَ النهاياتُ واحدةٌ
كان يقصدُ بيتَ الرجاءْ
والطريقُ إليهْ
تبدأُ الآنَ من كربلاء ..

مَن رأى أبرهة ؟ ..
لم يكنْ محضَ جيشٍ وفيلْ
كان ظاهرةً لزمانٍ وبيلْ
وعلامتهُ
أن يكونَ أخوكَ عليكَ الدَّليلْ

حَجَرٌ من سِجِّيلْ
حجرٌ كالمَطَرْ
مطَرٌ للأراضي اليَبابْ
مطرٌ للرؤوس اليَبابْ
مطَرٌ للضمير اليبابْ
مطرٌ مِن حجَرْ

أيَتُها العصافيرْ
أيتُها الايدي التي لم يَنْبت الرِّيشُ عليها بَعدُ
كي تطيرْ
الى متى تَستعجلين شوطَكِ الأخيرْ؟

ذاتَ ليلٍ رأيتُ لهُ

كانت الأمّهاتُ يجئنَ بأطفالهنَّ إليهِ

يُقبّلهم واحداً واحداً

قلت يا سيّدي

أوَ لستَ تُحمّلُ مِ الآن كلَّ صغيرٍ

وسامَ شهادتِهِ ؟

فاستمرَّ يُقبّلهُم وهو يبكي

وكانت أصابعُهم تحتوي وجهَهُ مثلَ أجنحةِ

الطّير

مسَّ رفيقٌ له كتفِي هامساً

أيُّها الأخُ

أحصَيتَ ما وَشَموا هم على وجنتيهِ

من الاوسِمَه ؟

غَدًها سوفَ يحيا

غَدًها سيموتْ

الى أن يكون لهم وطنٌ

ولهم فيه أضرِحةٌ وبيوتْ ..

يا نهارَ النّبوءات

إنّي نَذرتُ دمي لسماءٍ مجنَّحةٍ بالعَصافير
أنفقتُ عمري أغنّي لها
قلتُ تكبرُ
لا بدّ يوماً ستكبرُ
تَحملُ بين مَناقيرِها الحَبَّ والطَّلعَ
تجعلُ أعشاشَها وطناً
لا تهاجرُ إلا إليه
ولا تَتكاثرُ إلا عليه

أأخطأتُ يا وطني ؟؟

يُصبحُ الجروُ ذئباً
وتَغدو الصِّلالُ أفاعي
ولكنْ صغارُ العصافيرِ تَبقى عصافيرَ
يا وطني
والذي سوف يَقتلني
أنها لم تعد تحملُ الطَّلعَ
بل تحملُ الدَّمَ بين مناقيرها

أصبحَ الدَّمُ طلعاً

وصار الحجاز

حليةً في أكُفِّ الصَّبايا

يا زمانَ الخطايا

يا زمان الخطايا ..

حجرٌ من سجّيلْ

حجرٌ في جبهة هذا الجيلْ

بَعدَهُ حجرٌ للأعادي . !

لُعبةً بدأتْ

كنتَ تنظرُ يا وطني باسماً

لصغاركَ في كلِّ حاره

عندما بدأوا يحملون الحجاره

أقدارَ بخلدكَ يا وطني

أنّ هذا الزّمانَ الوباءْ

أنّ هذا الزمانَ الذي ياكلُ الأنبياءْ

وهو يبحثُ في يأسهِ عن بشاره
سوف يأتيهِ صوتٌ من اللّهِ
متّشحاً بالحجاره ؟!

تَنتهي الآنَ أزمنةُ الكاذبين
يَنتهي زمنُ الغاشيهْ
يَنتهي زمنُ المتواطئةِ الـ حينَ تنظرُ بين محاجرِها
تَتشاغل أعينُها بأظافرِها
أو تُتمتمُ شيئاً مع الحاشيه !

أيُّها الخادعونَ ضمائرَكم انَّ أيدي الصغارْ
طيورُ أبابيلْ
انَّ حجارتَهم نارُ سجّيلْ
ثم تركتمْ مناقيرَها وحدَها تَدرأ الفيل
بَينا أبو رغالْ
يَدُلُّ قومَ أبرهةْ
على بيوتِهم ..
وكالعصافيرِ من الأعشاشِ
واحداً فواحداً

تُنتَزَعُ الأطفال
وبأيديهم حَجَرْ
ويعينَي كلُّ أُمٍّ صرخةٌ تُبكي الحجر
ورياحُ القبائلِ ما عصَفَتْ
ورمالُ الجزيرة ما برحتْ فوق كُثبانها غافيهْ
نومةَ العافيهْ !

ما الذي تستطيع طيورُ أبابيل أنفسُها الآن ؟
وحِجارتُها غيرُ تلك الحجاره
وزمانُ القبائلِ غيرُ الزَّمان ..

مَن رأى أبرَههْ ؟
مَن الذي يُخبرُهُ الساعةَ قبلَ أن يموتْ
أنّ أبا رغالْ
قد وجدَ الآن طريقاً نحو بيت الله
يبدأُ من بيروتْ !

وقُرانا مُطفأه

وعيونُ الماء في كلّ قرانا مُرجَاْه
غيرَ آبارِ الغضَبْ
غيرَ هذي النُّطَفِ السّوداءِ في أرضِ العرَبْ
كلُّها مشتعله
وعليها ، وإليها
كلُّ بابٍ مقفلَهْ

إرجمي .. إرجمي
يا أكفُّ الصغارْ
ارجموا يا صغارْ
كلُّ تاريخ أرضِ النّبوّاتِ صارْ
بأصابعِكم يَحتمي
إرجمي
إرجمي

حَجرٌ من سجيلْ
حجرٌ في جبهة هذا الجيل
بعدَهُ للأعادي

يا بلادي
كلٌّ يبحثُ عن جَمَل في تِيهْ
أمّا البيتُ
فلَهُ أطفالٌ تَحميه !

ألقيت في افتتاح المربد عام ١٩٨٩
ونشرت في مجلة الاقلام في حزيران ١٩٩٠

نحن الذين هنا رأينا

بيديكَ

أم بشغافِ قلبكَ

كنتَ تلمسُهم ؟

وكانوا يلمسونَكْ

بقلوبهم ..

أرواحُهم كانتْ تَسيلُ عليكَ حينَ يُقبّلونَكْ !

أتعلَّقَتْ بيدَيكَ أيديهم ..

أم القَدَرُ العراقْ

غَدُهُ ، وعزَّتُهُ ، وهيبَةُ أهلِهِ كانتْ نطاقْ

يلتفُّ حولَكَ

حين كانوا بالقلوبِ يُطوّقونَكْ !

أفكنتَ محضَ أبٍ ؟؟

أبوَّتُنا جميعاً منكَ خَجلى

من أينَ نبدأ
والطريقُ الى الابوّةِ فيكَ أعلى
يا منَ تُعلمُنا
ونحن الأهلُ
كيف نَصيرُ أهلا !

وتعلّقَتْ عيني بوجهكَ
كنتُ ارقبُ مقلتَيكْ
قَسَماتِ وجهِكَ عندما يتسابقونَ الى يَديكْ

أسمعتَ عن شيءٍ مزيجٍ مِن ملايينِ الشموعْ
ومن جداولَ مِن دموعْ
ومِن حنانٍ يستحيلُ الوجهُ فيهِ الى ضلوعْ
تنصَبُ فوق وحيدها .. ؟
كانت كذلك مقلتاكْ

بهما حنينْ
بهما دموعٌ جلَّ خالقُها ، ولكنْ لا تَبينْ !
أرأيتَ كم طفلًا بكىٰ ؟
نحنُ الذين هنا رأينا

كان اشتياقٌ ليسَ يوصَفُ
يستحيلُ فماً ، وعَينا

تتوهّجان
وأنتَ تدنو
ثم حين لمستَ أروُسَهم
بكَوا ..
مِن أينَ .. أينا
من أين ياتي شاعرٌ بالشعر .. ؟
من أيِّ البحار؟

الشعرُ قالَتْهُ الصِّغار
قالوه بينا يُنشدونَكْ
أوزانُهم أشواقُهم ..
ويحورُهم كانَت عيونَكْ !
يا أيُّها الأبُ
كلُّ اباءِ البريَّة يغبطونَكْ !

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٩٠

عَلّمتَ خمسين جيلاً كيف تَحتَفِلُ

ها دَورةُ الأرضِ حولَ الشّمسِ تَكتَمِلُ
أم حولَكَ الأرضُ دارَتْ أيُّها الرَّجلُ ؟
عامٌ وَضَوؤكَ كلُّ الأرضِ مَسْقَطُهُ
وَزَهْوُ صَوتِكَ حتى قُطبِها يَصِلُ !
عامٌ وكلُّ نُراها فيكَ شاخصةٌ
عَيْنياً .. وكلُّ مَداها فيكَ مُنشَغِلُ
هلْ دارَت الأرضُ فِعلًا في مَجرّتِها ؟
أمْ وَعْيُها كانَ في مَسراكَ يَرتحلُ ؟!

* * *

عامٌ وأنتَ تُديرُ السِّلمَ دَورَتَهُ
حتى لَكادَ بعامِ النَّصرِ يَتَّصلُ

وجاءَ عامُ التَّحدِّي .. ما رأى بَشَرٌ
عاماً كهذا تَلاقَتْ حولَهُ المُقَلُ
وأرهَفَتْ سَمعَها تُحْصِي وَقائعَهُ
مِن مَشْرِقِ الأرضِ حتى المَغرب الدُّوَلُ
بِكلمَتَينِ شَكَمْتَ الموتَ أجمعَهُ
وكانَ نُصْبَ رَفيفِ العَينِ يَمْتَثِلُ
أَلْجَمْتَ وَحدَكَ طوفاناً برُمَّتِهِ
فَلَمَ يَلُحْ منهُ إلّا ذلكَ الوَشَلُ
وكانَ صوتَ العراقِ الحرِّ صوتُكَ إذْ
أنذَرْتَهمُ .. كانَ جُرحُ الشَّمسِ يَنْدَمِلُ
وَتستَقيمُ الثُّريَّا في مَواقِعِها
وكلُّ جِذعٍ على ساقَيْهِ يَعتَدِلُ
كانَتْ تُسائِلُ حتى الرِّيحُ عاصِفَها
أيُّ المَهَبَّاتِ مِنهُ الموتُ يُحتَمَلُ ؟!
فَما أجابُوا ، ولكنْ أجفَلوا زَمَناً
ثمَّ استَشاطوا جميعاً بعدَما جَفَلوا !
لا بأسَ .. فينا لهذا الغَيْظِ مُتَّسَعٌ
مِن حِلْمِنا .. وَلَهُ مِن صَبرِنا أَجَلُ

لكنْ .. وَلَسْنــــا نخـــافُ الآنَ صَيْحَتَهُم
لا يَجْهَلُنَّ عَلَينــــا فــوقَ مـــا جَهِلُــوا
شَتَّـــــانَ أنْ تَتَّقي لا تُتَّقى أبَـــداً
وبينَ أنْ يُتَّقَى إذْ يَتَّقِي الــــرَّجُـــــلُ !

* * *

يـا سَيِّـدي .. أيُّهـــا المَيْمـونُ طـالِعُـهُ
يـــا مَن بِــهِ وعَلَيــهِ تَلتقي السُّبُـــلُ
يـا جـاعـلًا عُمـرَهُ الـ نَفْــديـهِ مُنعَطَفــاً
عليــهِ تـــاريــخُ كــلِّ العُــرْبِ يَنتَقِــلُ
فكـــلُّ فجــرٍ بِــهِ نصــرٌ يُطــالِعُنــا
وكـــلُّ ليــلٍ على شُطــآنِــهِ أَمَــلُ
أضَـــاتَنــا فتَنــادَى في نَواخِلِنـــا
خمســونَ جيلًا .. شَتَـاتٌ ، خُنَّـعٌ ، هَمَـلُ
كـــانَتْ بــاضْلُعِهم أشبــاحُ مقبــرةٍ
أضَــاتَهم فــإذا كـــلٌّ بِــهِ جَبَـــلُ
الكبــريــاءُ التَّحــدِّي الصَّبــرُ ذُروَتُــهُ
والعِلمُ والـــوَعيُ والإيمـــانُ والعَمَـــلُ

كـــلٌ لَـــهُ مُنــذُ بَــدْءِ الأرضِ مِشعَلُـــهُ
مِنَ الحَضـــارةِ لكنْ .. كُلُّهم خُـــذِلـــوا
وإذْ أعَـدْتَ سِـراجَ الـــرُّوحِ سيرَتَـــهُ الـ
أولى ، تَـــأمَّلْـــهُ كيفَ الآنَ يَشتَعِـــلُ
وَحَقِّ عَينَيـــكَ مِن عَينَيـــكَ جَـــذْوَتُـــهُ
فَـــأيُّ ضَـــوءٍ كهـــذا أيُّهـــا البَطَـــلُ

* * *

عـــامٌ تَعَـدَّى .. وَعـــامٌ نَلْتَقيــهِ غَـــداً
وأنتَ فيـــهِ اكتمـــالَ البَــذْرِ تَكتَمـــلُ
يـــا جـامعـــاً مَـوكبَ الأفــراحِ أجمَعِهـــا
فيَـــومُ عيـــدِكَ بـــالاعيـــادِ يَكتَحِـــلُ
يـــا سَيِّدي ، يـــا فتى خمسينَ مَلْحَمَـــةً
عَلَّمتَ خمسينَ جيـــلًا كيفَ تَحتَفِـــلُ !

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١ / ٥ / ١٩٩٠

يَبقى المُحيطُ مَهيباً

كتبت في الذكرى الأولى لاستشهاد الفريق الأول الركن عدنان خيرالله

عـــامٌ تَعَــدّى ، ثَقِيــلاتٌ رَكــائِبُــهُ
كُثْــرٌ هَــلاهيلُــهُ .. كُثْــرٌ نــوادِبُــهُ

مَليئــةٌ بــالسَّنــا العَــالي مَنَـابعُـهُ
مَليئــةٌ بــالــدَّمِ الغــالي مَسَــاكبُـهُ

عــامٌ ، وَبغــدادُ تَسْتَعــدي مــروءَتَهــا
عَلى زمـــانٍ كثيــراتٍ شَــوائِبُــهُ

وأنتَ يا خيرَ مَنْ فيها سوى رَجُــلٍ
أبقَيْتَــــه وَحــدهُ شُمّــاً مَنــاكِبُــهُ

مُستَنْفَــراً ، كلّمــا ضــاقَ الفَضــاءُ بِــهِ
أو شَــدَّ ، أو لألأتْ زَهــواً كــواكبُــهُ

نقـــولُ في ســرِّنــا : صَـــدَّامُ فَــرْحَتُــهُ
عَبْـــرى ، فعـدنــانُ فيهــا لا يُصــاحبُــهُ
عَـدنـان .. يـــا أَخَ صَـدَّامَ الــرَّفيقَ بِـهِ
يـــا خـــالَ أولادِهِ .. يــا مَنْ كَتــائِبُــهُ
في القـــادسيَّــةِ مـــا أرْخَتْ أعِنَّتَهـــا
إلّا وَيُــزجُ الأعـــادِي مَـــالَ جـــانِبُــهُ

* * *

عـــامٌ تَعَـــدَّى .. وَفي بَغـــدادَ مُنْتَحِبٌ
في الكَـــرخِ تُسْمَـــعُ لَيْلِيَّــاً حَــرَائِبُــهُ
في الثّــانَـويَّـــــةِ .. تَنْثــالُ الصُّفــوفُ بِـهِ
رَطْبـاً .. شَجِيًّـاً .. مَـرْوعـاتٍ مَسَـــارِبُـهُ
تَلْتَفُّ حَـــــوْلَ دروبٍ كُنتَ تَقْطَعُهـــــا
أَيَّـــامَ عُمْـــرِكَ أَبْكـــارٌ مَـــلَاعِبُــــهُ
وَتَلْتَقي حَــــوْلَ تِمثـــــالٍ أقَمْتَ بِـــهِ
رَمْـــزاً ، وَروحُــــكَ في حُــزنٍ تُجـاذِبُــهُ
لَـــو أنَّ قـــاعِـــدَةَ التِّمثـــالِ تَهبِطُ مِنْ
عَليـائِهـا .. تَلْمُسُ المَمْشى .. تُقـــارِبُـهُ
تُعْطِي لِخَطْـــوِكَ دَرْبـــاً نحـــوَ مَلعَبِـــهِ
في الكَـــرخِ ، والليـــلُ مُـــرخـــاةٌ ذَوائبُــهُ

لَسِــرْتَ في طُــرُقَــاتٍ أنتَ تَعْــرِفُهــا
وَنحــوَ رُكْنٍ عَــزيــزٍ أنتَ صَــاحِبُــهُ
وَفي انتظـــارِكَ وَجْـــهُ تَسْتَضيءُ بِـــهِ
لــلآن يَســألُ عَن عَــدنــانَ عَــاتِبُــهُ

* * *

عَــامٌ تَعَــدَّى .. كَـــأَنْ بَغــدادُ مــا رُزِئَتْ
وَلا الجعَيفِـــرُ قَــدْ شَــاخَتْ خَــرائِبُــهُ
وَلا أَزِقَّـــةُ خِضْـــرِ آليــاس أَثْكَلَهــا
أبـــو عَليٍّ ، وَفيهــا طَــرٌ شَــارِبُــهُ
كــأنَّـــه لم يَجُسْ في لَيْلِهــا حَــدَثــاً
وَلا صَبيًّـــاً غَـــريـــراتٍ مَتَـــاعِبُــهُ
يَخُطُّ لَيْـــلاً شِعَـــاراتٍ وَيَحْفَظُهـــا
عَنْ ظَهْـــرِ قَلْبٍ .. وَتَكسوُهــا مَـواهِبُــهُ
دَمــاً وَلحْمــاً .. وَيَبقى قَيْـــدَ مَـوضِعِهـا
كَـــأَنَّ مِنْـــهُ عَلَيْـــهِ مَنْ يُـــراقِبُـــهُ

* * *

عَـــامٌ ، كَـأَنَّ صَـــلاحَ الـدّينِ مــا دَرَجَتْ
فيهـــا خُطــاهُ .. وَلا كــانَتْ تُــداعِبُــهُ

طِفلًا .. ولا آحتَضَنَتْ شُطآنُ أنْهُرِها
أقدامَهُ وَبِـهِ شَوْقٌ يُغَالِبُهُ

إلى بَعيدٍ .. بَعيدٍ .. ثَمَّةَ انفرَطتْ
سِنينُهُ .. وَمَضت فيها مَراكِبُهُ

وَبَيْنَ أنْ كانَ طِفلًا ، ثُمَّ غابَ فَتىً
عُمْرٌ يَكادُ آبنُهُ فيهِ يعاتِبُهُ !

* * *

أبا عَليٍّ .. أتاريخٌ أُوَثِّقُهُ ؟
وَما الذي يَرتَجيهِ الآنَ كاتِبُهُ ؟

يُضيفُ شَيئاً إلى عَدنان .. ؟ .. أيُّ يَدٍ
لها مِدادٌ نَمٍ عَدنانُ سَاكِبُهُ ؟

مَن الموَثِّقُ مَنْ ؟ .. تاريخُ أُمَّتِنا
مَدى ثَماني سِنينٍ أنتَ راهبُهُ

الصَّائِقُ آلمؤمِنُ آلمَيمونُ بَيرقُهُ
وَكيفَ لا والمُفَدَّى أنتَ نائبُهُ

القَادسيَّةُ يا ثاني بَيَارِقِها
مَنْ قادَها والرَّدى حُمرٌ مَخَالِبُهُ ؟

وَحَولَهُ المَوتُ كلُّ الموتِ .. ما جَنَحَتْ
إلى ظِلالٍ أميناتٍ جَوانبُهُ

أَلَم تَكُنْ نُصْبَ عَيْنَيْ كــلُّ أَذْرُعِهــا ؟

أكــانَ صَبْــرُكَ مَحسـوبـاً عَـوَاقِبُـهُ ؟

أَمْ كنتَ مُنصَلِتــاً للمــوتِ تُــوغِــرُهُ

وَيَسْتَفِــزُّكَ .. مَطلــوبٌ وَطــالِبُــهُ

وَعنــدَمــا سَيْفُهــا قُلِّــدْتَــهُ بَطَــلَا

للقــادسيَّــةِ .. هــل كــانَتْ مَضَــارِبُــهُ

إلَّا بِكَفَّيْ فَتىً صَـــدَّامُ يَعـــرِفُـــهُ

لِإِنَّـــهُ الآنَ، حتى الآن، نـــادِبُــهُ

بَلَى وَعَيْنَيــك يـــا أزكى أُرومَتِـــهِ

يــا خالَ شِبْلَيْهِ .. يا مَنْ لا يُخاطِبُهُ

أولادُ صَـــــدَّام إلّا أَنَّـــهُ أبُهُم

وَخَــالُهُم، وَأَخُــوهُمُ .. جَــلَّ وَاهِبُــهُ

وَجَــلَّ مَن صَـانَـهُ وَالمـوتُ في فَمِـهِ

تِسْعينَ شَهراً .. وَمَن في السِّلمِ سَالِبُــهُ

* * *

أَبَــــا عَلِيٍّ، وَإِنَّــا كلَّمــا آرتَفَعَتْ

هَــامَــاتُنــا، أو هَــوانــا شَبَّ لاهِبُــهُ

أو ضَاقَ ذَرْعاً .. تَمَنَّيناكَ لَو مَعَنا
وَانظُرْ عِراقَكَ إذْ تَعلُو مَراجِبُهُ
لَكانَ ضَمَّكَ في عَينَيهِ، واشْتَبَكَتْ
عَلَيكَ أهدابُهُ، وَانحَطَّ حاجِبُهُ
فَيئاً، وَسُوراً .. إلى أَنْ أَنتَ تَسأَلُهُ
أَنْ يَستَريحَ، فَيَسْتَعْفيكَ حادِبُهُ
وَأمسِ أَمسِ تَمَنَّيناكَ حِينَ نَبا
أهلُوكَ عَن زَمَنٍ صارَتْ ثَعالِبُهُ
أُسْداً وَلكِنْ على مَن لا يُخَوِّفُهُم
جُرْمُ ابنِ آوى وإنْ طالَتْ ذَنائِبُهُ
دَسُّوا وَقُلْنا، فَصَاحُوا .. لم نَصِحْ أَبَداً
وَيَخساوُن .. لَنا كِبْرٌ نُحاسِبُهُ
لَنا اقتدارٌ بِعَوْنِ اللّهِ نَعرِفُهُ
وَبَيْنَنا مَن مُخيفاتٌ نَواشِبُهُ
وَبَيْنَنا مَن على كَفَّيهِ مِيتَتُهُ
بِشَرْطِ ألّا يَرى جُرْذاً يُغاضِبُهُ
أَبا عَلِيٍّ تَمَنَّيناكَ ساعَتَها
لِيَسْمَعَ الصَّوتَ مِنْ صَدّامَ طالِبُهُ

وَمَن تَعلَّمَ طِفـــلًا في مَـــدَارِســـهِ
أنَّ التَّحَـــدِّي لـــهُ كِبْــرٌ يُنــاسِبُـــهُ

وَمَنْطِقٌ مِثْلَمـــا صَـــدَّامُ خـــاطَبَهمُ
يَكـــادُ يَختَـــرِقُ العَيْنَين ثـــاقِبُـــهُ

واللّـــهِ صَـــدّام .. وَلْيَغْفِـــرْ مُكـــابَـــرَتي
أبـــو عَليٍّ ، فَجُـــرحي لا أُوَارِيُـــهُ

لكنَّني عنـــدَمـــا أدعـــوكَ أحسَبُني
أدعـــو العـــراقَ الـــذي آشـــورُ وَاثِبُـــهُ

واللّـــهِ لَـــو أنْ نبـــوخَـــذْ نُصّـــرٍ عَصَفَتْ
هـــذي الـرِّيـــاحُ بِـــهِ ضَـــاقَتْ مَـــذاهِبُـــهُ

لكنْ .. وَحَسْبُـــكَ «لكنْ» يُسْتَفَـــزُّ بهـــا
هـــذا العظيمُ ، وَتُسْتَثنى مَنـــاقِبُـــهُ

لكنَّ صَـــدَّام تَـــدعـــو الـــرِّيـــحُ عـــاليَهـــا
فَمـــا تُشـــابكُهـــا إلَّا غَـــوارِبُـــهُ

يَبقى المُحيطُ مَهيبـــاً لا تَجيشُ بِـــهِ
إلَّا ذُراهُ ، وَتَسْتَعصِي غَيـــاهِبُـــهُ

* * *

أبا عَليّ جَزاني الله مَغْفِرَةً

أنّي زَهَوْتُ وَبِيْ دَمْعُ أغالِبُهُ

أدْرِيكَ تَصْفَحُ عَن زَهوِي ، وَتعرِفُهُ

إذْ أنتَ مِنْهُ ، وَلَو صَدّامُ صاحِبُهُ

إني زَهَوْتُ بإيقافِ العراقِ لَهُمْ

وَكُلُّهُم مُسْتَفَزُّ الوَجْه ، شاحِبُهُ

هذا التَّحدِّي الذي قاتَلْتَ أنتَ بِهِ

والكبرياءُ التي تَبْقى تُواكِبُهُ

هُما عَزاءُ العِراقيِّينَ أجمعِهم

في كلِّ مَحْفَلِ أهْلٍ أنتَ غائِبُهُ

فاسلَمْ سَلِمْتَ بَلى وَاللهِ .. أسْلَمْنا

أبا عليّ مَن آبيَضَّتْ عَواقِبُهُ ..

* * *

نشرت في القادسية بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٩٠

يا عيون الصغار

كلُّ مذعورةٍ عَلَيها سَلامُ
كلُّ قُرىً لَها عَلَينا ذِمامُ
كلُّ أرضي كالقُدسِ أرضٌ حَرامُ
كلُّ قومي عَزيزُهم لا يُضامُ
فَلْتَقِفْ كلُّ جَمرَةٍ في مَداها
إنَّ بَغدادَ عَيْنُها لا تَنامُ!
هكذا كانَ كلُّ تاريخ أهلي
يَتَمَنّى .. وَقالَها صَدّامُ!

* * *

يا خَطايا صهيون .. يا ليلَ حُزْنٍ
يَتَمَطّى .. وَنُصْبَ حُزْنٍ يُقامُ
أيُّها الزّاحفونَ مِن ألفِ كَهفٍ
مثلَما يَتْبَعُ الجُذامَ الجُذامُ

زُمَـــراً لا يَلُمُّهُـــنَّ خَـــلَاقُ

لا بُيـــــوتُ زُلْفَى ، ولا أرحَامُ

وُلِـــدُوا يَكْـــرَهـــوُنَ كُـــلَّ البَـــرايَـــا

فـــالمَشِيمـــاتُ كلُّهـــا أَوْرَامُ

وَنَفَتْهُمْ حتَّى دِيـــــارُ أَبِيهِمْ

فَهُمُـــــــو بَيْنَ أَهْلِهِم أَيْتَـــــامُ

آكِلِي ظَهْـــرِ أُمِّكُمْ .. إنَّ هـــذي آلـ

أرْضَ لا يَستَـــوي بِهَـــا الإجـــرامُ

ليسَ مَهْـــدُ المَسِيـــحِ مَفْـــرَشَ صُهيـــون

وَلَا بـــاعَ بَيْتَـــهُ الإِســـــلامُ

قُـــلْ لِمَنْ شَـــدَّ أَزْرَ هـــذي النُّفـــايـــاتِ

بَلَى .. يُنْجِـــدُ الظَّـــلامَ الظَّـــلَامُ

غَيْـــــرَ أَنَّ الفَجْـــرَ العَظيمَ سَيَبْقى

مُسْتَفَـــزّاً وَفي يَـــدَيْـــهِ الـــزِّمَـــامُ

لا تَقُـــولـــوا آلسَّمـــا تَـــأَبَّـــدَ فيهـــا آلـ

لَيْـــلُ .. وَالأرضُ عَـــزَّ فيهـــا الـــوِحَـامُ

عِنْـــدَ كُـــلِّ آرتِطـــامِ غَيْمٍ بِغَيْمٍ

يُـــولَـــدُ آلبَـــرْقُ ، ثُمَّ يَهمِي آلغَمـــامُ

وَتَفيضُ الــدُّنيــا .. دَمــاً أو مِيــاهــاً
في الميــاهَيْنِ تُــزهِــرُ الأكمــامُ !

* * *

أيُّهــا المُبصِــرُ آشتِعــالَ دِمَــانــا
لا تَلُمْنــا ، فَمِثْلُنــا لا يُــلامُ
نحنُ لَسْنــا المستَضْعَفينَ لِيَــرعى
آلُ صُهيــونَ زَرْعَنــا ما أسـامُــوا
لا وَلا هــامَــةُ العــراقِ تُلَيْــلُ
تَستَطيــعُ ارتقــاءَهُ الأقــزامُ
دَنَّسُــوا مَــرَّةً سَمــاوَاتِ بَغــداد
وَلَمَّــا تَــزَلْ تَصِــلُّ العِظــامُ
وَيَئِــزُّ الضَّميــرُ سُمّــاً وَقَيحــاً
كيفَ زَمَّتْ أقــواسَهُنَّ السِّهــامُ !؟
كيفَ عــادُوا كمــا أتَــوا .. لم يَنَلْهُمْ
أيُّ جُــرْحٍ ..؟ .. وَلْيَهنَــأ الأعْجــامُ
أَلِكَي يَطْعَنُــوا مَقــامَ عَليٍّ
والحُسَينِ الشَّهيــدِ ، صَلُّــوا وَصَــامُــوا !؟
وَإنَّ بُــورِكَ اليهــودُ ، وَبُــورِكْتُم
بَني مَــزْدَكٍ .. وَصَــحَّ الخِتَــامُ

أنتمو فزعُهم .. وَجَلٌ رَسُولُ الله
جَلُّ الأخْوالُ والأعْمامُ
إنَّها عُنْصُريَّةٌ يَشهَدُ الله
صُراحٌ .. وما عَداها اتِّهامُ!

* * *

أيُّها النَّاسُ .. نحنُ لا نَشْحَذُ القُربى
وَلكنْ جَميعكُمْ أرْحامُ
نحنُ أهلوُكُمْ، وأنتُمْ لَنا أهْلٌ
وَمَا بينَ عُزوتَيْنا انْفِصَامُ
أفإنْ صَاحَ صَائِحٌ مِن بنِينا:
يا هَلِي .. تطْرقُ الرُؤوسُ الضِّخامُ؟!
يا هَلِي، إنكُمْ أولُو ذلكَ الصَّرحِ
فَلا يُفْزِعَنَّكُمْ مَا أقاموا
يا هَلِي .. إنَّكُمْ بَنُو ذلكَ الجَدِّ
فَلا يَثْلِمِ الحُسَامَ الحُسَامُ
إنَّ بغدادَ وهيَ تَنْضَحُ دَمعاً
وَدِماءً، لَتَسْتَبيها الشَّآمُ
كُلُّ جُرحٍ هَلِي بِدَجْلَةَ يَدْمَى
يَدفَعُ النِّيلُ عَنْهُ والأهرامُ

كـلُّ مَـوْتٍ نَمـوتُـهُ يَشهَـدُ اللّه
لَكمْ فيــهِ مَشْهَــدٌ وَمَقَـــامُ
كـلُّ نَصـرٍ لكمْ عَلَيــهِ شَهيــدٌ
وَعَلى صَـدْرِهِ الكـريمِ وِسَـــامُ
فَـإذا لم تَكُنْ كـذا ، فَلِمـاذا
تَمـلأُ الجَوَّ هـذِهِ الأعـلامُ ؟!

وَلِمَنْ نَـدَّعي انتِمـاءً إذا لم
يَنْتَمِ الآنَ كـلُّ هـذا الهُـلَامُ ؟
هـذِهِ التَّائِهـاتُ .. إنْ هيَ حَتَّى الآنَ
غَـرْقَى .. إذَنْ عَلَيها السَّـلَامُ !

* * *

يـا هَلِي .. لَنْ أقولَ مـا سَوفَ يَبْقَى
نَـاقِصـاً ، ثُمَّ يَصْعُبُ الإتْمـامُ
أنـا لا أدَّعِي البطـولـة لكنْ
رُبَّ صَـرْحٍ تَهُـزُّهُ الأقـلامُ
نحنُ نَـدعـوكمـو إلَيْنـا وَلَسْنـا
نَتَبَـاهى بـأنَّنـا لا نُنَـامُ

غَيْـــرَ أنَّـــا واللّه نَـــزْعُمُ أنَّـــا
مـــا عَلى وَجْـــهِ خَيِّـــرِينـا لِثَـــامُ !
وَنُبــاهِي بـــأنَّنـــا نَعـرفُ الـــدَّربَ
وأنَّـــــا دَلِيلُنـــــا لا يُـــــذَامُ
أثَــلاثــونَ رايـــةً وَعَلَيهـــا
كلُّهـــا رايـــةُ اليَهـــودِ تَنَـــامُ ؟!
بَـــلْ ثَـــلاثُـــونَ رايـــةً ، ولهـــذا
فـــوقَهـــا غـــاربٌ لَهم وَسَنـــامُ !
نحنُ سِيقـــانُهُم ، وَلَـــولا خُطَـــانـــا
مـــا سَـــرَتْ لِابنِ خييـــرٍ أجســـامُ
وَبِنـــا أدرَكـــوا فلسطينَ ، سَعْيـــاً
بِخُطـــانـــا .. وَنحنُ قـــومٌ كِـــرامُ !
وإذا مـــا سَـــألْتُ أهلي أجـــابُـــوا
للضَّـــروراتِ كلُّهـــا أحْكـــامُ !

يـــا هَلِي .. لَـــو وَضَعْتُ أعـــلامَ أهلِي
فـــوقَ بَعْضٍ لانحـــاشَ عَنهـــا الغَمـــامُ !
لَـــو سُـــوَيْعَـــاتُهُم تَجَمَّـــعُ يَـــومـــاً
لَتَنـــادَتْ لِـــوَقْعِـــهِ الأيَّـــامُ !

لَــــــــو .. ولكنْ لِمَ التَّمَنيِّ وأنتم

حــولَ جِــذعِي كمـا يَـدورُ الحِــزَامُ !

حَسْبُنـــــا الآنَ أهْلَنــــا أنَكُم جئتُم

وَنِعمَ الحضــــــورُ والإشهــــــامُ

إنَّ هـــذي الانهارَ تُصبـحُ كـالطُّـوفانِ

لَـــو شَــدَّ أزْرَهـــا الحُكَّـــامْ !

حَسْبُنـــا أنكُم هُنـــا والعِـــراقُ الحُــرُّ

يَـــزْهـــو، وَإنْ تَمـــادَى اللِّئــامُ

إنكم هُهُنـــــــا رُمــــــوزٌ لِمَغْنَىً

تَتَــــلاشَـــى أمـامَـــهُ الأرْقَـــامُ

هـــوَ أنَـــا ، إنْ أطْبَقَ اللَّيــلُ ، فَجْـــرُ

عَــــــــرَبِـــيٌّ ، وأُمَّـــةٌ أرحـــامُ

وَهــــو أنـــا ، إنْ أحْـدَقَ الـوَيْـلُ ، نَبْـعُ

لِلحَضَــــاراتِ عَـــلَّ مِنْــــهُ الأنَـــامُ

فَـــإذا دافَعُـــوا عَنِ الشَّمسِ يَـومـــاً

فَسَنـــاهـــا فِينـــا ، وَفِينـــا الضِّــرَامُ

والَّــــذي لا يَـــرى بِعَيْنَيْـــه هـــذا

سَتُـــرِيـــهِ الصُّـــروفُ وَالأعْـــوامُ

* * *

يـــا عيــونَ الصِّغـــارِ في كـــلِّ بيتٍ
في فلسطين ، كيفَ أَغْفَــوا وَنــامــوا ؟
أَتَـــرى تَلعَبُ الطُّفـــولــــةُ في
تِلـــكَ النَّـــواحي ، وَتَنهضُ الأحْـــلامُ ؟
أَتُـــراهُم يُـــرَفـــرِفـــونَ بِحُضْنِ الأهـــلِ
زُغْبـــاً ، كمـــا يَـــرِفُّ الحَمـــامُ ؟
أَمْ لَهمُ مَخْضُ كِبْـــرِهِم .. أَنَّهم شَبُّــوا
وَشَـــاخَتْ عَليهـــــم الآلامُ !
فَهمـــو يَـــرجمـــونَ كـــلَّ نُكـــوصٍ
وَبِهم يُفتَـــحُ الطَّـــريقُ الأمـــامُ !

* * *

يـــا شِفـــاهَ الصِّغـــارِ في كـــلِّ بَيْتٍ
في فلسطين .. هـــلْ أتـــاكِ الفطـــامُ ؟
عَجِّلي ، عَجِّلي ، فَفي كـــــلِّ دَرْبٍ
حَجَـــرٌ شـــاخصٌ ، وَوَجْـــهٌ جَهـــامُ !
الفِطـــامَ الفِطـــامَ .. وَلْيُـــولَـــدِ الطِّفـــلُ
فلسطينُ فيـــكِ وهـــوَ غُـــلامُ !
ليسَ في الـــوَقتِ فُسحَـــةٌ فَـــدرُوبُ الـ
عِـــزِّ تَـدعـــو .. والصّـارخـــاتُ الخيـــامُ !

ليسَ في الـوَقتِ فُسحـةٌ يا بـلادي

فـالـرّزايـا على الـرّزايـا زِحـامُ !

يـا عَمـاليقَ أمَّتي .. أيُّهـا الأطفـالُ

يـا مَن قِـلاعُهُـم لا تُـرامُ

مَحْضُ نـارٍ في سَعْفَةٍ .. مَحضُ غُصْنٍ

وَحِجـارٌ مـلءَ الـدُّروبِ رُكـامُ

عَلِمَ النَّـاسُ كلُّهُم أَنَّ ضَـوءَ اللهِ

في الأرضِ هـذه الأكمـامُ !

أَنَّهم هُم فَيَـالِقُ القُـدْسِ حَتَّى

يَـأذَنَ اللهُ أَنْ تَقُـومَ الـرِّمـامُ !

يَـومَهـا نَلتقي فلسطينُ .. وَغْـداً

فَسَـلامٌ مِنَّـا عليـكِ سَـلَامُ ..

* * *

نشرت في جريدة القادسية بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٩٩٠

يا قادة الوطن الكبير

جَمَحَتْ ، وَوَحْدَكَ في يَدَيْـــكَ لِجامُهـــا
وَبِـــدارَتَيْـــكَ قُعـــودُهـــا وَقيـــامُهـــا
وَإليـــكَ وَحْـــدَكَ تَنتهي وَثَبـــاتُهـــا
وَعَلَيْـــكَ وَحْـــدَكَ تَلْتَقي أَعـــلامُهـــا
بِـــكَ أَنْتَ لا أَحَـــدٍ سِـــواكَ سَيُبْتَـــدا
كـــلُّ المَســـار .. وَفي يَـــدَيْكَ خِتـــامُها
سَيَجِيءُ وَعْـــدُ اللهِ جَـــلَّ جَـــلالُـــهُ
إِذْ لا يُشَـــامُ حَـــلالُهـــا وَحَـــرامُهـــا
أَنَّ البَيَـــارِقَ في العِـــراقِ سَتَلْتَقي
هـــذي عـــروبَتُهـــا ، وَذا إِسْـــلامُهـــا
سَتَجيءُ مِصـــرُ وَقَـــد تَهَلَّـــلَ نِيلُهـــا
وَمَشَتْ بِكـــلِّ جَـــلالِهـــا أَهْـــرامُهـــا

وَسَيَـــأذَنُ الحَـــرَمُ الشَّـــرِيفُ لِشَمسِـــهِ
أنْ في العـــراقِ سَيَبْتَـــدي إحـــرامُهـــا
سَيَضِـــجُّ مَـــوجُ الأطْلَسِيِّ مَهَـــابَـــةً
وَذَوائِبُ الاوراسِ تَلْمَـــعُ هَـــامُهـــا
وَكَـــأنَّ شُطـــآنَ الخَليـــجِ تَصيـــحُ بِي
بَغْـــدادُ مِنّـــا في الخُطـــوبِ حِـــزامُهـــا
وَأمـــرُّ مِن صَنْعـــا إلى عَـــدَنٍ إلى
عَمَّـــان .. تَلْمعُ في يَـــدَيَّ سِهَـــامُهـــا
فَـــأقـــولُ أهلي .. لـــو رَمَيْتُ بـــأيِّهِمْ
مـــا زَلَّ حَتَّى طِفلُهـــا وَغُـــلامُهـــا
إنِّي لأقسمُ عَن دِمَشقَ بِـــأنَّهـــا
تَلْتَفُّ ضِلْعـــاً لِلعـــراقِ شَـــآمُهـــا
وَلَنَحنُ في يَـــومٍ يَهيبُ بـــأهلِـــهِ
أنْ لا تَقَـــرُّ على الـــوِســـادِ نِيـــامُهـــا
رَضَعَتْ أُلـــوفُ المُـــزْرِيـــاتِ بِمـــاءَنـــا
وَالآنَ في بغـــدادَ حـــانَ فِطـــامُهـــا
يَـــا رَافِـــعَ العَلَمِ المَهيبِ لِـــوَاؤهُ
يَـــا مَنْ بِـــهِ وَلَـــهُ آسْتُفِـــزَّ كِـــرَامُهـــا

مِنْ أَلْفِ عَـــامٍ وَهيَ وَاهِيَــةُ الخُطــا
قَــدْ مَالَ غــارِبُها ، وَطــاحَ سَنَامُهــا
وَتَلَبَّـــدَتْ حَـــدَّ القَتَـــامِ دُرُوبُهــا
وَتَـــابَّـــدَتْ حَــدَّ الشَّجَــا أَوْرَامُهـــا
وَتَفَـــرَّقَتْ عُصَبـــاً شَتَـــاتــاً .. ثُمَّ هــا
هِيَ ذِي عَلَيْـــكِ تَجَمَّعَتْ أَرْحَـــامُهـــا

يَـــا مُلْهِبَ الغَمَـــراتِ .. كُـلُّ عَظيمَـــةٍ
وَلَهـــا عَظيمٌ في يَـــدَيْـــهِ زِمَـــامُهـــا
وَلأنتَ مِنْهـــــا في صَميمِ لَهِيبِهـــــا
وَوُفُـــودُ أَهْلِـــكَ هـــذِهِ أَعْـــلامُهـــا
وَمَن الَّـــذي يُعْطِي الـرُّجـولَـةَ زَهْـوَهـــا
في الـــرَّوْعِ إنْ لَم تُعْطِـهِ أَغْمـــامُهـــا ؟!
يَـــا وَاعِـــدَ الاحـــرارِ أَنَّ صُـــرُوحَهُمْ
أَبْقى ، وَأَنَّ دَمَ العـــراقِ دِعَـــامُهـــا
وَمُهَـــدِّدَ الإشـــرارِ لَـــو إبْهـــامُهــا
مَسَّ العِـــراقَ لَقُطِّعَتْ إبْهَـــامُهـــا
يَـــا رَافِعـــاً هَـــامَ العُـــروبَـةِ بَعْـدَمــا
كـــادَتْ تَمسُّ خُطـــا الأَراذِلِ هَـــامُهـــا

وَمـــؤَمَّنَ الأهْلِينَ أَنَّ لَـــدَيْهِمـــو
في الـــرَّافـــدَيْنِ يَـــداً تَعِـــزُّ ذِمَـــامُهـــا
أَبْشِـــرْ فَـــأَنْتَ الـــوَاعِـــدُ المَـــوعُـــودُ يـــا
صَـــدَّام أَنَّـــكَ حَـــرْبُهـــا وَسَـــلامُهـــا
أَبْشِـــرْ فَـــأَنْتَ يَـــدُ العَـــدَالَـــةِ شَـــاءَهـــا
آلـــرَّحمنُ في أَمَمٍ طَغَتْ أَصْنـــامُهـــا
لِتُحَطِّمَ النُّصُبَ التي وَعَـــدُوا بِـــأنْ
يَجْتَـــاحَ أَرْضَ الانبيَـــاءِ ظَـــلَامُهـــا

* * *

يَـــا قَـــادَةَ الـــوَطَنِ الكبيـــرِ .. تَحيَّـــةً
مِـــلْءَ العِـــراقَ تَفَتَّحَتْ أَكْمَـــامُهـــا
جَـــرَيانَ مَـــاءِ الـــرَّافـــدينِ ، وَفي سَنَـــا
شَمْسِ العِـــراقَ تَطَهَّـــرَتْ أَنْسَـــامُهـــا
إِنَّـــا لَنَـــزْهُـــو أَنَّ بَيْنَ بُيُـــوتِنـــا
أَهْـــلًا أَدَامُ الـــرَّافـــدينِ أَدَامُهـــا !
وَهمـــوُمُ أَهْـــل الـــرَّافـــدَيْنِ هُمـــومُهـــا
وَكَـــلامُ أَهْـــلَ الـــرَّافـــدَينِ كَـــلَامُهـــا
زَهـــوٌ لِكُـــلِّ غَـــدٍ سَيَـــأتي أَنَّنـــا
هـــذي وَقـــائِعُنـــا ، وَذِي أَيَّـــامُهـــا !

يَـــا قَـــادَةَ الـــوَطَنِ الكبيـــر، وَنَحنُ مِنْ
قَـــومٍ مَقَـــامُ الأنبيـــاءِ مَقَـــامُهـــا
فَـــإذا تَجَـــرَّأَتِ الكِـــلابُ، فَعِنْـــدَنـــا
حُـــرَمُ العُـــروبَـــةِ لا يُمَـــاطُ لِثَـــامُهـــا !
تَـــاللَّـــهِ لَـــلأمطَـــارُ تُصْبِـــحُ مِن دمٍ
والـــرَّاجِمَـــاتُ ضِيَـــاؤُهـــا وَظَـــلامُهـــا !
وَبِنَـــا وَأيْمُ اللهِ صَـــرخَـــةُ مُـــوْغَـــرٍ
كُظِمَتْ إلى أنْ خَـــافَهـــا كُظَّـــامُهـــا !
فَلْتَلْجِمَنَّ بَنُـــو يَهُـــوذا نَفْسَهـــا
أوْ لا فَيَـــدْري اللَّـــهُ مَنْ لَجَّـــامُهـــا !
وَاللهِ مَـــا سَمَّتْـــكَ صَـــدَّامَ الَّتي
وَلَـــدَتْـــكَ إلَّا صَـــادِقـــاً إلهَـــامُهـــا
أنْ أنتَ لا أحَـــدٌ سِـــواكَ لِعَثْـــرَةِ الـ
دُنيَـــا .. وَأنتَ إذا أبَتْ صَـــدَّامُهـــا !

* * *

يَـــا قَـــادَةَ الـــوَطَنِ الكَبيـــرِ، وَأهْلُنَـــا
مَـــلَأتْ دُرُوبَ الشَّـــامِتينَ خِيَـــامُهـــا !

وَاللّـــهِ لَـــوْلَا أَنَّ تَحتَ سُقُـــوفِهـــا
نَمَ ثَـــائِـــرينَ لَضُيِّعَتْ أَيْتَـــامُهـــا !
أَرَأَيْتُمـــو وَطنـــاً تُقَـــاتِـــلُ تُـــرْبُـــهُ
عَنْ نَفْسِهـــا .. آكـــامُهـــا وَرِجَـــامُهـــا ؟!
أَرَأَيْتُمـــو وَطَنـــاً حِجـــارَةُ أَرْضِـــهِ
خُلِقَتْ وَكُـــلُّ خَلْفَهـــا رَجَّـــامُهـــا ؟!
هـــا هُم صِغـــارُ الأكـــرَمينَ ، وَلِلْعُلَى
أَفعَـــالُ هـــذي النَّـــاسِ لا أَجسَـــامُهـــا !
اللّـــهَ في هـــذي الغَضَـــارةِ كُلِّهـــا
تَعِبَ الـــرَّصَاصُ وَمـــا يَـــزالُ زِحَـــامُهـــا !
اللّـــــهَ في مُسْتَبْسِلينَ سِـــــلَاحُهُم
دَمُهُم وَأَغْصَـــانٌ يُشَبُّ حِطَـــامُهـــا !
وَحجـــارَةٌ لَـــوْ مَسَّ لَاهِبُ غيظِهـــا
مَجـــرى المِيـــاهِ لَشَبَّ فيـــه ضِـــرامُهـــا !
لَهُمـــو ، وَلِـــلأرْضِ السَّليبَـــةِ أَنَّهـــا
سَتُفَضُّ عَنْهـــا عُنْـــوَةً أَخْتَـــامُهـــا
نَـــذْرٌ .. وَلِـــلإِيَّـــامِ مَنْ سَيَـــرُوزُهـــا
أَنَّ الـــوَقَـــاحَ بِـــأرْضِنَـــا شَكَّـــامُهـــا

صَـــدَّامُ .. إمَّـــا أَنتَ تَخْطِمُ أَنْفَهـــا
وَسُيـــوفُ أهلِكَ ذِي ، فَمَنْ خَطَّـامُها ؟!

* * *

يَـــا قَـــادَةَ الـــوَطَنِ الكَبِيـــر تَحيَّـــةً
مِن كـــلِّ شَمْسٍ في العـــراقِ وِحَـــامُهـــا
إنَّ الـــدَّقـــائِقَ لا السِّنين بِفَجْـــرِهـــا
حُبْلى ، وَقَـــد مُلِئَتْ سَنَىً أرْحَـــامُهـــا !
انَّ الغَـــدَ التَّـــاريـــخَ يَكتُبُ نَفْسَـــهُ
وَلِكـــلِّ نـــاصِـــعِ صَفْحَـــةٍ أَقْـــلامُهـــا
وَاللّـــهِ لَنْ يَبْقى مِنَ الـــدُّنيـــا لَنـــا
إلَّا الَّـــذي نَطَقَتْ بِـــهِ أَحْكَـــامُهـــا !
سَنَـــرى عَلَى أَخْفَـــانِنـــا قَسَمَـــاتِنـــا
فَتَكَـــادُ تَشْهَقُ في القُبُـــور رِمَـــامُهـــا !
هيَ أُمَّـــةٌ أَنتمُ وُلاةُ أُمـــورِهـــا
آبـــاؤهـــا في اللهِ لا حُكَّـــامُهـــا !

* * *

نشرت في القادسية بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٩٠

فهرست المجلد الاول

فهرست المجلد الثاني

فهرست المجلد الثالث

فهرست المجلد الرابع



طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة